تفسير البدليسي

TAFSĪR AL-BIDLĪSĪ	تفسير البدليسي

Author : *Al-Shaykh Houssamuddin Ali ben Abdullah Al-Bedlisi Al-Hanafi Al-Sufi (D. Around 900 H.)*

المؤلف : الشيخ حسام الدين علي بن عبدالله البدليسي الحنفي الصوفي (ت حوالي سنة ٩٠٠ هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Exegesis Of Qur'an - Sufism*

التصنيف : تفسير قرآن – تصوّف

Year : *1441 H. - 2020 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤١ هـ – ٢٠٢٠ م

Pages: *4072 (5 Vols. / 5 Pasrts)*

عدد الصفحات : ٤٠٧٢ (٥ أجزاء / ٥ مجلدات)

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

All Rights Reserved

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon | بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

Exclusive rights by © BOOKS-PUBLISHER Beirut - Lebanon No Part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system,or to post it on Internet in any form without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS-PUBLISHER Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, ou téléchargement sur Internet de quelque mamière que se soit faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة كتاب - ناشرون بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو تحميله على صفحات الإنترنت بأي شكل من الأشكال إلا بموافقة الناشر خطياً.

ISBN 978-2-7451-7929-6
9 782745 179296
90000

تفسير البدليسي

تفسير إشاري صوفي شارح لمقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان. الشريعة والطريقة والحقيقة

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ
حسام الدين علي بن عبد الله البدليسي الحنفي الصوفي
المتوفى حوالي سنة 900 هجرية

اعتنى به وضبطه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

الجزء الثاني

المحتوى

النساء - المائدة - الأنعام - الأعراف - الأنفال

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon
كتاب - ناشرون | بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 4 سُورَةُ النِّسَاءِ آياتها 176 مدنية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الّذي خلقكم رجالًا ونساءً من نفس واحدة ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي بيّن المواريث بيّن الكلام وأحسن الأحاديث وأشكل الأمر في الآحاد وأفراد الأحايين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الّذي بيّن مراتب العباد وعيّن للمؤمنين الصادقين لقاءَ الله وللمشركين المنافقين السعير والدرك الأسفل يوم التناد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الذكور والأثاث ذات العروض والإناث ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى﴾ أي اعبدوا اللّهَ الذي هو ربكم ودبر في الظاهر والباطن أمركم وصور في الأرحام أشكالكم وصوركم ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النّساء: 1] أصل واحد وهو نفس آدم وحقيقته وذاته ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116] وقد يطلق على جوهر مجرد متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والمراد هنا هو الأول كأنه قالَ: نفس وذات أنشأها من تراب مخصوصٍ وطين وصلصالٍ منصوص وأرض غير مبصوص ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ من ضلعه وشقه الأيسر وجنبه الأخس الأخسر ﴿زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَبَثَّ﴾ نشر ونثر وبثَّ ﴿مِنْهُمَا﴾ من ازدواجهما وامتزاج مائهما ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ وإنما جمعه ووصفه بالكثير إشعارًا بأن الرجل في نفسه كثير وشأنه عظيم كبير، ولذا جعل سهمه في الميراث وشهادته في الدعوى والأبحاث ضعف سهام النساء

وشهادتها، وجعل أسباب إيجاده أكثر وعقله ودينه أوفر لقوله عليه السلام: «**هن ناقصات العقل والدين شاوروهن وخالفوهن**». وقالَ أيضًا: «**لن يفلح أبدًا من أسند أمره إلى النساء**» ولذا أفردها ﴿وَنِسَآءً﴾ وجعل تنوينه للتحقير والإهانة والتصغير وبثّ عطف على خلق وهو عطف مقدر كأنه قيلَ من نفس واحدةٍ أنشأها وابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة صفاتها، وهي أنشأها من تراب وخلق منها زوجها وبث منها ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ بالتخفيف والتشديد من التفاعل أدغمت الثانية في السين يعني يقتسمون باللّهِ في حاجاتكم ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور تقول مررت بزيد وعمرو أو على الله أي صِلوها ولا تقطعوها، وقرأ بالجر عطف على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة بالرفع على الابتداء والخبر المحذوف وإنما قرن الله تعالى الأرحام باسمه واشتقها من اسمه تعظيمًا لشأنه وتنبيهًا على أن وصلتَها بمكان منه وأعظم أجرًا عنده.

قال عليه السلام: «**الرحم معلقة بالعرش يقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله**»، وأيضًا قالَ: «**إن اللّهَ تعالى لما خلق الرَّحم قال لها: أصِل من وصلك وأقطع من قطعك**»، وقالَ أيضًا: «**ما من حسنة أسرع ثوابًا من صلة الرحم وما من عمل سيئة أسرع عقوبة من البغي**» الحديث. وقطع الرحم نوع من البغي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: 1] حافظًا حفظًا محيطًا من جميع الجوانب لأن الشيطان يقصدكم من الجهات ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية.

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ﴾ [النِّساء: 2] أي الذين مات آباؤهم فانفردوا منهم، واليتيم الفرد والانفراد، ومنه الرمكة السِّمة والدرة اليتيمة اليتامة للأناسي من قِبلَ الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات، وفي جمعه على فعالى وجهان أحدهما لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب فجمع على يتايم ثم قلبت فقيلَ يتامى، والثاني أنه جمع على فعلى كمرضى وأسرى وأسارى وهو عام إلا أنه قد غلب أن يسموا

به قبل البلوغ، وأما لما قيلَ للرسول أنه يتيم أبي طالب فعلى الأصل، وأما أحكامه للحال السابقة وأما قوله عليه السلام: «**لا يتم بعد الحُلُم**» فهو بيان للشريعة لا اللغة ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ أي أعطوا اليتامى أموالهم وسلموها إليهم وقت الاستحقاق الشرعي وهو البلوغ والعقل ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ مخاطب بكل من يحتمله أي لا تستبدلوا المالَ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال من أموالكم التي أبيحت لكم من المكاسب الباء بعد التبديل بل يدخل على المأخوذ ومع التبدل يدخل على المبدول أولًا تستبدلوا الأمر الخبيثَ وهو اختزال مال اليتامى وخيانته وتضييعه الأمر الطيب وهو حفظه وصيانته، والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال، والتأجر بمعنى الاستئجار ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ في الإنفاق سواء بينهما فيما زاد على قدر أجره مثلًا الأجر عشرة، والمأكول من اليتامى خمسة عشر قد سوى بمالهم خمسة عشر والخمسة من مال اليتامى المأكول الفاضل على الأجر، والنهي وارد على فعلهم العادي إذا كان الأكل بعد ضمها إلى الحلال أقبح فنهوا عن ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ أي أكل أموال اليتامى مطلقًا على الوجه المذكور ﴿كَانَ حُوبًا﴾ وذمًّا وعصيانًا ﴿كَبِيرًا﴾ [النِّساء: 2] أو إثمًا عظيمًا كبيرًا وذنبًا جسيمًا مصدر حاب يحوب حوبًا كقال يقول قولًا، وإنما نهى عن أكلهما لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلالهم وهم على ذلك يطمعون فيها فيكون أقبح وعند الله أفضح، وهذا عند الخلق أفضح فيلزم التعليل أن يكون الأكل على عين تلك الصفة جائزًا مباحًا والفرض النهي عن الأكل مطلقًا، إلا أنه أفرده بالذكر لكثرة قباحته وشدة شناعته، نزلت في رجل في غطفان كان معه مال كثير لابن عم له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلما سمعها قالَ: أطعنا اللّهَ وأطعنَا الرسولَ نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله إليه، فلما قبضه اليتيم أنفقه في سبيل الله فقال عليه السلام: «**ثبت الأجر وبقي الوزر لوالده**».

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ أي أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم

بهن بأن لا تعدلوا على القيام بحقوقهن ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النِّساء: 3] أي فزوجوا الرجل ما طاب من النساء فما بمعنى مَن ومِن للتبعيض يعني إذا خفتم ترك القسط والعدالة في حقوق اليتامى وكذا بين النساء فقللوا عددهن ثم بيّن المباحَ منهن ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ منصوب على الحال أو البدلية من ما والواو للتخيير لا للعطف الجامع في زمان واحد، وإلا لجاز الجمع بين تسعة نسوة وهو غير جائز خلافًا للروافض فإنهم جوزوا الجمع بينهما عملًا بظاهِر الرواية، هذا من خصائص النبي ﷺ لأنه نهى الأمةَ مِنَ التزويج أكثر من أربعة ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾ في النساء في النفقة والقسم ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ من النساء أي فاختاروا واحدة منهن ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ أي اختاروا منه المملوكات وغيرها من السرارة لأنها أخف مؤنة وأخف كلفة من الحرائر ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أي اختيار الواحدة من النوعين أقرب وأولى من الورع أو التقليل منهما أو اختيار الاعتدال والعدالة في الازدواج والنكاح أدنى وأولى وأحوط في الدين وأضبط في تحصيل كمال الاعتقاد وأمر اليقين في حق الضعفاء والمساكين في النفقة والكسوة والمسكن ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النِّساء: 3] أصل العول وهو الزيادة ومن العول في الفرائض.

حكي عن الشافعي: أن لا تكثروا في العيال لأن من كَثُرَ عياله وكبر أهله ومناله يصير عيشه ضنكًا لصعوبة رعاية العدل ورعاية حق العناية والأمانة في النفقة والكسوة وغيرهما من الضرورة وحفظ أمر الديانة قيلَ عليه هذا عدول وانحراف منه وغلول، وانصرف من تعيلوا إلى تعولوا قيلَ في جوابه أنه سلك مسلك الكناية في الآية ومدرك العبارة.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النِّساء: 4] بفتح الصاد وضمّ الدال أي أعطوهن مهورَهن جمع صدقة قرأ بفتح الصاد وسكون الدال تخفيفًا أو بضم الصاد وسكون الدال نحلةً أي عطاء وهبة عن طيب القلب نصبها إمَّا على المصدرية من غير لفظ عاملها أو حال: أي ناحلين، هذا أمر للأزواج لإعطاء مهور النِساء قالَ النبي ﷺ: حق الشروط أن يتوقَّوا بما استحللتم به الفروج أوامر للأولياء لأنهم كانوا يأخذونَ

مهور بناتهم ولا يعطوهن شيئًا، ثم كان بعض الناس يتأثمون أن يأخذوا مما أعطوا من نسائهم شيئًا ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ من المال الذي هو الصداق عن طيب النفس وحب القلب ووفاق الحس ﴿نَفْسًا﴾ تمييز ومن نسبه في جملة طبن قيلَ من الأبناء ومن البنين ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ في الدنيا بلا طلب وميل وتعب ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ [النِّساء: 4] في الآخرة من غير رغب وهرب ورهب، من هذا الإبل إذا شفا منه الجرب قيل لهما صفتان للطعام من هناء الطعام ومراء إذا ساغ من غير غصّ أو الهناء ما يلذه الإنسان، والمريّ ما يحمد عاقبه، روي أنَّ ناسًا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئًا مما ساق إليها فنزلت نصبه على صفة مصدر محذوف أي أكلًا هنيئًا أو حال من مفعول كلوا، والمراد منه المبالغة في الإباحة من غير ذرب دليل على وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس ووفور الرغبة والهوس ولذا قيل: يجوز الرجوع إن ظهر الخداع من الأزواج.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ خطاب للأولياء في أموال الأيتام أي لا تعطوا المبذرينَ ضعيفي الأصول خفيفي العقولِ من النساء والفحولِ ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النِّساء: 5] وقيامًا وقِوامًا لأبدانكم وخيانًا لأديانكم يحتمل المدح والذّم فكانت الأموال في أنفسها قيامًا لأبدانكم وقوامًا لأنفسكم ولذا قالَ السلف: مال المؤمن سلاح لدفع علة الفقر وداء الفاقة التي هي تهلك الدِّينَ ويتملك الدَّين الذي هو النقص والشين وقيلَ: اكتسبوا المالَ فإنكم في زمان إذا احتاجَ أحدكم كان أول ما يأكل منكم هو الدين فاحفظوا أموالكم من السّفهاء: «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**».

قالَ البعض: ولأن أترك مالًا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس ويمسنا الضر والبأس باليأس وأداهن بهم فيعذبني الله عليه، مع إنه يحتمل العفو وصرفه في الخيرات بحيث يكون أضعافًا مضاعفةً يا موسى ما ألجأت الفقراء إلى الأغنياء وإن نعمتي ضاقت عليهم وإن رحمتي لم تسعهم لكن فرضت للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم، أردت بذلك أن أبلو الأغنياء كيف صبرهم فيما فرضت عليهم للفقراء في أموالهم، يا موسى إن فعلوا ذلك أتممتُ عليهم نعمتي وضاعفت

لهم الحسنة بعشر أمثالها، يا موسى إنْ ذَكَر أهلُ الغناء أهلُ الفقر، وأهل السعةِ أهلَ الضيق، وأهل العافية أهلَ البلاء أتممتُ عليهم نعمتي وضاعفت لهم الحسنة بعشر أمثالهم ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: 261] عن سفيان الثوري وكانت له بضاعة يقلبها لولاها ليمدّ لي بني العباس ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ﴾ أي اجعلوا لهم ﴿فِيهَا﴾ أي في الأموال رزقًا ويجوز أن يكونَ في بمعنى من ﴿وَٱكْسُوهُمْ﴾ ألبسوهم ممن يجب عليكم رزقه ومؤنته، وقيلَ اجعلوها لرزقهم وكسوتهم بالتجارة فيها وتصرفوا في منافعها ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النّساء: 5] أي وعدوا وعدًا جميلًا إذا طلبوا النفقةَ والكسوة، والمعروف ما عرفه الشرع والعقل بالحسن والقبح والمنكر ما أنكره أو أحدهما بأن تقول لمن وليتَ أمره ولاية أو وصيةً إذا ربحتَ أعطيتك كذا وإن غنمت في غذائي جعلت لكَ حظًّا.

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: 1] أي يا أيها القوى النفسانية والمبادىء الجسمانية أعرضوا عن غير الله إلى مشاهدة لقائي عند طمأنينة النفس الناطقة بالعبودية المفضية إلى شهود صنوف تجلياتي والمقتضية لمعاينة أنواع تعيناتي. وفي العرائس: يا أيها الناس عهد الأزل وميثاقي الأول بشرط وفاء العبودية بعد خطابي ومعرفتي وتعريض نفسي لكم فبصرتها حيث قلت ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجبتم بقولكم ﴿بَلَىٰ﴾ وأيضًا أيها الناس جمال مشاهدتي حيث أخرجت أزواجكم من العدم بتجلي أنوار القدم فبصرتها مشاهدتي وأسمعها خطاب أزليتي باشتغالكم بالحظوظ البشرية والمأمولات الطبيعية وأيضًا أيها المستأنس بي المستوحش من غيري لا تعذرني فإنك لي لا لك وأيضًا أيها الناس اتقوا أنفسكم التي هي مخلوقة من الجهل بي فلا تخافوني ادعيتم معرفتي ومعرفتي للقدم لا للحدث فلو تعرفون أنفسكم لما تشتغلونَ بالحدثان فإني اصطفيتكم لمشاهدتي وخطابي من بين البريات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70] الآية إلخ.

قالَ بعضهم: يا أيها الناس خطاب عام ويا عبادي خطاب خاص ويا أيها النبي، والرسولُ أخصُّ الخواص، ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ أي كونوا على تقديس الأسرار

عند كشف الأنوار على شرط الانفراد في محبتي عن الأغيار ولا تقتفوا آثارَ الأسرار لتكونوا في منازل الصدق من الأخبار في زمرة الأبرار حذرهم اللَّهَ عن نفسه ويحذركم اللَّهُ نفسه والله رؤوف بالعباد وحقيقة التقوى قدس السر عما سوى الله بنعت الخوف من فراقه في متابعة هواه.

قالَ بعضهم: التقوى أربعة: للعامة تقوى الشرك، وللخاصة تقوى المعاصي، ولأخص الخواص من الأولياء تقوى التوسل بالأفعال، والأنبياء تقواهم منهُ إليه، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: 1] أي حقيقة متوحدة ووحدة حقيقية، تجلي ذاته لذاته ثم لصفاته الذاتية، ثم تجلت بصفاته الذاتية لأفعاله وبأفعاله، وجمع علمه وقدرته وحكمته في نعت واحد وهو الأمر، فقربت الإرادة بالأمر فنظر في الأمر بنعت الكاف والنون إلى العدم، صفة من القدم، فأظهر الجوهر البسيط وجمع فيه الأجسام والأرواح والجواهر والمثل والأشباح والأعراض، ثم نظر إليه نَظرَ الإلهية والعظمة والجود فانتشر منه فيه ما ضيق علمه في الأزل من العرش إلى الثرى والفرش على صورة وهيئات كانت منقوشة بنقوش فصوص خواتيم أفعاله، وذلك الجوهر هو المبدع الأول وهو أحمد صلوات الله وسلامه عليه، أول ما خلق الله العقل وهو الآدم في الدورة العظمى التي ربُّها العلم ومرتبتها العليم.

قالَ الصادق رضي الله عنه: خلق آدمَ من التراب وخلق زوجته من دخان الماء التي امتلأ التراب منها، ثم خلق منها الرجال أو لأوامرهم بالنكاح مع بنات الجن، وأمرهم بصلة الرحم، فإن اللَّهَ غفور لا يجوز من ألوهيته أن يتزوج الأخُ الأختَ، فإذا وقع بينهم بعد أمر الله بالمناكحات بعضهن مع بعض، فمن كان فيه السكينة والوقار فهو من شيث وهابيل، ومن كان فيه فسق وبطالة فهو من الجن وقابيل قد عرفتَ أن كل مولود من الإنس يتولد معه نفر من الجن.

قالَ النبي ﷺ: «**ما منكم إلا وله قرين من الجن** قالوا: وإياك يا رسولَ الله قالَ: **وإياي إلا أن الشيطانَ قد أسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير**» فتدبر وتبصَّر.

قالَ صاحب العرائس: جمع اللَّهُ الأرواحَ والأشباح والأنوار والأسرار في قبضة عزته وخمرها بطينة آدم في أربعين ألف صباح من صبح الأزل والأبد حتى خلقه بخلقه والنشأة بروحه فقالَ: خلقت بيدي ونفخت فيه من روحي، فباشرت

فيه يدَ الأزل والأبد، فظهر فيه قدس القدم بجميع الأسماء والصفات والأفعال، فصوره بصورة أعين الجمع التي أظهر الحق منها أوصاف قدمه، خلق الله آدمَ على صورته وهو آدم الثاني، فأخبر الله تعالى عن مقام الجمع بقوله من نفسٍ، وعن التفرقة بقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الآية.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: 1] كرّر التحذير تنبيهًا على أن العرفان والشهود الدائرَ بين الخوف والرجاء أتم من الخالص منهما أي احذروا عمن هو قادر على إيجاد الخلق من لا شيء، ومن شيء من المجردات والماديات برفض المخالفات والركون عن المشتهيات، فإنه قادرٌ على أن يبقيكم على العدمية حتى لا يكونوا أبدًا وعن قطع الرحم أي صحبة الكامل المكمل ونظر عاطفته ومراقبته وشرف خدمته وتربيته ليوصلكم إلى مقام لا يكون لكم فيه خوف ولا خون ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

قالَ عليه السلام: «**اصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ليوصلكم بركات صحبته إلى الله، من سره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل تصوفه**»، أيضًا: «**اذعنوا في دعاء أهل التصوف وأصحاب أهل الجوع والعطش فإن اللّه ينظر إليهم ويسرع في إجابتهم**»، فإن الرحم قسمان: صوري ومعنوي، أما الصوري: فيكمل صورة البدن. وأما المعنوي: فيتمم صورة النفس والروح، فلكل منهما نوع مناسبة وعلاقة بالرحمن، ولذا اشتق اسمه منه وأمر بصلته كما أمر عباده بصلاته أي اجتنبوا من مخالفة أوليائي وقطع صلة رحم صحبته فإن صحبتي موصولة بصحبتهم ومن فارق منهم فارق مني ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] إشارة إلى أن الحافظ للطالب الراغب والمسترشد والمراقب هو الله ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى.

﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ أي أعطوا الطور الخفي الذي هو من لوازم الحقيقة المحمدية وهو السادس من الأطوار السبعة القلبية ما هو مخصوص من تجليات الأسماء الذاتية وشهود الصفات الأولية والتجليات الأفعالية والآثارية وميزوا الواردات الغيبية القدسية الرحمانية من الإيقان الشيطانية والخواطر النفسانية وغير ذلك من الأحوال التي يرى السالك في مالك سلوكه، ويشاهد في مدارك يقينه وممالك أوهامه وشكوكه، فإن إبليس يورد ويلقي على السالك مثل ما يرد على

السالك من الله.

فمن حق المرشد أن يشاهد تمام الأحوال والمقامات المخصوصة بالأطوار المذكورة، ويتمكن أن يدل الطالبين، ويرشد المستكملين الراغبين ما هو مختص به من المقام الأعلى والسدرة المنتهى، ويعصمهم من التسويلات الشيطانية والإيقان النفسانية، ولا تتبدلوا الخبيث والإدراك الحسي الحديث النفسي بالطيب بالأحوال الفائضة من الله والمعارف الرائضة من الرب والإلٰه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي ما مالوا إليه من المعارف الفطرية والعوارف النظرية في النشأة الأولى والفطر العليا ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ﴾ [النساء: 2] التي اكتسبتم في هذه النشأة السفلى من الإدراكات النظرية والدرايات الفكرية ومقتضيات الأطوار القالبية والنفسية والقلبية حال كونها مضمومة إلى مرتضيات الأطوار السرية والروحية والخفية أي العلوم والمعارف التي حصلت بعد شهود التجليات المنسوبة إلى هذه الأطوار المريدية للأسماء الذاتية النازلة من السماء والأسماء الإلٰهية، إشارة إلى أن حق كل طالب حقٍّ أن يستوفيَ ما يختص بطور طور من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات وشهود التجليات لئلا يدخل الشيطان في مداركه وبثبوته في مسالكه ويلبس الحق بالباطل ويلقيه على السالك المماطل.

وإن حق الطالب السالك أن يقع سلوكه على نظم طبيعي بأن يستكمل أولًا الطورَ القالبي ومقتضاه وهو استكمال ظاهر البدن بالأحكام الشرعية وآدابها وإذا استوفى مقتضى الطور القالبي وهو تجلي البدن تخلل ظاهر الأحكام الشرعية وحصلت المناسبة بين البدن الفلكي والبدن الإنساني أي الآفاقي والنفسي استعد لأن يعرج إلى فلك القمر الذي انتسب إليه البدن، وإذا استكمل في الطور القالبي واستحصل الصفاء وانتقل من الأعضاء والجوارح إلى النفس والقلب مثل ذلك الصفاء في عالم البرزخ بالنور الأخضر، وإذا انتقل من التخلية إلى التزكية في الطور النفسي وزكى النفس الأمارة عن الهيئات الرذيلة والصفات الشيطانية والنفس اللوامة عن النعوت السبيعية والصفة الغضبية والنفس الملهمة عن الملكات الردية والشهوات المريدية وحصلت الصفات الكاملة الملكية استعدت لأن يترقى إلى السماوات الثانية والثالثة وشاهدت النور الملون والأبيض، وإذا انتقلت إلى الطور القلبي وتكملت القوة النظرية في مرتبة الصدر والعملية في

المرتبة البرزخية استعدت لأن يستصعدَ إلى سماء شموس شهود التجلي في مرتبة الفؤاد والطور السري ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11] ويشاهد الأصغر في الفلك الرابع ويحصل في القلب والفؤاد الاستصعادَ إلى الفلك الخامس لدى استكمال القوة الشهوية والغضبية وحصول العدالة بينهما وتسري إلى القوة النظرية والعملية وإطاعة لسلطان الروح عند مشاهدة التجلي العقلي في الطور الروحي في الملكوت الأعلى ويشاهد النورَ الأحمر، ثم يصعد إلى الفلك السادس عند استكمال الطور الروحي ويشاهدُ التجلي بصفة التكوين الإبداعي والنور الأزرق، ثم بعد ذلكَ يصعد إلى الفلك السابع ويشاهدُ التكوين المطلق مندمج فيه التكوين الاختراعي والإبداعي والطور الخفي في عالم الجبروت والنور الأسود، ثم يصعد من الملكوت إلى الجبروت وذلك طور غيب الغيوب ويشاهد الفيض الجبروتي في جميع المكونات وتمام أعيان الممكنات بخصوص الأسماء السبعية الذاتية في مظاهر الكواكب السّبعة بأخماس خصوصية الألوان في نور الأنوار والنور الساذج المطلق عن قيود خصوصية الألوان المجرد عن حدود نصوصية الأكوان فحينئذٍ يفنى عن تمام التعينات وعما يلزمها من أنواع القيود وأجناس الحدود وخصوصيات الشهود وعن جملة ملابس المواثيق وعقود العهود فيبقى ببقاء الله ومطلق الوجود.

﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ هذا إرشاد المرشدين وتكميلهم وتوصية لهم في آداب الإرشاد والتكميل والإعداد يعني من حق المرشد الكامل وشرط المكمل الفاضل إذا كمل المسترشد العالم على العالم وأهله أن لا يعطوا أصحاب النفوس الضعيفة وأرباب العقول السخيفة الغير المستكملين مراتب السير والسلوك، ولم يصلوا إلى موطن المعارف الإلٰهية والأسرار الربوبية ومقام الاستعداد الذاتية والقابليات الأولية وما داروا في ممالك الأدوار الإفرادية وكذا ما ساروا في مدارك الأكوار الظلية الفردانيّة وجمعيتهما وجمعية جمعيتهما ولم يطلعوا على مقتضى استعدادهم ومرتضى أصل مشاربهم وفضل مذاهبهم حتى علم قدرتهم ومقدار قوتهم في ترتبية السالكين وإرشاد المسترشدين قاد الأرخصية له أن يعطي لهم أموالهم أموال علوم الإرشاد والتكميل وآداب الجهاد والاجتهاد والتفضيل في طور التفصيل ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ العلومَ ﴿قِيَمًا﴾ وأصلًا وقوامًا ومادة ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ﴾ أي جعل لله بعض تلك العلوم والمعارف غذاء لنفوسكم وأرواحكم والبعض الآخر منها دواء لدواءكم وشفاء

لقلوبكم. قالَ النبي ﷺ: «**أكثر قولَ لا حول ولا قوة إلّا بالله فإنه دواء لتسع وتسعين داءً أيسرها الهمّ**»، ﴿وَٱكۡسُوهُمۡ﴾ والبعض الآخر كساءً ولباسًا ولواء وهو العفة والتقوى ﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء: 5] قريبًا إلى فهمهم عند استدعائهم تعريف الإسناد كشف أسرار الأسماء والاطلاع على الحقائق الإلهية والمعارف الذوقية.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ أي جربوا واختبروا أصحاب الطور الخفي والطور الحقي بالتوجه إلى حالهم فإن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النِّساء: 6] كانت أحوالهم صادقة وأعمالهم بارقة وأفعالهم شارقة ومقاماتهم فائقة حتى اتضح أنهم بلغوا مبلغ الرجال وشرفهم الله بعلو المقامات وأعلى الأحوال وأرفع الحالات واستدعوا بالاستشراف على سر سريان الهوية الغيبية والاطلاع على دوران السّرّ الإلهي في أعيان الأدوار النورية الوجودية وأكوان الأكوار الظلية العدمية ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ﴾ أي من الطالبين المستكملين الكاملين الواصلين إلى درجة التكميل لكن فقد منهم شرائط التكميل والإرشاد وبعد عنهم أسباب التعديل والإمداد والإيصال والإعداد ﴿رُشۡدٗا﴾ صلاحًا وإصلاحًا للنفوس وإفلاحًا للانعكاس والعكوس ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ أي علوم الإرشاد والتكميل والمعارف الفطرية التي كانوا عليها في الفطرة الأولى ﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا﴾ الإسراف: المجاوزة والإفراط والخطأ ووضع الشيء في غير موضعه ﴿وَبِدَارًا﴾ أي مبادرة وسرعة ﴿أَن يَكۡبَرُواْ﴾ في محل النصب علة للنهي أي لا تأكلوها مسرفين بادرين حذرًا عن حالة الكبر فإنهم إذا كبروا ألزموكم لأن يسلموا تلك الأموال إليهم زجرًا وإهانةً لكم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء والأوصياء ﴿غَنِيّٗا﴾ عن مال اليتيم وأكله ﴿فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ﴾ وليمتنع وليتجنب من أكل أموال اليتيم كان قليلًا أو كثيرًا وأصل الفقه والعفاف والامتناع والتجنب ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا﴾ من الأولياء ﴿فَلۡيَأۡكُلۡ﴾ من مال اليتيم ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النِّساء: 6] أي بقدر حاجته ومقدار أجرته مشعر بأن الولي والوصي له تصرف في مال اليتيم والصبي.

قالَ عليه السلام لرجل قال له: إن في حجري يتيمًا أفآكل من ماله؟ قالَ عليه السلام: «**بالمعروف غير متأثم ولا وافيًا مالك بماله**»، وإيراده بعد النهي يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم من أموال اليتامى وللقول في بالمعروف وجوه كثيرة.

تأويل وإشارة

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ إشارة إلى شرائط الإرشاد ومبادىء التكميل وأركانها يعني امتحنوا يتامى قلوب المريدين إذا مات أب عقولهم وبقوا في يد أم النفس عند غلبة الجذبة الإلٰهية يتيمًا أسيرًا ذليلًا فينبغي أن لا يفرط في استعمال القوة العاقلة والقوة النظرية وأن لا يبالغ في تفريط القوة العملية وتركها في رياضةِ النفس في الطور السري والروحي والخفي في السير إلى الله وبالله إلى مقام الفناء بالله والبقاء بالله وفي السير من الله إلى أن يصل إلى مقام محل نكاح النفس بأن يجعلها تحت تصرف.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النّساء: 6] في استعمال القوة النظرية وأعمال القوة العملية ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ أي المعارف النظرية الأزلية والشهودات الذاتية بأن يجعلهم متذكرين بتلك الحالات الأزلية والمقامات الفطرية ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أي لا تخفوها وما جعلتموها نسيًا منسيًا ﴿إِسْرَافًا﴾ أي بالكلية ﴿وَبِدَارًا﴾ مسارعة واستعجالًا أي لا تبالغوا في استعمال القوى النظرية حتى يفوتَ الغرض الكلي ويموت المقصود الأصلي وهو الشهود الأزلي وسماع الخطاب الأوليّ في هذه النشأة وغير ذلك مما جرى في الفطرة الأولى والنشأة العليا إذ الإدراكات الحصولية وصور العلوم الخطورية حجاب على الحالات الأزلية والمقامات الكلية الأولية وهذه الحجب لا ترتفع إلا بكلمة التوحيد والمواظبة عليها في الخلوة عن الناس في البداية مع سائر الشرائط في المجاهدة لتحصيل المعاينة والمشاهدة ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا﴾ عن استعمال القوة النظرية كالأنبياء والأولياء الكاملة الخلقة ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا﴾ محتاجًا إلى الفكر والنظر الحضوري الحصولي ﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الحاجة من غير مبالغة فيه إذ المقصود هو حق اليقين إنَّ هذا لهُو الحق اليقين لا علم اليقين وعين اليقين فإنهما طريقان له.

قالَ النبي ﷺ: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**» ﴿فَإِذَا

دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ تفسيره أي قبضتم ما كان عندهم فيندفع عن الخصومة ويرتفع عن ذمتهم التهمة ووجوب الضمان والحمية وليسَ هذا الإشهاد بفريضة والظاهر أن اليتيمَ لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عند الشافعي ومالك خلافًا لأبي حنيفة رضي الله عنهم فإن الشهرة كافية ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: 6] محاسبًا ومجازيًا وكافيًا، فلا تخالفوا ما أمرتم ولا تعدوا ما خذلكم.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا ﴿٧﴾﴾

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ وحظ وسهم ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ الموروثون من أصحاب الفروض والورثة، نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك امرأةً وثلاث بنات وكانوا في الجاهلية لا يورثونَ النساء ولا الصغير وإن كان ذكرًا وكانوا لا يعطون إلا من قاتل على ظهور وجاء الغنيمة وكانَ له ابن عم أخذ المالَ كله فجاءت امرأته إلى رسول اللَّهِ ﷺ وعرضت الحالَ عليه فقال: يا رسول الله هن لا يركبن فرسًا ولا يبارزون عدوًّا فأنزل اللَّهُ ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا﴾ [النساء: 7] مقدرًا معلومًا، هذا المجرور بدل مما ترك بإعادة العامل نصيبًا منصوب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أي فرض فريضة، أو حال أي بيّنت لهم مفروضًا نصيبًا، أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبًا معطوفًا واجبًا لهم، وفيه ما يدل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه، ولما كان في هذه الآية إبهام وخفاء بيّنه بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: 11، 13] لما نزلت أرسل رسول الله ﷺ إلى بنات أوس وزوجته إنَّ حق الزوجة الثمن وحق البنات الثلثان.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ أي قسمة المواريث ﴿أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الذين لا يرثون ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم﴾ أي أعطوهم شيئًا ﴿مِّنۡهُ﴾ من المقسوم أو من المال المقسوم تطييبًا لقلوبهم وتصدقًا عليهم، والأمر للاستحباب والوجوب، والآية

محكمة عند البعض ومنسوخة عند الآخرين ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النِّساء: 8] ليتداعى لهم، ولا تمنوا عليهم وقد سلف بعض الكلام فيه.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ الأمر للأوصياء بأن يخافوا الله ويتقوه في أمر اليتامى الذين سلطوا عليهم ولاية أو وصايةً فعليهم أن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعلوا بذراريهم.

قالَ عليه السلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يجب لنفسه**» وقال أيضًا: «**كما تدين تدان**» وأيضًا قالَ عليه السلام: «**إخش الله في الناس ولا تخشى الناس في الله وليخش الله في حق الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا**»، للحاضرين المريض عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يحسبوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم الصغار وذراريهم الضعاف المحتاجين المتكففين الناس ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النِّساء: 9] صفة أخرى للذرية تأكيد في الترحم بهم والاستعطاف نزلت في جابر ابن عبد الله في مرض حيث قال يا رسولَ اللّهِ: كيف أقضي وأصنع في مالي فسكت رسول الله فنزلت قيلَ نزلت في حق زوجة أوس الأنصاري.

وقالَ بعضهم: نزلت في حين قالت امرأة سعد استشهد في غزوةِ أحد يا رسول الله إن هاتين ابنتا سعد بن الربيع الأنصاري قد أخذ العمّ مال ابنتيه وما أعطاهما منه شيئًا، فدعا رسول الله ﷺ عمهما وقرأ آية المواريث عليه وأمره أن يعطيهما الثلثين والثمن لزوجته والباقي له هذا أول ميراث قسم في الإسلام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ نزلت في رجل من غطفان يقال له مربد بن زيد ولي مال ابن أخيه وتصرف فيه ظلمًا وعدوانًا حرامًا بغير حق، وهو إما حال أو تميز أي ظالمين أو على وجه الظلم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾

[النِّساء: 10] أخبر عن حال مآله وسوء مرجعه ومآل ذكر البطون تأكيد من قبيل نظرت بعيني وقلت بلساني، إشارة إلى أن لهذا الأكل نوعين من العذاب ظاهرًا وباطنًا، أما الظاهر فظاهر، وأما الباطن فهو نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة الآية إلخ ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّساء: 10] سيدخلون نارًا في نار فعيل بمعنى مفعول من سعرت النارَ أي ألهبتها.

قالَ السدي: يبعث يوم القيامة آكل مال اليتيم ولهب النار ودخانه يخرج من فيه وأذنيه وأنفه وعينيه فكل من يراه يعرفه قال عليه السلام: «**رأيت ليلةً أسري بيَ قومًا لهم مشافر كمشافر الإبل إحداهما قالصة على منخريه والأخرى على بطنه وخزنة النار يلقمونهم جمر جهنم وصخرها ثم يخرج من أسافلهم فقلت يا جبرائيل من هؤلاء؟ قالَ: الذين يأكلون أموالَ اليتامى ظلمًا**».

إشارة وتأويل

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النِّساء: 6] قد مر تأويل هذه الآية ولا تأكلوها إسرافًا خطاب إلى الأطوار السبعة القلبية أي لا تخففـ المعارف الفطرية والإدراكات الحضورية والعلوم الشهودية والشهودات الذاتية التي يحصل للعارف في التجلي الذاتي الذي يشاهد في الأحدية الجمعية التي هي برزخ الأول وأودعها الله في هذه النشأة أولًا في الشؤونات الذاتية بالفنون الذاتية والوجه العيني، ثم الأعيان الثابتة بالعنوان الوصفي في سابق علمه وشاهد قضائه وحكمه، ثم ينزلها في المنازل العقلية والمراحِل النفسية والروحية والمثل البرزخية، إلى أن يتمثل في المرتبة الناسوتية بالأنوار الملونة والأسرار المكونة والأخلاق المرضية الملكية والنعوت الإلٰهية، فيأمر الله تعالى بالأحكام الإلٰهية والنواميس الربانية ليرجع في الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية الكلية والجزئية صريحًا وضمنًا إلى ما كانَ في الفطرة الأولى تنخرق الحجب البشرية وتحرق النقب المعنوية والصورية والظلمانية والنورية، «**إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه لما انتهى إليه بصره**». فإنها قطاع الطريق التجار الأزلية والأبدية والسيّار الإلٰهية والأدوار الربانية في السير إلى اللّهِ ومن الله بقطع طريقهم وتمنع لأن يوديهم أموال التجارة الأزلية إلى الموطن الأزلي والموطن الأولي والموطن الأصلي، فليس كل

مجاهد بسالك، ولا كل سالك بواصل، ولا كل واصل بكامل، ولا كل كامل بموحد، ولا كل موحد بمكمل، ولا كل مكمل بعارف، ولا كل عارف بمحقق، وكل محقق بجامع بين الإلهية والكونية والربوبية والعبودية، والفرض من النشآت وكثرة الشؤونات هو الأصول بالرتبة الجامعة الكبرى والتحقق بها ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

ومن كان غنيًّا من الكاملين عن استعمال القوة النظرية فليستعفف وليتجنب عن الفكر والنظر لأنه لكمال قابليته الأزلية ووفور استعداداته الأولية استغنى عن استعمال الفكر في طريقه، ومن كانَ فقيرًا ضعيف الاستعداد خفيف العقيدة والاعتقاد فليأكل أموال النظر، عندَ الحاجة، فإذا دفعتم إليه إلى أرباب الفكر والنظر أي القوى العاملة أموال الفكر والنظر وهي المعارف النظرية والإدراكات البسيطة الفطرية، فأشهدوا عليهم القوى الروحانية سيما القوة النظرية والعملية للرجال نصيب مما ترك الوالدان أي العقل والنفس أو الطبيعة والروح الحيواني، والأقربون أي القوى النفسانية والمبادىء الروحانية، وللنساء أي للقوى النفسانية نصيب مما ترك الوالدان من الإدراكات المتعلقة بتدبير البدن وتقويته وتزكية النفوس وتصفيتها، إشارة إلى أن في كل قوة من القوى النفسانية فآثروا معاينة الطبيعة والجسمانية، وفي الأطوار القالبية والنفسية والقلبية والسرية والروحية نصيب من الطور الخفي، وهو الذي يلازم الحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية، وهو العلم الكلي والإدراك الأصلي السّاري سريان الحقيقة المحمدية في كل الأعيان وتمام الأكوان صريحًا وضمنًا، وهو حال يتيم الحقيقة المحمدية ودور معرفتها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152].

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)﴾

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النِّساء: 11] الإيصاء هو الأمر والعهد أي يأمر الله ويعهد إليكم في مثال ميراثهم.

واعلم أن الوراثة كانت في الجاهلية بالقوة والذكورة والرجولية، وكانوا يورثونَ الرجالَ دون النساء والأطفال، وإن كانت ذكورًا أو كان في بدو الإسلام وصار بالمخالفة والعهد والإيمان والمعاهدة والميثاق بالإيمان كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ﴾ [النساء: 33] أي أعطوهم الخلفاء من الميراث سهمهم، ثم صار الميراث بعده بالهجرة ﴿وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ [الأنفال: 72] ثم نسخ هذا كله وصارت الوراثة بوجهين: النسب والسبب، فالأول القرابة والثاني بالنكاح والولاء، والولاية أنواع فلا بدّ له من علم وقانون يتبين به أحوال المواريث، وهو علم الفرائض طويل الذيل كثير الشعب والميزان والكيل.

قالَ عليه السلام: «**عليكم بالفرائض تعلموها فإنها نصف العلم**»، «**تعلموا الفرائض وعلموها الناسَ فإنها نصف العلم**»، إذا مات أحدكم يبدأ أولًا من ماله إن كانَ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه إذا لم يتعلق قبل الموت بالتركة حق كالرهن، والأرش جناية العبد إذا لم يكن سواه مال، وكذا المبيع والمحبوس بالثمن إذا مات المشتري عاجزًا عن أدائه، وكالعبد المأذون إذا لحقه الديون قبل موت المولى ولم يكن له مال سواه، أو كالدار المستأجر إذا قبض الأجرة ومات قبل الانتفاع فالدار حينئذ رهن الإجارة، ثم تنفيذ الوصايا من ثلث المال، ثم يقسم ما بقي بين الورثة للذكر مثل حظ الأنثيين لنقصانهن دينًا وعقلًا هنَّ ناقصات العقل والدّين الحديث تفصيل ما أجمل.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ يعني اثنين فصاعدًا وتأنيث الضمير باعتبارِ تأنيث الخبر والظرف صفة النّساء، أو خبر ثان ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾ المتوفى منكم ﴿وَإِن كَانَتۡ﴾ الورثة منهن ﴿وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ [النِّساء: 11] واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فمنهم من حملها على الظاهر وجعل الثلثين حظ من كانت فوق الاثنتين دون ما فوق الواحد، فحكم الاثنين حكم الواحدة فلهما النصف والباقونَ على أنهما في حكم ما فوق الأنثيين وذلك لأن الله تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل الأنثيين إن كان معه أنثى وهو الثلثان، اقتضى ذلك أن يكون نصيب الأنثيين منهن إذا لم يكونا مع الذكر الثلثين، لأنهما بمنزل ذكر واحد، وإذا كانت فوق اثنين لا بدّ

وأن يكون حكمهن من حكمهما عند الانفراد لعدم الافتراق عند الاجتماع، فصرح ونص على ذلك ليندفع التوهم بأن الزائدَ على الاثنين لا بدّ وأن يكون حكمهن حكم غير الاثنين، وإن كانت واحدة قرأ برفع واحدة فتكون كانت تامة أي فإن وقعت النساء المولدة واحدة فلها النصف من تركة المورث وإن كان الميت الولد يكون ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ﴾ أي للوالد المتوفي ﴿وَلَدٌ﴾ ذكرًا أو أنثى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ والأب عصب يستغرق الباقي إذ العصب هو الّذي إن انفرد يستغرق وإن كان مع أصحاب الفرض يستغرق الباقي منهم ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ اثنين كانا أو أكثر ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ هذا قول عامة الفقهاء وكانَ ابن عباس لا يحجب الأم عن الثلث إلى السّدس بأقل من ثلاثة أخوة، فعنده حينئذ للأم الثلث والباقي للأب، سأل عثمان بأنه لم صار الإخوان يردان الأم من الثلث إلى السدس وفي كلام الله إن كان له آخرة.

قالَ عثمان في الجواب: هل أستطيع نقض أمرٍ كانَ قبلي ومضى في الأمصار بمرور الأعصار، والجواب الحسام لأصل الشبهة هو أن اسم الجمع قد يطلق على الاثنين أيضًا لأنه في الأصل ضم شيء وأول مرتبته هو التثنية ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم بفتح الصاد والباقونَ بالكسر وضم الياء لتقدم ذكر الميت ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ عاجلًا ومنجمًا وآجلًا أو متعلق بما قبله، أي هذه القسمة إنما تكون بعد التجهيز والتكفين وقضاء الدّين وتنفيذ الوصايا، وإنما قدم الوصية مع تأخرها في الحكم لمشابهته الميراث وكونها شاقة على الورثة ومندوبًا إليها عند الجميع، بخلاف الدين فإنه على خلاف الأصل وعلى النذور وأنتم لا تدرون إن الوارث والمورثَ أيهم أسرع موتًا وأقرب وأبرع فوتًا ليرثه صاحبه فلا تتمنوا موتَ المورثين ولا تستعجلوه.

قالَ ابن عباس: أطوعكم لِلّهُ من الآباء والأنبياء أرفعكم درجة يوم القيامة لأن الله تعالى يُشفِّع المؤمنين بعضهم في بعضهم، فإن كان الوالد أرفع درجةً في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده في درجته ليقرّ بذلك عيناه، وإن كانَ الولد أرفعَ درجة من والديه رفع الله إليه ولده في درجته ليقرّ به أعينهم ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد وقد علمت أو مصدر يوصيكم لأنه في معنى يأمركم ويفرض عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بمصانعكم ومصالحكم ومنافعكم ومعالجكم ﴿حَكِيمًا﴾

[النساء: 11] من قبيل ذكر الخاص بعد العام تعظيمًا لشأنه وتعميمًا لحكمه ومنفعته علمًا وعملًا ومقامًا وحالًا ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: 269].

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ أي زوجاتكم ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ من الذكر والأنثى ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ أي تنفيذ وصاياها وإنما جعل الرّبع نصيبهن والنّصف نصيبكم لكونهن نصف الذكور فلا بدّ وأن يكون نصيبهن ﴿يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [النِّساء: 12] روي أن النّبيّ ﷺ سئل عن الكلالة فقرأ آخر سورة النّساء فرد عليه السّائل فقالَ: لستُ أزايدك حتى أُزاد عن الشعبي يقول إن أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة: هو ما دون الوالد والولد وكانَ عمر رضي الله عنه بعده يقول: إني استحيي من اللّهِ أن أخالف أبا بكر الصديق هو ما خلا الوالد والولد، قيلَ هم الأخوة والأخوات جابر ابن عبد الله قالَ: قلت يا رسولَ الله إنما يرثني أختان فكيف الميراث فنزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ﴾ [النساء: 176] أصلها الإحاطة ومنها الإكليل ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ عطف على رجل ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ﴾ وإنما قالَ له دون لهما لينا ديهما في الحكم، المراد الأخ والأخت من الأم يدل عليه قراءة

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فله أخ أو أخت من الأم ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ المراد الجمع لا الترتيب لأن عامة الفقهاء على أن أداء الدين مقدم على تنفيذ الوصايا، وإنما صرح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «**الدَّين قبل الوصية**» ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ اسم فاعل من فاعَلَ أي يدخل الضرر على الورثة بأن يوصى بدين ليس عليه وصية من الله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المواريث والورثة ﴿حَلِيمٞ﴾ [النِّساء: 12] حاكم على الأموات والأحياء بما يختص بهما من الإرث والنسبة بينهما تلك الأحكام المتعلقة بالأحياء من الأموال والنكاح وما يتعلق بهما والأموات من المواريث والتجهيز والتكفين وأداء الدّيون وتنفيذ الوصايا وتقسيم التركة وغير ذلك من الأحكام.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بقبول تلك الأحكام وامتثالها بالتلقي بها ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾ الله لسبب إطاعة أحكامه وامتثاله لأوامره ونواهيه ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ الأربعة من ماء غير آسن ولبن لم يتغير طعمه وخمر لذة للشاربين وعسل مصفى وفيها من كل الثمرات ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي الإدخال أو التوفيق لإطاعة الله والامتثال بأوامره ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النِّساء: 13] والنجاح العميم والجناح الكريم.

إشارة وتأويل

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النِّساء: 11] قال: الذكر هو العلماء والأنثى هم الجهال فحفظ القرب لهم أقوى لأنهم قائلون على خشوعه خائفون عن فراقه مختارون لحكمه تعالى راضون بقسمته، والجاهل ترك الكل لعجزه عن أداء الكل ويمكن أن يقال إن الذكر هو القوة العملية والأنثى هي القوة النظرية وحظ العملية من الحكمة ضعف حظ النظرية إذ العمل يتوقف على

العلم لأنه فعل اختياري والفعل الاختياري لا يظهر بدون العلم والإدراك، وأيضًا العمل يتضمن الكشف والشهود دون العلم والنظر والتعقل والفكر ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: 69].

قالَ النبي ﷺ: «**من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم**» لأنه صورة والشيء لا يتم إلا بالصورة، أو المراد من الذكر هو أعيان الجمال، والأنثى أكوان الجلال إذ أعيان الجمال يتضمن أكوان الجلال فكان لهم حظان، أو المراد من الذكر هي الصورة الجمعية، والأنثى هو مقتضى الجمال والجلال على الانفراد، أو الذكر هو العقل والأنثى هو النفس، أو الذكر هو القوة العاقلة الحاكمة على الكليات والجزئيات والأنثى هو الواهمة المختصة بالجزئيات، وإن كن نساء من القوى المدركة الواهمة والمتخيلة والمتصرفة والعاقلة فوق اثنتين أي المدركة الظاهرة والباطنة فلهنَّ ثلثا ما تركه من أمور العلوم النقلية والعقلية الطبيعية والرياضية بأقسامها الأربعة، فالعلوم العقلية كلياتها ست الإلٰهية والطبيعية، وأقسام الأربعة الرياضية، وللنساء وهي القوة المدركة سيما الواهمة والمتخيلة ثلثا ما ترك وهما العلوم الرياضية الأربعة، وإن كان واحدة وهي القوة المتصرفة فلها النصف من العلوم المدركة العقلية والنقلية، لأبويه لكل واحد منهما السدس أي للعقل الصريح والنفس الصحيح، إما لأب العقل فالعلم المتعلق بالمجردات والإلٰهيات والعلويات لتكميل العقل والروح بطريق النظر والفكر الشهودي الحضوري أو الحصولي الحظوري، إما لأم النفس فهو العلم المتعلق بالماديات والسفليات لتكميل البدن وتعديل النفس.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ [المائدة: 66] وأما القوة المتفكرة المتعلقة بما في الجهة اليمنى من الأمور الدّينية والقوة المنصرفة منصرفة فيما في العدم من الأمور الأخروية، والقوة المتخيلة متعلقة بما في الخلف من العلوم الدنياوية، وأما القوة المتوهمة فمتعلقة بما في اليسرى من اللذات البدنية والشهوات النفسانية والشبهات الطبيعية لتحصيل المبادىء النظرية والمقدمات الفكرية لاستحصال النتائج في الحكمة الطبيعية واستنتاج المقاصد الرياضية ليجعل ذريعة لشهود المطالب الإلٰهية ووسيلة لإدراك المآرب الغير المتناهية، إن كان له أي لصاحب التجلي الشهودي ولد أي إدراك

حضوري أو قلب سليم وسر فؤادي مستقيم فإن لم يكن له ولد كالسالك الغير المجذوب وورثه أبواه فلأمه الثلث أي لا يحكمه الطبيعية من الفنون الثلاثة وهي الطبيعية والرياضية والإلهية، وإن كان له أخوة وهم التجلي الذوقي والخيالي والوهمي، أو الطور القالبي والنفسي فلأمه من العلوم آنست المذكورة السدس المعلم بالسفليات والطبيعيات الّتي هي عبارة عن إحدى الجهات الست، والمراد إحدى الأذواق المنحصرة على الست المتعلقة بالجهات الست والإدراكات المتعلقة بها وهي الخيالية المختصة بأبناء الدنيا الذي قصارى نيتهم وقصوى همتهم الأكل والشرب والوطء والجماع والتسلط والحرص أولئك كالأنعام بل هم أضل، والعملية الحاصلة بطريق السماع، والعقلي وهو متعلق بالمعقولات الصرف وَكسفي يتعلق بالتجليات وشهودها، وذوقي شهودي يتعلق بالذات وتحلية عند اضمحلال نور العقل لدى ارتفاع الشمس التجلي الذاتي وتحققي أحَدي، وذلك إنما يتحقق بعد الفناء في الله بالبقاء باللَّهِ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم.

قالَ الصادق رضي الله عنه: «الآباء هم العلماء والأبناء هم الجاهلون والعلماء هم أقرب إلى القربة والوصلة من الجهال إلى مولاكم» لأن المصطفى ﷺ قال: «**أخلفت في أمتي علماءها فوقِّروا علماءكم حتى توقروا يوم القيامة على بساط القرب هذا**».

اعلم أن الآباء على ما تقررهم العقول والأنبياء هم القلوب والأفئدة والأمهات هي النفوس والاشتباه بأن العقلَ لكونه أولَ ما يصدر عن الحق لا يقع نظره إلا على الله إذ لا موجود في تلك الحضرة إلّا الله فصرفه إليه وإقباله لديه ضروري واجب. قالَ النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قالَ لَه: أدبر فأدبر**» الحديث إلخ.

لا تدرون أيهم أقرب لكم الأب والابن لتساوي نسبتهما إليكم لانتفاء الواسطة وكما أنَّ نسبة الأب إليكم ونسبتكم إليه بالتأثير، والتأثر كذلك نسبتكم إلى الابن ونسبته إليكم بهما أو أيّهم أقرب إلى الله وأكثر شهودًا وأكثر سدودًا نفعًا فريضة من الله لحصول العلم والإدراك الحضوري الشهودي وإمساكًا من غير الله وملاحظته، أو المراد هو التحقيق بالكمال الذّاتي والكمال الإسمائي، أو بمشاهدة أسرار الولاية ومعاينة أنوار أحكام النبوة.

ولكم نصف ما ترك أزواجكم لقبول نصف ما ترك نفوسكم عند الموت الإرادي وهو العلم الإلهي والكشف النوري والإدراك الحضوري والعلم الحصولي إن لم يكن لكم ولد أي قلب سليمٌ وسر كريم وفؤاد نديم أو المراد مقتضيات الأدوار النورية الوجودية ومرتضيات الأكوار الظلية العدمية أو جمعيتهما أو إلى مراد المعارف الإلٰهية والعوارف الكونية كما هو شأن المجذوبين الغير السالكين أو السالكين الغير المجذوبين أو أسرار الولاية وأنوار أحكام النّبوة فإن كان لهن ولد فإن الربع مما ترك من الكشف الصّحيح أو الشهود الصريح والإدراك الحصوري والعلوم اللّدنية أي العلوم الضرورية أو النّظرية من الإلهيات والطبيعيات والرياضيات، أو واحد من التجليات الأربعة الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، أو أحد العلوم الأربعة الحاصلة في مراتب العقل أي الهيولانية والعقل بالملكة أو الفعل أو المستفاد. قالَ الصادق رضي الله عنه: «الوليّ في ولاية المحبة يجد نصف المناقب من الأنبياء إن لم يكن لهم وارث أفضل منه».

فإن ورث الوارث ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ﴾ وهم المقيدون بآثار المصطفى والصّحابة وللرّسول الربع من حبوتكم وهو أن لا يذكروهم بالسوء من بعد وصية المصطفى حيث قالَ ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي ألا من سبَّ أصحابي فهو كافر فليمت على أي دين شاء أنا بريء منه يوم القيامة**». ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ﴾ أي للنفوس العاملة ﴿مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ وهو علم الصنائع والطبائع والفلكيات والعناصر وما يتألف منها والإنسان والكون الجامع، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن، وهو علم ظاهر الإنسان يعني التشريح وظاهر البدن، وإن كانَ رجل يورث كلالة أو امرأة. قالَ الإمام الصادق: «الكلالة ما يبعد قلبك عن محبة الله».

اعلم أنّ الكلالة هي الشهوة النفسية التي تورث القلب والسّرّ والفؤاد والكسالة والروح والجهالة والعقل والضلالة ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ ما يشغلك عن الشهود ويغفلك عن سرّ الوجود والبر الموعود والدّر المعهود ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ﴾ أي القوة العملية التي أضعفت عن الرعونات النفسية والهفوات الحسية ﴿أَوْ أُخْتٌ﴾ القوة النظرية المصروفة في إدراك الطبيعيات فلكل واحد منهما السدس من العلوم المتعلقة بالجهات السّت والمراد السّتة فإن كانوا أكثر من ذلك وهم أولاد الأم النفسية لا الطبيعية ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ أي الإدراك المتعلق بالجهتين المتقابلتين كاليمين واليسار

والقدام والخلف والفوق والتحت والمراد من ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ﴾ [النِّساء: 12] ذلك هو القوة العملية والنظرية وقواهما من القوى النظرية والمبادىء العملية أي المشاعرة الظاهرة والباطنة من بعد وصية أي أمر الله تعالى وبعينيه كلًّا منها لإدراك خاص ومعلوم ناص، تلك الأمور المذكورة من المعلومات والمعلولات والمفعولات حدود الله وأحكامه وأعلامه الّتي عينها التعديل للنفس وتكميلها. قالَ الإمام الصادق رضي الله عنه: أي بساط الله فمن استقام عليها فله الجنة ومن لم يستقم عليها فله للنار. قالَ صاحب العرائس: ختم الله سبحانه وتعالى أبواب حكمه في أمر فرائِضه في كميتها وكيفيتها واستأثر لنفسه بعلم ذلك لئلّا يتعدى حدودَه وأخذ من خلقه وحدود الله هي البرزخ بينَ بحر الحدث وبحر القدم لا يختلطان لأن القدمَ منزه عن مباشرة الحدثان قيلَ هي أوامره ونواهيه، والمناسب أن الحدودَ هي الأحوال والمقامات النفسية والقلبية، والسّرية والروحية والخفية والحقية وغيب الغيوب، أو الأطوار السبعة القلبية فإن للقلب في هذه المراتب والأطوار حالات متمايزة ومقامات متغايرة لا يمكن للسّالك أن يتعداها إلا في الترقي من طور إلى طور ومن مقام إلى مقام فإذا كان السلوك على نظم طبيعي وترتيب وضعي طابقت الأحوال والمقامات مقتضيات الأطوار ومرتضيات الأكوار، وقال بعضهم: العبد مقلب في جميع الأوقات على الحدود والجهات، وإن لكلّ وقت حد ولكل حد سدّ ولكل عمل عدّ ولكل طور نهاية وحد وغاية، فمن تخطّى الحدودَ دخل في هتك الحرمات وسفك الديات، تلك حدود الله أي الأحكام المذكورة في الفرائض مما لا يقدر أحد أن يتعداها، ومن يطع الله ورسوله بامتثال الأوامر والانتهاء عن المناهي يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم.

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النِّساء: 14] علق دخول الجنة بطاعة الله وطاعة رسوله ودخول النار بعصيانهما والعصيان إنما يكون بترك الشريعة وتعدى الحدود برفض الطريقة،

والمهين اسم فاعل من الإهانة وهي الإذلال والتحقير، والفوز هو الظفر.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي الزنا الفاشية والقباحة الناشئة ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ بيان اللّاتي ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ وإنما احتج في إثبات الزّنا إلى أربعة دون القتل مع أكبر وأعظم من هذا مما سألَ الإمام زيد ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين وإمام المتقين علي ابن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنهم عن أبي حنيفة رضي الله عنه بأن القتلَ أكبر أم الزنا؟ قال: القتل قال: فكيف يثبت القتل بشاهدين والزنا يحتاج إلى أربعة فعجز أبو حنيفة عن الجواب فاستدعى الجواب عن الإمام فقالَ: لأن هذا الاستشهادَ يتضمن الشهادة على الشخصين من الذكر والأنثى فاطّرد الحكم بأن الدعوى مطلقًا إنما يثبت بشهادتين، وسأل أيضًا أن المني أنجس أم الروث والغائط والبول قالَ أبو حنيفة: الغائط قال الإمام: فكيف يغسل في نزول المنى جميع الأعضاء وفي الغائط والبول المحل المخصوص فعجز أيضًا عن الجواب، فأجاب الإمام لأن المني يجيء من تمام الأعضاء وتزعزع الطبيعة، أما المني في كل الأجزاء فتبخره، وبطلب البخار الخروج عن المسامات فوجب أن يغسل جميع الأعضاء، وندلكها لينفتح المسام ويخرج البخارات فلو لم يغسل لاحتبس البخار في الأعضاء ويودي إلى الأمراض الجلدية كالبرص والبهق الأبيض والأسود وبنات الليل والجرب وغير ذلك، ولذا أمر الشارع بالغسل والدّلك، قد اشتهر أن أبا حنيفة قد بايع إمامَة زيد ووافق على حقية إمامته وأن المنصور الدّوانقي كانَ حاكمًا في زمان يدعي الإمامة فأمر أبا حنيفة أن يفتي بحقية إمامته قالَ: لا، أنت ظالم قالَ الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فحبسه حبسًا حتى مات في الحبس ولم يفْتِ.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ واحبسوا واحصروهن ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النِّساء: 15] فالطلاق أو الإخراج بالخلع والإعتاق كان هذا قبل نزول آية الحدّ وكانت المرأة في أول الإسلام إذا زنت حبست في البيت

حتى تموت وإن كان لها زوج كان مهرها له حتى نزلت آية الحد: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النُّور: 2] فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلًا الثيب بالثيب الرّجم والبكر بالبكر مائة**» تلك الآية بعد هذه الآية وهو الإمساك في البيوت وبقي بعضها محكمًا وهو الاستشهاد والتطليق.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذَانِ﴾ الرجل والأنثى بناءً على التغليب ﴿يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ أي يزكيان الفاحشة واجتمعا عليها إذا كانا بكرين ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ باللّسان تغريبًا وتوبيخًا وإهانةً، قال ابن عباس باللسان واليد يضرب وبالنعال وغيرها والشتم ﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة ورجعا فيها إلى الله ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العملَ فيما يأتي ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ واتركوهما، نسخت هذه الآية الحدّ كما علمت عن عروة بن الزبير أن عمر رضي الله عنه غرَّب في الزنا ولم تزل تلك السّنة حتى غرَّب مروان في إمارته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 16] عن جابر بن عبد الله إنه قالَ أقر رجل من أسلم عند النّبي بالزنا فأعرض عنه النّبيّ ﷺ ثم اعترف فأعرض حتى شهد على نفسه أربع مرات، فقال عليه السلام: «**أبك جنون؟**» قالَ: لا، قالَ: «**أحصنتَ؟**» قالَ: نعم، فأمر برجمه فقال له: الخبر فلم يصل عليه، عن سلمان ابن بريدة عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ واعترف بالزنا فقال: «**ويحك ارجع واستغفر اللّهَ وتب إليه**» قالَ: فرجع يعيد ثم جاءَ فقالَ: يا رسولَ الله طهرني هكذا إلى أربعة فقالَ عليه السلام: «**أبك جنون**»؟» فأخبر أنه ليس به جنون فقالَ: «**أشربت خمرًا؟**» فاستنكرَ فقام رجل فاستنكه فلم يجد منه ريح خمر فقالَ ﷺ: «**أتيتَ أنتَ؟**» قالَ: نعم فأمر به النبي ﷺ وقال: «**استغفروا لماعز بن مالك**» فقال النبي ﷺ: «**لقد تابَ توبةً لو قسمت بين أمة لوسعتها**».

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي التوبة الكائنة التي كتب الله على نفسه أن يقبلها

ادعوني استجب لكم ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النِّساء: 17] عند البعض بمعنى بجهالة أي بغفلة عن اللّهِ أو قصد واختيار أو بجهالة عقوبته.

قالَ الزجاج: لاختيارهم اللّذة الفانية على اللّذة الباقية كما قالَ في سورة الأنعام: من عمل منكم سوءًا بجهالة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ قبلَ معاينة ملك الموت عن عبد الرحمن السّلماني أنه قالَ اجتمع أربعة من الصحابة قال أحدهم: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: إن اللّهَ تعالى يقبل توبة العبد قبلَ أن يموت بيوم فقالَ الثاني: سمعت بنصف يوم والثالث قبل أن يموت بصحوة والرابع ما لم يغرغر عن الحسن.

قال عليه السلام: «**لما هبط إبليس قالَ: وعزتك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتى يفارق روحه جسده فقالَ الله عزوجل: وعزتي وعظمتي لا يحجب التوبة عن عبيدي حتى تغرغر**» عن أبي سعيد الخدري قال عليه السلام: «**إن الشيطان قالَ: وعزتك لا أبرحَ أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم قالَ: تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال اغفر لهم ما استغفروني**».

واعلم أنّ ذاتَ اللّهِ تبارك وتعالى كاملة في ذاته لا يحتاج إلى المكان الذي هو غيره بل مكانه هو ذاته لأن ذاته كافية في كل كمال من الكمالات الذّاتية والعرضية الأسمائية والأفعالية وكل ذات هي نقصان يحتاج في كمالاتها إلى غيرها إلا أن الذات الكاملة الفلكية أعني فلك الأفلاك وهو كالنقل الثاني والنفس الكلية لا تحتاج إلى مكان غير وجودي وألا يلزم التحكم لكونها توأمان في درجة واحدة بل يحتاج في تمكنها إلى أمر عدمي وهو الخلاء والساري في جميع الدراري من البحور والبراري ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ وعد بما وعدته وكتب على نفسه بقبولها بقوله إنما التوبة على الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بإخلاصهم في التوبة وخلاصهم عن العقوبة والحوبة ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 17] حاكمًا بمنع العقوبة إذ العقوبة في هذه الحالة لا تلائم حق الحكمة وحق العفو وكمال الرحمة السابقة على الغضب والقهر والنقمة.

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٨﴾

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ حاصلةً على اللّهِ ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ثابتين عليها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي إلى وقت حضور الموت لأحدكم ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ أي أن حضور الموت لأحدكم ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾ عطف على الذين أي لا يقبل التوبة الأشخاص الذين يموتونَ ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي حال كفرهم وإنما سوى بين توبة المعاصي بالقول وبين الكفر تنبيهًا على أن قلبَ المعاصي في الخلو عن نور الإيمان المنجي عن غياهب ظلمة النّيران كقلب الكافر في أنه نفى الإيمانَ فيه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن**»، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ أي العاصون والكافرون اعتدنا أي هيأنا لهم متى شئنا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّساء: 18] مؤلمًا في الغاية من غير عجز قيلَ من الإعداد فأبدلت الدال الأولى تاء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ ظلمًا وعدوانًا كرهًا وجورًا وطغيانًا، وقد كانَ في الأوائل إذا مات رجل وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقالَ: أنا أحق بها، ثم إن شاء تزوّجها بصداقها الأول وإن شاء تزوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهى عن ذلك ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ عطف على أن ترثوا أولًا لتأكيدِ النفي أي لا تمنعوا النساء عن التزويج ﴿لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من الصداق والميراث ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ﴾ كالنشوز وسوء المعاشرة والوقوع ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ في مواضع التهم استثناء من عامل الظرف أو المفعول له يعني لا تعضلوهن للاقتداء والأخذ إلا وقت إيتائهن بفاحشة ظاهرة أو لا تعضلوهن لعلة ما إلا بارتكابهن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي باشروهن وأن تعيش بهن بطريق الشرع والعرف ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ لأمر فاصبروا فيه ولا تبادروا في دفع المكروه ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 19] أي في ذلك الكره وبالعكس لأنه ربما تحب شيئًا وهو شر لكم وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير وأصلح لكم دينًا ودنيا، فعسى في المعنى علة للجزاء المرفوض

أقيمت مقامه.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ وإقامتكم زوجًا ﴿مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أخرى فتزوجها ﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾ أعطيتم ﴿إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ على التعيين فيشتمل الجميع لكونها للجنس يتناول الكل جميعًا أي أعطيتموهن مالًا كثيرًا جميعًا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ﴾ من المال الكثير الذي أعطي لهن ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلًا بقلة البهتان والإثم وغير ذلك ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ ﴿بُهْتَـٰنًا﴾ إمّا تمييز أو حال ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 20] عطف على بهتانًا ويحتمل أن يكونَ علّةً إذ العلة للأخذ البهتان والإثم الظاهر وإتمام للإثم وافتراقهم المآثم.

تأويل وإشارة

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: 13] يعني أن الأحكامَ المذكورة لأعيان المراتب لسهام التجليات وأنصباء المعارف الفطرة والإدراكات الضرورية النشيطة والمركبة أمور خصصها الله بتلك الأعيان ما دام في تلك المراتب في الدورة المنسوبة بتلك المراتب، فمنها ما يكون احتطاطه من الوجود المطلق والذات البحت المتعين بتمام الأسماء والصفات كولد القلب الوجودية الكامل في تمام الأطوار في جميع الأدوار النورية الأربعة وتمام الأكوار الظلية المربعة العدمية الإفرادية والجمعية وأب العقل الكامل «**أطعني يا عبدي اجعلك مثلي وليس مثلي، ومن قتلته فأنا ديته**» . . . ومنهم من احتطاطه مختص باسم دون صفةٍ من الأسماء الذاتية والصفات الأولية أو الثانية الأفعالية من التكوين الإبداعي والتدوين الاختراعي، أو الثالث مما يتفرع عليهما من الإحياء والإماتة والتصديق وغير ذلك، ورسوله أي التجلي الذاتي أو الحقيقة المحمدية السارية في جميع المراتب وتعينت في النشأة العنصرية بالصورة النوعية البشرية ودعى الأعيان النورية صريحًا والأكوان الظلية ضمنًا إلى الأحدية الجمعية وحقيقتها الأحدية وجنات التجلي الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية ولكل واحد منها وجهان جمالي وجلالي فصارت ثمانية، وأنتَ خبيرٌ بأن الجزء الأفضل الإنساني وهو الروح الإلهي ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

رُّوحِى﴾ [الحِجر: 29] له أحوال أربعة الأولى الذات من حيث هي الذات الثابتة، الذات المتصفة بالأسماء والصفات السبعة وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكمال جمالًا وجلالًا ومظهرها العقل الثالث الأسماء والصفات الفعلية والنعوت التكوينية، ومظهرها هو النفس العاملة والطبيعة الفاعلة، والرابع هي الهيئات الآثارية القابلة ومظاهر هي الأجسام والجسمية والجسدية، فكل عين من الأعيان البشرية إنما تتحقق بهذه الأركان الأربعة وإنما يستصعد إلى سماء سعادته الذاتية إذا اعتدلت هذه الأركان وحصلت فيها صورة الوحدة الجمعية التي هي مظهر الأحدية الذاتية ومرآةً للوحدة الجمعية الإلٰهية والكونية.

أما الركن الأول: فهو التجلي الذاتي الذي بقي في المرتبة الأحدية الجمعية التي هي برزخ البرازخ بالشأن الذّاتي الذي هو ظهور الذات للذات بالعنوان الذاتي.

أما الركن الثاني: فهو التجلي الذاتي بالعنوان الوصفي أي العلم ومظهره العيني هو العقل.

أما الركن الثالث: فهو التجلي العقلي والظهور التكويني الإبداعي والتدوين الاختراعي ومظهره العيني هو النفس العاملة والطبيعة الفاعلة.

أما الركن الرابع: فهو التجلي الآثاري الذي مظهره العيني في الدورة الصغرى هو الجسم والجسد الذي هو عالم الملك والشهادة، فباطن هذه التجليات يناسب بظاهره وتعادلًا صارت في حق صاحب هذه التجليات جنات وسعادات وأن يخالف ظاهرها بباطنها وتباينت مقتضياتها صار باطنها نورًا وجنةً وسرورًا وروحًا وريحانًا وظاهرها نارًا وسعيرًا وظلمةً وبورًا.

قال في الدعاء المأثور: واحجبني بحجاب النور الذي باطنهُ النور وظاهره النار، إذ النور هو الّذي يظهر بذاته ويظهر لغيره، والعين الذي هو الحجاب إنما نشأ من ذاته وهو شدة ظهوره المانعة من إدراكه، وهو إطلاقه وتجرده عن الغير وجلاله وظهوره لذاته وهو غير ذاته لامتناع الغير في تلك الحضرة كما تقرر في طور الحكمةِ الإلٰهية إن ذات الله تعالى كافية في كل ما له من الكمالات الذاتية والأسمائية، ولذا حكموا بوجوده، وأسماؤه وصفاته غير ذاته، فتجلى ذاته بذاته وبباطنه بصور

الملائكة والمجردات من العقول والأنوار القاهرة وبظاهره وبظهوره لذاته، وبعلمه بذاتِه لذاته بصور الأهرمينات والشياطين والأغوال الأبالسة وهما توأمان يظهران معًا لا ينفك ولا يفارق أحدهما عن الآخر، وخلق من الباطن والجمال الجنة والنهار ومن الظاهر والجلال النار واللّيل والعدم، فجميع الأضداد والنقائص والأنداد متدامجة، وكذا المفهومات المتقابلة والمعاني المتلازمة تندمج أحدهما في الآخر، ويلازمه في العلم والعين يلازمهما في مطلق الوجود، والوجود المطلق والذات البحت تجري من تحتها الأنهار الأربعة وهي العلوم المتعلقة بالجنات الأربع، والمعارف المربعة التي تضمنها مشاهدتها وهي ماء العلم والإدراك الحاصل من شهود التجلي الآثاري والدين الظاهر من شهود التجلي العقلي الذي اقتضى الأحكام الشرعية والأعلام الطريقية، وعسل العلوم الحقيقية والإدراكات اليقينية الحاصلة من شهود التجلي الأسمائي، والخمر الذي هو مظهر المحبة الذاتية التي هي عين المشيئة الغيبية المخصصة للتجلي الذاتي بالوجوه الغيبية والأعيان الذاتية والشؤونات الذاتية، وأما الإرادة فهو يخصص الأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية بالمعارف الفطرية والعقول وسائر الموجودات الغيبية بالخصائِص الوجودية واللوازم الكونية والأحوال الشهودية في الأدوار النورية الوجودية الأربعة، فإن كل دورة في هذه الأدوار مع ما فيها من الأعيان النورية الوجودية تفاصيل مقتضيات كل صفة من الصفات الذاتية، وهي رب تلك الدورة سواء كانت عظمى أو كبرى أو وسطى أو صغرى قرب الدورة العظمى النورية هو العلم، ورَبَّ الدورة الكبرى هو الحياة، ورب الوسطى هو القدرة، والصغرى هو الإرادة، ومن يعص اللَّهَ من أعيان تلك المرتبة المنسوبة إلى النور والجمال لإطاعة المولود الجني الذي دخل في حيطة الجلال وحكمه يدخله نارًا أي نار القطيعة من سعادة جمعية مرتضى النور والجمال والحرمان منها إلى أن تنتقل النوبة من الجمال إلى الجلال فحينئذ يكون الأمر بالعكس، فينتقل حكم السعادة الجمعية إلى الجلال وأكوانها الظلية.

﴿وَٱلَّتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ [النِّساء: 15] أي النفوس التي لا تدخل تحت حكم العقل والروح وما أطاعَ المولودَ الجني المولود الإنسي فاستشهدوا عليهن أربعةً من مراتب القوة العملية وهي التزكية والتصفية والتخلية والتحلية أو الأصول الأربعة من الأخلاق والعفة والشجاعة والحكمة والعدالة أو الأحوال الأربعة

العقلية وهي الهيولانية والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، أو النفسانية أي الإمارية واللوامية والملهمة والمطمئنة، أو تبدل حالات قمر العمر كالتزعزع والغلامية والشباب، أو الوقوف والكهولة والشيخوخة وغير ذلك من الأدوار والأكوار، والفصول الأربعة والجهات الأربعة التي هي مداخل الشياطين فإن شهدوا هذه الشواهد الأربع بأن يكون كل قاصر من النفوس من الأقوال والأفعال والأعمال والأحوال يكون مخالفة لمقتضى هذه الأصول والمراتب الأربعة البسيطة المنفردة فأمسكوهن في البيوت أي الموطن الأماري واللّوامي والمطمئن والملهمي، وهكذا البواقي حتى يتوفاهن الموت الإرادي، والفوت الاختياري وهو المخالفة في المرادات منعهن عن الشهوات ودفعهن عن الشبهات وعزلهن عن مقتضى طورها السّمي والسبعي والبيهمي أو ﴿يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 15] أي يعزل عن التصرف مطلقًا كما روى أن إدريسَ النّبي ﷺ قد منعت نفسه عن التصرف في البدن وتدبيره بأنه ما أكل وما شرب وما تكلم وما تحرك منذ ثلاثين سنة، وأن من المشايخ العظام قد جذبه الله تعالى مدة مديدةً بحيث لا يدرك ولا يشعر ولا يسمع ولا يبصر، وذلك لأن بعض النفوسَ كثيرَ الموانع كبير العوائق عن التوجه إلى عالم القدس فلا تنتقل تلك العوائق إلا بأمر اضطراري وشيء غير اختياري إشارة إلى بطلان ما ذهب إليه الطبيعيّون من أن بقاء الحياةِ إنما هو بالأكل والشرب، وإلى أن هذا إنما هو أكثري لا كلّي، كما أن سبب الأكثري في التولد إنما هو التزوج مع أنه يجوز أن يكون بدونه كتكون آدم مطلقًا وكتكون عيسى عليه السلام كذلك ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمران: 59] وذلك لكمال القوة الفاعلية والقابلية.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ أي العقل والنفس المطمئنة ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ [النِّساء: 16] بترك التشدد في ترويضهما ومجاهدتهما إن الله كانَ توابًا قابلًا للتوبة والرجوع عنهما مما كانا عليه من المعصية والذهول، رحيمًا بإفاضة نور التجلي الذاتي والأفعالي بأن لا يرى لا لنفسه ولا لغيره اختيارًا وإرادة ولا فعلًا ولا تصرفًا ولا تربيةً، بل يرى الكلّ مستندًا إلى الفاعل المختار، ولا يُرى لأحد من الأعيان الإلٰهية والأكوان الربانية شيئًا لا من الفعل ولا من القول، بل يرى الكل لله وبالله إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة

جهلًا بسيطًا لا بالجهل المركب وهو إرواء أمراض النفوس وإكثار المفاسد في الأعيان البشرية من الإلحاد والتعنّت والإفساد إنما يحصل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ [النّساء: 18] أي ليس للذين يعملون السيئات والمعاصي الكثيرة التي تبعد العبد وتقسّي القلوب على مقتضى تدبير اسم الجليل المخالف لمرتضى النور وَالجهل، والتوبة الرجوع إلى الله بالاختيار والإرادة، ولا الذين من الأعيان النورية الجمالية الداخلة تحت حكم سلطان الجلال في جميع الأطوار سيما الطور القلبي والسّري والرّوحي والخفي، التوبة والرجوع بالاختيار إلى الله في الدّورة المخصوصة وهم كفار خلّص لم يشموا رائحة أزهار الإيمان بل التوبة والرجوع إنما يكون للقلب الجامع لأطوار النفس والروح والأنوار الجمال والجلال، أولئك عندنا لهم في فردانية زيباء الجمال، فإن لكل من الجمال والجلال دنيا وآخرة، ولكل منهما سعادة وشقاوة فمرقوبات الجمال في فردانية مدة دورة النور إنما تصير مؤمنة إذا أطاع المولود الجلالي الجني وهما اللذان تولدا معًا، كما قالَ النبي ﷺ: «**ما من منكم من أحد إلا وَله قرين من الجن؟** قالوا: وإياكَ يا رسولَ الله قالَ: **وإياي لكن الله أعانني عليه فقد أسلم بيدي لا يأمرني إلا بخير**»، ولكون المولودين قد تولدوا من أم كان الأصل أن يطاوعَ المولودَ الجني المولودَ الإنسي لقوله عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**».

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53] جمالًا وجلالًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهًاۖ﴾ [النّساء: 19] إشارة إلى رعاية شرائط التكميل والإرشاد، ورعاية النصفة والاقتصاد في رياضة النفس والاجتهاد في منام التزكية ومخالفة النفس والجهاد، يعني ليس على المرشد الكامل الأكمل أن يبالغ في ترييض النفس وجهادها أن يحملها ويكرهها على ما ليس في وسعها من الرهبانية المبتدعة، ولا تعضلوهن عن استيفاء حظوظها الضرورية.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تشددوا على أنفسكم فإنما هلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم**» ستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحديد: 27].

قالَ أمير المؤمنين علي عليه السلام: لا تبالغوا في رياضة النفس لئلا تعمى.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ [النِّساء: 19] إلا أن ما بين بقاء أي يجاوزون الحدّ فحينئذ لا بدّ وأن يردن إلى عدّ الاعتدال والاقتصاد، وإن كرهتموهن ببعض أحوالهن بأن يصدر منهن في بعض الأوقات شيء من المنكرات الشرعية والعرفية والفعلية فاصبروا عليها ولا تردوها ولديه، فإن المقرونَ بالاستغفار بنور القلوب ويغفر الله به الذنوب وإن لم يتب ولم تستغفر لقوله عليه السلام: «**من ساءته خطيئته غفر له وإن لم تستغفر**». فكيف بالاستغفار فإن كثيرًا من المذنبين ينتدب على نفسه ويلوم عليها لاستبعادها عن عالم القدس والعباد يرون عبادتهم ويتعجبون بها ويدخلون فيهم الكبر والأنانية وتسيء أخلاقهم فالذنب لهم أولى من تلك العبارة المراتبة قالَ الله تبارك وتعالى: لولا أن الذنب خير لعبدي المؤمن من العجب لما خليت بين عبدي المؤمن وبين الذنب.

مطلب: مبحث شريف

قال عليه السلام: «**لو لم تذنبوا فإني أخشى عليكم بأشد من ذلك العجب العجب**»، سألت عائشة النبي ﷺ: ما المحسن؟ قال: «**من ظن أنه مسيء**» وما المسيء قال: «**من ظن أنه محسن**»، قال الله تعالى: «**إن أنين المذنبين أحب إليّ من زجل المسبحين**»، فإن اللَّهَ تعالى غني عن العالمين وعن طاعاتهم وعباداتهم، ولا يصل إلى سرادقات عزته من الذنوب والمعاصي شيء، ولا يزيد من ملكه من طاعات الإنس والجن لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**إن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم لو كانَ على قلب عبد فاجر ما نقص من ملكي شيئًا ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على قلب عبد بارّ ما زاد في ملكي شيئًا**» ولذا أمر بعض الكاملين المكملين بعض المريدين بترك بعض الطاعات، كما نقل عن ذي النون المصري قدس سره، ولذا أمر اللَّهُ حبيبه بكثرة الاستغفار، وإن لله تعالى أسماءً كالغفار والتواب والرحيم والعفو وغير ذلك لا يظهر أنوارها ولا يوجد آثارها إلا بارتكاب المعاصي واجتلاب الذنوب واجتذاب النواهي من الأدنى والأقاصي إلى مقتضى الصياصي.

قالَ النبي ﷺ: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ويجيء بقوم يذنبون فيستغفرونَ**

فيغفر لهم فعسى أن تكرهوا شيئًا من الذنوب والمعاصي والعيوب ويجعل الله فيهن خيرًا كثيرًا أو نفعًا كبيرًا فإن الخيرات الكثيرة كالعصمة والعفة وتحصين الدين يتوقف عليهن».

قالَ النبي ﷺ: «**من تزوّج حصَّن نصفَ دينه**»، وإن أردتم استبدالَ زوج إما بمقتضى استبدال أحوال النفس وإعمال مشاعر الحس فإنها باعتبار كل حال كأنها نفس أخرى، أو بمقتضى انتقال العارف من نفس إلى نفس أخرى كما ينتقل من الأمارة إلى اللّوامة والملهمة والمطمئنة، ويعطي لها في كل وقت أنواعًا من أموال العلوم الحسية والإدراكات النفسية ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النِّساء: 20] من تلك العلوم لأنها من علم الأرض، وعلومكم من العلوم الإلٰهية الفوقانية، فلا تخار لطواها بعضها ببعض، تأخذونه بهتانًا واستعلاءً بأن بعض تلك العلوم الطبيعية الإلٰهية، كما هو شأن أرباب النظر والفكر فإنهم يخلطون المسائل الطّبيعية بالمسائل الإلٰهية، يقولون إنها إلهية مقصودة بالذات واعتكفوا عليها، وكما جعل أهل التصوف اللفظي مقاصد أرباب الكشف والشهود هي المكاشفات والمشاهدات والمعاينات منبوذة النظر ومطروحة الالتفات والحصر، ويحصرون البغية على الألفاظ والعبارات ويعدون المشاهدات وشهود التجليات من الترهات والخيالات ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾ أي كيف تأخذون من أموال أعطيتموهن عوضًا للاستمتاع والانتفاع وغير ذلك من الاستجماع والحال أنه قد أفضى ووصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ وتمتع به بأنواع الحظوظ وأصناف المشتهيات ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم﴾ على قصد أخذ المهر والصداق والمتعة ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النِّساء: 21] عهدًا محكمًا وعقدًا أفيظًا.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢﴾

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النِّساء: 22] إيثار ما وقع من إشعار بأن المعنى هنا هو الوصفية لا مجرد الذات إذ علة التحريم الوصف لا الذات أو ما مصدرية ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عِمران: 14] للبيان على الوجهين ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الاستثناء بحسب المعنى أي هذه الحرمة ثابتة في جميع الأزمان بين الأمم إلا ما قد سلف من بعض الطوائف كالمجوس فإنهم كانوا يتزوجونَ الأمهات والبنات والأخوات وهو باطل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ فسقًا شنيعًا واضحًا ﴿وَمَقْتًا﴾ هلاكًا للنّفس عند اللَّهِ ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 22] أي سنة سيئة وسنة قبيحة.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ نزل الله تعالى المرأة الأجنبية المرضعة للولد بمنزلة الأم وسماها باسمها تنبيهًا على أن المعتبر فيما يحدث في الولد من الأخلاق التي هي مقصودة بالذات إنما هي الرضاعة لا الولادة كما قالَ عليه السلام: «**الرضاع يغيّر الطباع**»، ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع ربيبة وهي بنات النساء المزوجة المدخول بها ﴿ٱلَّٰتِى﴾ رباها الزوج ﴿فِى حُجُورِكُم﴾ وأعناقكم وحضوركم وتولّدت ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ من غيركم ذكر أولًا محرمات النسب ثم الرضاعة لأنها كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة، فإن تحريمهن عارض لمصلحة الزوج والدخول كناية عن الوطىء، وعندَ أبي حنيفة كمسّ المنكوحة والخلوة الصحيحة كالدخول ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تصريح بعد إشعار صحيح دفعًا

للقياس ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ سميت الزوجة حليلة لحلها له أو لحلولها بها في ستر ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ بواسطة أو بلا واسطة بشرط عدم التقى ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ في محل الرفع عطف على المحرمات والظاهرات الحرمة غير محصورة على النكاح في المذكورة بل يتناول ملك اليمين ﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ﴾ يعني الجمع بين الأختين حرام وإثم إلا ما قد سلف من الأريبة فإنه مغفور لقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النّساء: 23].

﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي ذوات أزواج عطف على المحرمات ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ من اللاتي سُبين ولهن أزواج كفار وإن كن محصنات منكوحات حلال للسّابين إذ السّبي يرفع النكاحَ نزلت في غزاة أوطاس حيث كره الصحابة الوقوع عليهن فاستحلهن ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ نصب على مفعول أنه مطلق حذف عامله أي كتب الله ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريم هؤلاء كتابًا ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على الفعل الذي نصب كتاب اللّهِ ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ أي غير الّذي ذكر لكم من المحرمات ﴿أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم﴾ مفعول تبتغوا أما النساء يجوز أن يكون بدلًا ، ما وراء ذلكَ مفعول له يعني أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا أو تطلبوا بأموالكم الخاصة بكم وبالصرف في مهورهن أو في إيمانهم حال كونكم ﴿مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ أي زانينَ من السّفاح وهو ضد النكاح ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ﴾ أعطوهنَّ ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن فإنَّ المهر في مقابلة الاستمتاع ﴿فَرِيضَةٗۚ﴾ حال كونها مفروضةً أو مصدر مؤكد أو صفة مصدر محذوف أي إيتانًا مفروضًا ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ﴾ من مقام أو فراق ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾ زيادة أو نقصانًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح والأغراض والمفالح ﴿حَكِيمٗا﴾ [النّساء: 24] فيما شرع في الأحكام نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حتى فتح الله مكة على يد رسول الله فنسخت، كان الرجل ينكح امرأةً وقتًا معلومًا ليلة أو

ليلتين أو أسبوعًا عن النّبي ﷺ إنه أباحها ثم أصبح بقوله: «**يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا أن اللّهَ حرم ذلك إلى يوم القيامة**»، قيلَ أبيحَ مرتين أو حرم مرتين، عن ابن عباس هي محكمة لم تنسخ وكان يقرأ: (في ما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) قيلَ أنه رجع عن ذلك عند موته وقال: اللّهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف.

إشارة وتأويل

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ [النِّساء: 21] خطاب إلى طور الروح أي كيف تأخذون مالَ هذا العلم الذي أقضيتم إلى النفوس في مقابلة استمتاعكم بهن، وهو علم الأرجل الطبيعي يتعلق بتدبير البدن وحفظ الصحة واستردادها إن كانت زائلةً، وما يتوقف عليه من التصرف في السنة الضرورية من الأغذية والأشربة والحركة والسلوك البدني والنفساني، أما البدني فظاهر، وأمّا النفساني فكان الخوف والغضب والرجاء والاستفراغات والأدوية والأهوية وغير ذلك، وأخذتُ منكم في إفاضة ذلك العلة واجتلابها ميثاقًا وعهدًا، وأن لا يعودوا ولا يرجعوا ثانيًا إلى ذلكم العلم لأنه مقصود بالغير دالة ملاحظته.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النِّساء: 22] خطاب إلى طور القلبي أي لا تقيدوا العقل ولا تقلدوا بأحكامه وبأعلامه ومعامله فإنها عقائل مناهج الله وزوائل مباهجه إلا ما قد سلف في أوان الطلب في السير إلى الله في مرتبة العلم اليقيني وبداية يحصل عين اليقين، فإنه كانَ في الطّور القالبي والنفسي مباحًا في الطور السّري والروحي والخفي والأخفى حرامًا فاحشةً لتقيده به ومقتًا في غير الطور النفسي متشبثًا في اكتساب مطالبه بأذيال الوهم والخيال، وساء سبيلًا في الطور السري الذي هو مجلى التجلي الآثاري بأن صرف عن شهوده إلى إدراك الحس وحدوده، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ لمّا بين حكم الأب العقلي والأم النفسي أراد أن يبين حكم نتيجتها أي ولد القلب وما يتولد منه من العلوم النظرية والرسوم الفكرية الإلٰهية إن كان الولد ذكر عندَ غلبة حكم العقل والروح، وإن كان مؤنثًا كانَ من غلبة حكم النفس، فالعلوم المتعلقة بالإلهيات وما يحذو حذوها كالعلوم الرياضية أصولها أربعة علم التأليف والموسيقارية وعلم الحساب والهندسة وعلم

النجوم وفروعها كثيرة كعلم الإكسير وعلم المناظر وعلم من الأثقال وغير ذلك هي العلم الولد المذكر والعلوم المتعلقة بالطبائع والبسائط والفلكيات بطريق البرهان اللّمي فإن كانَ بطريق البرهان الآنّي فهو من أقسام الرياضي وبالعناصر والأمهات الصلبية هي النفوس العاملة، والرضاعة هي النفس اللّوامة السّابعة للنفس الأمارة، والأخت الصلبية هي النفس الأمارة التي ولّدت من الطبيعة الحيوانية، والأخت الرضاعية هي النفس اللّوامة إن رضعتها الأمارة، والأخ الرضاعي والنفس الملهمة التي رضعتها النفس المطمئنة.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ هي القوة الحساسة الظاهرة وهي السّمع والبصر والشم والذوق واللمس ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ يعني حرمت هذه الأمور واستعمالها على الصريح بأن يدخل بها وتعبّد بها ويقلد بأحكامها أما إذا لم يقيد بها واستعملها للحكمة والمصلحة فلا بأسَ ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ هي الصدر وهو الوجه الذي يلي النفس والأختين هما اللّوامة والملهمة ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النِّساء: 23] قبلَ الخوض في السلوك فإن القلبَ لا يسأل عنه يعنى أن القلبَ الَّذي هو الصورة الجمعية الإلٰهية والكونية وهو المسكن الإلهي كما قال عليه السلام: «**قلب المؤمن بيت الله**». أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود فرغ لي بيتًا أسكنه. من شأنه أن لا يتقيد بهذه الأمور لأن نسبته إلى الأمور الإلٰهية والتي هي الآباء والكونية التي هي الأمهات على السواء، ولذا جعل في الوسط، والمحصنات من النّساء أي القوى التي تحت القوى النظرية وهي العقل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالمستفاد والعقل بالعقل ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من هذه القوى التي هي قوى مرتبة القوة العملية وهي التزكية والتصفية والتجلية والتخلية والتحلية فإنها وإن كانت تحت كفار القوة النظرية الشيطانية إلا أنه يجوز للقلب أن يتقيد ببعض منها بعد الاستعلاء عليها، وقيل عودها عليها لاستكمال المطالب الكشفية منها وتوقف استحصال تفاصيل المقاصِد الشهودية عليها، وهو التجلي الكلامي والشهود الذوقي.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ من الطور السّري والروحي والخفي ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ معارفكم الفطرية وعلومكم اللدنية محصنين حال كونكم حافظين شهود التجليات الجمعية، غير مسافحين متقيدين بطور دون طور وبوجه دون وجه ودور

دون دور، أي كونوا متساوي النسبة لجميع الأطوار وبتمام الوجوه والأدوار، مما استمتعتم به أي استعملتم هذه المذكورات على وجه الاستعارة بأن جعلتموها مراتب بشهود وتطورات تجليات ذلك الوجه ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النِّساء: 24] أي اجعلوها محظوظةً بشهود ذلك الوجه بوجه يختص بها فهي عارفة به وبوجه تسبيحه وتقديسه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44] بل عارفة بكل الوجوه، وتمام الأسلوب على سبيل الفرض والوجوب إذ كل عين بل كلّ جزء وذروة باعتبار أنه موجود بالوجود المطلق، وذات الحق قائم به له صلاحية الاتصاف بتمام الكمالات ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ [النِّساء: 24] بحسب مقتضى الاستعداد الإمكاني في بعض الأدوار وتقيدوا ببعض الأحوال المعنوية والتجليات الإلٰهية والمقامات العالية والحالات العلية وتحسين الأوصاف السنية والصفات الرضية والملكات المرضية إلى أن هيّأ الله تعالى وأعدها سائر الأسباب من الأدوار مقتضيًا بها والأكوار ومرتضياتها والنشآت الجمالية والجلالية حتى وصلوا إلى الكمال الجمعي ووصال ألمعية بالاستقلال أو الشعبي بالتدريج أو الدفقي إن اللَّهَ كانَ عليمًا بأسباب الوصال وبمفتاح انفتاح أبواب الكمال الذاتي والأسمائي، النور الجمالي والطلابي الحلال حكيمًا حاكمًا على ما في الأدوار والأكوار.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ قوة وغنى وقدرة واعتلاء أصله الفضل والزيادة من الطول والطوال وهو الزيادة والفضل والازدياد في أول الامتداد ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ المعتليات والمرتفعات من الحرائر والأراضي والدّرائر ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

أو الذّميات في تأويل المصدر المنصوب يتعلق بطولًا أو يفعل مقدر صفة له أي من لم يستطع قوة وطولًا بعقلي بمؤن ويجد مؤن نكاح النساء العفيفات أو غنى اقتدر به نكاح المحصنات ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ جمع يمين وهي اليد القوة ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ والآباء ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعني نكاح الإماء إنما يجوز لمن لم يقدر ولم يقو على نكاح الحرّ عند الشافعي خلافًا لأبي حنيفة فإنه يؤول هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ [النِّساء: 25] وتصديقكم وإذعان قلوبكم أي للفضائل يأتينكم في الإيمان والتقرب إلى اللّهِ فالأنسب أن يعتبروا الأقربَ أن يختبر بالفضائل الحقيقية وهي فضل العلوم الحقيقية الثابتة مرّ الدهور والأعوام الثابتة كر الشهور والأيام والإيمان باللّهِ لا الحسب والنسب لعدم الاعتداد بهما ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89]، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101].

قالَ النبي ﷺ: «**سأموت أنا وتموتون أنتم وتسألونَ يوم القيامة عن أعمالكم فلا ينفع منكم لا أب ولا أم إلا من أتى اللّهَ بقلب سليم ووصل بالشفاعة وشفاعتي محرمة على من سب أصحابي**». فإن الله يعلم فضل ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عِمرَان: 195] فإنكم متناسبُونَ بآدم ودينكم الإسلام ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي أربابهنَّ وسيدهن إشعار فيه على أن لهن أن يباشرنَ العقدَ بأنفسهن كما فهمه الحنفي مستدلًا بها على جواز المباشرة بأنفسهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النِّساء: 25] مهورهن بإذن أهلهن إذ المهر والمتعة للسّيد عوضًا عن حقه وعند المالك المهر لهن متمسكًا بظاهر هذه الآية ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بلا مطل وضرار ونقص وغرار ومهلة وفرار ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ غير مجاهرات بالسّفاح والزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ الأخلاء في السّر كأنه قيلَ غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ بالتزويج أدخلن في حصن الشريعة وصيانتها من الزنا ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ وزناء ظاهرة ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ من الحرائر كما كانت عدتهن نصف الأحرار من العذاب والحدّ فلا يرجم لأنه لا يتبعض ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر أعظم من موافقة المآثم ومباضعة المعصية قيلَ أرادَ به الحدَّ لأنه إذا هواها ومال إليها

بالشهوة خشي أن يواقعها فيحدّ فيتزوجها ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ﴾ من نكاح الإماء فيتعففن فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. قالَ عليه السلام: «**الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه**». ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصبر ﴿رَّحِيمٌ﴾ [النِّساء: 25] بالترخيص له.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ﴾ ظهور الحق ﴿لَكُمْ﴾ من الأحكام الحلال والحرام وما خفي عنكم من مصالحكم الغير المشاعة بين الخواص والعوام ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من أهل الرشد والخبرة ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويقبل التوبة منكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالسنن الماضية والسنن الفائضة ﴿حَكِيمٌ﴾ [النِّساء: 26] حاكم على كل ما هو في صدد الوقوع.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر إشعارًا بأن من شأن العبد أن يتوب ويرجع إلى اللَّهِ في كل ساعة. قالَ النبي ﷺ: «**لا يمرّ عليَّ ساعة إلا وأتوب إلى الله مائة مرة**»، وبأن الغالبَ على الإنسان هو النسيان فلا بدّ من مذكر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: 54] ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا﴾ عن الخوف ونيلًا إلى الكذب عن الصدق ﴿عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 27].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ مؤنة الثقل في تزويج الحرائر ويرخص لكم نكاحَ الأمة حذرًا عن السفاحِ لدى غلبة الشهوة ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المتخلق من الطّبائع المتضادة يجر كل منها وسخها الأصلي ووسخها الأولي ﴿ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: 28] لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل عن الطبائع المتضادة من مشارق الطاعات. عن ابن عباس رضي الله عنه ثمان آيات في النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاثة: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النِّساء: 31]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: 48]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ﴾ [النِّساء: 40].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 110] وما يفعل الله بكم إن شكرتم وكان الله غفورًا رحيمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بما لم يبيحه الشرع كالغصب والرّبا والقمار ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ استثناء منقطع لأنها صرف المال بما يرضى الله والأول خلافه ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ كما يفعله جهلة الهند أو بإلقاء النفس نفسها بيدها إلى التهلكة ويؤيده ما روى أن عمرو بن العاص تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي ﷺ وغيره مما يفضي إلى هلاك النفس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّساء: 29].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ القتل والإلقاء أو السابق من المحرمات ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ أي التعدي على الغير والظلم على نفسه فهو في معرض العقاب ومعرض الفتنة والعذاب ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ﴾ وندخله هلاكًا وبوارًا ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإصلاء والإدخال في العناء والبلاء ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النِّساء: 30].

تأويل وإشارة

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النِّساء: 25] إشارة إلى تبديل الأخلاق وتحسين الأوصاف.

واعلم أن العقلَ من حيث إنَّه مجرد بسيط إلهي لا يتعلق بالعالم السفلي ولا بإدراك أحوال المركب ولا بأحكام الوكالة وذي الكفل ولا بضبط أحوال الشخص ولا بحفظ نظام المدن والمنزل إلا بواسطة النفس، والنفس أيضًا لا

ينزل إليه إلا بذريعة الطبيعة ولا يظهر الكمالات الأولية والثانية في العقل والنفس إلا بالتصرف في المركب ولا تجتمع هذه الكمالات في القلب إلا بمناسبة العقل والنفس وإذا غلب حكم العقل ونعته هو التنوير والنور والتقديس والإظهار والظهور على القلب وسرى ذلك إلى النفس فلا بدّ وأن يكون النفس منورة ظاهرة ومقدسة باهرة وتصير مطمئنة في العبادات والعلوم والمعارف والإدراكات ويشايعه القلب في التوجه إلى المبادىء العاليات وقبول الإشراقات الإلٰهية ونزول البروقات الربانية فحينئذ لا يتعلق القلب إلا بهذه النّفس ولا ينكحها من العاليات إلا هذه النفس لا المشركات ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ [البقرة: 221]، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: 26] وهذه النفس تستتبع جميع القوى الشهوية والغضبية والملكية والشّيطانية بأن يجعلها معدلة مؤمنة تابعة لها فجميع ما يصدر من هذه القوى من الأفعال والأعمال والأقوال والأحوال على ما يرضي القلب والنفس المطمئنة والروح والعقل ورضاء هذه النفس ليسَ إلا برضاء الله تعالى ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البيّنة: 8].

فإذا كانَ السّلوك على هذا الوجه يكون القلب في مملكة البدن حاكمًا على الوجه الأحسن الأعدل فلا يجري شيء لا في ملكوته أمر ولا في جبروته حكم وقضاء وقدر إلا بنهج الحكمة فلما اعتدلَ القلب في نفسه ووصفه في درجة قدسه اعتدلت مبادىء جنوده وقوى عساكره في ملكه وحدوده نعم ربما تعتدل هذه القوى والمبادىء في ضمن تعديل القلب لا بالأصالة والاستقلال بل بالتبع والاسترداد فلا تكون ثابتة راسخة بل حالة زائلة كما هو في شأن السالكين الذين خاضوا في الرياضات والمجاهدات لتحصيل الأحوال والمقامات قبلَ تبديل الأخلاق وتحسين الأوصاف فإذا وصل السالك في الطور السّري إلى شهود التجليات وشاهد التجلي فإنه في هذه الحالة قد تجرد عن الموانع والعوائق وهي الأخلاق الردية والأوصاف الدّنية، فإن تثبيت هذه الحالات والمقامات صارت راسخة غالبة على سائر الصفات واعتادت الصفات والأوصاف والهيئات لازمت هذه الهيئات ودامت على صاحبها وإلا زالت عن محلها ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ﴾ [النّساء: 25] أي معرفتكم الفطرية والقربة الأزلية ويفضل بعضكم من بعض فإنكم

وأوقافكم القوى النفسانية والجسمانية في الإسلام الحقيقي في درج الاستواء فانكحوهن بإذن أهلهن أي أرباب الأدوار التي أنتم معهن في حكم سلطنتهم.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي ما خصصه الله بهن في النشأة الأولى بالمعروف على وجه يقتضيه استعدادهم من غير إفراط وتفريط محصنات متقيدات بقوة من القوى الروحانية والنفسانية ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ غير متعديات عما خصصها الله ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ من غير أن يكون تصرفهم فيهن خفية ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي تعلق بهن ما يحصنهم به من القوى العاقلة والمبادىء الفاعلية التي اعتقت ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ بأن يتعدى عن مقتضى طورها ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ من الرياضة والتأديب إذ الرِّقة إهانة تامة ومذلة عامة وإعانة صامة يقوم مقام نصف الحدّ وشطر السّدّ ذلك النكاح المذكور للقلب الغير الكامل المزبور بالقوى النفسانية ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي نفي الغرض الاستكمالي.

﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ من نكاح الإماء والتقيد بالقوى النفسانية والإرقاق من المبادىء البدنية ولا تبادروا في تكميل القلب قبل استكمال القوى البدنية وتخليتها بالخلل الشرعية وطلل الأحكام النبوية وبجواهر النواميس الإلٰهية فإن تكميل الأطوار السّبعة القلبية أمور مضبوطة منتظمة مترتبة والتجلي بالأمور الشرعي متقدم على أحكام الطريقة والتخلق بها والتحقق بالأخلاق الإلٰهية ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النّساء: 25] إذ الكمال المعتد به للقلب على وجه يدرأ عنه عذابَ الغفلة والتحسر والندامة ويدرأ عنه عقاب القطيعة والفضيحة لا يحصل إلا رعاية القلب وصونه عن الغفلة ونفسه عن الشهوة وعقله عن الجهل وعلمه عن الهوى ودينه وبدنه عن البدعة وماله عن الحرام فحينئذ يدخل في ديوان المنتبهين وزمرة الصالحين. قالَ النبي ﷺ: «**العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»، وهو علم النفس وما يتوقف هو عليه من الطاعات البدنية والعبادات القالبية فيجب أن يكون نفس السالك على كل حال في شكر وغذي على معنى إن قبل ففضل وإن ردّ فعدلَ، ويطالع الحركات في الطاعات بالتوفيق ويطالع السكون عن المعاصي بالعصمة قوام ذلك كله هو الافتقار إلى الله تعالى والاضطرار والخشوع والتواضع والخضوع ومفتاحها هو الإنابة إلى الله مع قصر الأمل بدوام ذكر الموت وعيان الوقوف بين يدي الجبار لأن في ذلك راحة من الحبس ونجاة من العدو وأصل

ذلك أن يرد العمرَ إلى يوم واحد بل ساعة واحدة. قالَ رسول الله ﷺ: «**الدّنيا ساعة فاجعلها طاعة**» وباب ذلك كله ملازمة الخلوة ومداومة الفكرة والملازمة على الخدمة فإنها أفضل الطاعات وأكمل العبادات قالَ عليه السلام: «**ليس على الخادم حساب ولا عقاب يوم القيامة.** قالَ أنس بن مالك: وإن كانَ فاجرًا قالَ: «**خادم سوء أفضل عند الله من عابد مجتهد ومحتسب**» وقالَ: «**أفضل الخدمة ثلاثة العلم والفقر والزهد والله غفور**» لهذا المتبادر المتسارع رحيم يعدّ له أسبابًا يتضمن حصول هذا الكمال في النشأة الآتية.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ﴾ أي العبادات ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ في استكمال القوى النفسانية والمبادىء الروحية في المراتب الربانية في الدورات الإلٰهية الجمالية ويتوب عليكم في فردانية النور والجمال وبأحوال أعيانها وبأحكام أعيان أدوارها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [النِّساء: 26] بأحوال الأعيان الذين كانوا من قبلكم وبأحوالكم وأعمالكم وأحوال جميع الموجودات كلها ﴿حَكِيمٌ﴾ [النِّساء: 26] على ظهور مقتضيات تلك الأدوار وأعيانها وأربابها وأعوانها وحاكم على أطوار أكوان الأكوار وعلى ثبوت الأسرار وظهورها وترتبها عليها عند انتقال الفردانية من الجمال إلى الجلال والله أن يتوب عليكم فيما ظهر في فردانية الجمال وأحكام أعيان أدوارها من مقتضيات الجلال ضمنًا من الكفر والعصيان والضلالة والطغيان.

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [النِّساء: 27] من أعيان مقتضيات الجلال قبل استكمال نشأة الأدوار الجمالية وقبل انتقال توبة التربية من الجمال والجلال أن تميلوا من حكم سلطنة الجمال ميلًا عظيمًا إلى حكم سلطان الجلال إذ في فردانية مقتضيات سلطانِ النور والجمال إذا كانَ صريحًا يظهر كثير من مرتضيات اسم الجلال ضمنًا وإن كانَ يرى صريحًا كما في بعض الكفار والعاصين ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ مقتضيات الجلال يا معاشر المسلمين عند غلبة اقتضاءات الظل والجلال.

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: 28] لما فيه من كيفية عرضية وحدانية معدلّة مزاجية يميل إلى النقص والضعف وأركان متضادة متداعية إلى الانفكاك والانفصال لا يحتمل مخالف اقتضاء المتقابلين ولا يحفل ارتضاء الأمرين المتعاندين الجمال والجلال والنور والظلال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في الدورة العظمى في النشأة العليا بالجمعية الكبرى

ومعية الثانية بالأولى وتبعية السّفلى بالعليا ﴿أَلَّا تَأْكُلُوٓاْ﴾ [النِّساء: 29] ولا تبادلوا أموالكم وما تميلوا إليه ميلًا طبيعيًّا أصليًّا وهو العلوم والإدراكات الفطرية والمعارف الضرورية.

قالَ عيسى عليه السلام: اجعلوا مالكم حيث بالكم فاجعلوا مالكم في السماء ليميل إليه القلب، والبال بينكم متلبسين بالباطل أي بطريق النظر الوهمي والفكر الخيالي فإن الوهمَ الذي لا يدرك به الجزئيات من المعاني بمعزل عن إدراك تلك العلوم ومواقعها ومواردها ومواضعها الملكوتية والبرزخية والملكية فإن أكثر العلوم الشرعية والفعلية الإلٰهية كالمنطق والفقه والنحو وغير ذلك مستندة إلى الأفلاك والنجوم والأملاك والحاكم هو الفعل المتشبث بأذيال الوهم لا سبيل له إلى إدراك العلوم الإلٰهية ومأخذها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ ومعاملة على سبيل المعادلة بأن يعدل سلطان القلب في ضبط أمور ملكه في تصاريف تدبيره بين القوى الروحانية والجنود الإلٰهية وبين عمال القوى النفسانية وبين رعايا المبادىء الجسمانية لدى تعادل اقتضاء سلطان الجمال وارتضاء قهرمان الجلال عن تراض منكم ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ الناطقة وعقولكم الفائقة بستان القوة الغضبية ورسوم الشهوات بالصرف عن عالم الغيب واليقين إلى جرمية الشك وظلمة الريب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في الأدوار النورية الكبرى والوسطى ﴿رَحِيمًا﴾ [النِّساء: 29] بشهود التجليات الأسمائية الذاتية والأفعالية.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من مناولة المحرمات وإجراء المنهيات وإمضاء إثم المشتهيات ﴿عُدْوَٰنًا﴾ ماشيًا من جنود الشهوات وناشئًا عن عالم الحس ومرتبة الشهادات ﴿وَظُلْمًا﴾ [النِّساء: 30] طاشيًا من القوة الغضبية والخيالية والوهمية إذ طريق العقل واحد لا يقتضي إلا نوعًا واحدًا وهو العدل والصدق، وأما الكذب فلا يكون إلا من الوهم المزاحم لوعاء العقل، كما أن الكلام الخبري ومن حيث الدلالة الوضعية التي لا تكون إلا بالعقل إنما يكون صادقًا إذ الصدق لا يكون إلا باعتبار الوضع، والوضع لا يكون إلا بإزاء المعنى المطابقي والمعنى المطابقي لا يكون إلا واحدًا أو الصدق، وأما الكذب فهو احتمال وهمي كما أن رجلًا إذا كان مع ميت في بيت خال وقد حكم عقله بأن الميتَ كالجماد لا بدّ وأن لا يخاف عنه إلا أن الوهم قد نازع العقل في حكمه وحكم

بالخوف وغلب عليه حق كادَ أن يهلكه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ وندخله ﴿نَارًا﴾ أي نارَ الحرمان ونيران والندمان وحرقة التلهف على الحسرات ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإصلاء والإدخال ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النِّساء: 30] سهلًا سلبيًا غير صعب.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ﴾ أي إن تحترزوا وتبعّدوا عظام الذنوب ولئام العيوب التي نهاكم الله ورسوله ﴿عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾ ونمحو بحذر عنكم ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الصغائر وفي الكبائر عن الأصاغر والأكابر كلام كثير واختلاف كبير وليقتنع على ما تحقق من أكبر الكبائر هو الإشراك بالله وما عداه كلما هو قريب منه فهو أكبر وما سواه بالنسبة إلى ما تحته فهو كبير وبالنسبة إلى ما فوقه فهو صغير وليس لها عدد معين وحد مبين ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّساء: 31] الجنة وما وعد من الثواب أو إدخالًا في مقام بكرامة لا حزن ولا ندامة فيه.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟﴾ أو لا ترجو إرجاء بعيدًا داخلًا في حيز الاستحالة والامتناع العادي كقول الشاعر:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا فأخبِرُهُ بما فَعَلَ المَشيبُ

﴿مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ من الأمور الدنيوية كالإمارة والرياسة والسلطنية والسياسة والمال الكثير والكمال الكبير ﴿بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالكثرة والجودة والدوام وبالدّوام وطول المدّة والصيانة عن تطرق الحوادث من الفساد والنهب والغارة وذلك لإفضائه إلى التحاسد والتعادي وعدم الرضاء بما قسم الله معارضًا لحكمه وقضائه مناقضًا لما قدر الله بإرادته لإمضائه فبين الله تعالى بقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ من المآثر والفضائل والمفاخر والفواضل من المعاني والأعيان والجواهر ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ وحظ وسهم ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النِّساء: 32] من

التعفّف والحياء وحسن التبعل والسّرّ والوفاء وحفظًا لقوله أو من سهام الميراث والعلم بمقتضاه ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ بما في خزائنه وجنات دفائنه وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 32] من الممكنات وأعيان الكائنات وأحوالها الممكنة من الاستحقاق والأهلية والاستلحاق به والجمع والافتراق روي أن أم سلمة قالت: يا رسولَ الله يغزو الرجال ولا نغزو وإن لنا نصفَ الميراث ليتنا كنا رجالًا فنزلت.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ تركة ومال ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ أي أشخاصًا من شأنهم الحفظ والتولية والضبط والترقية متجانفين عن الخيانة والخبط والتخطية ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ منهما فيتناول الأولاد والأقارب والأحفاد ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النِّساء: 33] موالي الموالاة كان في العهد الأول الخليفة يورث السّدس من مال خلفه فنسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأحزاب: 6]، ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ﴾ حسب ما يقتضيه قربهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 33] حاضرًا لا يغيب عنه طرفة عين تهديد على منع نصيبهم وعلى العاقلين عنه.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يقومون عليهن ويتسلطون فعليهن قيام الولاة وتسلطهم على من دونهم من الرعية وعملتهم من السّعية وغيرهم ممن يدنوهم

بالقرب والمعية علّل ذلك بأمرين موهبي وكسبي ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسبب كمال النهي وإشراف العقل وحسن التدبير وجودة التصور والتصوير وفضل الفصاحة وشرف البلاغة ولطف التقرير ووجاهة التعبير ولذا خصصهم الله بأشرف الخصائل وأكمل الفضائل وهو النبوة والولاية والحكمة وإقامة الشعائر وترويج الشرائع وبكمال الشهادة في مجامع القضايا وبوجوب الجهاد والمجاهدة المفضية إلى الشهود وكمال المشاهدة ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ عليهن من النفقة وغيرها ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ في نكاحهن ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ في أنفسهن بالتعفف ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج ابتغاءً لمرضات الله ﴿حَٰفِظَٰتٌ﴾ لعرض بعولتهن وأموالهم وأنفسهم ﴿لِّلْغَيْبِ﴾ أي غيبة الأزواج. قالَ عليه السلام: «**خير النساء امرأة إن نظرتَ إليها سرتك وإن أمرتها طاعتكَ وإن غبتَ عنها حفظتكَ في مالك ونفسها**» وتلا الآية ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي يحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ للغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق أو بالّذي حفظه لهنَّ وعليهم من المهر والنفقة بحفظهن والذب عنهن، والمعنى بالأمر الذي حفظه حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على بعولتهن ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ وعصيانهن ومخالفتهن بأزواجهن وبالغنَ فيه إلى أن بلغت حد الشقاق ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ وانصحوهن موعظة حسنةً ونصيحةً سنيّةً ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ وأبعدوهن عن المراقد والمبايت والمعاقد بأن لا تدخلوا بهن تحت اللحف وتحتَ اللّفف ولا تباشروهن ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا غير مبرح ولا شائن فهذه الأمور الثلاثة مترتبة تقديم بعضها على بعضٍ بالتدريج ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ وانقدنَ لكم بالإخلاصِ ﴿فَلَا تَبْغُواْ﴾ ولا تحاولوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بالتوبيخ والإيذاء واجعلوا ما كان منهن وصدر عنهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن لا ذنبَ لهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا﴾ عليكم وفائقًا على وجودكم وعينكم وشهودكم ﴿كَبِيرًا﴾ [النِّساء: 34] محيطًا بكم وعلى كل ما هو دونكم وقديرًا على تعذيبكم وإهلاككم، فاحذروا عن مخالفة حكمه في إيذائهن فإنه تعالى قادر عليكم فيكم عليهن وإن الله تعالى مع علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ أي كثرة الخلاف وتمادي النزاع وعدم الائتلاف بين المرء وزوجه ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ أي أقرباء الزوج وأحبائه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ أي رجلًا يرجع إليه الحكم باتفاق المنازعين ويفصل النزاع بينهما ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ أي يهيىء أسباب الخير والصّواب بينهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النِّساء: 35] يحصل بالعلم خبرة وحكمة في الظاهر والباطن يكون وصفًا كاشفًا للعلم أي علم بحكمته البالغة أنه كيف يرفع الشقاق ويوضع الوفاق.

إشارة وتأويل

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي الغفلة الكاملة والشهوة الصادقة لوجهة القلب من عالم العلو والغيب إلى جهة الدّنو والشكّ والريب وهي علامة الضلالة وأمارة كمال الجهالة واختفاء نعت العدالة وأصل كل المعصية والبطالة ودفع هذه الغفلة ورفعها وإزالتها من الله إنما هو ذكر الله إياك في الطور السّري فذكركَ إياه ليسَ إلا في الطور القلبي والنفسي والقالبي وهو الذكر اللّساني والنفساني والجناني قالَ الله تبارك وتعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملأٍ خير منه**» الحديث ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي الغفلات الواقعة في هذه الأطوار وما تولد منها من المعاصي الصادرة عنها في الطور القالبي والنفسي والقلبي فذكر العبد الحق هو ذكر الله العبدَ فاذكروني أذكركم وهو الذكر الخفي ولذكر الله أكبر. قالَ عليه السلام: «**الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة يفضل على الذكر الذي يسمعه الحفظة بسبعين ضعفًا**»، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّساء: 31] أي الفؤاد والطور السري الذي هو الوجه الروحي الذي هو مشهد التجليات الآثارية ومدخل الصور والأعمال النفسانية والأحوال الجنانية.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النِّساء: 32] أشرف الأحوال وألطف الأعمال والأقوال وأعلى المقامات وأرفع الدرجات وسمو الحالات، وللرجال نصيبٌ مما اكتسبوا أي الأطوار الّتي يبلغ فيها ولد القلب الّذي تولد منه تعلق العقل والروح بالنفس المدبرة للبدن وقواها المدركة والمتحركة، الأول لإدراك الأنوار الإلٰهية ولقبول إشراقاتها، الثاني لقبول الحياة الّتي هي مبدأ الحس

والحركة الطبيعية الّتي هي النشوء والنماء، ويتبعها توليد المثل بالنفس العاملة لجر النفع ودفع الضر، فيلزمه الإحساس والشعور بالمنافع والمضار وهما في الظاهر والباطن فحينئذ يلزم أن يكون الشعور في الظاهر منحصرًا في الخمس وهو الحواس والمشاعر الخمس، وكذا في الباطن وهو الحواس الباطنة وهي أيضًا خمس الحس المشترك والخيال والواهمة والمتخيلة أو المتفكرة والمتصرفة والحافظة وأما الظاهرة فهي السمع والبصر والشامة والذائقة واللّامة وهذه المشاعر العشرة الشاعرة مبادىء للتصرفات والأعمال النفسانية التي تتوقف على هذه الشاعرة ولا استكمل ولد القلب المتولد من أم النفس وأب العقل والروح في مدة تصرف النفس واستأنس بأم النفس وأحكامها ولذاتها، واحتجب عن مشاهدة كمالات الأب ومعاهدات الرّب الّتي جرت في الأزل، وبداية كل دورة من الأدوار الأربعة النورية الوجودية الجمالية بين الله وبين الأب، فأمر الشارع ولد القلب بأحكام ظاهر الشريعة ليزيل الحجب الظلمانية والنورانية، وبعد القلب لأن يتوجه إلى جانب الأب ونور الأنوار والرب ورب الأرباب فعند التوجه يحصل له في كل طور ومرتبة ودور نوع من الكشف والشهود والأنوار والأحوال والمقامات، وكذا في الطور النفسي والقالبي، والنفس حظوظ وأحوال ولذات ونظوظ كما أشار إليه بقوله: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ﴾ في الطور النفسي من الإثم والمعاصي وتحزينَ القلبَ إليها آخذةً بالنواصي فتحصيل صورة قبيحة هائلة مهلكة يرد على نساء النفس فيشترك ولد القلب في هذا العذاب في الدنيا والآخرة. قالَ النبي ﷺ: «**يحشر الناس على صور أعمالهم فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت إنما هي أعمالكم تردّ عليكم**».

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ أن يوصلكم واحدًا بعد واحد في دور بعد دور بطور طور إلى نهاية كمال الكل وهو الكمال الذاتي والأسمائي في الأحدية الجمعية الإجمالية والتفصيلية في السير في الله في دورة جمعية الجمعية لما تحقق من أن كل عين باعتبار أنها حصة من حصص مطلق الوجود وذات التجت لها صلوح التحقق بتمام الكمالات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ أي بحقيقة كل شيء ﴿عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 32] وبأحوالها السابقة واللاحقة وبكيفية استكمالها وإيصالها إلى كمالها اللائق ومقامها الشاهق.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ [النِّساء: 33] أي لكل عين من الأعيان النورية الجمالية الوجودية في الدورة النورية الصريحة ولكل كون من الأكوان الظلية الجلالية العدمية الضمنية وهما المولود الإنسي والجني اللذان يتولدان معًا أصالةً وتبعًا وبغية ودفعًا موالي رب نوعي ثابت في عالم البرزخ المبدئي حافظ لذلكَ النوع ولما يتبعه من القوى المدركة والمحركة الظاهرة والباطنة وكذا لما يتفرع عليها من الإدراكات والأعمال والحركات وإلى هذا أشارَ أفلاطون الدّني بقوله إن لكل شخص نوعًا مجردًا باقيًا أزلًا وأبدًا ونص به الشارع ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24] إلى قوله: ﴿أجرٌ عظيم﴾، ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11]، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

قالَ النبي ﷺ: «**من كان لَه في نفسه واعظ كان له من الله حافظ**» وغير ذلك مما ورد في الخبر أن الله خلقَ في كل شخص أملاكًا موكلة على الأعضاء والجوارح والأجزاء يحفظونها وكذا على سائر الموجودات كما قالَ عليه السلام: «**جاءني ملك الأمطار وملك الأنهار وملك الجبال وملك الأشجار**».

وقالَ أيضًا: «**إن مع كل قطرة من قطرات الأمطار ينزل ملك ولا يعود إليها مرة أخرى إلى يوم القيامة**» جعلنا وخلقنا لكل عين من الأعيان، ولكل كون من الأكوان ولكل ما كان فيها من الأجزاء الأولية والثانية، ولكل ما صدر منها من الأفعال والأعمال والأقوال والأحوال من العلوم والإدراكات والحالات والمقامات ولمشاهدة التجليات ولمعاينة الأنوارات وغير ذلك من الكليات والجزئيات مواليَ وحوافظَ يحفظها ويضبطها في الدنيا والآخرة والعقبى.

قالَ النبي ﷺ: «**يا قيس إن مع العزّ ذلًّا وإن للحياة موتًا وإن معَ الدنيا آخرةً وإن لكل شيء حسيبًا وعلى كل شيء رقيبًا وإن لكل حسنة ثوابًا ولكل سيئة عقابًا ولكل أجل كتابًا وإنه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفَنُ معك وهو حي وتدفن معه وأنتَ معين فإن كانَ كريمًا أكرمك وإن كانَ لئيمًا آساك ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالِحًا فإنه إن كان صالحًا لم تأنس إلا به وإن كانَ فاحشًا لم يستوحش إلا منه وهو فعلك**».

﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ [النِّساء: 7] أي العقل والنفس والأقربون أي القوى

الروحانية والمبادىء العقلية فمتروكات العقل هي العلوم الحقيقية والمعارف الإلٰهية فقبول السرادقات النورية وشهود التجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية بالهبة البشرية ومتروكات النفس المزكاة هي الأعمال الصالحات والأخلاق المرضية وأصولها أربعة العفة والشجاعة والحكمة والعدالة ومتروكات القوى الظاهرة من المشاعر هي المسموعات والمبصرات والمشمومات والمذوقات والملموسات ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36] وأما متروكات المشاعر الباطنة الرؤيا الصالحة والإدراكات الوهمية والخيالات والتخيلات الصحيحة والتصرفات الصريحة وحفظهما ومتروكات النفس الغير المزكاة هي الأعمال الفاسقة والأخلاق الغير المرضية والملكات الردية.

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي القوى البدنية والنفسانية التي دخلت تحت حكم القلب والروح والعقل فإن كل ما ظهر من هذه القوى ومن العقل والنفس فإنه محفوظ في غيب كل دورة وحبب آية مرتبة من المراتب الوجودية والعدمية وهو الوجودية المطلق والذات البحت المتجلي بالجمال والجلال فإن كانت الفردانية للنور والجمال فخزنتها هو الجلال وإن كانت الفردانية للظلّ والجلال فخزنتها الجمال بتثبيت جميع ما يظهر في فردانية تلك الدورة من الجواهر والأعراض من الأعراض والأغراض فيها فإذا انتهت مدة اقتضاء فردانية الجمال والجلال وانتقل حكم سلطنة الفردانية إلى دورة أخرى وقامت القيامة ظهرت المكنونات والمخزونات التي كانت محفوظة في خزائن تلك الدّورة ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ﴾ كلما كانت في خزينة الدورة محفوظة أعطوها لهم في هذه الدورة لما تقرر من أن الأعيان والأكوانَ أظلال متطابقة منسقة منتظمة مترتبة بعضها على بعض والسابق معدّ اللاحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء المترتبة أو المنفردة المتفرعة على الأسباب المبتعدة أو المتقربة ﴿شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 33] حاضرًا لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي العقول القائمون الغالبون على ما دونهم من النفوس والطبائع والأجسام أو المراد من الرجال هو العلم المتعلق بالذات والأسماء والصفات الذاتية ومن النساء هي العلم المتعلق بما عدا الذات

وأسمائها المراد من الرجال هو التجلي الذاتي ومن النّساء ما عداها أو المراد بهما هو القوة الفاعلية والقابلية ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ وتفضيله بعضهم على بعض بالعلم والتأثير والانفعال والتأثر ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ وأفاضوا عليهم ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ من أموال علمهم وعملهم ونتائجها وهي المكاشفات والمشاهدات وشهود التجليات ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي التامة القابليات وعامة الاستعدادات ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ قابلات بالفعل لما أفاضه عليها على الوجه الأكمل ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي لغيب الغائب عن الثابت في كنوز غيب الغيوب على وجه يكون غلبته ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ في علمه وفي فضاء قضائه وحكمه ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أي القابليات التي لم يستكمل في هذه الدورة الرافضة والكورة الضمنية النافضة المتتابعة والشؤونات المتتالية ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ﴾ أي فارقوهن ﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النِّساء: 34] والمسالك إشارة إلى أن حق الولَدِ الإنسي أن لا يوافق المولودَ الجني بل الأمر بالعكس بأنه لا بدّ أن يطاوع المولودَ الجني الإنسي النوري الجمالي الوجود لأن فردانيته ضمني وفردانية الإنسي صريح ظاهر والضمني لا بدّ وأن يكونَ تابعًا للصريح فإن خالفه وبالغ في المخالفة فعلى المولود الإنسي أن لا يجامعه في المجامع التدبيرية والمضاجع الفكرية بل لا بدّ وأن يدخله في حكم تدبيره فإن لم يطاوعه ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النِّساء: 34] وجاهدوهن بأحسن الوجوه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: 125]، ﴿فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ أي لا تطلبوا عليهن ولا تجادلوا بهن ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا آخر للاستكمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا﴾ عاليًا وفائقيًا غالبًا ﴿كَبِيرًا﴾ [النِّساء: 34] في المراتب العلية إشارة إلى طريق مرتبة الأعيان الجمعية والأكوان المعية الإحاطية والهيئة الكلية الإجمالية الجلالية والجمالية التفصيلية فيها.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النِّساء: 35] أي المخالفة الكبيرة والمكابرة الكثيرة في النشأة ومراتب الشؤونات إشعار بأن العقلَ وإن كان في نفسه في مرتبة البساطة كامل الإدراك والتعقل إلا أن استكماله في المرتبة الجمعية والهيئة الكلية والنعت المعية موقوف على النسبة الجمعية والهيئة المعية بالنفس والبدن أي النفس الكلية والجسم الكلي أعني العرش والعقل الكلي ويسمى الإنسان الكبير وهو قلب العالم الإلهي واستكماله إنما هو في الدورة العظمى النورية الجمالية الوجودية التي

مقدارها ثلاثمائة وستون ألف سنة إلٰهية وكل سنة عبارة عن ثلاثمائة وستون يومًا وكل يوم مقداره ثلاثمائة وستون ألف سنة من سني ما دونه من الدورة الكبرى التي يكون مقدار يومها خمسون ألف سنة ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4] وكان ذلك في فردانية تدبير صفة العلم في المدة المذكورة وأعيان هذه الدورة من جنس العقل في مرتبة الجبروت والواحدية.

وإذا تم صورة الجمعية العقلية في هذه المرتبة انتقل حكم الربية والتدبير في الجمعية العقلية من مرتبة الجبروت والواحدية وفردانية العلم والدورة العظمى النورية إلى مرتبة الملكوت وعالم الأمر والدّورة الكبرى النورية وفردانية نعت الحياة فيحصل للعقل بذريعة صفة الحياة التي هي رب الدورة الكبرى النورية في مرتبة الملكوت، وعالم الأمر جمعية أخرى بين الرّوح والملكوت الأعلى والصورة اللطيفة البرزخية والهيئة الجسمية ثم ينتقل إلى المرتبة البرزخية في الدورة الوسطى النورية ويستكمل الطبيعة الكلية والصورة النوعية التي يسمى بالرب النوعي الثابت في البرزخ المبدئي ثم ينتقل إلى مرتبة الملك في الدورة الصغرى النورية ويتكمل بالصّورة الجسمية ثم ينتقل إلى المرتبة الجمعية الناسوتية العقلية فهذه الأدوار هي فروع الدورة العظمى النورية المنسوبة إلى العقل فيكون حكم سلطان العقل ظاهرًا في أعيان هذه الأدوار والنفس والروح والجسم خفية، فإذا استكمل العقل في كمال جمعية فروع الدّورة العظمى النورية الإلٰهية المخمسة انتقلت نوبة التدبير والتربية إلى الروح وجمعية الدورة الكبرى النورية وفروعه الخمسة على ما تحقق في التربية العقلية وتدبير جمعيته ومدة الدورة الكبرى أيضًا ثلاثمائة وستون ألف سنة من السنين الربوبية ومقدار يومها ألف سنة ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحجّ: 47].

فالروح الذي هو من عالم الأمر إنما يستكمل جمعيته في هذه الدورة بهذه المدة، ويظهر حكم سلطانه صريحًا ويختفي حكم العقل والنفس والطبيعة والجسم، وهكذا تنتقل الفردانية وحكم التدبير الجمعي إلى تكميل جمعية النفس في الدّورة الوسطى بذريعة القدرة في المدة المخصوصة بها، ثم منها إلى تكميل الجسم في الدورة الصغرى وفروعها المخمسة بتدبير الإرادة فتظهر سلطنة الجسم الّذي هو من مقتضيات اسم الظاهر صريحًا، ويصير حكم العقل والروح والنفس

الطبيعة خفيًا ضمنيًا، وهكذا حكم جمعية الجمعية في كمال المظهر الإنسي فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها أي من مقتضيات كل من هذه الأعيان المذكورة فإن تعادلا وتكافيا في الاقتضاء تناسبت هذه الأعيان فاجتمعت فحينئذ ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا﴾ أي أب العقل وأم النفس الناشزة المخالفة له إصلاحًا توافقا وتطابقا ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ أي بين التكملتين الصادرتين عن الفاعل والقابل، أو بين العقل والنفس العاملة أو بين النفس والبدن لدى الاستجماع للاستكمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النِّساء: 35] بأحوال الإنسان الكبير وأجزائه الإنسان الصغير وأعضائه وكبقية ترتيبهما وكمية خلطها وتركيبها وبتدبير حالهما في المراتب العقلية والمآرب الفعلية خيرًا بالأحوال الغيبية والأعمال الغيبية ظاهرًا وباطنًا.

تفسير

﴿۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾ واذكروه في أنفسكم خالصًا ومخلصًا ظاهرًا وباطنًا وصورة ومعنى ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النِّساء: 36] بملاحظة الغير وهو الرياء كما قال الله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

قال النبي ﷺ حكاية عن الله تعالى: «**أنا عندَ ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا ومن أتاني يمشي أتيت إليه هرولة**». وعن عبد الله رضي الله عنه: أن يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ قال: يا محمد إن اللّٰه يمسك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والخلائق على أصبع ثم يقول: أنا الملك فضحك رسول اللّٰه ﷺ حتى بدت نواجذه ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: 39]، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي بصاحب القرابة أو بالقربة من الجوار ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ صغير لا أب له إلى البلوغ أو الرشد ﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ جمع مسكين وهو الّذي لا مال لَهُ ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي البعيد أو الذي لا قرابة له من الجنابة وهي البُعد.

قالَ النبي ﷺ: «**الجيران ثلاثة: جارٌ له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجارٌ له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحدٌ حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب**» ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ وهو الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف شراكي مالًا أو عملًا أو سفرًا فإنه يصحبك ويحصِّل في جنبك وقيل هو المرأة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التيّاه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يحتفي لهم ولا يلتفت إليهم ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء فأمرنا الله جل وعلا بالإحسان بهؤلاء تصدقًا وتقربًا وتعطفًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّساء: 36] متكبرًا ومتعظمًا في وهمه وخياله فيألف بتقربهم والتقلب بهم والالتفات إليهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بأنفسهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ بدل من قوله من كان أو نصب على الذّم أو رفع عليه أي هم الّذين أو مبتدأ محذوف خبره، وهم أحقاء بالملامة وأليق بالتحسر والندامة ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الغنى والعلم ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وهيّأنا وجعلنا ﴿لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النِّساء: 37] وعقابًا جنينًا وضع الظاهر موضع المضمر إشعار بأن من كانَ هذا شأنه فهو كافر لنعم الله ومنحه ومن كان ساتِر النعمة وكافرًا لآثار أنوار جوده وكرمه فله عذاب مهين وضباب أنين نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولونَ للأنصار لا تنفقوا أموالكم فإنه يخشى عليكم الفقر وقيلَ في الّذين كتموا نعت محمد ﷺ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: 38] عطف على ﴿يَبْخَلُونَ﴾

أو ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [النساء: 37] والإنفاق على وجه الشرف والبخل من حيث إنّهما وقعا في الطرف، والحد والحرف مذمومان ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي لم يبلغوا مقام الناس الذي هو نهاية النزول وبداية العروج للأصول بأول المعلول ومنه إلى الأحد الغير الموصول، وآمن بالله واليوم الآخر ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النِّساء: 38].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَاذَا﴾ تقول في حق موجود دابر وشهود سائر وصل إلى مرتبة الناسوت فكيف تحكم ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ لكمال جامعيتهم وعموم نشأتهم ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من النفوس الفلكية والعكوس الملكية وما يتبعها من الأدراك البسيطة والمعارف الإلٰهية والاتصال بالمبدأ الأعلى والمنشأ الأولى، كما تقرر في طور الحكمة الإلٰهية من أن الإنسانَ أول المعلومات وآخرها، وإنه باب الأبواب، وإن جميع النفوسِ الفلكية والمبادىء العالية والجواهر العقليّة والأنوار القاهرة والنفوس المنطبعة إنما هي نفوس مستنسخات من النفوس الإنسانية فتكون فاعلة مقابلةً آخذة ومعطية وموصلة لتمام الأشياء إلى أحدية جمعيتهما الّتي هي أصل الكلّ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ﴾ بالإقبال والقبول ﴿عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 39].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ على السائرين إلى الله ومن الله وفي الأدوار الإلٰهية والأكوار الكونية الغير المتناهية ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في النشآت إذ الوجود الحق خير محض وكمال وتمامية صرف لا يقتضي إلا الخير والكمالَ لا الشر والنقص في الأحوالات والكمالات والشهود والتجليات ولا الزيادة في العذاب والإعادة في العقاب بتكرر المجاهدات وانتقاص في المشاهدات ﴿وَإِن تَكُ﴾ مثقال ذرة والنملة الصغيرة ﴿حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النِّساء: 40] أي تجعل الحسنة ضعفًا في النشأة تتضاعف

الشؤونات.

عن ابن عباس: أنه إذا دخل يده في التراب فرفعها ثم نفخ فيها فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة قيلَ كل جزء من الأجزاء الهباء في الكون ذرة وتأنيث المثقال للإضافة قرأ بالرفع على كون كان تامة يضاعفها إذا عادت النشأة في تلك الدورة أو الكورة عند انتقال الفردانية ثانية إلى صاحبها وهو الجمال والجلال والتضاعف باعتبار والتكثر والتطور وتكرر التنوع لا الشخص، فإن الله لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة الاثنين إن تطور التجليات وتنوع الشهودات لا ينتهي أبدًا إذ التجلي في نفسه وذاته وتطور شؤوناته الذاتية غير متناه جدًّا وعبدًا وكذا تطور النسبة الذاتية وشؤوناته الأولية فإنها أول ما يسري عدم تناهي ظهور الذات بها ثم تنزوي وتنبسط الذات في ظهورها بعنوان عدم التناهي إلى غايته حالًا واعتبارًا أو حال المعارف في أطوار تجلياته وأنوار شهوداته، واعتباره بعد شهودها فإن كل ما اعتبروا في ظهور الذّات وتنوع شهوداته من الاصطلاحات وتنوع العبارات والإشارات إنما تكون مطابقًا لحالاتهم وموافقًا لما شاهدوا في مقاماتهم. ﴿وَيُؤْتِ﴾ أي يعطي الله للسائرين إلى الله ومن الله وفي الله ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أي من مقتضيات تجليات ذاته ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 40] أي بالبقاء بالله بعد الفناء في الله والتحقق بذاته وبتمام أسمائه وصفاته وذلك في نهاية الأدوار وغاية الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية إذ مقتضيات كل دورة إنما يجتمع آثار أنوارها في مدلولها الأخير «**خلق الله آدم على صورته**»، وأن المعلولَ إنما يكون على صورة العلة.

تفسير

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ كيف يضع هؤلاء كفرة اليهود وغيرهم وقت جئنا وجئنا من كل أمة وطائفة أو كيف يتيسر لنا الظلم وقت مجيئنا من زمرة وأمة مستصحبين بشهيد عادل لا يتصور ولا يمكن منهم الكذب يشهد عليهم بما فعلوا وهو بينهم كقوله: وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم يعني جئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدًا وعن ابن مسعود إنه قرأ سورة النساء على رسول الله ﷺ حتى قوله:

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 41] فبكى رسول الله ﷺ وقال: «**حسبنا**».

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ يعني لو يدفنون فتستوي بهم الأرض كما تستوي بالموتى، لو للتمني يعني تمنوا أن يدفنوا في ذلك القوم ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 42] أي لا يقدرون على كتمان كلام الحق وحديثه في ذلك اليوم لأن جوارحهم شهدت في ذلك اليوم كل منها على ما ينسب إليه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ أي لا تقربوا أماكنها وهي المساجد وإياها تعظيمًا للصلاة وأنتم سكارى حال كونهم سكرى وارتفاع تمييزكم بين الحق والباطل ﴿حَتَّىٰ﴾ يرتفع عنكم السّكر ﴿تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّساء: 43] وتفعلون من صلاتكم حكى أنّ عبد الرحمٰن بن عوف حين كون الخمر مباحًا جعل مجلسًا للشراب ببعض من الصحابة فلما جاء وقت المغرب تقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ في الصلاة سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافِرون: 1] أعبد ما تعبدون فنزلت وليس المراد منه منع السّكران عن قربان الصلاة فقط بل المراد النهي عن الإفراط في الشرب والسكر وقرأ: (سَكارى) بفتح السين و(سكرى) على أن يكون جمعًا نحو هلكى جوعى لأن السكر علّة تلحق الفعل أو مفردًا بمعنى وأنتم جماعة سكرى كقولك امرأة سَكرى وسُكرى بضم السّين كحُبلى على أن يكون صفة للجماعة.

وحكى جناح بن جليس: كَسْلى وكُسْلى بالفتح والضم ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطفه على الجملة الحالية وهو الذي أصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث

والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ متعلق بقوله ولا جنبًا استثناء من أعم الأحوال أي لا تقربوا الصلاة حالَ الجنابة مطلقًا إلّا في السفر عند اعوزاز الماء وفقدانه ووجود مانع من استعماله من المرض أو ما نزل إليه كالبرد وما يشبهه فيتيمم أو صفة لقوله ﴿جُنُبًا﴾ أي جنبًا غير عابري سبيل فمن فسر الصّلاة بمواضعها فسر عابري سبيل المختارين فيها، وجوز للجنب عبور المسجد وبه قالَ الشافعي وقال أبو حنيفة: لا يجوز إلا إذا كانَ فيه الماء أو الطريق ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ كناية النهي ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ خائفين معه استعمال الماء فالواجد كالفاقد أو يمنعكم مانع عن الوصول إليه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ لا يجدون فيه الماء ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ وما في حكمه من البول والدود والبلل وغيرها من الدم والقيح من أحد السَّبيلين ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أو ما لمست بشرتهن بشرتكم وبه استدل الشافعي على أن اللمسَ ينقض الوضوء وقيلَ: أو جامعتموهن تنزيلًا على الحكمة كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه: وهو خلاف الظاهر والعدول من الظاهر إلى خلافه خلاف الظاهر ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ أو مع وجود مانع الحدث أو الجنابة ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ في الحالتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ بالتراب الطاهر الخالص من غير شوب بغيره بأنواعه حتى الطّين الّذي يتداوى به وهو الأغبر والأسود والأحمر والأبيض والسنح والبطحاء أعني التراب اللّين الذي رفع في سبيل الماء ولا يجوز بسحاقة الخزف وبالزرنيخ ولا بالمخلوط كما بالزعفران ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النِّساء: 43] أي يعفو ولا يعاقب أو يغفر ويستر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44)﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ القوم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أي أعطوا ﴿نَصِيبًا﴾ أي قليلًا وسهمًا يسيرًا من رؤية البصر وإنما عدى بإلى لتضمنها معنى الانتهاء ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ النازل إذ المراد المعهود هم أحبار اليهود الّذين حرفوا التوراة ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ ويختارون الجهالة على العلم والهداية ويستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بإنكار نبوة محمد ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا﴾ أي فقدانكم ﴿السَّبِيلَ﴾ [النِّساء: 44]

السبيل الحق والصراط المستقيم المحقق.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ وخصمائكم وقد أجبركم بعداوة هؤلاء وبما قصدوا به لكم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ وحافظًا ظاهرًا وباطنًا ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النِّساء: 45] مغيثًا وظهيرًا.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦﴾

﴿مِّنَ﴾ قوة ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ ومالوا إلى طريق الحق بيان للموصول ومن لِلتبعيض أي بعض من اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ ويصرفون بعض كلمات التوراة ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النِّساء: 46] عن كعب الأحبار.

قالَ في التوراة في السّفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب ولا يجزي بالسيئة السيئة ويعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام، وقال في السفر الثاني من التوراة: محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون اللّهَ في السراء والضراء ويحمدون اللّهَ في كل مذلة ويكبرونه على كل شرف، رعاة الشمس يصلون الصلاة إلى وقتها، ولن أقبضه حتى يقام به الملة المعوجة بأن يقولَ: لا إله إلا اللّهُ، ويفتحوا أعينًا عمياء، وآذانًا صمّاء وقلوبًا غلفاء، فلا يزال العبد في صلاته يردد هذه الكلمة على لسانه هم مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزيلة لحديث النفس وينوب معناها في القلب من كل حديث، إذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان تشرّبها القلب، فلو سكت اللسان لا يسكت القلب ثم يتجوهر في القلب وبتجوهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا أذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال النور يتجوهرها ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى، ويصير الذكر حديث الذات وَهذا الذكر هو المشاهدة والمعاينة والمكاشفة هذا هو المقصد الأقصى، وعن

كعب الأحبار أنَّ حبرًا من أحبار اليهود كان يبكي وينوح على نفسه فقال له كعب: أنشدك باللَّهِ هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى في التوراة قال: يا ربي إني أجدُ أمةً خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ليقاتلون أهلَ الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجّال، يا ربي اجعلهم أمتي، قالَ: هم أمة محمد أحمد يا موسى قالَ الحبر: نعم، قالَ كعب: أنشدك بالله أتجد في الكتاب المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب إني أجد أمةً الصعيد لهم طهور والأرض لهم طهور مسجد حيث ما كانوا يتطهّرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماءَ، غرٌّ محجلون من آثار الوضوء فيجعلهم من أمتي قال: هم أمة محمد؟ قال الحبر: نعم، فلما أعجب موسى عليهم السلام من الخير الذي أعطى اللَّهُ محمدًا وأمته قالَ: ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله إليه ثلث آيات يرضيه بهن قالَ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ [الأعراف: 144] إلى قوله: ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159]، فرضي موسى كل الرضى. فلما بعث الله محمدًا غيروا المواضع قالوا: ليس هذا ما وعده اللَّهُ قد علموا أنه هو الموعود كما قالَ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 146] الآية.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا﴾ قولَك يا محمد في الظاهر ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرك ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ أي من انتفت عنه قوة السّماع واختفت فيه قوة الاستماع عطف على سمعنا والخطاب لمحمّد يعني أنهم على سبيل العناد والسخرية لا يزالون يقولونَ هذا القولَ، ويقولون اجعل من ليسَ لَهُ قوة الاستماع مستمعًا بحذف المفعول الأول وههنا احتمالات أحدها هذا، والثاني أن يكون عدم السماع لصمم فطريّ أو لكونهم أمواتًا أو غير مجاب إلى ما يدعوا إليه أو اسمع غير مسمع كلامًا يرضي وغير ذلك من الاحتمالات ﴿وَرَٰعِنَا﴾ أي انظرنا وأمهلنا ﴿لَيَّۢا﴾ وصرف ﴿بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ للكلام إلى ما هو المرام ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ بأنه من عندك يا محمد لا من الله والكلام كلامك لا كلام الله فلا يكون إلا زمانًا قليلًا وغير ذلك ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ أمرك ونهيك ﴿وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ﴾ ما أمرتنا أي اجعلنا سامعين له ﴿وَٱنظُرۡنَا﴾ وامهلنا من الإنظار وهو الإمهال والإهمال ﴿لَكَانَ﴾ هذا

القول منه ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ وأنفع من القول السابق وأقوم وأتم وأنفع من قولهم سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وبعدهم من الحق ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ منهم ﴿إِلَّا﴾ نفرًا ﴿قَلِيلًا﴾ [النِّساء: 46] وإيمانًا ضعيفًا ويجوز أن يراد بالقليل العدم لأنها طريق العدم.

تأويل وإشارة

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ [النِّساء: 41] أي كيف يمكن الظلم في الكمالات اللائقة بالنقص بأن يجعل كمالات أعيان الدولة اللاحقة أنقص وكمالات الدولة السابقة وعقوباتها أزيد من عقوبات السابقة مع أنّ كليات الأدوار المتطابقة وأن أحوال أشخاصها يتزايد إن كانت كمالات وتتناقص إن كانت عقوباتٍ ونقائص وإلا لكانت عبثًا، ولذا قيلَ إن اللَّهَ لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة اثنين، وباللاحقة يعرف ويثبت أحوال السابقة، مثلًا أن لزحل وللمشتري دولةً الأولى تتم بثلاثين سنة والثاني باثني عشر سنة تقريبًا، وصحة هذا الحكم وصدقه إنما تعلم وتظهر من دورتهما السابقة واللاحقة وتطابقهما وأحكام الدولة السابقة إنما تثبت بأحكام اللاحقة فيكون شهيدًا عليها وعلى أحوالها، ويمكن أن يقال المراد بالشهود هو الحكم الجلالي الظّني وبالشهود عليه وله هو الحكم الجلالي الصريح وبالعكس، وكذا الحكم الجمالي صريحًا وضمنًا، فإن كل مولود نوري جمالي يكون معه مولود آخر من مقتضى الظل والجلال يقال له همزًا وكما جاء في الخبر: «**إن كل واحد من المولود الإنسي يولد معه مولود جني**، فقيلَ: لك يا رسول الله قال: **لي إلا أن الله تعالى أعانني لأن أسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 41] فإن الله جل وعلا قد أظهر النبوة بيد محمد في الفطرة الأولى في النشأة العليا بلغ به أحكام النبوة الذاتية أولًا إلى أعيان الأنبياء وحقائقهم الإلٰهية وشؤوناتهم الذاتية ثم إلى الأمم المنسوبة بهم إلى أمته المخصوصة على وجه يطابق الكل ولذا جعله بأمته شهيدًا على هؤلاء ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عِمران: 81] الآية إن الحقيقة المحمدية النبوة الذاتية سارية في أعيان تمام المراتب فيكون شاهدًا على كل عين ولكل عين، وكذا الأعيان بأحوالهم شهداء

على الحقيقة المحمدية ونبوته الذاتية، وكذا جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا، يومئذ يود الذين كفروا بالله في فردانية الجمال وهم من أعيان مقتضيات الجلال بأن غلب عليهم حكم المولود الجلالي، هو الإبليس الذي يكون أمامهم، وعصوا الرسول أي الحقيقة المحمدية الظاهرة في النشأة العنصرية بحكم غلبة مقتضى المولود الخفي لو تسوى بهم الأرض الاستعدادية، أي طلبوا في هذه الحالة وتمنوا من الله جل وعلا ما هو مقتضى أصل فطرتهم الذاتية وهو استواء نسبة أرض الاستعداد الجمالي والجلالي حسب سريان اقتضاء حكم الحقيقة المحمدية في الكل وهو الاستسلام للمولود الجلالي الذي كانَ عليه في الفطرة الأولى كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 42] قولًا دالًّا على خلاف مراد الله في تلكَ الحالة التي وقع الاستواء عليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في النشأة الأولى الإلهية عند استواء النسبة الجمالية والجلالية والذات الجامعة للأسماء والصفات ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ التي هي الصورة الجمعية الأولية ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النِّساء: 43] أي متسترون بحكم اقتضاء خصوصية الجمال والجلال عنها ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ بلسان القلب وتستنطقون بنطق غيب الغيب بقوة كمال الجمعية بين الشهادة والغيب ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ أي ولا تقربوا هذه الصلاة الجمعية حال كونكم بعيدين من الذات الجامعة لتمام الأسماء وعموم الصفات في خصوصية اقتضاء الدّورة النورية وارتضاء الكورة الظلية ﴿إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ [النِّساء: 43] في السير من الله وإلى الله إشارة إلى أن العارفَ الواصل إلى مقام كمال الجامعية في السير في الله ربما يتصرف إلى خصوصية اقتضاء السير من الله وإلى الله في مراتب الظهورات ومطالب البرزات كما قالَ إمام المبارزين أنا الحجر الذي تفجر عنه اثني عشر عينًا، أنا البعوضة التي ضرب الله بها مثلًا، أنا المعنى الذى لا يقع على اسم ولا على شبه حتى تغتسلوا بماء الذّكر الخفي الذي يوصل العبد إلى مقام الجمع والإفراد وجمع الجمع، وإن كنتم مرضى بداءِ الجهالة البسيطة وبعلة الضلالة والجهالة المركبة وهو العلم الوسمي ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23]، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17]، ﴿أَوْ عَلَىٰ

سَفَرٍ﴾ في الأدوار الإلٰهية الجمالية والجلالية ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي غلب عليه حبّ الدنيا من الجاه والأموال وطول الأمل وحلول الرجاء ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي توجهتم إلى الاستيفاء من الحظوظ النفسانية والنصوص من الشهوات الروحانية من العلوم العالية والإدراكات المتعلقة بالأمور السالفة التي هي حجب ظلمانية ونقب نورانية ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ طاهرًا صافيًا وعلمًا يقينيًّا وافيًا وكشفًا صحيحًا وذوقًا صحيحًا كافيًا فاشيًا من كامل مكمل ومرشد محقق وَحكم إلهي فاضل مدقق ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾ [النِّساء: 43] إشارة إلى طريقة الإرشاد وشريطته وإلى وظيفة الاسترشاد وحقيقته.

[صفات المرشد إلى الله تعالى]

اعلم أن حق المرشد المكمل أن يكون جامعًا لمراتب مقتضى فاء الفقر، ومناقب قافه، وأطوار رائه، بأن بلغ نهاية الكشف وغاية الحقائق وحد الأطوار والكشف إما صوري أو معنوي، أما الصوري فهو الذي ينكشف عنده أحوال عالم الصورة اللطيفة وهو عالم المثال وعالم الخيال وهو انكشاف الصور اللطيفة الخيالية وكيفية ارتباطها بالمعاني الخيالية التي تتمثل تلك المعاني بهذه الصور عند توجه النفس الناطقة وانصرافها من عالم الحس إلى عالم المثال والبرزخ بين عالم الأجسام وعالم الأرواح والقدس لها لدى تقاعد عمالها ومبادىء أفعالها عن الأعمال فركودها عن الأفعال سواء كان حال النوم والصحو والغيبية وهي الرؤية الصالحة التي هي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، والعلم المتعلق بتلك المعاني وكيفية ارتباطها بالصورة المثالية، وهم علم التعبير المتعلق بحقائق الأجرام العالية وطبائعها هو الحكمة الطبيعية وتحركاتها وكمياتها وكيفياتها، وبأوضاعها وباتصالات بعض الكواكب ببعضها هو علم الهيئة وأصل هذا العلم ومبدؤه هو الكشف الذي ظهر أولًا للأنبياء سيما لإدريس.

حكي أنه قد انجذب من عالم الحس إلى عالم القدس وتمكن وجلس في مركز تدوير زحل وتحرك معه ثلاثين سنة إلى أن يتم دورته فانكشف عنده أحوال الكواكب السيارة وحركاتها وأوضاعها وكمياتها وكيفياتها، ثم عاد إلى عالم الحس وأخبر عن أحوالها التي شاهدها.

وأما الكشف المعنوي فهو الذي انكشفت عنده حقائق المجردات وشقائق الأنوار الإلٰهية والأسرار الغير المتناهية.

وأما الركن الثاني للفقر: وهو معرفة الحقائق، فهو الذي يشير إليه قاف الفقر ويحصل بعد مشاهدة العبد حقائق الأشياء وانكشافها لديه، علم بالحقائق هذه وهذا العلم إنما يحصل بعد الكشف والشهود

والركن الثالث: هو الأطوار السّبعة الحاصلة وهي الطور القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي والخفي وغيب الغيوب، فالمرشد هو الذي استكمل هذه الأماكن الثلاثة فهو المظهر وهو للطالبين كالماء، فالواجب على الطالب هو أن يحصل هذا الماء فإن لم يقدر فلا بدّ وأن يقصد ويحصل شيئًا آخر يكون أنزل من هذا الشخص، ويكون بمنزلة التراب والأرض فيتيمم ويقصده.

﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾ [النِّساء: 43] أي طهروا بذلك الماء وجوه قلوبكم وهي الوجوه التي تلي الحق، فإن كلّ قلب له وجهان وجه إلى الله والحق ووجه إلى الخلق، فمن شأن المرشد الكامل المكمل أن يكمل ويطهر وجه القلب ويصرفه إلى الحق وأيديكم ونفوسكم العالمة العاملة المتصرفة في البدن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ متجاوزًا عند إقبال وجه القلب ﴿غَفُورًا﴾ [النِّساء: 43] ساترًا لقبائح النفوس وكدوراتها.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهم أهل النظر والاستدلال روي الألباب الذين اقتنعوا من اللباب بظاهر قشر من معاني الكتاب ﴿يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ والحيرة ويختارونها على الهداية التي انفجرت ينابيع عيونها من عين العناية الإلٰهية الأزلية المقترنة بكاف كنه الكفاية الأبدية ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النِّساء: 44] على الطالبين الصادقين والمحبين الراغبين المشتاقين، وأما المسترشدون الذين عدوا نفوسهم من المرشدين الكاملين المكملين وسدوا الطريق على الطالبين فهم قطاع الطّريق الذين ضلوا وأضلوا كثيرًا.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ﴾ نفوسكم الأمارة واللّوامة والملهمة وبما في قلوبكم وأرواحكم وجيوب عيونكم من الأحوال والمقامات وحقائق العلوم والإدراكات والمعارف الفطرية والمشاهدات ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ وحافظًا ورقيبًا في الدورة

النورية ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 45] ومعينًا وظهيرًا في الكورة الظلية، فإن هذه الحالات بأسرها والكمالات والمقامات برأسها إنما يتحقق في الفردانيتين فمن ولاه الله ونصره لم يلتفت بهذه الأهواء.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي الحق المتصوفين الذين اقتنعوا من المقاصد الصوفية بظاهر الاصطلاحات وببعض من الأحوال والمقامات وبطائفة من الحالات والمكاشفات وبمشاهدات من الكرامات ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ ويصرفون العبارات والإشارات عن مواضعه مثلًا إن رأى السالك النور الأسود الذي هو من خصائص الطور الخفي فعرض على شيخه يقال إنك وصلت إلى الطور النفسي أو يحكي الحق له بصورة الإنسان الكامل الخلقة فعرضه على الشيخ فقال في الصورة الأولى قولًا باطلًا وصرفه ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ ولو قالَ في الصورة الثانية إنها شيطانية فقد افترى إثمًا عظيمًا وحرفها عن موقعها لأنها تخالف الحديث والسنة. قالَ النّبي ﷺ: «**رأيتُ ربي في أحسن صورة شاب أمرد قطط**» وقس على هذا غيره ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ بسماعِ النّور والجمال ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النِّساء: 46] في المولود الجني أو بالعكس وعلى هذا باقي الأدوار والأكوار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ﴾ جواب النداء أمر من الإيمان ﴿بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ من هذه الكتب المزبورة والخطب المضمورة ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي نمحو تخطيط صورهم ونمحق هيئات تعينهم وتشخصهم ﴿فَنَرُدَّهَا﴾ أي الصورة والوجوه ونجعلها ﴿عَلَىٰٓ﴾ هيئة ﴿أَدْبَارِهَآ﴾ وذلك بأن يجعل الوجهَ قفاءً وظهرًا والظهر والقفاء وجهًا وعملًا صالحًا موجهًا ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ ونجزيهم بالنسخ بأن نبدل صورتهم الإنسانية بالصور القبيحة الغير الإنسانية ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾ وأخزينا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ على لسان داوود عليه السلام حيث خالفوا أمره وتمردوا عما نهاهم عنه وتمردوا وأعرضوا عما نفاهم عنه من صيد الحوت في يوم السبت ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النِّساء: 47] أي ما حكم الله بوقوعه ثابتًا ومحققًا فذًا وواقعًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: 48] لأنه ثابت الحكم على الخلود في النار وعذاب البوار لأن أثرَ سواي الشرك وتأثير الكفر وَظلمه أمامك ثابت وراسخ في جوهر القلب غير زائل عنه أصلًا إلا ما شاء الله ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: 122] وأما الإيمان فهو نور الله يهدي به من يشاء من عباده ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: 52] الآية إلخ ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الشرك والكفر الذي هو السواد والظلمة التي غاضت في جوهر القلب وغيب غيبه وهو العصيان والمخالفة والطغيان الذي عرض ظاهر القلب دون باطنه ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ كبيرًا كان أو صغيرًا نذيرًا أو كثيرًا تفضيلًا وإحسانًا عليه وتعطفًا وامتنانًا لديه هذا هو الحق وأما المعتزلة فقد قيدوا الفعلين بعدم التوبة وبالتوبة وهو خلاف الظاهر وهو ظاهر مع أنه مناقض لمذهبهم إذ المشتبه ينافي العذاب المنصوص ويعافي العقاب المقطوعَ المنصوص ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ خالقًا أو مخلوقًا ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 48] والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل أيضًا لعمومه.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ﴾ هم من أهل الكتاب ﴿يُزَكُّونَ﴾ ويكبرون ويكثرون ويعظمون ﴿أَنفُسَهُمۚ﴾ حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ولن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي﴾ ويعظم ﴿مَن يَشَآءُ﴾ لإحاطة علمه وإماطة حكم بما يتزكى ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: 49] بشيء حقير وأمر قليل صغير وهو في الأصل الخيط الذي هو في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ في زعمهم فيما نسبوا به نفوسهم إلى الله

بأن قالوا نحن أحباء الله وأبناؤه ولا يعذبنا إلا أيامًا معدودة ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 50] أي عصيانًا ظاهرًا متينًا وذنبًا باهرًا ساطعًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تشنيع وتوبيخ على أهل الكتاب بأنهم عملوا بمقتضى كتاب الله فإنهم قد آمنوا بما نهى الله عنه في كتابهم وهو الجبت والطاغوت وغير ذلك نزلت في يهود حيث قالوا إن عبادة الأصنام أرضى عند الله وأقصى مما يدعو إليه محمد ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ صنمان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وعبدوا الأصنام ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ عبدة الأصنام ﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد بما جاء به ﴿سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 51] لأن دينهم أرشد لأنهم يعبدون الأمور الموجودة أعني الأوثان التي يراها كل واحد وأما الإله الذي دعى محمد إليه لا يره أحد ولا يصل إليه في الظاهر فرد.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ من أهل الكتاب القائلين بالكفر السّباقين في استخفاف دين محمد ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بما قالوا وفعلوا ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 52] مانعًا للعذاب ورافعًا للعقاب شفاعة.

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟﴾ [النِّساء: 47] في الفطرة الأولى في الدورة العظمى من الأدوار النورية الأصلية أو الفرعية الإفرادية أو الجمعية، والكتاب هو صورة جمعية إلٰهية وكونية في المرتبة العليا والدنيا أما الأولى فهي إما في بداية الواحدية ومبدأ الجبروت وهي الأحدية الجمعية التي يكون في الشؤونات الذاتية والنسب الأولية، وهذه الكثرات إنما يتميز بعضها عن بعض بالعنوانات الذاتية أو في أثناء الواحدية والجمعية في هذه المرتبة إنما يكون في الصور العلمية الّتي يتميز بعضها عن بعض بالصفات الوصفي في رتبة الوصف الأخير الجامع وهو الكلام، وأما الثانية فهو إنما سيكون في نهاية الأدوار النورية في كون كامل ومظهر جامع

وحكيم فاضل طاوع على وصف شامل على سائر الأوصاف الذاتية وهو صاحب الكلام ﴿بِمَا نَزَّلْنَا﴾ مظهر كامل يكون نهاية التنزلات وغاية التعينات فيكون مصدقًا لما معكم من الكتاب ومبينًا لما بينكم لأن حقيقتهما واحدة وصورتهما مختلفة فإن الكتابَ المتأخر في الحقيقة قلت صورة الكتاب الأول وعكسها فتكذيب الآخر في الحقيقة هو تكذيب الأول ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ أي من قبل أن ينتقل حكم الفردانية من دورة إلى دورة أخرى ومن اسم إلى اسم آخر من الأسماء الإلٰهية كما تقرر في علم التنجيم إن أحكام القرنات ربما يتقدم على القرانات وكما أن السالك ربما يتظفر من الطور الأدنى إلى الطور الأعلى قبل استيفاء أحكام الطور الأدنى ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ﴾ [النِّساء: 47] إشارة إلى تبدل أحوال مقتضيات أعيان الكائنات في فردانية الجمال والجلال وإخبار عن كيفية تدبير المكونات فمنهم تحقق بحقيقة ما في الكتاب كالأنبياء والأولياء الذين جاؤوا حذوَ الأنبياءِ فإنهم في جميع الأدوار الإلٰهية الجمالية والجلالية كاملو الخلقة ﴿ءَايَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ [آل عِمرَان: 7] الآية إلخ.

ومنهم من لم يكن كذلك، وهم طائفتان الأولى: أن تكون ناقصةً في بعض الدورات الجمالية وتستكمل بالبعض الآخر بعد نشأة النشآت وتفرقة الشؤونات كالنفوس المستنسخة المستلزمة بعز الوجوه والحقائق. والثانية: وهي أن لا يستكمل في أدوار الجمال بل ينتقل استكمالها في الفردانية الجمالية وأدوارها كالملائكة والجان والأغوال والأهرمانية والأبالسة فإن الملائكة التي طبقاتها منحصرة على أربعة كل من الأكوان العدمية الظلية الجلالية الأربعة باطن لكل من هذه الملائكة قد تولدا معًا تولد الجمال والجلال وظهورهما من الذات الأحدية والذات البحت ومطلق الوجود فإن كل طبقة منسوبة إلى اسم من الأسماء الأربعة الذاتية أعني العالم والحي والقدير والمريد فإنهم يستكملونَ بالنعت الجمعية النورية الجمالية والجلالية في هذه الأدوار المربعة النورية بالتنزل إلى المرتبة الإنسية التي هي بداية الأدوار ونهايتها.

قالَ النّبي ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون**»، وقال أيضًا: «**أول ما خلق الله نوري وأنا وعلي من نور واحد**». فإذا انتهت الأدوار النورية الوجودية واستكملت الملائكة والأنوار القاهرة والجواهر العقلية والروحية في المرتبة الجمعية الإنسية

بالتبعية انتقلت الفردانية ونور المرتبة وفردانية التدبير من النور والوجود والجمال إلى الظل والعدم والجلال ومن ظاهر الأسماء الأربعة الذاتية التي هي أرباب الملائكة المذكورة مدبراتها كما أن عينها وباطنها أرباب ومدبرات لنقائصها وبواطنها إلى باطن هذه الأسماء وعينها وتدبيرها وتربيتها باطن الملائكة وغيبها وهو الأهرمانية والأغوال والشياطين والجان في باطن الأدوار النورية الوجودية الجمالية وهي الأكوار الظلية العدمية والجلالية في نهايتها وهي المرتبة الجمعية الإنسية الجلالية يتنزل بها إلى الرتبة الإنسانية العدمية الجلالية استكملت الملائكة والجواهر النورية العقلية ظاهرة وباطنة جمالًا وجلالًا وجودًا وعدمًا نورًا وظلمةً ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] وليس الخبر كالمعاينة.

واعلم أن اللّٰه تبارك وتعالى قد أشهدني هذه الحالات في زمان كنتُ أكتب هذا المقامَ بأن خاطبني بأني ربيتك بالنور والظلمة وبالجمال والجلال وبالوجود والعدم بألف ألف أدوارها والأكوار عظمى أولًا بالنعت المحبوبية في ألف ألف كورة عظمى بصفة الظل والعدم والجلال، والكورة عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف دورة إلٰهية، وكل دورة عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة إلٰهية، وكل سنة إلٰهية عبارة عن ثلاثمائة وستين يومًا وكل يوم مقداره ثلاثمائة وستون دورة من الأدوار الربوبية التي يكون مقدار يومها خمسين ألف سنة ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4] الآية، بالتعينات الأهرمانية التي هي باطن الملائكة وكنت في تلك الكورات الأربعة معبودَ الأهرمينات ثم نزلن من الأنوار إلى الأدوار النورية الوجودية الجمالية ورباني في هذه الأدوار الأربعة النورية الوجودية الجمالية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى التي كانت كامنة ضمنه في تلك الأكوار الظلية العدمية الجلالية فتصير هذه الأدوار صريحة وأظهر في حقيقتي كلما كانَ في تلك الأكوار في باطني خفية كامنة شيئًا فشيئًا في هذه الأدوار الأربعة إلى أن استكملت مقتضيات هذه الأدوار الإفرادية، ثم انتقلت فردانية دورة التربية والتدبير من الأدوار الإفرادية إلى الدورة الجمعية النورية بالصورة النوعية العنصرية والهيئة الجمعية البشرية النورية الوجودية كما كانت في الكورة الظلّية الجمعية بالصورة النوعية البشرية الظلية الإفرادية، وقد أخبرني وأشهدني بأن في الأدوار الإفرادية وكذا في الأكوار الفردانية تكون الأهرمينات

والملائكة والعقول والنفوس مدركين بحق الله جل وعلا إدراكًا حصوليًّا لا حضوريًّا شهوديًّا، والإدراك الحضوري الشهودي لا يكون إلا في النشأة البشرية لكمال جمعيتهما، ولذا طالبت الكائنات بأمرها نورية كانت أو ظلية وجودية أو عدمية النشأة الجامعة البشرية، والفرق بين الإدراك النور الذي يكون للملائكة صريحًا والإدراك الظلي الذي يكون للأهرمينات صريحًا هو أن الإدراك النوري لا يشوبه الوهم والخيال، وأما الإدراك الظلّي فهو يكون بالشوب الوهمي الخيالي والنشأة البشرية يجامع الكل ولذا صارَ مقصود الكل، وانحصر البرزات والتناسخ كما أشرنا إليه من أن الحقيقة الإنسانية ونشأتها متقدمة على سائر الأعيان النورية والظلية ونشأتها فتأمّل وتدبر.

تفسير

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم وهم يملكوا الأرض ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ولا يعطون لهم ﴿نَقِيرًا﴾ [النِّساء: 53] وشيئًا حقيرًا من النقرة وهي لثمة في ظهر النواة هذا شأن ملوكهم ورؤسائهم وكبراؤهم فكيف حال سفلتهم ومعاليهم.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾ بل يحسدون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ جميعًا سيما رسول الله وأصحابه فإن من حَسَدَ على النبوة العامة فكأن حسد الكل ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ﴾ يعني النبوة والكتاب والنصرة والعزة وفصل الخطاب، وظنوا أن النبي الموعود والرسولَ المعهود إنما هو منهم ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الذين هم أصحاب محمد وأبناء عمه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والنبوة التشريعية والتعريفية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 54] في العرب والعجم مع كونهم متماثلين اكتفاءً بالنسبة إلى إبراهيم فلا يبعد أن يأتيه مثل ما أتاهم.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَمِنْهُم﴾ أي بعض اليهود ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي بمحمد أو بما هو من الآل ومحمد منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ ومنع الناسَ وأعرض منه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النِّساء: 55] نار مسعورة موقدةً معذبون بها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في الأفق والأنفس منها القرآن وشق القمر وغيرهما ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ﴾ وندخلهم ﴿نَارٗا﴾ كالبيان والتفسير والشرح والتعزير على طريقة التفضيل والتصوير ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك وبدلت الخاتمَ قرطًا فيتحدان نوعًا ويختلفان شخصًا وهيئةً أو بأن يزال عنه أثر الخلقة البالية كالثوب الذي بدل الظهر إلى البطن والبطن إلى الظهر ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ إذ الشيء إنما يتأثر من الضد إلى المتماثلات قيلَ يتبدل ويخلق مكانه جلدًا آخر والعذاب هو إدراك المنافر من حيث هو منا والجلد وتبدله شرط وآلة الإدراك لأنه عصبي والعصب فيه هو قوة الإدراك للمس، وأما اللحم الخالي عن العصب فلا إدراك له فلا يتألم ولا يدرك الألم، وأما الجلد فلكونه عصبانيًّا يدرك الألم والوجع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يمنع عليه ولا يغلب لديه ما يريد ﴿حَكِيمٗا﴾ [النِّساء: 56] خبيرًا بصيرًا عليمًا يعاقب ويعذب على مقتضى علمه وخبرته.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بأن لا يدخل في عمله شوب رياء وشيب وباء ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي تحت قصورها وأشجارها أو نخيلها بأن الجنة موضوعة على أنهار وبحور جارية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ الدوام ما يقتضيها من كمال رحمة الله ووفور نعمته ولعدم انقطاعها ﴿لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ من دنس الحيض ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النِّساء: 57] أي حضائر لا يضربها الشمس ولا حرها

ولا يضربها الطّمس ولا عكسها ولا يغير بها الرمس ولا دمسها إذ هي نعمة دائمة ورحمة قائمة، والظليل صفة للظلّ اشتقت منه بالتأكيد كما قيلَ شمس مشمس وليل أليل ووجه أوجه وغير ذلك والمراد الحر الامتداد والدّوام والاستمداد.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ حكمها عام للكل وإن نزلت في يوم الفتح في عثمانَ بن طلحة قبلَ دخوله في الإسلام ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقضيتم على شخص أو له فعليكم ﴿أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ والإنصاف من غير الميل والحيف والاعتساف، وهذا أيضًا عام لكل من له صلاحية الحكم إما بالولاية أو بالتحكيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ﴾ فما موصوفة منصوبة أي نعم شيئًا يعظكم الله به أو موصولة مرفوعة والمخصوص بالمدح محذوف وهوَ المأمور به من أداء الأمانات والعدل والحكومات أي نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النِّساء: 58] بأقوالكم وأحوالكم وأحكامكم فيما تفعلونَ في أداء الأمانات وقطع الخصومات.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النِّساء: 59] هم أمراء المسلمين في عهد رسول الله وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة ذوو الاحتساب والظاهر أن الإسلام ليسَ بشرط في الإمارة وإجراء الأحكام وإمضاء الآلام والسياسة لهيجان الفتن في المخالفة وإلجاء الضرورة بإطاعة الحكام ذوي الشركة برفع الفتنة بين المسلمين.

قال النبي ﷺ: «**أطيعوا ولو عبدًا حبشيًّا رأسه كزبيبة**». وإنما أمر الناس بإطاعتهم بعد الأمر بالعدل تنبيهًا على أن وجوبَ الإطاعة ولزوم المطاوعة والطاعة مشروط بدوامهم وإقامتهم على الحق والعدل والقسط قيلَ: المراد علماء

الشرع لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ واختلفتم أنتم وأولي الأمر منكم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين وهو يؤيد الأول إذ ليس للمقلِّد أن ينازعَ المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلا أن يقال الخطاب الأول على طريقة الالتفات ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فارجعوا فيه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ بالسؤال عنه في زمانه، والمراجعة إلى سنته بعده، وبه استدلَّ ما في القياس، وقالوا إن الله تعالى أوجب ردّ المختلف إلى الكتاب والسنة دون القياسِ، وأجيبَ بأن الردَّ إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناءِ عليه بالبيان على الدليل والبرهان وهو القياس، ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وإطاعة الرسول فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إذ الإيمان يوجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرد ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّساء: 59] وعاقبة وأحسن تأويلًا من تأويلكم بلا رد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ عن ابن عباس أن منافقًا قد خاصم يهوديًّا فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف اليهودي ثم إنهما تحاكما إلى النبي ﷺ فحكم النبي ﷺ لليهودي فلم يرض المنافق بحكم النبي ﷺ وقالَ نتحاكم إلى عمر فقالَ اليهودي لعمر قد قضى النبي فلم يرضَ بقضائه فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قالَ: نعم، قال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل البيت وأخذ السّيف فخرج فضرب به عنق المنافق وقالَ: هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل فرّق بين الحق والباطل فسمي الفاروق فعلى هذا الطاغوت هو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بالطاغوت وتذكّر لأن الطاغوتَ اسم صنم ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 60] ويوصف الضلال بالبعد القائم بالعبد إشعار بأن بعد العبد من الرب لا

من العبد ولا من إبليس لأنهما ممكنان والممكن من حيث إنه ممكن كما أنه لا ينتفي الوجود ولا يقتضي شيئًا من التوابع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ فيما توجهوا ﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الكتاب وإلى ما فيه من التوحيد والموعظة والأحكام والقصص ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ﴾ أي يمنعون الخلق عن التعرض بك والإعراض عن حكمك ﴿صُدُودًا﴾ [النِّساء: 61] منعًا تامًا ودفعًا عامًّا هذه الجملة حال من المنافقين هو مصدر أو اسم مصدر وهو الضد والفرق بينه وبين السدان السدّ محسوس وهو غير محسوس.

تأويل وإشارة

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي ليس لغير المحققين من المكاشفين الجامعين لأركان الفقر وهي الكشف والشهود والحقائق وشهودها والتحقق بها وأطوار القلب السّبعة وإليها الإشارة بحروف الفقر وقد عرفتها حظ ونصيب وخلاق من ملك الفقر ومماليك التحقيق وآفاق حق اليقين في فردانيّة أدوار النور والجمال وأكوار الأطوار في تربية سلطنة الجلال من شهود الأسرار الإلٰهية ومعاينة تنوعات التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية في ملك مطلق الوجود والذات البحت ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: 53] يعني إذا غير هذا الطور الخفي الحَقي الجامع المحقق الدائر والعارف المدقق السائر في ممالك التحقيق والتحقق في فردانية أدوار الجمال والجلال نصيب كامل وحظ وافر شامل لا يعطي القوى الجسمانية والمبادىء النفسانية والأطوار الباقية والمدارك العقلية شيئًا قليلًا من الكشف الحقيقي ولا من الحقائق الإلٰهية ولا من الأنوار السبعة القلبية هي مقتضيات السبعة الأسماء الذاتية لعدم خاصتها إياها واندراج ما عدا الطور الخفي الحَقي في حيطته إشارة إلى شرط تحقق المرشد المحقق بكمال الجامعية وباتصافه لإفاضة على الطالبين أنوار التربية وأسرار الربوبية وأطوار التصرف بالنعوت الإلٰهية والجبروت الإلٰهية والملوت الكونية والجمعية الناسوتية التي هي مدار الخلافة العظمى والرياسة الكبرى والتصرفات التامة والتدبيرات العامة في الدنيا والعقبى

فربما يظهر هذه القدرة للعارف في نفسه من غير أن يظهر منها أثر في العين.

فإن العارف قد يتحقق بالأسماء الإلٰهية والنعوت الربوبية والتكوينات المتنوعة من الإبداع والإحياء والاختراع والترزيق والإماتة والجمع والتفريق وغير ذلك من إنزال المائدة وشق القمر وفلق البحر وطي الصحارى والبراري وقد يظهر منه هذه الأمور أما في هيئة معينة وبينة مبينة في مدة مخصوصة ومادة مرصوصة في طرق من الزمان وطوف من المحل والمكان وفي أشخاص متعددة وأفراد متبددة كالحضرة الخضروية والحقيقة المرتضوية، ومن كان له قدم راسخ وقدم ماسح فإن لهما بالأصالة أولًا وبالذات لغيرهما بالتبعية، وبالفرعية وبالجمعية نشأة غير متناهية وتصرفات إلٰهية وشؤونات متألهة في بداية الأدوار وآصالها بطريق الطهورات في الأدوار الفرعية والأكوار النوعية إن كانت على طريقة الاستكمال فهي المبرزات وإلا فهي التناسخ، وأنواعها أربعة: نسخ وفسخ ورسخ ومسخ، وهو لا يكون إلا في المركبات. وأما البرزات فهي أهم من التناسخ من وجه لاجتماعهما في الإنسان وافتراقهما في غيره، وأما الظهورات فهي أعم من البرزات وقوله عليه السلام: «**يا علي كنتُ مع الأنبياءِ سرًّا وصِرْتَ معي جهرًا**» يدل على الكل.

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النِّساء: 54] أي النعت الجامِع الذي يتحقق به الكاملون المكملون والحكمة والحصة الكاملة الغير الجامعة إشارة إلى عميم هذا النصيب أو إلى دليل أنه ممكن وإلى أن كل ممكن نوعي إذا تحقق في فرد من ذلك النوع لا بدّ وأن يتحقق ويثبت في سائر الأفراد والإلزام التحكم، ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ كناية عن الطور الخفي الحقي و﴿ءَالَ﴾ وهم الأطوار الباقية و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو الركن الكشفي و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ هو الركن الثاني الذي يعرف به الحقائق الإلٰهية والكونية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 54] هو الركن الثالث الذي هو الأطوار السبعة التي هي أعظم الأركان وهي المجالي للحقيقة المحمدية وأحكامها ولوازمها وخصائصها فمنهم من آمن به وعرفه في النشأة الأولى، ومنهم من لم يؤمن به وصد غيره عنه وكفى بجهنم سعيرًا في النشآت، إن الذين كفروا بآياتنا في النشآت في الأدوار الإلٰهية والأكوار الكونية سوف نصليهم نارًا أي نار القطيعة في النشأة الغير الجامعة كلما نضجت جلودهم أي تمت نشأة تبديلنا بدلناهم جلودًا غيرها أي نشأة أخرى ليذوقوا العذاب أي ليدركوا ألم تأسف ما فاتَ عنه من الكمالات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَزِيزًا﴾ مانعًا عنه إدراك ألم ما فاتَ في النشأة السالفة ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 56] عالمًا بما يحصل في النشأة الآتية ومن هذا ذهب جماعة من أصحاب العقول السخيفة والفهوم الضعيفة إلى التناسخ وهو عبارة عن انتقال النفس منطبعة من بدن عنصري إلى بدن آخر في الدنيا نشأة مخصوصة، فأما من قالَ إن النفس إذا انقطعت علاقته من البدن الدنياوي تعلقت إلى بدن آخر أخروي تكتسب من الأفعال البدنية والأفعال النفسانية والأحوال الروحانية من الإدراكات الحقة والأدعية الصالحة والأذكار الحسنة والأفكار الصائبة والأقوال الطيبة، فمن قال بالحشر والنشوء والبعثة وظهور الساعة وظهور قيام القيامة وبالأدوار والأكوار فالتناسخ بأنواعه ثابتة كما دلت عليه هذه الآية وقد وقع في سائر الكتب السماوية وأخبر عنه الأنبياء.

قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على طور أعمالهم فمنهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**»، وقالَ أيضًا: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**». وغير ذلك وحقبة التناسخ والبرزات إنما يتحقق بالأدوار والأكوار وأشار إليه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: 11].

قال النبي ﷺ: «**خلق الله آدم في سبعة آماد والأمد هو الدهر الطويل ونحن في الأمد الأخير**» والذين آمنوا وعرفوا بما ذكرنا في النشآت الإلٰهية والكونية وأدارهم الله في ممالك التحقق والتحقيق والمدارك الربوبية بالتشوق والتشويق.

﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [النِّساء: 57] ذاتية وصفاتية وأفعالية وآثارية إفرادية وجمعية وجمعية جمعية تجري من تحتها الأنهار، كلياتها أربعة: الصافي وهي عبارة عن التجلي الآثاري، واللبن وهو كناية عن التجلي الأفعالي، والعسل وهو عبارة عن الأسمائي، والخمر وهو كناية عن التجلي الذاتي، وأما التجلي الجمعي وهو عبارة عن الإحاطة الكلية والهيئة الجمعية التي لا يتحقق إلا في الكون الجامع والمظهر الكلي الرافع لكل ما وصلَ إليه من الأنوار الإلٰهية والعقول المجردة والنفوس العاملة والأملاك المدبرة والأفلاك الدائرة، فهو مختص في كل دورة بالإنسان الجامع للكل والعناصر الدائرة وما يتركب منها من المعادن والنبات والحيوان ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ بدوام شهود تطورات التجليات الإفرادية وبلِزام مشاهدة تنوع مقتضيات النشأة الكونية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ﴾ [النِّساء: 58] في الظاهر والباطن أما في الظاهر فهو من أمور الدنيا والصورة ومنها الإمارة والمناصب والعلوم المدونة المتداولة من الشرائع والأحكام، وأما في الباطن فهو العلوم الحقيقية الثابتة من الدهور والأعوام ولا يتبدل بحسب الدول والأنام والشهود والأيام، وأما الأحوال والمقامات العالية والتجليات الإلٰهية والمعارف والعلوم اللّدنية، فالخطاب إن كان عامًّا يشتمل جميع الأعيان النورية الجمالية، فإن في كل عين من تلك الأعيان قد أودعَها الله أمر يحتاج إليه غيرها، فإن الإنسان مدني الطبع يحتاج في تعيشه بغيره، فإن الصنائعَ والحرفَ كلها لا تتأتى من فرد واحد بل موزعة ومقسومة على جميع الأفراد، فكل صنعة وحرفة مخصوصة أمانة ووديعة من الله في صاحبها وكذا الأموال والأولاد فإذا لا بدّ وأن يرد إلى أهلها وهو الله.

وَمَا الـمَرْءُ إلَّا كالشِّهابِ وضَوْئِهِ　　يَحُورُ رمادًا بَعْدَ إذ هو ساطِعُ
وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إلَّا وَدِيعَةٌ　　وَلَا بُدَّ يَوْمًا أنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وكذا معرفة الله تعالى ومشاهدته ومعاينته والتحقق بأسمائه وَصفاته والعلم بطريقة ما وإدراك شرائطها وهي العبادة، وما يتوقف عليه العلم بالمبدأ والمعاد وهو الولاية والنبوة بقسميها التعريضية وَالتشريعية، أمانة ووديعة عند الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء، وإن كان خاصًّا فالمراد من الأمانة وهي هذه الأمور المخصوصة ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ يعني إن تنازعت القوى النفسانية والقوى الروحانية والمبادىء العقلية كالحواس الظاهرة والباطنة عن الحس السامعة والباصرة والذائقة واللامسة والشامة، والحس المشترك والخيال والواهمة والمتخيلة والمتصرفة والعاقلة والحافظة والذاكرة، فإن هذه القوى ربما تستعملها الواهمة وتحكم بالأحكام التي توافق غرضها وربما تستعملها القوة العاقلة وتحكم بها على الأشياء أحكامًا توافق مقصودها فكثيرًا يتخالفا في الأحكام فيتحاكما ويرجعا إلى القلب فيحكم بالرأي الصريح والنّظر الصحيح على ما تقتضيه النبوة والولاية، مثلًا أن الوهم بذريعة إدراك الباصرة والسامعةِ حكم بأن كل موجود لا بدّ وأن يكون في زمان ومكان لأن المواليدَ والعناصر والأفلاكَ كذلك، فإذن لا بدّ وأن يكون واجبَ الوجود كذلك أيضًا، والقوة العاقلة تحكم بأن هذه الموجودات لأنها ممكنة مركبة من الأبعاد الثلاثة

تكون كذلك، وأما واجب الوجود فهو ليس كذلك فلما تحاكما إلى القلب حكم بأن حكمَ القوة العاقلة حق وحكم القوة الواهمة باطل لأنه قياس الغائب على الشاهد وهو غير صحيح، إذ كثيرًا ما يتخلف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾ [النِّساء: 58] وينصحكم ويأمركم بالإعراض عن الإفراط والتفريط وعن المغالطات الوهمية والتخليط وخلط الأحكام والتخليط بالمتابعة للوحي والأنبياء والأولياء بقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّساء: 59].

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ من العلوم والإدراك والمكاشفات والمشاهدات ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن استطعتم بالمصاحبة بالله ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: 59] أي استصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فاستصحبوا مع من يصحب مع الله ليوصلكم بركات صحبته إلى الله من سره أن يجلسَ مع اللّهِ فليجلس مع أهل التصوف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المَائدة: 35]، ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ﴾ الرد وابتغاء الوسيلة ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ في العلوم النظرية والإدراكات الفطرية بطريق الاستدلال ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّساء: 59] في طريق الكشف والشهود والمعاينة، إشعار بأن الوهم كما يدخل في طريق النظر والاستدلال القوي كذلك يدخل في طريق الكشف والمشاهدة، فإن كثيرًا ما يتجلى إبليس على السالك ويحكم الوهم بأنه هو الله الذي هو خالقك ويعرض عليه ضياء ناره فيحكم القوة الوهمية بأنه هو نور الله وغير ذلك من المطالب الكشفية والمآرب القلبية الغيبية فإذن لا بدّ لك من ميزان إلهي وقانون ينوي لتطلع به على حقيقة الحال وحقيقة بتميز الحق من الباطل والتجلي الإلهي من التجلي الإبليسي والنور الرباني من النار الشيطاني وذلك أنّ الشيطان هو عين النقصان والعيب فإنَّ تجليه لا يمكن أن يكون سالمًا من العيب والنقصان سيما في أجزاء الوجه فإن وجهه لا بدّ وأن يكون نقصانًا سيما العين فإنه إما أعمى أو أعور أو أحول وكذا نوره يكون نارًا كمدرًا أو ذاتًا يمكن أن يُرى ذاته للسالك حقًّا ولا يمكن أن يريها محمدًا ولا شخصًا كاملًا وباطنًا صورةً ومعنى لأنه يُرى عن النقصان والشيطان لا يكون بريًّا عن العيب والنقصان وإن اللّهَ خالق الكمال والعيب والنقصان فعليك يا طالب الحق أن تطلب مرشدًا كاملًا مكملًا عالمًا بتمام أركان الفقر ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: 17].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ قَبْلِكَ﴾ من الأطوار السبعية القلبية ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ في النشأة في الأدوار والأكوار الخطاب إلى القلب الذي هو حصة من الحقيقة المحمدية التي ظهرت في النشأة العنصرية بالصورة الجمعية في الحصص العينية ومقتضى الغيبية وهي القلب ﴿يُرِيدُونَ﴾ أي النفس اللّوامة المنافقة والملهمة اليهودية أو الواهمة والمتخيلة أو النظرية والعملية أو المتصرفة والمتفكرة والعاقلة ﴿أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي النفس الأمارة ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي القوة النظرية التي تثبت بالقوة الواهمة والخيال ﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 60].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ أي النفس اللّوامة المطيعة للنفس الأمارة وقواها ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النِّساء: 61] ويعرضون، الخطاب إلى القلب الذي هو مظهر الحقيقة المحمدية.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَكَيْفَ﴾ أي كيف يكون حالهم وقت الامتناع والصد والمنع ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ كقتل عمر المنافقَ حيث يحاكم باليهودي إلى الرسول وحكم لليهودي ثم جاء إلى عمر كما تقدمت صورته، أو كنزول البلاءِ من الله تعالى أو حصول النعمة وحلول الشدة والمحنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب تقديم أيديكم ما يخالف من العباد للحق الصريح ولمقتضى العقل الصحيح والعدول عن مرتضى النقل الفصيح حيث انصرفوا إلى غيرك لعدم الرضاء بحكمك ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ بعد الإصابة بهم للاعتذار يحتمل العطف إلى ما هو القريب والبعيد حال كونهم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ﴾ أي ما أردنا بتلك المخالفة وصرف المحاكمة ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ وتفضيلًا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ [النِّساء: 62] بين الخصمين حين مجيئهم بمطالبة الدم من عمر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والمخالفة والشقاق فلا

ينفعهم الكتمان ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ وانصح إياهم ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي في معنى ثابت في أنفسهم في الخلوة والسر فإنه أنفع وأفيد وأنجع لكم في الظاهر والباطن ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مطابقًا لما يقتضي الحال والمقام من التجافي إلى تنفيس الكروب من ذكر العيوب وإلى تطييب القلوب من نوادر العيوب وتعليق الطرف تبليغًا على معنى ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النِّساء: 63] بلوغ تأثيره في أنفسهم في الغاية ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم الموصوف.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ الرسول فيما أمر ونهى وبيّن وأنهى ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وأمره أو إرادته ولسبب توفيقه لهم وجبره وتسويفه إياهم إليه فمن لم يطع الرسول ولم يرض بحكمه وقضائه فهو كافر باللّهِ العظيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من النفاق متصلين بالاعتذار عما ارتكبوا ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي اطلبوا مغفرة الذنوب وسترة العيوب بالإنابة والتوبة بالإخلاص والإيابة ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ واعتذروا إليك حتى يشفع لهم والعدول عن الخطاب لتفخيم شأن الرسول وتنبيه على أن من حق الرّسول أن يقبل اعتذار التائب واحتقار الحاضر والغائب وإن عظم أمره وعم جرمه وقدره ويشفع له إذ من شأنه أن يشفع لأصحاب الكبائر لقوله عليه السلام: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» الحديث ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ جواب لو شرطه محذوف يفسره ما بعده وهو جاؤوا أي لو جاؤوا إليك وقت ظلمهم للاعتذار وطلب الشفاعة لوجدوا الله ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 64] قابلًا تفضلًا عليهم بالرحمة وإذا كانَ وجد بمعنى صادف كان توابًا حالًا ورحيمًا بدلًا منه أو حالًا من الضمير فيه.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا صلة لتأكيد القسم لا لتظاهر وتناسب لا في قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾

لأنها تزاد أيضًا في الإثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد أي ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والأنسب والأولى أن يرتكب الحذف دون الزيادة بأن يقال تقديره فلا ينفع لهم الاستغفار لأنهم لا يؤمنون بالله العظيم ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أي يجعلونك حكمًا ﴿فِيمَا شَجَرَ﴾ واختلف واختلط اختلاط أغصان الشجرة ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ أي ضيقًا واضطرابًا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ وحكمت عليهم لغيرهم ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ وينقادوا لك ﴿تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: 65] انقيادًا تامًّا ظاهرًا وباطنًا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾ وفرضنا وأمرنا ﴿عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ وتعرضوا بها للقتل بالجهاد واقتلوها كما قتلوا بنو إسرائيل حين أمرهم الله لعبدة العجل ليظهر صدق كمال التسليم والانقياد أن مصدرية أو مفسرة ما قبلها ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ وفي هذه الحالة ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم المخلصونَ الذين سلَّموا نفوسهم إلى الله وفوضوا أمورهم إليه تسليمًا تامًّا وتفويضًا عامًا ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ ويؤمرون به من القتل والإخراج ﴿لَكَانَ﴾ ذلك القتل أو الإخراج عاجلًا وآجلًا ﴿خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّساء: 66] في الإضفاء وأمر الدين بحصول العلم اليقيني ونفى الجرح والشك نصب تثبيتًا للتميز وهذه الآية أيضًا مما نزلت في شأن المنافقين واليهود.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 67] جواب لمقدر كأنه قتل وما يكون لهم بعد التثليث إذ لو ثبتوا على ما أُمِروا به ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم﴾ وإذ جواب وجزاء.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النِّساء: 68] أي بيّنا لهم سواءَ السبيل للوصول إلى عالم القدس وحصول الأُنس للجن والإنس ويفتح لهم أبواب عالم الغيب لأهل الكمال والغيب. قال عليه السلام: «**من عمل بما علم ورّثه الله علمَ ما لم يعلم**».

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالهداية إلى الصراط المستقيم الموصل بمشاهدة لقاء الله والتحقق ببقائه ويفتح أبواب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط، وفي ترك ذكر الصلة ترغيب العابدين إلى الطاعات وترهيب الكاسلين الماردين عن الدركات ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ من بيان للذين أو حال منه أو من ضمير عليهم ولكل منها شأن رفيع ووجه وجيه بديع ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ وهم الذين استوت سرائرهم بظواهرهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ بالجهاد الأصغر في الآفاق والأكبر في الأنفس وقالَ أيضًا: موتوا قبل أن تموتوا قالَ النبي ﷺ: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**، قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس ومن قتلته فأنا ديته» ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ علمًا وعملًا صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: 69] في الدنيا والآخرة نصبه على التمييز أو على الحال.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء والإجزاء المذكور هو ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 70] أي حسبي الله عليمًا بالأعمال وبمقادير الفضل والجزاء وبالثواب والإجزاء وبمقادير الاستحقاق واللياقة والأهلية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ وكونوا منهم دائمًا على الحذر والاحتياط والترصد عن العدو والترقب والانضباط والحذر بكسر الحاء وفتحها كالأثَر والإثِر وهما الأسلحة وأدوات الحرب ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ واخرجوا إلى الجهادِ ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعات متفرقة جمع ثبتة من ثبت على فلان وتثبيته إذا ذكرت متفرقة محاسنه، ويجمع أيضًا على ثبين ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71] كوكبة واحدة، والآية وإن نزلت في الحرب لكن مقتضى إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات كلها كيف ما كانَ وأمكن قبلَ الفواتِ.

تأويل وإشارة

﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ أي كيف يكون حال القوى النفسانية أو النظرية إذا أصابتهم مجاهدة ورياضة صادرة من القوة العملية ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وهي النفس القابلة أو القوة الطبيعية ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ يا محمد الطور والخفي والحقيقة المحمدية الظاهر في مظاهر الأطوار السبعية القلبية بمظاهر الطور السري المسمى بالفؤاد فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ بذلك المنع ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا﴾ في الطور النفسي ﴿وَتَوۡفِيقًا﴾ [النِّساء: 62] إعدادًا وتهيئًا لأسباب اكتساب السعادات من المكاشفات والمعاينات والمشاهدات وإصلاح الأعمال والأفعال البدنية والنفسانية والروحانية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [النِّساء: 63] في خصوصية جمعية كل من الأطوار السبعة مع ما لها من القوى والمبادىء أو في أصل كل من الأطوار واستعداداتهم فأعرض عنهم وعن إصلاح أحوالهم، فإن هذا المقام وهو مقام الجمع وليس مقام الإصلاح، وعظهم وقل لهم قولًا بليغًا في التفهيم والإعلام والتعليم وهو أول مرتبة الإرث والتكميل في الطور القالبي وهو البطن الأول من البطون السبعة، فإن لكل لفظ وكلمة في كل طور من الأطوار السبعة وهي الطور القالبي والنفسي والقلبي السري والروحي والخفي والحقي وغيب الغيوب معنى خاص ومفهوم ناص.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ﴾ وتجلي أسْمَى منزلًا على المراتب والأطوار إلى إن بلغ غايته إلا ليطاع ويشاهد في المراتب استعدادات أصحاب المطالب، فيأمر كل طالب على ما يقتضيه استعداده وقابليته فإذًا لا بدّ وأن يطاع له يتعاهد إلا بإذن الله وإرادته وأمره في الإرشاد والتكميل في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية والجمعية الجمعية، فمن كان تصرفه فيه أتم وتأثيره وتنفيذ حكمه في الإرشاد والنصح والموعظة أتمّ كانت طاعته أعم، وهذا لا يكون إلا بإذن الله وإرادته ولو تسارعوا أي أعيان الأدوار النورية يبادروا إلى قبول الإرشاد والنصح والإعداد وقت ظلمهم وتجاوزهم عن الحد أطاعوا إلى أمر الله.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ عند توارد التجليات وتضاعفها ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النِّساء: 64] في تربية الاستعدادات وتدبير القابليات، فإن حق الإرشاد والتكميل

هو أن يتصرف أولًا في قابلية الطالب واستعداده بأن يتصرف في كل طور من الأطوار السبعة التي هي فيه ويجعله مستورًا لفيض يناسبه مثلًا في الطور القالبي يأمره بأداء العبادات وإخلاص الطاعات، فحينئذ يستعد لأن يشاهد صفاء الطاعات تهيئة النور الأخضر ونفسها بصورة العمارات العالية الغالية، والآيات والتكبيرات والتسبيحات المفردة بالماء الجاري والأنهار وغير ذلك.

وفي الطور النفسي يتمثل الطاعات والعبادات بصور الحيوانات الشريفة كما أن الصلاة تتمثل في طور النفس تارة بصورة الفرس وأخرى بصورة الإبل بالجهاد، فحينئذ يتصرف أولًا في نفس قابليته واستعداده ليجعله مستعدًّا لأن يشاهد المعاني بصور المحسوسات والأنوار بأن يشاهد صفاء الصلاة وصورة معاني قراءتها بالنور المركب في مرتبة القلب، والطور القلبي يشاهد الذكر وصفاء معناه بالبحر وصورة الصلاة وهيئة جمعيتهما بالصورة الكاملة البشرية وبصورة النور الأبيض.

وفي الطور السري يتصرف فيه بذريعة الذكر الخفي، وفي قابليته أن لا تستعد بشهود تجلياته بصور الآثار وهي الأجسام، وفي الطور الروحي يتصرف فيه لِيُشاهد التجلي الرباني بصور التكوين الإبداعي والتدوين الاختراعي والأفعال الربية وفي الطور الخفي يتصرف فيه لأن يشاهد التجلي الأسمائي والصفاتي الذاتي كالعلم والحي والقدرة والإرادة والسّمع والبصر والكلام، وفي طور غيب الغيوب يتصرف فيه لأن يشاهد العدم الذاتي والفناء الأولي، وهكذا يتصرف إلى أن يبلغ في الأدوار والأكوار مقام الجمع وجمع الجمع ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ﴾ ويؤمرون به ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في النزول والعروج في التحقق والتخلق والتيقن في الشريعة والطريقة والحقيقة ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّساء: 66] في مقام الجمعية.

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 67] أي تطورات ظهور الصورة الجمعية وتنوعاتها علمًا وعينًا صورة ومعنى، فحينئذ يتحقق بحياة لا موت لها ويعلم بلا جهل ووجود بلا عدم. ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النِّساء: 68] أي علمًا حصوله عليها ترتبًا أبديًّا تطورًا بعد تطور وتنوعًا بعد تنوع من الأدوار والأكوار.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ أي التجلي الذاتي الجامع لتمام التجلية الأسمائية والأفعالية والآثارية بالفناء الكلي والجزئي ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ أي التجلي الوصفي

الجامع لتمام الأوصاف وهو العلم والشهود والإدراك الحضوري ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين حازوا قصب سبق التجليات في مضمار مدارك الشهودات ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النِّساء: 69] أي الأطوار الذين استكملوا في مشاهدة الشهود واستبقوا غيرهم في الاستكمال في الدورة العظمى النورية وهم الذين فازوا بكمال رتبة العلم والعمل وجازوا درجاتِ الإرشاد والتكميل والصديقين الصاعدين في مدارج غاية الاستكمال حيث استجمعوا مراتب النظر والاستدلال على طريقة أرباب الكشف وَالشهود وهم الذين انتقلوا من مرتبة الكثرات إلى مرتبة الوحدة ثم يرجعوا من الوحدة إلى الكثرات ومنهما إلى الصورة الأحدية الجمعية بينهما بحيث لا يحتجب بالوحدة عن الكثرة ولا بالكثرة عن الوحدة، وعلى طريقة أصحاب الرسم والحدود وهم الذين انتقلوا من الصغرى إلى الكبرى إلى كيفية اندراج الأصغر تحت الأكبر وانطباق الأصغر على السير إلى الله وانطباق الأكبر على السير في اللَّهِ ثم إلى اجتماعهما في السير في اللَّهِ، والشهداء الذين بلغوا في مضمار الجهاد إلى غاية الصدق والوداد، والصالحين الذين بلغوا نهاية القبول علمًا وعملًا وصفاءً وذاتًا، أو المراد من الأول وهو التجلي الذاتي ومن الثاني التجلي الوصفي الفعلي ومن الرّابع التجلي الآثاري ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: 69] في السير في الله في الأدوار النورية والأدوار الظلية بالتجلي الصوري الجمعي بصورة الإنسان الكاملي الجامع.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 70] بأحوال العباد السائرين في اللَّهِ ومن اللَّهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الدورات ومدارك الكورات الإفرادية والجمعية ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ من التقيد والتقلد بمرتبة واحدة وحالة متحدة أو من دورة وكورة معينة ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 71] إشارة إلى أن السائر إلى الله لا بدّ وأن يبتدىء بكامل مكمل مرشد فاضل ممدّ كما قال عليه السلام: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**» الحديث. ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: 17]، ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: 72]. قال عليه السلام: «**سيروا سبق المفردون**».

تفسير

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ أي أن بعضًا منكم يا أصحاب محمد ﷺ وجنوده المؤمنين والمنافقين ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ يتعللن ويتكاسلن من البطوء وهو ضد السرعة أي يظهرنَ البطوء والكسالة فيتخلفون عن الجها، وعبد الله بن أبي سلول ومن تابعه من المنافقين وغيرهم وقد تخلفوا يوم أحد من جنود المسلمين، اللّام الأولى للابتداء أدخلت على الاسم للفصل بالخبر، والثانية جواب القسم وتوطئة محذوف القسم بجوابه صلة منه، والراجع إليه ما أسكن في العقل أي وأن بعضكم لمن أقسم بالله إني ما تركت الجهادَ ولا قصدت الترك بل استبطأت وتكاسلت ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من قتل أو هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطىء بعد التخلف ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ وأحسن وتفضل لديّ في هذه الحالة ﴿إِذْ لَمْ أَكُن﴾ أنا ومن تابعني ﴿مَّعَهُمْ﴾ أي مع المجاهدين علّة للإنعام ﴿شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 72] حاضرًا معهم فلو كنتَ معهم ليصيبني ما أصابهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ﴾ وغنيمة وفتح ﴿مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ﴾ أي ولمن ليبطئنّ لأن مَنْ بمعنى الجماعة ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ﴾ أي المبطىء ﴿مَوَدَّةٌ﴾ سابقة ومحبة واثقة جملة اعتراضية بين القول والقول وهو ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ في هذا الجهاد المربح والقتال والحرب المفزع، وذلك لأنّ المنافقين يتحابّونَ المؤمنين، فلما تخلفوا من المؤمنين انعطفت المودة بينهم فتمنوا المودة والمحبة والمعية ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا﴾ وأظفر بهم ظفرًا ﴿عَظِيمًا﴾ النِّساء: 73] تنبيه على فرط تحسرهم وشدة ندامتهم.

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المؤمنون المخلصون الباذلون نفوسهم وأموالهم في

طريق الحق وإظهاره في طلب مرضاة اللّهِ وحسن رضائه ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ويبدلون متاعها ﴿بِٱلْآخِرَةِ﴾ ونعيمها ولذاتها ﴿وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ خالصًا مخلصًا فحاله دائرة بين أمرين هما ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ من قتل شهيدًا أي قاتل وغالب على المخالفين وهما مطلوبان ﴿فَسَوْفَ﴾ نصليه وندخله الجنة و﴿نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 74] وهو لقاء الله والتحقق ببقائه أو سعادة الشهادة.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون المخلصون إذا كانت حالكم على هذا المنوال ﴿لَا تُقَـٰتِلُونَ﴾ ولا يسعون في الجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما لكم استفهام مبتدأ والفعل الذي بعده خبره ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف أما على الله أو على سبيل الله على الحذف أي في خلاص المستضعفين من أيدي الكفرة الظلمة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ﴾ المستضعفين ﴿يَقُولُونَ﴾ وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين حتى بلغ الصبيان وهو جمع ولد ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 75] فاستجاب الله دعاءهم بالخروج أو بفتح مكة على سبيل منع الخلق فولاهم الرسول ونصرهم والظالم أهلها من قبيل صفة جرت على غير من هي له.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حق الإيمان وهو الإخلاص الخاص واليقين الناص ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ابتغاء لمرضاة الله ليصلوا به إلى شهود لقائه والنظر إلى جماله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله وبما جاء ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ ليبلغوا به إلى الشيطان ولذا أمر بالمقاتلة بأوليائه بقوله ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ وهم الذين يتولّدون منه أو يبايعونه من الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112] ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ

كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: 76] فلا يعتاد به فلا يتركوا القتال لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ولمن يصلح لأن يخاطب به ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ أمر منه يكفوا أكفًّا وهو المنع، وإنما سميت الكف كفًّا لأنها آلة المنع عن صاحبها وعن غيره لقوله عليه السلام: «**خير الناس من كفّ فكه وفكّ كفه**»، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ واستعلوا بما أمرتم به من أمرين ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ وفرض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ﴾ كان ﴿مِّنْهُمْ﴾ من المؤمنين ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ الكفارَ أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أن ينزل عليهم بأسه وبلاءه إذا للفجاءة أو للظّرفية بمعنى الوقت وعلى التقديرين جواب للمّا، وفريق مبتدأ، منهم صفة، يخشون خبره على التقدير الأول أو خبره كان المقدر على التقدير الثاني، وكون الظرف مضاف إلى عامله وهو كان المقدر، يعني المصدر، أي كتب عليهم القتال وقت كون فريق منهم ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول وقع موقع المفعول المطلق أي خشية هي كخشيتكم عن الله والحال عن فاعل يخشونَ ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ عطف عليه إن جعلته حالًا وإن جعلته مصدرًا فلا لأن أفعل التفضيل إذا نصب ما بعده فيعم لمن يكون من جنسه فيكون في حكم شيء واحد فلا يجوز العطف بل هو عطف على اسم اللّهِ أي كخشية ﴿أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ على تقدير الفرض اللهم إلا أن يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده يعني يخشونَ النَّاسَ خشية مثل خشية الله أو أشد خشية من خشية الله ﴿وَقَالُواْ﴾ أي الضّعفاء من المؤمنين ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ يا محمد في جوابهم ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ حقير سريع الزوال وسريع الانتقال ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ وما فيها من نعيمها ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: 77] أي ظلمًا يكون في العلة والضعف كالفتيل الذي يوضع في السراج أي شيء دقيق كالخيال الذي يكون في النواة وهو كناية عن نفي الظّلم مطلقًا.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ متصل بلا يظلمون ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ وحصونٍ وسور مرتفعة ووثيقة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد ذلك كما قالَ قوم موسى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا: لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى وبمن معه ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ من الخيرات والشرور والحسنات والمنافع والضرر ويبسط ويقبض ويهدي ويضل وينفع ويضر ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 78] أي لا يدركون من القرآن ومعانيه شيئًا لا قليلًا ولا كثيرًا.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿مَّا أَصَابَكَ﴾ يا آدم وبنوه ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة وطاعةٍ وعلم ودراية ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ تفضلًا وإحسانًا ومنة فإن كلما يفعله الإنسان وأفراده من الطاعات والخيرات لا يكافي نعمة الوجود وما يتبعه فكيف يقتضي غيره ولذلك قالَ عليه السلام: «**ما من أحد يدخله الله الجنة إلا أن يرحمه الله**» قيلَ ولا أنتَ يا رسولَ قالَ: «**ولا أنا**» ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ من البلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النِّساء: 79] لأنها السبب فيها لاستحلالها بالمعاصي وهو لا ينافي قولَه: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النِّساء: 78] فإن الكل منه إيجادًا وإيصالًا إلا أن الحسنة إحسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام أو لأن النفس مظهر السيئة إذ لولاها لما ظهرت السيئة بل الحسنة لما تفرد من أن الأشياء تتبين بأضدادها ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ﴾ بأجمعه ﴿رَسُولًا﴾ مبلغًا لأحكام الله وخطابه ومظهر الأعلام كنايةً لإظهار الهداية وإفشاء العناية لا هاديًا موجدًا للهداية كما خلق الشيطان مزينًا لا مضلًّا ومقتضيًا للضلالة. قالَ عليه السلام: «**بُعِثتُ مُبلِّغًا**». وليس من الهداية إليّ شيء كما خلق إبليس مزينًا وليس من الضلالة إليه شيء ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 79] على إرسالك وصدق مقالك

بنصب المعجزات وجذب البينات وجلب الآيات.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ لأنه مبلغ والأمر والنهي من الله. قال عليه السلام: «**من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع اللّه**»، وقالَ المنافقونَ: ألا تستمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد فارق الشرك وهو ينهى أن يعبد غير اللّهِ، ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربًّا كما اتخذت النصارى عيسى. فنزلت ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة فأعرض عنه ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النِّساء: 80] يحفظ عليهم أعمالهم ويحاسب لديهم أحوالهم بل العرض هو التبليغ فما على الرسول إلّا البلاغ.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ﴾ في تبليغ الأحكام بأمر الله هو أي التبليغ ﴿طَاعَةٌ﴾ لأمر الله وإجابة لداعيته أو ما ظهر منه من الإبلاغ والامتثال والانقياد طاعةً ومطاوعة وإطاعة وأصلها النصب على المصدر إنما أطعناك طاعة وإطاعة ونحوه قول سيبويه أي أمرنا وبيان طاعة يقال كيف أصبحت فيقول حمدًا لله وثناء عليه كما يقول سمعًا وطاعة، أي شأني وأمري سمع وطاعة وحمد وثناء ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾ وخرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ من مجلسك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ ردت وسوت ﴿مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ خلاف ما قلت ما أمرتُ به أو خلاف ما قالت وما قلت منه الطاعة لأنهم بطنوا الرّدَ القبول أو العصيان لا الطاعة وإنما ينافقونَ بما يقولونَ ويظهرونَ خلاف ما يبطنونَ والتبييت منه البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل، يقال: هذا أمر بيت بليل ودبر فيه، وأما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النِّساء: 81] يثبتونه في صحائف أعمالهم وتحاربهم عليه على سبيل الوعيد وبكتبه في جملة ما نوحي إليك فيطلعك على أسرارهم فلا تحسبوا

أن إبطالَهم يغني عنهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجدي نفسك بالانتقام منهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في شأنهم، فإنَّ اللَّهَ يكفيك مضرتهم ومذلتهم ومنتقم لك إذا تقوى أمر الإسلام وعن الضارة ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النِّساء: 81].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ حق التدبر ويتبصرون ما فيه من الأحكام والتوحيد والمواعيظ والحكايات والقصص وغيرها وأصل التدبر والنظر في الإدبار من الليل والنهار والتهيؤ لإدراك في الغيب والإشهاد والإحضار ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ القرآن خارجًا صادرًا ﴿مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ من الجن والإنس والملك والفلك ذي الحس ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 82] من التناقض والمجادلة والتعارض في الأحكام والتفاوت في الفصاحة والبلاغة ورحبتهما قوة وضعفًا وذلك لاختلاف حقائقهم وخواصهم ولوازمهم الذاتية وخصائصهم العرضية فبالضرورة لا بدّ وأن يكونَ لوازمهم الوجودية أيضًا مختلفة وأما عدم الاختلاف على تقدير كونه من اللَّهِ فلأن الكلام وإن كان آخر الصفات الذاتية إلا أن لكونه لازمًا للذات الواحدة والحقيقة البسيطة المتحدة لا بدّ وأن يكون أمرًا واحدًا نوعيًّا إذ كل ما هو خارج عن البسيطة لا بدّ وأن يكونَ واحدًا على نهج واحدٍ لما تقرر أن الواحد لا يصدر منه إلا واحد من غير أن يقع فيه اختلاف في الفصاحةِ والبلاغة بأن يكون بعض منه في حد الإعجاز والبعض الآخر أدنى منه فإن قلتَ أليس نحو قول: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107]، ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: 10]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 92]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: 39] من الاختلاف قلت ليسَ باختلاف عند المتدبرينَ إذ هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطانَ للأمور، وكانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول اللَّهِ من أمن وسلامةٍ أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة، وأما ما وقع من النسج واختلاف الاختلاف فهو لأمر راجع إلى الممكن بحسب اختلاف الحكم والمصالح على ما يقتضيه اختلاف أحوال الخلائق في القرون والأعوام.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ خبر ينبىء عما يوجب الأمن والأمانَ أو الخوف في ترك الإيمان ونقض العهود ورفض الإيمان والتصدي إلى المخالفة والعصيان ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ وأفشوا وأظهروه الإذاعة وهي الإفشاء والإظهار وكما فعله قوم من ضعفاءِ المسلمين في بداية الإسلام كما في إفشائهم وإظهارهم مفاسدَ كثيرة وقد أخبرَ الرسول عنه بطريق الوحي فإن قيل: ما المناسبة بين قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ [النِّساء: 82] إلخ وبين هذه الآية؟ أجيبَ: بأن هذه الآية كالدليل له بأن الأمر الذي فشى وظهر من الأمن والخوف بين المسلمين وكانَ إخفاؤه من أوجب الواجبات وأهم المسلّمات وقد أذاعه وأفشاه بعض منهم وخالفهم في هذا الأمر وكذلك لو كان القرآن من غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا كما وقع في الإذاعة والاستبطان ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ قبل الإفشاء ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ من كبار الصحابة أو الأمراء الأمناء ﴿لَعَلِمَهُ﴾ ذلك الخبر على أي وجه يذكر أولو الأمر منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ ويستخرجون تدبيره وبتجارتهم الصحيحة وأبصارهم الصريحة منهم أي من عند سدّ أنفسهم لا من غيرهم ويعرفوا أنه هل مما يذاع ويفشى علمه من جهتهم ومن تلقاء أنفسهم وأصل الاستنباط هو إخراج النبط أي الماء الذي يخرج من البير أول ما يحفر ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بإرسال الرسول وإنزال الكتب وإظهار السبل وعلى كل سبيل شيطان ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: 83] منكم قد فضل الله عليه بعقل صريح ونظر صحيح اهتدى إلى الحق والصواب وعصمته عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل ورقة بن نوفل.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يا محمد أنت بنفسك ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا﴾ فعل ﴿نَفۡسَكَۚ﴾ [النِّساء: 84] لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم عن الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله

ناصرك هوَ بجنوده المعنوية وعساكره القدسية فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها. روي أنه عليه الصلاة والسلام دعا الناسَ في بدر الصغرى إلى الخروج فكره بعضهم فنزلت وما تابعه إلا سبعون كما مر في سورة آل عمران الحكاية من الذين قالوا إن أبا سفيانَ قد جمع الناسَ إليكم كما قالَ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: 173] الآية ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المخلصين التائبين على الإيمان على القتال فقط إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني قريشًا كما مر منه أنه لما وصلَ إلى المسلمين خبر أنهم قد جمعوا وأرادوا القتالَ بعدَ هزيمة المسلمينَ في وقفة أحد فكف الله بأسهم وفتنتهم عنهم على مخالفتهم بأن قذف في قلوبهم الرعب حتى رجعوا وهزموا من غير سبب ظاهر ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النِّساء: 84] هذا تفريع وتوبيخ على من لم يتبعه في بدر الصغرى.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

و﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرًّا وجلب له نفعًا ابتغاءً لمرضاة اللّهِ، ومنها الدعاء لمسلم. قال عليه السلام: «**من دعى لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب لهم، وقال له الملك ولك مثل ذلك**»، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ جزم به بأنه جزاء لمن المتضمنة لمعنى ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من وزرها مساوي القدر لها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النِّساء: 85] مقتدرًا من أقات على الشيء أي قدرًا وشهيدًا أي حافظًا من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه عن التلاشي ويفرق الأجزاء وبخلالها.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النِّساء: 86] الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منها فإنه إذا قالوا السلام عليكم أجابوا عليكم السلام ورحمة اللّهِ، أو رده بعينه بأن قال عليكَ السلام. قالَ النبي ﷺ: «**السلام تحفة لملتنا**» وأما في الدنيا التحية في

الأصل مصدر حياك الله على الإضمار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك قيلَ المراد هي العطية والهدية وهو قول قديم للشافعي.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر أي الله مبتدأ ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ جزاء الله والله ليحشرنكم ويجمع أجزاءكم الأصلية في قبوركم إلى يوم القيامة وهو قيام من القبور فلا إله إلا هو اعتراض ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ أي في اليوم أو في الجمع أما حال من اليوم أو صفة المصدر ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النِّساء: 87] إنكار أن يكون أحد أكبر صدقًا إن كانَ من مقولة الكم أو أشد صدقًا إن كان من مقولة الكيف كاليقين فإنه يقبل الشدة والضعف فإنه يتطرق الكذب إلى خبره بوجه من الوجوه لأنه نقص يجب تنزيه اللهِ تعالى عنه.

﴿۞فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ واختلفتم في شأنهم وصدق نفاقهم وثبوت شقاقهم وكمية فرقهم فهم يكونوا ﴿فِئَتَيۡنِ﴾ وفرقتين ولم يتفقوا على كفرهم وذلك أن ناسًا منهم استأذنوا رسول الله في الخروج إلى البدر فلما أخرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمين في إسلامهم الجار والمجرور حال من فئتين ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾ ردهم وأعادهم إلى حكم الكافرين أي ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ أي بسبب كسبهم واكتسابهم أسباب الكفر والنفاق ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النِّساء: 88] إلى الله والإيمان.

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩﴾

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ وتمنوا أن يكفروا ككفرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ منهم ﴿سَوَآءٗ﴾ [النِّساء: 89] في الكفر والضلال عطف على الكفر ويجوز أن ينصب على

جواب التمني ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا حقيقة الإيمان بهجرة يكون لله ورسوله لا لغرض آخر وسبيل الله ما أمر الله بسلوكه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وأعرضوا عن الإيمان الظاهر بالهجرة أو عن إظهار الإيمان ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أسارى صغارهم ونساؤهم ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ ذكورهم الكبراء ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ كسائر الكفار الخلص ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 89] أي لا تقتلوا منهم لا ولاية ولا نصرة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ استثناء من فخذوهم خزاعة ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ كافين عن قتالكم وقتال قوم بينكم وبينهم ميثاق عطف على يصلون ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي حال كونهم ضيق الصدر وجلة السر والفؤاد والقلوب والأعيان أو لأن أو كراهة ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوي قلوبهم بأن يقذف الرعب والخوف والرهب فيكم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ ولم يكفوا عنكم ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾ ولم يتعرضوا لكم ﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ والاستسلام والانقياد ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 90] بالأخذ والقتل والنهب.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ هم بنو أسد وغطفان أو عبد الدار وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا إلى قومهم ومنازلهم كفروا ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الكفر والضلال ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ وعادوا إليها

وتمنوا عليها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ ولم يتعدوا عنكم ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ ولم ينقضوا إليكم العهد ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم والتعرض إليكم ظاهر ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حيث تمكنتم منهم وصادفتموهم فإن مجردَ الكف لا يوجب نفي التعرض ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 91] أي حجة واضحة ومحجة صريحة لائحةً بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم ومعاندتهم أو تسلّطًا ظاهرًا حيث أذن لكم في قتله.

تأويل وإشارة

التدبر هو التفكر الكشفي والتبصر الشهودي الذي يتحقق من القوس النوري الجمالي الوجودي الذي يكون صريحًا والقوس الظلي الجلالي الذي يكون ضمنًا، ومن القوس الظلي الذي يكون فردانية كورتها صريحًا وفردانية دورة النور والوجود ضمنًا وإذا تمت دورة السالك العارف في الأدوار الأربعة النورية الإفرادية والجمعية وفي الأكوار المربعة الظلية الإفرادية في الكورة الجمعية حصلَ عنده حالة كلية إحاطية وهيئة جمعية حاوية على ترامي الأدوار والأكوار بحيث ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3] وهذه الحالة يختص بهذه الجمعية الذاتية والأسمائية والصفات الإلٰهية فلو كانت من غيرها لوجدوا فيها اختلافًا كثيرًا فإن اقتضاءِ الاسم الواحد نظرًا إلى المراتب يختلف مثلًا أن مقتضى العلم الذي هو عين الذّات في المرتبة الواحدية وعالم الجبروت هو الإدراك الحضوري والعرفان الشهودي على وجه تكون مقتضيات سائر الأسماء والصفات من التعينات الغيبية وهي الجواهر المجردة وأنواعها وهو التعقل والتوهم والتخيل والشعور والإحساس وكذا التعينات الروحية وهي الأرواح والنّفوس المدبرة والتعينات الشبحية وهي المثل النورية والأرباب النوعية والتعينات الشهادية والأجرام السماوية والأجسام السّفلية وما يتركب منها وهي المواليد الثلاثة في تلك المرتبة الكلية هي عين العلم وإن تميزت كل منها عن الآخر تميزًا علميًّا ويجتمع في هذه المرتبة في المظهر الناسوتي ويطابق ما كانَ في تلكَ المرتبة على وجه لا يتخلف عنها أمنه المكونات الأزلية ليختلف فالاختلاف لا يكون إلا في مرتبة لا يكون فيها تلك الحالة الجامعة.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ من المراتب الغير الجامعة اقتضاء العلم في غير تلك المرتبة ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 82] فإن علم أعيان العلم حسب المراتب وكذا علم أفراد الإنسان في المراتب الجزئية يختلف ويتغاير وإذا جاءهم أي الطور القالبي والنفسي والقلبي أمر أي تجلي إلهي وجذبة ربانية أذاعُوا به أي أخفوه إشارة إلى أن الواجب على السالك العارف صاحب الأحوال والمقامات هو الإخفاء لما ورد من الله تعالى سواء كانَ امتنانيًّا أو وهبيًّا.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي المرشد العارف بتمام أركان الفقر وهي المكاشفات والحقائق الإلٰهية والأطوار السبعة القلبية ﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النِّساء: 83] أي الذي كان عندهم بعض من هذه الأركان، أما الأولى فهيَ إنما تكون لمن أفنى الله تعالى من جميع العلائق والعوائق وجرده عن الحجب النورانية والظلمانية ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعَام: 94] الآية إلخ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**». يا موسى ما ألجأت الفقراءَ إلى الأغنياء فإن خزائني خزائن عليهم وإن رحمتي لا تسعهم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ الامتنانية وهدايته الذاتية وجذبته الرحمانية ورحمته الواسعة التي لم تبعهم ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [النِّساء: 83] المضمر فيكم بمجاري الدم في عروقكم الذي يدخل فيكم من بين أيديكم ومن خلفكم وعن أيمانكم وعن شمائلكم ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحِجر: 42].

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يا حقيقة السر المحمدي ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الأدوار الإفرادية النورية الوجودية الصريحة والكورة الظلية العدمية الضمنية ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ﴾ أي الذات الجامعة للأسماء والصفات النورية الجمالية تمنع بأس الكفار الّذين كفروا واندرجوا في الأدوار والأكوار الإلٰهية والكونية وجمعيتهما الإفرادية وجمعية الجمعية لانحصارها على الجمعية المذكورة تحت الظل والجلال ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ أي الذات الجامعة للأسماء النورية والظلية الجمعية أكثر معاندة وأوفر مخالفة وقهر الجمالية والأسماء الظلية الجلالية الإفرادية المفردة ﴿أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أحق لتمام الأعيان النورية الإفرادية ولجميع الأكوان الظلية الإفرادية المفردة ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النِّساء: 84] أي الذات مع الأسماء النورية والظلية الجمعية

الجمعية أكثر معاندة أوفر مخالفة وقهرًا.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ إشارة إلى جهاد التابعين من ابتدرهم الفقراء والعلماء الوارثونَ إرشادهم فإن كانوا كاملين في رتبة الإرشاد والتكميل فشفاعتهم حسنة وحينئذٍ يكون له نصيب فيها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ [النِّساء: 85] لكونهم ناقصينَ في أنفسهم وتكميل أجزائهم وجوارحهم وهي في الحقيقة أعيان أمة الكاملين ومريديهم. قالَ النبي ﷺ: «**تعرض الأعمال على الأنبياء والآباء والأمهات يفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا**». ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ لا تؤذوا أمواتكم إن الميتَ يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النِّساء: 85] ثابت في العين مقيتًا ﴿مُّقِيتًا﴾ [النِّساء: 85] في الإنزال والإيصال والعروج والإيصال وقد ذكرنا آدابَ المرشدين الكاملين المكملين وشرائط الإرشاد وأركان التكميل فليطلب ذلك في موضعه.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ أي أعطيتم يا أيها الأطوار القلبية أو أعيان الأدوار أو المؤمنون الكاملونَ المكملون بتحية من التجليات الإلٰهية والمعارف وتضاعف الإدراكات الغير المتناهية، فإن كل معنى وصورة ينزل من عرش الأحدية الجمعية إلى أرض استعداد القلب فلا بدّ وأن ينعكس ويعود إلى ما كانَ عليه في الفطرة الأولى مع حلية جلية وتحية سنية ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ وأفضل وأبين منها كمًّا وكيفًا بالتعديل أو ردوها على وجه كان عما كان عليه في الفطرة الأولى في الدورة العظمى والدورة العليا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نازل عارج وأمرها بط ودارج ﴿حَسِيبًا﴾ [النِّساء: 86] وحافظًا ما يلفظ من قول الأبدية رقيب عتيد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].

﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾ [النِّساء: 87] أي انقضاءِ فرداريّة الاسم الإلهي وانتقالها إلى فردانية اسم آخر فحينئذ تظهر الساعة وتقوم القيامة وينتقل طور الدنيا إلى طور الآخرة وطور الآخرة إلى طور الدنيا في فرداريّة ذلك الاسم وحينئذٍ يشاهد جميع ما وقع في فرداريّة الاسم المذكور في هذا اليوم من الأزل من الأبد فخطاب قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾ [النِّساء: 86] يجوز أن يكون إلى أعيان الأدوار الجمالية وإلى الأكوار الجلالية إلى المجموع أي الأطوار والأدوار معًا، فإن كل طور من هذه الأطوار الأربعة العالية ينسب إلى دورة وكورة منهما، وكذا

كل تجلي من التجليات الأربعة الكلية التي هي الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية منسوبة إلى الأطوار الأربعة العالية وإلى الأدوار النوعية النورية بأن يكون أعيان تلك الأدوار الدورة منه مقتضى جنس أثر ذلك التجلي والطور بأن تكون أعيان الدورة العظمى النورية أملاكًا عاليةً وجواهر عقلية نورية وكذا يكون لهذه الدورة أفلاكًا نورية ولهذه الأفلاك حركات عقلية وهي النفقات والإدراكات العقلية وأعيان الدورة الكبرى النورية هي الأرواح والنفوس العاملة، ويكون لهذه الدّورة أفلاك روحية ولها حركات كونية وأعيان الدورة الوسطى هي النفوس المنطبعة والطبائع وأرباب نوعية ومثل نورية وأشخاص خيالية ولها أفلاك وسماوات برزخية ولها حركات خيالية، وللدّورة الصغرى أيضًا أعيان جسمية ولها أفلاك وسماوات عاشقة ولها حركات نقلية، ولكل من هذه الأدوار رب ومرب وهو اسم من الأسماء الذاتية، فرب الدورة العظمى وهو العليم، ورب الدورة الكبرى هو الحي، وللوسطى هو القدير والصغرى هو المريد، ولكل دورة من هذه الأدوار مدة معينة كما علمت ودنيا وآخرة، وإذا انقضى مقتضى الدّورة انتقلت الفرداريّة من تلك الدورة إلى دورة أخرى وانقلب طور في تلك الدورة إلى طور آخرتها وبالعكس، فتقوم القيامة وتظهر الساعة، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87] إشارة إلى أن في كل دورة من هذه الأدوار بعثة رسل وإنزال كتب، وإن القابل والمتكلم في كل دورة إفرادية وجمعية نورية أو ظلية هو اللّهَ، وإن الاختلافَ والخلافَ لا يكون إلّا في الأدوار المعكوسة وعكس الدورة النورية إنما الكورة، فإن مقتضى النور والجمال يخالف مرتضى الظل والجلال، فإن كان أحدهما صادقًا يكون الآخر كاذبًا وإن كانَ مؤمنًا كانَ الآخر كافرًا كما في الحديث: «**ما منكم إلا وله قرين من الجن** قالوا: وإياكَ يا رسولَ الله قالَ: **وإيايَ إلّا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

فكما ظهر في الدورة النورية الجمالية في شخص واحد بل في تمام الأشخاص الإنسية والجنسية وغير ذلك من الأعيان النورية الجمالية والجلالية من الأقاويل والأفاعيل والحقائق والأباطيل والأصداق والأكاذيب والأفكار الفاسدة والخيالات الكاسدة والتوهمات وأضغاث الأحلام وغير ذلك فهو من مقتضيات الأدوار النورية الظلية، أما الحق والخير والصواب والصدق والأفكار

والخيالات وما أشبهها فهو مِنَ مقتضى النور إن كانت فردانية النور صريحًا ومرتضى الظل ضمنًا وإن كان بالعكس فبالعكس وإنما مقتضى الظل والجلال شرًّا وكذبًا وخطأً وفسادًا فهو بالقياس إلى أنه يخالف مرتضى النور والجمال وإلا بالنظر إلى أنها مقتضى الظل والجلال فهي خبر وصدق وصواب وحسن وإن كلما ظهر في الدورة النورية من الخير والشر والنفع والضر وغير ذلك من المفهومات المتقابلة، فهي أطلال لما سبق من الأدوار وما فيها من الأعيان وما صدر منها وما ظهر فيها صريحًا من الأكوار وما تحقق فيها ضمنًا فكلما ظهر في الدورة والكورة السابقة فهي تعبير لما صدر في الدورة السابقة فتعرض على فاعلها في قيامتها الكبرى «**إنما هي أعمالكم تُرد عليكم**»، لا ضايع ولا عبث في الوجود ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 1، 3] وقس على هذا، فلا أضغاث أحلام ولا أفكار فاسدة وخيالات باطلة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٩٢﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما صح له أو من شأنه لاستواء أقدام المؤمنين ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ واقعًا في عرصته بلا قصد قتله بأن يرمي كافرًا أو شخصًا على قصد أنه كافر وصيدًا خاصًا نصبه على الحال أو العلية أو إلا قتلًا خطأً. قيل: النّفي بمعنى نهى والاستثناء منقطع أي لكن يكون قتله خطأً ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فعليه تحرير أو جزاؤه وموجبه أو فواجبه تحرير رقبة وإعتاقها ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ ثابت إيمانها ولو صغيرة ﴿وَدِيَةٌ﴾[النّساء: 92] ومال عوض عن الدم ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ

﴿أَهْلِهِۦٓ﴾ أو ورثة مقسومة عليهم كسائر الأموال بأن يخرج منها أو الدين وتنفذ الوصية وإن لم يكن له وارث فهي لبيت المال إن كانَ مضبوطًا، قالَ النبي ﷺ: «**أنا وارثُ لمن لا وارث له**»، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾ ويعفو سميت بها تنبيهًا على فصيلته متعلق لقوله ﷺ: «**أو بمسلمة**» كأنه قيل: ويجب عليه الدية أو تسليمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرفية بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسًا ويجوز أن يكون حالًا من أهله معنى إلا متصدقين.

روي أن عياش بن أبي ربيعة وكانَ أخًا لأبي جهل من الدم قد أسلم وهاجرَ خوفًا من قومه إلى المدينة قبل هجرة الرسول فقد أقسمت أمه أن لا يأكُلَ ولا يشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث ابن زينب فأتياه وهو في أطم وقالَ: أليسَ محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبرّ أمك وأنتَ على دينكَ فذهب معهما فلما فسخا عن المدينة وبعدا عنها فشداه وجلده كل منهما مائة جلدة فقال: هذا أخي فمن أنتَ يا حارث؟ لِلَّه عليّ إن وجدتك خاليًا أن أقتلك، وقدما به على أمه فحلف أن لا يحل كنانة أو يزيد فقيل ثم هاجرَ بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجرَ فلقِيَهُ عياش بظهر فناءٍ ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله وقال: قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوۡمٍ﴾ كفار محاربين ﴿عَدُوٍّ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ أو في تضاعيفهم ولم يعلم القاتل الحربي إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النِّساء: 92] لا ديةَ لأنهم محاربون وليسَ على المحاربين قصاص ولا دية. والتحرير: الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرمَ في الأحرار كما أن اللّؤمَ في السّيد والعبد ومنه إعتاق الخيل وعتاق الطير لكرامتها وحر الوجه أكرمه وهو الحد موضع في وسط الوجه، وقولهم للئيم عبد وفلان عبد العقل أي لئيم الفعل، والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلأن تملك كذا رأسًا من الرقيق والمراد رقبة مؤمنة، كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة علماء الإسلام.

وعن الحسن: لا يحرر إلا رقبة توصلت وهو صامت، ولا يحرر الصغيرة. وقاسَ عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيلَ لما أخرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار، مسلمة إلى أهله

مؤداة إلى ورثته يقسمونها كما يقسمونَ الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منه الدّين وينفذ الوصية، وإذا لم يبق وارثًا فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومونَ مقام الورثة كما قالَ عليه السلام: «**أنا وارث من لا وارثَ له**».

وعن عمر: أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته بطلب ميراثها من عقيلة فقال: لا أعلم لك شيئًا إنما الدية العصبة الذين يقتلون عنه فقام الضحاك بن السبين الكلابي فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرني أن أورثَ امرأة أشيم، فورّثها عمر، عن ابن مسعود يرث كل وارث من الدّية غير القاتل، وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصاياه، وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة، وإنما وجب الرقبة والدية على القاتل، والدية يحملها عنه العاقلة، فإن لم يكن له عاقلة ففي بيت المال فإن لم يكن ففي ماله.

﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول المزبور ﴿مِن قَوْمٍ﴾ عدو لكم كفار أهل حرب ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ ومعاهدة ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ حكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدّية فيما كان المقتول معاهدًا إن كانَ له وارث مسلم وبيت مال ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ القاتل رقبةً بأن لم يملكها أو ما يتصل به إليها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً﴾ لأهل التوبة أو ذا توبة أو تاب توبة ثابتة قبوله ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ورحمة منه من تاب عليه إذا قيل توبته يعني شرح ذلك توبة منه أو نقلكم من الرقبة إلى الصوم توبة منه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 92] أي عالمًا بحاله حاكمًا عليه فيما أمر في شأنه وماله ونفسه وإيمانه.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بغير حق لازم قاصد بفعله إياه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وسخطه سخطًا شديدًا بأنواع العذاب وأصناف العقاب ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ وبعده من رحمته وقطعه من نعيم جنته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 93] تهديد عظيم وتشديد عميمٌ وإبعاد جسيم قالَ ابن عباس: لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدًا، والجمهور على أنه مخصوص بمن له يثبت لقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب أو بالمستحل أو المراد بالخلود المكث الطويل أو

الدلائل متعاضدة والبراهين متظاهرة على أن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم ولعلَّ أن مراد ابن عباس أنه لا يقبل توبة القاتل في الدورة المخصوصة لا مطلقًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ وسافرتم للغزو فتيمنوا وتثبتوا واطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ وحياكم بتحية الإسلام ﴿لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ لغرض نفساني وعوض جسماني ﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ويطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وديع النقاد ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ﴾ وغنائم كبيرة يغنيكم عن قتل أمثاله طمعًا لأمواله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ أي من قبل هذا الزمان قد دخلتم في الإسلام بإظهار الإيمان باللسان بأن تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة القلب باللسان وموافقة ما صدر من القوة ينافي الجنان ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين وأحكام الإيقان ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي تبصروا في أمر الدين وافعلوا وعاملوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا إلى قتلهم ظنًّا بأنهم دخلوا فيه خوفًا وإبقاء وحفظًا للنفس وذراريهم وعصمة لعرضهم فإن العالمَ بالقلوب وكافيها من العنايات والأغراض والأسباب هو الله ففوضوا أمر القلب وما فيها من الغيب إلى اللَّهِ تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النِّساء: 94] هذا دليل على ذلك يعني أن العلم بالظاهر والباطن محصور على الله.

تأويل وإشارة

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ﴾ [النِّساء: 92] أي ليس من شأن تجلي إلهي أن يخفي ويستر كليًا إجزاءً إلهيًّا يكون في رتبته كالتجلي الآثاري الذي يكون بصور أعيان عالم الملك كالكواكب والعناصر والنبات والمعادن والحيوان كما وقع للخليل تصور الكواكب والشمس والقمر، وللكليم بصورة النازل

والشجرة، ولنبينا عليه السلام بصورة الإنسان، فشهود التجلي بأحد هذه الصور لا ينافي ظهوره بالصورة الأخرى.

وكذا لو شاهدَ التجلي بالصورة الكلية أي بجميع صور الأعيان الجسمية فحينئذ لا يحتجب بشهود أحد الأعيان عن الآخر، وكذا التجلي العقلي، فإن شهود تجلي الحق بصورة التكوين الإبداعي لا ينافي شهود التجلي بصورة التكوين الاختراعي كالإحياء والإماتة والتخليق والترزيق وغير ذلك.

وكذا التجلي الأسمائي الذاتي فإن شهودَ التجلي بعنوان العلم لا يستر ولا يخفى ولا ينافي شهوده بعنوان الحي والقدير والمريد والسميع والبصير والمتكلم وكذا التجلي الذاتي بعنوان الشؤونات الذاتية والوصفية والفعلية الآثارية.

وكذا التجلي بصورة الجمعية الإلٰهية والكونية بحيث لا يحتجب الشاهد العارف بشهود التجلي بصور الأعيان الإلٰهية عن شهوده بصور الأكوان الغيبية والغيبية في الأدوار النورية صريحًا، والأكوار الظلية ضمنًا أفرادًا وجمعًا وجمع الجمع إلَّا خطأً أي إلا إذا كانَ رتبة التجلي أو درجته أو قدر صفاء الأطوار أعلى وأتم وأجلى وأعم فإنه في هذه الحالة يختفي الأدنى في الأعلى ويستتر الصافي في الأصفى، مثلًا التجلي الآثاري إذا ظهر بصورة كلية عالم الملك وبصورة بعض أعيانه فربما يختفي البعض في الكل، ولك في التجلي الصوري يعني بصورة الإنسان الكامل والمظهر الفاضل، فإن كلًّا من أجزائه من البدن والنفس والروح والقلب والأطوار السّبعة وكذا الأجزاء البدنية والحواس الظاهرة والباطنة يقع مظهر التجلي أصالة وتبعًا كليةً وجزئية.

مثلًا: أن السالك قد يشاهد الحق بكلية بدنه وبخصوصية البصر والسمع والشم والذوق واللّمس بل بخصوصية كل جزء من الأجزاء الغير المتناهية نالَها كلًّا من هذه الأجزاءِ والأعضاء من حيث إنها حصة من وجود الحق والذات البحت المطلق يقع مجمع تمام الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية فربما يقع بهذه الكلية في نظر العارف وربما يقع بخصوصية الجزئية.

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ إشارة إلى تفاوت درجات السالكين واختلاف مقام شهود التجليات فإذا كانت متعاقبة متتالية متوالية متساوية في القوة

والضعف كانت مؤمنين ومؤمنات، وإذا قارنت إلى بعضها قوةً وجذبة ارتقى السالك من الأدنى إلى الأعلى من غير استكمال الأدنى وتوابعه واختفى الأدنى في الأعلى بلا اختيار السالك، فإذا وجب أن يعودَ السالك بإشارة المرشد الكامل المكمل من الأعلى إلى الأدنى لاستكمال وإخلاص النّفس العاملة من أيدي السّرّ والفؤاد وأعناقها لترجع إلى ما كانت عليه من مراتب السلوك، ودية مسلمة إلى أهله أي وطبقة الرياضة البدنية والنفسانية ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ أي إلا أن يكون قابلية السالك في غاية القوة ونهاية القدرة فحينئذ لا يحتاج إلى تكميل النفس في مدارك السلوك ومسالك النسوك وإن كان ذلك الإخفاء والسرّ والأسرار ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ إشارة إلى قسم الثاني وهو قوة الجذبة وسدة القدرة فإن الجذبة إذا كانت قوية في الغاية يرتقي السالك ويستصعد إلى المرتبة الأعلى ويبقى أعيان المرتبة الأدنى باقية على كفرهم غير طائعين للقلب بل محاربين به وهي النفوس الأمارة والمقتول هو النفس الملهمة ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النِّساء: 92] أي فإعادة الطور النفسي من مقام الطور السري إلى شبحها الأصلي ومرتبتها الأولى ليتخلص عن تطاول أيدي الجذبة الإلٰهية ويرجع إلى المرتبة السلوكية ويسلك ويرتاض ليصل إلى مقام الصدر ويرتقي إلى مقام كمال جمعية الطور القلبي ومعية الشهادة والغيبي، ويتكمل بكمال هيئة القوة النظرية والعملية ويستعد لأن يرتقي إلى الطور السّري لشهود أنوار التجلي الإلهي بصور الآثار، ثم إلى الطور الروحي لمشاهدة التجلي الفعلي، ثم إلى الطور الخفي ليعاين التجلي الصفائي إلى الطور الحقي، وغيب الغيوب لشهود التجلي الذاتي، هذا هو طور المجذوب السالك فلو أسندت الجذبة انسد باب السير والسلوك وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله فتحرير رقبة مؤمنة إشارة إلى القسم الثالث وهو السالك المجذوب الذي قتل النفس الأمارة واللوامة وهما أخذ بالميثاق من سلطان القلب على الإعانة والنصرة فالواجب عليه أمران: الدية وتحرير الرقبة.

أما الدية: فهو أمر ضروري لازم التحصيل إذ معرفة أحوال الفضل وأعمالها وإدراكِها وسائر حالاتها في الاستكمال والتكميل واجب ضروري وأمر لازب. وأما التحرير: فلأن الجذبة الإلٰهية وغلبة القوة الربانية يوجب المظفرة، والإهمال في تكميل النفس فيفوت العرض الكلي والعوض الأصلي وهو تدارك ما فات من

الكمال الجمعي. فمن لم يجد ولم يقدر على تحرير الرقبة والاستخلاص عن يد الجذبة بالرجوع والعود إلى تكميل النفس اللّوامة والأمارة فصيام شهرين متتابعين أي إمساك القوة النظرية والعملية عن التصرف من الجهات الست لذريعة المشاعر العشرة الشاعرة فيها وفي إدراك معاشرتها التي هي مبادىء تصورية وتصديقية لاقتناص مقاصدهما، ولا شكّ أن النفس الناطقة إذا انصرفت عن الإدراكات الرسمية ازدادت في الشهود والمشاهدات.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ أي من ترك طورًا من الأطوار السبعة القلبية وأهمل تجليًا نوعيًّا من التجليات الإلٰهية الأربعة أو خلقًا من الأخلاق المرضية الأصلية المربعة أعني: العفةَ والشجاعة والحكمة والعدالة بل خلقًا من الأخلاق الفرعية المندرجة تحت تلك الأخلاق الأصلية كالقناعة والصبر والتوكل والرضاء والتسليم والتودد بغير ذلك ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي نار القطيعة من الجنة الجمعية وسعير التحسر والندامة لدى فقدان الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ عند انتفاء الأخلاق الإلٰهية والتخلق بها ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ دونَ الاتصاف بنقائصها ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 93] وهيّأ له عذابًا بالتخلق بكل واحد من تلك النقائص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في أرض الاستعداد وربض القابلات ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ أو تدبروا في أعمال النبيينَ السائرينَ إلى الله وأعمال الراغبين من اللّهِ إلى اللّهِ وتأملوا في أطوارهم في كيفية إقبالهم وإدبارهم في السَّيرين ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ من الأخلاق والأطوار ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قابلًا للإيمان الحقيقي وحاملًا للعرفانِ الإلهي وللعلم اللّدني والإدراك الشهودي والشهود الذوقي ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي راحة النفس في ترك المقامات والمجاهدات اقتناعًا ببعض الأحوال والحالات وعند اللّهِ مغانم كثيرة من التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية الإفرادية والجمعية في تمام الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية في السير إلى الله ومن الله وفي الله كذلك كنتم من قبل ذوات نعم كاملة جميلة جليلة عظيمة من هذه النعم المذكورة وخالية من هذه النعم قبل هذه الدورة الحالية ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النِّساء: 94] بعده في الأدوار والأكوار بأمثال هذه

النعم الوجودية والعدمية النورية والظلية والجلالية والجمالية أدوارًا وأكوارًا أنواعًا وأطوارًا.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عن الغزو والجهاد الأصغر ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حال إما منه أو من ضمير فيه ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ مرفوع صفة للقاعدين أو مجرور لكونه صفة للمؤمنين أو بدل منه ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ حيث آثروا الموت على الحياة والفقر على الغنى والصحة على المرض والبلاء على العافية بل ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ تعبير وتوبيخ ﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ تعبير وتوبيخ بإعادتهما على القاعدين أجرًا عظيمًا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95] أي جزاء جسيمًا وثوابًا عميمًا وعطاءً كريمًا لتضمن الفضل العطاءَ.

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ بدل من أجرًا ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ أي تجاوزًا عن السيئات وإفضالًا بعموم إنعامه وجسوم إكرامه يجوز أن يكون نصبهما على المصدرية ويكون عاملهما حالًا عن درجاتٍ من حيث المعنى أي يترفعونَ على مراتب رفيعة ومناقب منيعةٍ إشعار بتنوع الدرجات وتكرار تفضل المجاهدين والمبالغة فيه إجمالًا وتفصيلًا تعظيم للمجاهدين وترغيب فيه قيل الأول ما حولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر أو ذكر الجميل والثاني ما جعل لهم في الآخرة والمراد منه الدرجة رفع المنزلة وعلو القدر وسمو الشأن وبدو الأمر وقيلَ المراد من الأول الجهاد مع الكفار ومن الثاني الجهاد الأكبر وهو الجهاد مع النفس كما قال النبي ﷺ: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**. قيل وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: **جهاد النفس**»، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ متجاوزًا مما وقع من الإفراط والتفريط ﴿رَّحِيمًا﴾ [النساء: 96] مما وعد لهم من الدرجات الرفيعة والمقامات المنيعة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يحتمل الماضي والمستقبل على الحذف ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبةً ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة توبيخًا لهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي شيء كنتم من أمر دينكم ﴿قَالُوا۟﴾ أي المتخلفونَ في الهجرة ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟﴾ أي الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى الحبشة أولًا قبل الهجرة إلى المدينة وقد مرّ القول فيها في سورة آل عمران ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المتخلفونَ في الهجرة المتعذرون بالاستضعاف ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾ هذه الجملة خبر إن والفاء لتضمنها معنى الشرط ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّساء: 97] دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وإجراء يقينه. قالَ النبي ﷺ: «**من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كانَ سرًّا في الأرض استوجب له الجنة**».

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره في الإشارة إليه وذكر الولدان أريد المماليك وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم على صدد وجوب هجرة بأنهم إذا بلغوه أو وصلوه إلى رتبة الرجولية واقتدروا على هجرة فلا يختص لهم عنها ووجب أن يهاجروا بها متى أمكنت فتمكنوا منها ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يذكروا ﴿حِيلَةً﴾ ومكرًا ومخلصًا ومحيصًا صفة المستضعفين من قبيل شِعْر:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثَمَّة قلتُ لا يَعْنِينِي

وحال عنه أو عن المستكن فيه ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 98] والاهتداء به معرفة النفس إما بنفسها أو بدليل.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ المتخلفون في الهجرة بلا ضرورة وعذر شرعي ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ ويتجاوز عن سيئاتهم ذلك كلمة الإطماع ولفظ العفو إيذان بأن ترك الهجرة أمر خطير لتضمنه العذاب الأليم والعقاب العميم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾ [النِّساء: 99].

﴿۞وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾

﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا﴾ وفوائد ﴿كَثِيرٗا﴾ من الإرغام وهو التراب أصله الذل وهوَ لصوق الأنف بالرغام ومنه ما قيلَ على رغم أنفك ﴿وَسَعَةٗۚ﴾ في الرزق والدين والاستخلاص عن الدين ومذلته ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ﴾ وكتب وفرض ووجب لله فيه ﴿أَجۡرُهُۥ﴾ وثوابه وجزاؤه ﴿عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النِّساء: 100] نزلت في حبيب بن حمزة حُمِل على سريره متوجهًا إلى المدينة فأشرف على موته فصفق وضرب بيمينه على شماله وقال: اللّهم إن هذا لك وهذا لرسولك أبايعك على ما بايعَ عليه رسولكَ.

﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وسافرتم وسرتم فيها للغزو أو التجارة أو لغرض آخر مباحًا ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الرباعية بتنصيف ركعاتها وهي ركعتان وزيدت في الحضر على ما فرضَ أولًا والسفر يرد الصلاة إلى الأصل وهي ركعتان، ومدة السفر التي يجوز فيها القصر عند أبي حنيفة مسيرة ثلاثة أيامٍ ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد والاعتبار بإبطاءِ الضارب وإسراعه فلو سارَ مسيرَة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أقل مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين قوله ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النِّساء: 101] ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وإن

الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي.

روي عن النبي ﷺ أنه أتم في السفر، وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول ﷺ من المدينة إلى مكة حتى إن قدمت مكة قالت: يا رسول الله بأبي وأمي قصرتُ وأتممتُ وصمتُ وأفطرتُ، فقال: «**أحسنتِ يا عائشة**». وكان عثمانُ رضي الله عنه يرى أنّ القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوِّز غيره، وعن عمر رضي الله عنه: صلاة السفر ركعتان تمام عن قصر على لسان نبيكم، وعن عائشة أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر ولما ألفوا الإتمامَ وكان مظنة لأن يخطر ببالهم أن القصرَ نقصان فَنَفْيُ الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر لتطمئن قلوبهم إليه. قرأ: (تقصروا) من أقصر. وجاء في الحديث: إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري: (تقصّروا) بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصةً وهو قولهُ ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ وأما في حال الأمر فبالسنة في قراءة عبد اللّهِ من الصلاة (أن يفتنكم) ليس فيها إن خفتم، على أنه مفعول له بمعنى أن كراهة أن يفتنكم الذين كفروا. والمراد من الفتنة القتال والتعرض بما يكره أن يفتنكم الذينَ كفروا أي أوقعوكم في الفتنة والعذاب والفتنة وسَيِّئ العقاب ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 101].

تأويل وإشارة

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ [النِّساء: 95] أي الأطوار التي لم يتطور مقتضياتها ولم تنتفع مرتضياتها أو أنواع التجليات التي لم يكن فيها تضاعيف إدراكات الشهود التي تكون مساوية لأطوار الشؤونات أو لأنواع تجليات تكون فيها تطورات في المقتضيات وتنوعات في المرتضيات وتضاعف الآخر متصلًا واحدًا وأمرًا ممتدًّا متخذًا من بداية الشهود إلى آخره والثاني أن يتطور عنده مراتب شدة الحضرة وقوتها بأن يشاهد في كل منها نوعًا من تجد أمثالها يكون متغايرًا لما يشاهد في الآن السابق واللاحق هكذا تتضاعف وتتلاحق أنواع الشهودات إلى غير النهاية ولله در من قالَ: إن الأعراضَ لا تبقى زمانين وإليه أشارَ بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] بل الجواهر كلها لكونها ممكنة يحتاج في كل آن إلى ترجيح الوجود على العدم لقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: 29].

فقس على هذا حالَ التجلي بأنواعه الأربعة: الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية الإفرادية وكذا في الصورة الكلية والهيئة الجمعية الإحاطية المعية فللسالك في كل تجلي تجليات غير متناهية وأدراك متضاعفة متلاحقة غير محصورة وكذا في كل علم وإدراك يتضاعف إدراك الإدراك والعلم إلى غير النهاية، والحالة الثانية هي التي لا يتضاعف بل يتقرر ويثبت على حالة واحدة في سبيل الله أي طريق ظهور التجليات الإلٰهية بأموالهم وأنفسهم أي نفس الأحوال والمقامات الغيبية وتلاحق الحالات والإدراكات المتضاعفة الشهودية والعلوم الحضورية المتفرعة عليها أو العلوم الحصولية التصورية والتصديقية والظنية.

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ أي المجاهدين السالكين أو المجذوبين فقط ﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [النّساء: 95] أي السائرين السالكين الغير المجذوبين الثابتين على مرتبة السّلوك أو المراد من القاعدين هم الأطوار القالبية والنفسية والقلبية التي لم يصلن إلى مشاهد شهود التجليات ومن المجاهدين هم الأطوار العالية الذين جاهدوا مع تلك الأطوار السالفة، أو المراد بالمجاهدين هم السائرون من اللَّهِ إلى الله وبالقاعدين هم السائرون إلى الله المعتكفونَ في الفناءِ في اللَّهِ، أو المراد بالأول هم الفانون في الله وبالثاني هم الباقونَ بالله ومع الله،أو المراد السائرونَ إلى الله ومن الله وبالثاني هم السائرونَ في الله الذين قاموا مع الله وساروا به وداروا معَه، أو المراد مراتب العقول ومراتب النفوس، أو المراد هي القوة النظرية والعملية درجة إشارة إلى اختلاف أحوال الدّائرين من الأطوار في النشأة والأدوار الشهادية والأكوار الغيبية النورية والظلية فإنهم منهم.

منهم من شاهدَ نفس ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] الأولية والشؤونات الذاتية الظاهرة بالعنوان الذاتي في الإناث التي هي حصص الآن الدائم ونصص الوقت المطلق القائم الذي هوَ امتداد ديمومية الحضرة الإلٰهية ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى ظلًا ونورًا جمالًا وجلالًا وهم المجاهدونَ في سبيل الله مالًا ونفسًا عقلًا وحسًّا ومنهم من لا يشاهدها بل يقتنع بمشاهدة ظاهر ألست التي هي ثابتة حسًّا في عالم الأجسام ومراتب حركات الأجرام وأوضاعها وهم القاعدونَ وكلا من هذين الفريقين وعد الله الحسنى أي جنة التجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: 26] الحسنى هي الجنة

وزيادة هي شهودها والدخول فيها والمراد هي كلمة التوحيد وقول لا إلَه إلا الله وزيادة هي النظر إلى وجه الله كما ورد في الحديث: «**الحسنى قوله لا إلَه إلا الله، وزيادة: نظر إلى وجه اللَّهِ**».

وفضّل الله المجاهدينَ الدائرينَ المشاهدينَ تطورات التجليات وتضاعف العلوم وتلاحق الإدراكات على القاعدين المعتكفين على شهود التجليات نفسها أجرًا عظيمًا وأمرًا كريمًا وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي بين مقتضيات الأدوار الإلٰهية والأكوار الكونية في السير في الله والطير إلى معاينة من الكون بالإله ومشاهدة كمال جمعية تنوعات الأحوال والمقامات وتطور المعاينات المتواردة على أمر واحد ويؤول الكل إلى حالة واحدة ورجوع تمام الطرف وجميع السبل إلى حدّ متحدّ وكذا ينشعب ويخرج الأمر لواحد ما اندمج فيه من أنواع أعيان الأدوار النورية وأجناس الأكوار الظلية وينبسط ما انقبض فيه وينفصل ما أجمل فيه صريحًا وضمنًا إلى أن انقضى مقتضيات الأدوار وانتهى مرتضيات الأكوار ويرجع إلى الأمر الواحد، هكذا يتبادل الإجمال والتفصيل والاتحاد والتحليل إلى أن ينتهي إلى كمال جمعية الجمع، ويصير التفصيل عين الإجمال، والاتحاد عين الانحلال، والاتصال نفس الانفصال إلى أن يجمع العارف المجاهد والواقف الغير الواقف في مراتب المعارف تمام أنواع مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار ويتحقق بها واحدًا بعد واحد.

ويحتمل أن يكون المراد من القاعدين والمجاهدين أصحاب النظر وأرباب الكشف والشهود أو الأعيان النورية والأكوار الظلية أو المراد منهما هم الأعيان الكاملة النورية التي قطعوا فباقي الأدوار الإفرادية والأكوار الفردانية وخاضوا في الدورات الجمعية والكورات الاجتماعية المعية أو الأعيان المتقيدون بدرجات الأدوار الإفرادية والكورات الفردانية الذين ركبوا مطايا العقول الكاملة الذين بلغوا درجة العلم اليقيني المتزايد كمًا وكيفًا خاصًا وعامًّا أو استعدادًا أصلية وقابلية ذاتية أعني التي هي شهود الذات فصنفان الذات بوجوه خمسة أو ستة وهذه الوجوه الخمسة أصل للعوالم الخمسة الكلية والمادة للمراتب الستة وإليهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

وأما الوجوه بأولها: هو شهود الذات الذات بعنوان الذات، الثاني: شهود

الذات الذات بعنوان الذات من حيث الذات. الثالث: من حيث الذات البحث، الرابع: من حيث الذات المطلقة، الخامس: من حيث المقيد، السادس: من حيث المجموع، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**». وهي البرزخ بين الأحدية والواحدية أعني الأحدية الجمعية والوحدة الذاتية والحقيقة المحمدية السارية في جميع أعيان الأدوار النورية الوجودية صريحًا وفي الأكوان الظلية ضمنًا وتبعًا لولاك لما خلقت الأفلاك أي الأدوار النورية الجمالية أرض اللَّهِ أي القابلية الذاتية والاستعدادات الأصلية التي هي مظاهر الأكوار الظلية الجلالية التي هي في الحقيقة خزائن أعيان الأدوار النورية التي تكرر فيها أحوال الأعيان وتحيرت لديها صور الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية إشارة إلى أن الاستعداد والقابلية نوعان ذاتي ووصفي اسمي.

أما الذاتي المتضمن المكونات الإلٰهية والكونية فهو للصورة الجمعية الإلٰهية والكونية الجمالية والجلالية الإفرادية والجمعية.

أما الوصفي الذي هو نفس الكثرات فهو بحسب خصوصية اسم من الأسماء الذاتية المتضمنة للتفصيل والإجمال.

فقوله: كنا مستضعفين إشارة إلى هذا النوع من الاستعداد وأرض الله واسعة إشارة إلى الأول أي الاستعداد الأولي الذاتي الذي أفاضه الله بفيضه الأفلاك واسعة شائعة في جميع الأدوار والفردانيات فتهاجروا فيها أي إلى تلك الأرض بحسب اقتضاء جمعية الأدوار ومعية اقتضاء الأكوار فأولئك مأواهم جهنم أي التقيد بخصوصية التقلد بمقتضى اسم ذاتي ووصفي إلهي أو كوني في التردد في نشأة جهنم حتى يصلَ ويهاجر إلى أرض استعدادهم الذاتي حتى يظهر بحكم اقتضاء الاسم صاحب الوقت الكمال اللائق المتوقع في مقتضى فردانية وحارت مصيرًا ما دام في التردد ولم يبلغ إلى تلك الأرض بُعدًا.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ إشارة إلى أن ما في الوجود بصدد الجهاد وتبدد العقول قسمان مقصود بالذات ومقصود بالعرض أما الأول فهو أعيان مستقلة في الوجود بعضهم مظهر القوة الفاعلية وهو الرجال وبعضهم مظهر القوة القابلية وهي النساء وإنما وصفهما بما وصف به الوالدان إشعارًا بأنهما لا يكفيان في الظهور والإظهار ولا في الشعور والإشعار ألا يُرى أن آدمَ عليه السلام بل

الأبدان كلها غير مستقلة في الظهور والإظهار بل يحتاج إلى القابل والفاعل فإنه يفيد أولًا روحه الذي هو مظهر الفاعل المكوِّن، ثم جسده الذي هو مظهر القابل، ثم بعد ظهور صورته الجمعية ظهرت منها حَوّاء التي هي مظهر القابلية، فإذًا لا بُعدَ في ظهور آدم بلا أب ولا أم، ولا في ظهور عيسى من غير أب، فإن ظهورَ المعلول الأول والعقل الكل والعلم الأعلى أبعد من ظهور آدمَ الصّوري والمعلول الأخير الحسي إذ ليس هناك إلا الفاعل الواحد وحده الذي هو عين القابل بل هو عين الفعل والقبول كما أن الوجودَ الموجدَ والموجودَ الشاهدَ والشهودَ والمشهودَ أمر واحد، ومن هذا اشتهر أن كمالَ فاعلية الفاعلِ بعينه هو تمام قابلية القابل.

وأما القسم الثاني والذي يكون وجودًا تبعًا وتطفلًا وفرعًا وتفعلًا فهو كالوالدين الذي يكونا في المرتبة الثانية يظهر ثانيًا بالتطفل كالقوى الجسمانية والمبادىء الروحانية التي يعبر عنها بالرجال والنساء والوالدان فهؤلاء لا يعذبوا ولا ينعموا بل هم طريق وصول العذاب والثواب والجزاء والعقاب إلى الأعيان المستقلة كما كانت في النشأة الأولى الدنياوية وهي طريقة الإدراكات والأفعال والانفعالات إلى تلك الأعيان، نعم ليسأل عنها لا للتنعيم والتعذيب بل للشهادة كما قال تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 129]، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ [النِّساء: 98] أي لا يستقلون في الوجود الغيبي العقلي تجلية وسعي يطلب بها المقصود بالذّات ولا يهتدون سبيلًا وطريقًا بالإدراكات والدرايات وبالعلوم والروايات فأولئك المبادىء والقوى والمبادىء عسى الله وقرب أن يعفو ما دامَ في رتبة التطفل ومرتبة التبعية والتفعل، وأما إذا تعدوا وتجاوزوا من تلك الرتبة إلى مرتبة الاستقلال فحكمهم حكم الأعيان المستقلة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا﴾ في حكم الوجود والكون والشهود ﴿غَفُورًا﴾ [النِّساء: 99] في حكم توابعه من الكمالات الأولية والثانية العملية والعلمية ومن يهاجر ويضرب ويسافر في سبيل الله بذريعة العقل الصريح ووسيلة النظر الصحيح كما تقدمت الإشارة إليه.

﴿يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 100] وفوائد جمًّا غفيرًا وسعة في الرزق المعنوي والرفق النبوي بواسطة القوة العملية ومن يخرج من الأطوار القلبية

ومقتضى الأدوار الغيبية ومرتضى الأكوار الظلية من بيته أي من مقتضى طوره القلبي ومرتضى دوره الشهادي والغيبي حال كونه مهاجرًا ومضاربًا ومسافرًا إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت الإرادي ويجده الفوت الاختياري إشارة إلى مرتبة الصحو والمعاينة وقوة الجذبة الإلٰهية وشدة الجلبة الربانية التي يكون في مدارك دور أرباب الكشف والشهود ومسالك طورهم وإلى مرتبة العقل بالفعل لأصحاب الفكر والنظر فإنه عند التوجه والخروج من بيت الغفلة والذهول إلى مشاهدة لقاء الله ومعاينة بقائه يشاهدون الله حالة الصحو عند حصول كمال الفناء والمحو متوجهًا إلى ذلك النحو تارة في الصورة الجمعية الإلٰهية والكونية والأخرى بالوجه العلمي المحمدي في عالم الجبروت والواحدية، ثم يوجه الحياة السرمدية والقدرة الإلٰهية والإرادة الوصفية والمشيّة الذاتية، ثم يوصف السّمع والبصر والكلام فرادى فرادى أو مثنى أو مثلثًا أو مربعًا أو مخمسًا أو مسدسًا أو مسبعًا، ثم بالوجه الجمعي والكمال ألمعيّ الإنساني الآدمي أعني ط وما ينطويه ح ز و لا د ج ب ا والمجموع هو ٤٤١ آدم هـ ٤.

وتارة يشاهد الله بما لابس العلوم والإدراكات الحضورية والمعارف الشهودية أو الحصولية والحضورية كما يشاهد شاهد صاحب العقل الصريح والفكر الصحيح والنظر الصريح في مرتبة العقل بالفعل بصور تمام معلوماته مجملة مجتمعة بلا تجشم عناء مجاهدة الانتقال أولًا من المطلوب إلى المبادىء الحسية أو العقلية والمثل النورية والأشباح البرزخية، ثم إلى المبادىء الروحية ثم إلى الجواهر العقلية والفواخر النورية بعد الانتقال من مرتبة النفوس إلى مرتبة العقول، ثم من المرتبة العقلية إلى المرتبة الواحدية والأسماء الذاتية والصفاتية، ثم منها إلى المطلوب دفعة واحدة إما بصورة عالم الملوك والشهادة وإما مجملة أو مفصلة، أما مجملة: فأما بصورة جملة الأفلاك والكواكب والعناصر وما يترتب منها من المواليد الثلاثة، أو بصورة آدم كلية محيطة بجميع الأجسام حاويةً بتمام الأجرام وما فيها من الكواكب والنجوم، أو بهيئة كلية عالَم البرزخ وما يحتوي هو عليه من عالم الملك وما ينطوي هويةً وما ينعكس فيه من صور الأرواح أو بكلية عالم الأمر ومرتبة الملكوت والأرواح القدسية والنفوس القدسية، وبما يحتويه من مرتبة البرزخ وما ينطويه من عالم الشهادة أو بكلية عالم

الواحدية ومرتبة الجبروت وما اندرج فيه من الجواهر النورية والفواخر العقلية والأسماء الذاتية والصفات الإلٰهية أو بكلية بداية عالم الجبروت التي هي برزخ البرازخ الذي يحول بين اللاهوت والجبروت ويحول فيه مطلق الوجود بتلك الوجوه الخمسة والشؤونات الذاتية.

أما المفصّلة: فهي أن ينتقل الشاهد العارف من المبادىء الحسية أو النفسية أو المبادىء القدسية والعقلية إلى شهود الوجه الباقي بالصور المفصلة أما في عالم الشهادة بصور الأجرام العالية كما شاهدَ الخليل بصور الكواكب أو بصورة العنصر كما شاهد الكليم بصورة النار من الشجرة الناسوتية لقوله من الشجرة أن ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30] وأن ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ أو بصورة الإنسان كما شاهدَ الحبيب «**رأيتُ ربي في أحسن صورة شاب أمرد قطط**»، فالفكر والنظر وهو انتقال من المبادىء إلى الموصوف قسمان: قسم بطريق الكشف والشهود وهو انتقال من المعروف الأزلي والموصوف الأولي الذي عقدوا العهد عليه في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فاعترفوا وأقروا وقبلوا بقولهم: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] ثم تنزلوا على المبادىء في المراتب وركبوا صغرى مقدمة الروح بكبرى مقدمة النفس والحد الأوسط أيضًا هو القلب الجامع لهما فإذا قارنت صغرى السير إلى الله بكبرى السير من الله استنتجت شهود التجلي الذاتي أو الأسمائي أو الأفعالي أو الآثاري أو التجلي الجمعي ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 4] الآية.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟﴾ [النِّساء: 101] إلى آخرها إشارة إلى ما يلزم صاحب هذين الحالين من طي الزمان وطي المكان ونفي أحوال عالم الأركان وحذف المقامات والمبادىء في طريق المواصلة إلى المطلوب عند كمال سرعة الحدس السليم وقوة الجذبة من جانب الواحد الكريم، جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين، مخافة أعداء الأهواء وتناقض الآراء وتعارض مقتضى الاهتداء وهو في صدد الإغواء دائمًا. قالَ عليه السلام: «**قالَ الشيطان: وعزّتك لا أبرح إغوائي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقالَ الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني، ثم قالَ: لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائِلهم،** ﴿قَالَ

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82، 83]».

وإلى أن أصل الصلاة التي هي أفضل الطاعات وأكمل العبادات الشاملة لعبادات تمام الموجودات الإنسية والجنية أن يكونَ معراجَ المصلي وعروجه إلى شهود لقاء الله ومشاهدة بقائه وأن ينهي باطنه وظاهره عن الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: 45] وأن يكون اثنتان، ركعة تنبيهًا على أن العروج إنما يتأتى بأمرين تكميل الظاهر وتعديل الباطن أي أحكام النبوة وأعلام الولاية، وأما زيادتها رباعية فتنبيهه على أن استكماله وتتميمه إنما يحصل في فردانية الأدوار الأربعة النورية بتربية الأسماء الأربعة الذاتية وهي: العليم والحي والقدير والمريد بالأصالة والاستقلال. وأما كونها ثلاثيةً فإشعار بأن التربية والتدبير الإلهي قسمان أصلي بسيط وفرعي مركب وأن الأسماءَ الأربعة المذكورة بسيط أصلي، والثلاثة وهي السّميع والبصير والمتكلم مركب فرعي لأنها في الحقيقة علم مخصوص، فالحقيقة بهذه النسبة قد نزلت من اللّاهوت إلى الناسوت، وظهرت بما ظهرت في الدورة الأولى أولًا بصور العناصِر الأربعة، ثم بصور المركبات وهي المواليد الثلاثة.

تفسير

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٠٢﴾

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أظهرتَ لأجلهم الصلاة المكتوبة تعليم من الله صلاة الخوف لحبيبه وتنبيه ليقتدي الخلفاء والصحابة والتابعون بهم ﴿فَلْتَقُمْ﴾ في الصلاة ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُم﴾ من المؤمنين ﴿مَّعَكَ﴾ أو مع نائبك فاجعلهم طائفتين فليصل طائفة معك ويقوم الأخرى في تجاه العدو ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ [النِّساء: 102]

المصلون أو الطائفة ﴿أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المصلون ﴿فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ﴾ أي خلفكم ووراء ظهركم غيركم يحرسون النبي ومن يصلي معه غلب المخاطب على الغائب تنبيهًا على أن حق الغائب أن يحضر بقلبه مع الله وتنبيه ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ كانوا حارسين لمن يصلي وهم ﴿لَمْ يُصَلُّوا﴾ لحراستهم المصلين ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ أي الطائفة الأولى ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ الطائفة الأخرى ﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ أي التحرز عن العدو وحيلتهم ومكرهم والتيقظ في أنفسهم، ولكون الحذر أصلًا في الحفظ جعله آلةً له، ولذا جمع بينه وبين الأسلحة والواو بمعنى مع أي مع أسلحتهم، أي لا بدّ وأن يجعلهما أصلًا في الحفظ. ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ لو للتمني أي تمنى الكافرون بأن تغفلوا عن أسلحتكم وما في حكمه من الحذر لينالوا الظفر عليكم في الصلاة ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ أي دفعةً واحدة فيغلبون عليكم غلبة شديدة بيان لما أمر به من الجذبة والأسلحة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ﴾ ملاصقًا ومصاحبًا ﴿أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ من بلل وبرد شديد وكثرة ظلل ﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ في محل الرفع خبر لا أي لا حرجَ ولا إثمَ عليكم وضع الأسلحة في تلك الحالة، وإنما خصه بالذكر دون أخذ الحذر لاندراجه تحته فتدل عليه أو لأنه غير محسوس ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ حفظكم واجتنابكم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النِّساء: 102] وعد للمؤمنين بالنصر والظفر عليهم بعد الأمر بالحزم وإنما أعاد أخذ الحذر اهتمامًا لشأنه واعتناءًا لوضوح برهانه.

مطلب: الذكر الخفيّ

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهي المكتوبة في السفر أو الحضر في الأمن والخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [النِّساء: 103] ذكرًا كثيرًا وواظبوا على أنواع الذكر من التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد والتمجيد جهرًا وخفيًا والخفي أفضل لقوله عليه

السلام: «**والذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة أفضل من الذي تسمعه بسبعين مـــرة**». ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعـراف: 205]، ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ أي فـي جـمـيـع الأحوال في تمام الأطوار ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ وسكنت قلوبكم عن العدو عند وضع الحرب أوزارها ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المعروفة المؤقتة في الأمن والخوف في الحضر أو الأمن ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النِّساء: 103] فرضًا محدودًا وتعينًا في الأوقات لا يجوز إخراجها عن الأوقات أمنًا كان أو خوفًا سفرًا أو حضرًا هذا دليل على أن المرادَ بالذكر هو الصلاة. قالَ أبو حنيفة: لا يصلي المحارب حتى يطمئن قلوبهم ويحصل لهم الأمن والأمان من العدو.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ وتضعفوا وهو الضعف لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41]، ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ الكافر وطلبتهم بالقتال ﴿إِن تَكُونُوا۟﴾ يا معاشر المسلمين أنتم ﴿تَأْلَمُونَ﴾ أي تجدون الألمَ والوجع من الجرح والضرب ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار المحاربين ﴿يَأْلَمُونَ﴾ ويتألمون من آلات الجرح والضرب ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أنتم لأن جسدهم كجسدكم مركب من اللحوم والجلد والشحوم وغير ذلك مما له إدراك الوجع والآلام ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النِّساء: 104] والحال إنكم ترجون وتطلبون وتألمون بما كنتم منه تألمون من إفشاء لأحكام الإسلام وإظهار أعلام الإيمان وانقياد الخلائق بهما ومعرفته على ما عرفوا في الفطرة الأولى في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] فعليكم أن تكونوا أرغب منهم في الحرب والجهاد وأصْبَر على الأذى وأشكر على إنعامه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 104] لا يكلفكم ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم. روي أن طعمة بن أشرف أحد من ظفر سرق درعًا من جار له اسمه قتادة ابن النعمان في جراب دقيق ينتشر منه وجاءه عند رجل اسمه زيد من اليهود فالتمست الدرع عندَ طعمة بن أشرف فلم يجده وحلف أنه ما أخذها وماله به علم فتركوه واتبعوا أثر الدّقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقالَ: دفعها لي طعمة

وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر: انطلقوا إلى رسول الله فاسألوه أن يجادلَ عن صاحبهم وقالوا: إن لم يفعل هلكَ وافتضح، وبرَّ اليهودي فهمّ رسول الله ﷺ أن يعاقبَ اليهودي أو يقطع يده فنزلت، روي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد وثقب حائطًا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله نزلت في بدر الصغرى.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ وأعلمك بالوحي ليس الرواية المنقولة إلى الأفعالِ فإنها يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ أي لأجل الخائنين ﴿خَصِيمًا﴾ [النِّساء: 105] مخاصمًا.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ﴾ مما هممت به من عتاب اليهودي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ [النِّساء: 23] لمن يستغفره ﴿رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 106] لمن كانَ بريئًا.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ أي طعمة وقومه أو استأمنه وإنما جمَعَ والسارق هو طعمة لأن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاءَ لَه في الإثم، والخطاب لرسول الله ﷺ عن الذين يختانونَ أي لا تخاصم البريء عن الإثم وكيلًا عن جانب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ خائنًا كثيرَ الخيانةِ متفرجًا فيها ﴿أَثِيمًا﴾ [النِّساء: 107] راكبَ المأثَم منهمكًا فيها، عن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارقٍ فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقالَ: كذبتِ إن اللَّهَ لا يؤاخذ عبده في أول مرة.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي يطلبونَ الخفاء والاستتار ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾

والحال ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ في جميع الأحوال عالم بهم وبأحوالهم ما كانت وما تكون فلا يخفى عليه شيء منهم ولا من غيرهم في الأرض ولا في السماء ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرونَ ويزورونَ أصله أن يكون بالليل وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدرع في دار زيد ليسرّ دونه ويحلف ببراءته أي يتدبرونَ في اللّيل حالة البيتوتة أمرًا من القول ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ به من الله والناس في باب الدرع بأن يضع في باب اليهودي ليسرق ويستبرىء ذمته في الخلق من رَمي البراء والحلف الكاذب وشهادة الزور والغيبة والبهتان ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النِّساء: 108] لا يفوت منه شيء في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية من أحوال الأعيان والأكوان في الدهور والأعصار والأزمان وسائر أطوار الإمكان مما جرى في الخلاء والفراغ الموهوم والمكان.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ مبتدأ و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خبره و﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ وخاصمتم الهاء للتنبيه في أنتم وأولاء جادلتم جملة مبنية لوقوع أولاء خبرًا كما تقول لبعض الأسخياءِ أنتَ حاتم تجود بمالِكَ وتؤثر على نفسك ويجوز أن يكون أولاء اسمًا موصولًا بمعنى الذينَ وجادلتهم صلته والمعنى هو إنكم خاصمتم عن طعمة وقومه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم اللّهُ بعذابه وقرأ عبد الله عنه أي عن طعمة ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النِّساء: 109] محاميًا يحميهم عن عذاب الله وحافظًا منه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ أي عملًا قبيحًا متعديًا يسوء به غيره كما فعلَ طعمة بقتادة واليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ بما يختص به كالحلف الكاذب وقيلَ ومن يعمل سوءًا من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك أو الصغيرة والكبيرة ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 110].

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ﴾ من غير أن يتعدى وباله عنها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ باكتساب الألم وكيفيته وكميته ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 111] حاكمًا على صاحبه بالجزاء عاجلًا وآجلًا.

إشارة وتأويل

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النِّساء: 102] وإن علم أن الحقيقة المحمدية من حيث إنها سارية في تمام أعيان المراتب والأدوار الأربعة النورية صريحًا في أكوان الأكوار المربعة ضمنًا يدعو الكل بالعروج إلى سماء الأحدية الجمعية وفلك الوحدة الذاتية الكلية المعية فيحكم عموم مقتضياتها أجابت أعيان الأدوار وأكوان الأكوار تلك الدعوة عيانًا ووجودًا علمًا وكشفًا وشهودًا أما الأول فلأنها ممكنة متساوية الوجود والعدم يحتاج في كل آن في ترجيح الوجود على العدم وفيضانه على ذاتها إلى مرجح وهو الذات الأحدية فيقبلُ الوجود لكل ما في ضمنها من الشؤونات الذاتية بعنوان الذات وبعنوان العلم من الأعيان الثابتة وبعنوان الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، ثم بذريعة هذه الصفات يفيض على هذه الأعيان أحكام النبوة الذاتية أولًا على أعيان الأنبياء ثم على أتمهم الذي يندرج في ضمن كل منهم بخصوصية النور والجمال والظل والجلال فأول ما قبلت الأعيان الثابتة في ضمن الحقيقة المحمدية من الذات الأحدية من أحكام النبوة الذاتية هو الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النِّساء: 103] وهي أول ما افترضه اللَّهُ تعالى على العارفين.

قال عليه الصلاة والسلام: «**أول ما فرض اللَّهُ عزَّ وجلَّ على أمتي الصلوات الخمس. وأول ما يرفع الله من أعمالهم الصلوات الخمس**». وكذا آخر ما يبقى الصلاة فقوله: «**أول ما يرفع عن الناسِ الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصلٍّ لا خير فيه**»، وهي أفضل الطاعات وأكمل العبادات، لا يصل العبد إلى أعلى المقامات وأبهى الحالات وهي الكلية والجمعية والمظهرية والتحقق بالذات بجميع الأسماء والصفات الإلٰهية والأفعالية والآثارية وجمعيتهما لا يحصل إلا بالصلاة فإن كان من جانب العبد فبالنافلة «**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى**

أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وبي ينطق» وإن كان من الله تعالى فبالفرائض «**يا عبدي أطعني أجعلك مثلي وليس لي مثل ومن قتلته فأنا ديته**» فالسالك في الطور القلبي إذا توجه إلى كعبة الطور السري والمسجد الحرام الفؤادي، خاصمه كفار النفس الأمارة الحربية، وقاومت كفار النفس اللّوامة الذمية والمنافقة في عرصة الجهاد الأكبر، فقابل النفس الملهمة بكفار النفس الأمارة، فلتقم طائفة منهم أي النفس المركبة الملهمة أو المطمئنة معك بالحقيقة المحمدية المتعينة في مدار الأطوار ومسالك الأدوار.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ﴾ من العلوم الحقيقية والإدراكات الكثيفة والمعارف اللدنية والإدراكات الذوقية والإلهامات الإلٰهية والخطاب الرباني والوارد السبحاني فإذا سجدوا أي إذا توجه الطور القلبي والسري والروحي والخفي الذين هم حصص الحقيقة المحمدية المتعينة في مدارك الأدوار وممالك الأكوار بتعينات هذه الأطوار وبظهورات خصوصيات أعيان هذه الأدوار فليكونوا أي هذه الأطوار المحادية والأنوار الإلٰهية الوافية القائمة تجاه أكوان الأكوار الظلية الجلالية التي ظهر في الكون بنعت النفس الأمارة واللوامة ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [النِّساء: 102] من جانب القلب فإذاً فليكن هذه الطائفة من الأطوار حافظة ولتأت طائفة أخرى من الطور النفسي والقوة النظرية والعملية والمبادىء العقلية والمبادي الروحية والطبيعية، فإن النفس الناطقة والقوة العاملة تتصرف في بدنكم في هذه الحالة ليحفظ بدنكم، وإحراز بنيتكم عن التلاشي والتفرق، فإن الأركانَ العنصرية والاستقصات الطبيعية بصورها المتضادة ليتداعى إلى الانفكاك وكذا الروح الإلهي يطلب شبحه الأصلي ومنحه الأولي، فلو لم يكن فيكَ عائق وفي بنيتك أمر فائق يفوق عن التلاشي، تسارع إليكَ الهلاك وتنازع لديك الفكاك، وإلى أجزائكَ الانفصال والانفكاك.

مطلب: إدريس عليه السلام

قد اشتهر أن إدريس النبي ﷺ إذا عرج إلى أحديته الذاتية وقضاء مرتبة وأحديته الوصفية وكليته الجمعية في صلاته الحقيقية مع مؤمني أطواره القلبية

ومؤنسي أدواره الغيبية، وقد بقي مركب بدنه ومركب سدته ثلاثين سنة بلا حركة إرادية وشعور وفكرة ودراية اختيارية، وقد وصى لتلامذته أن يمزج بدنه في كل سنة بدهن الكبير ومطروحًا للشمس بلا إدراك وإحساسٍ وتصرف ومساعد وقد كانَ حيًّا باقيًا من غير أن تتفرق أجزاؤه وتحترق أعضاؤه.

حكي أنه قد كانَ في مركز تدوير فلك زحل متحركًا به محيطًا بسائر أفلاك الكواكب السِّتّ وحركاتها وكمية حركاتها وكيفياتها وشأنها وأوضاعها، ولما تمت حركة حامل زحل في ثلاثين سنة أفلق وأخبر عن أحوال الأفلاك السبعة وحركاتها وكمياتها وكيفياتها وأدوارها وأوضاعها، وعن اتصالات الكواكب كلياتها وجزئيتها وخصائصها ولوازمها وخواصها وغير ذلكَ، على أن للإنسان سيما للأنبياء والأولياء أرزاقًا معنويةً تتقوم إليها نفوسهم وتتبعها أبدانهم.

قالَ النبي ﷺ: «**أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**» الحديث، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عِمران: 169، 170] الآية، وتلك الأرزاق وهي العلم والمعرفة والحكمة وشهود جمال الله وحسن وجهه الكريم ومشاهدة عظمته وجلاله والتحقق ببقائه وبمعاينة لقائه وغير ذلك من مقتضيات محبته الذاتية، فليصرف عنانَ الكلام ويرجع إلى ما كنا عليه من المقام، إذا عرفتَ أن الصلاة هي الصورة الجمعية والهيئة الكلية المعية يقتضي الوصولَ إلى شهود الكمال الجمعي والوصال، ويقضي إلى اتحاد الأصلي بالفرعي حسب تنوع اختلاف أحوال الإنسان صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا، قسمان: بدني ونفسي إنسي وقدسي، أما الأول فهو عبارة عن صورة جمعية أجزاء البدن وهيئة معية أعضاء البنية للتوجه إلى عبادة المبدأ الأول ومشاهدة المنشأ الأعلى، والتحقق بالذات بتمام الأسماء والصفات، وأن العدو المماطل والخصم المعاطل للمصلي أيضًا قسمان:

أما الأول: فظاهر قد مر بيانه.

وأما الثاني: وهو الصورة المعنوية الحقيقية فالعدو المانع لهذا المصلي فهو كافر معنوي، وكل منهما نوعان: أما الأول: فهو كافر حربي وذمي، فكذا الكافر المعنوي نوعان: حربي وهو النفس الأمارة وذمي وهو النفس اللّوامة ولذا كرر الطائِفَة المحامية، يعني إذا دخل العبد العارف في كعبة الطور السري الفؤادي

لإقامة الصلاة الحقيقة وهي شهود التجلي الجمعي ومشاهدة الجمع الكمالي والتحقق به وهو موقوف بالجمعية الظاهرة التي هي الصلاة الحقيقية البدنية، وإذا تأملت فيما تلوتُ عليك في هذه الآيات إلى قوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ﴾ [النِّساء: 111] تجد في نفسك تأويلَ الآيات الباقية.

تفسير

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ أي صغيرة وكبيرة ذات عماد وقصد ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾ أي يفترى بالسيئة ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ أي كما رمى طعمة بن أشرف اليهودي وافترى عليه سرقة الدرع ووحدة الضمير على الأصل ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا﴾ بسبب رمي البريء ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 112] ظاهرًا واضحًا بتنزيه النفس الخاطئة ورمي النفس البريئة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وكمال إحسانه ووفور عصمته وعموم ألطافه ورأفته، الخطاب للرسول وجمعه للتعظيم أو باعتبار الآية ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ وجماعة ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي من بني ظفر جواب لولا ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ ويغووك ويصرفوك عن الحكم والقضاءِ بالحق مع علمهم بالحال والعرض نفي تأثير الهمَّ والقصد في الإضلال الرجوع نفي الهم نفسه ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لرجوع أضرار الهمّ إليهم لأنهم ما أذلوك عن الحق ولا صرفوك عن قصد الحق ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ فإن الله قد عصمك، وما خطر ببالكَ كان اعتمادًا على ظاهر الأمر لا ميلًا في الحكم ﴿مِن شَىْءٍ﴾ في موضع النصب على المصدرية أي شيء يسير من الضر ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّساء: 113] من

خفيات الأمور الدنياوية أو أمور الدين وأحكام الشريعة وأعلام اليقين ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 113] أي لا فضلَ عند الله أعظم من النبوة وأحكامها تشريعية كانت أو تعريفية.

﴿۞لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ مشاحنهم وتناجي الناس ومسامرتهم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل الصريح والفهم الصحيح ويندرج فيه الغرض وإعانة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسرت، ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع قال عليه الصلاة والسلام: «**كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان عليه من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله**»، ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ أو إصلاح ذات البين ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ الأمر بالصدقة والإصلاح للبين إلى من يفعل للناس ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ وطلبًا لرضاء الله ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ نعطيه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 114] وجزاء عصيبًا وثوابًا جزيلًا آجلًا وعاجلًا ظاهرًا وباطنًا من نعيم الجنة ودرجاتها وغير ذلك «**مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال لبشر قط**».

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ ويخالفه مخالفة كثيرة ومباينة قويةً من الشِّقّ لا الشَّق بالفتح وهو الكسر والقطع ويحتمل أن يكون بمنه بمعنى أن كلًا من المخالفين في شقّ وطرف غير شق الآخر والطرف الآخر. قالَ النبي ﷺ: «**كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق**». ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ واتضح له الحق بالوقوف على المعجزات وخرق العادات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فطريقهم في الأفعال والأقوال والعقائد والأعمال ﴿نُوَلِّهِۦ﴾ نحفظه ونجعله وليًا ومحفوظًا على ﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النِّساء: 115] ونحفظه ونعتكف قلبه من الضلال بأن نجد له ونخلي بينه وبين ما

اختاره قالَ في الكشاف: نجعله واليًا لما تولى من الضلال بأن نجد له ونُخْلي بينه وبين ما اختاره ﴿وَنُصۡلِهِۦ﴾ وندخل ﴿جَهَنَّمَۖ﴾ المخالفَ قيلَ هي في طمعه وارتداده وخروجه إلى مكة وقد مضت الحكاية ﴿وَسَآءَتۡ﴾ جهنم والسعير ﴿مَصِيرًا﴾ [النِّساء: 115] أي مكان سوء ويرجع إليه آخرًا، والآية تدل على حرمة مخالفة الإجماع لأنه رتب الوعيدَ الشديد وعقب به القيد المديد السديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين، وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو لأحد المشاقة أو للجميع. والثاني أيضًا إذ يقبح أن يقال: من شربَ الخمر وأكل الخبز استوجب الحد، وكذا الثالث لأن الشق في نفسها محرمة ضم إليها غيرها أو لا، وإذا كانَ اتباع غير سبيل المؤمنينَ محرمًا كان اتباع سبيلهم واجبًا لأنه حق وصواب وصدق، قالَ في الكشاف: وهو دليل على أن الإجماعَ حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن اللَّهَ تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط، وجعلَ جزاءَه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبًا كموالاة الرسول.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 116] نزلت حين قال رجل لرسول الله ﷺ: أنا شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئًا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليًّا ولم أقع على المعاصي جرأة مني وما توهمت طرفة عين إني لن أُعْجِزَ اللَّهَ هربًا وإني إلى ربي تائب فما ترى حالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق، فإن الشركَ أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة.

﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧﴾

﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي لا يدعون غير الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ يعني اللات والعزى ومناةَ ونحوها كانَ لكلّ حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى وذلك لتأنيث

أسمائها كما قال ولمعنى فيه تأنيث ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ ولا يعبدونَ بعبادتهم ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النِّساء: 117] حريدًا أو بعيدًا عن الخير وفريدًا منه لأنه الذي أمرهم بعبادتهم الأوثانَ وإغرائهم عليها وكانت إطاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يتعلق بخير وأصله الملاسة التي لا يتعلق بها شيء ولا يتمسك ما يلاقيه ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مردة التي تناثر أوراقها بحيث ما بقي عليها ورقة.

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ صفة لـ ﴿وَقَالَ﴾ عطف عليه أي شيطانًا مريدًا جامعًا بين لعنة الله وهذا القول الدّال على فرط عداوته للناسِ ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النِّساء: 118] أي حظًّا معلومًا مقطوعًا واجبًا قالَ بعضهم: من كل ألف واحد لله والباقي للشيطان. قالَ الحسن: من كل ألف تسعمائة إلى النار.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق عطف على أتخذن ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي أوقعنهم في الأمنية الباطلة بأنه لا جنة ولا نارَ ولا بعث ولا بوارَ أو من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بلا توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة كذا في الكشاف. وكانوا يشقونَ آذانَ الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرًا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ بالمنكرات ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ ويقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ﴾ ويشقونها لتحريم ما أحلّ اللّهُ وهي البحيرة ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 119] إشارة إلى تحريم كل ما أحله الله ونَقص ما خلق الله كاملًا بالفعل أو بالقوّة ولآمرنهم بما لا يرضى به الله فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة وصفة ويندرج فيه فَقْؤ عين الحامي وإغناؤه عن الركوب ومن يغير خلق الله بالخصاء وهو في قول عامة الفقهاء والعلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة يكره شرعًا الخصيان وإمساكهم واستخدامهم

لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصيانهم، قيل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 30] الآية، قيلَ: دين الله كما قال ذلك الدين القيم ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 119].

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾

﴿يَعِدُهُمْ﴾ الشيطان بإلقاء الخير والغنى ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الفقر والفاقة ولا ينفقون ولا يصلون رحمًا ينفي ما نزلت عليه من العذاب والحساب والعقاب ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النِّساء: 120].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الّذين اقتدوا بالشيطان ظنًّا منهم أنهم اهتدوا به ﴿مَأْوَىٰهُمْ﴾ ومرجعهم ومصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النِّساء: 121] ومخلصًا ومهربًا ومفرًا.

تأويل وإشارة

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ [النِّساء: 111] أي توجهًا وميلًا إلى ما سوى الله وإدراكه ويقتدي به وتقلدًا لحكمة وجدنا للطّور القلبي إلى النفس وتصرفها في البدن خلاف ما عينه الفعل والطور الروحي لم يرم به بريئًا أي جذب الطور والفؤاد الّذي خصه الله تعالى لشهود تجلياته الآثارية والطور الروحي الذي عينه لمشاهدة تجلي الأفعال والطور الخفي الذي خصصه الله لأن يشاهد الوجه الباقي في مرايا الأسماء الذاتية والصفات الإلهية بالنعوت الأزلية أو الطور الخفي وعيب العيوب الذي هو رجوع هذه الأطوار وعودها إلى الفناء الذاتي والخلاء الحقيقي لعدم الأصلي والإطلاق الأول. فأصل هذه الأطوار أن يقوم كل منها بما خصه الله به وعينه له فإن تخلف عنه بأمر ليس من شأنه أن يقوم ويتصف به فكأنه مرمي به فقد احتمل بهتانًا في فردانية النور والجمال وإثمًا مبينًا بحسب اقتضاء الظلّ والجلال فإن كلًّا منها يتقوم ويتصف بمقتضى النور والجمال وهو شهود التجلي الوجودي والنوري الجمالي في الأدوار الإلهية بنعت اللّطف وصفة الرحمة والنعمة الامتنانية وبمرتضى الظلّ والجلال وهو شهود التجلي العدمي الظلي الجلالي في

الأكوار الغير المتناهية بنعت القهر والغضب فرادى فرادى وبمقتضى جمعيتهما وإن كلًّا منهما في مرتبة له مقام وحال واقتضاء كمال وما مناله مقام معلوم ويرى عن حال غيره وكمال ضميره فلو اتصف بحال غيره بهتانًا، وباعتبار النور والجمال وإثمًا مبينًا بحسب اقتضاء الظل والجلال.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ ولطفه وهدايته وتوفيقه باعتبار اقتضاء النور والجمال ﴿عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وعنايته الأزلية وكفايته الأبدية بحسب ارتضاء الظل والجلال في الأطوار السالفة والأطوار العالية التي هي مطايا التجليات الإلٰهية ﴿لَهَمَّت﴾ وقصدت ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من كفار النفس الأمارة والطبيعة المندرجة تحت سلطنة الظل والجلال المخفي تحت النور والجمال وهما توأمان يندرجانِ تحت سلطان مطلق الوجود والذات البحت الجمال والنور تحت الوجود والظل والعدم والجلال تحت الإطلاق والبحت اللّذان هما مفهومان للسلب والعدم اللذان رب الشيطان والإبليس ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ أي القلب الذي هو حصة من الحقيقة المحمدية المتعينة في الأطوار بالطور القلبي أي تصرفك جاءت الطور السّري والفؤاد إلى الطور النفسي والقالبي صاحب الظلم والفساد ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن كلًّا من الأطوار السافلة من حيث إنها حصص الحقيقة المحمدية له صلاحية أن يصل إلى كمال الحقيقة المحمدية لكنه من حيث إنَّه يستصحب النفس الأمارة فصرف حقيقة القلب من الطور السري والروحي والخفي والحقي إلى الطور السفلي انصراف منها من المراتب العالية إلى المراتب السفلية وأيضًا الانتهاء من طلب يكون في غير وقته من غير استكمال ما يتوقف هو عليه وتكميل مبادئه ضلال وإضلال وليس هذا إلا ميل النفس وإضلالها.

﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ [النِّساء: 113] في هذا الطلب والاستدعاء والخطاب إنما هو بالحقيقة المحمدية المتعينة في هذه النشأة العنصرية السارية في المراتب في أعيان الأدوار النورية صريحًا وفي الأكوان في الأكوار الظلية ضمنًا ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التجلي الثاني أولًا في المرتبة الأولى والنشأة العليا في سائر المراتب إلى النشأة السفلى الناسوتية ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي التجلي الأسمائي الذاتية والأفعالية والآثارية أو الكتاب هو التجلي الجمعي الكمالي والحكمة هي التجليات الصفاتية الذاتية والأفعالية والآثارية.

﴿وَعَلَّمَكَ﴾ الأولية والمرتبة الأزلية في هذه النشأة السفلية ﴿مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ﴾ [النِّساء: 113] في هذه النشأة من الأسرار الإلٰهية والأحكام النبوية التشريعية والتعريفية بطريق الوحي والإعلام والخطاب الوارد والإلهام ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] الآية، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ وعموم هدايته في هذه النشأة التي هي نهاية النشأة الكلية وغاية الشؤونات الإلٰهية نازلًا ﴿عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 113] لتضمنه تمام الإفضال وجميع الأفضال من أنوار سر الجمال وأسارير الجلال.

﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ أي في اجتماع الألطاف الخفية واللّطائف الخبيئة في الطور القلبي والمخمر الغيبي لشغلهم الطور السري الذي هو سر القلب ووجهه الخفي الذي هو مطية التجليات الإلٰهية عن شهودها ومشاهدتها ولذا أمر الله بالذكر الخفي لنفي صور الأخبار المخفية ومنع هيئات درر الأنوار وغور الأسوار المختفية في سر الغيب وكنز الحبيب بقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205]، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ [النِّساء: 114] أي أمر بصرف القلب والطور السّري من الانجذاب الإلهي والجذبة الإلٰهية الكلّية في الدورة النورية أو معروف في الكورة الظلية أو إصلاحٌ بين الناس في الصورة الجمعية بينهما فإن الانجذاب الكلي ينافي الكمال الجمعي الذي هو مقصود بالذات ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي من سلك هذا المسلكَ الذي أشرنا إليه طلب الرضا الحق وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ في السير في الله في المحشر الأعظم والقيامة الكبرى في جمعية الأدوار الإلٰهية والأكوار الربوبية ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 114] وهو التحقق بنعت الجمعية الإلٰهية والصفة الكلية الكونية. ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ﴾ [النور: 35] الآية.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ أي التجلي الجمعي والجمع الكمالي ولم يصل إلى السير في اللّٰهِ وإلى كمال جمعية الأدوار والأكوار ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ في

الأدوار النورية الإفرادية والجمعية ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الثابتينَ على مقتضى صراحة حكم النور والجمال على وجه استتبع المولود الظلي الجلالي الضمني وجعله داخلًا في حكم المولود النوري الجمالي الإنسي كما أشار إليه صاحب الدورة النورية الجمالية الصريحة بقوله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله مولود جني**، قالوا: وإياك، قالَ: **وإيايَ إلا أنَّ الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير**». ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النِّساء: 115] أي بحفظ المولود الجني على ما خصصته من الإضلال والإغواء إذ لكل من المولود الإنسي الذي رباه النور والجمال والمولود الجني الذي رباه الظل والجلال وهما توأمان يتولدان معًا فإن كان التربية والفردانية والتدبير للنور والجمال صريحًا وتربية الظل والجلال ضمنًا لا بدّ وأن يكونَ المولود الجني في حكم المولود الإنسي، وأن يكونَ سلطنة النور والجمال صريحًا غالبًا ظاهرًا، وسلطنة الظل والجلال ضمنًا مغلوبًا باطنًا، وإن كانَ تدبير الظل والجلال صريحًا يكون حكم المولود الجني غالبًا صريحًا، وحكم المولود الإنسي ضمنًا ومغلوبًا.

وهذا الأمر قسمان: كلي وجزئي، أما الكلي فهو أن ينتقل فردانية نوبة التدبير إلى دورة النور والجمال ولهذه الفردانية مدة معينة وبرهة مبينة وهي أربعة أقسام عظمى وكبرى ووسطى وصغرى ولكل منها مخصوصة فللنور والجمال في كل واحد منها سلطنة وحكم وللسّلطنة هذه دورة معينة، ولهذه الدورة أعيان كل منها متضمنة للمولودين إنسي وجني، فما دامت السلطنة للنور والجمال وأن يكونَ المولود الإنسي حاكمًا والمولود الجني محكومًا في جميع الأعيان إلا أنه قد يكون الحكم في بعض الأعيان مخالفًا محرومًا عن سعادة مقتضى هذه الدورة، فحينئذ يكون شقيًا كافرًا ضالًا ومضلًا هو القسم الثاني الجزئي، والأول هو المؤمن له سبيل يكون الثاني خارجًا عن سبيله قد تولاه ويحفظه على هذا السبيل المخالف، ونصليه جهنم وهي صورة المخالفة وساءت مصيرًا، وهذا المخالف إن كان لجميع الوجوه يكون كافرًا مشركًا، وإن كانَ في بعض الأمور يكون عاصيًا مجرمًا محرمًا عليه بعض ما خصه الله بخصائص النور والجمال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ لمخالفته خصائص النور والجمال لجميع

الوجوه ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ بقدر ما اتصف به من لوازم النور والجمال وعدم تجاوزه عن مقامه المعلوم وانتفاء وقوعه في الطرف ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 116] على ما يقتضيه بفيض النور والجمال ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ لكثرة نشأته وبركة تردداته في الأطراف والأكفان إن يدعونَ من دونه إلا إناثًا أي ناقصًا في أحكام الوجود قابلًا لتمام أحكامه وكمالاته على مقتضى كمال الكرم ومرتضى الجود إشارة إلى ما يترتب على تلك الفترات بكمال العثرات، فمنهم من يدعو ويطلب الفاعل ويشاهد فعله مع ذهوله عن القابلية وأحوالها، ومنهم من يقتضي نظره على القابلية وأحوالها وهذه الفرقة.

﴿إِن يَدْعُونَ﴾ لا يطلبونَ ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النِّساء: 117 ـ 118] وأبعده من الرتبة الكاملة الجمعية الأحدية الوسطية والهيئة الكلية الإحاطية وأكثر تأثيره إنما هو في القابلية وجهة السفل كما أشار إليه بقوله ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 17].

﴿وَقَالَ﴾ الشيطان: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النِّساء: 118] كبيرًا مقدرًا معلومًا.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النِّساء: 119] تفضيل جهات الإضلال والإغراء والإغواء فأول ما يتصرف فيه من العبد هو القلب فيفسد عقيدته ويغير نيته وهول أمنيته وفور همته بأن يبقى الصانع فإن لم تستطع فيما يتعلق بأفعاله وحكمته وصفات كماله بأن يبقى الإعادة والخسر وما يترتب عليه من الحساب والعقاب والمغفرة وحسن الثواب وكذا ينفي خصائص الطاعات ولوازم الرّياضات وخواص المجاهدات وهي المشاهدات وغرائب الحالات وعجائب المقامات بأن يلقى بأنها أوهام وخيالات وطاعات وتوهمات وغير ذلك، فإن لم تستطع فيفسد أعمال الشخص بإلقاء الرياء في الطاعات هذا مما لا محيصَ لأحد لأن يخلص من الشيطان وإلقائه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: 52] الآية، ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بأن يسمّ ويعلم أولًا النفس الأمارة ويعلم اللّوامة الصفات والملهمة الثقات بعلامات مخصوصة وأمارات منصوصة، ويعين بأن السالك في

مرتبة النفس قبلَ تعديل نعت السمِّيّة بالرياضية والزكية يرى الشياطين والحيات والعقارب والحشرات السمِّيّة، فإذا ارتاضت وانتقلت إلى مرتبة اللّوامة يرى السّباعَ وإذا نزلت وانتقلت إلى الملهمة شاهدت البهائم والعمارات الرفيعة العالية وإذا تحولت عن الهيئات البهيمية والصفات السبعية والسميّة واطمأنت في العبادات ورسخت في اكتساب الملكات الملكية واجتلاب الأوصاف البهية استعدت لأن يخاطبها الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27، 30] ثم يسعد لأن يشاهد الله لدى الانتقال من مرتبة النفس إلى مرتبة الفؤاد والطور السّري فليغيرن خلق الله بتبديل الأخلاق.

قالَ النبي ﷺ: «**فإن تغيير الخُلُق كتغيير الخَلْق**»، بأن يصرف كل ما خلق اللّهَ من النفس والقلب والصدر والفؤاد والروح والعقل والقوى المنسوبة إليها إلى غير ما خلق الله وقررت عليه كما علمت من أن الأمارة يتبدل من السميّة إلى اللّوامة ومنها إلى الملهمة ومنها إلى المطمئنة ومنها إلى الصدر وإلى القلب وإلى الفؤاد وإلى الروح وإلى العقل ومنه إلى مرتبة العلم ومنه إلى الوجود والذات البحت هذا في الترقيات وأما في التنزلات فبالعكس فمن تقيد في هذه الأطوار والمراتب والأدوار بهيئة وصفة وتقلدت بنعوت إمكانية وصفات شيطانية أخذ الشيطان خليلًا ووليًّا ومن يتخذ الشيطان سواء كان إنسًا أو جنًا، والشيطان الإنسي هو الذي اعتقد في نفسه لنفسه إنه كامل مكمل عن عائشة رضي الله عنها: سألت النّبي ﷺ: من المسيء؟ قالَ: «**من ظن أنه محسن**، قلت: ومن المحسن؟ قالَ: **من ظنَّ أنه مُسيء**»، وقالَ أيضًا: «**من ظن أو قال إني عالم فهو جاهلٌ**»، وأكثر مشايخنا من هذا القبيل إذ الكامل المكمَّل والفقير الفاضل المعدَّل هو الذي استكمل مقتضيات حروف الفقر، فإن مقتضى إلقائه ومدلوله هو نهاية الكشف الصوري والمعنوي، ومقتضى القاف نهاية الحقائق والراء نهاية الأطوار السبعة القلبية، وهي الطور القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي والخفي والحقي وغيب الغيوب، وقد بينا على التفضيل في رسالة نور الحق فقد خسر خسرانًا مبينًا في الأدوار النورية والظلية الإفرادية.

تفسير

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ أي تحت ما في الجنة من الحظائر والغرف والقصور والأرائك والأنهار الأربعة التي انفجرت عن الفردوس الأعلى وهي نهاية درجات الجنة وهي مائة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وفوق الفردوس هو عرش الرحمن كما وقع في الحديث ﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ما دامت السماوات والأرض كما وقع في سورة هود ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران للتأكيد الأول لنفسه والثاني لغيره لأن مضمون الجملة الإسمية التي قبلها وعد ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّساء: 122] تأكيد ثالث بليغ، فائدة هذه التأكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانته الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبًا للعباد في إيثار ما يستحقون به تَنَجُّز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص أخلاق مواعيد الشيطان.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَبِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أيها المسلمون وفي ليسَ ضمير وعد الله أي ليسَ ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ﴿وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَبِ﴾ فالخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعدَ الله إلا من آمن به ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله يعني ليسَ الأمر من المرء بالأماني وتمني النفس وترجيحًا وإنما الأمر بالعمل الصالح وحسن التوفيق ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾ مجزوم لعطفه على مدخول من الّتي يتضمن معنى الشرط من مبتدأ متضمن للشرط بجزمه خبره وجزاؤه وهذه الآية عامة في الحديث، من يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن يعمل سيئةً فله سيئة واحدة فيسقط من الحسنات واحدة ويبقى من الحسنات تسع فويل لمن غلبت آحاده أعشاره، وكذا ما يصيب المؤمن من نصب أو وصب يجازي به ويجوز أن يكونَ عامةً في غير التائب ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 123]

معينًا ولا ظهيرًا في دفع العذاب.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من للتبعيض أي بعضها ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ من للتبيين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: 124] أي ولا ينقص شيء ما من الثواب وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري لا يراد عقاب العاصي لأن المجازي أرحم الراحمين ولذا لما اقتصر على ذكره عقب الثواب بلا تعقب العذاب وترتيب العقاب لما نزلت: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النِّساء: 123] الآية. قالَ أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء نزلت ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى نزلت فيهم خاصة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ وأحكم وأتم وأقوم إسلامًا ويقينًا ﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ﴾ وأخلص ﴿وَجْهَهُۥ﴾ ونفسه وذاته ﴿لِلَّهِ﴾ ولا يعرف ربًّا سواه أو يدل وجهه في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلكَ أقصى ما يبلغه القوة البشرية ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي موجد للحسنات أو جاءها تارك للسيئات بكليتها ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ودينه موافقة للإسلام الحق ﴿حَنِيفًا﴾ تقيًّا أو صافيًا. قالَ ابن عباس: دين إبراهيم الكعبة والصلاة إليها والطواف حولَها والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات والموافقات وحلق الرأس وسائر المناسك ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّساء: 125] صفيًا أصفاه الله.

روي أن إبراهيم كانَ مضيافًا فأصاب الناسَ سنةً جَهدوا فيها فحشروا إليه عليه السلام فأرسل إبراهيم الغلمانَ إلى صديق كانَ له بمصر طلبًا للقوت فلما رجعوا وأتوا بالطعام وكانَ إبراهيم نائمًا فلما استيقظ ووجدَ رائحة الطعام سأل عنه، قالت سارة: هو من خليلك المصري قال: هذا من خليل اللّهِ لا من خليلي المصري فمن يومئذٍ اتخذه الله خليلًا مضيافًا.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وفعلًا يتصرف فيها ويختار منها ما يشاء لمن يشاء كيفَ يشاء فأوجب طاعته وعبادته عليها إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا فيجازيهم بكمال قدرته وشمول علمه وحكمته ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النِّساء: 126] إحاطة علمية لجميع الأشياء وأحوالها فيجازيه على خيرها وشرها.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ وميراثهن وكيفية توريثهن أدهشت نزولها أن عيينة بن الحصين أتى النبي ﷺ فقال: أخبرنا إنك تعطي الابنة النصفَ والأختَ النصفَ وإنما كنا نورث من يشهد القتالَ ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام: «**كذلك أمرت**» ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ ويخبركم ﴿فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ على اسم الله أو ضميره المستكن في يفتيكم للفصل فيكون الإفتاء مسندًا إلى الله تبارك وتعالى وإلى ما في الكتاب باعتبارين مختلفين على ما يتلى مبتدأ في الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز نصبه بتقدير يبين لكم وخفضه على القسم ولا يجوز عطفه على المجرور لاختلاله لفظًا ومعنى ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ أي لا تعطونَهُنَ ما قدر وفرضَ لهن من الميراث. الظرف: هو صلة يتلى أي يتلى عليكم في شأنِهنَ ويجوز أن يكون بدلًا من فيهن فالإضافة بمعنى أي في يتامى من النساء ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ [النِّساء: 127] يحتمل العطف على النفي، فعلى الأول لا يرغبون ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لرفاقهن وعلى الثاني يرغبونَ في نكاحِهنَّ لمالِهنّ ولما لَهنَّ من الجمال والكمال فإن أولياء الأيتام كانوا يرغبونَ فيهن إن كن جميلات متمولات فتتزوجونَ وتأكلون ما لهنَّ وتميلوا إلى ما لهن من الجمال ووفور الكمال وإلا كانوا يعضلونهن عن النكاح حتى تموت ترثونهن ويحتمل الحال.

روي أن عمر رضي الله عنه كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت عيّنة جميلة يأمره أن يزوجها غيره ويكون خيرًا لها وإن كانت ذميمة لا مالَ لَها ولا جمالَ يأمره أن يتزوجها ويكون خيرًا لها لأنه أحق بها.

﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ يعني الصغار من الصبيان عطف على ما سبق ﴿وَأَن تَقُومُوا۟﴾ عطف على ما قبله أي ويفتيكم في أن تقوموا ﴿لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ الخطاب للأولياء ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ في حق اليتامى أو المطلق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 127] وعد لمن آثر الخير في ذلك.

إشارة وتأويل

و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ وعرفوا الله في الفطرة الأولى والنشأة العليا علمًا وعرفًا حضوريًا شهوديًا ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النِّساء: 122] عملًا علميًّا في الفطرة العليا والنشأة الأولى فكما أن في هذه النشأة لا تتميز الأجزاء والجوارح والقوى والأعضاء بعضها عن بعض، وكما أن الأسماء والصفاتِ الذاتية والأفعالية والآثارية والتفكر والتعقل والعلم والعمل والقول والعقل لا يتميز بعضها عن بعض كذلك آثارها وهي الإحساس والشعور والإدراك والتوهم والتخيل لا يتميز بعض مقتضياتها بل لا يظهر في الأحدية الذاتية والوحدة الحقيقية، بل كان الكل في تلك المرتبة عين العلم كما أن الجواهر كلها عين الجوهر الأعظم والعقل الأول والعقل عين العلم لما تقرر من أن العالَم في هذه المرتبة عين العلم والعلوم.

وأن الصفات والأسماء عين الذات وأن التعينات والتشخصات والهويات عين الماهيات، والماهيات عين الذات البحت، ومطلق الوجود والحضرة الأحدية والوحدة الذاتية وإذا انبسطت الأحدية الذاتية وتنزلت الوحدة الأحدية عن مجتهد الهوية الغيبية وتميزت هذه الكثرات بعضها عن بعض تميز الأعيان والأكوان بحسب تميز المراتب بعضها عن بعض إلى أن انتهت إلى نهاية المراتب والتعينات وهي مرآة الأحدية الجمعية الذاتية التي تعينت في مرتبة الناسوت التي هي عين اللاهوت من حيث تضمنها جميع المراتب بما فيها من الأعيان والأكوان، أولًا تتعين وحدة النقطة القلبية التي هيَ عين وحدة نقطة المتكونة أولًا بنقطة مادة وحدته الجمعية القلبية لم تتحرك بالحركة الصاعدة الإقبالية ثم بالحركة

الهابطة الإدبارية مطابقة للحركة الفطرية الأولية كما قال النبي ﷺ: «**أول ما خُلق العقل ثم قال له: أقبل فأقبلَ ثم قال له: أدبر فأدبر**»، فظهر بالحركة الأولى مادة الدماغ وبالحركة الثانية مادة الكبد فهذه الأقانيم الثلاثة كما كانت أصلًا وحقيقة ومبدأً لظهور عالم الجبروت والواحدية والعقل ولظهور عالم الملكوت وعالم الروح والنفس ولظهور عالم الملك والشهادة وعلة لظهور جمعية عالم الناسوت لدى تبدل نسبته على نفسه وحركته على مركز حقيقته كذلك يظهر تعين الشخص الناسوتي وهوية الشخصية بهذه الحركات الثلاث أعني منه المركز وإلى المركز وعلى المركز ومبادئها كما قالَ النبي ﷺ: «**خلق الله تعالى آدم على صورته**» لاستجماعه تلك الحالات الإجمالية والتفصيلية والوحدة الجمعية لهما.

ولهذا ذهبت النصارى إلى أن الله الخالقَ الصانعَ هو هذه الأقانيم الثلاثة وهي: الأب والأم وروح القدس، ومظهر هذه الأقانيم الثلاثة في الكون والعين هوَ عيسى عليه السلام وأمه روح القدس مريم ولذا عبدوه بالألوهية لانطباقه على تلك الحالات المذكورة، وإذا انفصلت تلك الآثار وتغيرت مبادئها وهي الأطوار السبعة القلبية وبلغت نهاياتها وتميزت الأعمال والأفعال والأقوال والأحوال ظهرت الأعمال الصالحة المتضمنة للسير من الله وإلى الله، وإذا استكملها خاضت النفس في السير في الله وهي الحركة على المركز نفسه ثم عادت ورجعت إلى ما كانت عليها من أحدية الإجمال وواحدية التفضيل، والوحدة الذاتية الجمعية الجامعة لهما على وجه لا يشغلها شأن عن شأن، ويكون الإجمال عين التفصيل والتفصيل عين الإجمال، والوحدة عين الكثرة، والكثرة نفس الوحدة، والسكون عين الحركة، والحركة عين السكون، وكذا أقام نقب الأطراف وتطابقت الأكناف بالأعراف هذا على طريقة أرباب الكشف والشهود، وأما على أرباب النظر والاستدلال الظاهري فهو كمورد القسمة والمفهوم الكلي.

فإن الأقسامَ والأفرادَ مندرجة فيه غير متميزة بعضها عن بعض باختفاء الخواص واللوازم والآثار فيها، فإذا نزلت تلك الأفراد والأقسام عن وحدة مورد القسمة، وأحدية المفهوم الكلي، ومورد القسمة بنفسه على نفسه، وحصل له منه وفيه بنسب وإضافات، بعضه جنس وبعضه فضل وبعضه لازم ذاتي، وخواص أسمى فيحصل منه أقسام وأفراد لا تتناهى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 213] فاختلفوا سندخلهم في نهاية الدورات وغاية استبدال الكورات بالدورات وبالعكس جنات بدنية حيوانية ونفسانية وجنانية وروحانية وعقلية ثابتة في البرزخ.

فالمراد من الجنة إن كانت حقيقتها فهي البرازخ العالية المسماة بالبرزخ المبدَئي، وإن كانَ من حيث التمتع والانتفاع الذين يكون المجازات يسمى بالبرزخ المعادي تجري من تحتها أي تحت ما فيها من القصور والبنيان الأنهار الأربعة التي هي صور أصول العلوم التشريعية وهي علم الكلام الذي هو على أصول الدين، وأصول الفقه، وأصول الحديث، والفقه، أو الدلائل الشرعية وهي أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وأقسام الحكمة الأصلية وهي أيضًا أربعة:

الموسيقارية وهي علم التأليف والحساب والهندسة والهيئة، أو صور الاعتقادات والعقائد وصور صفات الأفعال البدنية النفسانية والقلبية.

والروحانية، هذا في حق عامة الخلق وأهل الشريعة، وأما في حق الخواص من أهل الله أصحاب الأخلاق وأرباب التجليات وأصحاب الأحوال والمقامات فهي معاني أخرى، أما الأول فهي صور أصول الأخلاق المرضية، وهي أيضًا أربعة: العفة والشجاعة والحكمة والعدالة، وأما الثاني فهي صور التجليات الأربع البسيطة الذاتية الأسمائية والأفعالية والآثارية ويمكن أن يكون صور مقتضيات الأدوار الأربع البسيطة النورية. قالَ الصادق: «الجنان أربعة: جنان النفوس في الدنيا الخدمة، وجنان القلوب المعرفة، وجنان المحبين الخلوة، وجنان المنيبين الوصلة»، ولا يدخل من تمنى بالعبودية ولا يدخل منازلَ الوفاء لأن الفاء عبودية فيها حُرّية وولاية خالدًا فيها ما داموا في فردانية اسم تكون هذه الجنة ونقيضها وهو النار من مقتضاها، والأسماء المقتضية أربعة، وكل جنة من هذه الجنان أولًا وبالذات منسوبة إلى اسم من هذه الأسماء وإلى غيره بالعرض والاشتراك، ولا مرية في أن السالك يدخل أولًا في جنة النفوس الحيوانية، ثم يترقى ويصون الحبيب ازدياد الذكاء النفسي والصفات القلبي والضياء السري والروح الروحي والروح العقلي إلى سائر الجنان وإليه الإشارة بقوله وعد الله حقًّا، فالوعد إشعار بجنة النفس وحقًّا بجنة القلب، والسري والروح والعقل وهي

الأخلاق والتجليات الإلٰهية والعلوم الحقيقية والمعارف الإلٰهية، ومن أصدق من الله قيلًا ومقالًا وقولًا لامتناع التخلف والخلف عنه لاختصاصه بالممكنات.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أي تحقق ما وعده الله وحققه من هذه الجنان وما فيها منه النعيم والأنهار بأمانيكم أي بمتمنيات نفوسكم بل على مقتضى طور القلب والسر والروح والخفي ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي على مقتضى الطور النفسي والقالبي المتصرف عن إطاعة القلب ﴿مَن يَعْمَلْ﴾ من الأطوار السبعة المذكورة ﴿سُوٓءًا﴾ أي استغل الوصول إلى رتبة كمال الجمعية بمقتضى غيره ومنسوب خيره ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾ يحشر معه في المحشر العظمى وذلك يمنع شهود التجليات وجمعيتها والتحقيق بها طاعة كانت أو معصية أو علمًا أو إدراكًا ودراية أو معصية وضلالة أو شهودًا ومشاهدة لإخلاله بالنظر الطبيعي وإضلاله في الأمر الوضعي.

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ﴾ أي العامل السوء لا يجد في مسالك سلوك ومدارك فكوكه لنفسه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظًا وناصرًا عليًّا ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 123] في دفع موانع التجليات قيلَ: إن المسلمين من الأطوار العالية وأهل الكتاب من الأطوار السافلة افتخروا فقال أهل الكتاب: نبينا قبلَ نبيكم وتبديل أخلاقنا قبل تبديل أخلاقكم وكتاب جمعيتنا قبل كتاب جمعيتكم فقال المسلمون: نحن أتم وأكمل وأعم منكم وإن نبينا وكمال جمعيتنا خاتم النبيين، وإن كتاب جمعيتنا يقضي ويحكم على الجمعية والكتب المتقدمة فنزلت. يعني أن الوصولَ إلى الجمعية الكاملة والمعينة الشاملة الفاصلة ليس بالسعي والاجتهاد وإنما هي بعناية الله وقوة جذبته وكمال جلب قدرته إلى كمال جمعه اللائق ونفعه الفائق.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ﴾ من الأطوار المزبورة من الصفات ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي ما يصلح ولحاله تفلح بآلة بما يقتضي شهود التجليات الإلٰهية ﴿مِن ذَكَرٍ﴾ أي الأطوار العالية التي يقتضي العروج إلى سماء شهود التجليات الإلٰهية وهو الطور السري والروح الخفي وغيب الغيوب والحقي ﴿أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النِّساء: 124] من الطور النفسي وأما الطور القلبي فإنه تارة يتبع تلك الأطوار العالية ويشاهد سر التجليات وتطورات أنواعها آنًا فآنًا ويصعد هذا العلم والإدراك إلى الطور السري والفؤاد، ومنه إلى الطور الروحي، ومنه إلى الطور الخفي، ومنه إلى الطور الحقي وغيب الغيوب فيجتمع عند كل طور من هذه الأطوار العالية نوعان من العلم شهودي

وحضوري وحصولي خطوري، وكذا ينزل القلب ما لا ينزل عليه من إشراقات الأنوار الإلٰهية والمعاني الغيبية إلى ما دونه أولًا إلى مرتبة الصدر، ويلبس تلك المتنزلات بالصور المتناسبة ثم ينزلها إلى الأعضاء المتحركة والقوى المدركة الظاهرة الخمسة أعني السمعَ والبصرَ والشم والذوق واللمس، والباطنة وهي الحس المشترك والخيال والوهم والمتخيلة والمتفكرة والمتصرفة والحافظة والقوة الذوقية التي يختص ببعض الأفراد في بعض الأوقات كإدراك لذة الجماع وإدراك النظم الشعري والذوق التأليفي بين الأصوات الملائمة، ثم يجمع هذه المعاني الحسية وتركيبها وترتيبها على وجه خاص، ثم يرفعها إلى ما صعدها إليه من الأطوار المذكورة، ويجعل كل طور من هذه الأطوار كلما وصلَ إليه من تلك المعاني مرآة لشهود التجليات وتطورها وهذا العمل من الطور القلبي غير منقطع ما دامَ باقيًا ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي ثابت على إيمانه الفطري وإلقائه الأزلي الضروري.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الأطوار وأصحابه ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي جنة التحقق بتلك التجليات أو التخلق بما يلزمها من الأخلاق المرضية والأوصاف الرضية، وما يلزمها من الهيئات السنية والصفات الجيدة والنعوت الفاضلة الهنية كالعفة والشجاعة والحكمة والعدالة، وما يتفرع عليها من القناعة والصبر والعفة والرضاء والحلم والتوكل والذكاء وغير ذلك ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: 124] أي لا ينقصون من الجزاء نقصًا قليلًا إذ ظهور آثار أدوار الأسماء الإلٰهية ومقتضياتها مقننة مضبوطة لتعادل حركاتها وتشابه طلوع أجزاء أفلاكها وسماواتها ولا يمكن التخلف والاختلاف فيها لبساطتها، وكلما يصدر منها إنما هو على نهج واحد، وإن الكلي في خزائن ألوهيته ودفاتر ربوبيته ثابتة ودرجات أزلًا وأبدًا ولا ينزل منها إلا نهج واحد ونهج متحد ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: 21] ومقدار مرسوم في الأدوار الأسمائية.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي الوجه البشري منطبقًا على الوجه الإلهي حالًا واعتبارًا ولا وجودَ ولا تحقق إلا للوجه الإلهي والكثرات إنما هي تنوعات تجلي الوجه الإلهي وتطورات ظهوراته كالبحر الهياج المواج والتحجر المكرم الدراج في الروح والبدن والنفس الكراج في الآفاق والأنفس لله أي منحصرًا وجهة البشري بالله بأن انطبق على الوجه الإلهي انطباقًا كليًا ﴿وَهُوَ

﴿مُحۡسِنٞ﴾ [النِّساء: 125] وموجد ومحقق في الوجهين فإن الوجه الإلهي لا يقدح الوجه البشري الكوني والوجه البشري لا يستر الوجه الإلهي فيكون وجه الحق من حيث هو غير البشري أيضًا عينه كما أن الوجه الإلهي الظاهر من حيث هو ظاهر عين الوجه الباطني وبالعكس كما أن الوجه الأحدي هو بعينه هو الوجه الواحدي وأن الوجه الواحدي هو الوجه الكثير وبالعكس كما أن الذاتَ في هذه المرتبة هو عالم ومعلوم وعلم فالذات من حيث إنَّه عالم هو علم ومعلوم لأن العلم ههنا حضوري حضر عنده جميع المفهومات المتقابلة والمتقاربة والمتماثلة فلا يشغله شأن عن شأن.

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الطور الخفي المنسوب إلى الدورة العظمى العلمية في العروج والرجوع إلى الوجه الإلهي حنيفًا مخلصًا خالصًا عن التبدلات الفعلية والانتقالات الصورية والتحولات الضرورية عاريًا عن التعينات الحسية والهيئات النفسية ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ والصورة النوعية البشرية التي هي نهاية التنزلات ﴿خَلِيلٗا﴾ [النِّساء: 125] ومتخللًا في ظاهره وباطنه بحيث لا يبقى فيه شيء ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى إلا وأثر الخلة ظاهر فيه وسر المحبة لديه شاعر فما بقي في إبراهيم جزء إلا وظاهره وباطنه هو الحق.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في الأطوار العالية التي هي مطية التجليات وهي السري والروحي والخفي والحقي أو في العروجات أو في سماء الأسماء الإلٰهية ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي الأطوار السافلة أي العالية والنفسية والقلبية أو في أرض سماء الكونية أو أرض الاستعدادات وعرض القابليات أو المراد من السماوات هي الأدوار الإلٰهية النورية الجمالية ومن الأرض هي الأكوار الظلية الجلالية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ [النِّساء: 126] إحاطةً علمية شهودية حضورية فيكون عين الذات ففي الحقيقة هذه الإحاطة هي الذاتية إذ الحاضر في الحقيقة هو الذات.

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ أي الطور النفسي والقالبي وأحوالهما الخطاب للحقيقة المحمدية السارية في كل شيء ولحصصها الوجودية ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ﴾ ويتكلم ﴿فِيهِنَّ﴾ أي فيما يظهر من الذات والأسماء والصفات في القابليات وجودًا وعدمًا وعلمًا وعملًا وشهودًا ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ من الأسوار الإلٰهية

والأنوار الربانية ثابت في الكتاب الإلهي واللباب الجمعي وهي الحقيقة الجمعية الإلٰهية والكونية التي هي حقيقة القلب ومعية الشهود والغيب في شأن يتامى النساء اللاتي لا تأتونهن ما كتب لهن من الإدراكات والأحوال والمقامات والعلوم المتموجة من التشبيه والتنزيه اللائق للكمال الجمعي والجمع الكمالي وترغبون أن تنكحوهن إشارة إلى أحوال المجذوبين السالكين كما أن الآيةَ الأولى إشارة إلى أحوال السالكين الغير المجذوبينَ فإنهم معزولون عن كمالاتها اللائقة لفقدان شرطها وهو الجذبة الإلٰهية والمستضعفين من الولدان نتائج العلوم النظرية التي لم يبلغ مبلغ الكشف والشهود ﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾ [النِّساء: 127] لليتامى بالقسط إشارة إلى مرتبة الإرشاد والتنكيل فإنهم يتصرفونَ في يتامى النساءِ وهم القوى النفسانية وفي اليتامى الرجال وهو القوى الروحانية بطريق العدل والقسط والتعادل ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر الإرشاد والتكميل منه التربية والتقوية والتزكية والتصفية والتحلية والتخلية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 127] كمًا وكيفًا.

تفسير

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٢٨﴾

﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾ وزوجها ﴿نُشُوزًا﴾ بغضًا وكراهة ﴿أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ بوجهه عنها ويترك المحادثة والمخالفة والمجادلة بها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ على الزوج والمرأة نزلت في رجل تزوج امرأةً شابة فلما كبرت وعلاها السن تزوج امرأةً أخرى فخافت من بعلها فأتت إلى النبي ﷺ فنزلت: ﴿أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ﴾ في القسمة والنفقة وهو أن يقولَ لها: إنكِ امرأة شيخة أو مسنة أريد أن أتزوج عليكَ امرأة شابة جميلة فأوثرها عليكِ في القسمة بالليل والنهار فإن رضيتِ بها فاصحبيني فإن كرهتِ خليتُ سبيلكِ وقرأ الكوفيون ﴿أَن يُصۡلِحَا﴾ من الصلح فجاز أن تنصب صلحًا على المفعول به وبينهما ظرف أو حال منه أو على المصدر كما في القراءة

الأولى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128] يعني إقامتها بعد تخييره إياها ومصالحتها على شيء معلوم من المقام والنفقة كذا عامل رسول الله ﷺ مع زوجته سودة بنت ربيعة ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ أي أحضرت هي عليه وأصل الشح الحرص أي والحال أن النفوسَ كلها ذكورها وأنوثها مطبوعة على الحرص على ما تشتهي وتلتذ به وجعل الحرصَ به حاضرًا عندها غير منفك عنها ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ وتصلحوا بينهما بالسوية ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجورَ والحيف والميلَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ سرًّا وعلانيةً وجهرًا ﴿خَبِيرًا﴾ [النساء: 128] عليمًا بهما.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا﴾ وتقتدروا ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ وتسووا بين النساء ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على العدالة والتسوية ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ إلى الشابة الجميلة ذات مال وأولات جمال والحليلة المنعمة المتولة المتنعمة ليكونوا مهانين في نظرهن ويستغرق أعمالهم ويستفرغ أعمارهم وأفعالهم في تفقدهن ورعاية استبطانة أنفسهن فحينئذ تقعونَ في معيشته فيحشركم الله تعالى يوم القيامة أعمى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكًا ونحشره يومَ القيامة أعمى الآية ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ في النفقة والقسمة والإقبال عليها ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ وتدعوها الأخرى ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ والمنوطة لا إيماء ولا دأب بعل ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾ بالعدل في القسمة والنفقة بينهن ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجورَ والحيف والميلَ والإساءة والنيل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ متجاوزًا عن السيئات وسائر الخطيئات ﴿رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 129] بما فعلت من الحيف الميل في القسم وكثرة المحنة.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ وينفكا في الطلاق ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ من الزوجين ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ ورزقه ووفور رأفته ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ لها حالة النكاح ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 130] وحاكمًا على الزوج بإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ وبينا ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني أهل التوراة والزبور والإنجيل وأصحاب الصحف ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أهل القرآن وأئمة المسلمين ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ واحذروه وأطيعوه ولا تشركوا به ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ بما أوصاكم الله به وبين لكم وأمركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ من الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ مستغنيًا عن جميع خلقه لا يحتاج إلى طاعتهم وإطاعتهم وإلى ما في أيديهم وأصل الغنى هو القدرة على ما يريد ﴿حَمِيدًا﴾ [النِّساء: 131] مستحقًّا للحمد والشكر والمدح.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النِّساء: 132] أي وكفى الله وكيلًا لعباده في كل ما يحتاج إليه.

تأويل وإشارة

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: 128] إشارة إلى بيان الإرشاد وتكميله وإلى أن ما يجب على المرشدات يسوي بين القوى العاملة والعاقلة والقابلة وليعلم أنه كل قوة فاعلة وعاملة أو مدركة ومحركة وعاقلة لا بدّ وأن يكون بإزائها قوة قابلة وإن كل عاقلة يتعلق أولًا بما دونها للاستكمال لا بدّ وأن يغفل عما فوقها وإذا تصرفت إليه لا بدّ وأن يغفل عما تحتها وألا يختل نظام ملك الدين وينفك أجزاؤه كما مرت الإشارة إليه في مكانة إدريس النبي ﷺ فإن خافت القوة القابلة من تلك الغفلة والانقطاع من التصرف فيما تحتها لا بدّ وأن يرفع ذلك إلى الحصة الحقيقة المحمدية التي تتعين في مرتبة الناسوت بالصورة الجمعية القلبية حتى يقضي بين القابلة والفاعلة ويحكم بينهما بالسوية والعدالة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ﴾ بأن يعين للنساء والقوى القابلة مدة التصرف وقدرًا من العلوم والمعارف والأحكام حسب الاحتياج وكذا للتصرف

في القوة العاقلة فلا بدّ وأن يراعي النسبة والسوية بينهما على هذا الوجه لتنظيم أحوال مملكة الوجود ليظهر الأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات الحقيقية على النظام الطبيعي والمرام الصناعي بأن لا تقع القدرة في الأحوال والمقامات بأن يرتفِقَ السالك إلى المرتبة العليا والمقام الأعلى قبل استيفاء وظائف المرتبة الأدنى مثلًا ربما يرتقي السالك إلى الطور الروحي والخفي ويشاهد التجلي التكويني العقلي والصفاتي قبل استكمال الطور القلبي والسري وكذا في طور النظر والاستدلالَ فإن الناظرَ المستدلَ ينتقل من الأصغر إلى الأكبر وإلى أخذ النتيجة من غير ملاحظة كيفية اندراج الصغرى تحت الكبرى ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لتضمنه خيرًا كثيرًا ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ الحرص وطول الأمل أو الإعراض عن الحق والبخل بما للحق هذا بيان ما تخصصت به المقابلة ويجذب القلب إلى عالم الطبيعة كما كان الأول بالعكس ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ في تعديل القوى الروحانية الفاعلية ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ في إصلاح المبادىء القابلة وتصحيحها وتركيبها وضم بعضها ببعض وترتيبها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 128] بالفعل أو المفعول ظاهرًا وباطنًا.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ولقلة علمهم بتبديل الأخلاق وتحسين الأوصاف وبأسبابه وشرائطه ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: 129] وترغبتم على التعديل والتبديل إشارة إلى أن الحقيقة البشرية ضعيفة في نفسها غير قادرة على شيء فضلًا على الإرشاد والتعديل وتصحيح الأعمال والقوى والأفعال وإصلاح الأحوال سيما الإلٰهية والربيّة ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] الآية وذلك أن الإرشادَ والتكميلَ موقوف على العدل الحقيقي والعدل الحقيقي لا يتصور إلا في الواحد الحقيقي والعدل الإلهي الذي لا يتأتى إلا في الأحدية الإلهية والوحدة الذاتية والإحاطة الجمعية التي تعانقت الأطراف وتناسبت الأوساط والأعراف وتعاشقت النقائض والأطراف والأضداد والأكناف فلا يظهر المتعاقد والتباين والكثرات وإلّا لَزِم التحكم فإذن لا بدّ له من ترجيح جانب الظهور والوجود على الخفاء وهو الميل الخفي «**فأحببت أن أعرفَ فخلقت الخلقَ لأعرف**».

﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ لا إلى عالم الوحدة ولا إلى عالم الكثرة

﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ ضائعة مهملة غير ملتفت إليها ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ بين الوحدة والكثرة والظاهر والباطن بحيث لا يقدح الوحدة الكثرة ولا الكثرة ليستر الوحدة بل يشاهد الوحدة بعين الكثرة والكثرة بنعت الوحدة بل يرى أحدهما عين الآخر قال الله تعالى بعين العدالة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 129] متجاوزًا في الميل الكل عن احتجابك عن الحضرة الجمعية والوحدة الكلية والهيئة المعية.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 130] إشارة إلى أن الأعيانَ الممكنةَ كلها فاعلة كانت أو قابلة من حيث إنَّ كل واحد منها حصة من حصص حضرة الكل وسعته لها قابلية أن يتحقق بكمال الكل لاستواء الكل في الحقيقة وبالوصول إلى الكمال الجمعي إلى المقام المحمود ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: 79، 80] وكان الله واسعًا بكمال إحاطته وجمال جمعيته بالكل حكيمًا من حيث الذات والأسماء والصفات.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ أي الأسماء الإلهية والكونية أو الأدوار النورية الجمالية الوجودية والأكوار الظلية الجلالية العدمية وما فيهما من الأعيان النورية الوجودية أو الأكوان الظلية العدمية ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي الأطوار القالبية والنفسية والقلبية ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أي الأطوار السرية والروحية والخفية والحقية بأن يصل كل من هذه الأطوار المذكورة العالية والسافلة إلى ما هو بالمقصود بالذات إما بطريق العدالة أو المشاهدة والمعاينة ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: 131] واعبدوه واعرفوه أو شاهدوه أولًا ثم اعرفوه ثم اعبدوه كما قال آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: «رأيته ثم عرفته ثم عبدته لم أعبد ربًا لم أعرفه ولم أره». ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ وتستروه بالحجب النورانية والظلمانية ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي في مقتضيات أدوار النور والجمال ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ أي في مرتضيات أكوار أطوار نوبة الظل والجلال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ ومستغنيًا عن إعانة الغير واستعانته لامتناعه إما بنفسه أو بغيره ﴿حَمِيدًا﴾ [النساء: 131] أي حامدًا ومحمودًا في مقتضى الجمال والجلال صريحًا وضمنًا على سبيل التبادل.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ باعتبار جمعيتهما وكمال إحاطتهما بحيث

يكون كلًّا بالاقتضائين حاضرين عنده من غير اختفاء أحدهما عن الآخر ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 132] إشعار بأن الاجتماعَ والافتراقَ يجتمعان ويفترقانِ لا يقدح أحدهما بالآخر لكونه جل وعلا محيطًا بكل المفهومات المتقابلة حاويًا على المعاني المتباينة والمتماثلة والمترادفة وبكل الموجودات والمعدومات وتكرار السماوات والأرض إشارة إلى تكرار الأدوار وتكثر الأكوار.

تفسير

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ ويفنيكم ويميتكم ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ﴾ ويوجد قومًا ﴿ءَاخَرِينَ﴾ خيرًا منكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الإيجاد والإذهاب والإبداء تقرير لفنائه الناس في حد ذاته وكمالِ قدرته ووفور حكمته وقوته وتهديد لمن كفر وخالفَ أمرَه وأنكر كمال قدرته ﴿قَدِيرًا﴾ [النِّساء: 133] على إيجاد الكائنات وإعدام الممكنات بالقدرة الكاملة والقوة الشاملة القائمة بالذات بل عينها لما تقر من أن ذاته كائنة في إظهار الكمالات وإشهار الكلمات وإبراز الكائنات خطاب لمن غزى رسول الله ﷺ العرب لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ يده على ظهر سلمانَ وقالَ: «**هذا هو القوم الذي قال فيهم وإن تتولوا قومًا يستبدل قومًا غيركم**» هذه هي سنة الله التي قد خلت من قبل فلن تجد لسنة الله تبديلًا ولكمال قدرته تحويلًا.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ وتمتعاتها وحطاماتها ولذاتها كالمجاهد والمهاجر للدنيا والغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ [النِّساء: 134] توبيخ لمن اقتصر على الأول وتصريح بأن الحري على اللّبيب أن يطلبها معًا وإلا فينحصر طلبه على الباقية لشرفها وبقائها ومنهم من يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقَرَة: 201].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ﴾ طلبَ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ [النِّساء: 134] وحدَها يؤتيه الله وما له

في الآخرة من نصيب من كانَ طلب الآخرة نؤتيه مع الزيادة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: 202] الآية، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا﴾ يسمع دعاء الطالب ومناجاته الخفية ﴿بَصِيرًا﴾ [النِّساء: 134] يرى استحقاقه ومقدار أهليته ومعيار صلاحيته قابليته فيعطيه ويجازي كلًّا بحسب نيته وبقدر همته.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ قوالين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل والشهادة على نفسك ولمن هم مجتهدينَ في إقامة العدل وابتغاء لمرضات الله وحسن توفيقه كما أمرتم بإقامة الشهادة ولو على أنفسكم وأحبائكم وإخوانكم وسائر أقربائكم ﴿شُهَدَآءَ﴾ خالصة مخلصة ﴿لِلَّهِ﴾ لا لغرض من الأغراض الدنياوية أو الأخروية أو مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته حال كونكم شهداء لله أو جريئان ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أو بالإقرار والاعتراف بثبوت شيء على نفسه أو لغيره بأن يقال لزيد عليّ كذا ولزيد على عمرو كذا وغير ذلك من ألفاظ الإقرار والاعتراف أو الشهادة في الأصل إخبار عن ثبوت حق عليه أو على غيره ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ أي الأب والأم للضرر لا للوالدين لجذب النفع ولو على ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ من الأخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وغير ذلك مما كانَ من الأقربين في الرّحم ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه أوله ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة أو لا تجوزا فيها ميلًا وترحمًا ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ بالغنى والفقر منكم فلو لم يكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحًا أو إصلاحًا نجاحًا أو فلاحًا لما شرعها وبادر إليها وهو هذا الجواب أقيمت مقامَه وضميرهما راجع إلى ما دل عليه المذكور وهو جنس الغني والفقير لا إليه وإلا لوجد ويشهد عليه أنه قرأ: ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ﴾، ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ﴾ [النِّساء: 135] لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن

تعدلوا من العدول لا العدل ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ باللسان وتصرفوا عن شهادة أو حكومة العدل أو تدافعوا في إقامة الشهادة يقال لَويتُ حقه أي دافعته من الالتواء وهو الانعطاف والانحراف والانصراف ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عنها وتكتمونها ولا تقيمونها عند الحاكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النِّساء: 135].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ في الكتاب الأول ومرتبة حضرة العلم كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في هذه النشأة نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، فقالوا: يا رسولَ الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي ﷺ: «**بل آمنوا بالله وكتابه القرآن**» ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ والمراد ثبتوا على الإيمان بما ذكرنا وداوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنوا به بلسانكم أو آمنوا إيمانًا عامًا يعم الكتب والرسل فإن الإيمان ببعض كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أي ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ وأخطأ ﴿ضَلَـٰلًۢا﴾ وخطأً ﴿بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 136] فلما نزلت هذه الآية قالوا يا رسولَ الله فإنا نؤمن بالله وبرسوله وبالقرآن وبكل رسول وكتاب كان قبل القرآن والملائكة وباليوم الآخر لا نفرق بين أحد منهم كما فعلت اليهود والنصارى فإنهم فرقوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض ونحن له مسمون فدخلوا في الإسلام.

إشارة وتأويل

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النِّساء: 133] أيها الناس عند فردانية اسم من الأسماء الذاتية مطلقًا لا على اليقين والفرض، إخبار عن استمرار هذا الحكم من الأدوار وذكر العشي والإبكار، أو المراد انقضاء فردانية اقتضاء اسم المريد الذي هو آخر الأسماء المدبرة من الأسماء الأربعة الذاتية البسيطة المستقلة في التدبير

والاقتضاء، وأما الأسماء الثلاثة الأخيرة التي هي المركبة بمنزلة المواليد الثلاثة فاقتضاؤها بشركة الأسماء الأربعة البسيطة - أعني العليم والحي والقدير والمريد، فإن كلًّا من هذه الأسماء السبعة الذاتية له اقتضاء ولذلك الاقتضاء مدة وبرهة من الأدوار. وقالَ النبي ﷺ: «**خلق الدنيا على سبعة آماد**»، والأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله ونحن في الأمد الأخير ففي انقضاء كل مدة وانقراض فردانية كل دورة تقوم قيامةً وتظهر ساعة ثم تنتقل الفردانية ونوبة التدبير والتربية إلى دورة أخرى واسم آخر ولا يبقى من مقتضيات الدورة السالفة عين من الأعيان النورية.

﴿وَيَأْتِ بِئَاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الإذهاب والإعدام والإيجاد والإياب ﴿قَدِيرًا﴾ [النِّساء: 133] وأنت خبير بأن كل فردانية اسم من الأسماء الذاتية ومدة دورة من الأدوار الإلٰهية وكورة من الأكوار الكنانية دنيا وآخرة وقيام قيامة وظهور ساعة من كان يريد ثواب الدنيا والآخرة أي سعاداتهما فعند الله ثواب الدنيا والآخرة أما سعادة الآخرة فهي بعينها باقية لا تتغير ولا تتبدل صورتها، أما سعادة الدنيا فهي وسيلة للسعادة الأخروية مثلًا سعادة الدنيا هي الأعمال البدنية الصالحة، والأفعال النفسانية الفالحة، لا يبقى بحقيقتها وصورتها بل ينتقل من صورة إلى صورة، فإن الصلاة مثلًا صورتها في الآخرة وحقيقتها هي البساتين والكروم المثمرة والأفراس المسرجة والصورة الإنسانية الحسنة وغير ذلك. قالَ النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم تُردّ عليكم**»، وقس عليها سائر الأعمال والأفعالِ والأقوال والأحوال فإن كانت صالحة فهي الجنة ونعيمها، وإن كانت طالحة فهي السعير وجحيمها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ بأقوال أعيان كل دورة ودعائهم وسائلهم ﴿بَصِيرًا﴾ [النِّساء: 134] بأحوال كل الأعيان ومقتضيات قابلياتهم الأولية واستعداداتهم الأولية وكيفياتها وكميتها وقوتها وضعفها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في الفطرة الأولى وبداية النشأة العليا من أعيان الأدوار الجمالية النورية الوجودية صريحًا ومن الأكوان والأكوار الظلية الجلالية العدمية ضمنًا ﴿كُونُوا۟﴾ في كل دورة من الأدوار المذكورة ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ أي قوالين متكلمين قائمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ والعدل والاعتدال والانتصاف والاقتصاد ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ بأن الله أعطى لهم في كل دورة سابقة ما يطابق الدورة اللّاحقة ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بأن الله أعطاكم الصورة الجامعة ظاهرة وباطنة ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ يعني الجوهر

الجبروتي والملكوتي والأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية والجواهر المجردة البدنية والفواخر النفسانية، أو الأرواح والأجسام، أو الأملاك والعناصر والأفلاك ﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [النِّساء: 135] أي القوى الروحانية والنفسانية إن يكن غنيًّا بأموال التجليات الإلٰهية ونقود المعارف الفطرية وأجناس العلوم الحقيقية والإدراكات الذوقية، أو فقيرًا بانتفاء المجموع أو البعض أو الأحوال والأحكام الجمالية صريحًا.

﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا﴾ أو الجلالة الضمنية إن كان فقيرًا فالله الجامع للكل أولى بهما أي بالغني والفقير فلا تبتغوا الهوى التي هيئت من تلقاء مدائن عالم الطبيعة والمرتبة الحيوانية الرضيعة ﴿أَن تَعۡدِلُواْ﴾ بيان وتفسير له أي لا تميلوا من شهود التجليات إلى التقليدات الرسمية والأحكام الوهمية ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ﴾ وتتقوا بظاهر العلوم الحكمية ﴿أَوۡ تُعۡرِضُواْ﴾ عن مجامع الفضائل العلمية النظرية والعملية إلى المعاقد الظنية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النِّساء: 135] عالمًا بها على ما هي عليه ظاهرًا وباطنًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في النشأة العليا عند الفطرة الأولى في الدورة السابقة إلا على مَن ﴿ءَامِنُواْ﴾ في هذه النشأة الأخيرة والدورة الأثيرة ﴿بِٱللَّهِ﴾ أي بشهوده بتمام الأسماء والصفات الذاتية والفعلية والآثارية الإفرادية والجمعية ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ أي بالأسماء الذاتية فقط ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من قبل أي مقتضى الطور الخفي وعالم الجبروت وملائكته أي الطور الروحي وعالم الملكوت والأمر وكيفيته أي تجلياته الآثارية في الطور السري ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي يتحقق في طور الجمع القلبي الذي يظهر في البرزخ الخيالي الحائل بين الجسم والروح واليوم الآخر الذي يظهر بالموت الإرادي والفوت الاختياري الذي هو برزخ بين الموت الطبيعي والإرادي وبين القيامة الآفاقية والنفسية فمن تحقق بهذا الآن ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ ومن لم يتحقق ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 136] لفقدانه تمام السيل لانتفائه في كمال جمعيته الجزاء والكل ففي هذه الضلالة الكاملة والجهالة الفاصلة التي قد اجتمعت في كمال جمعيتها تمام الجهات العلمية والجهلية وهي العلم الحضوري الذي انطبعت فيه أنواع العلوم الرسمية والرسوم الاسمية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ﴾ اليهودَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نجوا عن فرعونَ ﴿ءَامَنُواْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ به بعضهم حين عبدوا العجلَ ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ به بعد عوده من الطور إليهم ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعيسى وبما جاء به من موسى من الإخبار بقدوم عيسى والإيمان به ثم آمنوا بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ وبالفرقان وأصروا على الكفر ثم ازدادوا تماديًا في الغي وماتوا عليه ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما داموا لازموا وأقاموا على ذلك ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 137] إذ يستعبد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم ضربت بالكفر وأبصارهم عميت عن الحق ألا إنهم لو أخلصوا بالإيمان لم يقبل منهم ولا يغفر لهم ومن كان في أمثال هذا محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدًا ليغفر لهم هذا الكلام على هذا القدر قيلَ لهم ما حال الكافر هل هداهم الله للإسلام فإن قالوا: نعم قيلَ فما تقول ولا ليهديهم سبيلًا فإن قالوا: معناه أن لا يهديهم إلى طريق الجنة قلنا: على أصل أن العبدَ إنما يدخل الجنة بفعله وكذا يدخل النارَ بفعله وقد هداه إلى طريق الجنة بهدايته إلى الإسلام فكيف يصح هذا التأويل على أصلك.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ وأخبرهم يا حقيقة محمدية ويا طور الخفي الحقي الساري في تمام الأطوار في جميع أعيان كل الأدوار النورية الجمالية صريحًا وفي أكوان عموم الأكوار الظلية الجلالية ضمنًا ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّساء: 138] يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمراء على المؤمنين ووضع ﴿بَشِّرِ﴾ موضع إنذار استهزائهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النِّساء: 139] في محل النصب

أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذينَ أو هم الذينَ ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ والمنعَة والظهرة والمعنية وشديدة الغلبة مأخوذ من قولهم أرض عزاز أي صلب شديد وصلد وصلت ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 139] أي القدرة لله والقهر له ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر المسلمين بمكة ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهي المحققة أقيمت مع ما بعدها مقام فاعل وقد نزل عليكم يا معشر المسلمين بمكة في الكتاب يعني أنه إذا سمعتم آيات اللّهِ ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الآيات ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ غير الاستهزاء بمحمد والقرآن ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي إن قعدتم عندهم يكونا في هذه الحالة مثلهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 140] يعني القاعدين والمقعود معهم قد استوى في دخول جهنم في عذابها وإن المفاجأة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر والاستغناء بالإضافة إلى الجمع.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ وينتظرونَ ﴿بِكُمْ﴾ وقوع أمركم وهو بدل من الذين يتخذونَ أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ مظاهرين لكم فاستهموا له فيما غنمتم ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الحرب فإنها سجال ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الكفار والمنافقون ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [النِّساء: 141] أي لم نغلبكم ونتمكن في قلبكم فأبقينا عليكم

والاستحواذ الاستيلاء نحو استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله والقياس أن يقالَ استحاذ يستحيذ استحاذه على الأصل ولم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني قال المنافقون للكفرة ألم نغلبكم ونمنعكم من المؤمنين أي أخذلناهم بتجميل ما ضعفت به قلوبهم وتواثبنا في مظاهرتهم فاشتركونا فيما أصبتم وإنما سمى ظفر المسلمين فتحًا وظفر الكافرين نصيبًا لحسن حظهم فإنهم مقصور على أمر دنياهم وهو حقير في نفسه سريع الزوال ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 141] أي الحجة وحكمًا في الدنيا والآخرة احتج به أصحابنا على فساد شرى الكافرين المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لا يبقى أن يكون الارتداد ويقع إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة.

تأويل وإشارة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النِّساء: 137] يعني أن أصحاب الأطوار السبعة القلبية إذا تصاعدوا إلى أوج الطور السري من حضيض مرتبة الإيمان التقليدي وهو علم اليقين إلى ذروة شرف الإيمان الحقيقي وهو عين اليقين بأن يشاهد المؤمن به أولًا في مظاهر الأعيان الحسية الآثارية «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد قطط**» الحديث. قالَ آدم الأولياء علي المرتضى كرم الله وجهه: «رأيته فعرفته ثم عبدته لم أعبد ربًا لم أره». ثم يرتقي من هذه المرتبة إلى مرتبة كمال شهود المؤمن به في الطور الروحي في عالم الملكوت وشاهدوه بصفة التكوين والتخليق والإبداع والإيجاد، ثم يتصاعد إلى أوج سماء الأسماء الذاتية ويشاهده بصورها، ثم يرتقي منها إلى عالم اللاهوت وذات البحث ويتلاشى بأسمائه وصفاته وذاته في ذات الحق وأسمائه وصفاته وفني مما له فيما له فحينئذ كفر واستتر عما سوى الله وآمن بالله الحق القيوم المطلق ووجد لوجوده الأحدية أي الباقي على أحدية الذاتية ووحدته الجمعية بالنعت السرمدي والوصف الديمومي في جميع الأدوار وتمام الأكوار الإفرادي والجمعي، وأنتَ خبير يا صاحبَ الأطوار والتجليات إنك إذا ترقيت من طور إلى طور ومن مقام إلى مقام ومن شهود تجلي إلى تجلي آخر سواء كانَ بطور واحد كما شاهدَ الخليل بصورة والشمس والقمر ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا

كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76] الآية.

أو من أطوار مختلفة كما رأته فحينئذ قد لا يقع نظرك على المقام الأدنى وأنتَ تكفر به وهكذا تصور من مقام إلى مقام ومن طور إلى طور ومن تجلي إلى تجلي إلى أن يبلغ إلى نهاية الأطوار، لهذا إذا كانَ السلوك على النظم الطبيعي والترتيب الوضعي في بداية الحال. وأما إذا ترسخ في السلوك، وتثبت فيه وأحاط بأقاليم الأطوار وآفاق الأدوار، واتسعت دائرة مناطق شهوده لا تغيب عن ساحة مشاهدته طور ما ولا تجلي كما يكونَ لأصحاب الكمال الجمعي والجمع الكمالي في السير في الله.

وأما الحالة الأولى: فهي على طريق الأكثري إنما يكون لأصحاب السير إلى الله ومن الله ويحتمل أن يكون المراد من الكفر والإيمان السيرين المذكورين فأكلا منهما ليستر الآخر ثم رأوا كفرًا عند تكثر المشاهدات وتكرر الحالات والمقامات أو عند الكمال الجمعي والجمع الكمالي في السير في الله وبالله ومع الله فإنه كافر بالسيرين المذكورين وساتر لهما، فللعارف في هذا المقام الجمعي ثلاث نظرات أحدها إجمالي إحاطي لا يتميز أحدهما عن الآخر، وثانيها نظر يتعلق بكل منها من غير أن يحتجب أحدهما بالآخر، وثالثها نظر جمعي إحاطي وفرق إماطي يكونان معًا حاضرين عند الناظر بحيث يكون أحدهما عين الآخر والآخر عين ذلك ومتميزًا عن الآخر، كما أن الله تعالى هو الظاهر والباطن والآخر والأول ومن حيث هو ظاهر باطِن وأول وآخر وغير ذلك، وكذا العارف السائر من حيث هو ظاهر ومؤمن وكافر وساتر.

﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ ليلبسهم بلباسِ الفناء أبدًا ويستر بستر التقيد في الأدوار والأكوار ويحققهم ويبقيهم ببقاء البقاء غير زائل عنه ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [النِّساء: 137] لأنهم في الكمال الجمعي والجمع الكمالي متحققون بكمال الكلي والكل الكمالي بحيث يهتدي إليهم من تمام الطرق وجميع السبيل من الجزاء والجزئي والكلي ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ المترددين في النشآت الأدوار والشؤونات الأكوار، وإنما ضم المنافقين لطول مسافتهم وتكثر نشآتهم، فإن يصلوا إلى الكمال الجمعي مقامَ

جمع الجمع في السير في الله إلا بعد الاستكمال في نشآت الأدوار النورية الجمالية الوجودية وفي شؤونات الأكوار الظلية الجلالية العدمية، إلا أن جمعيتهم لكونهم في الدرك الأسفل أتم وأكمل وأشمل وأعم من جمعية المؤمنين والكافرين، ولذا أثر بشر على أن أنذر وخوف ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّساء: 138] في الترددات والنشآت وكثرة الشؤونات، وذلك لأن كل عين من الأعيان النورية وكل كون من الأكوان الظلية إنما يطلب شبحه الأولي ومقام الأولي ويرتجي الوصول إليه ويتسافر على فرقته فتوقد نار التأسف والندامة في مجمر فؤاده فيجد منه عذابًا عظيمًا لو علم الكافر ما عند الله من خزائن رحمته لما قنط من رحمته وكذا لو علم المؤمن ما عنده من العقوبة ما طمع بالجنة.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ للسائرين بالبشرية الألوهية وهي الجمعية الشهادية والغيبية كما ستر الألوهية البشرية وسائر الكثرات المعنوية النورية والفلكية والعنصرية ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من أكوان الأكوار الظلية الجلالية العدمية ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ في صراحة فردانية النور والجمال عندهم الأولياء من أكوان الأكوار الفرعية الضمنية الطبيعية ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ والقهر والغلبة والاستيلاء والقوة وهم في ضمن الأعوان النورية مندرجة تابعة مقهورة مغلوبة ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 139] إذ الغلبة والقهر والقدرة لا يكون إلا للجمعية الإلهية والكونية الصورية المعنوية.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأطوار المنقلبة في الأدوار والأكوار ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي في الجمعية القلبية والهيئة الإحاطية الشهادية والغيبية ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ في الطور الجمعي ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي المعاني الباهرة والمباني الظاهرة الخفية النازلة والتجليات الجائلة الجالية الحايلة بين العبد والرب الغير الزائلة إلى الرتبة القلبية النازلة من الجمعية القلبية النازلة من الجمعية الغيبية إلى المرتبة السرية والأطوار الفؤادية ثم منها إلى الصدر ومنه إلى النفس وهيجتها وبثتها إلى مبادئها القائلة وقواها الفاعلة فمنها من يقبلها ومنها من ينكرها ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ لتنزيلهم إياها وتأويلهم جميعها إلى ما لا يوافق أغراضهم، كما أن موسى كانَ يتكلم الحق به فقالَ الشيطان: «يا موسى إن الذي تتكلم به هو الشيطان لا تقدر به ولا تعتمد عليه».

﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ ولا تجالسوهم ولا يحاكي الآيات النافلة عليهم ﴿حَتَّىٰ

﴿يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: 140] أي الأمور التي خصصهم الله بها من الأفعال الطبيعية كالتغذية والتنمية وتوليد المثل وما تتوقف هي عليه من الجذب والمسك والخصم والدفع والأعمال الإرادية والحركات الاختيارية والشعور والإحساسات والإدراكات الحسية بالمشاعر العشرة الشاعرة الظاهرة والباطنة من السماع والرؤية والشم والذوق واللمس والحس المشترك والخيال والوهم والتخيل والتفكر والحفظ، فإن اللَّهَ خلق كلًّا من هذه القوى في العمل وفي الباطن العمل أما في الظاهر فظاهر، وأما في الباطن فلأن الغرض الكلي والمقصودَ الأصلي من هذه القوى أن يطاوع القلب ويطبع الروح والعقل بأن يأخذ القلب أعمال المشاعر الظاهرة وتجرد كلًّا منها من الصور الحسية ويلبسه صور الحواس الباطنة ويعرضها على الروح، ثم تجرد الروح تلك المعاني عن صور الحواس الباطنة ويلبسها بصور العقلية ويعرضها على العقل فيقبلها العقل ثم تجرد العقل تلك المعاني عن الصور العقلية ويأولها على ما كانت أولًا في الحضرة العلمية عليه بأن كانت تلك المعاني المتناثرة بعضها عن بعض بالصور المخصوصة صورة واحدة علمية مرآةً لشهود الذات وتحلية بتمام الأسماء والصفات بجميع النسب والشؤونات، إما فردًا أو جمعًا حسب كمال التجريد ووفور التفريد وصفاء القلب وضياء الغيب عن الشكّ والريب، وهكذا تتضاعف هذه الحالات والإدراكات والمشاهداتِ إلى غير النهاية متميزة بعضها عن بعض، ثم ينزل على مداركها في هذه المراتب وتميزت بعضها عن بعض أولًا في الحضرة والخيال ومرتبة البرزخ والمثال الذي هو البرزخ المبدئي، وهكذا ينزل في عالم الشهادة والملك إلى أن بلغت مرتبة جمعية الفرد الكامل والشخص الفاضل، ثم يتردد في مدارج المبادىء الحسية والمبادىء الحسنة النفسية، ثم يعود ويرجع إلى حب القلب وصدر الغيب، ثم يتصرف فيها القلب بوجهين:

أحدهما: بطريق أهل النظر والفكر بأن يجعلها مبادىء القياسات وتركبها وترتبها، وينتقل منها إلى النتائج الفكرية والمعارج النظرية.

والثاني: على ما عليه على طريقة أرباب الكشف والشهوات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ المترددين في السير إلى الله ومن الله في الأدوار الإلهية والأكوار الإفرادية الغير المتناهية ﴿وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المتقلدين والسائرين

المتقيدين في مدارك الأدوار ومسالك الأطوار من غير استغنائهم في الفردانية الدورية المعينة حظوظها وأخلاقها وفصوصها ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ التحسر والندامة وسعير الفرقة والهجرة العامة ﴿جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 140] بطيئًا وسريعًا الذين يتربصونَ وينتظرونَ في مواقف الإدراك ومعارف الأطوار والاستخلاص عن نكاية قيود تلك الحظوظ وحدود الفصوص متشايعين بأعيان الدورة النورية المستكملة في نشأتها المتوجهين إلى صوب عالم القدس فإن كانَ لكم في هذا التوجه فتح من الله الذات الجامع لجميع من الأسماء والصفات بإعطاء التجليات بإنهاء الأسماء والصفات إلى معاني تلك التجليات وأسرارها ودرجات شهود أنوارها قالوا أمنافقو الأطوار الذين استتبعوا الأعيان النورية في التوجه إلى ذلك العالم ألم تكن في الفطرة الأولى التي فطر المواد الإنسي تابعًا له في التوجه نصيب وحظ ضمني قالوا أي كفار بعض القوى التي ما استتبعت طور القلب وطور السر والروح لباقي قوى النفس التي تمردوا على الطور القلبي والسري والروحي وَالخفي والعقل.

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النِّساء: 141] أي الأطوار السافلة المطيعة للقلب والروح والعقل والأطوار العالية فالله يحكم بينكم يوم القيامة في انتقال فردانية النورية الجمالية الوجودية الإفرادية إلى الجلالية وبالعكس فكلما وقع وظهر في حكم الجمال تَحَيزن في كنز الجلال وخزينته وبالعكس فإذا تحولت النوبة من الجمال والنور إلى الجلال والظلّ يكون الجمال والنور خزينة الجلال والظل فكلما ظهر من الأطوار المؤمنة النورية الجمالية الوجودية أي النفس المهذبة والمذهبة المطمئنة والقوى النفسانية المطيعة للقلب المصفى والروح المنور المعلى والعقل المجرد الأعلى من الطاعات البدنية والعبادات النفسية والأعمال الحسيّة بأنواع العلوم والإدراكات الحقية والمعارف الإلٰهية والحالات القلبية والمقامات السرية والتجليات الربانية الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية في السير إلى الله ومن الله وفي الله في الأدوار الإلٰهية والأكوار الغير المتناهية وغير ذلك من الأحوال العالية والمقامات الغالية الغالية تعرض وترد على صاحبها.

قالَ عليه السلام: «**يا قيس لا بدّ لكَ من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن**

معه وأنتَ ميت فإن كان كريمًا أكرمك وإن لئيمًا أساء لك ثم لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحًا فإن كانَ صالحًا لم يستأنس إلا به وإن كانَ فاحشًا لم يستوحش إلا منه وهو فعلك»، الحديث.

وأما الأطوار الكافرة وهي النفس الأمارة واللّوامة والملهمة وقواها بل جميع الأطوار من حيث إنها ساترة للوحدة الذاتية والأحدية الإلٰهية الجمعية كافرة بل مقتضيات تمام الأدوار الإلٰهية الإفرادية ومرتضيات جميع الأكوار الفردانية الغير المتناهية من حيث هي ساترة للوحدة الجمعية والجمعية الإلٰهية التي هي مرتضى قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] يدل عليها إشارة الأحدية الجمعية في النشأتين وفي الأول إيماء إلى العوالم الخمس وفي الثاني إلى المراتب الست هو الهاء والواو (٦١٥) والواو أحد واو (١٣) أحد ولن يجعل الله للكافرين السائرين بغواشي الطبيعة وحواشي النفوس الرضيعية الروح الإلهي وأحكامه والروح الغير المتناهي وفتوحه وأعلامه وقيومه على المؤمنين السائرين من القوى الطبيعية إلى الحقيقة الأحدية والطبيعة الجمعية سبيلًا تسلطًا وسلطانًا لما تحقق منه أن السلطنة لا تتحقق إلا بالجمعية والتفرقة إنما هي بالآحاد قالَ النبي ﷺ: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب والله غالب على أمره**»، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحِجر: 42] قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعينَ إلّا عبادكَ منهم المخلصين.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّساء: 142] وفي الكشاف هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر، وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به المنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة عمدًا متعمدًا فقد كفر عن حذيفة من نصب الإسلام ولا يعمل به فهو منافق قيلَ لابن عمر رضي الله عنه ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا نتكلم بخلافه فقالَ: كنا نعده من المنافقين، سبق الكلام في صدر سورة البقرة، وذلك أنهم على الصّراط يعطونَ نورًا كما يُعطَونَ المؤمنون فإذا خاضوا في المضي على الصراط يُطفَى نورهم وخفي خطورهم

وبقي نور المؤمنين وينادونَ المؤمنين ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: 13]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: 8]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين كالمكره على الفعل ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي يراؤون الناس نفوسهم مؤمنين والحال أنتم ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: 142] أي إلا في الظاهر عند الناسِ أحيانًا أو حينًا قليلًا باللّسان مخادعين المؤمنين عند إراءتهم نفوسهم مومئين للخلق بأنهم مؤمنون، فالغرض من إظهار الذكر صلاةً كانت أو غيرها خداع للمؤمنين بأنهم مؤمنون حقًّا وليس كذلك.

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾

﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾ حال من فاعل يراؤون أي مترددين ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ أي الإيمان والكفر ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المؤمنين ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ الكافرين ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النِّساء: 143] إلى الحق والصواب وإلى تحصيل السعادة الأخروية وإلى حصول الثواب وهو الشريعة والطريقة والحقيقة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ الكافرين الذّميين والمشركين والمنافقين ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ﴾ في اتخاذ الكافرين أولياء ﴿لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 144] حجة وبرهانًا واضحًا وأن مقاماتهم دليل على النفاق أو سلطانًا ذا تسلط عليكم عقابه.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: 145] بيان رداءة منازل المنافقين وسوء مداركهم وهي الطبيعة التي في قعر جهنم، فأما إذا كانوا كذلك لأنهم أخبث الكفار وأحنث الكفرة والفجار إذ ضموا إلى الكفر استهزاءً وخداعًا للمسلمين، وأما قوله عليه السلام: «**ثلاث من كنَّ فيه فهو منافق وإن صام وصلّى**

وزعم أنه مسلم: مَنْ إذا حدث كذب، وإذا وَعَدَ خلف وإذا اؤتمن خانَ» ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 145] يخرجهم منه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ ورجعوا عن النفاق ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ لما فسدوا من أسرارهم وأحوالهم حال النفاق ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ ووثقوا به وتمسكوا بدينه وفي عبادتهم ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ ولا يعتمدوا في الأعمال إلا باللَّهِ ولا يريدون بطاعتهم إلا وجهه فلا يريدونَ بمطاوعتهم إلا الأمر الإلهي وبإطاعتهم إلا رضاه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ ومن جملتهم ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النِّساء: 146] فيساهمونهم فيه.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ﴾ نعماءه وحمدتم منحه وآلاءه ﴿وَءَامَنتُمۡۚ﴾ به أي باللَّهِ وبما جاء منه خالصًا ومخلصًا براء من النفاق وعراء من المخالفة والشقاقَ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيبًا للفعل الجليل ومثبتًا للأجر الجزيل ﴿عَلِيمٗا﴾ [النِّساء: 147] بمقادير الأعمال وأقدار الأفعال وأسرار الأحوال.

تأويل وإشارة

إن التوبة من النفاق هي طي مسافة الأدوار والأكوار واستخلاص النّفس من ظلمة هيئة اختلاط ظلام النفاق بظلام الكفر والشرك وبظلمة الخدع وغياهب الإفك والانظلام بالجهل وسوء الظن والشكّ فإذا اجتمعت هذه الهيئات الظلمانية والكيفيات السمائية يحصل في النفس من تركيبها واختلاط بعضها ببعض وترتيبها ظلمة في غاية الشدة ونهاية الحدة وتجر صاحبها إلى أسفل الدركات وأنزل الظلمات التي تراكمت من خصائص إجراء الأدوار ونصائص لوازم الأكوار فإذا انطوت واجتمعت تلك الأجزاء زالت تلك الهيئات الظلمانية القائمة بالنفس

فعادت النفس إلى شبحها الأصلي وزالت تلك الكيفيات ورسخها العارض فإذا تاب الله عليها وأتابَ من تلك الدركات لديها نجاة.

واعلم أن الله عزَّ وجلَّ دبر أحوال المخلوقين الموجودين بالكمالات الوجودية كالإيمان والعلوم والإدراكات الحقة صريحًا بالنور والشهود والجمال والوجود والمعدومين بالهيئات العدمية والنعوت الخفية والصفات الوهمية كالكفر والجهل والعصيان والظلم والجور والطغيان ضمنًا خفيًّا بالجلال، وإن غلب حكم النور والجمال في الفردانية النورية الوجودية الصريحة ظهر العلم والإيمان والطاعة والعدل والإحسان وإن خفي حكم النور والجمال وغلب حكم الظل والجلال في فردانية النور والجمال ظهر الكفر والعصيان والظلم والجهل والطغيان، وإن تكافيا في الظهور والخفاء ظهر النفاق وظهر الفساد والشقاق، والنور والجمال والظل والجلال لغتان توأمان كالمولود الجني والإنسي يتولدان معًا يتكونان أصلًا وفرعًا استقلالًا وتبعًا فإذا انتقلت الفردانية من النور والجمال إلى الظل والجلال وكانت سلطنة الظل والجلال صريحًا وسلطنة النور والجمال ضمنًا وخفيًا استكمل المولود الجني الذي كانَ في فردانية النور والجمال ناقصًا وكافرًا وصار مؤمنًا وتضاعف إيمان المولود الإنسي بإيمان المولود الجني، وأما المنافق الذي لم يتب تضاعف كفره وتمحض شركه فصار كافرًا محضًا، وإذا انتقل حكم الفردانية من الجلال والظل إلى النور والجمال في سلطنة الدورة الكبرى النورية الصريحة صار المنافق مؤمنًا.

قال الصادق رضي الله عنه: «المنافق من عبد ربه من عند نفسه والمخلص من عبد ربه من قلبه، والمحب من عبد ربه بربه»، فيتم شوقًا ويعم سَوْقًا ويصير أكثر وفاقًا وأوفر صدقًا لأنه عبده باستحقاق المعرفة والعارف من عبده باستحقاق كنه ربوبيته فهو المقطوع عن غيره الواصل إلى ربه، هذا قول المحقق من عبد الله بالله عند التحقق بأسمائه وصفاته تارة كما قالَ: فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق، وأخرى عند التحقق بدايةً وبتمام أسمائه وصفاته كما قالَ جل وعَلا: «**أطعني عبدي أجعلكَ مثلي وليسَ لي مِثل**».

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: 142] أي يريدون بهذا الأمر ما يريدون المخادعونَ بفعالهم وبكلامهم ومقالهم ولم يبلغوا مرادهم لعدم استكمالهم فردانية وهو

خادعهم لأن الله جل وعلا ما أوصلهم إلى مأمولهم وهو الاستكمال في حكم الجلال بل أطال عليهم مدة النشأة إلى أن عادَ إلى حكم الجلال وفرداريّته وهو خداع الله لأنه أظهر خلاف ما أرادوه ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ الحقيقة والعروج إلى الأحدية الجمعية قاموا كسالى متثاقلين منها وبيّن لكثرة أركانها وشرائطها من مقتضيات النور والجمال وقوة موانعها وقواسرها من مرتضيات الظل والجلال إذ لا عبادة أجمع من الصلاة.

قالَ النبي ﷺ: «**الصلاة معراج المؤمن**»، إذ لا سلام ولا مرقاةَ للصعود إلى سماء الكمال الجمعي وللارتقاءِ إلى فلك الجمع الكمالي إلا الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: 45].

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ لكثرة شواغلهم وقوة عوائلهم من النور والجمال والظل والجلال وأطول مسالكهم وغول مداركهم لا يستطيعون إلى مقتضياتها وقضاء مرتضياتها ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: 142] أي زمانًا قليلًا ناكسي الرؤوس إلى أسفل السافلين وأنزل المنازلين مذبذبينَ الحقيقة والعروج إلى الأحدية الجمعية ذلك ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي ليس لهم إلى منازل النور والجمال منافع ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي مراحل الظل والجلال مرافع ولا إليهما مجامع ولا منهما فوائد ومراصعُ من يضلل في النشآت ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 143] إلى الهداية بالفعل ولا إلى كمال الإدراك والدراية بالروح والقلب والعقل دليلًا بالاستدلال والنقل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بكمال الجمعية بين النور والجمال والظل والجلال وجمعية مرتضياتهما ومعية مقتضياتهما في السير في الله وبالله ومع الله ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ السائرين إلى الله ومن الله ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أخلاء مرشدين يهدونهم إلى الذات الجامع لتمام الأسماء والصفات الرافع إلى مشاهد التجليات ومعاهد المعاينات ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النِّساء: 144] الكاملينَ في مقاصد الكمالات الذاتية والتجليات الأسمائية أتريدون يا معاشر الأعيان الجامعة بين السيرين في السير في اللّهِ يريدونَ أن يجعلوا الله الذي الانصراف في السير في اللّهِ إلى المتقيد بمقتضيات فردانية أحد الدورات النورية أو الظلية عليكم سلطانًا وحجةً ودليلًا وبرهانًا مبينًا واضحًا وحكمًا متينًا.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: 145] لما علِمْتَ من أنهم

في غاية البعد عن الكمالي والجمال الجمعي بعد التدرج إلى مدارج مقتضيات أدوار النور والجمال، وأكوار الحرور والظل والجلال لاستجماع أطوار أنواع الكمال الذين تابوا توبة وقد تحققت حقيقتها وكميتها وكيفيتها في توبة فردانية اسم المريد وترتيبها، وأصلحوا في ترتيبه اسم القدير وترتيب اقتضاءات سلطانه واعتصموا في مدة فردانية اسم الحي وأخلصوا دينهم الذي هو الشريعة والطريقة والحقيقة التي يميز بعضها عن بعض بالخصائص الغيبية والنقائص الغيبية والنصائص الشهادية في حكم سلطان العلم في أنواع الأدوار الإلٰهية وفروع الدورة العظمى النورية فأولئك أي الأعيان الكاملين في مسارح الاستكمال ومعارج الاستئصال في هذه الحالة في جنة الآثار والأفعال والأسماء والصفات مع المؤمنين الجامعين لمقتضيات الأدوار الجمالية ومرتضيات أكوار الجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويعطيهم في الآخرة المنسوبة إلى الأدوار الإلٰهية الجمالية الجمعية التي هي فروع الدورة الكبرى المنسوبة إلى اسم الحي ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 146] وهو الكمال الجمعي من العلم والحياة وأدوارهما الإفرادي والجمعي.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ أي القطيعة من الكمال الجمعي العلمي من أدوارهما الأربعة الإلٰهية الإفرادية والكمال الجمعي من أدواره الأربعة الربوبية الإفرادية، ومن جمعيتهما والتحسر والندامة على فقد الكمال الجمعي من الأدوار العلمي والحي ﴿إِن شَكَرْتُمْ﴾ [النِّساء: 147] والشكر هنا هو أن يشاهد الذات بالعلم والحياة وأقسامهما الأربعة الإفرادية وهي الحضورية الشهودية الذاتية يعني بعنوان الذات بداية عالم الجبروت وهي البرزخ بين الذات والصفات.

الثاني: بعنوان الوصف الذاتي أعني العلمَ من حيث هو علم.

والثالث: من حيث هو يتوقف عليه الخلق والتكوين الإبداعي، وهو مجرد المعنى من غير أن يلاحظ فيه الصورة والشكل والحد والتناهي والحد، والرابع هو الذي يتوقف عليه اختراع الصورة وإيجادها، فالأول يسمى بالإدراك والعلم والتعقل ومطلق التصرف، والثاني هو التوهم والثالث هو التخيل.

والرابع: هو الشعور والإحساس، والخامس هو الصورة الجمعية والهيئة الإحاطية ومظاهرها ومرآتها التي تحاكيها ويعرفها هي الحواس الخمسة الظاهرة، أولها اللّمس الذي هو أول ما ظهر في عالم التركيب واجتمع فيه جميع أنواع العلوم في أول المركبات وهي الخراطين وهي دودة وحبة طويلة تتكون في الأراضي الطينية، ثم ينفصل ويتميز بعضها عن بعض، والحيات وغيرها من الهوام والبهائم والسباع والطيور إلى آخر أنواع الحيوانات وهو الإنسان، هذا في الظاهر، وأما في الباطن فهي الحواس الباطنة وهي الحس المشترك والخيال الذي هو مرتبته وهوَ الوهم والقوة المتخيلة والمتفكرة والمتصرفة والحافظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ نفسه بنفسه عن نفسه ويقبل الشكر عن غيره ﴿عَلِيمًا﴾ [النّساء: 147] بذاته بتمام أسمائه وصفاته وأفعاله وآثاره في عموم مشابهه وتمام شؤوناته ويتلوه.

﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي لا يريد ولا يرضى بالقول الدال على السوء والقبح جهرًا دعاء عليه ورِعاء وعيبًا ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فإنه يجوز له أن يدعي على ظالمه جهرًا وخفيًّا فإذن يجوز للمظلوم أن ينتصر بالدعاء على ظالمه روي أن رجلًا ضاف قومًا فأساؤوا له فدعا عليهم وقال: اللّهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان فاشتكاهم فنزلت، قالَ النبي ﷺ: «**الضيافة على أهل الوبر لا على أهل المدر الضيافة ثلاثة أيام وما فوقه صدقة**» قرأ: (مَنْ ظَلَمَ) على بناء الفاعل فاستثناء منقطع لكن الظالمَ يفعل ما لا يحبه ولا يرضى به فجاز أن يجهروا له بالسوء من القول ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم على الظالم وعلى من يدنو به ﴿عَلِيمًا﴾ [النّساء: 148] بكيفية الظلم وكميته.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ وحسنة بالقول فيعملوا به كتب لهم عشرة وإن هموا بها ولم يجهروا بالقول ولم يعملوا كتب لهم حسنة واحدة ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ عن الغير وتؤتوها

الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبيرًا ومنهم خص بالمال المصدقين بهما أو فعلًا ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ﴾ أي مظلمة قولية وفعلية فالله عالم به ويجازيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ ومحاوزًا يوم القيامة عن الذنوب العظام ﴿قَدِيرًا﴾ [النِّساء: 149] على إعطاء الجزاء للخواص والعوام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى وعزير والتوراة وكفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل وبمحمد والفرقان وأن تكذيبهما هو تكذيب موسى وعزير وغيرهما من الأنبياء عليه السلام لأنهم أخبروا عنهما وعن حقيقة نبوتهما ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ الكتاب والأنبياء ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النِّساء: 150] طريقًا وسطًا بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان بالله إنما يتم بالإيمان برسله وتصديقهم بما جاؤوا به إجمالًا وتفصيلًا فالكافر بالبعض ذلك كالكافر بكله في الضلال والعقوبة والنكال وفي العذاب وعظم الوبال كما قال عزوجلّ فماذا بعد الحق إلا الضلال.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ أي الثابتون في الكفر على الكفر في غيره بإيمانهم هذا حقًا مصدر مؤكد لغير أو صفة مصدر الكافرينَ بمعنى هم الّذين كفروا كفرًا ثابتًا محققًا وكاتبًا متحققًا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النِّساء: 151] مذللًا للإهانة.

إشارة وتأويل

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النِّساء: 148] الحسي أو الكلام النفسي.

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّساء: 149] الآية، لما مر من الأسر أو الإعدام والسيئات والأضرار منه مرتضيات الجلال

الضمنية فحقها أن يكون سرًّا لا جهرًا ولهذا منعت في الشرع وأنكر جهرها ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ وجهرت مقتضيات الجلال فيه على وجه جاوزوا في الظلم الحدّ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ والسؤال والدعاء في دفعه ليصير مطابقة خفية كانت أو علانيةً صريحةً أو ضمنًا أو صورة ومعنى لما تقرر من أن الظلم كما هو قبيح كذلك الانظلام والعجز والجبن أيضًا قبيح والجرأة والشجاعة مستحسنة. قالَ النبي ﷺ: «**إن اللّٰه يحب الشجاعة ولو على قتل حية وجزاء سيئة سيئة مثلها**» ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ بالقول السوء الصادر من صفة الظلية والجلال ضمنًا خفيًا ﴿عَلِيمًا﴾ [النِّساء: 148] بذلك القول وبما يقتضيه من كيفية الدفع وكميته وأنيتِهِ.

﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ من المعارف الإلٰهية والتجليات الربانية والحالات الروحانية والأحوال القلبية والأطوار الغيبية والأعمال النفسانية والأفعال الجسمانية والملكات الفاضلة والهيئات الكاملة على ما تقتضيه السماوات المحبوبية في الفردانية النورية الجمالية وأدوارها ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ على ما يقتضيه الظل والجلال في الصفة المحبوبية في المرتبة العاشقية والرتبة المشتاقية إلى ينتقل الفردانية من الجمال إليه ﴿أَوْ تَعْفُواْ﴾ عند تساوي اقتضاء الجمالين عن سوء أو العفو يتضمن الأمر الوجودي ويقتضي الطور العدمي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ ومتجاوزًا عما ذكر من مرتضيات الظل والجلال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّساء: 149] على ما يقتضي النور والجمال في الطور المحبي والدور العاشقي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النِّساء: 149] في الطور القالبية والنفسية والقلبية بوجه التي يلي النفس وهو الصدر المعنى التجلي الذاتي والأسمائي الآثاري والأفعالي والصفات الذاتية الذي هو مرتضيات الأطوار السرية والروحية والخفية والخفية غيب الغيوب، ويريدون أن يفرقوا بين اللّٰهِ ورسله وهي التجليات المذكورة التي من مقتضيات الولاية ويقولونَ بلسان الفرقة ونؤمن ببعض من مرتضيات ظاهر الأطوار السافلة أي القابلية والنفسية والقلبية التي تلي النفس وهو الصدر وهذه الأمور الثلاثة مظنة النبوة التشريعية وهي الشريعة والطريقة، ونكفر ببعض وبخفيه وبسره وهو باطن الشريعة والطريقة التي هو التجليات المزبورة، والحقيقة التي تتضمن هذه التجليات المذكورة، والدين المحمدية عبارة عن هذه الأمور الثلاثة كما أشار إليه عليه السلام: «**الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي**

والحقيقة أحوالي» فمن استكمل هذه الأمور المذكورة فقد استكمل الدين وإلا فلا دينَ له، لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل سيما الجزء الأفضل والركن الأشرف الأكمل وهو الحقيقة ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا أي بين مقتضى النور والجمال والظل والجلال طريقًا آخر غير النور والجمال والظل والجلال الإفرادي الذي نكفر ونستر سر الحقيقة التي هي الكمال الجمعي والجمع الكمالي. قالَ النبي ﷺ: «**إظهار سر الربوبية كفر**».

وهذا الأمر الثالث الوسطي يتوصل العبد إلى الرب خير الأمور أوسطها ويوصل الخلق إلى الحق والحقيقة الجامعة فهما أولئك الذينَ أخذوا الطريق إلى الحق والحقيقة والنور والجمال والظل والجلال الإفرادي السائر للكمال الجمعي والجمع الكمالي هم الكافرونَ حقًّا لكونهم ستروا مقتضيات جمعية الأطوار والأدوار والأكوار الجمالية والجلالية فإن الطريق الموصلَ إلى الحق والحقيقة هو الصورة الجمعية لا الإفرادية ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النِّساء: 151] لعُدولهم عن مقتضيات الطريق الحق وهو الصورة الجمعية والحقيقة الإحاطية وذلك لما تقرر في قانون الحكمة أن الموصلَ إلى المجهولات التصورية والتصديقية هو المركب لا المفرد فإن الوجه الشعور غير الوجه المشعور به وإلا لزم تحصيل الحاصل والتركيب لازم والتعريف بالمفرد باطل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ جميعًا ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النِّساء: 152] كما علمهم الله جل وعلا بقوله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ إلى قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: 136]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ بإيمانهم الكامل وإيقانهم الفاضل في إتقانهم نفوسهم على الأعمال الصالحة وقلوبهم على العقائد الصحيحة الفاضلة الشاملة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ ساترًا لما مضى من الآثام والإجرام والمعاصي في الأسبوع والأيام والشهور والأعوام ﴿رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 152] للخواص والعوام في الشهر بإعطاء الأجر الجزيل والثواب الجميل.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إذ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن كنتَ محمدًا معهودًا ورسولًا موعودًا فآتنا بكتابٍ نازل من السماء كما أتى به موسى عليه السلام فقال جل وعلا لنبيه رسول الله: إن سألك أهل الكتاب ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ السؤال مع أنهم شاهدوا منه ما لا يحصى حدًّا وعدًّا من خرق العادات وبرق نور المعجزات ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ قالوا له: لن نؤمن لك حتى نر اللّهَ جهرًا وعيانًا بعين العيان لا بنور التقرير، والبيان حضور الحجة والبرهان ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ هذا أعظم من الأول كما ينبه بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ من خرق العادات وإظهار المعجزات السائحات كفلق البحر وغرق فرعونَ بجنوده يتجاوزا منه الصدر والبحر فغشيهم من اليم ما غشيهم فأضل فرعون قومه وما هدى، لا نزول التدميرية فإنها لم تنزل بعد ﴿فَعَفَوْنَا﴾ عنهم وتركنا عقوبتهم ﴿عَن ذَٰلِكَ ۚ﴾ الأمر العظيم من اتخاذ العجل ربًا ولم أخذناهم بالاستئصال والإهلاك ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 153] تسلطًا ظاهِرًا بينهم حين أمرهم بقتل أنفسهم توبة عن اتخاذهم العجل والآيات التسع.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ﴾ جبل الطور ﴿ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ﴾ أي بسبب ميثاقهم ليقتلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ منحنيًا منخفضًا على لسان موسى حين وقوع الظل عليهم من الطور ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟﴾ ولا تظلموا ولا تجاوزوا عن الحد في اصطياد الحيتان ﴿فِى﴾ يوم ﴿ٱلسَّبْتِ﴾ هذا على لسان داود عليهم السلام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النِّساء: 154] وعهدًا أظيظًا في التوراة وهو قولهم سمعنا وأطعنا ظاهرًا وباطنًا.

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٥٥﴾

﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾ تخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا ببعضهم و(ما) مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف، ويجوز أن يتعلق بأخذنا المذكور بعد فيكون التحريم بسبب البغض وبما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع اللَّهُ عليها أي لا يؤمنون ونظيره لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون (من) صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يفعل في جاره ﴿وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وبما في كتابهم ﴿وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ وأوعية للمعلوم أو في أكنة مما تدعونا إليه ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ وختم ﴿عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ فجعلها محجوبة عن العلم وأخذها أو منعها للتوفيق وللتدبر في الآيات المذكورة في المواضع ﴿فَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ من كذب ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النِّساء: 155] منهم عبد الله بن سلام وأصحابه وقيلَ معناه لا قليل ولا كثير.

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦﴾

﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ [النِّساء: 156] بأن ينسبُوها إلى الزنا لجهلهم بأطوار الخلق وتنوع الإبداع وتضرع التكوين وتطور الإنشاء والاختراع، فإن منهم من يكفي في وجود العلة الفاعلية كالمجردات ومنهم من يحتاج إلى المادة والصورة أيضًا كالمادات، أما الأول فلأن المعلولَ لكونه صورة العلة لا بدّ وأن يكون واحدًا متصفًا بالوحدة الذاتية الأحدية العينية، فإذن لا بدّ وأن تكون الفاعلية عن القابلية، ومن هذا قيلَ إن كان قابلية القابل بعينه هو تمام فاعلية الفاعل لكل ما يظهر في هذه المرتبة من الصفات والمعلول واليقين، فهو عين الذات ولهذا قالَ الحكيم الإلهي إن الذات تكفي في كل ماله من الأسماء والصفات فكما أن ذاته كافية في ظهور الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية كذلك كافية في ظهور الأسماء الآثارية، فإذن العالم ليس إلا الأسماء وصفاته الذاتية والأفعالية والآثارية التي هي الذات كما أشار إليه بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35].

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] وهي العوالم الخمس والمراتب الست هو (٥) هو (٦) وأما الثاني وهو الذي يحتاج إلى المادة

فهو الذي لا يتحقق إلا بالكثرات الاعتبارية التي في الحقيقة هي الأسماء والصفات التي هي في الأصل عربي الذات الأحدية في بداية كل دورة كلية يقتضي المعلولَ الأول والتجلي الأزلي والفعل الكلي باعتبار غلبة اقتضاء العلة الفاعلية وكونها عين القوة للقابلية، كذلك يقتضي في بداية كل دورة كلية باعتبار تساوي العلتين ظهور معلول كلي جمعي إلهي من غير ازدواج مع شخص مخصوص على وجه منصوص كآدم الإنسي إن كانت الفردانية للنور والجمال، والجني إن كانت السلطنة والفردانية للظل والجلال، فكما جاء أنه يظهر في بدء الفطرة الأولى في بداية الدورة العظمى النورية لدى كون العلتين واحدة معلول وكذا عند تساوي اقتضاء العلتين معلول آخر إلهي وكوني كذلك يجوز عند غلبة القوة القابلة أن يظهر عن قابلية مولود قدسي كما ظهر من مريم عيسى وكذلك قد ظهرت عند غلبة القوة الفاعلية كما ظهرت حوا من آدم ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عِمرَان: 59] لذي علية اقتضاء المادة القابلة إشارة إلى استبعاد التوالد من غير الازدواج الذي هو شرط أكثري للتوالد والتناسل، واعلم أن الازدواج المخصوص على الوضع المنصوص إنما هو شرط أكثري للتوالد الإنسي، وأما التوالد للنوع الغير الإنسي فليس بشرط بل طريق التوالد وشرطه إنما هو النفخ كما اشتهر أن جبرئيلَ نفخ في مريم، ولي فيه تجارب صحيحة فإن الجني بعد أن تابَ بيدي وأناب إلى الله نكح ابنته متّى فنفخت فيها فتولد منها أولاد كثيرة في بطن واحد وأحفاد لا يعلم عددهم إلا الله.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ وزعمهم ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطًا من اليهود فلما رأوه سبوا أمه ورموها بالزنا فقال عيسى عليه السلام: اللّهم أنتَ ربي وأنا من روحك وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسبَّ أمي فاستجاب الله دعاءَه فمسخهم خنازير فاجتمعوا على قتل عيسى عليه السلام فقالَ لهم: يا معشرَ اليهودِ إن اللَّهَ بغضكم فغضبوا من مقالته غضبًا

شديدًا وثاروا إليه ودنوا عليه ليقتلوه فبعث الله جبرئيل إليه فأدخله في خوخةٍ في سقفها روزنة فرفعه الله إليه فأمر يهودا إليهم رجلًا من أصحابه اسمه ططياروس أن يدخلها ويقتل عيسى فألقى الله عزَّ وجلَّ شبه عيسى عليه السلام على صاحبه فلما خرج ظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه أما عيسى عليه السلام فهو حي رفعه الله إليه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ قالوا إن الوجهَ وجه عيسى والجسدَ جسد طيطاروس فلو كان هذا عيسى فأينَ صاحبنا ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ ﴿بِهِ﴾ أي بعيسى وأحواله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النِّساء: 157] أي ما حكموا بقتله حكمًا يقينًا جزمًا.

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ رفعًا عقليًّا ونفسيًّا، أو نقلًا بدنيًّا حسيًّا، وذلك لأنه روح إلهي وبدنه ليس من تراب الدنيا وطينته لتمنع الرفع الجسمي بل من طين الجنة وتراب الآخرة قال النبي ﷺ: «**خلق الله تعالى الأغنياء من طين الأرض وخلق الفقراءَ والأنبياء من طين الآخرة**». فمن كان جزؤه الأفضل وهو الروح الإلهي قد نفخ بذريعة جبرئيل في بدنه فلطافة بدنه ليسَ أقل من لطافة الشعاع البصري الذي هو جسماني والشعاع البصري في ساعة يسيرة ينفد في السماوات ويصل إلى الفلك الثامن ويتصل بالكواكب الثانية، ونوري شكلها ولونها إلى الناظر فما ظنك بمن هو ألطف وأعلى وأخف من الشعاع بمراتب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 158].

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد وشخص فرد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النِّساء: 159] الضميران لعيسى والمستثنى منه جملة تسميته أو الضمير الثاني لأحد يعني ما من أحد من اليهود والنصارى وسائر أهل الكتاب إلا ليؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموتَ ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه إيمانه ويؤيده قراءة: ﴿قبلَ موتهم﴾ إذ الأحد في المعنى جمع وعلى الأول إنه إذا أنزل من السّماء آمَنَ به أصحاب الملل وأرباب الدّول والنحل جمعًا حتى اتخذت الملل

وصارت واحدة وهي ملة الإسلام والدين المحمدي والطريق الأحمدي وأظهر العدل والعدالة وأشهر الأمن والأمان والصدق والإحسان في أهل الزمان في كل المواضع والمكان، وارتفع المخالفة والعصيان عن النفوس وعن تمام الأعيان من أشخاص الحيوان، وأقوام الإنسان حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، وتجري آثار الأنوار الإلهية وتسري أنوار الأسرار الأحدية في جميع الأعيان وتمام الأكوان، ويظهر سر التوحيد وينكشف در التجديد في الكثرات والتعديد وصورة جمعيتها وجمعية تمام الأضداد والنقائص والأنداد وما بقيَ ولا واحد وفرد من أعيان الموجودات ولا من أكوان الممكنات إلا وينكشف سر الألوهية لديه ويتصف كل أحد بحقية قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النُّور: 35] إلخ، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: 44] الآية ويتحقق بمضمون قوله شعر:

أنا القرآن والسّبع المثاني ... وروح الرّوح لا روح الأواني

هو يعم سر التحقيق بالألوهية عن آحاد الكائنات وأفراد تمام الموجودات وإنما ذم الله تعالى عيسى بقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: 116] لتخصيصه سر الألوهية بنفسه مع كونه مع سائر الموجودات في كونها حصصًا من مطلق الوجود وذات الحق البحت في درجة السواء فتخصيصه نفسه بالألوهية بحكم وترجيح بلا مرجح وانكشاف هذا السّر إنما هو من خصائص يتامى المحمديين وقد نهى الله تعالى طيب أموال اليتامى بقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الأنعام: 152] ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ [النِّساء: 159] أي شاهدًا على اليهود بالتكذيب وعلى بعض النصارى بأنهم ادعوا بأن عيسى هو ابن الله.

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النِّساء: 160] ما حرمنا عليهم إلا بسبب ظلم عظيم ارتكبوه من الكفر والكبائر العظيمة وأما الطّيبات التي

حرمت عليهم فهي ما ذكره في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعَام: 146] من الأنعام وحرمت عليهم الألبان، وكلما أذنبوا صغيرًا وكبيرًا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها والحال أن التوبة تكفِّر السيئات ويمحو الخطيئات لقوله عليه السلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»، فالعدول منها إلى غيرها في الحقيقة ذنب لأنه يخالف كتاب الله وسنته والأنبياء فإن آدمَ لما أذنب أمرهُ اللَّهَ تعالى بالتوبة وكذا سائر الأنبياء كداوود وسليمانَ وموسى وغيره ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي يمنعهم عن طريق الحق خلقًا ﴿كَثِيرًا﴾ [النِّساء: 160] عطف على بظلمهم.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ والحال أنهم قد نهاهم الله عن أكل الربا في كتابه التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة يعني أن هذه المعطوفات سبب وعلة لأن حرمنا عليهم الطيبات من المأكولات والمشروبات والملبوسات ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّساء: 161].

إشارة وتأويل

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ جمعًا وتفريقًا إجمالًا وتفصيلًا عروجًا ونزولًا في نشآت الأدوار الإلٰهية والكونية والأكوان الكورية صريحًا وضمنًا، ولم يفرقوا بين أحد منهم في تلك النشآت، لأن كلًّا منهم مظهر جامع كامل وكون رافع فاضل شامل للأطوار السبعة القلبية والأدوار السبعة الغيبية وخصائصها ولوازمها الوجودية الغيبية، فمن هذه الحيثية لا فرق ولا تفاوت، وأما الفرق والتفاوت فهو من حيث القلة والكثرة وكمال الجمعية وسرمدتها وذواتها وخواصها وعوامها وكليتها وجزئيتها وغير ذلك من المخصصات والمعينات ونظائرها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النِّساء: 152] إشارة إلى الفرق والتفاوت فإن منهم من لا يرضى من الله إلا بالله الجامع لتمام الأسماء والصفات الإلٰهية والكونية في جميع الأدوار والأكوار السرمدية بالنعت الجمعية وجمعية الجمعية

الإفرادية كما قال الله تعالى: «**يا عبدي أطعني اجعلك مثلي وليس لي مثلي**»، وغير ذلك: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**». وليس لهذا حدّ محدود ولا أمد معدود ولا حصر ومَدٌّ ممدود ولا سدّ معهود ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ ساترًا عليهم في الفناء في الله ﴿رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: 152] بالبقاء بالله وبالجذبة العامة التامة الكاملة الطامة العظمى والدابة الكبرى.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أعني صاحب الأطوار العالية والسافلة القالبية والقلبية إلى الحقيقة المحمدية وعيب الغيوب بلسان الحال وبيان القال والمقال المناسب لأصحاب المقام وأرباب لأحوال ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾ تجليًا ذاتيًا جامعًا لأنواع التجليات الإلٰهية وأطوار الظهورات الكونية في الأدوار الكنانية والأكوار الجنانية والأسرار الجنانية ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النِّساء: 153] من سماء الكمال الجمعي والجمع الكمالي وسماء أسماء الذاتية وجمعيتها فقد سألوا أي الأطوار السافلة أصحاب الأنوار النافلة موسى أي موسى الطور السري الذي هو بداية بوادي التجليات الإسمائية والذاتية أكبر من ذلك التجلي الآثاري ومشهود التجلي الذاتي بتمام الأسماء الإلٰهية والكونية يعني إن كانَ سؤالهم هذا كانَ مستتبعًا لموسى حيث سأل موسى الطور السري الفؤادي في بداية التجليات ما هي نهاية شهود التجليات ولذا منعه الله جل وعلا بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: 143] إشعار بأن لكل حصة من الحصص الوجودية في الأطوار القلبية والأدوار الغيبية استعدادًا وصلاحية لأن يتحقق بجميع أنواع التجليات إلا أنه للاستعجال الطبيعي قد يظفر في مشاهد شهوده ومعاقد عقوده قبل استكمال النوع من التجلي.

قد سأل في البداية: ما هو النهاية، إشعار إلى ما ذكرنا فقالوا أرنا اللَّهَ جهرةً أي الذات الجامعة لتمام الأسماء الإلٰهية والكونية والصفات الأزلية والأبدية والظهورات الكنانية السرمدية في تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعيتها وجمعية جمعيتهما بيانًا وعيانًا فأخذتهم الصاعقة أي المتعة الإلٰهية النازلة من سماء الاستعداد الذاتي بظلمهم أي بسبب تعديتهم وتجاوزهم عن مقتضى النشآت المستدعية لذلك الشهود ثم اتخذوا العجل أي العجلة الطبيعية في استعدادهم الذاتي واستمدادهم الأولي فالاستعجال الطبيعي الموسوي قد ترى

في نومه أي في سائر الأطوار كما أشارَ إليه النبي ﷺ: «**الناس على دين ملوكهم**»، فعفونا بمقتضى العناية العامة الذاتية عن ذلك السؤال والاستعجال الطبيعي وأتينا بعد النشآت السيئة الفقرة من موطئة التجليات الآثارية إلى معطن الطور الروحي والطور الخفي الحقي موسى الطور السري سلطانًا توحيديًا آثاريًا ثم توحيدًا فعليًا ثم توحيدًا اسميًا ثم توحيدًا ذاتيًا ثم توحيدًا جمعيًا وأنتَ علمتَ أن التوحيدَ إنما يتفرع على شهود التجلي بأنواعه كل بما يناسبه مبينًا واضحًا محيطًا بما دونه وبما يحبونه فالتوحيد الذاتي هو الذي يحتوي على جميع التوحيدات الإفرادية وكذا تجليه يتضمن جميع التجليات الإفرادية وإن كان التحقيق ينعكس.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي فوق الطور النفسي والقالبي طور الطور القلبي وحكموا عليهم عند انقيادهم لحكمه ومعاهدتهم ومسارتهم به و﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي باب القلب متواضعًا ومتذللًا مطاوعًا ضارعًا طائعًا مضارعًا ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [النِّساء: 154] أي لا تبالغوا في اصطياد حيتان المعارف الإلهية النظرية والتوحيدات المتعينة المخصوصة بمرتبة وتجلي مخصوص إذ التوحيد يوجب التعطيلَ فمن حق العارف المحقق أن يسعى في الجامعية من التوحيد والمعية والكثرة والتعديد وفي التفريد والجمعية والتجديد كما قالَ تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النُّور: 35] الآية ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة: 73]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] وغير ذلك في السبت أي التوحيد والتعطيل عن التكوين الإبداعي والتدوين الاختراعي وفي التفريد والتجريد أو التنزيه والتقديس وغير ذلك مما يدل على التعطيل والتضليل إن التحقيق إنما يكون محققًا في الجمع والتفريق وذلك لا يتأتى إلا بواسطة الهادي المهدي الإمام المعنوي ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: 17] وإماما هاديًا فإن مجردَ الفعل لا يفيد في الإلهيات.

قالَ النبي ﷺ: الفعل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية:

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم
وهو الذي أنشأ الأشياء مبتدعًا فكيف يدركه مستحدث الندم

وإذا أخذنا في موطن طور السري ميثاق غير ميثاق جرى في الطور القلبي فإن ميثاق الطور السري هو لشهود جماله في مرايا الآثار ومجالي الأنوار وميثاق القلب هو المتخلق لأخلاق الإلٰهية ولاكتساب المنادي لاستخراج المطالب الإلٰهية على طريق اليقين وكذا في كل طور من الأطوار السبعة القلبية وفي بداية كل دور من أدوار النور الخمسة أيضًا ميثاقًا غليظًا وعهدًا متعبًا أطيطًا بأنه لا يعقل عن الله ونعوت جماله وصفات كماله.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ ولا في الطور القالبي بترك الامتثال بالأحكام الربانية وفي الطور النفسي بترك تحسين الأفعال وتزكية الأعمال، وفي الطور القلبي بترك المتخلق الأخلاق الرضية والأخلاق المرضية، وفي الطور السري بالغفلة عن المشاهدة ﴿وَكُفْرِهِم﴾ وسترهم المشاهدات الأزلية والمعاهدات الأولية، تصور الإدراك الحسيّة والعلوم النفسية والمعارف القدسية ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي التجليات الإلٰهية والمشاهدات الربانية ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ التوحيدات المترتبة على التجليات و﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي أمر ثابت من الحق وهو الفناء والإفناء.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ وزعمهم الفاسد ﴿قُلُوبُنَا﴾ وصدورنا أي وجه القلب الذي يلي النفس وهو مجمع الصور الحسنة ومرتع الدرر النفسية التي هي مبادىء الإدراكات النظرية والدرايات الفكرية التي احتجبوا بها عن مشاهدة الحقائق الإلٰهية والتجليات وعن معاينة الأسوار الربانية ﴿غُلْفٌۢ﴾ عاطي للمعارف الإلٰهية والعلوم الحقيقية والإدراكات الشهودية وليس كذلك ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ وختم الحكم ﴿عَلَيْهَا﴾ [النِّساء: 155] بأنهم في هذه المرتبة لا يصلون إلى رتبة العلى والمعارف الإلٰهية الحقة لأنها من خواص الطور السّري والروحي والخفي والحقي إذا كان السلوك على النظم الطبيعي متعارفًا بالجذبة الرّحمانية بفهم لأصحابهم بصور الألفاظ والعبارات ومصطلحات أرباب الرموز وأصحاب الإشارات اقتنعوا بظاهر بعض الأحوال والمقامات وحضروا المقاصد الحقيقية وجميع المطالب الدّينية والمآرب

البعيد على بعض المصطلحات المعتورة ومنهم من تمسك بظاهر الشريعة والطريقة ونبذ الركن الأعظم والمجرة الأفضل الديني وهو حقيقة الأحوال ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البَقَرَة: 101] وهم الزهاد والعباد الذين سلكوا مسلك أرباب السلوك ومنهم تحقق بالكل ولم يتعدّ متعدٍّ مخصوص وهم المحققون من الأنبياء والأولياء. قالَ النبي ﷺ: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**».

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ إيمانًا حقًّا وإيقانًا شهوديًّا محققًا بالأجزاء الثلاثة المذكورة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: 155] زمانًا قليلًا أو شخصًا نادرًا جميلًا وبكفرهم في مرتبة النفس الأمارة وقولهم في النفس اللّوامة على مريم أي حكمهم في المرتبة الأمارة واللّوامة على مريم أي النفس الملهمة ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 8، 9] عن الأغاليط الأمّارية والأغاليط اللّوامية بهتانًا عظيمًا بأنها عند التوجه إلى النفس المطمئنة والطور السّري والفؤادي بها لدى التجلي وشهود المولى توجهت والتفتت إلى عالم الطّبيعة قولهم بعد هذا البهتان ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي أخفينا التجلي الروحي الذي أرسله الله وأظهره لإظهار روح الله الساري في الدورة الكبرى، أولًا في الأشباح الخيالية والأرباب النوعية التي بان لكل شخص نوعًا مجردًا باقيًا، ثم في المثل النورانية ثم بواسطها في الأجرام الفلكية في العناصر، ثم في المواليد الثلاثة ثم ينتهي إلى الكون الجامع في عالم الناسوت، ثم يعود إلى ما كانَ عليه في الدورة الأولى النورية إلى أن يتجرد عن تمام القيود ويتعرى عن جميع الجهات المتعينة والحدود.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي ما جردوا عن التعينات الدورية والهيئات الكورية والنعوت واللوازم التي يلزم الإلهيات الأولية والشؤونات الذّاتية، ولكل عين من الأعيان الثابتة وكل ماهية من الماهيات الكونية في كل مرتبة من المراتب في كل دورة من الأدوار الإلهية وفي كل كورة من الأكوار الكونية تعين خاص ثابتًا له لا يزول عنه أصلًا، وإن تلك الماهية التي هي حصة من الحصص مطلق الوجود وإن كانت مترددة في الأدوار في المراتب المحققة إلا أن ما كانَ لازمًا له في المراتب بحسب اقتضاء الأدوار لا يزول عنها أصلًا. ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157] عن التعينات الجمعية وإلهيات الكلية الأحدية إشارة إلى تطور التعينات، فإن لكل عين من

الأعيان في المراتب والأدوار الإلٰهية نوع تعين وهو التعين العلمي والعقلي والروحي في الجبروت والملكوت، وفي المراتب الكونية السافلة نوع تعين صوري جسمي. أو المراد من الأول التعين النوري الجمالي الإفرادي، ومن الثاني التعين الظلي الجلالي الإفرادي. أو المراد التعين الإفرادي من النور والجمال والظل والجلال والتعين الجمعي منهما، أو المراد التعين الدّنياوي والأخروي.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ في مشاهد الشهود ومدارك الكون والوجود، فإن الأدوار وما فيها من الأعيان أشباه وأظلال متطابقة متضامنةً إشارة إلى أن الفناء الذي يشاهد العارف المتحقق في شاهد شهوده نظرًا إلى ذاته ونفسه وأعيان العالم إنما هو بالنسبة إلى حاله ومقاله الذي شاهده ويشتبه عنده إن هذا الفناء هو الفناء الذاتي الذي هوَ ثابت لكل عين، أم تعرض له آنًا فآنًا، وإنما جمع الفعل وأسند إلى الأطوار والقوى إيماء إلى أن الروح الإلهي يسري في جميع البدن وأجزائه وتمام قوته وفي كل منها قوة واستعداد وصلاحية، لأن يتحقق بقوة الكل وصفاته وأحواله ولوازمه ويحكم بالقتل والصلب وغيرهما كما أن للقلب أطورًا مختلفة وحالاتٍ متغايرةً وصفات متضادة، فربما تشايع النفس ويتوافق برأيهما فيتحدث إلى عالم الطبيعة وينقلب عن عالم الروح والقدس إلى عالم السفل والدّنس، وربما يخرج إلى العالم الإلهي، وربما يجتمع فيه المثلان والتوجهان في آن واحد فتشابها وتشاكل الأمر وانسد الحال وانقطع الرجاء وارتفعت العبرة:

رقَّ الزجاج ورقت الخمرُ فتشابها وتشاكل الأمرُ
فكأنَّما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

فإن كنتَ في شكّ مما نزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتابَ من قبلك لقد حكم الحق من ربك.

﴿لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ في مقام التلوين مختلف الأحوال كالقلب في الشكّ واليقين ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ [النِّساء: 157] حضوري وإدراك شهودي يكون من خصائص أهل التمكين أي كانوا في مقام التلوين مختلف الأحوال كالقلب والشكّ واليقين لفي شكّ منه ما لهم به من علم حضوري وإدراك شهودي يكون من خصائص أهل التمكين في مقام التلوين فإن للعارف ثلاث

حالات: التلوين ومجرد التمكين والتمكين في التلوين، والأولان ناقصان، وأما الثالث فهو من خصائص أهل الكمال الجمالي والجمع الكمالي والتلوين من أوصاف أرباب النظر الذين ثبتوا في المقاصد الإلٰهية والمعاقد الربانية بالقوة الواهمة الحاكمة على الأحوال المتنوعة والمعاني الجزئية في ضمن الصور الشخصية المختلفة وهذا لا يفيد ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النّساء: 157] أي ما جردوه بطريق الفكر والنظر الواصل إلى مرتبة علم اليقين وعين اليقين بل رفعه الله في مرتبة حق اليقين بالوجه الإلهي المتصل وبكل شيء وبجميع قواه الظاهرة والباطنة، فإن لكل شيء وجهين وجه إلى الله ووجه إلى الخلق، فبالوجه الأول تتحد الأشياء بالله والله هو الأشياء لأنه عين ذلك الوجه إذ لا غير من الله ولا في الله غير وليس للأشياء حقيقة وثبوت وكون ووجود سوى ذلك الوجه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88].

واعلم أن للعلماء في كيفية الرفع آراء متخالفة وأهواء متفارقة أهو بالبدن الكثيف العنصري أم بالروح بدونه فمن قالَ بالأول جوّز الخرق والالتئام على الأفلاك، ومن قالَ بالثاني منعه، والملّيون قالوا بالأول بناء على قاعدة ثبوت الأحكام الإلٰهية والفعل الصريح والنظر الصحيح والكشف الصريح قد عاضده وإن وازنه وزان المعراج أهو روحاني أم جسماني. نعم إن حقيقة عيسى لما كانت من كون عنصري وتعجن إلٰهي عام، وملكي خاص تام في كونها في العين فحينئذٍ جاز أن يغلب فيها حكم التقدس على التدنس، وينجذب به إلى عالم القدس بحكم جذب إلٰهي وجلب رباني، ومختفي عن العين وينتفي نفسه عن البين، ولذلك غلب عليه حكم التنزيه، وسيعود ليتمم أحكام التشبيه، ويرتفع الاختلاف، ويرجع إلى شيء واحد وهو ملّة الإسلام ليتعادل حكمًا، التنزيه التشبيه، ولا يلزم الخرق ولا الالتئام ألا ترى أن الأملاك ينفذ في أقطار السماوات مع أنها لا تلزم الخرق ولا الالتئام وكذا الشياطين والجان ينفذون في أطراف السماوات وأقطار الأرض، وكذا تنفذونَ في البدن الإنساني مع ما يلزم لا يلزم الخرق في البدن ولا الإحساس فيه بالألم ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ﴾ [الأعراف: 17] وقد اشتهر أن النفط الأبيض إذا وضع

في الكف نفذ فيها وظهر في الظهر ولم يلزم الخرق في اليد.

واعلم أن العارفَ قد يبلغ في مشاهدة شهوده ومعاقد عهوده بكثرة المجاهدة وكمال قوة المشاهدة إلى مقام التأله ومهام الربوبية إلى مقام ومرتبة يتصرف في الكون كيف يشاهد في عالم الغيب، وقد تنفي هذه القوة والقدرة إلى أن يظهر آثارها ويشتهر تأثير أنوارها في الدين والشهادة كما ظهر عن الجليل في إطفاء سورة النار، وعن الكليم تفريق البحر وجعل العصا ثعبانًا، وعن عيسى في إحياء الموتى. وعن النبي ﷺ في شق القمر، وغير ذلك من خرق العادات وإظهار المعجزات، وهذه أفعال إلٰهية وأحوال ربانية تصدر من البشر بقوة إلٰهية وقدرة ربانية، فإذن يكون كلّما روي عن عيسى وأخبر الله عنه إنما يكون من هذه المقولة ولهذا أسند الرفع إلى نفسه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النّساء: 158] لعاد لسر أوان من أهل الكتاب أي الأطوار التابعة للطور القلبي في العروج والنزول عند الإفاضة والاستفاضة والشهود والمشاهدة بالاتصال والوصول إلا لتؤمنن به وتتبعونه قبل موته وقيامه في الله وقوته في فردانية اسم تربية في النشآت ويوم القيامة أي بانقضاء حكم هذا الاسم يكون الطور القلبي عليهم شهيدًا عادلًا على سائر الأطوار التوسطيّة ثبت الكلّ.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ ومالوا من الرتبة الوسطية إلى الأطراف بالإفراط والتفريط ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾ من العلوم الحقيقية والمعارف الشهودية والتجليات الأسمائية والذاتية الحالية والذوقية والاعتبارية والإدراكات النظرية والقواعد الحكمية النظرية والعلمية الطبيعية والرّياضية والإلهية وما يتفرع عليها ﴿أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ في الفطرة الأولى، فإنَّ النفوسَ كلها منظورة على العلوم والإدراكات وعلى الأحوال والمقامات ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النّساء: 160] أي بسبب غلبة سلطنة الجلال على الأطوار الجمالية ومنع بعضهم بعضًا عن الحكم الوسطي.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي الإدراكات الوهمية الفاضلة على ما يقتضيه العقل الصريح والكشف الصحيح ﴿وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ في الفطرة الأولى ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ أي الإدراكات الحاصلة من القوى النفسانية والروحانية ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النّساء: 161] أي بالطريق الذي سلك الوهم أو الأحوال والمقامات التي دخل فيها الشيطان سيما التجليات الإلٰهية خصوصًا في المظاهر الآثارية بالصورية الإنسانية إذ كثيرًا ما يتجلى بشكل الإنسان الناقص في الوجه سيما في العين فإنه لا يقدر أن

يصحبها فإن عين الشيطان إما أحول أو أعور أو أعمى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ السائرين طريق الحق الذي هو الكشف الصحيح والعقل الصريح ﴿عَذَابًا﴾ بعد أو قطيعة عن الحق ﴿أَلِيمًا﴾ [النِّساء: 161] هو لما وصل أثره إلى الفؤاد والروح والعقل بالاطلاع على قبائح الأخلاق الردية وفقدان شهود التجليات الربانية وانتفاء العقائد الصحيحة الحقة التي تمثلت نقائضها بالصور الجهنمية والهيئة السعيرية.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأشياعه ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ منهم المهاجرون والأنصار، والراسخونَ قالَ النبي ﷺ: «**هم الذين قرت عينهم وصدق لسانهم واستقام قلبهم وعف بطنهم وفرجهم**». الحديث مبتدأ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبره أي يصدقون ويقرّون ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ على الأنبياء والكتب المحرفة وغير المحرفة كالتوراة والزبور والإنجيل ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نصبه على المدح أو على ما أنزلَ إليكَ والمراد بهم هم الأنبياء أي يؤمنون بالكتب وبالأنبياء قرأ بالرفع عطف على الراسخونَ أو على ضمير يؤمنونَ أو على أنه مبتدأ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ خبره ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ على ما ذكر في المقيمينَ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وإنما أخره لتوقف صدقه على صدق ما ذكر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 162] لجمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النِّساء: 163] نزلت في اليهود وذلك بما أنزلَ الله قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء: 153] وفيها عيوبهم وفضائحهم وذنوبهم وقالوا ما أنزلَ الله من شيء فنزلت ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾

جواب لأهل الكتاب في إفراجهم تنزيل من السماء واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وهم أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ وإنما قدم نوح وقرنه بنبينا عليه وعليهم السلام لأن سليمان أبو البشر الثاني وجعلنا ذريته هم الباقون لأنه أول شارع وأول داع ومدبر ولأنه ما بلغ أحد في الدعوة ما بلغ فيها لأنه يدعو قومه ليلًا ونهارًا إعلانًا وسرًّا وكانوا يضربونه حتى يغم عليه فإذا فاق دعاه وبلغ ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النِّساء: 163] بفتح الزاء اسم الكتاب وقرأ بضمها جمع كعدول جمع عدل أي كتبًا وصحفًا مزبورة.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَرُسُلًا﴾ منصوب بمضمر في معنا أو أوحينا إليكَ أي أرسلنا رسلًا وما يضاهيه ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل هذه السورة أو اليوم وما يناسبه ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ النِّساء: 164] وهو منتهى مراتب الوحي خصه به موسى وقد فضّل الله محمداً ﷺ بما هو أفضل وأعلى وهو التجلي قالَ عليه السلام: «**إن اللّهَ تعالى أعطى موسى الكلام وأعطاني التجلي**».

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

﴿رُّسُلًا﴾ نصبه على المدح ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أو بإضمار أو على الحال ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ فيقولون لولا أرسلتَ إلينا رسولًا فينهى ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيهٌ على أن بعثة الأنبياء إلى الناس ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك جزئيات كلياتها وأسباب الفلاح واللام متعلقة بأرسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبره وعلى الله متعلق بالناس ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يُغلَب فيما يريده ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 165] فيما يدبر في أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز لكن استدراك عن مفهوم ما قبله أي إنا أوحينا إليك قالَ إنهم لا يشهدون.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝١٦٦﴾

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ أو أنهم أنكروه ولكن الله ثبته ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النِّساء: 166] من القرآن المنزل المعجز الدال على صدق نبوتك روى أنه لما نزل ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النِّساء: 163] قالوا ما نشهد لك فنزلت ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أنزله مثلثًا بعلمه الخاص به وهو العلم به وتركيبه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد بالنبوّة ويستأهل لنزول الكتاب عليه أو بعلمه الذي يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد والجار والمجرور ﴿على الأولين﴾ حال من الفاعل وعلى الثالث عن المفعول والجملة كالمفسرة لما قبلها ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ بأنه حق وثابت وصدق كما أن الشهادة لله بما أنزل إثباته لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات تنبيه على أنهم يؤذون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه مستغني عن النظر والفكر والتأمّل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان إلى العلم بأمثال ذلك وسوى النظر والفكر كذا في تفسير القاضي وفيه ما فيه فلو أتى هؤلاء بالنظر لعرفوا نبوتك وشهدوا عليه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ أي كفى الله ﴿شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 166] ولا حاجة إلى العرض في إثبات نبوتك أو إثباته تعالى فعلي وقولي وهو أقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٦٧﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 167] لجمعهم نية الإضلال والضلال ولتمرن الإضلال ورسوخ الضلال فيهم فكان إقلاعه عنهم وإبعادهم عنه في حيز الامتناع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ۝١٦٨﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ باللّهِ ﴿وَظَلَمُواْ﴾ محمدًا ﷺ بإنكار نبوته وسائر الناس بصدهم عن أمر فيه صلاحهم وخلاصهم وفيه دلالة على أن الكفار يكلفونَ بالفروع لكونهم مأمورين بالإيمان بمحمد وبما جاء به ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ [النِّساء: 168].

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ يجري حكمه السّابق ووعده المختوم الشاهق على أن من مات على كفر فهو خالد في النار خالدين حال مقررة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النِّساء: 169] لا صارف له عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧٠﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ووعيد من أنكرها خاطَب الناس كافةً بالدّعوة وإلزام الحجة والوعد بالاجرة والوعيد على الإنكار والردّ ﴿فَـَٔامِنُوا۟﴾ إيمانًا يكون ﴿خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ باللّهِ فالله غني عن كفركم وإيمانكم لا تضرونه بكفركم ولا تنفعونه بإيمانكم «**يا ابن آدمَ لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على قلب عبد فاجر ما نقص من ملكي شيئًا ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على قلب عبد بار ما زاد في ملكي شيء**» ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ من الجواهر النورية القاهرة والظلية الباهرة والأعراض السّائرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بها وبأحوالها ومراتبها وطالبها ومطالبها ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 170] على ما فيه وعليها.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ الخطاب للفرقتين قالَ اليهود: رموا عيسى بأنه ولد الزنا، والنصارى غالوا فيه حتى أخذوه إلهًا فقيل للنصارى خاصةً، ويؤيده ما قيلَ إنها نزلت في النسطورية والمارقوسية فإنهم قالوا: هو ابن الله وقال المارقوسية: هو ثالث ثلاثة، فإنهم غلوا وتجاوزوا الحدّ في عيسى ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى

﴿ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ أي الأمر الواقع المحقق في نفس الأمر وهو التنزيه عن الصاحبة والولد ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ شأن القول الحق ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ وروحه أو يسار به أو أمركن ﴿أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ أي أعلمها وأخبرها بذلك أو أوصلها إليها وأدخلها فيها وهي ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النِّساء: 171] ونفخ ظاهر ودور ظهر وصدر عنه بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة، وإنما نسبها به تنبيهًا على أن طريق تكوين عيسى كطريق تكوين سائر الأفراد الإنسانية ﴿مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمران: 59] وإشعار بأن إحياء الأموات ظاهرًا وباطنًا إنما سمي بالكلمة أو ذو روح ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ﴾ الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ [النِّساء: 171] الله والمسيح ومريم ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المَائدة: 116] أو الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس أي الذات والعلم والحياة ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن التثليث واقصدوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ لأنه ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ بالذات لا تعدُّد فيه بوجه ما، أسبِّح ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾ من ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ إذ ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ لأنه خلقها وأبدعها وخالقها ومبدعها لا يكون من جنسها وإلا لزم التحكم لأن التولدَ والتوالدَ لا يكون إلا عن زوجين وهما من جنس واحد وأيضًا الخالِق لكل شيء عالم به وقادر عليه قدرة تامة كاملةً غني عنه من جميع الوجوه، والولد إنما يطلبه المحتاج ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النِّساء: 171] العبادة في جميع أمور الدنيا وأحوال الآخرة.

تأويل وإشارة

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [النِّساء: 162] اللّدني والإدراك الحضوري الشهودي الحاصل بعدَ التجليات الإلٰهية المحمد الذاتي والأسمائية والأفعالية والآثارية والصورة الجمعية السرمدية التي يجمعها، والوقت الحاضر الذي هو عين الآن الدائم الذي اندرج فيه الأزل والأبد، فإن للعارف بعدَ شهود الجمال المطلق الذي هو عين الجلال الحق في جميع المظاهر الحسية أولًا في المجالي النفسية ثم في المدارك الزوجية، ثم العقلية في الأدوار النورية الإفرادية، ثم في الكلية الجمعية يحصل علم ثابت راسخ بالنوع يتحدد بالشخص، فكونه في كل تجلي منه التجليات الخمسة تجليات غير متناهية بحسب امتداد شهود التجلي الإفرادي والجمعي،

امتداد النفس الرّحماني وامتداد ديموميته السرمدية.

قال: لكل امتداد أجزاء عقلية وتطورات إلٰهية وتنوعات ربانية وتقلبات رحمانية سرت هذه التقلبات وجرت هذه التطورات في قلب الإنسان قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء. قالَ آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: «أنا قلب الله مقلب القلوب والأبصار»، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: 26، 27]. وهذه التقلبات هي عين التطورات الإلٰهية التي هي الشؤونات الذاتية الظاهرة بالتقلبات القلبية منهم أي من الأطوار القالبية ذوات التجليات.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي القوى الروحانية والنفسانية ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا حقيقة محمدية سارية في تمام الأطوار في فردانية الأدوار من التجليات المذكورة والعلوم المناسبة لكل منها ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ في فردانية الجلالية وأدوارها الأربعة من التجليات المذكورة فإن في مقابلة كل من التجليات النورية الجمالية تجليًا منه التجليات الجلالية كما أن في مقابلة كل الوجودات والعلوم والإدراكات والأحكام الإيجابية عدمًا وجهلًا وسلمًا والمقيمين الصّلاة أي الصدور التابعة للقلوب البارعة البالغة مبلغ شهود التجليات الجلالية الضمنية والجلالية الصريحية والمؤتون الزكاة من القوى النفسانية المزكاة عن الأوساخ الطّبيعية ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وهم الروحانية والمبادىء الفعلية أي القوى النظرية والعملية ويجوز أن يحمل كل من هذه الوعرات على كل من الأدوار الأربعة النورية الإفرادية والخامسة الواحدة الجمعية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّساء: 162] وجزاء جسيمًا مترتبًا على الصورة الجمعية والهيئة الكلية الإحاطية بين هذه الأمور المذكورة العلمية الحصولية الخطورية والإدراكات الحضورية الشهودية.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ في الدورة النورية الصريحة إشارة إلى النشآت الواقعة في هذه الدورات النورية المتتابعة والشؤونات المتعاقبة وإلى أطوار البرزات الغير المتمانعة، فإن الحقيقة المحمدية في حصص مظاهر الأنبياء وبحصص مجالي الأولياء والحكماء حسبَ اقتضاء أدوار الأسماء الإلٰهية لها ظهورات في الأشياء وتصرفات، وبطريق البرزات نشآت وفي الشؤونات بروزات وتصرفات، وفي

الأحوال والمقامات والولاية والنبوة اقتضيات ﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾ وأبرزنا ﴿إِلَىٰ﴾ مظهر طور ﴿نُوحٖ﴾ النفس المطمئنة ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النِّساء: 163] أي سائر الأطوار المثالية من بعده في العروجات أو المراد من نوح هو الطور الخفي ومن النبيين سائر الأطوار والقوى المندرجة إلى النشأة الكاملة البدنية، إذ في كل مرتبة وطور لتلك الحقيقة اقتضاء خاص وارتضاء راص، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ أي الطور الروحي وقوتا النظرية والعملية ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ أي الطور القلبي ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ أي الإخلاص المرضية والأوصاف الرضية والملكات الملكة المنوطة عنده المبسوطة لديه ودونه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ والطور النفسي المتولّد منه مريم الطبيعة في النظم الطّبيعي ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي الطور النفس المتركبة بأنواع البليات ﴿وَيُونُسَ﴾ النفس اللّوامة التي التقمها سمكة النفس الملهمة وبروز الطور القوة النظرية ﴿وَسُلَيۡمَٰنَۚ﴾ النفس المطمئنة ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ﴾ الصورة الجمعية والهيئة الكلية من هذه المجموعة ﴿زَبُورٗا﴾ [النِّساء: 163] أي حكمة رياضية متوسطة بين الحكمة الطبيعية البدنية وبينَ الحكمة الروحية والهيئة الجمعية القلبية أسرارها هو حكمة تأليفية ونسبة بعدية وإضافة نعمية سميت الموسيقارية وهو علم إلٰهي وحكم روحاني ورسم رباني يؤثر في جميع النفوس حتى البهائم والسباع.

﴿وَٱلطُّورِ﴾ [الطُّور: 1] كما حكي عن داوود عليه السلام أنه جمع البهائم والطيور والسباع وآيات إلى الله ويأت وضرب القانون وأرغنون وتضرعوا إلى الله وقرأ الزبور بصوت حسن مهلك كثير من هؤلاء وهو يتواقد من مهب المحبة الذاتية ويهز سر الهوية الغيبي ويحب الذاتي الساري في جميع الذراري وهو مرايا آلة يهز بحر الطور السري الذي هو مورد الحب والوداد ويحوي الله مع قلوب العارفين ويدعوهم إلى الله ويتكل بهم باللسان الأزلي والبدن الأولي وهذا مختص من الموجودات به وفي ترك الترتيب في الذكر إشارة مثلية وبشارة كلية إلى أن أطوار العارفين في العروج والنزول والدخول والخروج والولوج متساوية عنهم من وقع سلوكه عن نظم طبيعي ووضع رضيعي ومنهم من لا يكون كذلك بل إذا كانت الجذبة الغالبة تقع الظفرة من المرتبة السافلة إلى المرتبة العالية وفي أثناء السلوك يرجع رجع القهقري ليستنكل ما فات وينكل ما مات كما تقدمت الإشارة إليه.

﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ﴾ [النِّساء: 164] أي تجليات كليات وأطوار أهليات قد

بيناها وأظهرناها وأنزلنا عليكَ على سبيل الكلية والقاعدة الأصلية الإجمالية كما علمت ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ جلالية كانت أو جمالية من أكوان الأكوار ومرتضياتها العدمية ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ من بين رسل التجليات والأطوار الموجودات وأنوار الكائنات ﴿مُوسَىٰ﴾ أي الطور السّري الذي هو مورد التجليات الآثارية ﴿تَكْلِيمًا﴾ [النّساء: 164] جماليًّا وتبيانًا إجماليًّا.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي تجليات جمالية وجلالية في الأدوار الجمالية والأكوار الجلالية ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ أي القوى النفسانية الجزئية والكلية ﴿عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ في النشآت في الترددات والمستترات في التنزلات والبروزات بلسان الاستعدادات وبيان القابليات ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النِّساء: 165] وتعين السبل في الفطرة الأولى للجزء والكل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ قويًّا غالبًا في الفطرة الأولى عند النشآت العليا ﴿حَكِيمًا﴾ [النّساء: 165] في الفطرة الآخرة والنشأة الأثيرة بالماء النعم الظاهرة وإفاضة المنح الباطنة في الفردانية الجمالية وأدوارها الكلية والجزئية الصريحة وأكوارها الجزئية الضمنية.

﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ [النِّساء: 166] الشهادة الصريحة حسب اقتضاء الأسماء الذاتية والصفات الأولية على سبعة أمور:

الأول: على التوحيد الذاتي والأسمائي: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18].

والثاني: على مظهر الصفات والتوحيد الأسمائي والصفاتي والنبوة الذاتي ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: 27، 28]، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرّعد: 43]، ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

والثالث: على أعمال العباد يوم يبعثهم الله جميعًا فينبئهم إلى قوله ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6]. وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].

والرابع: على جميع الأشياء ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصّلت: 53].

والخامس: على كذب المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

والسادس: على شريعة المصطفى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19].

والسابع: على القرآن: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: 166] أي مستصحبًا بعلمه إذ الكلام صورة الإرادة والإرادة صورة العلم والملائكة ليشهد وهي صورة التقدس وصورة التنزه الشهودي يشهدون ويحضرون ولا يعينونَ عن أمره ومراده وبكونية ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، وكفى بالله شهيدًا إذ هو يكفي بذاته في جميع ما ظهَر ويظهر وظاهر من العقول والعقول صور المجردة والنفوس المقدسة والمنطبقة القوى والمدلهمة والأجرام والأجسام التي بين آثار الأفعال، وآثار النفوس صور العقول، والعقول صور العلم يرى، وهي قصور أنواع العلوم الأربعة وهي العلم الإلهي والتعقل والتوهم والتخيل والإحساس، والتحقيق إن الموجودات الإمكانية هي الصور العلمية الإلهية، والعلم هو غيب الذات، إذ هو ظهور الذات لذاته، والظهور هو النور، والوجود والنور والظهور والوجود ألفاظ مرادفة عين الذات إذ لا غير في هذه المرتبة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النُّور: 35] الآية إلخ.

وأيضًا العلم هو الظاهر بداية والمظهر لغيره كالوجود والنور فالعلم والوجود والظهور وذات الحق هو الظاهر بذاته والمظهر لغيره وكذا العلم بالعلم أيضًا هو عين العلم إذ لا شيء ههنا إلا العلم، والإضافة أمر اعتباري لا ظهور له، وهكذا كلما ازداد العلم وتضاعف، أرادت الإضافة وتضاعفت، فلا ظاهر ولا ظهور إلا للعلم فلا موجودَ ولا عالمَ ولا شاهدَ ولا مشهودَ إلا الذات هو عين العلم، فلا شيء إلا العلم وذات العالم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي صور العلوم والموجودات الذين ستروا الذاتَ الجامعة لتمام الأسماء والصفات من المجردات والملائكة الغالبة والنفوس والأرواح والمثل النورية والأشباح والأجرام السماوية والأجسام الأرضية وما فيها ﴿وَصَدُّواْ﴾ ومنعوا وامتنعوا بحسب الصفات والأسماء الذاتية وهي صور الإدراكات والعلوم والإضافات ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 167] وعن الطريقة

الجامعة وهي الصور الجمعية الإلٰهية والكونية أعني الصورية النوعية البشرية المحيطة لجميع الطرق الإلٰهية والكونية حيث ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: 30] الأوّل ضلوا ضلالًا بعيدًا من حيث النّشأة ولذا قال بعيدًا لا قوة وشديدًا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النِّساء: 168] وستروا وصاروا بعيدًا من حيث النشأة وظلموا وتجاوزوا عن حدّ الاعتدال والصراط المستقيم من جهة الأفعال والآثار ومن هذا أثر الظلم بنا والصد والضلال هنالك.

﴿لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ من حيث الذات ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ﴾ من حيث الأفعال والآثار ﴿طَرِيقًا﴾ [النِّساء: 168] موصلًا إلى الجمعية الحقيقية والهيئة الكلية الإحاطية إلا طريق جهنم الّتي هي القطيعة الحاصلة من شقص النّشأة والإنشاءات ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ ما دام في فردانية الأدوار الإلٰهية النورية فإذا انقرضت هذه الفردانية والربوبية الجمالية الجلالية وترددت تلك الجواهر المحمودة في نشأة الأطوار المسطورة ووصلوا إلى النشأة الجامعة تبدلت الضلالة البعيدة إلى الهداية الجمعية التي هي القريب البعيد ومن نعت البساطة إلى جمعية الإحاطة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ التبديل والتحول والتحويل ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [النِّساء: 169] سهلًا إذ هذه الأدوار ومدتها مع تباينها عند الله وعلمه واحد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وأصحاب الأطوار القلبية وأرباب الأحوال الغيبية ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ والتجلي الذاتي على ما يستدعيه استعداد الحصص الوجودية والاستدعائية الاستعدادية مما تقتضيه الحقيقة المحمدية في المراتب المحمدية في مراتب دور التعينات المنظومة في سلك امتدادات الرحمانية مستصحبة بالأفياض المنزلة المتلبسة ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [النِّساء: 170] أي والقسط الثالث منه وبكم.

قالَ الصادق رضي الله عنه: فأي نفس خالعة فقد ضلَّ عن اللّهِ وعن ولاية السعادة، ورسول الطاعات وهو الإخلاص، ورسول القلوب وهو المعرفة، ورسول الفؤاد وهو حب المصطفى، ورسول الرسول وهو المولى إلى نبينا ﷺ لأنه لم يكن بينهما واسطة حيث قال ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النّجم: 10] لأنه جاعل على بساط نوره ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾ [النِّساء: 170] يا أيها الأطوار العالية في تلك المراتب بالاسم الإلهي الذي هو رب تلك المرتبة وبرسوله تلك المنسوبة إلى

تلك المرتبة وبالكتب الأربعة التي تدل على تلك الرسل الأربعة وباليوم الآخر الذي هو نهاية اقتضاء الاسم الذي هو رب تلك المرتبة فأخذه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: 169] الإيمان هو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ وتستروا الصورة الجمعية الإلٰهية والكونية بخصوصية وجود كل منكم لكن لا يضر الجمعية الحاصلة في الواقع ولا ينتفع وجودها إذ وجودها موقوف على وجودكم لا العلم بوجودكم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأطوار الغالبة في المراتب العلية ذوات التجليات الأربع ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ظهورات الأطوار السافلة في المراتب النازلةِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ من حيث الذات ﴿حَكِيمًا﴾ [النِّساء: 170] من حيث الأسماء والصفات.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وصواحب أحكام الأبواب ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ ولا تجاوزوا حدّ العدالة ولا تعتدوا سدّ الوحدة الجمعية بين الإلٰهية والكونية لا بالفرع ولا بالأصالة الجمالية والجلالية فإنه يفضي إلى البطالة والعبث والضلالة والبطالة بعين القلب ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النِّساء: 171] أي الأقوال والعمل الدافع للأحكام الجمالية والجلالية الإفرادية إلى الجمعية وجمعية الجمعية وهي الحق الحق والإله لا يكون إلا ذاتًا يكون ظاهرًا وباطنًا والأول وآخرًا كلًّا وجمعًا فردًا ومعًا ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] فنسبه إلى تمام الحصص الوجودية وجميع المظاهر الكنانية من حيث المظهرية والجهة الرّبوبية والألوهية على السواء فالقول أن عيسى هو الله والحق الآل دون غيره من الممكنات بحكم محض.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ﴾ أي ليس المسيح ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إلا فردًا واحدًا من الممكناتِ مخلوق ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ بعثه لتكميل النفوس الناقصة وتعديل العكوس الناقضة ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ أي صورته العملية وصفته الحقية سميت بالروح الإلهي ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾ وأنزلها ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النِّساء: 171] قابليته الأزلية واستعداده الأولى، والمراد من الإلقاء هو بروز ما كان كامنًا في مريم الاستعداد الذاتي وخروجه منه على التدريج إلى أن وصل إلى النهاية فظهر الاستعداد بصورة مريم والروح الإلهي بصفة عيسى وإنما عبر عن الخروج والبروز بالإلقاء والإنزال شعارًا بالمراتب وترتبها واندماج بعضها في بعضٍ بأن كل حصة من حصص مطلق الوجود ويندرج فيها جميع الحصص الموجودة بما فيها من المفهومات الوجودية والعدمية والثبوتية

والسلبية لانطوائها على الوجود الذي ينطوي على الكل فالكل يندرج في تلك الحصة ويخرج منها فيها على التدريج في جميع الأدوار والأكوار صريحًا وضمنًا فكل ما ظهر فيها فهو منها لا من غيرها إذ ليس فيها مفهوم سوى الوجود المطلق الظاهر بذاته في ذاته وهو أصل الكل منبع الجزء والكل فحينئذٍ لا يحتاج في ظهور ما فيها إلى غيرها.

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي كلمة وجود عيسى ألقاه هو روح وجزء باطن وظاهر من الله وتعلق إلى الجزء الحسي بواسطة الملك الذي هو عبارة عن كمال التعلق من غير حاجة إلى الشرط الأكثري وهو الأب الظاهري والسبب الفاعلي واختفاء السبب الفاعلي وانتفاء العلة الأبوية في وجوده العينيّ لا يقتضي التأله والألوهية نعم ربما يبلغ العبد العارف بكثرة الفرائض وكمال الخلوص فيها إلى حالة ومقام يكون بصرًا وسمعًا ولسانًا ويد الله، فالله يرى به ويسمع وينطق ويبطش كما كانَ يبلغ بكثرة النوافل إلى حالة ومقام يصير الحق سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فيه فبي يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي وبه ينطق «**لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره**» إلخ، فحينئذ لو تشطح وقال: أنا الحق والإله وأنا يد الله ولسانه وسمعه وبصره أو بالعكس فهو معذور إذ القائل والمدعى بهذا القول هو اللّهُ فلو كان التجرد من الأب موجبًا للتأله والألوهية لكان آدم أولى بالألوهية، فلما بطلت ألوهية عيسى وانحصرت الألوهية والربوبية على الذات الظاهرة بذاته في ذاته، الغني بذاته الواجب وأسمائه وصفاته دائمًا سرمدًا أزلًا وأبدًا.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الأربع ذوي الكتب وبغيرهم من الأنبياء والمرسلين ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ﴾ ولا تقولوا إن الإله ثلاثة فانتهوا عنه فإذا انتهيتم عن التثليث والقول وقصدتم التوحيد يكون هذا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ وذلك ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ﴾ أي الذات بجميع الأسماء والصفات والكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ لا شريكَ له لا في الذات ولا في الصفات والكمالات الذاتية والأسمائية ﴿سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ أي موجود مغاير لوجوده في الذات والأسماء والصفات ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأدوار النورية الجمالية ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي الأكوار الجلالية ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: 171] في جميع

الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾ لم يقرؤوا لم يأنف ولن يتعظم ولن يتحشم ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إما عطف على المسيح أو على اسم يكون أو على المستتر في عند كل ما فيه من معنى الوصف لدلالته على التعبد والعبودية والعبادة والأول ظاهر ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ العالون الذين لا واسطة بينهم وبين الله وهم إسرافيل وعزرائيل وجبرئيل وميكائيل وإنما ذكرهم في قرن عيسى لمناسبة بينه وبينهم بأن من المشركين من اتخذ الملائكة إلهًا وعبدوهم وتوصفهم بالتقرب بينه على أنهم أولى والنسب بالألوهية نزلت عندما قال وفد نجران: يا محمد لم تستغب صاحبنا؟ قال عليه السلام: «**ومن صاحبكم؟**» قالوا: إنه عبد الله ورسوله. ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ وينتظم ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: 172] المقر والمتكبر والمعترف والمنكر.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبرسوله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ وتضعيفه ومن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟﴾ من الإيمان بالله ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن العبادة والعمل الصالح ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: 173] لأن الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور إلخ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني محمدًا والكتاب المبين ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: 174] أي كتابًا مبينًا ومظهرًا وموضحًا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ أي تمسكوا بالكتاب ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ أي عين لهدايتهم إليه لا اهتدائهم ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النِّساء: 175] وطريقًا قويمًا وهو الإسلام والشريعة والشارع ومن كان على طريق مقيمًا.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ يسألونك أي يستخيرونك في أمر الدين ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة فقالَ أبو بكر: هو ما عدا الولد وقالَ عمر: هو ما عدا الولد والوالد، نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه قالَ: مرضت فأتى رسول الله ﷺ يعودني فوجدني قد أغمي عليّ فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صبّ علي وضوءه فأفقت فقلت: يا رسول الله إني كلالة فكيف أصنع في مالي؟ وكان لي تسع أخوات ولم يكن لي ولد ولا والد قالَ: فلم يجبني شيئًا ثم خرج وتركني ثم رجع إلي فقال: «**يا جابر إني لأراكَ ستأمن وجعك هذا وإن الله عزّوجلّ قد أنزل في أخواتك وجعل لهن الثلثين**» وقرأ عليّ هذه الآية: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي ابن وهو مشترك بين الذكر والأنثى ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ فلها نصف ما ترك ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ أي الولد والمراد منه الابن ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ أي الأخت وأخوها أيضًا يرثها إن قدّر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدَها ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ [النِّساء: 176] أي ابن لأن الابن يُسقط الأخ دون البنت، فإن قلتَ الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأبَ نظيره في الإسقاط، فلم اقتصر على نفي الولد، قلت بين حكم الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قول عليه السلام: «**ألحقوا الفرائضَ بأهلها فما بقي فلأولي عصبةٍ ذكر**»،

والأب أولى من الأخ ولنا بأول حُكْمين بُيِّن أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد، فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد، ولأن الكلالة يتأول انتفاء الوالد والولد جميعًا فكان ذكر انتفاء أحدهما وإلا على انتفاء الآخِر ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان يعني إن كان من يرث من المرء الهالك ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أو أكثرَ من النساء أو أكثر من الذكر والأنثى أما الأول ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ باعتبار الثاني ونصيبهما على أنهما تدلان من أخوة ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النِّساء: 176] مفعول له يعني كراهة أن تضلُّوا.

عن النبي ﷺ: «**من قرأ سورة النّساء فكأنما يصّدّق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثًا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررًا وبرئ من الشرك وكان في مَنْ شبه الله من الذين تجاوزوا عنهم**».

تأويل وإشارة

إلى أن العبودية والأعيان والأكوار والمحبية والمحبة لتمام الممكنات ذاته لا تنفك عنها ما دامت على الإمكانية ثابتة وعلى الافتقار والإصباح ثابتة ما دامت على ظاهر الوجوه الوجودية متكملةً في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، فإذا استكملت الأعيان والأكوان وتكلمت الوجوه الوجودية الذين دارت بهم السلطنة إلى الوجوه الإلٰهية فصارت تلك الوجوه العندية الإلٰهية عبوديةً ألوهية وانقلبت الوجوه النورية الوجودية الجمالية الصريحة وجوهًا طلبية عدمية جلالية ضمنية والوجود الطلبية العدمية الجلالية نورية وجودية جماليةً صريحةً واجتمعت الوجوهات وصارت صورة روحانيةً جمعية وهيئة كلية إحاطية معية وصارت الوحدة عين الكثرة والكثرة عين الوحدة وجرت الأحكام الإلٰهية فردانية في ذاته على ذاته بأنحاءٍ كثيرة ووجوه غفيرة، ولما تقررت التأويلات فيما مضى واطلعت على حقيقتها استخرجت تأويلات هذا المقام قياسًا على مضي من المرام بطريق حسن النظام من فصاحة الكلمات والكلام وعليه التكلان وإليه المرام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 5 | سُورَةُ المَائِدَة | آياتها 120 مدنية

قرأها رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع قال: «**يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولًا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامَها**»، وهي إحدى عشر ألف وتسعمائة وثلاث وثلاثون حرفًا وثمانمائة وأربع كلمات. نزلت على رسول الله وهو على راحلته فلم يستطع أن يحملها حتى نزل منها: «**من قرأها أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني في دار الدنيا عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات**»(1).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي أنزل مائدة مواهب الأسماء الذاتية على أعيان حواري عيسى الطوري الروحي ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي بسط بساط سماطِ منائح أحكام الدين والإسلام على بسيط أرض القلب وعرض فضاء الغيب ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي علم أركان عماد الدين وأعلم أعلام معالم الدين لأصحاب الفرقان وأرباب اليقين وبين شرائطه بقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المَائدة: 6] الآية إلخ، ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ كما قالَ: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: 3].

اعلم أن كل سورة مغايرة لسائر السور مندرجة فيها صورة ومعنى تحت بسملتها وبسملتها طاء مضمونها على مضمون سورتها، فإذن لا بدّ وأن تكون

(1) حديث موضوع [انظر الكشاف للزمخشري]، سورة المائدة (120) ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ۝١٢٠﴾ [1/ 729].

بسملة كل سورة مغايرة بسملة سائر السور، وكذا كل كلمة وحرف منها لها معنى مغاير معاني سائر الكلمات، وإن كانت في الظن مكررة فلا تكرارَ في القرآن، فكما أن لكل كلمة يقينًا وهويةً وتشخصًا يتميز بها عن غيرها كذلكَ لا بدّ وأن يكون لها معنى مغاير معنى الأخرى، وإلى هذا صرح الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه من أن كل أَلِف وكل حرف قد تكررت في القرآن لها معنى مغاير معنى لأَلِفٍ آخر وحرف أخرى.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [المائدة: 1] فهذا الكلام بسملة من حيث إنه يندرج تحت بسملته من حيث اللّفظ والمعنى لا بدّ وأن يغاير غيره صورة ومعنى، أما صورة فلأن نسبتَه إلى بسملته من حيث المحل يغاير نسبته الآخر وإن لبسملته التي هي نسبة خاصة إلى ذات الله من حيث الأسماء والصفات لهما نسبة أخرى يغاير نسبة أخرى غيرها إلى الذات تغاير الشؤونات الذاتية والنسب الأولية والصور العلمية بالنسبة إلى الذات وأسمائه الذاتية وإن مغايرة الأعيان الجبروتية والأكوان الملكوتية والمثل البرزخية والأشباح الخيالية والأرواح الظلالية والأجسام السماوية والعنصرية وما يتركب منها ومغايرة أحوالها وأفعالها وأعمالها وأقوالها كلها مستندة إلى تغاير الشؤونات الذاتية والنسب الأولية.

وهذه المغايرات قد نزلت من المرتبة القدسية إلى مرتبة العلم وسماوات العقل، ومنها إلى جمادات الروح، ومنها إلى سماوات البرزخ، ومنها إلى سماوات عالم المُلْك والشهادة. ومن هذه المرتبة إلى مرتبة عالم التركيب، ومنها إلى عالم الناسوت وأفراده وأشخاصه وأحوالها وأعمالها وأفعالها وأقوالها، ولكون هذه المرتبة التي تقابل تلك المرتبة الإلٰهية تقابل القمر بالشمس فحينئذٍ ينعكس كلما كانَ في تلك المرتبة في صاحب هذه المرتبة من الشؤونات الذاتية والصور العلمية والنسب العقلية والإضافات العقلية والمعاني الكلية والجزئية والصور اللطيفة البرزخية والكثيفة الجسمية السماوية والأرضية وما يتبعها من الأوضاع والاتصالات الكلية والجزئية والإدراكات العقلية والنفسية والقدسية

والجسمية الباطنية والظاهرية والتعقلات والتوهمات والتخيلات والإحساسات وما يختص بها منَ الأحوال العالية والمقامات الرفيعة الغالية التي لا يعلمها إلا الله كما قالَ النبي ﷺ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**». فمن بلغ إلى هذا المقام وخصوصية المرام يفهم هذا النوع من الكلام، ويعلم إن ما سوى الله تعالى من الممكنات الجوهرية والعرضية بمقولاتها التسع كلها مظاهر التجليات لا يتكرر كما قالَ المحقق: إن اللَّهَ لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة اثنتين، فكذلك مظاهرها لا تتكرر فإذن لا جائز أن يكون الحروف والكلمات كلها مكررة لا في القرآن ولا في غيره، فتدبر وتبصر هذا المقام من أعظم المآرب وأكرم المطالب لا يختص بفرد دون فرد بل يعم جميع ذرات الكائنات وتمام المكونات.

﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهود والإقدام بمقتضى الميثاق، والعقود وهو أمر من باب الأفعال، والعقد من العهد الموثق وأصله الجمع من الشيئين بحيث يغير الانفصال، ولعل المراد بالعقود هو ما يعم العقود التي عقدها الله وكلفها على عباده وألزمها إياهم ليلزموا إياها من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها بما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على الترك بين الوجوب والندب.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ تفصيل لما أجمل والبهيمة كل حي لا يتميّز لَهُ أصله البهيم وهو الذي ابتغت معرفة الكائِنات والأنعام ذوات أربع الظاهر إن أضفتها إليها للبيان بمعنى من كقولك ثوب جرد وخاتم فضة وهي في الأصل الإبل والبقر والغنم لقوله تعالى ومن الأنعام حمولة وفرشًا وهي الأزواج المتماثلة وألحق الظبي والبقر الوحش بها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 1] في القرآن مما حرم لقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله ﴿عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: 3] ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ حال من ضمير لكم أي أحلت لكم هذه المذكورات لا محلين أو من واو وأوفوا للصيد يحتمل المصدر والمفعول ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ بضم الراء وجزمها جمع حرام حال من ضمير محلى يقال رجل حرام وحرم ومحرم وحلال وحل ومحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1] ويعلم منه التحليل والتحريم حكمة ومصلحة فلا راد لما أراد ولا صاد لما تفطن وأراد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارًا وعلمًا للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والسعي والأفعال التي هي علامات الحاج يعلم بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر قيلَ هي دين الله ومن يعظم شعائر الله أي دينه أو فرائضه التي حدّها وعينها ﴿وَلَا﴾ تحلوا أيضًا عقد ﴿ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ شهر الحج بالقتل فيه أو بالسبي بأن يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا إنما النسيء زيادة في الكفر الآية إلخ ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ جمع هدية كحدى جمع حدية وهي ما أهدي إلى الكعبة من البعير والبقر والشاة وغيرها ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل ولها شجرة الحرم أو عروة وغيرها لتعلم أنه هدي فلا يتعرض له ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾ قاصدين زيارة ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ من أمّ يؤم إذا قصد ومنه الإمام إما بمعنى القاصد أو المقصود و﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ يطلبون مالًا ورزقًا بالتجارة أو الزراعة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ [المائدة: 2] قال النبي ﷺ: «**اطلبوا الرزق من جناي الأرض**» يعني: الحرث والزراعة أو ثوابًا أو رضوانًا وأن يرضى عنهم بزعمهم إذ الكافر لا نَصيبَ له في الرضوان فابتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامةً وابتغاء الرضوان إنما هو للمؤمنين خاصة.

وفي تفسير القاضي: أن يثبتهم ويراضي عنهم والجملة فيها وضع الحال منه المستكن في آمنين وليست صفة له لأنه عامل والمختار إن اسمَ الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له. وقيل معناه ويبتغون من الله رزق بالتجارة ورضوا بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما همّ المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا كانت الآية منسوخة دون يبتغون على خطاب المؤمنين.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من إحرامكم ﴿فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ صيدَ إباحة وتخيير ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم ولا يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ وشدة بغضهم وكثرة عداوتهم وهو مصدر أضيف إلى الفاعل أو المفعول ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ أي لأن صدوكم ومنعوكم عام الحديبية ﴿عَنِ﴾ زيارة ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ والشنآن وهو كضربان ونزوان وسيلان وحرمان وغيرها يعني لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيمًا واستنكارًا أن يتعرض لمثلهم قيلَ هي محكمة عن النبيﷺ المائدة من آخر القرآن نزولًا فأحلوا حلالها وحرموا حرامَها قالَ الحسن: ليس فيها منسوخ ﴿أَن تَعْتَدُوا۟ۘ﴾ وتظلموا متجاوزين عن الحدّ عليهم فيقتلوهم ويأخذوا أموالهم بالانتقال في تأويل المصدر المنصوب مفعول ليجرمنكم ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ ومتابعة الأمر والعفو سرًّا وجهرًا ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ لمجانبة الهوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾ أي المعصية والظلم ليشفي الانتقام. وعن النبي ﷺ: «**البر ما انشرح به صدرك والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك عنه الناس وأخبروك**»، وقالَ أيضًا: «**البرُّ حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2] فانتقامه أشد والتقوى والتجانب عنه أخزى وأشد.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وهي البهيمة التي ماتت حتف أنفها بلا تزكية لبيان ما يتلى عليكم ﴿وَٱلدَّمُ﴾ المسفوح وإنما قدم بالسفح هو السيلان إذ الكبد والطحال دمان وهما حلالان ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ كل شيء منه حرام وتخصيص اللحم بالذكر لكونه أعظم منافعه وأعم وأكرم عند الذبح مناجعه ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي رفع الصوت لغير الله كقولهم باسم اللات والعزى ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المائدة: 3] أي التي

خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ والمضروبة بخشب أو حجر حتى تموت من وقذته إذا ضربته ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تردت من جبل أو بئر فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها وضربتها بنطيحة أخرى بما من شأنه القتل من القرون والرجل والسن والسقوط فماتت ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضه فمات يدل على أن كلما أكلته الجوارح من الصيد مما اصطادته لم يحل ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء وهي في الشرع قطع الحلقوم والمري بمحدد وهو يضطرب اضطراب المذبوح بإنهار الدم عند استقرار الحياة ومنهم خص الاستثناء بأكل السبع.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ جمع النصب وهي أحجار حولَ البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربةً لتعظيمها لكونهم يعدونها قيلَ هي الأصنام وعلى هاهنا بمعنى اللّام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ طلب القسم والقسم على الأزلام وهي القداح التي لا ريش لها ولا نصلَ والأزلام جمع زَلَم كأقمار جمع قمر إنهم كانوا إذا قصدوا سفرًا وتجارةً أو غزوًا أو نكاحًا أو غير ذلك من معاظم الأمور ضربوا ثلاثة أقداح كتب على أحدها أمَرَني ربي وعلى الآخر نهاني ربي وعلى الثالث غفل فإن خرج الأمر مضوا وإن خرج النهي انتهوا وإن خرج الغفل احتالوها ثانيًا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 3] أي الاستقسام أو ما حرم فسق وخروج عن طريق الحق وإنما كانَ الاستقسام فينقاد خروجًا من طريق الحق لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب لنفسه لا يشاركه فيه غيره وقالَ: لا يعلم من في السماوات والأرضَ إلا اللّهُ واعتقاد أن إليه طريقًا وإلى أن الكيفية استنباط وثيق، ولقوله: أمرني ونهاني ربي، افتراء على اللّهِ لأنهم ما رأوا الحق ولا سمعوا منه لا بطريق الوحي والإلهام ولا بالخطاب والهاتف والإعلام والوارد، والكشف من حضرة العليم العلام بل على سبيل التخيل والتوهم والإبهام ومبهم الكهنة والمنجمون وأصحاب التحايل والتطير والمنجمون وغير ذلك مما يستعملون ويستعملون به الاطلاع على المغيبات.

وأما ما وقع في الخير من الاستخارة ومن الأثر والتعاون بالكتاب وما يحذو حذوه ومما يستعملون به فهو الاستعلام من الله العليم العلام فلا تنسبونَ هذا العلم والإعلام إلى غير الحق ليكون كفرًا وفسقًا.

نعم لو اعتقد المنجم والرمال والكهان أن هذا العلمَ الحاصلَ لهم إنما هو من اللّٰهِ يشترط هذا السبب الحاصل أيضًا من الرب ومسبب الأسباب فهذا الاعتقاد أحسن العقائد وأتم الإيمان وأحكم الإيقان عند أصحاب الكشف وأرباب العلم والعرفان والمراد باليوم يوم من الأيام لا ينقصه بعينه بل أراد الزمان الحاضر والآن الدائر وما يتصل به وبذاته من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنتَ بالأمسِ شابًّا وأنتَ اليوم أشيب فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبلَ يومكَ الحاضر قيلَ هو يوم نزولها.

﴿يَئِسَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾ إبطال ﴿دِينِكُمْ﴾ وإضلالكم في أمور دينكم وإضعاف يقينكم وترجعهم إياكم إلى دينهم في تحصيل هذه الخبائث ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم ويقعوا الرعبَ إليكم ويغلبوا لديكم ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾ وأخلصوا الخشية لي، قالَ النبي ﷺ: «**اخشَ اللّٰهَ في الناس ولا تخشوا الناسَ في اللّٰهِ**»، وقالَ: «**من خاف اللّٰهَ خوَّف الله منه كل شيء ومن لم يخف اللّٰهَ خوفه من كل شيء**».

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ قد علمت حالَه ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالنّصر والإظهار على الأديان كلها وبالتطليع على قواعد العقائد بالتوقف على أصولِ الشرائع وقوانين الاجتهاد والقواعد ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى بالهداية والتوفيق للدعوة وحسن الدلالةِ أو بإكمال الدّين أو بفتح مكة وهدم منازل الجاهلية وحزم آثار الكفرة ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ من بين الأديان وهو دين الإسلام أن الدين عندَ الله الإسلام إلى الله الدين الخالص ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشورى: 13] ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض مما يوجب التعجب عنها وهو أن يتأداها فسوق وحرمتها منه جلة معالم الدين الكامل والطريق الشامل والشرع العام والله والنحل التمام أي من جملة الاضطرار على أكل هذه المحرمات حال كونهم في مخمصة شديدة ومجاعة سديدة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ﴾ غيره أميل له ومنحرف وآيل إليه وزايل لديه بأن يأكلها لمدد أو مجاوز أحد الجواز ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ إذا لم يكن باغيًا متجاوزًا عنه ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 3] بشرط أن لا يكون عاديًا فلا يؤاخذ بأكله.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ويقولون ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ﴾ استفهامية مبتدأ وذا موصولة بصلته خبره وهما اسم واحد أي شيء أصل لهم يعني لما يلي عليهم ما حرم الله عليهم من المطاعم الخبيثة والمآكل الخبيثة فسألوا عما أحل لهم منها قيلَ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم يعف العقول المستقيمة إذ لم يدل على حرمته نص ولا قياس وَصيد ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ عطف على طيبات أن جعل ما موصولة متضمنًا لمعنى الشرط وما بعدها جملة شرطية وجوابها فكلوا ﴿مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ بيان ما أي من ذوات الخارجة من سباع ذوات الأربعة أو الطيور ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ معلمين إياهم أخذ الصيد والكلب مؤدب الجوارح وتضربها بالصيد لصاحبها مشتق من الكلب لكثرة التأديب فيه أو لأن كل سبع يسمى كلبًا قالَ عليه السلام: «**سلّط عليه كلبًا من كلابك**» حال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة بأن كل أحد يأخذ علمًا من آخر لا بدّ أن يأخذه ممن يكونُ أنجزَ درايةً وأكثر تدريجًا وتجربةً ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾ من الحيل وطريق التأدب فإن العلم بها إلهام من الله وتعليم وإعلام من أهل التدرب وصاحب الدّراية والتجربة وهو أيضًا ينتهي إلى تعليم الله ووحيه إلى نبي من الأنبياء ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ بأن لا يأكلن منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم: «**وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسكَ على نفسه**»، وإليه ذهب أكثر الفقهاء.

وقال بعضهم: لا يشترط ذلكَ في الطيور بل في الكلاب لأن تأديبها إلى هذا الحدّ متعذر والآخرونَ إلى عدم الاشتراط مطلقًا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ﴾ أي على علمهم عند الإغراء والإرسال أو على ما أمسكن إذا أدركتم ذكاته وزكاته ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: 4] لا يشغله شأن عن شأن ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين فيحاسبكم مما كثر وجل وعظم وكبر وقل يؤاخذكم بما أخفيتم وبما أعلنتم.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ منصوب إما بمضمر أي ذكرًا وبفعل مؤخر وقد تقدم الكلام في تعريفه وتنكيره ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ يتناول الذبائح وغيرها والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى واستثنى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نصارى بني ثعلب قال: ليسوا على النصرانية وبه أخذ الشافعي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه إنه سئِلَ عن ذبائح نصارى العرب فقالَ: لا بأسَ وهوَ قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وصاحباه على أنهم صنفنان صنف يقرؤون الزبورَ ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابًا ويعبدون النجوم فهم ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فهم في حكم أهل الكتاب في أخذ الجزية لا أكل الذبائح ونكاح النساء ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ فأطعموهم منه ولو حرم لما جاز الإطعام لأنه كلما جاز أكله جاز طعامه لغيره وإلا فلا ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الحرائر العفاف وتحصينهن بعث على الأخذ، والأولى من المؤمنات والمحصنات ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وإن كن حرمات وقالَ ابن عباس: لا يجوز والإماء من المسلمات وغير العفائف منهن فجاز اتفاقًا ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ من مهورهن حيث على الأوفق الأحرى والأولى والأليق وقيلَ المراد به الالتزام ﴿مُحْصِنِينَ﴾ إعفاء بالنكاح ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ مهاجرين للزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن وهو الصديق سوى فيه المذكر والمؤنث ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ وينكر بالإيمان وشرائع الإسلام ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ

مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي أردتم أداءها وقصدتم القيام إليها كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 98] قيامًا للمسبب مقام السبب تنبيهًا على أن الحري بالمصلّي أن يكون دائم القصد لأدائها لازم العمد إلى القيام لإقامتها ظاهر الآية يدل على وجوب الوضوء في كل صلاة والإجماع على خلافه لما روى أنه ﷺ صلَّى الخمس بوضوء واحد يوم فتح مكة فالمعنى أنه إذا قمتم إلى الصلاة محدثين وجب عليكم الوضوء بنيته لقوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ أي أمروا الماءَ عليه ولا حاجة إلى الدلك خلافًا لمالك ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ الجمهور على أن المرفق داخل في الغسل، ولذلكَ قيلَ إلى ههنا بمعنى مع واعلم: أن لإلى حكمين الدخول والخروج لأن مدخولَها إن كان مغايرًا لما قبله فيكون لإسقاطه عما قبله كما في أتموا الصيامَ إلى اللّيل أي أسقطوا اللّيل عن الصيام وإن كان من جنسه فيكون لمد الحكم حتى مدخولها فعلى الأول يكون خارجًا عن المعنى كما علمتَ وعلى الثاني يكون داخلًا كغسل المرفق ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للتبعيض بالتضمين أي ألصقوا المسح بتبعيض رؤوسكم للفرق الظاهر من قولنا بين قولنا مسحت المنديلَ ومسحت بالمنديل.

اختلفوا في قدر الواجب فذهب الشافعي إلى ما يقع عليه الاسم وهو موضع ثلاثة أشعر وأبو حنيفة على أنه ربع الرأس ومالك تمامه احتياطًا ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6] والنصب والرفع فاختلف العلماء والأئمة في حكم هذه الآية فمن نظر إلى الجر حكم بالمسح لكونه عطفًا على الممسوح، ومن قرأ بالنصب حكم بالغسل لأنه عطف على الوجوه، وهذا الوجه لا ينص ولا يقطع على الغسل بل يؤيد المسح لاحتماله أن يعطف على محل برؤوسكم مع أن هذا العطف لكونه أقربَ أولى، وأما الرفع فلكونه مبتدأً والخبر محذوف فيحتملهما أي وأرجلكم من المغسولات أو من الممسوحات، بل هذا أرجح لأن أكثر القراء العشرة والرواة

الأربعة عشر قرؤوا بالجر عطفًا وعليه أنه لو سلم أن أكثر الرواة والقراءة على الجر إنما هو جر الجر بل جر العطف على الأقرب كما لا يخفى على من له أدنى دراية بعلم النحو وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: 3] بجر رسوله فالأكثر القراءة على كفروا بعض القراءة على الرفع بالعطف على محل اسم إن وبعضه على النصب بالعطف على لفظه وهذان العطفان واجبان في هذه الآية من حيث المعنى لأنهم تورعوا حال الألفاظ فذهبوا إلى الجر في الآية الأولى والثانية فحينئذٍ لا معنى لترجيح حكم المسح على الغسل بل الغسل قطعًا، ولا تعصب وإنما أخر الله حكم غسل الرجل على المسح رعاية الترتيب على المسح ربما على الأقرب وهي أقرب إلى التحقيق وأن التحديد لا يختص بالغسل والغسل والمسح متساويا الأقدام فيه لاشتراكهما في الرجل، وأما الرفع على ما في «الكشاف». وغسل أرجلكم مغسولة وممسوحة إلى الكعبين فيحتملهما.

وأما ما قيلَ من أن المسح داخل في الغسل فغير ظاهر إذ لكل منهما مفهوم مغاير للآخر إذ الغسل عبارة عن جريان الماء على الوضوء المخصوص صبًّا أو غمسًا والمسح هو إمرار اليد على العضو ممسوحه أو مبلوله ولا سترة، أن دخولَ المسح في الغسل فرية بلا مرية لتفارقها في الغمس في الماء. وفي الكشاف روي عن الشعبي: نزل في القرآن بالمسح والغسل سنة، وعن عمر رضي الله عنه لو لم أرَ الرسولَ أنه مسح على ظاهر الرجل لأمرتَ أن يمسح على باطن القدم. روي عن علي رضي الله عنه: مثل هذا عن الحسن أنه جمع بينهما هذا هو الأحوط وعليه أكثر المحققين من المشائخ العارفين.

نعم لو صح ما روي أن أكثر أصحابه والتابعين قد غسلوا لدل على أولويته لا الوجوب إذ الدلائل الشرعية ثلاثة الكتاب والسنة والإجماع وما في شيء منها ما يدل على الوجوب، وليس للقياس في هذا المقام كلام، وإن الأكثرين من أهل السنة والجماعة قد ذهبوا إلى وجوب الغسل والشيعة كلهم على وجوب المسح، وكون الغسل سنة دعمًا منهم أن الأئمة المعصومين الذين اقتبسوا أنوار العلوم الشرعية المصطفوية وأزهار الرسوم الذهنية الوضعية من مشكاة النبوة المحمدية ومرقاة الولاية العلوية معتنقًا مسندًا إلى رسول الله ﷺ كلهم مسحوا واكتفوا على المسح اتباعًا برسول الله وبعض الصحابة ومن وليه فإن تم هذا فاتباع هذه الأئمة

الهادية المهدية أليق وأولى وأحق وأما ما استقر عليه رأي مشايخنا قدس سرهم العزيز فهو الجمع بينهما هذا هو ما وصل إليهم من الأئمة المذكورة لا سلسلتهم وأسانيدهم إنما ترتفع إلى الإمام الهادي علي موسى الرضا ومنه إلى الإمام موسى الكاظم، ومنه إلى الإمام جعفر الصادق، ومنه إلى الإمام محمد الباقر ومنه إلى الإمام زين العابدين ومنه إلى الإمام الحسين ومنه إلى الإمام علي المرتضى ومنه إلى سيد الخلق محمد المصطفى ومنه إلى جبرائيل، وعلى جميعهم صلوات الله وسلامه أبدًا دائمًا متصلًا لا ينقطع.

وأما الاكتفاء بالمسح فهو إنما نشأ من شجرة التعصب فلا عبرة به وكذا الغسل إنما نشأ أيضًا من التعصب إذ الآية بمنطوقها ومفهومها إنما تدل عليهما فالاكتفاء بأحدهما والحصر على واحدهما إنما نشأ من محض التعصب مع أن أدلة المسح أقوى وأتم وأبهى.

واعلم أن ذكر الغاية في الآية إشارة ونص أنهما مغسولان كما هي في البدن من على الغسل، ثم لما كانَ للرجل حالتان ظهور وخفاء فالخفاء بالخف وهو المسح حمل على قراءة النّصب والجر والظهور محمول على الغسلِ وإليه ذهب بعض المحققين من الفقهاء توفيقًا لدلالة الآية عليهما وفيه ما فيه لأن الماسح على الخف لا يكون ماسحًا على الرجل لا حقيقة ولا شرعًا. أما شرعًا: فلأن الخف جعل مانعًا من سراية الحدث إلى القدم والرجل، فتبقى القدم على طهارتها السابقة على اللبس وما حل بالخف يزيله الخف، والمسح فعلي لا يكون المسح على الرجل لكونها ظاهرًا لم يحل به حدث رفعه المسح، والمشهور حمل الجر على المجاورة في الإعراب مع اختلاف الحكم وتعيين الحمل على هذا المحتمل غير ظاهر وقد جعل النحاة للجواز بابًا واسعًا وناصعًا، وعن الحسن البصري عن محمد بن جرير الطبري التخيير بينهما وعن داوود وجوب الجمع.

واعلم أن فرائض الوضوء ستة عند الشافعي غسل الأعضاء الأربعة والنية والترتيب، فالآية تدل على هذه الأعضاء الأربعة بالمطابقة، والترتيب مأخوذ عن واو العطف التي هي الجمع والترتيب على ما تقرر في الأصول، وأما النية ففي توجه القلب نحو الفعل الاختياري بابتغاء المرضاة لله تعالى فمأخوذ منه تعلق العلة المقدرة وهي الصلاة إلى قوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 6] أي اغسلوا هذه

للصلاة أولها الوجه فتعين أن تكون النية مقارنةً لغسل الوجه، ومن القياس بأن الوضوء عبادة كل عبادة يصح بالنية لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنَة: 5] لقوله عليه السلام: «**إنما الأعمال بالنيات**» أي صحتها ومنه منع وجوب النية في الوضوء يجعل العلة المقدرة متعلقة إلى الطلب المستفاد ومن الأمر لا إلى الأمر وهو خلاف الظاهر لأنه تكلف وإن كانَ فيه دقة، أي اطلبوا غسلَ هذه الأعضاء للصلاة، ويمنع كون الوضوء عبادة لأنه وسيلة لها يقدر الحدث بالثواب لا الصحة، والظاهر أن كونَ الوضوء عبادة ظاهر لترتب الثواب عليه لقوله عليه السلام: «**الوضوء على الوضوء نور على نور**». وكان للصلاة نورًا ودرجات كذلك للوضوء أيضًا نور ودرجة كما شاهدوا أصحاب الرياضات والخلوات في خلواتهم للصّلاة ولسائر العبادات أنوار، كذلك شاهدوا للوضوء أيضًا نورًا وصفاءً على قدر صفاء بواطنهم، والنور إنما يترتب على الحركة والسفر المباح إنما يصير عبادة بالنية كالحج وكونها وسيلة للعبادة لا ينافي كونها عبادة.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ محدثًا بالحدث الأكبر ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾ عند الأعضاء كلها ظاهرها ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضًا مخوفًا عند استعمال الماء فإن الواجدَ كالفاقد ويمنعه عن الوصول إليه ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أو في حكمه من سبيل المعتاد أو غيره ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ أي من ذلك الصعيد والتراب قد سبق المرام في هذا الكلام والتكرار لبيان تنويع الطهارة وكثرة لتفريع الثمرات والنتائج من القرباتِ والحالات وعلو المقامات ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ من الأمر والإيجاب في الطهارة للصلاة ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي ما يريد منه الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم ليصير ذلك الأمر حرجًا ونصيبًا عليكم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ ظاهرًا وباطنًا فإن الوضوء يكفر الذنوب ويحضر القلوب ويسورها من ورود جنود الأبالسة وعساكر الشياطين كما قالَ عليه السلام: «**الوضوء سلاح المؤمن الطاهر**». ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ ظاهرًا لتنظف الوضوء الأبدانَ عن الأوساخ المضرة وتخفيفه للقلوب عن الآثام المضرة والنفوس عن أضعاف الأحلام التي هي مبادىء أنواع العذاب وأصناف الأوجاع والآلام ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 6] نعم الله تعالى ومنحه الظاهرة والباطنة.

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في بداية الأدوار الإلٰهية والأكوار الغيبية التي اتصلت بها اتصال الغيب بالشهادة والقلب والقراءة بالصلاة والعبادة ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ الجارية في ديوان القضاء السائر في دواوين الجبروت وتناثر الأمر والملكوت من الأعيان الثابتة والجواهر النورية والفواخر العقلية والأرواح القدسية والأشباح الإنسية ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [المائدة: 1] أي أنزلتكم إلى المرتبة الطبيعية ورخصت لكم التوجه إلى التصرف فيها لأن لها في نفسها كمالًا يتوقف عليه سائر الكمالات الإنسية وظهور آثار الأنوار الربوبية إما بطريق البرزات أو في تحقيق التنزلات ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ من التعبد والتجدد والتقلد بما ذكر فإنه حرام لأنه يميت القلب ونفت عنه شهود ما هو الغيب ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ أي الذين يصطادونَ المعارف الإلٰهية والعوارف الغير المتناهية والحالات العالية والمقامات الرفيعة التي هي مطية التجليات الذاتية والشهودات الغيبية ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ أي والحال إنكم محرومونَ ومتوجهون إلى القلبية والصورة الجمعية الشهادية والغيبية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1] من السائرين إلى اللّٰهِ ومن الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الدورة الثانية في الفردارِيّة الحسية الحالية النورية من الأدوار الفرعية من الأدوار الجمعية النورية ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ ولا تهملوا ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ والعقود التي أوثقتم والعهود التي استوثقتم في الدورة الأولى العلمية في النورية الواحدية في الدورة الإلٰهية والكورة المتناهية ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي الأدوار الأربعة النورية الجمالية ورضوانًا كبيرًا وعرفانًا كثيرًا في الدورة الجمعية النورية والكورة المعنية الجلالية ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ﴾ وخرجتم من الإحرام والتوجه إلى الكعبة الجمعية ﴿فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ اصطيادَ المعارف الإلٰهية والأسوار الغير المتناهية السارية في الأحيان المدنية إشارة إلى تفاوت أحوال العارفين بحسب الأوقات إذ المعارف في بعض الأحيان تكون في مقام الجمع وفي بعضها في مقام الفرق وجمع الجمع «**وإني ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

قالَ آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: «أنا البعوضة التي ضرب الله[1] بها مثلًا» وقالَ أيضًا: «أنا المتقلب في الصور أنا فرع من فروع رسول الله»[1]، وقال: «أنا الذي عندي مفاتِح الغيب لا يعلمها بعدَ محمد غيري»[2]، وقال أيضًا: «أنا الذي بعثت النبيين والمرسلين»[2]. فإذا كانَ في مقام الفرق فعليه الاصطياد والإعراض عن التعطيل والابتداء ولا بدّ أن ﴿لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ ولا يجمعنكم قوم من القوى الطبيعة والنفسانية والروحانية الصارفة كل منها إلى عالمها ﴿أَن صَدُّوكُمۡ﴾ عن التوجه إلى المسجد الحرام أي القلب الذي حرم عليه التلطف والتوجه والالتفات إلى الأغيار والذي يوجب الانصراف إلى دار البوار أن تعبدوا وتجاوزوا عن حدّ الاقتصاد في الاكتساب والاصطياد وفي تأديب القوى النفسانية وتهذيب المبادىء الروحانية بأن لا يبالغ في الرياضة والجهاد الأكبر إشارة إلى شرط الإرشاد ورعاية وظائف التكميل والإرشاد وطريق التعديل ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ على إلخ أيها الأطوار السالفة والغالبة ﴿عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾ وتكميل النفوس وتعديل القوى في العلانية والسر ﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ والإعراض عما تقتضيه القوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ والخروج عن قاعدة العدالة وضابطة الانتصاف ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ والمخالفة الظاهرة والمباينة الباطنة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تمام الأحوال وعموم الأطوار في نشآت الأدوار ومقتضيات الأكوار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: 2] في الإقبال والعقاب في الأكوار والإخفاءات.

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ أي مقتضيات النفس الأمارة ومرتضيات اللوامة ومشتهيات الملهمة أي الأعمال النفسانية والأفعال الجسمانية والأحوال الجنائية والاعتكاف عليها والاستنكام عليها عما سواها من الحالات الرحمانية والكمالات العقلية والتجليات الإلٰهية والشهودات الذاتية بالعنوانات الذاتية والتحقق بالكمالات العينية والأخلاق الإلٰهية ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ تفصيل لما

(1) يتكلم بلسان الحقيقة المحمدية بعد فنائه بها.
(2) يتكلم بلسان الجمع يعني بلسان الحق وليس بلسان علي المرتضى رضي الله عنه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: 143]. إذ فني من لم يكن وبقي من لم يزل. وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري: «الكون ثابت بإثباته تعالى ممحو بأحدية ذاته».

أجمل بقوله ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي بالمعلومات النظرية والمفهومات الفكرية الآتية من القوة العاقلة المتشبثة بأذيال الوهم والخيال ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ أي علم حصل منه القوة الحيوانية أي الوهم المحض الحاكم على المعاني الجزئية في ضمن المحسوسات ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ أي علم مشوب بالخيال وبإدراكات المتخيلة بالأفلاك وبما فيها من الكواكب والنجوم السيارة والثابتة وخواصها واتصالاتها الكلية والجزئية وجرت حركاتها وما يترتب عليها من التأثيرات ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي علوم تتعلق بالأوصاف والأخلاق الغير المرضية والملكات الغير الفاضلة والهيئات الغير الهنيّة ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ يعني اقتباس هذا العلم حرام إلا ما كانَ خالصًا لله وما يتوقف عليه العلم اللّدني العلي والدني.

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ [المائدة: 3] أي لكونه انقراض من إدراك الكشف والكرامات واستحصال الشطح والطامات وغير ذلك من خصائص المجاهدات وخواص الشهود والمشاهدات ذلك أي المذكور المزبور من العلوم والإدراكات التي يكون لغير الله ويصل ويوصل إلى ما سوى الله ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ العلم ﴿فِسۡقٌۗ﴾ وخروج عن طاعة اللّٰهِ ومطاوعته وكمال عبادته ووفور إطاعته وعن التحقق بالله وبأسمائه وصفاته وبنعوت ذاته وجبروت صفاته ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ الذي هو الطامة الكبرى والمحشر الأكبر ﴿يَئِسَ﴾ وخاب القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وستروا أنوار الكمالات الحقية وأسرار إلهيات الإحاطية والأطوار الأربعة التي هي مجلى التجليات ومعاني الكشوف والمشاهدات فإن القوى الجسمانية والمبادىء النفسانية قد كفروا وستروا التجليات الإلٰهية وقصدوا أن يبتغوا الأطوار المذكورة لنفوسهم ويخدمونهم وينقلبون إلى أطوارهم ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ ولا تميلوا إلى القوم الذين كفروا ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ فإني قادر على الكل فأخص ما يحسنه علي في تمام الأوقات وعموم الساعات.

﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ الذي نصركم على أعدائكم وقهرهم وأدخلتهم في حكمكم ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بالنصر عليهم ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ من التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية الإفرادية والجمعية بالتزكية وما يتبعها من الفناء في الله والبقاء بالله والمظهرية والكلية والتحقق بالكل في الأدوار والأكوار كلها ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ والصورة الجمعية والهيئة الكلية الإحاطية وتطورات شؤوناتها في عموم نشأتها دينًا وجمعية كاملة وهيئة إحاطية جامعة لتمام الأديان في السر في الله ﴿فَمَنِ

﴿ٱضۡطُرَّ﴾ واحتجب من السالك الغير المجذوب والمجذوب ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ أي ماكث في مرتبة تلك المراتب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ ساتر على ما ابتلى في مقام النفس ومدارك الحس ﴿رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: 3] في مقام طور ظهور القلب.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا حقيقة المحمدية والجمعية الذاتية والأسمائية الأولية إلى الأطوار السبعة القلبية يسألونك عنك يا أيتها الحقيقة المحمدية والأحدية الجمعية والوحدة الذاتية السارية في جميع الأطوار في تمام الأعيان النورية الجمالية الحاكمة على الكل والجزء يستمدون منها ويستفيضون في كل الأحوال منها ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: 4] أي التجليات التي تعيد ظهور الوجودات الإضافية وما يتبعها مما يقتضي البقاء باللّهِ والاستفاضة من الله وهو الأرزاق الحقية والإدارات الخفية والجلية فلكل واحد من الأعيان والأكوان رزق مخصوص وغذاء منصوصٌ ينزل من سماء غيب الحقيقة المحمدية وتلك الصورة النوعية الإنسانية على أرض الاستعدادات الذاتية وعرض استدعاء القابلية الأولية ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذّاريات: 22] وهو التجلي الذاتي المتنوع حسب تنوع اقتضاء الأسماء الذاتية وهو عام وخاص.

أما العام: فهو التجلي الاتحادي، **وأما الخاص** على ما يقتضي خصوصية استدعاء الاستعداد الذاتي ظاهرًا وهو الوجود الإضافي الظلّي ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ [الفُرقان: 45] فهو في الطور الخفي في الهوية الغيبية للتجلي الذاتي الذي يتميز بالعنوان الذاتي الذي تتميز به الشؤونات الذاتية بعضها عن بعض وفي الطور الخفي في الحضرة الواجدية ذلك الرزق والغذاء أيضًا، عمومًا هو التجلي الذاتي الذي يميز الأعيان المندرجة تحته بالعنوان الوضعي وهو خصوصية كل واحد من الأسماء والصفات الذاتية وكيفية نسبها وإضافاتها إلى تلك الشؤونات الذاتية فتتعين الصور العلمية والماهيات الأولية باعتبار إضافة العلم إليها والمركبة الأزلية عند نسبة الحياة وسائر الصفات إلى تلك الصور العلمية وهكذا تنزل الأرزاق بالتجلي إلى نهاية التنزلات وغاية التعينات فحينئذ ينعكس حكم الرزق وتصير التعينات وأنواع الكثرات رغدًا ورزق المطلق الوجود بالرجوع إلى الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية ويحللها فيها انتقاء في المعتدي، فأحكام الطيبات مِنَ الرزق والأغذية

التي يكون بالرفق يتبادل ففي التنزلات الرزق هو التجلي الذاتي وما يتبعه من سائر التجليات الأسمائية إلى أن بلغ مبلغ الغايات ونهاية التعينات فإن الأعيان الكونية والأكوان العينية يتعدى ويتقوم بالتجلي المذكور فعند الاستكمال خاضوا في العروج وانعكس الأمر وصار الأعيان غذاء للتجلي أما في الكمال الجمعي والجمع الكمالي في السير في اللّهِ يصير الكل غذاء الكل وظهور الاستغناء والفناء الحقيقي فكانَ الغذاء والمقتدي والغاذي واحد فيصير العارف خليلَ الله والله خليلًا للعارف في الكمال الجمعي والجمع الكمالي في السير في اللّهِ.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي المجردات القابلة والبسائط العاقلة ﴿حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: 5] إشارة إلى الموجودات بأجناسها وأنواعها مندمجة ومتخللة بعضها في بعض اندماج الغذاء في المغتذي نزولًا عروجًا أما في النزول بالتجلي الذاتي غذاء لتمام المكونات ويبقى به، أما في العروج فإن الموجودات لرجوعها إلى أحديتها ينحل عن خصوصية تعيناتها ويتحلل في المراتب العالية مرتبة بعد مرتبة إلى أن وصلت إلى حد سهم الأولية ثم تنزل ثانية وثالثة ورابعة وهكذا أن تصيرَ كلًّا وكلية وغذاء للكل الجزاء والكلي والجزئي، والكلي إلى أن يكون في كمال جمعيته وحقيقة كليته رزقًا ومرتزقًا ورازقًا كما كان في بداية الدورة العظمى عين العلم والعالم والمعلوم وهذه الحالة باقية في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية كان الله ولم يكن معه شيء والآن على ما عليه كانَ، وأما الكثرات والتعدد والاختلافات والتخالف والمخالفات فبالنظر إلى أحوالنا وتغير حالاتنا وتكابر نسبنا وإضافاتنا التي هي في الحقيقة النسب الحقيقية الذاتية والإضافات الأولية التي ليس لها وجود والأكوان إلا في الاعتبار وفي العلم والاختيار.

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: 2] والمحصنات إلخ أي النفوس والقوى التي كانت داخلة تحت حكم سلطان أطوار القلب في الأدوار النورية والمحصنات من أعيان الأدوار ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي النفوس التي كانت داخلة في حكمه ثم خرجت عن إطاعته ومن خير مطاوعته خروجًا طبيعيًّا أو صناعيًّا وضعيًّا وهو الأديان المنسوخة الملة والممسوخة، والنحلة المسلوخة المبنية على الأوهام العاطلة والأحكام الباطلة التي كانت من قبلكم في الدورة

المتقدمة، فإن طالبَ النشأة وصاحب البرزات لا بدّ وأن يستحضر ما يقدم في الأدوار المتتابعة والأكوار المتسارعة إما كلها أو بعضها. قالَ آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: «إن الذي عنده علم الكتاب يعلم ما كانَ وما يكون».

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يرى ما خصصهم الله من صنوف الأعمال وصنوف الأفعال وأصناف الاستمتاع بالكلمات والأقوال بحسن الأحوال وعلوّ المقام في دار الوصال ومدار الاتصال ﴿مُحۡصِنِينَ﴾ ثابتين على ما أفضل لهم من علوّ المقام وسنو الحال على الدوام ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾ [المائدة: 5] أي غير منفعلين إلى ما لا يعينه ولا إلى أمر لا يعينه ولا يمنعه من العذاب الأبد والعقاب السرمد مثلًا إن كلًّا من الحواس الظاهرة والباطنة قد خصصه الله تعالى بأمر لو أعمله وصرفه إليه لأوصله الله إلى سعادة وشرف لا يعلمه إلا الله، فإن العبد لو استعمل البصرَ إلى مطالعة مصنوعاته والسمع إلى إصغاء الحق والنطق إلى النطق بالحق والقوة الواهمة إلى إدراك المعاني الجزئية المتصلة بالجزئي والحس المشترك ليجمع فيه جميع المدركات الحسيّة الظاهرة والباطنة استعد لأن يشاهد التجلي الإلٰهي بالبصر ويسمع كلامه القديم من فيه، والسر الذي أودعه فيه، ولا ينطق إلا باللسان الحق، ولا يعرف من الأشياء إلا المعاني الجزئية المتصلة بالواحد والجزئي الحقيقي، على وجه يكون عين جميع الأشياء، فمن يكفر بالإيمان باللّٰهِ وبأنعمه التي اجتباها لنا وهدانا إليها ووقعنا لتعاطينا لديها وينكرها ﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الخاص من أنواع الطاعات وأصناف العبادات وصنوف المجاهدات في الدنيا ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 5] لفقدان مقتضيات استدعاء استعداداته وتضييع رأس ماله وصرفه إلى غير ما أودعه أو لإفساده إياه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ التي هي العروج من حضيض التفرقة وأظيظ الكثرة إلى أوج فلك شمس الأحدية الجمعية وذروة وحدة الكلية الإحاطية، أو من السير إلى الله إلى السير في الله ومن مقتضيات الأدوار النورية أو من مرتضيات الأكوار الظلية الإفرادية إلى كمال جمعيتهما ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ أي جردوا وجهكم وفردوا واطهروا بوجهكم أولًا من حيث عالم الطبيعية السفلية الصورية الكثيفة إلى عالم الحقيقة اللطيفة المعنوية البرزخية المثالية إلى البرزخ المعادي، ثم من إلى وسط عالم البرزخ إلى البرزخ المبتدىء المتصل بالملكوت

الأعلى والأفق المبين وعالم الأرواح والأمر ثم إلى عالم الجبروت والمرتبة الواحدية ومنها إلى عالم الأحدية الجمعية وإلى غيب الهوية ونور الأنوار.

﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ [المائدة: 6] أي اصرفوا تصرفكم وأعمال قدرتكم وقوتكم عن الأعمال البدنية والأفعال النفسانية إلى المرافق إلى الحد الغارق من الطور القلبي والنفسي والبدني إشارة إلى أن أفعال الطور البدني القالبي والطور النفسي يضر الصلاة وتمنع الخروج وينافي الولوج والعروج إلى سماء القبلة الحقيقية دون الأخلاق المرضية والأوصاف الرضية الحميدة فإنها تعين القلب في العروج والخروج من عالم الفرق إلى سماء كمال الجمع، وذلك جمع الجمع، والمراد من الوجوه هي الصورة الجمعية والهيئة الكلية والصورة النوعية البشرية، ومن الأبدي هي العلوم المكتسبة والرسوم المدونة، ومن الغسل هو التصفية والتزكية إلى المرافق إشارة إلى شرط حصول الارتباط بين العبودية والربوبية والألوهية والكونية، فإن حق العابد أن يطرح في ميدان مبادىء العبودية وتزول عنه حقيقته ووجوه ذاته وهويته، حدث حدوث تعينات الكونين وما يتبعها من العلوم المكتسبة والنقوش المرتسمة إلى حدّ تحصل المرافعة وسد تظهر المرافقة بين الضدين والموافقة بين النقيضين وتربيع التباين عن البين وتطابق مقتضى الجمال بمرتضى الجلال في الغيب والشهادة والعين.

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ أي اطرحوا الاستعلاء ولا فرق بين الخواص في التفوق والعجب والسحت والتكبر ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة: 6] أي خاضعوا الكل وخاشعوا الجميع الجزاء والكل واطرحوا نفوسكم واجعلوها تحت الأرجل والأقدام لأن أصلكم وحقيقة نيتكم هو الأرض والتراب الذي أنزل الكائنات وأشغل الموجودات ولا فرق بين الخواص والعوام في هذا الباب لدى ذوي الألباب، وأيضًا إشارة إلى أن وظيفة العابدين وشريطة جمهور السّالكين وعموم العارفين أن لا يرى بسلوكهم قدرًا ولا لطاعتهم ورياضتهم مقدارًا، وإنما جمع المرفقَ دون الكعبين إشعارًا بأن العلوم المندرجة تحت قدرة اليد أكثر باعًا وأوفر ذراعًا، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وفق الموحد أن يغنى وجوده وعبادته في وجود المعبود وما ترى في عبادته إلا المعبود وحده لا شريكَ لَه وحق العارف أن لا يرى من العابد ولا

من المعبود ولا العبادة إلا ذاتًا واحدة وحقيقة متحدة وحق المحقق أن لا يرى في جميع الأدوار وتمام الأكوار لا نفسه وذاته منقلبًا بكل الصور وتمام الأطوار بحيث ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 3] أو المراد بالوجه هو الدورة الأولى النورية الجمالية الوجودية وباليد هي الدورة الثانية وبالرأس هي الدورة النّورية التالية وبالرجل هي الدورة الرابعة الصّغرى وإنما انحصرت أركان الوضوء صريحًا في الأربعة وأوقات الصلاة المفروضة في الخمسة تنبيهًا على أن كل صلاة عروج إلى عالم من العوالم الخمسة الإلٰهية والكونية وإن في كل ركن منها إيماءً إلى أن دورة من الأدوار الأربعة وأن حق المصلي أن لا يتعبد بعالم من العوالم الخمس بل يهم ويقصد إلى الحقيقة الجمعية والإحاطة الكلية التي أشار إليها في كلامه بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

وأما كون أركان الوضوء ستة فإشارة إلى المراتب الستّ كما أشار إليه الضمير هو وإلى أن حق المصلي هو أن يعرج إلى سماء العوالم وفلك المراتب كلها وأن لا يتعبد بعالم من العوالم ولا بمرتبة من المراتب فإن تعبد به بطلت صلاته ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ ومتباعدًا ومتجنبًا عن الحق وشهود أنوار تجلياته الأربعة المذكورة ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾ عن لوث المعبود ورؤوس التعينات وأجناس، الجناس التقليد والتقيد والحدود بماء الإرشاد والتكميل وزلال تعديل الأخلاق والتبديل ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ بالأمراض النفسانية وأردأها هو الشرك والجهل المركب أو الروحانية وهي العقائد الفاسدة والمعاقد الكاسدة أو جاء أحدكم من الغائط أي نجاسة محبة الدّنيا مرارَ التقليد وبول الإلحاد ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وبما يلمس في أثناء السلوك والسير والسفر إلى الله ومن اللّهِ إلى أساس النفوس ولمس أفعالها ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ أي علمًا شهوديًا حضوريًا وإدراكًا حقيقيًا وعرفانًا يقينيًا أو المراد هو الإنسان الكامل والمظهر الجامع الفاضل ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 6] أي اقصد أيها السالك العارف في سلوكك وسيرك إلى الله صعيدًا وترابًا ظاهرًا أي خضوعًا وخشوعًا.

قالَ النبي ﷺ: «**من تواضع لله رفعه الله ومن يتكبر وضعه الله ومن قنع أغناه ومن أكثر ذكر اللّهِ أحبه الله**»، أو إنسانًا اتصف بالتواضع والخشوع أو من تحقق بأركان الفقر وهي نهاية الكشف والحقائق والأطوار السبعة القلبية لا على وجه

الكمال، وما بلغ في غايتها ونهايتها فهذا الإنسان بمنزلة التراب، والذي تحقق بتمام أركان الفقر بالكمال وبجميع الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية في تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية في السير إلى الله ومن الله وفي الله فالإنسان بهذا الوصف والحالات وعلو المقامات ورفيع الدرجات هو البحر والماء النازل من الأحدية وفلك الواحدية الذي هو ظاهر ومظهر وظهور ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفُرقان: 48] والذي هو أدنى وأنزل منه هذا الإنسان بمنزلة الصعيد الطيب والتراب الغير الصيب فمن حق الطالب والسالك الراغب أن يجتهد ليصل إلى ذلك الإنسان الذي هو البحر المحيط بالكل فإن اقتدر أن يصلَ إلى هذا الإنسان لا يجوز القيام بما دونه من أفراد الإنسان الكامل الغير المكمل، وهذا الإنسان هو الإمام الهادي القائم حجة الله، وجعله الله الولي المرسل المنزل في كل زمان يجب على كل أحد من المؤمنين أن يعرفه ويطلبه ويعتصم لجل إرشاده ويتمسك بعروة إيصاله وتكميله ومن لم يعرفه ولم يعتصم بعروة استخلافه ومات فقد مات كافرًا ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] الآية، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: 143]. قالَ النبي ﷺ: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليةً**» اصحبوا مع اللّهِ فإن لم تستطيعوا فاستصحبوا مع من يصحب مع اللّهِ ليوصلكم بركات صحبته إلى الله.

وإنما ذكر الغائط دون البول إذ الغائط كالتقيد والتقلد والبول كالإلحاد وفساد العقيدة وسوء الاعتقاد فإن آلة نجاسة الإلحاد وأداة فساد الاعتقاد أسهل بخلاف نجاسة التقليد والتقييد فإن زالت عينها بقيت صفاتها وهي الطعم والريح واللّون، ففي ذكره إشعار بأن الشارع في دفع التقليد والتقلد ورفع التقييد والتقيد اهتمام كثير واعتبار جدير لأنه يبعد العبدَ عن الحق والحقائق وأحكامه، وأما الإلحاد فلا يبعد عنه الحق بل يقربه إذ سبب الإلحاد هي كمال العرفان وعليه حكم التوحيد وإلحاده إنما هو في آيات الله وأسمائه وصفاته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ [فُصّلَت: 40] الآية.

﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ﴾ وتوجهوا وأخلصوا وجهكم ونيتكم إلى اللّه فإنها أصل الصلاة وأساسها وأول ركنها ورأسها ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6] تلويح

إلى أن ما يجب على السائرينَ إلى اللّهِ هو تصحيح النية وتصريح الأمنية المقارن بالعمل الصالح الذي هو كسب اليد.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي الإسلام وبيان أحكام موضوعه وأعلامه ولوازمه، أصوله وفروعه والخوض فيه وشروعه لأداء من اسمه ووظائفه وأشرف أركانه التي يترتب على أفضل أعيانه هو الصلاة وهي أعرف نعم الله ومنحه التي أخذ الله العهد منكم على المواظبةِ على أدائها ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: 7] وعاهدكم على الملازمة في قضائها عهدًا وثيقًا وعاقدوا عليها عقدًا حقيقيًّا أخذه الله على المسلمين حين تابعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والمبالغة وكمالَ المطاوعة في العسر واليسر وفي الربح والخسر وفي النفع والضر وفي الخير والشر فقبلوا طوعًا وانقادوا له رغبةً وطبعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين بالحق على الحق ﴿لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ والعدل والانتصاف والوسط والإنصاف ولو على أنفسكم بالإقرار والاعتراف وعلى الأقربين من الآباء والأمهات ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ أي لا يحملنكم شنآن قوم أي معاداة القوى الطبيعية والمبادىء الجسمية والمبادىء النفسانية ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ﴾ لا تعتدوا في تدبير البدن وضبط أحواله وربط أعمال النفس وأفعالها به بإصلاحه ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ فإن كمالَ التقوى إنما يتم إذ اعتدلت القوى النفسانية في أفعالها بالنسبة إلى نفسها وكذا القوى الروحانية والمبادىء الفعلية وكذا القوى البدنية إذا عدلت في حركاتها وإدراكاتها صدرت الأعمال على الوجه الأتم معدلةً ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في تدبير النفس وتعديلها

وتكميل أحوالها وتحصيل أفعالها الخطاب بالأطوار العالية التي هي مطايا التجليات ومجلى المعاينات إشارة إلى شرط الإرشاد لأصحاب التجليات فإن صاحب التجلي لا بدّ أن يرى الأعضاء والمبادىء والقوى البدنية والنفسانية ويحافظ عليها لئلا تختلط أعمالهم وتحبط أفعالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: 8] من الظلم والعدل والعطاء والكرم والعلم والحلم وسائر الفضل.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقتًا بعد وقت ونشأة بعد نشأة بأن ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ في مقام النفس والطور النفسي ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: 9] في الطور القلبي والمقام الجمعي في مراتب الحس والحضائر القدسية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الظاهرة في الآفاق والأنفس ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المائدة: 10] قد جرت سنة الله ودأبه بتعقيب حال أحد الفريقين بحال الآخر وتدريبها بها وفاءً لدعوة الطالبين ومرقد الوعد للمؤمنين وتأكيدًا لنيتهم وتطييبًا لقلوبهم وتقريبًا لطويتهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ في كل زمان ووقت وآن ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ من الكفار والذمي والحربي ﴿أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ﴾ حين إقامة الصلاة وأدائها واشتغالهم بها ﴿أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتل والإهلاك والنيل بالسيف والنبل ﴿فَكَفَّ﴾ ومنع ودفع ﴿أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ إذ أقمتم الصلاة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميع الأحوال وتمام الأطوار لأن اللّه حاضر عليكم وناظر إليكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ وحده ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: 11] انحصر توكلهم على الله وحده في جميع الأوقات وعموم

الأطوار والحالات نزلت في صلاة الخوف لأصحاب الجهاد حال القعود والقيام والطواف قيلَ: إشارة إلى ما روي أنه عليه السلام ومعه في الخلفاء الأربعة ليستقرضهم لديه مسلمين قبلهما عمر بن أمية ظنا بأنهما مشركان فقالوا يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فلما جلس بأصحابه هموا بقتلهم فتدحرجت الرحى عليهم. وفي خبر جبرائيل قبل نزول رسول الله ﷺ في سفره منزلًا فتفرق الأصحاب وهمّ النبي ﷺ إلى شجرة فعلق سلاحه بها فجاء أعرابي وهو مستريح فسلَّ سيفه وقامَ عليه وقال ما يمنعك مني؟ فقالَ: «الله»، فأسقط من يده جبرائيل فأشرف واستعلى على الأعرابي فقالَ مَنْ يمنعك مني؟ فأسلم الأعرابي.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ﴾ [المائدة: 12] من كل واحد منهم شخصًا نقيبًا ينقب منه أحوال قومه ويقتبس عما هم عليه من الأفعال والأعمال والأوصاف أو كفيلًا يكفل عنهم بالوفاء بما أمروا وبإغوائهم على امتثال المأمورات روي أن بني إسرائيل لما فروا وعتوا عن فرعونَ وهلك فرعون بالغرق أمرهم الله بالسير إلى أرحبا أرض الشام وكان يسكن بها الجبابرة الكنعانية وكان رأسهم ورئاستهم عاج بن عنق قد ولد من بيت آدم ليجاهدوا تلك الجبابرة ويفنوهم عن ملك الشام ويغزوهم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط من أسباط يعقوبَ عليه السلام نقيبًا فاختار منهم النقباء وأرسلهم إلى الجبابرة وهم قد سمعوا قدوم بني إسرائيل قاصدين لهم فلما توجهوا إليهم ووصلوا لديهم رأوا رجلًا عظيمًا وعلى رأسه جبل من الحطب فلما لاقوه وأخبروه وأدوا الرسالة مد يده اليمنى إليهم وأخذ ستًا منهم في إبط اليمنى وستًّا أخرى في إبط اليسرى وجاء إلى أهله وألقاهم بين يديها وخرجهم لديها كالأفراخ الحديثة وقالَ: هؤلاء الذين

خرجوا إلى قصدنا وهمَّ أن يدهسهم تحت رجله ويمرهم ويمرسهم ويهرسهم ويجعلهم كالمريسة والهريسة فقالت أهله حليم أرسلهم ليؤدّوا خبرنا ويعلموهم عظمتنا وشوكتنا فأرسلهم إلى قومهم فلما انصرفوا قالَ بعضهم لبعض: لو نخبر لقومنا ما رأيناه من عظمتهم وشدة بأسهم وحدة بطشهم لخالفوا أمر الله فيستحقوا غضب الله شاهد لا يظهروا أحوالهم فلما أتوا القوم نقضوا العهدَ من توفينا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط بنيامين يوسف.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ تسلية لبني إسرائيل وتقويةً لفؤادهم لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بنبيكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾ بالقوة والظفر والنصرة والقدرة ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ على ما بيَّن الله وعينه عليكم ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ وهم موسى وهارون ومن تابعهم من النقباء وغيرهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيل اللَّهِ والتصدق على أهل الله ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ جواب القسم الدّال عليه اللام والنون المؤكدة وإعادتهما في قرينة ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُۚ﴾ وهذه الجملة سادة مسد الشرط أي إن كان منكم كذا فمني هكذا ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي ظهور آياتي وشهود هيئاتي على خصمائكم ﴿مِنكُمْ﴾ وإنما خصهم بالضلال لاختصاص الدعوة بهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12] المستوية لا اشتباهَ ولا حدّ له عقل سليم مستقيم وطبع قويم.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ﴾ فبسبب نقضهم وتركهم الميثاق الذي أخذوه لموسى إذنا الله لعنّاهم وطردناهم وأسقطناهم عن درجة الاعتبار وسرعة الاختيار ظاهرًا ﴿لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةًۖ﴾ عاصية مظلمة لا ينفذ فيها شيء من الإدراك الظاهر فضلًا عن العلوم الحقة العريضة والمعارف الإلهية العويصة ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ التي رتبها الله في كتابه وركبه في أبواب خطابه ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي خصه الله بها حكمًا وعلمًا وإدراكًا وحكمًا ﴿وَنَسُوا۟﴾ وتركوا ﴿حَظًّا﴾ كاملًا وسهمًا وافيًا باطلًا

﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في التوراة وبعض الصحف السماوية وهو الذي انطوى عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ الرسولَ النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية إلخ ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ﴾ الأعين وغيرها من اليد والرجل واللسان وما يخفىٰ من هم الصدور ﴿مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنْهُمْۖ﴾ استثناء من قوله وجعلنا قاسية وهم مما قالَ الله في حقهم ومن قوم موسى أمة يهدونَ بالحق وبه يعدلون ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ وتجاوز عن سيّئاتهم ﴿وَٱصْفَحْۚ﴾ وأعرض عن إجرائهم غفور ما فات عنهم من الطاعات والعبادات والأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات الحقة والحقائق والعقائد المحققة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13].

إشارة وتأويل

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أصحاب الطور القلبي والقوى الداركة الظاهرة والباطنة الذين يعبدون في مرتبة الأخلاق ودرجة تحسين الأوصاف وبالغوا في قتل مشركي القوى النفسانية وكفار المبادىء الطبيعية التي خصصها الله تعالى لتكون مبادىء للعلوم الكونية والمنادي إلى المعارف الربوبية ويكونَ إلٰه مشاهد الحقائق الإلٰهية بعد مطاوعتها للطور القلبي وقولها تحت حكم سلطانه فليس من شأن سلطان القلب أن يهلك القوى النفسانية المتبركة بل لا بدّ وأن يصلحها ويدخلها تحت حكم سلطنته وأن الكفر والشركَ يعرفان الإيمان والتوحيد ولولاهما لما ظهر الإيمان والتوحيد إذ يبين الأشياء بأضدادها.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [المائدة: 10] أي التجليات الآثارية لتعبدهم تصور الأخلاق وتبعدهم عن مشاهدة الخلاق والفناء في الله والبقاء بالله والمظهرية والكلية والتحقق بالأسماء والصفات الإلٰهية وغير ذلك من الحالات والمقامات قالَ الحَلّاج: لا يرسم الخواص أين أنتَ؟ قال: في مقام التوكل قال: يا مسكين فأين أنتَ في مقام الفناء في الله والبقاء بالله والمظهرية والكلية وأصحاب الأخلاق المرضية لتقلدهم بالأخلاق وتعبدهم بتحسين الأوصاف استبعدوا عن مشاهدة لقاء الله وعن التحقيق بوجوده وبقائه وغير ذلك من الأحوال والمقامات، وهم قد غفلوا عن ارتباط أصول الأخلاق بالكواكب السبعة السيارة والثابتة وذهلوا أيضًا

عن ارتباط الكواكب بالأسماء السبعة الذاتية مثلًا أن القوة النظرية هي منسوبة بعطارد وهو ظاهر الفعل المجرد الذي هو مظهر صورة العلم الإلٰهي، والقوة العملية هي صورة زحل وهو باطن العلم، والغضبية هي المريخ وهو مظهر القدرة، والشهوية هي بالزهرة والقوة الروحانية والحياة هي الشمس، والنفسانية هي القمر، فالأولى مظهر الإرادة، والثانية مظهر الكلام، والزهرة مظهر السَّمع، وعطارد مظهر البصر، والمشتري هو صورة الحياة والعدالة في الكل، وقد يتمثل الغضب بالنار والنار مظهر المحبة الذاتية والشهوة بالماء والشوق الحيواني والهواء والثبات والتمكن بالأرض، والكل هو تفاصيل مظاهر التجليات الآثارية التي تظهر بالصور الجسمانية، فمن صفة قواء حسّه وعفة هواء نفسه شاهدَ التجلي الآثاري بصُوَر الكواكب المثالية أو الروحانية التي هي ملكوت هذه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 75، 76] إلخ، أولئك الذين فقدوا بدرجة الأخلاق ولم يتصرفوا إلى أصول أصولها واقتنعوا بظاهر الملكاتِ الفاضلة الملكية ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113] ونار التحسر والندامة التي توقد على الأفئدة ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهُمزة: 6، 7].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهي الجمعية الإلٰهية والكلية الربانية والكنانية إذ هم قوم من الأعيان الإلٰهية والأكوان الإمكانية المندرجة تحت الجمعية وحبط الصور الكلية ليبسطوا إليكم أيديهم ليخرجوا منها إلى خير الانفراد ويميلوا إلى التفريط والإفراط فكف أيديهم ومنعهم عن الافتراق وعن الشتت والافتراق ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الافتراق والاشتياق وفي تعديل القوى وتبديل الأوصاف بأن لا يميلوا إلى الإفراط والتفريط ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11] أي تخصص المؤمنونَ الكاملونَ التوكل على الجامعةِ لجميع الأسماء والصفات في تمام الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية التي انحصرت على اثني عشر دورًا ثمانية من الأدوار النورية الجمالية وأربعة من الأكوار الطبيعية الجلالية البسيطة وأربعة من المركب منهما.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: 12] أي معًا هٰذه الأطوار

السافلة بالأطوار العالية أو القوى البدنية والمبادىء النفسانية بالمعادن الروحية والمباني العقلية بأن توافق سلطان الطور القلبي وتطابق أمره وتمثلوا حكمه في متابعة الأطوار العالية في تمام الأدوار النورية الإلٰهية والأكوار الظلية الغير المتناهية وفي جمعيتهما في مراتب القلب المحققة وهي البدن والنفس والعقل في مرتبة الملك والملكوت والجبروت، إشارة إلى انتقال فردانية السّلطنة الإلٰهية من الجلالية إلى الجمالية وبالعكس، وهي إما كلية أو جزئية، أما الكلية فبحسب اختلاف الأدوار واقتضاء مدتها ومقدار كميتها، ومعاونة سلطنة الدّورة العظمى النورية ثلاثمائة وستون ألفًا سنة من السنين الإلٰهية وهو أن يكون مقدار سنة ثلاثمائة وستون سنة يومًا من الأيام الإلٰهية ويكون يومه ثلاثمائة وستونَ سنة، ومقدار يوم الدورة الكبرى خمسون ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الوسطى ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الصّغرى معروف وهو أربع وعشرون ساعة، وعند انتقال الفردانية من دورة إلى دورة وانقضائها يظهر تعجبًا من الصور الإلٰهية أما الأولى فهي عند انطباق منطقة معدل النهار الدورة النورية الجمالية على منطقة بروج الدورة الجلالية الضمنية، فحينئذ تنحل صور المركبات وترجع إلى أصولها ولبسائطها فلا يبقى في الأرض الاستعدادية مركب ولا بدن ونفس مرتب، فإذا تقوم القيامة وتظهر الساعة، فإذا انتقل حكم الدورة من الأدوار النورية الجمالية إلى دور آخر منها عند انصراف منطقة معدلَ النهار الدورة النورية الجمالية الصريحة عن منطقة بروج الكورة الجلالية الضمنية التي كانت جزئية الدورة النورية، فعند انتقال الدورة من النورية الصريحة إلى الظلية الضمنية وهو عبارة عن النفخ الثاني يحيى ويظهر الأموات المخزونة في جزئيتها ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68].

ففي بداية هذه الدورة التي هي العلم أخذ الله تعالى عن أعيان هذه الدورة العلمية ميثاق العبودية ومعاهد الربوبية والألوهية فإذا انتقلت هذه الدورة التي تسمى بالدورة العظمى النورية ومبدؤها العلم بأنواع مقتضيات الأربع باستيفاء مرتضياتها المربعة التي مبادئها العلم والحياة والقدرة والإرادة ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى صريحًا وضمنًا، قامت القيامة العظمى النورية معبرة بالنفخين المذكورين وانتقلت الفردانية من الدورة النورية الوجودية الصريحة إلى الكورة الضمنية الظلية العدمية

الجلالية ويظهر ويتعين سلطان الظل والجلال بما كانَ مخزونًا فيه صريحًا وصارت دورة النور والجمال ضمنًا خفيفًا فينعكس الأمر، فصار الجمال جلالًا والجلال جمالًا والباطن ظاهرًا والظاهِرَ باطنًا، ويتبدل طور الدنيا بطور الآخرة وينتقل طور الآخرة بطور الدنيا، والألوهية عبودية والعبودية ألوهية والوجود عدمًا والعدم وجودًا، ففي استكمال من الدورة الرابعة النورية تقوم أربع قيامات العظمى والكبرى والوسطى والصغرى وينفد بها أربع ساعات عند قرب استيفاء الدورة مقتضياتها، فإذا تم اقتضاء الأدوار الأربعة الإفرادية انتقل الحكم إلى جمعيتها ثم إلى الأكوار الأربعة الظلية الجلالية الإفرادية بأن يصير حكم الظل والعدم والجلال صريحًا، وحكم النور والوجود والجمال ضمنًا بعيد استيفاء فردانية حكم الجلال مرتضياتها صريحًا انتقل الحكم إلى النور وَالجمال الخفي الضمني فتظهر النفحات وتقوم القيامات الأربع الجلالية على قياس ما هو في الأدوار الأربعة الجمالية، فما من عين من الأعيان الجمالية ولا حكم من أحكامها الأول قرين من الأكوان الجلالية وأحكامها وبينهما معاهدة نظرية ومعاقدة فطرية كما ورد في الخبر من «**أن كل مولود فله قرين من الجن يأمر بالشر إلا قريني فإنه أسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير**» والحق جل وعلا إنما يقضي ويحكم عليها بالموافقة والمخالفة، وقال الله: «**إني معكم في الظاهر والباطن**» أي بالمولود الإنسي والجني.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: 12] الحقيقية وهي مطاوعة جميع الأجزاء والأعضاء الظاهرة والباطنة الإنسية والجنية للقلب والفؤاد في التوجه إلى المبدأ والمعاد، فالصلاة وهي معراج القلب بالنفس والروح والعقل بتمام القوى وعموم الأعضاء والجوارح والأجزاء بل لجميع الأعيان الإلٰهية والكونية إلى سماء الأحدية الذاتية ضياء الصورة الجمعية والهيئة الإحاطية الكلية المعية بالأصولية والفروعية، وإنما قيَّد المعية بإقامة الصلاة إشعارًا بأن شهود المعية مشروط بهذا النوع من الصلاة وبأن معية الحق ليست جسمانية لتكون بالمقارنة ولا نفسانية لتكون بالمقاربة ولا روحانية وعقلية لتكون المعية إحاطية علية بل المعية هي العلم الحضوري والإدراك الشهودي فتكون جميع الأشياء حاضرة عنده، فمشاهدة المعية مشروطة بهذا النوع من الصلاة ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي الفضل من الأموال والعلوم والأحوال إشارة بأن حق العبد العارف ووظيفته أن يكون

تمام أوقاته مستغرقًا في الطاعات والعبادات وفي مشاهدة التجليات ومعاينة الحالات والمقامات وأن لا يكون في أوقاته مهملًا وفضلًا، فإن كان فلا بدّ وأن يصرف إلى تكميل الفقراء الطالبين والعلماء الراغبين بأن يدعوهم إلى الله وكمال مشاهدته ويكملوا نفوسهم ويعدلوا عكوسهم ويملؤوا من شراب محبة الله كؤوسهم، فهذا العمل أكمل الطاعات وأفضل العبادات لكونه وسيلة إلى أشرف المرادات وهو شهود الحق بأسمائه وصفاته.

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ أي شاهدتم التجليات الذاتية والواردات الإلٰهية والمخاطبات الغيبية والإلهامات الربانية ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي تجليتموهم وعظمتموهم حق التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من أموال العلوم النظرية من يقود المعارف الإلٰهية والحقائق الربوبية وأجناس الإدراكات الفكرية بأن استعمَلَها في الإلٰهيات وأعملَها في الربوبية بأن يتأمل في بدائع المصنوعات وصنائع الموضوعات ويجعلها آلةً لمشاهدة الكمال لقدرة الصانع ومرآة لشهود بدائع حكمته الساطع إلى أن بلغ مراتب العقل بالفعل والمستفاد إلى أن وصلَ مقام الاتصال ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي ما فات عنكم من الكمالات العلمية والكلمات القدسية والملكات الكاملة والحالات الواصلة والأخلاق الإلٰهية.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ أي جنات التجليات ودرجات المكاشفات والمشاهدات ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي العلوم المتعلقة بالتجليات الأربعة الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية أي التعقل والتوهم والتخيل والإحساس والمشاهدة البصرية ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ [المائدة: 12] إشارة إلى الترات الواقعة للسالكين في أثناء السلوك فإن منهم من بالغ في تبديل الأوصاف وتعديل الأطراف وتقيد بمشاهدة أصول الخلق وهي أربعة: الفقه والشجاعة والحكمة والعدالة وجعلها مقصودة بالذات فاعتكفوا عليها وفي كل وقت في دفع المكروه ينعطف إليها فإذن يحتجب لبيبها عن مشاهدة لقائه وعن التحقيق بوجوده وبقائه، فلا ترتفع هذه الحجب الكثيفة والنعت الغليظة الأنيقة إلا بما هو أقوى منها وهو الكفر، فإن النخوة والعجب والكبر والأنانية حاصلة من الأعمال والعلوم ومن المقامات العالية وكثرة الأحوال وتقيد شدّة الضلالة وتعبد صاحبها بأخذ الجهالة

وهي الجهل المركب وهو أردأ أمراض النفوس، وأضله الله على علم ختم اللّه على سمعه وبصره غشاوة ولا تندفع هذه الرذائل التي هي الشرك الخفي إلا بالكفر وارتكاب المعاصي الكثيرة. قالَ النبي ﷺ: «**لو لم تكونوا تذنبونَ لخفي عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب العجب العجب**» وقالَ أيضًا: «**لولا أن المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهمّ به فلو أعجب لكان الذنب خيرًا لَه من العجب**» وقال أيضًا: «**أنين المذنبين أحب إلي من زجل المسبِّحين**» وقالَ: «**لولا أنتم ما تُذنبونَ لذهبتُ بكم وأتيت بقوم يذنبونَ ويستغفرونَ فأغفر لهم**» وغير ذلك، فإن الذنب للعبد يلجىء إلى التضرع والتواضع وهو أفضل الطاعات وأكمل العبادات. قالَ النبي ﷺ: «**أفضل العبادة التواضع**».

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ أي بسبب نقضهم عهدهم وإبطال عقد عقيدتهم في اقتضاء فردانية سلطنة الجمال الصريحة دون غلبة سلطان الجلال الضمني، لعناهم وبعدناهم عن مقتضى حكم الجمال وأدخلناهم في فردانية حكم الجلال الضمني إلى أن زالت تلك الهيئات الرّدية وتوافقت بمقتضى آثار أنوار الجمال بعد توافق سلطان الجلال وسلطان الجمال فحينئذٍ يدخل الأبالسة والشياطين في حكم سلطان الجمال وسلطان العدالة والانتصاف ونزول الميل والحيف والأعناق وجعلنا قلوبهم التي هي معدن صور الأخلاق الردية والمرضية والملكات الفاصلة الرضية وموطن آثار الأوصاف ومعطي آثار الهيئات التي تعز وتمنع توجههم إلى الأحدية الجمعية والوحدة الذاتية قاسية قاسرة ومانعة عن التقرب قاصرة من التدرب.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [المائدة: 13] الإلٰهي من الكتاب الكوني والخطاب الرباني الغيبي عن مواضعه التي خصصها أو عينها بذلك الحكم، فإن محل القوة الشهوية كلمته مثلًا قد وصفه تعالى لأن يعرف بها صفة الترزيق المستتبعة العلم بالعلم الإلٰهي وكمال القوة والقدرة والإرادة والمشيئة الذاتية وغيرها من الصفات الذاتية والأسماء الأولية إما على سبيل الحضور والتحدي وإما على طريق الشهود والإدراك الحضوري والتحسس، فهو يفيد التحقق بصفة التكوين والترزيق، وبسائر الصفات الإلٰهية والأسماء الذاتية والنعوت الربوبية وغير ذلك من الحالات القريبة والمقامات العجيبة في الأدوار السرمدية والأحقاب الديمومية

من هذا المقام اعترف لكَ بالتقصير وشهد على نفسه بالتضييع والتصغير والتغيير لا من يعبد بدرجة تحسين الأوصاف وتبديل الأخلاق، فإنه متعجب برؤيته ونعوته وصفاته الحسنى كمن ادعى بنفسه لنفسه والتسبيح والتقديس ونفى غيره حيث قال: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: 30] الآية إلخ، وتصدى بالمعارضة والاعتراض ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: 13] في توراة مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعرَاف: 172] فإنهم لما نزلوا من مقام العهود إلى مرام الشهود وذاقوا ملذات هذا العالم نسوا ذلكَ المقام وبذلوا وراء ظهورهم ما شاهدوا في ذلك المقام وسمعوا خطابه.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾ وتقف على وجه التحقيق ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ حيث خانوا فيما أودعه الله تعالى فيهم وضيعوا من المعارف الإلٰهية والحقائق الفطرية والإدراكات النظرية ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ حيث تذكروا بعض ما يفكروا فمالوا بتعاطي ما نالوا إليه إلى صحبة المرشد الكامل المكمل واشتغلوا بالجهاد الأكبر برفض العادات ونقض مساوىء الهيئات ونقص آثار الملكات ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ يا صاحبَ الطور الجامع وراقبَ الدور السّامِع واصفَح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13] الظانين بإساءة نفوسهم ورداءَة كؤوسهم.

حديث شريف: قالَ عليه السلام: «**المحسن من ظن أنه مسيء**» وقالَ أيضًا: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا لَهاه عن محاسنه وجعل مساويه نصب عينه**» إشارة إلى أن حق العارف أن لا يغفل طرفة عين عن بعض إمكانية ذلك، فإن ذلكَ يفتح أبواب شهوده الحالات الجامعة بين الألوهية والكونية والربوبية والعبودية طردًا وعكسيًّا عقلًا وحسًّا طبعًا ونفسًا ويفتتح قضاء غيب القلب ويوسع قباء جيب الغيب، فيحفظ بأنواع مشاهدات التجليات ويتسع بإحساس المعاينات وأصناف مقتضيات الدورات ومرتضيات الكورات فتدبر وتذكر وتفكر.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ [المائدة: 14] كما أخذنا

ممن قبلهم المجرور المتقدم متعلق بأخذنا جمع نصير كهدايا جمع هدية وبرايا جمع برية فيه مبالغة وإنما سموا بذلك دعاء بنصرة اللّٰهِ إياهم وانحصارها فيهم ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 52] الآية، ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإنجيل كما نسوا اليهود حظًّا مما ذكروا به في التوراة ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ وأوقعنا ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ﴾ الدّينية ﴿وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ في الأمور الدنياوية أبدًا ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي بين فرق النصارى وهي نسطورية ويعقوبية وملكانية بينهم وبين اليهود ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: 14] أي بكونهم صانعين ببعث محمد لتبين أحوالهم بأن يسوؤهم سوء العذاب في الدنيا من القتل وجلاء الوطن وفي الآخرة بأشد العذاب وأخذ العقاب.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى والمراد من الكتاب التوراة والإنجيل والأعم الكتابَ فاللام في الأول للعهد ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذي فيه بيان محمد ورسالته ونعوته وسائر أحواله ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ محمد ويغفر ويتجاوز عن كثير مما كنتم تخفونَ فلا يؤاخذكم بجرمكم ويعاقبكم بما صدر منكم ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ محمد ﴿وَكِتَٰبٞ﴾ يهدي من يشاء وينجي من ظلمات الشكّ وسوء الظن والإفك والضلال والجهل المركب والإضلال كتاب ﴿مُّبِينٞ﴾ [المائدة: 15] أنزل به الله عليه.

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي سبيلًا مستقيمًا وطريقًا قويمًا استتبع السلامة في الدارين والكرامة في النشأتين وهو الدين الحق والإسلام

المحقق وتوحيد الضمير لكونهما في حكم واحد ورسم متحد ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرية والكدرات الشركية والهيئات الجهلية ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ والإيمان بأمره ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ وبإرادته ومشيئته ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ ويدلهم أو يوصلهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 16] سبيل مستوٍ بلا عوج وانحناء وفُرَج.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ بالحلول والاتحاد لأنهم قالوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ قد اتخذنا المسيح بأن الإلهَ قد حل في المسيح فصارت هويته هوية الله ﴿قُلْ﴾ يا محمد على طريقة الاحتجاج بأنه إذا كان المسيح إلهًا ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾ ويمنع ﴿مِّنَ﴾ إرادة ﴿ٱللَّهِ﴾ وقدرته ﴿شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي التجلي الروحي والجني المتولد من مريم الثانية والنفس الكلية العامة في نفسها الظاهرة بالعقل الكل والحقيقة المحمدية باعتبار إدراك ذاته بما فيه من المراتب، وما فيها من الأعيان العقلية والجواهر النورية والفواخر الروحية والنفسية والأجرام السماوية والأجسام العنصرية وما يتركب منها ﴿وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية والعرض القابلية ﴿جَمِيعًا﴾ من الأعيان الوجودية والجمالية والعدمية والأكوان الجلالية ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي الأعيان الإلٰهية ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الأكوان الغيبية والعينية ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي ما يتركب منهما من الحقائق المركبة والشقائق الإنسانية بنعت الأشد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17] أي الحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية ملك السماوات الأسماء الذاتية والأرض الأسماء الكونية وما يتركب منهما من الأعيان الجامعة الكائنة منهما يخلق ما يشاء في الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ لما أقام الحجة على النصارى لنفي الألوهية وبين أن أصول اليهودية وهم التعاقد نقضوا العهودَ وإن أتباعهم قد حرفوا الكتابَ وخانوا طريق أرباب الألباب وجاوزوا الحدود ﴿قُلْ﴾ يا محمد لو صح قولكم ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ هذا على طريقة المسامحة والمشايَعة برأيهم الفاسد وإلا فهم لا يستحقون الخطاب لكونهم ساقطين عن درجة الاعتبار لإصرارهم في إبطال الحق الصريح واستمرارهم على الاعتكاف على الباطل الفصيح ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي من بعض من مخلوقات الله تعالى ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: 18] في كرة البحار والزمهرير من كائنات الجو كالسحاب وما يلزمه من المطر والثلج والبرد والنزالة ودواب الهواء وذي الذواب وغير ذلك.

إشارة وتأويل

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ أي الأعيان الدّورة الأدنى من الأدوار النورية الوجودية والدورة الأخيرة منها وأعيان الدورة النورية والظلية ﴿قُلْ﴾ خطاب إلى جمعيتهما ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ [المائدة: 18] في النّشأة بكم بافتراقكم من الكمال الجمعي والجمع الكمالي إلى مرتبة ودورة إفرادية وإلى دورة ومرتبة أخرى إفرادية وهذه الأعيان مقدمة في النشأة ما دامت مترددة في الأدوار والأكوار وانتقلوا من الأفراد إلى الكمال الجمعي انقلب العذاب عذابًا والعقاب ثوابًا والخطأ ثوابًا ﴿بَلْ أَنتُم﴾ عرضت أنكم مترددون في النشأة الجزئية والأدوار الإفرادية بسر متردد ومتغير متبدد وليس لكم ألوهية يتصرف في الأشياء بالخلق والتعذيب والمعرفة وبالتشريق والتقريب ﴿بَلِ ٱللَّهُ﴾ الثابت في كل الأحوال ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ بالتبليغ والاتصال إلى مرتبة جمع الجمع وأخذ به الجمع في الجميع ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ بالترديد والتفريق ولله ملك السماوات في الأدوار الجامعة والأكوار الرافعة إلى

الأحدية الجمعية وجمعية في السير ومع الله ولله أي الذات الجامعة للإدراك ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الأعيان الإفرادية النورية والأرض أي الأكوان الظلية الجلالية الإفرادية بجمعية، والجمعية ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من جمع الجمع الذي يكون بين الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: 18] آنا فآنا أو في المحشر الأعظم والقيامة الكبرى.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ مبعوثًا ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ أي زمان خالٍ ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ عن بعثة الأنبياء وتبليغ الرسالة والوحي والكتاب وبيانًا خاليًا عن بيان آخر ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ مفعول له أي كراهته ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا﴾ من رسول ﴿مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فقد جاءكم جواب النهي المقدر بنفي لا تعتذروا بالفترة وعدم البعثة ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 19] على التبليغ والإبلاغ والإرسال يرى منه موسى وعيسى فإن بينهما ألف وسبعمائة سنة وقد بعث في هذا الزمان ألف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة أو خمسمائة وتسع وتسعونَ سنة بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وهو زكريا ويحيى وعيسى وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العيسي قد ظهرت في زمانه نار محرقة مهلكة قد أحرقت كثيرًا من الخلائق فأخذ خالد عصاه وتوجه إليها فهربت منه وجاءت إلى غار فدخلت فيها، وجاء خالد وقال لقومه: سألج إلى هذا الغار واصبروا ثلاثة أيام حتى أن أخرج، فلما أمضى بعضًا من تلك الأيام الموعودة اختلف القوم فدخل بعضهم في الغار، فإذا خرج خالد فقال لهم: لم تضطروا ثم قال: لما أنا أموت ادفنوني فبعد الأيام الثلاثة إذا جاء غنم على قبري فاذبحوه فخذوا قلبه واضربوني بهذا العضو فأحيا، فأخبركم عن الأسرار الخفية الإلٰهية. فلما بلغت ثلاثة أيام جاء غير ما قالَ، فهم نقضهم لأن كرامته أن يشتهر بين التراب فلما أتوا إلى النبي فقال عليه الصلاة والسلام: «**مرحبًا ببنت نبي قد أضاع قومه قول نبيهم**».

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ كانوا يدعوكم إلى الله ويرشدوكم إلى معرفته وطاعته وعبادته ولم يبعث الله في أمة من الأمم ما بعث من بني إسرائيل وقد ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ وقد جرَت سنة الله على أن يجعل مع كل ذلك إلى أن وصلَ إلى زمان زكريا وعيسى ويحيى فالقوم قد هموا إلى قتل يحيى وزكريا وعيسى قيلَ لما تملك بنو إسرائيل أمرهم من القبط سماهم ملوكًا ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ وأعطاكم ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 20] من العصا وفلق البحر وتظليل الغمام والخلاص من العدو ويروى المن والسلوى وإنزال الكتاب الذي فيه بيان كل شيء وهدى للناس قالَ موسى.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ بيت المقدس لكونها مقر الأنبياء ومقر الصلحاء ومجرى الأولياء قيلَ هي أرض الشام ودمشق ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ وقدرها مسكنًا ومكانًا ﴿لَكُمْ﴾ في اللوح المحفوظ الذي فضل الله ما فيه في الكتاب المنزل بشرط الإيمان بالله والإطعام على الضيفان ورفض المخالفة والطغيان والتعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ من أمر الله إلى مخالفة أمره فارين من مقاتلة الجبابرة المستكبرين على الله راجعين على الأدبار لدى أخبار النقباء عن عظمتهم وبأسهم وشدة بطشهم ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 21] وانصرفوا من الموافقة إلى المخالفة جزمه إما بالعطف على الأمر فيكون نهيًا أو بجواب النهي فاعتذروا.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ أقوياء وعظماء لا يتمكن من مقاومتهم ولا يقتدر على مقاتلتهم ومحاربتهم ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ ما داموا فيها ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾

﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: 22] بالرغبة التامة وارتفاع الرهبة العامة.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ رجلان من الأنبياء التي أرسلت إليهم ﴿رَجُلَانِ﴾ وهما كالب ويوشع ﴿مِّنَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله وهم أتباع يوسف وبنيامين الذين كانا من أحب أولاد يعقوب وسائر النقباء كانوا من أولاد يعقوب الذين كانوا يخالفون أمر يعقوب وقصدوا يوسف وطرحوه في الجب بحيث يتوارث والبعض يتوارثه قيلَ هما رجلان من الجبابرة أسلما سارا إليَّ فأخبرا عن ضعفهم وكمال خوفهم من موسى وقومه ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بكمال الإيمان والمعرفة بموسى والمهاجرة عن القوم الجبابرة فإذًا ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ يا بني إسرائيل ﴿عَلَيْهِمُ﴾ أي على الجبابرة ﴿ٱلْبَابَ﴾ القريب السهلَ ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ من هذا الباب ﴿فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ عليهم وإن كانوا في الظاهر عظيمًا جسيمًا كبيرًا أقوياء إلا أنهم لبُعْدهم من الله ومخالفتهم لأمر الله صاروا كأنهم أشباح يتراءى عظيمًا فإذا تقربتم إليهم وجدتموهم كأن لم يكونوا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] إشعار بأن حق المؤمن أن يتوكل على الله في جميع أحواله وتمام أعماله.

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 15] إشارة إلى أن السالك كما أنه لكونه ممكنًا منقلَب الأحوال في الظاهر كذلك هو منقلب الأحوال في الباطن فإذا غلبت المقتضيات الإمكانية عليه انقلبت نظرة من مشاهدة الواجب الوجود وتجلياته إلى ملاحظة الإمكان وظلماته وذلك إما لتفكره عن صحبة المرشد الكامل المكمل قبل الاستكمال أو لترك الورد والأوراد ووظائف الطاعات والعبادات أو لاختلاطه بأهل الدنيا وميله إلى تبع أطوارهم وأفعالهم فحينئذٍ يحتجب عن مشاهدة ذاته وصفاته وتجليات ذاته وأسماء صفاته ورسل تجلياته الذاتية والصفاتية فإن كان يخفى من حيث إنه يتضمن علمًا وإدراكًا وشهودًا

واستدراكًا إلا أنه أقل العلم بتجلية والعلم بالعلم بالتجلي وهكذا تتضاعف الإدراكات والعلوم إلى غير نهاية، وهذه العلوم والإدراكات تظهر لك أولًا في بداية كل دورة على سبيل الإجمال ثم تتفصل سائر الأدوار، فهي تخبر عما تقدم فيكون رسولًا مبيِّنًا عَمَّا جرى في الأدوار، فبين المشهود الإجمالي والتفصيلي لا تحصل لذلكَ في هذا البين شهود التجليات والعلم بهذا الذي هو الرسول، فإذا وصلَ إلى مقام التفصيل وحصل مرام الفضل والتفصيل يرى التجليات وتتابع الرسل والبينات تفصيلًا لما وقع في الأزل وتحصيلًا لما رفِعَ إلى الأول، وإنما تتابع التجليات إنما كما هو في صدر التفصيل وفاءً لما عهد في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172].

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ وتجلي جمالي وشهودي وجودي ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ أي تجلي جلالي وشهود عدمي بأن هذا الشهودَ ما كانَ ظاهرًا في الأول بل كانَ خفيًّا إجماليًّا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ إما على سبيل التبادل كما في الأدوار الإفرادية أو على سبيل المعية والجمعية في السير في الثاني في الله كما كان الأول في السير من الله وإلى الله ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ظاهر على الأعيان النورية وخفي من الأكوان العدمية الظلية ﴿قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 19] على إيجادها في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية وإذ قالَ موسى: يعني بأطوار الحقيقة المحمدية وحصصها الجمعية.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ يعني وأطوار الحقيقة المحمدية وحصصها الأصلية والفرعية ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ وقتَ قولِ موسى الطور الخفي في الحضرة العلمية التي هي بذاته الدورة العظمى لقومه والمخصوص به ويدعو به.

﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ﴾ في الدورة الثانية والثالثة والرابعة التورية الجمالية والوجودية وكذا في الكورة الظلية الجلالية العدمية ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ التي خصصكم بها في ذاته بالدورة الأولى ثم نزلت إلى سائر الأدوار متطابقة متطالبة ما في الدورة الثانية ظلال لما في الدورة الأولى وما في الأخيرة ظلًّا لما تقدم وإذا بلغت النهاية تطابقت في مظهر كامل جامع للكلّ فحينئذ عادت ورجعت وتطابقت تطابقًا ثانيًا حتى بلغت النهاية، لما تقرر من أن الأطوارَ الوجودية دورية وسيرها كوري ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ أخبروا وأنبؤوا عن أحوالهم السابقة وأعمالكم الفائقة وجعلكم ملوكًا بالكليّة للأمور الظاهرة والخفية وهو الولاية إذ

النبوة لا تكون إلا لولاية فإن الولاية في الأنبياء مبدأ النبوة وفي الأولياء الأمر بالعكس وكذا ارتقت الولاية واختفت إلى أن تعاد لنا وظهرت وحدة العدالة الحقيقية في كل شيء، وتابعه سر ظهور الحق في الخلق في زمان المظهر المعهود وهو الهادي والمهدي، عمم الله فيصير هذا لله وإياكم من النعم الظاهرة والباطنة ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 20] من الأطوار الباقية لا قبلكم ولا بعدكم أما قبلكم فظاهر لأنه ما كانت أحكام النبوة بمثل ما شاعت في زمان موسى وأما بعدكم فإن النبوة والولاية وإن كانتا خفيتين بالنسبة إلى ما بعده إلا أن تلك الخصوصية التي كانت في زمن موسى ما كانت في زمن ما بعدها.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟﴾ أي الأعيان النورية الوجودية والنورية الإفرادية ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ الاستعدادية للكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ عن طريان التغير والتبدل ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في سابق علمه في بداية الدورة النورية وقدراتكم سيقطعونَ فيافي الأدوار الإفرادية ويصلون إلى بيت الجمعية والهيئة الكلية التي هي في غاية الدورات ونهاية الكورات ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: 21] رجع القهقرى إلى ما كنتم عليه فما الدورات الإفرادية إلّا إشارة إلى الردة والسقطة التي تقع في سر بعض السالكين طبيعيًّا أو وضعيًّا، أما الطبيعي فهي كما يشاهد في سقوط الأحبة في الإنسان بل في سائر الحيوانات بل في النباتات كانتشار الأزهار واستنارة الورد والأنوار في الأكمام إذ الغرض من حركات السماوات المعنوية والصورية التي الأدوار والأكوار عبارتان عن كمية هذه الحركات ومقدارها كما أن الزمان عبارة عن مقدار حركة فلك الأطلس هو ترتيب الأعيان النورية والأكوان الظلية إلى أن ينتهي إلى كماله اللائق وهو الوصول إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي والمراد مِنَ الجبابرة هي مقتضيات الأدوار الإفرادية وهي المولودات الإنسية فإنها في الدورة النورية الوجودية، وكذا ينافي الجمعية الإفرادية يمنع الوصول إلى الكمال الجمعي، وأما المولودات الجنية فهو تنافي مقتضيات الأدوار النورية وكذا تنافي الجمعية ويمنعها، فإطلاق أعيان الجبابرة عليها أنسب من مرتضيات الأكوار الظلية الجلالية العدمية، وهي المولودات الخبيثة والأهرمينات والأغوال والأبالسة التي تظهر من فردانية الجلالِ في الأدوار ضمنًا وفي الأكوار صريحًا بتكون كل واحد من هذه المولودات في دورة من الأدوار النورية الجمالية الوجودية فالأهرمينات

الكبرى تتكون في الدورة العظمى النورية في تلون أعيانها لأنهما توأمان كالجمال والجلال فإنهما توأمان يظهران معًا، فإن كانت الفردانية النور والجمال كان الظل والجلال ضمنًا وخفيًّا، وإن كان الأمر بالعكس يكون الحال بالعكس، فما دامت المولودات الإنسية والجنية والأهرمانية متخالفين يمنعان وينافيان الجمعية الكمالية والكمالية الجمعية ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 21] لبعدهم من موطن كعبة المقام الجمعي.

﴿قَالُواْ﴾ أعيان الدورة الجمالية الوجودية من حيث إنهما تباين الأكوان الجلالية العدمية ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ إشعار بأن الكمالَ الجمعي والصورة الكمالية الجمعية محيطة بجميع الأعيان والأكوان الإفرادية والجمعية وإنها داخلة في كل حين وكون لأنهما من حيث أنهما خصلتان من الوجود المطلق والذات البحت الذي هو منبع الكمالات الذاتية والأسمائية ومرتع الحالات ومرفع الأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات والمشاهدات ينطويان على الكمال الجمعي والصورة الجمعية ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: 22] أي إن أُخرِجوا من مقتضيات ذواتهم الإفرادية التي هي التباين والتخالف ودخلوا في حيطة الأعيان النورية ورافقتها وظهرت العدالة والاعتدال بينهما فإنا في هذه الحالة داخلون في بيت المقدس الكمال الجمعي بل كعبة الصورة الجمعية التي كانت خفية في كل عين وكون في كل زمان ومكان وأين.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ أي القوة النظرية والعملية وشخصان كاملان قد استكملا في أدوارهما وهما خضر وإلياس وهما صاحبا الدورة النورية والظلية الجمالية والجلالية ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ حالكم مستقبلين إليهم متوجهين من جميع الوجوه لديهم فإذا دخلتموهم حالَ مطاوعتهم لكم ودخولهم تحت حكمكم ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ لإطاعة سلطان الجلال والظل لسلطان لديهم، الجمال والنور واستئناس المولود الجني للمولود الإنسي وإطاعته له ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ في جميع الأعمال وتمام الأحوال في الظاهر والباطن ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ﴾ يا موسى ﴿أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ أي مع ربك إلى مقاتلتهم ومحاربتهم ﴿فَقَٰتِلَآ﴾ معهم ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾

﴿قَالَ﴾ موسى اعتذارًا من الله حسن أمره بمقاتلة الجبابرة ﴿رَبِّ﴾ وعدم إطاعة قومه ﴿إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ [المائدة: 25] هارون منصوب المحل عطفًا على نفسي أو على ضمير إني أو مرفوع عطف على محل إني لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك لا يملك إلا نفسه أو المراد من أخي هم المؤمنون القليلون ومنهم الرجلان المذكوران وهو من باب ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]، ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 25] بما يستحق أو بالتبعد والتخليص عن مضاجعتهم ومجالستهم لأنهم قوم جاهلون بالصلاح والسداد وكيفية الإصلاح والوداد.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي البيت والأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ أي يُمنع دخولهم فيها ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾ فإن الله تبارك وتعالى لما خالفوا أمره نهرهم وحرم عليهم سعادةَ ذلك الفتح وأفناهم وجعلَ هذه السعادةَ نصيبَ أولادهم وخلاق أحفادهم لخلوهم عن آثار النفاق ومملوءة بكمال الوداد وتمام الوفاق وفي اختيار هذا العدد إشعار بأن سعادة موسى ومساعدة أخيه هارون إنما هي منوطة بهذا العدد وخاصة ولذا جعلَ ميقات ربه هذا العدد وخمر طينة آدم أربعين صباحًا قالَ النبي ﷺ: «**من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» أو لأنه يتضمن كمالَ رتبة العشرات وهي المائة إذ فيه

ثلاثون وعشرون وعشرة فالمجموع ستون فإذا ضم الأربعين صار المجموع، كما أن أصل عقوده هو أربعة أيضًا يتضمن كمالَ رتبته وهو العشرة إذ فيه ثلاثة واثنان واحد فالمجموع عشرة ولذا اختص بكمال الخاصية إذ خصائص بسائطه قد اجتمعت فيه ﴿يَتِيهُونَ﴾ ويتحيرونَ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26] المخصوصة وهي التيه التي هي ستة فراسخ فإنهم قد ترددوا وتحركوا في هذه الأرض أربعين فإنهم في كل يوم كانوا يتحركون ويبتدئون الشهر منها وفي آخر يوم قد وجدوا أنفسهم في هذه الأرض، هكذا كانت حالهم في هذه الأيام إلى أن هلك كبارهم وملك الأمور صغارهم. فلما انقضت المدة وانقرضت كبارهم توجهت أولادهم وصغارهم وأحفادهم إلى محاربة الجبابرة، وكانت الغمام عليهم تظلهم من حر الشمس، وتطلع عليهم نور باللّيل يضيء لهم، ونزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم في هذه الأيام، وإذا ولد لهم ولد كان عليه ثوب كافة من يطول بطوله إلى أن انقضت هذه المدة قيلَ ما كان موسى وهارونَ معهم وكانا في الحكم والاستحقاق متفرقين عنهم لأنهما في الحقيقة كآثار وحسن لهم وسلام وسلامة عليهم كالنار لإبراهيم ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69] روي أن هارون ماتَ في التيه وماتَ موسى بعده بسنة، ودخل يوشع أريحا بعدَ موته بثلاثة أشهر، وماتت النقباء في التيه بقية إلّا كالب ويوشع، هذا ما في «الكشاف» قال القاضي في تفسيره: روي أن موسى عليه السلام سار بعده بما بقي من بني إسرائيل ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض، هذا حق وأحق بالقبول وأوفق للتلقي بالوصول ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 26] ولا تندم ولا تتحسر على اندراس آثارهم.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ أبناء بني آدم قابيل وهابيل أوحى الله لآدم أن تزوج كلًّا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل حسنة من توأمة هابيلَ واسمها إقليميا فحسد عليها أخوه وغيظ فقال له آدم: قدّما قربانًا فمن تقبل قربانه تقرب قربانها وتزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت من السماء نار فأكلته فغيظ قابيل

حسدًا وسخطًا يتوعده بالقتل ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ تلاوته متلبسة بالحق والصحة والصدق والقربان كل ما يتقرب به إلى الله من نسكة أو صدقة ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ أعني هابيل ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ وهو قابيل وقام قابيل بالمقاتلة ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ﴾ في جوابه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ﴾ الطاعة والصدقة والقربة ﴿مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27] من رعونة النفس ومخالفتها.

إشارة وتأويل

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ﴾ إشارة إلى أن بين مقتضيات الأدوار النورية الوجودية وبين مرتضيات الأكوار الظلية الجلالية العدمية فإنما كور النفي إشعارًا بأن المخالفة والمباينة إنما هي من الجانبين وإنما أسند الدخولَ إلى الأعيان النورية الجمالية لأن فرداريّتها صريحة وفردانية الجلال الظلية ضمنية، فما دام بينهما مباينة ومخالفة لا يمكن أن تدخل الأعيان النورية الجمالية في الأرض الجمعية بدون موافقة بالأكوان الظلية الجلالية بها إذ الجمعية إنما تحصل باجتماعهما معًا باعتبار واحد وحقيقة واحدة.

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ﴾ يا طور موسى الروح بخصوصك ﴿وَرَبُّكَ﴾ أي الحقيقة المحمدية التي هي سارية في تمام الأعيان النورية صريحًا والأكوان الظلية الجلالية ضمنًا بدون الأمم المنسوبة إليهما ﴿فَقَٰتِلَآ﴾ أي فخالف إياها شيئًا أي في المرتبة الواحدية والأمر والملكوت أو في المرتبة الإمكانية ﴿قَٰعِدُونَ﴾ ثابتون على الإمكانية والفقر الذاتي والفاقة الأصلية ويحتمل أن يكون المراد من ﴿أَنتَ﴾ القوة القابلية والمادة الإمكانية ﴿رَبُّكَ﴾ [المائدة: 24] القوة الفاعلية التي هي في التحقيق عن القابلية كما تقرر منه أن كمالَ الفاصل بعينها هي تمام القابلية إذ القابل الأمور الوجودية وفاعلها ومظهرها ليس إلا مطلق الوجود وكذا القابل للأمور المقدسية التي هي دفع تلك الأمور الوجودية ونقيضها أيضًا متعلق الود إذ مطلق لعدم، فالعدم المطلق لا يتصور إلا بعد ملاحظة والوجود المطلق ولا يتصور الوجود المطلق والمطلق الوجود إلا بالمقايسة بالوجود المقيد وإلا امتنع تصوره إذ العقل لا يتصور إلا ما حضر عنده وإحاطة به والمحاط لا يكون محاطة إلا بمناسبة تكوينهما والعقل في ذاته مقيد فلا بدّ وأن يكون المحاط أيضًا مقيدًا، فالمعقول ليس مطلق الوجود

بل الوجود المحاط المناسب للعقل وإن لم يكن المناسبة والإحاطة معقولةً لكونها ذريعة التعقل وآلتها الذريعة والآلة لا يتصور عند التعقل كالمرآة فإنها آلة المشاهدة وهي غير مشاهدة، وكل وجود وكون مقيدًا كان أو مطلقًا له عند العقل والاعتبار مقابل ودفع ونقيض مجامِع له ضمنًا كمطلق الوجود، والمطلق الوجود والذاتي البحت وواجب الوجود فإن مفهوم كل منها مجامع الوجود والعدم والثبوت والنفي والإيجاب والسلب ساريًا له في الجامعية في أفراده وما صدقاته وآحاده في الوجود والعدم لذا فإنه لا يتصوران ولا يعللان كما يستقر به لفظ مطلق الوجود والوجود المطلق وأخواتها وكذا في أفراده لأن مفهوم الكليات معتبر في الجزئيات، فكل وجود منطوٍ على عدم، وكذا كل عدم محتو على وجود انطواءَ الجمال على الجلال وبالعكس، فإذن ليس مفهوم أصلًا وجودي ولا عدمي، لا ثبوتي ولا سلبي، وفيه جمعية ضمنية ومعية فرعية وذلك كالفاعلية والقابلية والظاهر والباطن، فإن كلًا منها يتضمن الآخر، فإذن لا يتصور وجود إلا معه عدم ضمني، وكذا العدم فالوجود والعدم توأمان كالجمال والجلال والظاهر والباطن لا ينبذن إلا معًا في الأعيان الوجودية الجمالية والأواني الظلية الجلالية لا يبينان الأبالسة القابلية والقوة الفاعلية التي انطوى عليهما مطلق الوجود والوجود المطلق والذات البحت، وفي تقديم المطلق على الوجود إشارة إلى أن فردانية سلطنة العدم والجلال مقدم على فردانية سلطنة النور والجمال والوجود المطلق والذات البحت الأمر بالعكس والواجب الوجود يتضمن امتناع العدم إشارة إلى جمعيتهما فتأمل وتدبر.

﴿فَقَـٰتِلَآ﴾ إنا ههنا أي في المرتبة الإمكانية قاعدون ثابتون على الإمكانية وكمال الفقر والفاقة قالَ رب إني لا أملك إلا نفسي والتي من شأنها وفي نفسها هي الدابر والقلوب لا العابر والعقل وأخي أي الفقر الذاتي والخاصة الأصلي ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا﴾ [المائدة: 24] وعين لنا وبين لدينا ما يناسبنا ﴿وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 25] أي المولودات الجنية والمنسوبات الجلالية التي خرجت عن إطاعة المولود الإنسي النوري الجمالي الوجودي قال ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ أي الأرض الجامعة والمرتبة الجمعية أي الدخول في هذه المرتبة يمنع مدة أربعين سنة إذ كمال الجمعية إنما يحصل من هذا العدد كما عرفت. قالَ النبي ﷺ: «**من جاوز الأربعين ولم يأخذ العصا فقد عصى ولم يحصل له عصاء**» والدليل الدال

على الهداية إلى المرتبة الجمعية والهيئة الكلية الإحاطية فقد عصى وتجاوز عن المقصود الأصلي وشهود المعبود الحقيقي ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26] ويترددون في الأرض الإسكانية والعرض المكانية في النشأة الكنانية.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ ثنتيه أي ابنين لآدم أي صفة الكمال والجلال أو القوة أيضًا عليه والقابلية أو الفقه النظرية والعملية أو الشهوية والغضبية أو المولود الإنسي والجني ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ أي أظهر منهما في نفسهما ما يقربهما إلى الله وهو الفناء الذاتي فإن المولودَ الإنسيَ الذي هو مقتضيات النور والوجود والجمال لكون فردانيَّتِه صريحًا يكون توجهه إلى الله واقتداره في بناء نفسه وقربان حسه أتم وأكمل وأقدم، والمولود الجني لكونه ضمنيًّا تابعًا للمولود الإنسي أو مخالفًا له يكون اقتداره في إفناء المولود الإنسي نفسه وقربان حسه أضعف، ولذا صار قربان أقبلَ إلى الله ورفع في حيز القبول لكمال إخلاصه ووفور اختصاصه بعناية الله تعالى وحسن عاطفته لعلية نور جماله فيه واختفاء مرتضى الظل والجلال والعدم فيه، ولم يتقبل من الآخر لمخالفته أمر الله، فإن الله تعالى قدر أن يكونَ مرتضى الظل والجلال وهي المولود الجني في حكم المولود الإنسي، قالَ قابيل: مرتضى الجلال أي المولود الجني لهابيل مقتضى النور والجمال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ﴾ القربان ومنا يتقرب به العبد إلى الله ﴿مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27] الذين اتقوا اللَّهَ وحافظوا في نفوسهم على ما يتقربون به إلى الله وكمال جمعيته.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 28] قيلَ كانَ هابيل أقوى وأبطش من أخيه قابيل لكن امتنع وانصرف واندفع عن قتله خوفًا من لقاء غضب الله وشدة بطشه قال هابيل لأخيه قابيل: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ويحتمل ثني الاتساع عن المعارضة والمقاومة إنما أستسلم لكَ وسلمت نفسي إليك إرادة أن أحمل ﴿بِإِثْمِى﴾ ومعصيتي وذنبي إن بسطت إلي إنما يكون مثل ﴿وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: 29] على الاتساع كما تقول أكتب كتابة فلان

وقرأت قراءته وإنما آثرَ إثمه وقصد قتله أخاه لنسبه به فاجتمع فيه إثمان، فيكون آكد في العقاب وأشد في نزول البلايا والعذاب. قالَ النبي ﷺ: السبب أن فعل البادىء ما لم يعتد المظلوم على أن البادىء عليه إثم سيئه ومثل سبب صاحبه، وكذا قال النبي ﷺ جريًا لما هو الأفضل: «**كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل**»، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 29] يحتمل أن يكون المراد من هذا الإثم ما وردته القربان.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَطَوَّعَتْ﴾ ووسعت وسوغت ﴿لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ قيلَ قتل قابيل أخاه هابيل وهو ابن... في موضع المسجد الأعظم ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 30] ظاهرًا وباطنًا. روي أنه أول قتيل على وجه الأرض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء وهو ملوم محزون ومندوم لا يدري ما يصنع به فخاف عليه أيضًا فحمله في خرابٍ على ظهره سنة.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِىۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ ويحفر حفرة له أو الغراب قابيل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِۚ﴾ أي ما شاء عليه البدن أي الميت وهي الفضيحة ليتجه روي أنه لما قتله اسودّ جسده وكان قبل القتل أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلًا فقالَ بل قتلته ولذا أنت أسود. روي أن آدم مكث سنة لا يضحك وإنه رثاه بشعر وهو الوالد المحب وما الشعر إلا يتحول مكحول وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ﴿قَالَ﴾ هابيل: أحسن شاهد من الغراب ما شاهد ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ﴾ وأكتم ﴿سَوْءَةَ أَخِىۖ﴾ وفتح يديه الميت عطف على أن أكون وليسَ جواب الاستفهام أي لا أهدى بمثل ما أهدي الغراب من دفن الغراب الميت وتوريه في الأرض ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: 31].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ المعنى المذكور وسيئه ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وفرضنا وحكمنا ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ على الاقتصاص ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو الشرك أو قطع الطريق أو هدم أو غرق أو غير ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيث أنه هتك حرمة النفس ورفع حكم الله فشَاعَ هذا المعنى في جميع النفوس وذاع فيها فأجرأت النفوس كلها إلى هذا الفساد على وجه الإباحة، أو من حيث إنه سن القتل ورتبه واستحسنه في النفوس الخبيثة، أو من حيث إنما قتل الواحد والجميع سواء في توجه غضب الله واستجلابِ قهره واستجلاب وفور سخطه ومرور نعمته ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ بعكس ما ذكرنا ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ بعدما كتبنا عليهم من التشديدات ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ والآيات الواضحات تأكيدًا للأمر وتشديدًا عليهم بالصبر ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الأمر ووضوح الآيات ﴿فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: 32] خارجون عن حد الاعتدال في الأعمال والأحوال.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وأولياءه في تبليغ أحكامه وتسويغ أعلامه ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في الأرض يفسدون فسادًا أو مفسدين أو لأجل الفساد ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ في تأويل المصدر المرفوع خبرًا لأنما جزاء يعني جزاء المحاربين والمقاتلين بغير حق هو قتلهم فضاحة ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ [المائدة: 33] بعدَ القتل أي سلخ جلودهم ويضربون في الدار للإجزاء والإشهار أن قتلوا المسافرين

وأخذوا أموالهم ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ﴾ اليمنى ﴿وَأَرْجُلُهُم﴾ اليسرى ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي بالخلاف إذا كان الأخذ بلا قتل وبقطع الطريق ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ المسكون فيها من بلد أو قرية وجهة إلى بلدة أخرى وأرض وجهة أخرى يكون على مسافة القصر بأن لا يستقروا في مكان أن اقتصروا على الإخافة والترهيب قالَ أبو حنيفة: النفي الحبس، قالَ محمد: تصليب حي ويطعن حتى يموتَ أو يقطع بالخلاف إن أخذوا المالَ أو ينفوا من الأرض إذا لم يريدوا منه الإخافة، قالَ جماعة من العلماء أن الإمام مخير بين هذه الشؤونات من غير تفصيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور من العقوبات ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ وعذاب ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ استثناء من المعاقبين بقطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فللأولياء الأشياء، واعفوا وإن أرادوا واستعفوا ﴿تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ وإنما قيد التوراة بالغلبة والتقدم على الاقتدار وإلا على أنها بعد القدرة لا تسقط الحد وإن أسقطت العذاب وإن الآية تدل على اختصاص هذه الحكم بالمسلمين لأن المشرك لا تفيد توبته لا قبل القدرة ولا بعد القدرة بدليل قوله ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 34].

إشارة وتأويل

﴿لَئِن بَسَطتَ﴾ قابيلَ طورَ فردانية الجلال أي النفس الأمارة والقوة الغضبية أو القوة النظرية المتشبثة بأذيال الوهم وإسبال قوة الخيال العلمية ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ أي إلى هابيل النفس الملهمة أو القوة العلمية ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ إن اللّهَ تعالى رباها بنور جماله بخلاف هابيل الجلال فإنه يخالف أمر الله تعالى إلا ما شاء الله ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 28] من التخلف مما عينه لي وجعلني محمولًا عليه.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ﴾ [المائدة: 29] وبعدي واستبعادي الذي

يكون بإغوائك وعلى مخالفة حكم الله بإغرائك وإثمك في نفسك وهو التبعيد والبعد عن الحق وعن صورة جمال جمعيته الذاتية وأسمائه وصفاته الأولية والثانية الأفعالية والآثارية التي خلق آدم عليها كما قالَ الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [ص: 72، 74]، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ وأرباب جهنم والقطيعة، في الحميم والعذاب الأليم ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 29].

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ وفردانية طوره ونوبة تربية دوره ﴿قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 30] فأصبح من النادمين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ الظلم ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ والأعيان المنادي والقوة النورية في مقتضيات فردانية الأدوار ومرتضيات نوبة الأكوار ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ وأخفى مقتضى دوره وأتقى مرتضى طوره فإن القوة العاملة مثلًا شأنها إدراك المنافع والمضار فبطلت به النفس المنافع ويتوجه إليها ويهرب عن المضار وينفر عنها تنفرًا طوريًّا فإذا توغلت القوة العاقلة في إدراك الحقائق الإلٰهية والكونية ومشاهدتها وانصرفت عن العلم بمصالح النفس ومفاسدها فتعطلت النفس في العقل وسار وجرى هذا التفصيل صار في جميع القوى العاملة بل في القوة العاقلة أيضًا لأسماء الإدراكات والعلوم الحاصلة عن المبادىء الحسية والمنادات النفسية عن العاقلة فانتفى تدبير القلب في ملك البدن فكأنما هلك بالجميع ومات الحقير والجل والقليل والبعض والكلّ أو ﴿فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من القوى النفسانية سيما من القوة الواهمة التي تسري أحكامها وآثار أعلامها في تمام المدارك وعموم المسير والمسلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي في جميع القوى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ذلك لما علمت أن كل عين وشخصٍ وكون إنساني من حيث إنه غاية التنزلات ونهاية الكثرات منطو على تمام المراتب وما فيها من الأعيان الجوهرية النورية والحقائق الإلٰهية والكونية وما يتبعها من مقولات الإعراض فقتل عين وشخص واحد في الحقيقة من حيث إنه منطو على جميع أعيان التنزلات في الحقيقة إنما هو قتل الجميع وإحياؤها أي هو إحياء الجميع وإليه الإشارة بقوله الفقراء كنفس واحدة وبقوله ترى المؤمنين في توادهم وتلاطفهم وتراحمهم كمثل جسد واحد إذا اشتكى عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر

والحمى ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ وتجلياتنا بالبينات بالحدثات الإلٰهية والحفظات الربانية ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: 32] خارجون عن حد الاعتدال في تمام الأعمال والأقوال.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي يخالفونَ مقتضيات تجليات الله ومرتضيات حدثاته ومستدعيات خطباته في تطورات النشآت وتنوعات الشؤونات ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ ويترددونَ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية البعيدة وفساد في نفوسهم بغيرهم فإن السعي للقتل والإبطال الفعل وإجلال العلم والعمل فجزاؤهم ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ ويعمل بهم ما عملوا بغيرهم فإن الإفساد في الأطوار القلبية والأنوار الغيبية والأسرار الغيبية بحبس الأعمال وأنواع الأفعال وأخذ الأموال الحالية والنقود العلمية وجواهر المعارف الفطرية كما يفعل أفعال الأخلاق وأرباب تحسين الأوصاف فإنهم يقتلون جنس النفوس العاملة وقواها الظاهرة والباطنة من الحواس والقوة الشهوية والغضبية والقوة الواهمة والمتخيلة المتصرفة ويأخذون أموالهم سيما الإدراكات الجزئية البصرية والسمعية والوهمية والخيالية فإنهم في إدراك مطالبهم وتناول مقاصدهم قد قتلوا مبادىء هذه الأمور وأخذوا أموالهم وهي الإدراكات الحسية الوهمية والخيالية والحس المشترك وفعله وهو إدراك تمام المحسوسات الظاهرة والباطنة ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ أو ليشهروا لسوء حالهم لئلا يقتدى بهم ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ﴾ اكتسابهم العلوم الإلٰهية ﴿وَأَرْجُلُهُم﴾ اكتساب العلوم الكونية الطبيعية والرياضية والإلهية ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [المائدة: 33] بأن العلوم الطبيعية لو كانت من الطبيعيات والعنصريات لا بدّ أن تكون العلوم الرياضية من العلومات الفلكيات وإن كانت مكتسيات اليد من الإلٰهية لا بدّ أن يكون مكتسب الأرجل من الكونية وعلى هذا القياس.

وذلك لأن القوة العاقلة لما نفيت ومنعت من العلوم الإلٰهية والكونية لنفيت من الجميع لتضمنها الجميع والكل وذلك لأن المقصود بالذات هو شهود الذات بتمام الأسماء والصفات بحيث تتضمن جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية وما نزلت عليها من العلوم والإدراكات الحضورية والمعارف الشهودية إذ العلوم والإدراكات الإمكانية التي تكون بحصول الصورة وتمثلها عند المذكر المدرك التفكر إنما كانت للحجب النفسانية والحيوانية وكانت كلها في

الفطرة الأولى حضورية والعلوم والإدراكات كلها للنفس فطرية حاضرة عندها إلا أنها بواسطة توجهها إلى البدن للتدبر والتصرف فقد غفلت عن تلك العلوم والإدراكات الفطرية وقد أشرفت ثانية بسبب القوى والمظاهر بحصول الصورة فلما ارتفعت خصوصية النفس بآلاتها ومبادئها وقوتها وفنيت في نفسها في دأب الحق ثم بقيت ببقاءِ الحق عادة علومها وإدراكاتها حضورية ومعارفها وشهودية وهذه الحالات والمقامات وأمثالها لا تكون لأصحاب الأخلاق وأرباب تزكية النفس وتجلياتها إلا ما شاء الله كما سأل المنصور الحلاج عن إبراهيم الخوّاص: أين أنتَ؟ قال: في مقام التوكل قال: يا مسكين البطال فأين أنتَ من الفناء في الله والبقاء بالله والمظهرية والكلية والتحقيق بالذات بتمام الأسماء والصفات وغير ذلك من الأحوال والمقامات ذلك الأمر المذكور من النفي والانتقال من طور إلى طور ومن دور إلى دور ومن خلق إلى خلق.

﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ وهوان الوصال في الدنيا أي الطور القلبي الّذي هو معدن الأخلاق ومجمع القوة والعملية ومرتع مقتضى النور والجمال ومرتضى الظل والجلال ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي الطور السري والفؤادي الذي هو موطن التجلي الآثاري والطور الروحي الذي هو معطن التجلي العقلي والطور الخفي الذي هو مورد التجلي الصفاتي والطور الخفي وغيب الغيوب الّذي هو مجلى التجلي الذاتي ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33] أي تحسر عميم وندامة ونخرجهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ ورجعوا من النشأة الأولى إلى النشأة الأعلى ومن البلدة الإفرادية إلى البلدة الجمعية ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ قبل استحكام الهيئات الردية والحالات المردية إذ التوبة والآثارية والرجوع إلى الحالة التي كانت النفس عليها في بدايتها الدورة العظمى من التجرد والتفرد في غاية الصفوية الأيمن وفقه الله بالجذبة الكاملة الذاتية والخطفة الكلية الإلٰهية ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز عن سيئاتكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 34] لسائر الخلق حفظنا بالرحمة الامتنانية بأن يرتفع الحجب النّورانية والظلمانية والخدمة ويوصله إلى ما كانَ هو عليه في الفطرة الأولى والنشأة العليا بإمداد المرشد الكامل وإعداد المكمل الفاضل الموصل الواصل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] أي المرشد الكامل المكمل المقرب إلى الله وهو العلماء والفقراء أهل الله سبيل رسول الله ﷺ عن ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هي تقرب إلى الفقراء قبل ثواب الطاعات وأجر العبادات وترك المعاصي وترك المشقات وأنتَ خبير بأن الثوابَ الجزيل والأجر الجميل الذي هو التقرب إلى الله إنما يحصل إذا كانت الأعمالَ والطاعات مقربة بكمال الإخلاص ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 5] ومعيار الإخلاص ومعرفة ثواب العمل الخاص إنما يحصل ببركة صحبة العلماء بالله والعرفاء بسبيل الله وتكتمه والوصول بالخدمة ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 273] وأُحصروا في محاضر الأنس وحظائر القدس في ضمائر أهل الأنس وهم العارفون بالله وبأنواع تجلياته الذاتية وصنوفه الخمسة التي تكون بعنوان الذات أو الذات البحت أو المطلقة ومنه حيث إنها ذات أو بالذات القيد أو بعنوان الوصف الذاتي والصفات الأولى التي هي سبعة أو بعنوان الوصف الفعلي والآثاري بمقتضيات أطوار الأدوار الأربعة النورية الوجودية أو بمرتضيات الأكوار المربعة الظلية العدمية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية وتلبسه بترك المعاني المجردة وتلبسًا بالصورة الفعلية والدرر الروحية والغرر البرزخية والهيئات الجسمانية ونكتة ارتباط العلويات والمجردات بالشعشعانية والماديات ونكتة انضباط المعقولات بالمحسوسات البرزخية وظهورها وبخصائص بمثل المثل النورية والأشباح، والخيالية بنصائص الأعمال النفسية والأفعال الحسية وتلبيس المحسوسات وتصور البرزخيات، وغير ذلك ما يرتقي إلى معرفة الحالات وإحاطة المقامات بمعرفة الطاعات والعبادات وخلوصها من شوائب الكدرات وضوارب الظلمات إنما يتأتى بخصائص عالم البرزخ ونكتة ملتبسيها تصورها، فإن كانت صالحة خالصةً تتمثل بالصورة الحسية وإلا فبالصورة القبيحة والهيئات المهيبة كما أن الطاعة والعبادة إذا كانت مرائية ترى بصورة الحيات والثعبان والظلمات والنيران، وإن كانت خالصة لله تكون مخلصة إلى الله ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 88، 96]، فربما تكون الطاعة معصية والعبادة سيئةً في مقام وحال، وقالَ عليه السلام: «**حسنات الأبرار سيئات المقربين ورب تالي للقرآن والقرآن يلعنه**» ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35] جهادًا كبيرًا كثيرًا فإن جهادَ الكفار النفسانية دائم لدوام المخالفة بهم في بلد البدن.

قالَ النبي ﷺ: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**»، وقال أيضًا: «**رجعنا من الجهادِ الأصغر إلى الجهاد الأكبر**، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قالَ: **جهاد النفس والأبدان**». يكون الجهاد على قانون الحكمة الإلٰهية وهي هذه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] فحسن المجاهدة هو بقانون الحكمة الإلٰهية إن لم يبالغ في زجر النفس ورياضتها فإنَّ زجر النفس ورياضتها لا بدّ أن لا يفوتَ عنها وأن لا يضيعه بحقها. قالَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القَصَص: 77]. قالَ آدم الأولياء: لا تبالغوا في رياضة النفس حتى لا تعمى لعلكم تفلحونَ بالوصول إلى الله وحصول الزلفى والفوز إلى الكرامة والاستشراق بعلو المقامات ودنو الحالات ودنو الكرامات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كذبوا سبيل الوصول إلى درجات كرامتنا وجنات تجلياتِنا و﴿لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من صنوف الأموال وصنوف الأجناس والنقود ولو بما في حيز خبر إن ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ ويجعلونه فدية لأنفسهم ووقاية لمنادي إحساسهم ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إن الكافرينَ لو ثبت لهم جميع ما في الأرض ملكًا ومملوكًا وكانَ مثل هذا الملك مضمومًا معه وجعلوهما فداء وصدقة ليتخلصوا به من عذاب يوم القيامة ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ أي ما تقبل الله منهم ذلك الفداء ﴿وَلَهُمْ﴾ أي ثبت لهم ويتحقق لهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 36] في الآخرة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وعذاب الآخرة ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37].

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35] وهي الإنسان الكامل والفرد الجامع الفاضل الجامع الذي جمع أركان الفقر وهي الكشف الصحيح، والشهود الصريح، والحقائق الإلٰهية، والشقائق الكونية، والتحقق بهذه الأطوار السبعة القلبية أعني الطور القلبي والنفسي والقلبي والبرزخي والخفي والحقي وغيب الغيوب فمن استكمل هذه الأمور وتحقق بها في الأدوار النورية الجمالية والوجودية في الأكوار الظلية الجلالية فردًا وجمعًا أصلًا وفرعًا شخصًا ونوعًا أصالةً وتبعًا من أفراد الإنسان وهو الإمام القائم حجة الله بين الأنام والعالم قائم به دائم بدوامه.

قالَ النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة وفي الدنيا رجل يقول الله**»، وطلب ما لهذا الفرد الكامل واجب على كل واحد بل على كل الأشياء، يوم يدعو كل أناس بإمامهم «**من مات ولم يعرف إمامَ زمانه مات ميتةً جاهلية**» فمن أرادَ أن يتحقق بهذه الكلمات والحالات والمقامات فعليه تطلب هذا الإمام فإن له في كل زمان ظهورًا يوصلُ الخلائق قالَ النبي ﷺ: «**اصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فاستصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبته إلى الله**»، وقالَ أيضًا: «**من سره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف**»، وأيضًا: «**ارغبوا في دعاء أهل التصوف وأهل الجوع والعطش فإن اللَّهَ ينظر إليهم ويسرع في إجابتهم**». ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء: 57] يبتغون إلى رتبهم الوسيلة ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ بسيوف الأطوار السبعة المذكورة وحسام إدراك الحقائق المزبورة وسنان شهوده والتحقق بسهام صحة الكشف ورماح قوة المعاينة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 35] شهود التجليات الإلٰهية والمشاهدات الغير المتناهية وبالفناء في الله والبقاء بالله والتحقق بالذات بجميع الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية الإفرادية والجمعية

في الأدوار الإلهية والأكوار الغير المتناهية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بآيات ظهور التجليات وبينات شهود المشاهدات وبالحالات وبعلو المقامات وستور المكاشفات ودنو صنوف المعاينات والدنو بوسائل الوصول إلى مشاهدة أنواع التجليات وبرسائل حصول تلك الكرامات لو كان وثبت ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية والفرص الإمكانية من الجواهر النورية والفواخر العقلية واللوازم المعنوية من الأموال العلمية والأحوال العملية ليفتدوا بها في الأدوار الربانية والأزهار الصمدانية والأكوار الكونية ويجعلونها وقاية وحياة، وحسابه ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الكبرى والمحشر العظمى والشفاعة الكبرى ما يفعل منهم لا في أدوار الفردانية الوجودية الجمالية ولا في أكوار فردانية فردانية النورية الظلية العدمية الجلالية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 36] في محشر الأدوار الوجودية الجمالية في العنايات الظلية العدمية الجلالية عند انتقال الفردانية من الجمال الصريح إلى الجلال الجني الصبي ﴿يُرِيدُونَ﴾ أي الأعيان النورية الوجودية ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ عند انتقال التدبر من الجمال إلى الجلال ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي إلى التحسر وبوار الندامة والتحسر ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ لعدم زوال الهيئات الردية والملكية الدّنية المردية فيدوم العذاب بدوامها ويقوم العقاب بلوازمها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37] وعقاب عظيم إلى أن تزول تلك الهيئات الدنية والرذائل المردية ويتحول تلك الهوائل والقواسر والعوائل، ويتحول العذاب إلى العذاب والبعد إلى القرب، ويتبدل الجمال والنور إلى الجلال والظل وبالعكس.

تفسير

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي قد فرض عليكم حكمها مبتدأ ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ﴾ خبره بتأويل مقول في حقها اقطعوا، والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط أي الذي سرق والتي سرقت جزاؤهما قطع ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38] من الكوع إن سرق من الحرز قدر نصاب وهو ربع دينار عند الشافعي ومالك وعشرة دراهم أو المساوي لهما عند أبي حنيفة، قرئا بالنصب وهو المختار على شريطة

التفسير لأن الإنشاء لا يقع خبرًا إلا بالتأويل كما علمت ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ بأيديهما فاستحقا قطعهما ﴿نَكَٰلًا﴾ ووبالًا لهما نصبه على المفعولية أو العلية أو على المصدرية حال كونه ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38] قاهر غالب حاكم على من يخالف الشرع، أو خبير بما يستحق قطع اليد.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾

﴿فَمَن تَابَ﴾ من السُّرَّاق عن السرقة ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ ارتكاب ﴿ظُلۡمِهِۦ﴾ [المائدة: 39] واكتساب سرقته ومخالفة حكمه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ أمره بالتقضي عن التبعات والعزم على أن لا يعود إليها، ويستمر عزمه إلى أن يظهر آثاره من الصّلاح في أحواله والنجاح في أفعاله وأعماله والفلاح في أقواله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ ويقبل توبته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ بقبول التوبة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 39] بالتجاوز عن سيئاته.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠﴾

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وما بينهما وفيهما من الملائكة والإنس والجن يتصرف فيه كيف يشاء في الدنيا والآخرة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ بيان لما أهملَ وتبيان لما أجمل ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 40] قدم العذاب بناء على ما سبق من أن السرقة المتقدمة على التوبة هي المستحقة للعذاب أو لأن ما استحق العبد به من العذاب بسبب فعله أسبق أو المراد القطع وهو مقدم لكونه في الدنيا.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ ويعودون إليه سريعًا ويظهرونه عند الفرصة يقال أسرع فيه الفساد وإذا وقع فيه سريعًا ﴿مِّنَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ والمجرور متعلق بقالوا وآمنا مقول القول والواو يحتمل الحالَ والعطف ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي مالوا إلى اليهودية أو صاروا يهوديًّا وهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ والمجرور خبره مقدم عليه أي سماعون للكذب هم قوم من اليهود أو منهم ومن الذين قالوا، واللام إما مزيدة للتأكيد أو التضمين لسماع معنى القول، أي قائلون لما يفتريه من الأخبار وشغلوا به عن الكذب على الله وتحريف كتابه، أو للعلة والمفعول محذوف، أي سماعون كلامك ويكذبونَ عليك فيه ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ من اليهود والغائبين من مجلسك ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ لعدم اقتدارهم على النظر إليكَ وخطابك لهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ ويُغيِّرونه ويميلونه ويزيلونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله فيها تحريفًا لفظيًّا أو معنويًّا كمل الكلام على غير المراد وصرفه إلى مرادهم ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ المحرف المزال عن موضعه ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقتلوه طبعًا أو طوعًا ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد بخلافه ﴿فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: 41] ولم يقتلوا فإياكم وإياه فهو الباطل والضلال والعاطل والكلال.

روي أن شريفًا وشريفة قد زَنَيا من خيبر وهما محصنان فلم يرجموهما لشرفيتهما فبعثوا من بني قريظة ليسألوا محمدًا عن ذلكَ وقالوا: إن أمركم محمد بالجلد فاقتلوه وإن أمركم بالرجم فلا تقتلوه. فأمرهم عليه السلام بالرجم فما قتلوه فقال جبرئيل: جعلنا طائفة بينك وبينهم ابن صوريا حكمًا فقالَ النبي ﷺ: هل يعرفون شابًّا أمردًا أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا فقالوا: نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكمًا فقال عليه السلام: «**أنشدك الله الذي لا إله إلا هو، فلق البحر بموسى ورفع فوقكم الطور، وأغرق فرعون، وأنزل كتابه عليكم وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على مَن أحصن؟**» فقال: نعم فوثب عليه اليهود فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سألَ الرسول عليه السلام

عن أشياء كان يتعرفها من إعلامه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشّر به المرسلون. فأمر رسولُ الله ﷺ برجمهما في باب المسجد.

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ ضلالته وخذلانه وفضيحته ﴿فَلَن تَمْلِكَ﴾ ولا تقدر أن تجلبَ ﴿لَهُۥ﴾ ﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ من اللطف والتوفيق ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الزيغ والنفاق وكثرة الخلاف والشقاق ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهوانٌ بالقتل والسبي وضرب الجزية عليهم ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 41].

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ هو في الأصل الهلاك وفي العرف هو المال الذي يؤخذ على الحكم الباطل وكانوا يأخذونَ الرشى على الأحكام الباطلة وإخفاء الحق وتحليل الحرام ويأكلون الرشوة ويستمعون الكذب ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ على وفق دينك ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ والظاهر أن الله تعالى خيّر النبي بين الحكم والإعراض والحق أن الحكم إن كانَ مطابقًا للدين ترافعوا أو أحدهما تحتَ الحكم مطلقًا كما ذهب إليه أبو حنيفة رضي الله عنه، إذ لو أعرض عنهم وإلى الحكومة لهم شق عليهم قيلَ لو ترافع الكتابيان أو تحاكما إلى القاضي يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ في الحكومة ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ من المعاداة والمحاربة ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ تعجب من تحكيمهم من لا يؤمن والحال أن الحكمَ منصوص عليه في الكتاب الذي هو ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ والجملة ظرفية

حال من التوراة إذا كانت فاعلة للظرف وإذا كانت مبتدأً عن ضميرها المستكن في الظرف الذي خبره وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع، وإنما طلبوا ما هو أهون عليهم وإن لم يحكم حكم الله في زعمهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ أو يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَالِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المحكمون ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 43] بكتابك لإعراضهم أولًا وعما يوافقه ثانيًا أو بك.

إشارة وتأويل

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ أي الوهم والقوة المتخيلة والنفس العاملة إذا خرجا عن إطاعة القلب والروح والعقل ودخلا في حرز خزائن عالم الفعل والمفعول، وفي حرز عالم الحسّ والمحسوسات المحضة، فإن شياطينَ الأوهام يعرجون إلى سماء المجردات وفلك المعقولات، ويسرقون ما يدركون ويستمعون ثم يتصرف أبالسة القوة الخيالية فيه ويضم به ما أدركته منه المحسوسات، وبعدَ الترتيب يحكم عليه حكم العقل كما إذا أحضرت مع الميت في بيت واحد يحكم العقل الصريح بأن هذا الميت في حكم الجماد وما كان في حكم الجماد لا يخاف منه فهذا الميت لا يخاف منه، فالوهم في هذا الحكم تابع للعقل، فإذا تفرد عن الفعل وأعرض عنه واستقل في الحكم بأن هذا الجسم قد زال عنه الحياة وكل جسم زال عنه الحياة يجب أن يحترز عنه لئلا يتعدى عنه أثر الموت إلى منه تجاوزه فحينئذٍ يغلب عليه الوهم، وربما يبلغ إلى حدّ الهلاك وربما يستخدم المتخيلة فتسابقا في رأيها فتؤيدها في هذا الحكم، وأنتَ خبير بأن الوهم والمتخيلة في حكمها كاذبان كذبًا صريحًا وكثيرًا ما لا يتفطن الشخص بهذا الكذب سيما إذا كانت في ثبت حال في اللّيل المظلم، وهذا الشخص وإن كانَ أعقلَ زمانه فإنه لا يمكن في نفسه ولا يستقل في حكم عقله وجريان تملك نفسه ولا يضطرب، فانظر أيها العاقل في تصرف الوهم والخيال وعموم تصرفهما في الظاهر والباطنِ، وأما العقل فلا يصرف له في الظاهر بدون الآلة ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38] وتصرفهما وقدرتهما على التصرف، فكما لم يعينه لهما سلطان القلب ولم يبينه وزير العقل فتصرف الوهم والخيال في ملك القلب

والروح والعقل بدون إذنهم ورخصتهم غضب محض وشرف صرف.

واعلم أن اللّهَ تبارك وتعالى خصص العقل الصريحَ لإدراك المعاني الصرفة ولإدراك الكليات والإلهيات المجردة والوهم لإدراك المعاني الجزئية في ضمن الجزئيات المحسوسات والمتخيلة لإدراك المعاني الصرفة ولإدراك الكليات المصورة ولإدراك اللطيفة والمثل النورية، ولتركها لما يدرك إنسانًا ذا عشرة رؤوس وأيدي أربعة وأرجل مربعة، ولإدراك المعاني البرزخية التي هي حقيقة الأفعال الإنسانية والأعمال النفسانية والأحوال الجنائية والحالات الروحانية، ولإدراك المناسبة بين تلك المعاني وبين هذه الأفعال والأحوال والصور التي تتركب وتتجسد بالجسد المثالي، وشكلها بأشكال مناسبة وأمثال متقاربة عند ركود العمال البدنية والمبادىء النفسانية عن محلها ورجوع النفس مع الواهمة والمتخيلة المتصرفة التي هي تتركب بين المعاني الصرفية والكلية والجزئية وبين المعاني والصور إلى عالم البرزخ المعادي ويحيط على المعاني القائمة بهذا البرزخ بأمر الواهمة والمتخيلة والمتصرفة ليتصرف في المعاني البرزخية ويدرك المناسبة بينها وبين الأفعال والأعمال والأقوال والأحوال وبين الصور التي تصور تلك المعاني والأفعال الإنسانية بها في عالم البرزخ يشاهدها وينزلها إلى الحس المشترك فيشاهدها مشاهدةً حسية ثم ينزلها إلى حضرة الخيال الذي هو جزئية الحس بها في عالم البرزخ يشاهدها وسينزلها إلى الحس المشترك فيحفظها إلى أن ينتبه النائم فحينئذٍ يتذكر بما يشاهدها فيذكرها عند الغير فغيرها بما يناسبها.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ وتصرف على الإطلاق نكالًا وهوانًا وخذلانًا من الله للسارقين والسارقات ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ قوي غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38] بعلم الأشياء على ما هي عليه ويفعله ويعقله على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، فمن تاب ورجع من الأطوار السبعة القلبية وقواها ومبادئها عما يخالف حكم الله وحسن تدبيره من بعد ظلمه وجوره وتعد تعديته وتجاوزه عن مقتضى طوره، وأصلح تصرفه وعمله ودخل تحت سلطنة القلب فإن الله يتوب عليه ويرجع لديه ويعود إليه، إن الله غفور ستار على العيوب، متجاوز عن السيئات، رحيم بالإفاضة عليه من التجليات الإلٰهية والشهودات الربانية.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وفلك التجليات وسماء المشاهدات

والأرض الإمكانية ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية ويعذب من يشاء بإزالة مألوفاته في أحكام تصرفاته وأعلى تصريفاته، ويغفر لمن يشاء ويزيد سطوات تجلياته وتطورات جذباته وتنوعات حفظات ذاته بمقتضى أسمائه وصفاته ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 40] من المذكورات وغيرها تدبير قادر ومقتدر في الغاية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ والتجلي الذاتي الساري في تمام الأطوار في جميع الأدوار وجميع الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿لَا يَحْزُنكَ﴾ ولا ينقبضك من التصرفات في الأطوار على ما تقتضيه الأدوار والأكوار ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ على ما تقتضيه النشآت وترتضيه الدورة والكورة والشؤونات على ما تقتضيه بغلبة حكم الإمكان وسلطنة الزمان والمكان ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إلى القوة النظرية المتشبثة بأذيال الوهم والخيال السراق ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ على مقتضى أصل فطرتهم ومرتضى حك طبيعتهم، وهي الوجه الجمعي والإمكان والوجوب المعي يدرك الإلهيات وحقائق الممكنات ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي النفوس اللّوامة إلى تارة يهودي وتمثل إلى عالم الطبيعة اليهودية وإلى الأمارة أخرى وهم بهذا الاعتبار ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي تقتضيه النفس الأمارة وتارة أخرى تعود إلى عالمها الأصلي وهم بهذا الاعتبار ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ وهم النفوس الملهمة التي لم يأتوك ولم يصلوا إليكَ ما داموا على هذه الصفة والحالة لانتفاء المناسبة بينك وبينهم لعدم استقامتهم في أطوارهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ التي خلقهم اللَّهُ عليها وخصصهم بها في الفطرة الأولى وعاهدهم عليه في النشأة العليا عن مواضعه عن مقتضى جبلتهم الأصلية ومرتضى فطرتهم الأصلية الزلّية يقولون بلسان الحال وترجمان نوع من المقال.

قالَ النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**» إذا أتيتم هذا النوع من الكلام وهذا الطور من المرام فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا وأعرضوا وانصرفوا منه وذلك لأن من يرد الله فتنته وضلالته وشقاوته فلن تمكن له من الأشياء من التوفيق والسعادة والاجتهاد والسعاية والتحقيق والهداية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ في هذه النشأة في أدوار الجمال ﴿أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ عن آثار الغل وإدبار النفاق وآبار كثرة الخلاف وظلمة الشقاق ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي النشأة الحسية والشؤونات الإنسية ﴿خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى

﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [المائدة: 41] أي آخر اقتضاء فردانية فردانية نور سلطنة النور والجمال المتصل بالفردانية الأولى ودنياه لما علمتَ من الجمال والجلال والدنيا والآخرة توأمان، وجهة الدنياوي وهو النورية والجمال ظاهر، ووجهه الأخرى وهو الجلال الحسّي، فإن الجمال المدبر والكمال المعبر له وجه إلى الظاهر وإلى الأسماء والصفات الآثارية، ووجه إلى الباطن والذات وحكم فردانية تدبيره، وإنما يتم ويتكامل إذا استكمل ظاهرًا وباطنًا دالًّا ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: 41] وذلك العذاب يكملهم في الظاهر والباطن والصورة والمعنى فاستكمال الوجه الظاهر إنما يتم إذا زالت كدورات ظاهر البدن وتحلّت الصورة البدنية بالأحكام الشرعية وبظواهر النواميس الإلٰهية، واستكمال الوجه الباطن إنما يتم إذا دخل المولود الجلالي الجني يجب حكم المولود الجمالي الإنسي وأطاعه ودخلا معًا يجب سلطان الكمالي الجمعي القلبي والجمع الكمال السري الفؤادي فحينئذ استعدت عنده الدنيا والآخرة والجذب المعني بالصورة واستبدلت العقوبة والعذاب بالنعومة والعذاب والظلمة بالنور وكلاهما بكمال الشهود والحضور.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ أي النفوس القائمة بقواها الشهوية والغضبية قبل التزكية والتصفية القلبية التي تحصل بتعديل القوة النظرية والعملية ويؤدي إلى تبديل العلم والنظر الحصولي والفكر الحضوري الذي يكون نهاية بالفعل المستفاد والعقل بالفعل بالإدراك الحضوري والعلم الشهودي الذي يحصل عند نهاية السير إلى الله وبداية السير من الله فالنفوس العاملة قبلَ الاستكمال يستمعون منه القوة الواهمة الشيطانية الأحكام الباطلة والأقوال الكاذبة.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة: 42] أي أموال العلوم الفعلية التي أخذتها الواهمة لدى عرض الأحكام الباطلة على القوة العاقلة لتقويتها في العلوم الحقة وتصرفها عن مقتضى العقل الصريح إلى مرتضى عزيزتها وهي الضلالة والإضلال والجهالة فإن ضلالة العلماء وجهالة الحكماء وبطالة العرفاء الذين أعرضوا عن المقاصد التي أثبتها الوحي كحدوث العالم وقيام القيامة وظهور الساعة وأشراطها وعذاب القبر والميزان والحساب والكتاب وغير ذلك مما ورد به الوحي من لدن آدم إلى عهد خاتم [الأنبياء] وإلى زماننا هذا إنما نشأ من شيطان

القوة النظرية التي يتثبت بأذيال الوهم والخيال فعليكَ بالاعتصام بالعروة الوثقى وهي الروحية ومنطقة الدائرة العظمى الولاية، فإن تمسك بها فقد فاز فوزًا عظيمًا وأفلح في النشأتين فلاحًا عميمًا وفي الملوين صلاحًا كريمًا.

﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ يا حقيقة المحمدية نصارى الطور الروحي ويهود الطور السري لدى المناقشة من الطورين في عرض التجلي الآثاري والأفعالي فإن الطورَ السري يدعي أن التجلي الآثاري أتم وأدخل وأعم في الكمال والطور العقلي يدعى ويقول إن التجلي الفعلي أعلى وأقدم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بالتجلي الآثاري الظاهري بظهور الأجسام والأعراض والجواهر السفلية من حيث إنها نهاية لتعينات الجوهرية وينطوي على تمام المظاهر العلوية والسفلية، يتضمن هذا التجلي سائر التجليات يتضمن التعين الأخير سائر التعيناتِ، فإن تجلي واحد آثاري يتضمن باقي التجليات العالية، وكذا يتضمن الإدراك المتعلق بخصوصية كل منها، وكذا يتضمن الإدراك المخصوص المتعلق بالإدراك السابق وبنفسه، وهكذا يتضمن كل إدراك إدراكًا أخير إلى آخر لا آخر له ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لعدم استحقاقهم بهذا النوع من الجواب لأنهم ما بَلَغوا مبلغ الرجال الجامعين لتمام الأطوار السبعة ولوازمها وخصائص يعمها وخواصها فلا يفيد هذا الجواب ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ أي ترك الجوابَ المخصوصَ لا يستلزم ضررًا في الدنيا ولا في الآخرة.

فإن حكمت بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ حكمًا متلبسًا بالحق وبالقسط والعدل على ما يقتضيه محله وموضعه فإن السلاك والسائرينَ إلى الله ومن الله وفي الله تتفاوت أقدامهم، فإن منهم من اقتنع بظاهر التجلي وشهوده، ومنهم لا يقتنع بهذا القدر بل يخوض في أسراره وتدارك أنواره وتطورات شهوده على ما وقعَ في معاهد عقوده الأولية ومعاهد عهوده الأزلية، وليسَ بهذا الطور من المشاهدات غاية ولا نهاية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42] إن القسط والعدل الذي هو صورة الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية إنما هي غاية الغايات ونهاية النهايات يقصدها تمام الأعيان وعموم الأكوان وكيف يحكمونك في هذه النشأة الجامعة الأطوار السبعة القلبية ولأنواع التجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية والكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية وكانوا في النشأة السابقة والأدوار

والأكوار الفائقة، وكانت عندهم التوراة والتجليات الكاملة حاصلة فيها حكم الله وأمره بالتكوين وسائر الأحوال ثم من بعد العهد وتراكم الآراء وتزاحم الأهواء من المنع والرد والروع يتولّون ويعرضون ويستبعدون من الحق من بعد ذلك الانحراف في أطوار التجليات الكلامية ما حضروا تجليات الحق على التجلي الكلامي ولم يلتفتوا إلى سائر التجليات كما فعلوا أصحاب الحروف سيما من المتأخرين كالنصرآبادي عليه الرحمة ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 43] بالتجليات المطلقة لتناسبهم لها وغفلتهم عنها.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ وأحكام وموعظة وقصص يهدي الخلق بها إلى الحق ﴿وَنُورٌ﴾ بتنورته قلوب الخواص ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ بأنفسهم وانقادوا لأوامره ومضوا لسائر أحكامه ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ ومالوا إلى اليهودية متعلق بأنزلنا أو بيحكم ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ منسوبون إلى الرب والمنزلون في الجبال والكهوف والمعتزلونَ عن الخلق إلى عبادة الحق وطاعة الرب ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ جمع حبر وهو المتقين في العلوم الحقيقية والمعارف الرسمية ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ أي بسبب سؤالهم أنبياء زمانهم أو بسبب سؤال الأمم بأن ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ شهداء يحفظوا أحكام النبوة التي بينها الله لهم إذا وصلت إليهم وأثبتها في الكتاب ﴿وَكَانُواْ﴾ أي الأمم الواصل إليهم الكتاب ﴿عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أي على الكتاب شهدًا حاضرين على الكتاب رقبًا على المحافظة عليه من التحريف والتغيير والتبديل كما فعل ابن صورا وشهد ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ في حفظه ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في مخالفة أمري قالَ النبي ﷺ: «**اخشَ الله في الناس ولا تخش الناسَ في الله**» وقالَ أيضًا: «**من خاف اللَّهَ خوف الله عنه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله عن كل شيء**»، ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ ولا تستبدلوا بآياتِ اللَّهِ ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ اللَّهِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: 44] من السحت والرشوة وما في حكمه من الجاه

ورضاء الناس وتوقع الثناء وُقع الإيذاء وغيره وهي التي تقتضي البعد عن الإله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44] لإنكارهم آيات الله وجحدهم إياها وخروجهم عن طاعة الله وتمردهم عنها وإعراضهم عنها، فإن كانَ جاحدًا فهو كافر ومن لم يحكم بما أنزل اللّهُ فهو ظالم فاسق.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي فرضنا على بني إسرائيل وأوجبنا عليهم في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ القاتلة وقصاصها ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ أي تقتل النفس ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: 45] فيما تمكن فيه القصاص، وأما ما لا يمكن فيه القصاص لكبير عظم أو شق لحم كالمتلاحمة ونحوها فلا قصاص فيها لأنه يتعذر الإطلاع على نهايته وعلى كيفيته وأجزاء كميته ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من المستحقين ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقصاص بالعفو والصلح على الدنية ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ ممحاة للذنوب ستارة للعيوب فرج للكروب ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الكتاب الذي فيه أحكام من الجاحد والمتهاون ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: 45] الذين يجحدوا والإنكار والتهاون في غير موضعِهِ.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ واتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ وآثار أنوارهم ورسوم هدايتهم ورقوم أطوارهم مغاير أدوارهم ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ حال كونه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ والزبور ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ للعوام والخواص ﴿وَنُورٌ﴾ ينور بواطن أرباب القلوب وأصحاب الغيوب ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ وموافقًا ومطابقًا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى﴾ والزبور وكل ما فيه بداية ونور ونَوْرٌ ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46] الذين

حفظوا سرائرهم من الشَّكِ وضمائرهم من الشرك وسوء الظن والإفك منه إشعارًا بأن عيسى عليه السلام ليس يتقلد غيره من الأنبياء وبما في التوراة لكونه رسولًا نبيًّا صاحب الكتاب مبين للدين والشريعة قيلَ إن عيسى عليه السلام كانَ متقلدًا وكان متعديًا لما في التوراة من الأحكام لأن كتابه لم يجعل ليسَ فيه بل فيه قصص ومواعظ وزواخر وخرق عادات عيسى ومعجزاته وما فيه أحكام قليل وفيه ما فيه.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ من الحواريين والأنصار والأتباع والأحرار والأحبار وغيرهم ممن يصلح لاستنباطِ الأحكام من الكتاب ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ في الإنجيل وفي غيره من التوراة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في الإنجيل والتوراة ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 47] الخارجونَ عن أمر اللَّهِ ورسوله المبعوث وهو عيسى وحكمه دليل على أن ما في الإنجيل من الأحكام واجب الاتباع وأن اليهوديةَ منسوخة ببعثة عيسى وإنه في وضع الشرع وتأسيسه مستقل لا يحتاج إلى غيره.

إشارة وتأويل

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي التجلي الكلامي الذي ﴿فِيهَا هُدًى﴾ [المائدة: 44] لأهل الولاية الخافية عن أعين الناسِ بل عن بصائرهم نهايتين ويظهر أحكام النبوة الظاهرة بقوة الولاية السارية في علوم المظاهر وجمهور الظواهر الهادية لعموم الخلق إلى باب الحق.

قالَ آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: «أنا البعوضة التي ضرب الله بها مثلًا أنا الحجر الذي تفجر منه اثنتي عشرة عينًا»، وقالَ أيضًا: «أنا النور الذي اقتبس منه شيء فهدى» ﴿وَنُورٌ﴾ وحكمة يدرك بها حقائق الأشياء وخواصها ولوازمها وأحكامها وخصائصها على ما هي عليه في نفس الأمر والعمل بها على الطاقة البشرية وهي في الحقيقة نعم الولاية والنبوة التشريعية والتعريفية ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ أي الأطوار السبعة القلبية التي يستمد كل منها من قلب نبي وغيب وليّ ومن ملكوت كوكب من الكواكب السبعة السّيارة ومن غيب اسم من الأسماء السبعة

الذاتية فإن غيب الطور القلبي يستمد من قلب آدم من ملكوت القمر وجبروت الفعل الفعال الذي يدبر فلك القمر ومن غيب الكلام الذي هو نهاية الأسماء الذاتية، والطور النفسي يستمد من قلب نوح ومن ملكوت عطارد ومن غيب النصر، والطور القلبي يستمد من قلب إبراهيم الخليل عليه السلام ومن ملكوت الزهرة ومن غيب السمع، والطور السري يستمد من قلب موسى عليه السلام ومن ملكوت الشمس وغيّب الإرادة، والطور الروحي يستمد من قلب داوود عليه السلام ومن ملكوت المريخ ومن غيب القدرة، والطور الخفي يستمد من قلب عيسى روح الله ومن ملكوت المشتري وغيب الحياة، والطور الخفي وغيب الغيوب يستمد من قلب محمد عليه السلام ومن ملكوت زحل وغيب العلم.

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ أولًا في الحضرة الإلٰهية للحق وأسمائه وصفاته وأطواره تجلياتها الذاتية المتضمنة لسائر التجليات بالنبوة الذاتية المختصة بالحقيقة المحمدية ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ منه أعيان الأتباع وماهيات الأمم والأسباع فالأحكام الإلٰهية بالنبوة الذاتية تظهر أولًا الحقيقة المحمدية إلى أممه الأولية وهم الأنبياء بأجمعهم وأتباعهم ثم ينتقل من الأنبياء إلى أتباعهم وأممهم ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ والأولياء المتألهون ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ والربانيون والعلماء المتخلقون بأخلاق اللَّهِ ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ في الفطرة الأولى والجمعية العظمى والكلية الكبرى ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 44] وتجلياته الكلامية النفسية النازلة في الحضرة العلمية المنطوية على العهود الأزلية والمواثيق الأولية في بداية الأدوار والنورية الجمالية الوجودية إذا كانت صريحةً وفي بداية الأكوار الظلية الجلالية العدمية إذا انتقلت الدورة إلى الكورة الصريحة وصارت الدورة خفية ضمنية ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ أي حاضرين في العلمية مقرين على أنفسهم معترفين بقولهم وقولهم إياه يتلى.

﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ الخشية قوة القلب بالرجاء أي لا تخشون الأطوار القلبية إلى إجراء ملك العهود وأيضًا أتاك العقود على أعيان القبول والجواهر النورية ثم على الأكوان الروحية والأمثال الشبحية والأرباب البرزخية والمثل النورية والأعيان الخيالية وعلى الصور الجسمية والأجرام السماوية والأجسام العالية والسافلة لا يميلوا إليها مثل المتقيد بها ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ وتعبدوني ولا تعبدوا غيري ولا تطيعوا الأولى ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾ أي بظهور تجلياتي وخواطف

جذباتي وبوارق ثائرة محبتي وشوارق نيران شوقي وسيران ذوقي ومودتي ﴿ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ تقود منه الإدراكات الألهية والتصورات الخيالية وأجناس الذات المشتهيات والطبيعية وهذا قليل بالنسبة إلى الحقائق والتجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية وغير ذلك من أنواع الحالات والمقامات وأصناف العلوم والإدراكات الخفية والتصورات والتصديقات اليقينية فإنها في نفسها كثيرة وفوائدها ونتائجها أكثر، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ ولم يعمل ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في المرتبة الناسوتية في مقام النفس الأمارة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44] الساترونَ ما استحفظوا من كتاب الله وما يخفونه من العهود والإقرار والشهادة على نفوسهم.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي قررنا وفرضنا على تلك الأدوار وأعيانها ومنسوبات كل منها من القوى ومبادىء أفعالها ومباني أحوالها في توراة التجلي الكلامي وكذا في الزبور التجلي السمعي، وكذا في إنجيل التجلي البصري، وفي فرقان التجلي العلمي تارة، وأخرى في التجلي الجني ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: 45] إن غلبت حالة على حالة وطور على طور، وما أبطل يقتضيه الطور الغالب الطور المغلوبَ، وأعطل ما يرتضيه الطور المغلوب، فالعدالة الحقيقية تقتضي أن يكون لكل طور ولكل دور وكور مقتضى مخصوص ومرتضى منصوص لئلا يقع في الوجود عبث وضلال، وكل طور يشتمل على كل ما يشتمل الآخر من العين والأنف والبصر والسمع والأذن، أما العين فيشاهده بالطور الآخر وأحواله، وبالسمع يسمع كلامه، وبالشم يشم رائحة المحبة والوداد، وعين كل طور يغاير عين طور آخر، فعين الطور القالبي غير عين الطور النفسي والقلبي والسري والروحي والخفي والحقي، فعين الطور البدني يحس ويدرك الممكنات والكيفيات المحسوستين، ويسمى بالبصر وبعين النفس يدرك ويشاهد الأفعال، وكيفياتها من المنافع والمضار والمعاني الجزئية، ويسمى بالوهم، وكذا يدرك ويشاهد كيفية ارتباط النفس بالبدن وكيفية استمدادها عن غيب فلك عطارد وملكوتها، كما شاهدَ كيفية ارتباط البدن بالنفس، وانضباط أحوالها بها، وكيفية ارتباط البدن الملكوت القمر وغيب الكلام، وكذا يدرك ويشاهد كيفية ارتباط سائر الأطوار وبالأفلاك الباقية والأسماء الذاتية على الترتيب، وتعين القلب وهي

البصر، ويدرك المعاني الكلية من التصورات والقضايا الكلية، ويشاهدها ويلاحظ الملكات الفاضلة والحقائق الإلٰهية والكونية، ويسمى أيضًا بالقوة النظرية والقدرة الفكرية الإلٰهية يدرك بها كلية الحق وإحاطته على كل الأشياء، وفي كل جزء وجزئي، وفي كل كل، وفي كلّي، وفي كل ظاهر وباطن ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

وللطور السّريّ أيضًا عين وهي الفؤاد الذي يشاهد بها التجليات الآثارية ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النّجم: 11] وكذا للطور الرّوحي عين يشاهِد بها الأنوار الربوبية والأنوار التي هي صفاء الطاعات وضياء العبادات، ويشاهد التجليات الأفعالية والتكوينات الإبداعية والتدوينات الاختراعية وكذا للطور الخفي عين يدرك ويشاهد ويعاين بها الأسماء الذاتية والصفات الأولية والتجليات الصفاتية والصور العلمية والحروف الغالية والماهيات البسيطة والحقائق الإلٰهية والأعيان الثانية، ويسمى بعين العيان كما يسمى السابق بعين البيان، للطور الخفي وغيب الغيوب أيضًا عين يشاهدها عين الذات وحقيقتها الجمعية وإحاطتها الكلية ويسمى بعين الحق، ويصير الجمع والفرق، وعين هذه العين عين عيون الأعيان الكلية والجزئية المجردة والمادية، وبهذه العين يشهد عين الذات وتجليها الذي يكون بعنوان الذات الذي نظر بها الشؤونات الذاتية والوجوه الأولية التي يتميز بعضها عن بعض بالذات لا بالوحدة إذ لا وصف في هذه المرتبة، والقصاص يجري في هذه الأمور الوجودية مثلًا أن الطور القالبي توقف أعين النفس حتى عميت عن إدراك المنافع والمضار والمعاني الجزئية كما فعل بالنفس الأمارة بأن شغلها بالكلية إلى تدبيره وتستغرقها محبته، فلا يلتفت إلى ما هي مجبولة عليه، وهو الإدراك المذكور، فعميت وانصرفت عنه إلى تدبيره، فلا بدّ أن يفيض بها كما يفعل بأصحاب الرياضات والمجاهدات في العزلة والخلوات، بأن يجلس في البيت المظلم ويأمر بالذكر وغمض العينين والأنف بالأنف، وهو قوة نفسية ولطيفة قدسية يدرك بها روائح عالم القدس والربوبية ونفحات رحمة تجليات الذات والأسماء والصفات ونفحات الأسرار الأحدية السارية في تمام الأشياء وعموم البرايا.

قالَ النبي ﷺ: «**اطلبوا الخير مِنْ ربّكم وتعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى فإن لله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر**

عوراتكم ويؤمن روعاتكم»، وقالَ أيضًا: «**حُبِّب إلي من دنياكم ثلاثة الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة إني وجدت نفس الرحمٰن من اليمن**».

﴿وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ﴾ وهي قوة إلٰهية يدرك بها كلام الله القديم الذي ليسَ من جنس الحرف والصوت وخطابه الكريم الأدنى المستمر الذي لا ينقطع أصلًا، والعهود الأولية والعقود الأزلية والمواثيق الربانية الجارية في حضرة الواحدية. قالَ النبي ﷺ: «**إن للقلب عينين وأذنين إذا أراد الله بعبد خيرًا فتحهما**» الحديث.

﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ وهو قوة برزخية بمصنع ما يوصل إليها من عالم الحس من المعاني الجزئية إليها ويخيلها منه المعاني الجزئية إليها ويخيلها من الصورة الحسية الجزئية وتصرفها إلى الصورة الكلية ويتصل بالمعاني المجردة التي تركب إلى عالم الحس وتلبست بصورة الجزئية وهكذا يتجرد من التجرد إلى أن يصل إلى الصورة الجمعية والهيئة الكلية الأحدية وتعانقت الأطراف والأضداد والنقائض والأنداد فيها ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ [المائدة: 45] إشارة إلى أن كل فعل من الأفعالِ الاختيارية وعمل من الأعمال الإرادية لَه تأثير في كمال الإنسان وكذا ثبت القصاص في مبادئها ووقتها أنفسها، هذا هو القصاص في الظاهر.

وأما القصاص في الباطن فاعلم أن القاتل إنما استحق القصاص من الأمرين: أحدهما: لتقويته وإزالته كمالَ البدن وإبطال منافعه. الثاني: إنه ضيع وفوت كمال النفس ومنافع قواها وكذلك فوت وضيع موت منافع الأطوار السبعة ولوازمها من الأنوار المتلونة وخصائصها المتنوعة من الأسرار الخفية والأزهار المخفية وكما يستحق القصاص في الظاهر يستحقه في الباطن أيضًا وإن ولي الدّم وصاحب قصاص المقتول في الظاهر هو وارثه ووليه في الباطن وصاحب القصاص في البروز، والكامن هو الحق لأنه خير الوارثين وأحق بالولاية وأليق بالوراثة، لأن المقتول ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى أي يختص بالحق وينسب إليه لأنَّه ظاهره وباطنه وإنما هوَ له ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: 72].

قالَ النبي ﷺ روايةً عن الله: «**ابن آدم بنياني لَعَن الله من هدم بنياني**»، وقالَ أيضًا: «**خلق الله آدم على صورة الرحمٰن**». فالقائل بمجرد القصاص وأداء الدية العفو في الظاهر لا يخلص من مؤاخذة الحق وقصاصه منه في عقباه ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ

عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93].

نعم إجراء حكم القصاص عليه في الظاهر وأخذه الدية والعفو عنه لا يبريه من مؤاخذة الحق إياه وقصاصه منه في عقباه ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: 93] بل يخلصه من معاقبة الظاهر في الدنيا بما يلائمنا ويناسبنا وأما من معاقبته في الباطن والعقبى والكامن فلا لأنه تصرفت في ملكه ونياته بما لا يرضى به، فإذن قصاص الحق جل وعلا في الباطن والمعنى هو أن يتجلى بصورة المقتول بصفة الغلبة والقهر والعظمة ونعت الانتقام والغضب مرَّ الدهر والعصر لفائدتين كليتين للقاتل والمقتول أما فائدة المقتول فلاستبدال صفة الانظلام والضعف والضعة بصفة الاستعلاء والقهر والغلبة وكمال القوة ووفور القدرة وإزالة العجز والضعف ورفع الدماء عنه وأما فائدة القاتل فلا يراه عن صفة الظلم التي تمثل بالنار والظلمة وإنجائه عن نعت القهر والغضب المذموم الذي يتمثل بصورة الأسد الغازي يفترس صاحبه ويمزقه ويحرقه ويخرقه ما دام القاتل متصفًا بهذه الصفة المذمومة فيعذب بما هو صورته المكتسبة التي ترد من الأطراف والجهات عليه.

قالَ النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**» وقالَ أيضًا: «**يُحشر الناس على صور أعمالهم**» ويحشر الناس على اثني عشر صورة فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وإنما يحشر القاتل بصورة الحيوانات الطبيعية كالأرنب والقنبور والثعلب أو البهائم والمقتول بصفة السباع المفترسة كالذئاب والكلاب ودواب الغاب والأسد والنمر فيقلب المقتولُ القاتلَ ويسلّط عليه ويغضب أشد الغضب عليه ويقتله ثم يحيى ثم يعاد إلى ما كان عليه أولًا من الغضب والاستيلاء إلى غير النهاية ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 1، 3] الآية.

واعلم أن القاص والمقتص في الحقيقة كالناص والمنصوصَ والنّص والموجود والموجد والوجودَ وهو الحق والذات البحت والوجود المطلق له من ذاته في ذاته لذاته بسبب إضافات وبحذائها اعتبارات كما مرت الإشارة إليها مرارًا كثيرًا فتدبر وتأمل وتبصّر فمن تصدق به فهو كفارة له أي ممن عفى القصاص لطيب القلب ورضاء النفس وإرادة الغيب عامدًا لاستحصال رضاء

الرب في الحضور والغيب خالصًا من الرياء والرّيب فحينئذٍ يحصل فيهما ولهما ما يحصل في النشآت من الكمالات الذاتية والأسمائية والكمالات الذاتية عبارة عن التجليات الذاتية بنعوت الذات على وجه يشهد الذات بها ذاته بالشؤونات الذاتية والوجوه الأحدية الذاتية بحيث يتضمن جميع التجليات الأسمائية والصفاتية والأفعالية والآثارية، وما يتفرع عليها من الصور الجنانية والأفراد الإمكانية الجوهرية والعرضية والفلكية والعنصرية البسيطة والمركبة بالوجوه الأحدية والنسب الغيبيّة التي تكون بالنعوت الذاتية لا الوصفية وأما الكمالات الأسمائية فهي شهود الذات بالتجليات الذاتية بالنعوت الوصفية والجبروت العرضية أولًا بالتعينات الحرفية:

كنا حروفًا غالبات لم تفل   متعلقات في ذرى أعلى العلل
أنا أنتَ فيه ونحن أنتَ أنتَ هو   والكل في هو هو فسلم عمن وصل

ثم الكلمات الإلٰهية والكمالات الإنسانية والحقائق العينية والأعيان الثابتة والماهيات البسيطة فباعتبار كل خصوصية وكل اسم من الأسماء الأولية للعارف في هذا المقام وللمرتبة شهودات ضمنية وأصلية، أما الضمنية فإن العارفَ لما انتقل من فناء الفناء في الله إلى فضاء البقاء بالله فإن لهذا المشهد شهودان:

أحدهما: أنه لا يعيد خصوصية بعينه بل ربما يقع نظره على خصوصية بعينه وقد لا يقع، أما إذا وقع نظره عليها ويتجلى الحق بذاته على ذاته تجليًّا ذاتيًّا فلكون الشهود في الحقيقة هو شهود الحق فيقع شهوده ونظره على ما وقعَ الحق ضمنًا، فكلما وقع شهود الحق على تجليه الذاتي الذي يكون بنعت ذاتي على الوجه الذي علمته فشهوده أيضًا يقع على ما يقع شهود الحق عليه تبعًا وضمنًا.

الثاني: إنه قد تحقق بذات الحق وقد تجلى ذاته بذاته بعنوان صفاته ذاتي على الوجه الذي سمعته والكثرات التي يشاهد في هذه المرتبة والمشاهد كلها ذاتية كالشؤونات الذاتية التي يكون بعناوين ذاتية لا وصفية فتمام الكثرات الأسمائية والفعلية والآثارية مع ما يتفرع عليها من الأجرام السماوية والأجسام العنصرية البسيطة والمركبة في مرتبة التجلي الذاتي كلها مندمجة تحت الشؤونات الذاتية فيها ظهورات ذاتية وإذا تركبت الشؤونات الذاتية من هذه المرتبة إلى

المرتبة الثانية وهي مرتبة الأسماء والصفات.

فباعتبار كل اسم من الأسماء السبعة الذاتية له اقتضاء خاص إلى تعين الشؤونات الذاتية في هذه المرتبة بوجوه كثيرة وباعتبار العلم يتعين تصور عليه وأعيان ثابتة، وباعتبار الحياة يتعين بنعوت الحياة، وباعتبار القدرة بنعوت المقدورية باعتبار الإرادة بصفة الإرادات، وباعتبار السمع بصفات المسموعات وباعتبار البصر بالمبصرات، وباعتبار الكلام بالكلمات، وباعتبار جمعيتها بالصورة النوعية الإنسانية وهي مبدأ الكتاب الإلٰهي وبذاته، وباعتبار ابتداء كون الأسماء وبذاته اقتضاء كل منها هي الحقيقة المحمدية، ثم نزل من هذه المرتبة إلى المرتبة الثالثة وهي الملكوت، ويتعين بالصور الروحية، وهكذا ينفصل ما كانَ مجملًا فيها إلى أن يظهر بنعت الناسوت مطابقًا لما كان في اللاهوت من الكمال الجمعي والجمع الكمالي فهو كفارة له من رفع الحجب ودفع النعت منه ومن القاتل، ويحصل فيهما ما كان في حكم الاقتصاص مجملًا ومن لم يحكم من الأطوار في النشآت المكررة والشؤونات المتكثرة في الدورات المتواردة واحد بعد واحد في مرتبة النفس الأمارة.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ إشارة إلى أن الأطوار المزبورة بحسب الوجود وترتيب أحكام الكشف والشهود المذكور وإلى بيان رتبة كل منها إلى الجامعة فإن التصديق لما بين يديه لا بدّ وأن يكونَ المصدَق مجامعًا للمصدق مع شيء آخر وهو فصل تميز ومزيد كمال وفضل وبروز ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ أي التجلي الأسمى الذي يربي الروح ويترصد به أنواع الفتوح، وإبراء أصناف الجروح وإمضاء صنوف الفتوح، وشرب شهد المحبة والمودة في الغبوق والصبوح ﴿فِيهِ هُدًى﴾ يهتدى به إلى التجليات الأسمائية والتحقق بها والتخلق بفحاويها والتيقن بمعانيها ﴿وَنُورٌ﴾ أي نور الولاية وسرور أحكام النبوة وأعلام النواميس الإلٰهية ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ والتجلي الكلامي الذي يوجد به الوجود العيني والمشهود الغيبي ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ أي ولاية ونبوة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46] الحافظين للحدود الجامعية والقيود الإحاطية والكلية.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ أي صاحب الجمعية الأسمائية ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيه من التجليات الأسمائية الذاتية وخصائصها الأفعالية، ونصائصها الآثارية ونقائضها

فمن تقيد من الأطوار في مرتبة الطور النّفسي والقلبي والقالبي ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ولم يتحقق بمقتضياتها ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 47] الخارجونَ عن مقتضيات الطور السري والروحي والخفي وغيب الغيوب.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التجلي الذاتي الجامع لجميع الصفات والتجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والصدق حال كونه متلبسًا بالحق والصواب والصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ السماوية المنزل على الأنبياء السابقة فاللام الأول للعهد والثاني للجنس ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ وحافظًا ومعاهدًا ﴿عَلَيْهِ﴾ على سائر كتب الأنبياء وشاهدًا عليه بالصحة والصواب ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ يا محمد بين جماعة يأتيك ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وهو القرآن لاحتوائه على مضامين جمع الكتب وفحاوي تمام الصحف وانطوائه على كل أحكامها ولذا فرغ عليه فاحكم بينهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الفاسدة وآراءهم الكاسدة بالانحراف والإعراض والانصراف، وأنزل عليك من الكتاب الحق والقرآن الفرق ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة في الأصل هي الطريقة إلى الماء شبَّه بها الترتيب لكونه طريقًا إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وثوب السعادة السرمدية ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقًا واضحًا وسبيلًا صارحًا بخطاب الأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد والتوراة التي شيء على التشبيه شريعة والإنجيل الذي هو شيء على السرية شريعة والقرآن الجامع لهما شريعة شرع فيه التوحيد والكثرة والتعدية ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وملة واحدة متحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ جعلكم أممًا متعددة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ويختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: 48] من الشرائع المختلفة المتناسبة في كل عصر لأهله وفي كل دهر

لفرعه وأصله ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وبادروا إليها وسارعوا لديها وهي الأعمال الصالحة والأحوال المفلحة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ مستأنف فيه تعليل ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48] من الأحكام الشرعية والإسلام الوضعية الأصلية والفرعية الاستقلالية والتبعية.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾ عطف على الكتاب أو على الحق ﴿بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليكَ من الأحكام الإسلامية ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ أي اتق نفسك من ﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾ بالصرف ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ قال رؤساء اليهود لكعب بن أسد وعبد الله بن صوريا وشماس بن قيس: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نتبعه على دينه فقالوا: يا محمد إنا أحبار اليهود وأشرافهم وإنا إن اتبعناك لم يخالف أحد من اليهود فاتبعنا في بعض نتبعك في الكل ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ وأعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن وأرادوا خلافه ومخالفته في الدين وصرفه عنه ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي إعراضهم إذا حلّ أن الله يريد أن يعجل عقوبتهم في الدنيا ببعض ذنوبهم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ اليهود ﴿لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 49] خارجون عن طريق الحق وهو الإسلام.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وهو قصد الغيبة والإغواء في دين الحق الصرف عنه ﴿يَبْغُونَ﴾ ويطلبون الحكم بطريق الله المعوجة الجاهلية التي هي من متابعة الأهواء والمفسدين في الإفساد والانصراف عن طريق السداد وإنما وضع بعض ذنوبهم موضع ذلكَ الإعراض تنبيهًا على أن لهم ذنوبًا كثيرًا جمة غفير العدد، فإن الذنب مع عظم كبعض منها وواحد عنها وهذا الإبهام لعظم التولي واستغراقهم في عظم ارتكابهم حكم الجاهلية المتفرعة على الأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50] ويقتنون الحكم الإلٰهي بكمال اليقين.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد بكمال اليقين وفور الوقار والثبات والتمكين ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أخلاء أصدقاء، نزلت في عبادة بن صامت وعبد الله ابن أبي سلول اختلفا واختصما فقالَ عنده لرسول اللَّهِ ﷺ إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم وغفير مددهم إني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم قال عبد الله: لكن لا أبرأ من هؤلاء اليهود لأني أخاف الدوائر فلا بدل منهم ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ تعليل للنهي يعني هم عصا لخصيصة الولاية بينهم، فعصاهم اختصت ولايتها ببعض بينهم ولا يتعدى إلى غيرهم فلا يعتمدوا على موالاتهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ ويحبهم وتولّهم ﴿مِّنكُمۡ﴾ الخطاب عام لأن الحكمَ أيضًا عام ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ المتولي والمحب ﴿مِنۡهُمۡ﴾ من جملتهم وبعض منهم إذ الحب والمودة أمر طبيعي لا اختيار للعبد فيه متفرع على المناسبة الذاتية أو القلبية أو القالبية أو الحالية على طريقة منع الخلو فمن كان جهات فيه ومن أحبها آلت إليه وكانت محبته أقوى دائم وملك سابق سابق الأصل إلى الأصل قالَ عليه السلام: «**إن لله تعالى ملكًا يسوق الأهلَ إلى الأهل**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 51] الذين يدعون المحبة بالمسلمين ووصفوا المحبة في غير موضعها، فإن المحبة في الحقيقة إنما هي لله وبالله ولأهل الله «**كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلقَ لأعرفَ**» فن أحب غير الله وغير أهل الله فهو ظالم مدعي كذاب قد سموا مرض النفاقَ وعرض الشقاقَ محنة.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ نفاق وغيظ وشقاق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ في موالاتهم ومحبتهم ونصرهم وهو عبد الله بن سلول ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ من دوائر الزمان وصرف من صروفه ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ [المائدة: 52] أي فتح باب

مدينة الدين والإسلام أو المكة ﴿أَوْ أَمْرٍ﴾ آخر حيث ما خطر ببالكم ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ لا من غيره أو إتمام أمر الدين أو إجلاء بني النضير وإخراجهم من أرضهم ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ وتصيروا ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: 52] على موالاة اليهود ومعاداة أهل الإسلام وأرباب المحبة والوداد.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ﴾ وحلفوا ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ بكمال إيمانهم ووفور إيقانهم هذا مقول المؤمنين بعضهم لبعض إنهم لمعكم، وقد تخلفوا عما حلفوا أيمانهم ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ﴾ وصاروا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 53].

إشارة وتأويل

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التجلي الآثاري في الطور السري والدور الأخير النور الجمالي الوجودي الحق ﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من الكتاب التجلي والأفعالي والأسمائي والذاتي ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48] حافظًا وحاويًا على سائر التجليات وطاويًا عليه واعتبارًا إما حالًا فلأن التجلي الآثاري سيما الصوري وهو الذي يظهر بصورة الإنسان الكامل صورة ومعنى وذلكَ لكونه نهاية التجليات طاويًا عليها وأحاط بها، فربما يشاهدها في ضمن هذا التجلي خصوصًا في التجلي الكلامي من بين التجلي الكلامي الموسوي وبين التجلي الكلامي المحمدي فرق، فإن موسى قد سمع كلامَ الله من جميع الجهات والحدود والنهايات وأما محمد وأتباعه فبمشاهدة كلام الله التجلي الكلامي ويسمعونه من تمام العوالم الكلية والجزئية وأجزائها وأجزاء نفسه المنطبقة على أجزاء العالم صورة ومعنى فيسمع من أجزاء بدنه العنصري والمقداري والنفسي ومن نفسه الكلام النفسي والعقلي، ومن قلبه الكلام الجناني الجمعي بين الحسي والنفسي والقدسي، ومن سره الكلام الخفي الغيبي، ومن روحه الروحي، ومن عقله العقلي، ومن علمه غيب العقل الكلام العلمي، ومن حياته الكلام الخفي، ومن قدرته الكلام القدري، ومن إرادته يسمع الكلام الإرادي، وكذا من السمع

والبصر من الكلام الجامع بين الكلام النفسي والعلمي والحسي والقدري والإرادي والسّمعي والبصري، والكلام الكلامي الجمعي بين هذه الكلمات الأسماء الذاتية الغائبة، وهذا إمّا بطريق الكشف والشهود الحقيقي والذوقي أو الحسي الشوقي أو الاعتباري المترتب على الكل سيما الجمالي النوري الوجودي كما اعتبروا أرباب الكشف والشهود موافقًا لما شاهدوا وعاينوا ثم اصطلحوا عليه اصطلاحًا موافقًا لما شاهدوا وعاينوا ثم اصطلحوا اصطلاحًا مطابقًا لما يحبوا به لأن بعضًا من الناس اقتنعوا بالاصطلاحات فقط، فإن لم يكن الذوق والشوق مستصحبًا له فهم كعلماء الرسوم في درجة واحدة بل علماء الرسوم أصلح وأفلح بالًا لأنهم خلوا عن هذه العبارات الدالة على الحالات والمقامات الخيالية، وهي أعظم الحجب وأجسم التعب إذا استقلوا بالرياضات والمجاهدات والكشف عنهم الحجب النورانية والظلمانية أسرع من أصحاب الاصطلاحات وأرباب المجاهدات الرسمية، وليس الخبر كالمعاينة وههنا فرق آخر وهو أن موسى عليه السلام قد اختص بالتجلي الكلامي بنوع واحد، وأما المحمديون فكما علمت قد أحاطوا بجميع التجليات ما مست بها إلا جماعة من العارفين أرباب الكمال الجمعي والجمع الكمالي فإنهم قد تحققوا بها وتخلقوا معها إما ساعة أو ساعتين أو ثلاث ساعات أو يوم أو أيام أو شهر أو سنة أو دورًا ودهرًا وكورًا أو في تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية. قالَ النبي ﷺ: «**إنه أعطى موسى الكلام وأعطاني التجليات**».

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ أي بين الأطوار ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من كتاب التجليات لتحقق كل منها بجميع التجليات المذكورة على الوجه المذكور، ولا تتبع أهواءهم وطورهم الخاص بتجلي مخصوص وطور وتدلي منصوص عما جاءك من الكتاب والتجلي الجمعي والكمالي الطاوي لتمام أنواع التجليات من الذات الحق والوجود المطلق المستجمع لجميع الأسماء والصفات لكل واحد من الأطوار السبعة القلبية المستتبعة للأنوار الإلهية السبعة المتلونة المنسوبة إلى الكواكب السبعة التي هي مظاهر الأنوار الأسماء السبعة الذاتية شرعة وطريقًا واضحًا وكشفًا صحيحًا صارحًا ومنهاجًا وسراجًا منيرًا وعروجًا ومعراجًا يدري به دقائق الكشف وحقائق الشهود والشرح والوصف.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في نهاية الأطوار ومقتضى الأدوار ﴿لَجَعَلَكُمْ﴾ بالبقاء والإفناء في الله ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وحدة جمعية ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ فيما آتاكم وأعطاكم من الحالات المخصوصة والمقامات المرصوصة والإدراكات المنصوصة ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: 48] أي التجليات الجامعة لصنوف الخيرات وصنوف الحسنات والمبرات والحالات المستتبعة والمقامات القلبية والأحوال العالية المستجمعة للمعارف الإلهية والعوارف الغير المتناهية ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ الذات المستعلية على تمام الأشياء والصفات ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ ومعادكم وما لكم جميعًا إما آنا فآنا على مقتضى الشؤونات الذاتية والظهورات اليومية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 29]، ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] أو على مقتضى الطور الدوري ومرتضى السير الكوري أما بعد برهة من تعينه من الأدوار ومدة مبينة من الأكوار عندَ انقضاء فردانية اقتضاء دورة وانقراض كورة ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ ويعلمكم ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48] من شهود التجليات المتنوعة والظهورات المتفرعة فالرجوع إما بالوجوه المختلفة بأن يتجلى الله عليكم بالوجوه المذكورة والنعوت المزبورة الذاتية والعرضية الوصفية أو الفناء بفناء الكل والفرد أم الجزء والكل واختفائهما فحينئذٍ لا يرى ولا يشاهد إلا الذات الواحدة إما بفقدان خصوصية هويته الغيبية والعينية أو بوجدان خصوصية نفسه وأيًّا ما كان ينزل على مراتب التعينات المتبوعة والظهورات الأصلية والمتفرعة إلى نهايتها وأحدية غايتها إلى رتبة الخلافة ومرتبة الإمامة.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [المائدة: 49] مرة ثانية وثالثة ورابعة وغير ذلك في السير إلى الله ومن الله وفي الله فإن السائر العارفَ إذا عادَ ورجع من الجمع والفرق فلا بدّ أن يهم ويقصد أن يرجع ثانيًا إلى الجمع معًا له من الأعيان الكونية والأكوان الكنانية ثم يعود إلى التفرقة بما استتبعه، وهكذا يعود ويرجع ويسود ويرتفع إلى أن يستكمل مع ما كان تابعًا من الأتباع وهكذا إلى أن يتكمل جميع الأتباع وتتبع أهوائهم إشارة إلى السقوط والإسقاط فإن السالكَ لكونه مركبًا من النور والظل والجمال والجلال ولكل منهما اقتضاء خاص وارتضاء ناص مخالف أحدهما للآخر إلا أن الفرداريّة إذا كانت للنور والجمال صريحةً يكون الظلّ والجلال تابعًا له كما علمتَ وإن خالفه فلا بدّ أن يتردد في النشآت في الأدوار والأكوار

إلى أن يتعادلا ويتكافئا بأن أطاعَ المولودَ الجني للمولود الإنسي ويجب حكم سلطان القلب وصارا مطيعين له ومطاوعينَ لحكمه تابعين له عند عروجه إلى الجمعية الأحدية وخروجه إلى الأحدية والجمعية والوحدة الذاتية ووجه إلى الذات الأحدية فيضيع بالقناع اللاهوتية والهوية الغيبية ثم يعود بذلك الصنع على المراتب الكلية والجزئية لتصنيع جميع أعيان المراتب بذلك الصنع.

﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ أن يفتنوكَ عن بعض ما أنزل الله إليك من الجمعية الكبرى والوسطى والصغرى التي تحصل في الأدوار الثلاثة النورية ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وأعرضوا عن الأحدية الجمعية السارية في الكل ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ﴾ وهو التقيد بمرتبة والتقلد بدورة وبمقتضى رتبة ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الأطوار والقوى المندرجة بحب طور من الأطوار السافلة والعالية ﴿لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 49] خارجون عن الجمعية المستصحبة الطارئ عليها كل طور ودورة وكور وكورة.

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ أي الملة الناقصة والأعيان المقيدة ﴿يَبۡغُونَۚ﴾ في سيرهم وسلوكهم معرضين عن الجمعية النظرية والكلية الغريزية ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات وجميع المراتب والتعينات ومآرب التنزلات ﴿حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ﴾ قد جمعوا خصائص مقتضيات كل الأطوار ومرتضيات جميع الأدوار إفرادًا وجمعًا أصالة ومما ﴿يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50] قد وصلوا إلى رتبة كمال النفس والتعين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب، وكذلك أخبر رسول الله ﷺ عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء فقال: لو ازداد يقينه لمشى في الهواء بدل بهذان رتبة الأنبياء مع جلالة محلهم من الله كانت مواصل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة التعين على الله والمؤمنون أيضًا متفاوتونَ في قوة اليقين وضعفه فمن قوى منه تعين فعلامته العري من الحول أو القوة إلا بالله والاستقامة على أمر الله وعبادته ظاهرًا وباطنًا، قد استوت عنده حالتي الوجود والعدم والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل لأنه يرى كلها من عين واحدة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾ في مراتب الأدوار الجمعية والأطوار ﴿ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾ أي فردانية؛ فردانية الجمال والجلال ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ أحباء أخلاء لأن بعضهم أولياء بعض للمناسبة الذاتية والوصفية والفعلية والقولية والحالية ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ

﴿فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: 51] المتولي والمحب بحكم المناسبة الموجبة للموالاة والمحبة هو منهم ومن جملتهم، وترى الذين تمكنوا في مقام التقييد واستنكبوا في مقام التعبد ومرام التقيد بطريق التقلد بالإخلاص خاص وصفاء طوية ماص في قلوبهم مرض نفاق وعرض مخالفة وشقاق يلزمها التقلد والتعبد يسارعون فيهم ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا﴾ اقتضاء ﴿دَآئِرَةٞۚ﴾ من الدوار الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ أي فتح مكة الصورة الجمعية الأحدية أو فتح مدينة الإسلام الجمالي بالاستسلام أعيان مقتضى الجلال الأعيان مرتضى النور والجمال ﴿أَوۡ أَمۡرٖ﴾ آخر ﴿مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ وهو الجذبة الإلٰهية والرحمانية أو جمرة من جمرات المحبة الذاتية قد أحرقته بصورة اسم من الأسماء الأولية ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: 52] أي أخفوا في أنفسهم من السرائر المخفية والضمائر من مقتضيات النور والجمال بخصوصية اسم من الأسماء الذاتية.

﴿وَيَقُولُ﴾ الذين آمنوا من الأعمال الجلالية والجمالية التي أطاعتهم الأكوان الجلالية الضمنية للأعيان الجمالية اليهودية التي أطاعت الأعيان الجلالية ودخلت تحت إطاعتها إطاعة غير طبيعية ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۙ﴾ [المائدة: 53] والجلالية وجمعيتهما أنهم أي الأعيان النورية الجمالية التي أطاعت الأكوان الظلية الجلالية المعلم ظاهرًا وباطنًا والحال أنه تعين كذلك إذ لا مناسبةَ بينهما لأن الأعيان النورية الجمالية التي أطاعت الأكوان الظلية الجلالية حبطت وفنيت أعمالهم الجمالية لعدم اختصاصهم بمرتضى النور والجمال لدخولهم تحت حكم الظل والجلال فهم منافقونَ مترددونَ بين الجمال والجلال ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء: 143] ودخل تحت حكم الظلال الظل والجلال فهم ليسوا إلا من الأعيان الخلص النورية الجمالية ولا من الأكوان المحض الظلية الجلالية.

قال النبي ﷺ: «**المؤمن يأكل من أمعاء واحدٍ والمنافق من سبعة أمعاء**»، فلن تجد له في الأدوار والأكوار نصيرًا معينًا ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: 53] خسرانًا مبينًا ونقصانًا بينًا متينًا لتفويتهم الاستعدادي الجمالي والقابلية الجلالية والإمكان الوقوعي الجامعَ بينهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب والحسن وقتادة: القوم هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهلَ الردة ومانعي الزكاة لما توفي النبي ﷺ ارتدت عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين وعبد القيس، ومنع قوم الزكاة ومنهم من تغلب فهمَّ أبو بكر رضي الله عنه قتالهم فكره أصحاب الرسول وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناسَ وقد قالَ النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا اللَّهُ فمن قالَها عصم مني ماله ونفسه**» فقالَ أبو بكر: والله لأقاتلُ من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، فخرج أبو بكر وحده فلم يجدوا بدًا من الخروج.

قال ابن مسعود: قالَ والله كرهنا ذلك في الابتداء ثم جهدنا في الانتهاء. روي أنه قال: والله ما ولد بعدَ النبيين مولود أفضل من أبي بكر قد قام مقام النبي ﷺ في قتال أهل الردة، وهم أحد عشرة فرقة ثلاثة في عهد رسول الله ﷺ بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكانَ كاهنًا بصنعاء اليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول اللَّهِ فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل والي شاذان وأمرهم أن يحثوا الناسَ على التمسك بدينهم وعلى النهوض إلى حرب الأسود فقتله فيروز الدَّيلمي فأُخبر رسول الله ﷺ وقبض رسول الله ﷺ من الغد. والفرقة الثانية هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وكتب إلى رسول الله ﷺ كتابًا فيه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ﷺ، أما بعد: فإن الأرض نصفها لي ونصفُها لكَ. فأجاب وكتب عليه الصلاة والسلام: «**من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب فإن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقينَ**»، فحاربه أبو بكر رضي الله عنه وقتله الله على يَدِ وحشي قاتل حمزة، وكان يقول: قتلت خير الناسِ في الجاهلية وشر الناس في الإسلام. وبنو أسد قوم طلحة بن خويلد،

فبعث إليه خليفة رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فانهزم بعدَ التثام إلى الشام فأسلم وحسن إسلامه في سبع في عهد علي رضي الله عنه وقيلَ هم الأنصار.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أرقاء ورحماء واخفض لهما جناح الذل من الرحمة لا الهوان والسقوط ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا الآية ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ أي تشنيع منيع وتوبيخ طاعن وندبة لاعن ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجهاد وعدم المقالات وطعن الطاعن ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ ويعطيه ﴿مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ نزلت ابن صامت ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: 55] الواو للحال نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرّ به سائل وهو راكع في الصلاة في المسجد فأعطاه خاتمه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أحدهما وليًّا وحافظًا ورقيبًا وناصرًا واشتغل بطاعتهما وأقدم بمطاوعتهما ولكمال إطاعتهما ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لهما وبما جاء منه أي من يتولى الذين آمنوا بالله وبما جاء وبمحمد بالمحبة والاستعانة فإنهم حينئذٍ حزب الله وأنصاره وحزب الله هم الغالبون ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: 56] ظاهِرًا وباطنًا صورة ومعنى على الأعداء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبما جاء به بكمال الإخلاص ووفور صفاء الطوية وخلوص النية ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ نزلت في رفاعة بن زيد التابوت وسويد بن الحارث قد أظهَرَا الإسلامَ ورجال من المسلمين يراد بهما بأنهما اتخذا الدينَ هزوًا بإظهاره ولعبًا بمخالفتهما في أحكام الإسلام واستبطانهما الكفر ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حال من دينكم أو من فاعل اتخذوا ﴿مِن

﴿قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾ فمن جره عطف على الموصول الثاني ومن نصبه عطف على الموصول الأول ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ مفعول لاتخذوا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 57].

إشارة وتأويل

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: 54] في الطور القلبي الذي هو مرتبة علم اليقين المتفرعة على القوة النظرية فإن كانت خالصةً عن القوة الواهمة والخيال لا يتطرقها الكذب والخلاف فإن طرقها المخالفة والمناقضة والكذب والارتداد وخرجت عن حكم سلطان القلب بإغواء شيطان القوة الواهمة فحينئذ لا تعويلَ على القوة النظرية ولا الاعتمادَ على حكمها فإنها إبليس قد تمسك بها حين أمر بالسجود لآدم وأبىٰ حيث قالَ: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأما الملائكة فقد رفضوا القوة النظرية واقتدوا بالعملية وامتثلوا بأمر الله بالسجود فسجدوا لآدم وإن ناقشوا في خلقة آدم في الابتداء وعملًا بالقوة النظرية تنبيهًا على أنها في الخلقة متقدمة على العملية وكذا في العمل فإن العملَ بدون العلم ضلال.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ أي بقوة عملية قد تشبعت بالقوة النظرية الخالصة عن مخالطة إبليس القوة الواهمة فإن الحضرة العلية التي هي مظاهر في عالم البرزخ وعالم الشهود والملك النبوة النظرية التي هي برزخ بين النفس الناطقة والعمل حاكمة على الكل، أما وإن لا موجود خال عنها وإن بداية الكل ونهايته في النزول والعروج إنما هي في هذه الحفرة ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54] إشارة إلى أن شرط ظهورها هو الإيمان والإذعان بالمبدأ الأول الذي هو العلم الإلٰهي القديم الذي هو عين الذات إذ لا غير ولا غيرية في تلك الحضرة ولله در من قال: إن دأبَ الله تعالى وحقيقته كافية في تمام الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية ولا مؤثر ولا فاعلَ ولا قابلَ إلا هو ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] فلا خالقَ ولا رازقَ ولا رزقَ ولا مرزوق إلا هو ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88].

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ الأخلاق الردية والأوصاف الذميمة والملكات الدنية كالحرص والطمع والفجور والضعف والحقارة والظلم والانظلام والجهالة

والضلالة ورياء الهمة والحقد والحسد والرياء وغير ذلك ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قولًا وفعلًا وعلمًا وحالًا ومقامًا مع الكفار الطبيعية والفجار النفسانية والآراء الفاسدة والحالات الدينية السرية والمقامات السفلية الروحية والأحوال الوضعية الخفية الفعلية والامتناع بهذه الأحوال وغيرها من المقامات العالية والأحوال السنية العالية الخاصة بفرداريّة دورة واحدة من الأدوار النورية الجمالية الوجودية والظلية الجلالية العدمية إذ التقييد بالسير إلى الله ومن الله وإلى الله في دورة واحدة من الأدوار الإلٰهية كفر وشرك في طور التحقيق أي ذات الحق غير مسماة حدًّا وعدًا فحق العارف الدائر السائر أن يستوفي جميعَ الكمالات الذاتية والأسمائية والحالات والمقامات الجمعية السارية في تمام الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية الحاضرة في الآن الدائم الحاضرة في آن واحد من قلب كون جامع ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: 54] الجهاد الأكبر العام مع عموم الكفار الظاهرة والباطنة وعدم الحذر عن طعن الطاعن لأنه أيضًا من الله ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ وإحسانه وكمال ترتيبه ووفور نعمته ودرر رأفته ورحمته ودرر كمال حكمته ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54] بالذات والصفات عليم بالصفات التي هي عين الذات إذ لا يترقى في تلك المرتبة، ولا واسطة بين الوجود والعدم، أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: 55]، في هذه الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية الإفرادية والجمعية والإفرادية وجمعية الجمعية، والذين آمنوا بالله ورسوله، فأول مؤمن هو آدم الأنبياء ونوح الأولياء علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه. قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**»، و«**أنا وعلي من نور واحد**»، وقال أيضًا: «**أول من آمن بي وصلى معي علي بن أبي طالب**».

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ﴾ ويؤتها وهي العبادة العامة المتضمنة لتمام العبادات وجميع الموجودات وطاعات تمام المكونات المجردات والماديات الفلكيات والعنصريات البسائط والمركبات والمعادن والنبات والحيوانات ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي العلم المتعلق بهذه العبادات الفاضل عليها الناشىء من أنفسها، فإن الصلاة التي هي أصل الطاعات وأفضل عموم العبادات تتضمن نوعين من العلم الداخل وهو عند الأداء هو العلم الحضوري في النية بأن شاهد المعبود أولًا وعلمه علمًا

حضوريًّا شهوديًّا أي انتقل من علم اليقين إلى عين اليقين ومنه إلى حق اليقين.

قالَ علي كرم الله وجهه: رأيته فعرفته ثم عبدته، لم أعبد ربًا لم أره، ومن الخارج الفاضل بعدَ الأداء، وهو ما أعطاه الله إياه ويدرك به أسرارها ويشاهد بعدها أنوارها، ويطور أزهارها وتكرر أطوارها. قالَ عليه الصلاة السلام: «**من عمل بما علم علّمه الله وأورثه علمَ ما لم يعلم**».

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: 55] قائمون في حدّ الوسط وهو الجمعية والبرزخية العظمى فإن الركوع برزخ من القيام والقعود، إشارة إلى أن أصلَ الأدوار ومبدأ الآباد والأكوار الذات وتَجليه الجمالي والجلالي بمبدأ التجلي الأول هو الحقيقة المحمدية وبذاته الثاني ومبدؤه هو اللطيفة المرتضوية وهما في الحقيقة واحد.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي توجه إلى الله ورسوله وأعرض فيما سواهما إلى رضائهما ومرادهما وهو الشريعة المصطفوية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وإنما عطف المؤمنون على الله ورسوله لأنهم في حكمهما فيكون حكمهم حكم اللّهِ ورسوله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: 56] المخلصون وبكمال عنايته المتخصصون هم الغالبونَ على ما سوى اللّهِ لثبوتهم بالله وتوكلهم على الله وانصرافهم في حولهم وقوتهم إلى الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في تمام الأدوار وعموم الأكوار وهذا النوع من الإيمان إنما يستتبع كمال العرفان وتمام الإيقان في الإيمان وقوة الإيمان في النشآت وتمام الشؤونات.

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ﴾ الحق الجمعي وكمال الذوق السمعي في الطور والدور والكور المعي ﴿هُزُوًا﴾ في طور ظاهر الجمال ودور باطن الجلال ﴿وَلَعِبًا﴾ مهما حال كونهم من الذين أوتوا الكتاب أي الأطوار القالبي والقلبي الذي يكون في مقام صدر الخطاب بالأطوار العالية ذوات الشهود والمشاهدة، والمراد من الكتاب هو الطور الجمعي، فإن الإنسان بجميع أجزائه له جامعية بحسب اختلاف الأحوال فلكل من الأطوار السافلة والأجزاء الفاعلة والقوى العاملة جامعية بقدر الحال متقدمة على جامعية الكل ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ والخالص الجزئي وهو القوى الطبيعية كالناوية والنامية والمولدة وما يسجد من الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والكفار الدنية هم القوى الحيوانية، وهي إما عاملة أو مدركة، أما العاملة فهي الطبيعية وأما المدركة فهي الحواس الظاهرة والباطنة،

وهذه الأجزاء والأطوار السافلة العالية كلها مركبة لها جمعية تخالف جمعية كل منها جمعية الآخر في جمعية الكل وأما جمعية الكل من حيث إنها كل فلا يخالفه ولا يباينه شيئًا منها لاشتماله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جميع الأدوار والأكوار ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 57] بمقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار.

تفسير

﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾

﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ﴾ ودعوتم الفرق المزبورة والخلق المذكورة ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ التي هي معراج المؤمن ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ﴾ لخروجهم عن دائرة حقيقة الإنسان واندراجهم في مدارج الشياطين والأبالسة والسّباع والبهائم والحشرات بل الهوام ﴿ذَٰلِكَ﴾ الهزء واللعب والاستغناء عنها ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: 58] شيئًا ولا يذكرون أمرًا لا خيرًا ولا شرًّا لا نفعًا ولا ضرًّا لانتفاء جوهر العقل منهم واندراجهم تحت الشياطين والأبالسة والسباع وغير ما ذكرنا نزلت إذا قالت اليهود عند الأذان وإقامة الإقامة والقيام إلى الصلاة قاموا لا قاموا وصلاة لا صلاة وصلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وضحكوا، وهؤلاء في هذه الحال قوم لا يفعلون أمرًا.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ﴾ وتأخذون الانتقام والحيف ﴿مِنَّآ﴾ ولا تظهرون العداوة بنا ولا يكرمون لنا ﴿إِلَّآ أَنۡ﴾ يقول لهم عند السؤال ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ﴾ أي إلى إبراهيم وإسماعيل إلى قوله ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ فلما ذكرنا عيسى وجحدوا موته فقالوا والله ما يعلم أهل الدين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينًا أشر من دينكم ﴿وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ﴾ يا معشر اليهود ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 59] خارجون عن طور الصواب وطريق الحق والسداد ودرجات الثواب يجوز أن تكون تعليلًا معطوفًا على تعليل محذوف كأنه قيلَ وما ينقمون منا إلا الإيمان وبما ذكر

لعل إنصافكم كثيرة فسقكم واعتسافكم واتباعكم الشهوات ويجوز أن يعطف على آمنا بمعنى ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [المائدة: 59] إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم فاسقون ويجوز أن الواو بمعنى مع أي وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أنكم فاسقون وأن تكون ابتدائية والخبر محذوف أي فسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وإنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة والأموال ورتبة السياسة فيصفوا.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ وأخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قلتم من قلة الحظ وكثرة الشر فِيَّ بالدين أعني ﴿مَثُوبَةً﴾ جزاء وهو درجة ومنزلةً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأكثر من ذلك المذكور وأشرُّ حالًا ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ وبعده وطوره ورده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ لما خالفوا حكم الله قيلَ الأول من أصحاب السبت والثاني من أصحاب مائدة عيسى ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ بنصب الطاغوت يعني من عبد الصنم، وبكسرها هو الذي في يوم السبت ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60] أي أولئكَ الملعونون الممسوخون شر مكانًا جعلت الشرارة للمكان وهو ليسَ بأهله وفيه مبالغة ليس في قولكَ أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية هي أحب المجاز، ويجوز أن تكون إسنادًا مجازيًّا من باب يطويهم الطريق نزلت في ناس من اليهود يدخلون على رسول الله ويظهرون الإيمان نفاقًا.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ المنافقون ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ هذا على سبيل التنزل والمشايعة برأيهم الفاسد، وإنما وضع المثوبة موضع العقوبة على طريقة وبشرهم بعذاب أليم، والفريقان هما اليهود إلا أنهم زعموا أن المسلمين ضالونَ مستوجبون للعقاب قيلَ هم من لعنه الله ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟﴾ عليكم ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟﴾ عنكم

﴿بِهِۦ﴾ أي مستصحبين بالكفر ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 61] الكفر والنفاق.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ أي المعاصي والظلم أو ما ليس في التوراة، وزادوا عليها وانحرفوا منها ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ مال الحرام على ذا الانحراف والزيادة وكتمان نعت محمد وبعثته ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62] إياها من الظلم والعدوان وغيرهما.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَوْلَا﴾ هذه ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ المستطيعون عن الخلق أممًا سوى الحق إلى الحق وشهود تجلياته وشاهد لقائه لتحقق وجوده وبقائه ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ العلماء المختلطون بالخلق أهل الدرس والتدريس **فالأول**: هو أهل الشهود وصاحب العزلة والخلوة، **والثاني**: هم أرباب الدرس والتدريس والجلوة والخلطة، بيان الأول علماء النصارى والثاني علماء اليهود ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ والكذب والبهتان ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 63] يفعلون هم يقرؤون بالرؤية وكمال توجه النفس والقلب ولذا كانَ أبلغ من النمل عن متعلق ينتهي.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ قولَ الإثم وهو قولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: 64] مقبوضة على غيره مبسوطة عليهم، ولذا كانوا أكثر مالًا وأوفر رزقًا وأحسن مالًا فلما عصوا اللَّهَ ورسوله وكذبوه، كف الله عنهم ما بسطه عليهم من السّعة، فعند ذلك قال

فنحاص بن عازر يَدُ الله مغلولة نسبة إلى البخل ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسطِ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعا عليهم حالًا بكف الله عنهم المبسوطة ومالًا بمنع الخيرات ورفع الحسنات والمبرات ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ أي صار قولهم في الله سببًا للعنهم وبعدهم عن رحمته ووفور نعمته عاجلًا وآجلًا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ويعطي من نعمته لمن يشاء متى يشاء كما يشاء ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من الآيات الواضحة والبينات الصريحة من الوحي والمعجزات، الموصول مع الصلة فاعل وليزيدن بمعناها تمييز، كثيرًا مفعوله، وليزيدن ما أنزل إليكَ لهم ضلالًا كثيرًا من جهة الطغيان أو لأجل الطغيان ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي يزيد ويكثر طغيانهم وكفرهم وكذبهم بآيات الله ووحيه ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي بين اليهود والنصارى أو بين اليهود بوقوع النزاع بينهم والاختلاف في الرأي وما فسدوا وأفسدوا وخالفوا حكمَ التوراة بقتل الأنبياء وتحريف الكتاب وتغييره في أكثر الأمور ومعظم الأبواب سيما في أمر الرسول ﷺ وبعثته حين بعثته بحرب الله عليهم بحرب كفرهم أفسدوا تارة سلط عليهم بقبطوس المجوس أفسدوا وقصدوا موت عيسى وقتله وسعوا في إبطال دينه أظهر الله الإسلام وسلط المسلمين عليهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وإفسادًا ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى ﴿آمَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ المخالفة والمكابرة ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: 65] أي نعمة الجنة الصورية والمعنوية أما الصورية فهي جنة النفس ونعيمها من جنس نعيم الدنيا من المأكولات والمشروبات والملبوسات وغير ذلك، أما المعنوي فهو العلوم والمعارف والإدراكات الحقة التي يتمثل بالروح والريحان والأنوار والضياء والسناء والبهاء فإن للعلوم الإلٰهية في المراتب والعوالم الربوبية صورًا معنوية لطيفة لا يدرجها الحس الظاهر والباطن ولا العقل المتشبث بأذيال الوهم

والخيال بل يدركها الفعل الصريح المنور بنور الله، قال النبي ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنورِ الله**».

وأما الجنة الصورية فإنما تدرك القوة الحيوانية ولما كانت الدنيا ونعيمها متناهية فالجنة التي هي من جنسها أيضًا متناهية، وأما المعنوية فأي جنس كانَ من صور ثمرات العلوم والمعارف ونتائجها من العوالم النورانية والمعارف الربانية والحضرات القدسية فهي غير متناهية فكما أن مراتبَ الأنوار وألوانها متناثرة كذلكَ العلوم وثمراتها وصور نتائجها متفاوتة وكما أن القولَ الواحد في نفسه ويتنوع فكذلك النور الملون يتنوع في نفسه فيكون في كل آن له لون آخر مغاير للسابق كما قيلَ في الأعراض العرض لا يبقى زمانين.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] فكما أن التوحيدَ المشاهدَ إن كان بعدَ العروج والسير إلى الله والبقاء في الله بصورة التجلي الذاتي الذي يشاهد بتعين النور الساذج الغير الملون فإنه وإن استدلا أن له في كل آن نوع ظهور وتعين آخر مغاير لما ظهر في الآن السابق وكذا إلى غير النهاية.

وكذا العلم الحاصل بعد التجلي المتعلق بالتجلي بل هو نفس التجلي الذي هو عين الذات فإن للذات في كل آن بالنسبة إلى ذاته علم وشهود وهو بوجه عينه ويوجه بالإضافة غيره ويتضاعف الإضافات ويتحدد إلى غير النهاية، وكذا الضياء والنور والسناء والبهاء، فإن لكل من هذه المفهومات وجودًا ونقشًا مغايرًا للآخر له ديمومية ويقال مستمر في كل آن له شأن تتميز منه الشؤونات المتضاعفة المتلاحقة المتعاطفة إلى غير المتناهية، فإحاطة هذه الشؤونات المترتبة الغير المتناهية لا تبالي، والإنس الحضرة الغير المتناهية ومن تحقق ونسي بوجوده وبقائه والمحبة المعنوية فأصلها هي التجليات الأربعة الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، ولكل واحد من هذه التجليات وجهان إلى الباطن وهي الفردوس الأعلى منها الأنهار الأربعة التي هي مخصوصة كل منها إلى جنة من هذه الجنات ومن فوق ذلك هو العرش الأعظم أعني الذات ومطلق الوجود. قالَ النبي عليه الصلاة والسلام: «**جهنم من وراء الدنيا ومحيط بها الجنة من ورائهما فلذلك صار الصّراط على جهنم طريقًا إلى الجنة**».

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وعملوا بما فيهما من التشبيه والتنزيه والعمل بما يناسبهما من التجرد عن الخلق والتفرد من الجمع والفرق ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ﴾ من بركات فيها والذات البحت وتجلياته الأربعة والعلوم المتعلقة بها والأطوار العالية ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ من العلوم الكونية والأطوار العملية ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي بعض من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وابن صوريا وأصحابهما وثمانية وأربعون من النصارى ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ متوسطة معتدلة منتصفة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66].

﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قالَ الثعلبي: نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث قالَ في نصبه خليفة وآمر أمراء وأولياء: اللهم من كنت أنا مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصر الدِّين واخذل من خذل الدينَ وانصر جيوشَ المسلمين؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: من أخبرك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب وهو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

إشارة وتأويل

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ أهل الأطوار السبعة الثلاثة كل طور منها ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ الجمعية والقرابة الحقيقية المعية في مرتبة أحدية جمعية الأسماء الإلهية ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ على مقتضى خصوصية ارتضاء كل منها ذلك الاتخاذ بأنهم أي بسبب أن المتخذينَ الكذب الجمعي والجمع الكمالي ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 58] أي انتفى العقل منهم عنهم وما يلزمه من الأمور العقلية من

التعقل وإدراك المجردات والتصورات والصديقات اليقينية وغير اليقينية وغير ذلك من الأحوال والمقامات والكشف والكرامات ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ صاحب هذه الجمعية هل ينقمون لا ينكرون ولا يعرضونَ منا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: 59] بالذات الجامعة للأسماء كلها وما أنزلَ إلينا من التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية وسائر ما يلائم الأطوارَ من الأنوار وظهور الأسرار وتنور الأزهار وجمعيتها وما أنزلَ من قبل في الأطوار السافلة في الأدوار وأكثركم بأطوار السبعة القلبية فاسقونَ خارجون عن حكم كمال جمعية القلب واجتماع الشهادة فيه بالغيب ما يلزمهما مما لا يتطرق عليه الشكّ والريب.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ معاقبة دون الله، وإنما وضعها مقامها استهزاء بهم وأعلاها وتنبيهًا على أنه قد رفع التميز عنهم بأنهم كالبهائم لا يعرف الإشارة من البشارة والإنذار من التبشر والإبشار ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ بيان الأشرّ وهو ممن لعنه الله وأسقطه من درجة الاعتبار والخطاب لأنه خرج من مرتبة الجمعية القلبية إلى أدنى المراتب صورة وغضب عليه معنى بحسب رسوخ الهيئات الردية وثبوت الملكات الدنية فيه ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ وعند غلبة الصفة التقليدية في الأفعال الفاسدة والأعمال الكاسدة والأحوال الحاسدة الصادرة عن النفس الحاسدة والخنازير التي هي صفة الاتحاد وصفة الارتداد وقعت الإباحة في المجردات والإراحة في المنبهات والانتهاء عن المناجاة الشرعية طعنًا على الشرع والشارع نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي دأبت النفس الردية عند غلبة الأهواء العاطلة واستيلاء الفراء الباطلة وهذه الأمور الثلاثة هي مظاهر الصفات الردية ومصدرية الهيئات الدنية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60] أي هذه الصفات أو أصحابها وصواحبها مبادىء الشرور ومنادي إلى الغرور.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أيها الأطوار السافلة والقوى الطبيعية والمبادىء النفسانية عند غلبة سلطنة سلطان القلب في ملك البدن على رعايا وعساكر قواه وجنود أجزائه وعموم أعضائه ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ في الظاهر والباطن والحقيقة ليسوا بالمؤمنين ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾ في ملك البدن مستصحبًا ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ والارتداد لاتصافها بالخنزيرية وصفة الإباحة نعت والاتحاد ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: 61] أي والحال أنهم قد

خرجوا به عن إطاعة سلطان الملك متلبسًا بالكفر أي الدخول والخروج سيان لا ينفك الكفر عنهما وهم يدعون استصحاب الإيمان وعدم ترقيه عنهم ويكتمونَ الكفر ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ [المائدة: 61] من الكفر ويظهرون الإسلام باللسان وإن قلوبهم خالية عن حقيقة الإيمان ومالية بالكفر والنفاق وكمال المخالفة والشقاق على ما يقتضيه خصوصية الدورة ونشأتها.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ﴾ اللغو ﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾ والمعصية في الخلوة ويتداعونَ الإيمان في الخلوة على ما تقتضيه الشهوية ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ على ما تقتضيه القوة الغضبية ﴿وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ [المائدة: 62] على ما تقتضيه القوة النظرية الغير المعدلة المستتبعة لشيطان الوهم وإبليس الخيال.

﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ أي القوة العملية الغير النافعة للوهم والخيال المتخيلة بالعدالة والأجساد أي القوة النظرية والمبادىء الفكرية الغير النافعة وحسن الخصال للوهم والخيال وهما ميدان الهدى والضلال ﴿عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ﴾ مما قالوا في حق الله بأن يده مغلولة لغيرنا ومبسوطة علينا، وأن ديننا وملتنا لا يأتي دين آخر ينسخه. قد وقع في التوراة: إن دين موسى مؤيدة ومقوية من الله وبالله وهم قد خرجوا التأييد بالتأييد (بحك نقطة تحتانية) وإن بعثة عيسى ومحمد بعد موسى بالبينات الواضحة والآيات الصارحة شاهدان على الذات ما صرحوا به من تأييد دين موسى.

﴿وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ أي الأعمال الطبيعية والأخلاق الودية ومقتضياتها الدينية ومرتضياتها الوديةالتي تصرف القلب عن الحضائر القدسية والمواطن الإنسية والأماكن الجهنمية ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: 63] من صرف القلب عن مقتضى جمعية وعن مرتضى كلية وكمال إحاطته.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾ أي القوة النظرية المتصرفة إلى طاعة النفس لتدبير عالم الحس ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ ومبادؤه مغلولة غير مصروفة إلى غيرهم ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ لما بسط الله عليها وأعطاها القوة والتصرف فكف اليد والكف عن التصرف ﴿وَلُعِنُواْ﴾ وبعدوا ﴿بِمَا قَالُواْۘ﴾ أي بسبب قولهم وميلهم إلى ما نسبوه إلى الله من العلة وليس الأمر على ما قالوا ﴿قَالُواْ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64] أي القدرة الجمالية والقوة الجلالية مبسوطتان يقبض أياديهما في الأدوار النورية والجمالية على

أعيانهما صريحة وبقوة الظل والجلال في النعم الخفية ضمنًا ﴿يُنفِقُ﴾ ويقبض على الأعيان النورية ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى صريحًا وضمنًا ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: 64] الموصول مع الصلة فاعل ليزيدنَّ إشارة إلى أن الإدراكات والعلوم الحقة والأعمال العالية والمقامات الرفيعة الغالية كثيرًا ما يرتد وأنكر لبعض السالكين ضلالًا وطغيانًا وأضله الله على علم وختم على سمعه وبصره لإفادة العجب والتكبر والعظمة والتبختر.

قالَ النبي عليه السلام: «**ارحموا طلاب العلم فإنهم متعبوا البدن**»، لولا أنه يأخذ التبختر لصاحب المليكة معاينة لكن يأخذه العجب ويزيد أن يقهر خرجوا على منة فحق صاحب العلم والحال الصادقة أنه كلما ازداد العلم والحال فلا بدّ أن يزيد لهم الحلم والوقار والتمكن والتواضع.

قالَ النبي عليه السلام: «**اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم الحلم والسكينة**» ليبينوا لمن يعلم ولمن يعلمهم منه ولا يكونوا من أحبار العلماء منقلب جهلكم عليكم وقال أيضًا: «**من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله**» فإن الكبر والبحر من الخصائص الشيطانية التي تنشأ من استعمال القوة النظرية قالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12].

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أي من القوة النظرية والعملية اليهودية والعملين النصرانية قد اجتمعا في القوة القدسية والصورة الجمعية المحمدية ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وانقضاء فردانية حكم دورة النور والجمال يشتعل من الجمال الصريح إلى الجلال الضمني الجريح هذا في الآفاق وأما في الأنفس فالقيامة إنما تقوم إذا استكملَ السالك في تمام الأطوار وعموم الأدوار وصل في سيره وسلوكه إلى الفناء في الله عند نفخ الصور الأول وإبقاء بالله لدى نفخ الصور الثانية ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا﴾ يريد القوة الفكرية الموقدة بخطاب الإدراكات الوهمية وإخطاب المقاصد الجدية والرسمية وقسور الظاهر المطالب الحكمية للوجوب بحصة الحقيقة المحمدية السارية في تمام المظاهر الكنانية والحضائر الربانية سيف الأفكار وسهام الأنظار ورماح الأطوار ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بماء العزلة والحيرة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أرض تلك البدن والوجود وفي عرض

عرضة القلب وحصة الشهادة والقلب ﴿فَسَادًا﴾ [المائدة: 64] وإفسادًا بإفشاء الشكّ وإنشاء الظنون وإحشاء الريب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المائدة: 65] بالحقيقة الجمعية المحمدية وتوجهوا إلى النظرية الأصلية هي الإسلام الحقيقي لقوله عليه السلام: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام**»، ﴿وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ إن الحسنات يُذهبن السيئات. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**»، ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي جنات التجليات ونعيم الكشف والمشاهدات ولو أنهم أقاموا التوراة أي التجلي الكلامي الجمعي الذي هو غيب القوة النظرية التي يسد منه عينه والإنجيل أي التجلي الفعلي التكويني الإبداعي الاختراعي والإسمي الذي هو معدن القوة العملية والذاتي هو أصل الكل لأكلوا في رياض الكشف ورياض الشهود ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ وشربوا من حياض ماء مطلق الوجود ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ﴾ أي من سماء أسماء الذات وفلك نجوم التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: 66] أي الظهورات الكونية ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22] أو حوض الآثار وأرض الآبار أو المراد من فوق الفلك النوري الجمالي ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ هي أرض الاستعدادات الذاتية المنسوبة إلى سلطان الجلال الذي اختفى في الجمال وصار ضمنًا في أرض مقتضيات النور والجمال أو المراد هو الولاية ومن الثاني النبوة أو المراد من الأول هو الحقيقة المحمدية السارية في المظاهر الكنانية والمجالي الكونية، ومن الثاني هي الحصة الغيبية التي يتطرق إليها بالأرجل المساعي، أو الأول هو الذات الأحدية والثاني هو الأسماء والصفات فهم أمة مقتصدة جامعة لهما ومانعة لغيرهما اجتماع مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار مع جمعية الأنوار بمقتضى الأطوار ومرتضى معية النور والجمال والظل والجلال وكثيرٌ منهم من القوم البدنية والنفسانية والمبادىء الرحمانية ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 66].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ أي التجلي الذاتي هو في الحقيقة وهو الحقيقة المحمدية السارية في الأعيان الثابتة وماهيات الأنبياء والأولياء من المراتب ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من سماء الأحدية بالنبوة الذاتية إلى سائر الأعيان، أنا مدينة العلم وعلي

بابها، فعلي هذا الخلافة الذاتية إنما هي لعلي كرم الله وجهه ولذا نصبه في غزاة، حمل خليفة كما مر في تفسيرها إشارة إلى هذا السر، ولذا ختمت خلافة الحضرة الختمية عليه، وابتدأت الولاية ظاهرًا وباطنًا، ويختم أيضًا باطنًا وظاهرًا في آخر الزمان في الصورة الجمعية المهدية كما قالَ أنا الذي في سالف وآخر خارج في آخر الزمان ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ بحق الرسالة والبلاغة ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: 67] أي في الأطوار في مقتضيات الأدوار من أعيان كل دورة وأكوار أنه مذكورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 67] الساترين بحجاب فتعودهم ونقاب حدودهم التيه الدائر في الكل السائر بالكل الساتر للكل في تمام المناهج وعموم السبل.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي ديني بل دنياوي يعتد به ولا يصح أن يقال لغيره شيء لكونه باطلًا ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟﴾ أحكام ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ومن إقامتهما الإيمان بمحمد والإذعان بحكمه ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من الكتب السماوية والصحف الربانية بأنها بأسرها تأمر بالإيمان بمن ادعى النبوة وصدق المعجزة وخرق العادات ويحكم بوجوب الطاعة وبلزوم المطاوعة له ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ جهلًا وعنادًا ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 68] مشتق من أسى يأسى مجزوم أي لا تحزن ولا تتأسف عليهم وعلى إنكارهم وتوليهم وإعراضهم عن الحق ذلك عائدًا إليهم لاحق بهم لا إليكَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ ومالوا في الظاهر ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ رفع بالابتداء وحذف خبره والصابئون ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ حكمهما كذا فلا يجوز عطفه على كل اسم لأنه مشروط بالفراغ عن الخبر ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ظاهرًا وباطنًا أو بالعكس ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [المائدة: 69] أي عملًا يصلح لأن يقع في حيز القبول عند

الله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ خبر والفاءَ لتضمنه معنى الشرط ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69] وهذه الجملة خبر إن.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوحيد والنبوة وإجراء أحكامها وتصديق محمد في نبوته وبكل ما جاء ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟﴾ عيسى ومحمد ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: 70] زكريا ويحيى وجرجيس روى أنهم قتلوا في يوم على رؤوس الملأ في الأسواق ثلاثمائة نبي وإنما جيء بالمستقبل بقصد الاستمرار يعني أن هذا الأمر ثابت لهم في كل حين غير مفارق عنهم.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَحَسِبُوٓا۟﴾ وظنوا ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ وتوجد وثبت لهم ﴿فِتْنَةٌ﴾ وعذاب وبلاء في الدنيا والآخرة ﴿فَعَمُوا۟﴾ من العماءِ وهي فقدان البصر والرؤية ولم تنصرف الفتنة وما يقتضيها ﴿وَصَمُّوا۟﴾ عن سماع الحق في بعض الأوقات ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي على النبي كعيسى عليه السلام ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ﴾ مرة أخرى وكَرَّةً غير الأولى حين بعث محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 71] من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ بعيسى حيث قالوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ [المائدة: 72] وهم الملكانية والدار يعقوبية منهم.

والحال أنه ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ

بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ التي هي دار المؤمنين وغار الموحّدين والعارفين المحققين المتجردين ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ على أنفسهم وعلى غيرهم ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72] متباعدين بهم فيما يقولونَ لبعده واستحالته عن قانون الفعل الصريح والنظر الصحيح والفكر الجريح.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ يعني المرفوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73] فإنهم يقولون الإلٰهية مشتركة من الله ومريم وعيسى لقوله تعالى ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116] وأما من قالَ إنَّ الله عزوجلّ ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلٰهية لا يكفر لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: 7] قالَ النبي ﷺ: «**إن اللّهَ ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه وإذا خانَ خرج من بينهما**»، وقالَ أيضًا لأبي بكر: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 73].

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ أي توبوا وارجعوا عما اعتقدتم وقلت ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ فإن الاستفهام قد يكون بمعنى الإرسال وبمعنى الأمر ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ أفلا تعلمون أن اللّهَ يأمركم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم والذنب الجسيم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 74].

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إلا بشر مثلكم ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ٨

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ أي بلغت في مرتبة الصدق في الغاية ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ مثلكم ومن كان مثلكم يتصف بالنعوت البشرية والناسوت العنصرية فلا يستحق الألوهية ولا يستلحق الربوبية وإلا يلزم التحكم ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الواضحة الدالة على التوحيد والتفرد والتفريد ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المائدة: 75] يضربون عن سماع الحق وينحرفون عن تثبته وقبوله.

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾

﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا﴾ من عيسى شيئًا لا يستطيع أن يضركم مثل ما يضركم به الله أحد من البلايا والغيبة والمصائب في الأنفس والأموال ﴿وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾ مثل ما ينفعكم الله به من صحة الأبدان والسعة في الأموال والرزق ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ يسمع المناجاة الخفية والمناغات الروحية والنجوى العقلية والسر المعنوي من الفؤاد والطور السري ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [المائدة: 76] بالضمائر وخفايا السرائر وخبايا الضمائر والأشياء العدمية.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ لا تبالغوا فيما ورد من الله وينزل ما فيه صلاح دينكم وفلاح دنياكم وعقباكم ولا تجاوزوا عن الحد اليسير إلى السد العسير ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ حال كونه ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ من مفتريات أنفسكم من متخذات رأيكم وهواء نفوسكم، وأما إذا كانَ على طريقة الحق والصواب فهو محمود، قيلَ الخطاب لِلنصارى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ وصاروا ذا ضلال وأولات جهالات ﴿مِن قَبۡلُ﴾ نعتِ محمدﷺ ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ من الحق ﴿وَأَضَلُّواْ﴾ نفوسهم ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] وهو الإسلام ودين الحق والطريق المستوي، والحَكَم العقل أو الشرع أو كلاهما، وهو الفعل المتحد المؤسَّس بآداب الشرع وأحكامه وآداب الدين.

إشارة وتأويل

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [المائدة: 68] أي الأعيان، الأدوار النورية الجمالية الإفرادية والمتضاعفة حسب تضاعف التجليات وتعاطفها حتى تقيموا التوراة أي حتى تستوفوا أحكام النبوة وأعلام الولاية، أو مقتضيات جمعية المولود الإنسي ومرتضيات المولود الجني الإبليسي وحتى يعدلوا القوة النظرية والعملية ويجودوهما عن ملابسة الوهم والخيال ومناسبة التقليد والعادة والجلال ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ [المائدة: 68] أي من مقتضى ربكم آنًا فآنًا من مرتضى ضمان الحال، والضمان الحاضر ومقتضى الوقت الدائر تارة والدائر أخرى، كما قيلَ الصوفي ابن الوقت على ما يقتضيه فرداريّة جمعية حكم الجمال المتعانق بالجلال المتلاحق بالوقت الحاضر والآن الدائم الذي هو مجمع الأزل والأبد كما قالَ النبي ﷺ: «**ليس عند ربكَ صباح ولا مساء**» وهم المعين بالأبد الدائم.

وأما إذا اعتبرت جمعية مقتضى الجمال والجلال في أحدية الجمعية القلبية الحاكمة على الظاهر والباطن ومطلق الوقت فأنت تحكم على جميع أعيان الأدوار النورية وتمام الأكوار الظلية الكائنة في مطلق الوقت وما يتبعها من الأسرار الإلٰهية وخصائص مقتضيات الأدوار الربانية من التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية وما يتفرع عليها من الحكم والمعارف الظاهر على مقتضى الأوقات، ولذا قيلَ الصوفي ابن الوقت لكونه حاكمًا عليه بل على الكل وليزيدن كثيرًا منهم ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الرعد: 19] في فرداريّة حكم الجلال الضمني طغيانًا وكفرًا في فناء في اللّٰهِ وبقاء بالله في فرداريّة الجلال الضمني الذي صار صريحًا ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 68] الساترين لأطوار أنوار الجمال والسائرين في أسرار الجلال، أما في سراجة فرداريّة دورية في ضمير دورة النور والجمال، فإن العارف الثابت في فرداريّة النور والجمال ربما يسير بدور بمرتبة فرداريّة حكم الظل والجلال الضمني، كما يدور ويسير في العوالم الخفية الباطنة والآخرة الكامنة وهو في الدنيا وعالم الملك والشهادة، فإذن هو قد أحاطَ بالدنيا والآخرة وتجاوز عن ظلمات الإمكان وكثافة مقتضى الزمان والمكان واعتدى عن غياهب الكيان ومآرب لطائف الإحسان قطعي الإنسان ونفي في طور العرفان، فإن تحقق بنعوت الرحيم وجبروت الرحمٰن، كل

شيء جاوز حده انعكس ضده فتعدى عن الطور البشري إلى الدورة الإلٰهية، والكفر بالغير المتناهي وهو الكفر الحقيقي الجمعي الذي ستر وكفر وأحاطَ بالكل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في الطور الخفي صاحب التجلي الأسمائي في فرداريّة فرداريّة الدورة العظمى النورية الجمعية الإفرادية بالتجلي الذاتي الظاهر بالذات المظهر لسائر التجليات الأسمائية السائر في جميع الأعيان في تمام الأدوار وعموم الأكوار الساتر لسائر الأطوار وسائر الأنوار في الدورة الأولى الوجودية النورية الجمالية ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ ومادوا من الحضرة الأحدية الجمعية إلى الواحدية والحضرة العلمية والطور الخفي في الدورة الثابتة النورية الوجودية الجمالية، والصابئون المائلون إلى الطور الروحي ذي التجلي العقلي التكويني، والإبداعي في الدورة الثالث النوري ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ في الطور السري صاحب التجلي الآثاري في الدّور الرابع الأصغر من الأدوار النورية الوجودية الجمالية الصريحة ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: 69] الذات الجامعة لجميع الأشياء والصفات الذاتية.

قالَ الشيخ أبو العباس البوني: إن الأسماء الحسنى خمسة: أسماء الذات، وأسماء الصفات، وأسماء الأوصاف، وأسماء الأخلاق، والأفعال، وعندي الأسماء كلها بعدًا لأنه قد انحصرت على سبيل الاستقراء والتتبع التأثيرات والتصريفات على ستة أقسام، أما أسماء الذات الثبوتية فثلاثة: الله لا إلٰه إلا هو، أما السلبية التنزيهية فهي سبوح قدوس سلام هو، وأما ما كان بخصائصها هي الفناء في الله والبقاء بالله والكلية والتحقيق بالذات بتمام الأسماء، فمن دخل في الخلوة وواظب على ذكر لا إلٰه إلا الله مخفيًّا في الخلوة فقد شاهدَ الذات بالعنوان الذاتي بنعوت أحدية ووجوه ذاتية.

قالَ في التوراة في السِّفر في شأن محمد ﷺ وأمّته: فما زال حتى تقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا إلٰه إلا الله ويفتحوا عينًا عمياء وآذانًا صماء وقلوبًا غلفًا فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مواطأة القلب حتى تكون الكلمة متأصلة في قلب مزيلة لحديث النفس، وثبوت معناها في القلب عن كل حديث النفس، فإذا استكملت واستولت الكلمة وسهلت على اللسان شربها القلب، فلو سكت اللسان لا يسكت القلب ثم تتجوهر في القلب وبتجوهرها يسكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها لتجوهرها، ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر

حديث ذكر الذات، وهذا الذكر هو المشاهدة والمعاينة والمكاشفة عن ذكر الذات هذا هو المقصد الأقصى للأسماء الذاتية وهو:

مطلب فائدة كلمة التوحيد

القسم الأول: من الأسماء الصّم.

القسم الثاني: أسماء الصفات ومجموعها سبعة العليم الحي القدير المريد السميع البصير المتكلم.

القسم الثالث: أسماء الصفات الأفعالية والأوصاف بما فيها من دلالات الصفات الذاتية وهي خمسة وخمسون[1]: 1 ـ العليم، 2 ـ علام الغيوب، 3 ـ القاهر، 4 ـ المقتدر، 5 ـ الحكيم، 6 ـ الخبير، 7 ـ الواحد، 8 ـ الأحد، 9 ـ الفرد، 10 ـ الصمد، 11 ـ الأول، 12 ـ الآخر، 13 ـ الظاهر، 14 ـ الباطن، 15 ـ المالك، 16 ـ الملك، 17 ـ القدوس، 18 ـ السلام، 19 ـ الحق، 20 ـ القيوم، 21 ـ القائم، 22 ـ الرب، 23 ـ المولى، 24 ـ المجيد، 25 ـ النور، 26 ـ الرفيع، 27 ـ الجميل، 28 ـ الغني، 29 ـ العلي، 30 ـ الواحد، 31 ـ الدائم، 32 ـ الباقي، 33 ـ المهيمن، 34 ـ المحيط، 35 ـ الشهيد، 36 ـ الرقيب، 37 ـ الحكم، 38 ـ العدل، 39 ـ الرشيد، 40 ـ العلي، 41 ـ العظيم، 42 ـ الكبير، 43 ـ المتعال، 44 ـ الجليل، 45 ـ ذو الجلال، 46 ـ العزيز، 47 ـ الجبار، 48 ـ المتكبر، 49 ـ القوي، 50 ـ ذو القوة، 51 ـ المتين، 52 ـ الشديد، 53 ـ القاهر، 54 ـ القهار.

القسم الرابع: أسماء الأخلاق وهي ثلاثون[2]: وهي 1 ـ الرحمٰن، 2 ـ الرحيم، 3 ـ اللطيف، 4 ـ الحليم، 5 ـ الرؤوف، 6 ـ الواسع، 7 ـ الودود، 8 ـ الصادق، 9 ـ البر، 10 ـ المؤمن، 11 ـ الشاكر، 12 ـ الشكور، 13 ـ الحميد، 14 ـ الغفور، 15 ـ الغافر، 16 ـ التواب، 17 ـ القريب، 18 ـ المجيب، 19 ـ المقيت، 20 ـ النصير، 21 ـ السريع، 22 ـ الوالي، 23 ـ الحفيظ، 24 ـ الحافظ، 25 ـ الجواد، 26 ـ ذو الطول، 27 ـ ذو الإكرام، 28 ـ الكريم، 29 ـ الوهاب.

القسم الخامس: أسماء الأفعال وهي أربعون[3] اسمًا: 1 ـ الفعال،

---

(1) كذا بالأصل. (2) كذا بالأصل. (3) كذا بالأصل.

2 ـ الحاسر، 3 ـ البديع، 4 ـ المبدع، 5 ـ الخلاق، 6 ـ الخالق، 7 ـ البادىء، 8 ـ المصور، 9 ـ الفاطر، 10 ـ المبدىء، 11 ـ المعيد، 12 ـ الباسط، 13 ـ القابض، 14 ـ المعطي، 15 ـ المانع، 16 ـ الضار، 17 ـ النافع، 18 ـ الشافي، 19 ـ المعافي، 20 ـ المعز، 21 ـ المذلّ، 22 ـ المقدم، 23 ـ المؤخر، 24 ـ الهادي، 25 ـ المتين، 26 ـ المنان، 27 ـ الوكيل، 28 ـ الكافي، 29 ـ الفتاح، 30 ـ الرزاق، 31 ـ الرازق، 32 ـ المقيت، 33 ـ المحيي، 34 ـ المميت، 35 ـ الجامع، 36 ـ الوارث، 37 ـ الباعث، 38 ـ المحصي، 39 ـ الحسيب، 40 ـ المقسط، 41 ـ المنتقم.

أما الأسماء الآثارية فهي الآثار والرسوم المترتبة على الأسماءِ والأفعال وهي الأعيان والجواهر الصادرة عن الله تعالى بواسطة الأسماء الذّاتية والأفعالية والمعاني والأعراض الظاهرة من أسماء الأخلاق والأفعال كالرحمة واللطف والرأفة والمودة والإحياء والإماتة والمضرة والمنفعة والتصوير وغير ذلك وأعدادها هي إعداد أسماء الأخلاق والأفعال إن اعتبرت كلياتها أن اعتبرت بيانها وأمثالها المتجددة.

كما قيلَ الأعراض لا تبقى زمانين فهي غير متناهية وأما خواص الأسماء الذاتية والأفعالية الأخلاقية سوى أسماء الذات فهي دنياوية وطالب الحق وشهوده ومعارفه لا يلتفت إلى ما سواه من الأسماء والأفعال والآثار، وأما المعارف المتحققة فنظره يعم الكل إذِ الحق هو الجميع ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ بالجمعية الكبرى والكلية العظمى ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من عقاب حكم الجلال الإفرادي ورسم الجمال الواحدي لدخول الجلال في حكم الجمال ومطاوعته فحصل بينهما تصالح فانتفى خوف المخالفة وانطفأ وخوف المباينة والعذاب المترتب عليها ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69] على فوت المناسبة التي تقتضي المحبة والمودة التي هي فعلية السعادات.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ والأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية والماهيات الكونية في بداية كل دورة ومن هذه الأدوار الأربعة النورية الإفرادية والجمعية بينهما ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ﴾ من التجليات الإلٰهية المتعاقبة والمتضاعفة والأركان المنقطعة ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ ولا يناسبه

﴿أَنفُسُهُمْ﴾ [المائدة: 70] واستعدادهم وقابلياتهم البعيدة لعدم حصول شرائطها فريقًا كذبوا من منسوبات النور والجمال وفريقًا يقتلون من مربوبات الجلال إن مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار متطابقة ومتوافقة فإن كانت بينها مناسبة اجتمعت بعضها ببعض اجتماعًا وحسبوا أن لا يكونوا فتنة وعذاب في الدورة الأخرى ومعاقبة في الكورة الأدنى ظنًّا منهم كمالًا وفضلًا وفضالًا أولى منهم لا بعثة لهم ﴿فَعَمُوا﴾ من العمى أي صاروا عميًا وأعمى فانتفت البصيرة عنهم والتبصر بحقيقة الحال وحقية المال ﴿وَصَمُّوا﴾ في هذه الدورة عن الاستماع بمسائلهم ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 71] في الدورة الأخيرة باستماع الشرائط ثم عموا وصموا إشارة الحجب الإلٰهية من النور والظلمة وإلى تفاوت درجات السالكين، فمنهم من رفع الله الحجب الظلمانية من بصيرية فانكشفت له الأدوار الإلٰهية فصارت هذه النار حجابًا بعد حجاب بمشاهدة الأسرار الربوبية، وهذه الأسرار تصير حجب الشهود لأنوار التجليات الآثارية وهذه الأنوار حجب لشهود نفس التجليات، والتجليات بعضها حجاب لبعض، فلا يزال يتردد السالك بين النور والظلمة ورفع الحجاب واسترساله إلى أن يصلَ إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي فحينئذٍ يرتفع عنه فوق العمى والوهم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأَخِرَةِ﴾ [يونس: 63، 64].

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 71] في سابقة الأدوار ولاحقة الأكوار الإفرادية والجمعية الإفرادية وجمعية الجمعية ونشأتها الكلية والجزئية والدفعية والتدريجية والاستقلالية والتبعية لقد كفر الذين قالوا أعيان الطور الخفي الذين قاموا في هذه المرتبة ويعتدوا بالطور الخفي واحتجوا عن الطور الخفي وغيب الغيوب إن الله أي الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات الإلٰهية والكونية هو المسيح بن مريم أي التجلي الأسمائي.

قال (**المسيح**): أي باطن التجلي الأسمائي ووجهه الخفي أو التجلي الذاتي والجمعي الذي تولَد ونشأ وبدأ من مريم كمال القابلية التي هي ظاهر الجلال وإنما كفر وستر (**الوجه**) الجمال (**والوجه**) الجمع الكمالي.

﴿يَبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذراري آدم المعنوي ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ الذات الجامعةَ التي هي ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ بالتقيد بمرتبة من المراتب وطور من

الأطوار ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي جنة الجمعية بين تمام الجنان التي هي نفس الذات بتمام الأسماء والصفات ومعية مرتضيات أنواع الأدوار ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ أي النار التي يقتضيها التعبد بالأمور العرفية أو الشرعية أو السياسية والتقيد بنا في التوحيد والتحقيق ما ينافي التوحيد والتحقيق فهو الشرك والشكّ والافتراء والظلم والإفك ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ المتقيدين ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73] في الوجه الجلالي والجمالي الأفراد والصورة الجمعية أو الحقيقة الكلية التي هي الوجه الجمعي والجمع الكمالي والمراد إنما هو الوجه الإمكاني القائم بالممكن أو الوجوبي القائم بالواجب أو الوجه الجمعي القائم بالصورة النوعية والهيئة الجمعية الإنسانية، فالحق هو الوجه الجمعي الكمالي والكمال الجمعي لا لوجه الفرد الجمالي والواحدِ الجلالي ممن قالَ بكل منهما فهو المشرك ومن قالَ بهما فهو الموحد المحقق ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النُّور: 35] الآية ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 62] واحد من جميع الوجوه ولا وجه لأحد إلا هو سبحانك ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: 87].

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ﴾ ويصرفوا ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التجدد والتعبد والتعدد والتقيد ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ وتمادوا إلى درجة الستر والتجديد وتقلدوا بمرتبة التقليد والتقييد ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 73] مرجع بالقطع والقطيعة من الكمال الجمعي ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ ويتقربونَ نحوَ الله دون انتقال الفرداريّة من دورة إلى دورة نورية من أدوارها إشارة إلى أن الأدوار السابقة معدات الملاحقة وممدات للمتلاحقة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ سائر على ما سبق من خطايا بالدورة السابقة وسيئاتهما ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 74] بإفضال النعم وإنزال موائد الجود والكرم.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا﴾ بشر ممكن ﴿رَسُولٌ﴾ قد بعثه الله تعالى من مدائن فرداريّة الدورة الإفرادية إلى مكة الدورة الجمعية الإفرادية أو إلى الدورة الجمعية ﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ومضت ﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي مقتضيات التجليات الذاتية ومن الإدراكات المتعلق بها المتضاعفة حسب تضاعف التجليات ﴿وَأُمُّهُۥ﴾ أي استعداده وقابليته الكاملة ﴿صِدِّيقَةٌ﴾ أي قريبة

إلى الفعل أي الإمكان الوقوعي أي صادقة القول ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ من التجليات النورية الوجودية الجمالية والظلية العدمية الجلالية. قالَ النبي عليه الصلاة والسلام: «**أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني فإذا مرضت فهو يشفيني**»، هذه الفقرة مما قد أفاضها الله على خلدي لدى كتابة هذا الموضوع.

﴿ٱنظُرْ﴾ بنظر الجمال ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ التجليات الأسمائية في طور الجمال صريحًا ودور مرتضى الجلال ضمنًا خفيًا ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ [المائدة: 75] بنظر الجلالة كرة أخرى ليظهر لك الآيات الخفية والأسرار المخفية واللطائف الخفية وظهر الله به نفحات لطفه السر الخفي بأخفى الألطاف بخفاء مما يخاف اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا نفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب به من يشاء من عباده وسلوا الله أن يسترعوا ربكم ويؤمنوا دعاتكم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75] كيف يتصرفون عن الحق الظاهر إلى الحق الباطن ليشاهدوا آيات الحق وتجليات في مرايا الباطن ومحاليه بصورة الظاهر باطنًا كما كانَ في طور الجمال بشاهده في مرآة الظاهر ظاهرًا ثم ينصرف من الحق الظاهر والحق الباطن إلى الحق الجامع لهما ليعاين الحق بالوجه الجمعي والوجه الخلقي معًا ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى فرقًا وجمعًا شتاتًا ومغانم يشاهد الوجه الخلقي بالوجه الخفي صورة ومعنى ظهرًا وبطنًا قل تعبدون من دون الله في الوجه الجمالي الظاهر ظاهرًا والوجه الجلالي الباطن باطنًا.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ إذ الأفياض تتفجر أولًا منه بتنوع الأحدية الذاتية والأسمائية والجمعية والجمالية والجلالية وتتنوع بالوجه الجمالي والجلالي نفعًا وضرًّا إلا أن الوجه الجمالي وحده أو الجلالي متفردًا بعده غير مؤثر في الظاهر والظاهر معًا ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: 76] بهما ويسمع عنهما أي فصح أنه يسمع منهما ما من شأنه أن يسمع ويعلم ما من شأنه أن يعلم في فرداريّة الجمال وفرداريّة الظل والجلال.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وصاحب الأطوار وطالب الأخلاق وراغب الأنوار ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ ولا توغلوا في ظنكم وتحللكم ولا في الاستكمال مقتضى طوركم وبغيكم غير الحق لا على قاعدة الكشف وفائدة تبديل الأخلاق وتبديل الأوصاف ولا على قانون الشرع والقائل بالجنة والنار والأعراف ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ

﴿قَوۡمٍ﴾ خاص وراء طور مخصوص عاص الجهنم في طور التحقيق قد ضلوا في تعبدهم وغلوا في خصوصية تعبدهم من قبل الوجه الكمالي، وأضلوا من القوى النظرية والمبادىء النفسانية الفكرية خلقًا كثيرًا من الأعيان النورية والجمالية التي خالفته المولودات الجنية التي يترتبها الجلال وأصلها إذ كل طور من الأطوار إذا غلب يحصل سائر الأطوار تابعًا لفعله وطائعًا، وضلوا على ما يرضى طور الجلالِ ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] والوجه الجمعي الإجمالي الجلالي والوجه التفصيلي الجمعي الجمالي إلى الوجه الجمالي الإفرادي والنعت الوجداني إذ كل دور وطور جمال وتفصيل مناسب، والكمال من التحقق إنما هو بالتفصيل لا الإجمال.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ حيث قالَ لهم عند التخلف الاعتداء في السبت اللّهم اجعلهم قردة ومسخوا قردة وقول ﴿وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ لأصحاب المائدة عند عدم الوفاء بالعهد ونقضهم أمره في أمر المائدة اللهم اجعلهم خنزيرًا فصاروا خنزيرًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ أي تسبب عصيانهم وغلة طغيانهم ﴿وَّكَانُواْ﴾ بسبب كفرهم ﴿يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: 78] يتجاوزون الحدّ في بعض العهد ورفض القصد.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾

﴿كَانُوا﴾ وصاروا ﴿لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ [المائدة: 79] ولا يتمانعونَ عن منكر أي ارتكاب المنكر الشنيع وإنما فسر المعصية والاعتداء بقوله وكانوا لا يتناهون ولا يمانعون عن منكر تنبيهًا على أنها عدم نهي بعضهم بعضًا عن المعصية والاعتداء أشد عن نفس المعصية سبَاتًا ما في اللعن لأن في التناهي والتمانع عن المنكر والامتناع عن المنكر والمكروه والمتنكر حسنًا لإفساد وما كليًّا للإفساد فكان تركه وصار بالعكس ﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ صفة منكر يعني لا ينتهي بعض عن بعض عن

منكر ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: 79] مفعول وهو غير مقيد فلا بدّ من إضمار أي غير معاودة منكرًا وعنه مثل منكر أو عن منكر أرادوا فعله ويجوز أن يكون بمعنى لا ينتهونَ ولا يمنعونَ عن منكر فعلوه بل يصرون عليه وفي إيثار التفاعل إشعار بأن النهيَ عن المنكر واجب مشترك بين الكل بأن يمنع بعضهم بعضًا.

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۝٨٠﴾

﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه أو من أهل الكتاب ﴿يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أي يطلبون العون والنصرة من مشركي مكة ويسخرون على النبي ﷺ ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ مرفوع بأنه فاعل لبئس تمادهم إلى الآخرة ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولد منهم والمخصوص بالذمّ وفاعله هو الموصول ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: 80] أي والحال أنهم في العذاب خالدون أو دائمون ثابتون.

﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٨١﴾

﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ من الفرقان إيمانًا خالصًا من غير النفاق وتصوب إليه خلاف وشقاق ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ﴾ جواب لو بمعنى لو كانَ ادعاؤهم الإيمان صادقًا صحيحًا لما صح لهم اتخاذ الكفار ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ وأعوانًا وأخلاءَ وأنصارًا وأصدقاءَ إذ الإيمان الخالص لا يجتمع مع النفاق الخالص ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 81] خارجون عن دينه.

﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢﴾

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾ لكمال تمكنهم في التقليد

ونقصان حكمتهم إلى الصدق والتحقيق ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ عطف على اليهود وإنما أدرجهم في شدة العداوة باليهود لإشعار بأن اليهودَ في عداوة المؤمنين أشد من الكفار والحربي والمشركين، وخلوهم بقرار نفوسهم وخلوهم عن ظلمات جهات التقليد وكدورات نكبات التقييد، بخلاف اليهود فإن نفوسهم مسلية من ظلمات التقليد خالية عن أنوار الإيمان والتحقيق والتأييد ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم﴾ أي أقربَ الناس ﴿مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ [المائدة: 82] لكن عزيمتهم وسهولة إغوائهم وركونهم إلى الإسلام والدين المحمدي لما وجدوا في الإنجيل ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: 6]، لما توفت خديجة رضي اللّه عنها بعد سبع سنين من النبوة بعدَ موت أبي طالب بثلاثة أيام أو خمسة أيام فخرج الرسول إلى الطائف فأقام شهرًا ومعه زيد بن حارثة ثم رجع إلى مكة، فلما أتت عليه إحدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه حسن وحسين فأسلموا فلما أتت ثلاثة وخمسون وأظهرت الكفار والمشركين للعداوة بالمسلمينَ ولم يقدروا بدفعهم ولم يؤمن بعد بالجهاد أحد منهم أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة فخرج أولًا سرًّا إحدى عشر رجلًا وأربعة نساء، ثم خرج جعفر بن أبي طالب بسبعة وسبعين رجلًا إلى الحبشة أيضًا، هذه هي الهجرة الأولى، فلما اطلعت قريش بذلك وجهوا عمر بن العاص لهذا بالهدايا إلى النجاشي ليردهم وقد جرت القصة في آل عمران، ثم هاجر رسول الله ﷺ، وهذه هي الهجرة الثانية ورجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول الله ﷺ أزهى بن أصحمة في سبعين رجلًا من الحبشة وكتب إليه: يا رسولَ الله أشهد إنكَ رسول الله صادقًا مصدقًا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين؛ وكان النجاشي ذا رأي ودهاء وكانَ في محل تقدير علماء النصارى ورؤسائهم.

﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ [المائدة: 83] وإذا وصل الطيار إلى رسول الله ﷺ من سبعين رجلًا اثنان وسبعون من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم الرسول ﴿يسٓ﴾ [يس: 1] إلخ فبكوا وقالوا آمنا ما أشبه هذا بما أنزل على عيسى فأنزلت، وكانت هذه موالاة من أصحاب الصوامع الذين شاهدوا خروج رسول الله بظهوره ﴿ذَٰلِكَ﴾ القرب والوداد ﴿بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾ [المائدة: 82] ومن علماء وأهل

الدرس والتدريس جمع القسيس وهو العالم بلغة اليونان ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عبادًا أصحاب الصوامِع والرياضات جمع راهب كفارس وفرسان وراكب وركبان وقد يجمع على رهابين كقربان وقرابين ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82] من الإيمان يلحق والإذعان به وبما جاء من الرسول والكتاب.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ محمد رسول الله ﷺ ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ أي تسيل بيان لرقة القلب وخشيتهم ومصارعتهم إلى قبول الحق وسماع كلام الله، من فاض يفيض أن يسأل للامتلاء أي امتلأت العيون والدموع فسالت، وكذا إذا امتلأت الأناة فسال من الجوانب الماء من وضع السبب موضع المسبب والملزوم موضع اللازم أو جعل أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض نفسها قصدًا للمبالغة ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ من الأولى للابتداء الظاهر، فاض الدمع مبتدأً من معرفة الحق وناشئًا منه ولأجله ونسبته، والبيانية للتبعيض وللتبيين، أي من بعض الحق فكيف إذا عرفوا كله حال كونهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بالحق وهو القرآن أو بمحمد أو بهما ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 83] أمة محمد ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ من باب ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: 84] المفلحين المصلحين من أمة محمد ﷺ.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وأعطاهم ﴿بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ

﴿وَذَٰلِكَ﴾ الإدخال في الجنة والخلود فيها ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 85] المخلصين المؤمنين الموحدين المجتبين.

روي أن هذه الآيات الأربع نزلت في النجاشي وأصحابه المذكورين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟﴾ من الكفار والذمي والحربي ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ وبينات كتابنا ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: 86].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ قال أهل التفسير: إن النبي ﷺ يومًا وصف القيامة فبكى الناس فاتفق عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون وهم أبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة ومقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وجعفر على أن يترهبوا ويجبوا مذاكرهم ويلبسوا المسوح ويصوموا الدهرَ فسمع النبي ﷺ فمنعهم فقال: «**إن لأنفسكم عليكم حقًّا فلا تبالغوا في إضعافها ومنع حظوظها فصوموا وأفطروا وناموا وتزوجوا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وآتي النساء فمن رغب من سنتي فليس مني** فوعظ الناسَ وقالَ: **ما بال الناس حرموا اللحم والنساء واتخاذ الصوامِع فإن سياجَ أمتي الصوم ورهبانهم الجهاد واعبدوا الله ولا تشركون به شيئًا فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم أولئك بقاياهم في الدارات والصوامع**» فنزلت: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [المائدة: 87] ولا تجاوزوا فتجعلوا الحلال حرامًا وتحلوا الحرام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 87، 88].

إشارة وتأويل

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ [المائدة: 78] اعلم أن الأطوار السبعة القلبية منسوبة إلى الأنبياء السبعة أولي العزم وذوي الكتاب وصاحبي الشريعة، وإلى الأسماء السبعة الذاتية، وإلى الكواكب السبعة السيّارة، فاعتبار التنزل لها نسبة وباعتبار الترقي نسبة أخرى، فالطور القالبي في الترقي وهو ممر نور فلك القمر ودوره، ومنسوب صفة الكلام مضاف إلى محمد ﷺ، والطور النفسي إلى عيسى، وعطارد النصر، والطور القلبي إلى داوود، والزهرة وهو السمع، والطور السّري إلى موسى، والشمس والإرادة، وهو موطن التجلي الآثاري والتجلي الكلامي من الطور الروحي إلى الخليل وفلك المريخ، والتجلي العقلي والقدرة، والطور الجني إلى نوح، والمشتري بالتجلي الإسمائي واسم الحي، والتجلي الذاتي والطور الخفي وغيب الغيوب منسوب إلى آدم وزحل، واسم العليم.

وإن لكل واحد من الأطوار والأنبياء مخصوصة وأعيانًا منصوصة وإن لكل نبي اتصالًا إلى أمته بحسب المعنى وبالمعنى وإن كل بلية ابتلى الله تعالى بها ذلك النبي يؤثر في إصلاح النبي وأمته ويمدهم في الاستكمال، وكذا أمر الله تعالى بلسان فرعون بقتل الأطفال عند ولادة موسى عليه السلام لاستمداد روح موسى من أرواحهم، ولما كان التقليد غالبًا على طباع بني إسرائيل سيما في زمان داوود عليه السلام وعيسى وهو أحد الموانع من الاتصال إلى الجمعية العظمى والتحقيق ما أمر الله داوود ليدعي على أمته بالمسخ ويرتفع الحجاب المانع من الاتصال المذكور، وكذا لما كان الغالب على طباعِ النصارى الإباحة والإلحاد عكس ما كانَ في أمة داوود عليه السلام، وأعظم الاتحاد أن يتعبد المخلوق وتسمى إلهًا أمر الله تعالى عيسى بالدعاء على بعض أمته بالمسخ بصورة الخنازير الذي هي صورة الاتحاد والإباحة، وفي الحقيقة أن لسانَ داوودَ وعيسى هو لسان الله، هذا هو نتيجة قرب الفرائض كما كان العكس نتيجة قرب النوافل «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعَه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي يبطش**» ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: 17].

﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ أي سبب عصيانهم ومخالفتهم الأمر الإلهي ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: 78] ونسب كون الاعتداء وصدوره عنهم.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79] وإنما دفع المسخ الظاهر عن أمة محمد ليبعدهم عن الإفراط والتفريط وتحققهم بالعدالة المصححة لأداء الشهادة على الخلق، ولذا ارتفعت الرهبانية والقطب المجاهدة الشاقة، وتحصل الشهود الكامل والمشاهدة العامة والمعاينة الحاقة لهذه الأمة، وأن غيرهم مع كمال الرهبانية وتمام الغيبية والانقطاع الكلي لهم لا يحصل لهم عشر عشر ما يحصل لهذه الأمة المحمدية من الكمالات الذاتية والأسمائية وشهود التجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية من الفناء في الله والبقاء بالله، والكلية والمظهرية، والتحقيق بالذات بالأسماء والصفات في الأدوار النورية والأكوار الظلية الجمعية وجمعية الجمعية وغير ذلك من الأحوال العجيبة والمقامات الرفيعة الغريبة.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بيان لما يقتضي طباعهم من العدول من الحق إلى الخلق ومن الجمع إلى الفرق ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: 80] في دركات الأدوار وظلمات شؤونات الأكوار إلى أن يرفع الحجاب في التردد في النشآت نقاب العقاب وترفق نتق النفاق ليتحقق التعادل والوفاق.

﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ﴾ ويجتمعون بالإيمان الكامل في هذه النشآت ﴿بِٱللَّهِ﴾ الذات المستجمع لتمام الأسماء والصفات ﴿وَٱلنَّبِيِّ﴾ والتجلي الذاتية ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ من العلوم والإدراكات الناشئة من التجلي الإلهي وتنوعاته وأصناف تطوراتها المتنوعات ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي القوى البدنية والنفسانية ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 81] خارجون عن حد الاعتدال دارجونَ في مدارج القطيعة والبعد وكمال الفرق والانفصال.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ ومخالفة وخلافًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من الأطوار وأعيانها المترددين في تهادي مدارك الأدوار ومحاوي مسالك الآيات والأكوار اليهود والطور النفسي في مرتبة الأمارة واللّوامة والذين أشركوا أي القوى الطبيعية ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ أعني

الطور القلبي المنقلب إلى الطور الروحي لا الطور النفسي ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ في تمام الصور من أصحاب الفكر والنظر ﴿وَرُهْبَانًا﴾ في مقام الفؤاد ومرتبة الطور السري الذي هو مطية التجلي الآثاري والصور الذي هو أشرف التجلي الآثاري وهو الذي يكون بصورة الإنسان الفاضل. قالَ النبي ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة شاب قطط**»، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82] ولا يستكثرونَ بالالتفات إلى ملاحظة كثرة الإدراكات وتطور صور المعلومات.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ أي وصلوا إلى مقام شهود التجلي الكلامي الذي هو من التجلي الآثاري وسمعوا كلام الله القديم القائم بذات الله من كل كلمة كونية وهيئة علنية، القائد لهم إلى شهود سائر التجليات العاليات إجمالًا وتفصيلًا ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾ [المائدة: 83] إلخ، أعين قلوبهم يشاهدون صور ملك الكلمات كأنها أدمعة تفيض من عين أنظارهم لحظة بعدَ لحظة ولمحة بعد لمحة مما عرفوا وشاهدوا تلك التجليات الصريحة والضمنية والشهودات والمشاهدات العينية والغيبية حال كون تلكَ الشهودات والمشاهدات حاصلة وكائنة ظاهرة من الحق الذات المستجمع للكمالات الأسمائية وهي شهود منسوبات كل اسم من الأسماء الذاتية كالمعلومات الذاتية الأزلية والأبدية العينية والغيبية والأحياء والقبول والأرواح والنفوس والمقدورات والمشتهيات والمرادات والمسموعات والمبصرات والكلمات العامة الوجودية والروحية والنفسية والجسدية المثالية والأجرام الفلكية والأجسام العنصرية يقولون باللسان الحالي والترجمان القالي والآثاري ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بما شهدنا مما كان في الفطرة الأولى والنشأة العليا ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 83] أصحاب جمعية الأطوار القلبية وأرباب إحاطة مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية من أمة الحقيقة المحمدية في الطور الخفي لقد تمنّى اثنا عشر نبيًّا أن يكونوا من أمته ومنهم موسى بن عمران وعيسى ابن مريم.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ من هذا كلام أطوار الأنبياء المذكورة الواصلين إلى مرتبة أمة الحقيقة المحمدية وإلى مقتضى طور الخفي المحمدي إشعار بأن الأرواح يشيدون ويكتسبونَ الكمالات بعضهم من بعض الأعلى فالأعلى إلى أن وصلوا إلى الحقيقة المحمدية في المرتبة الأحدية الجمعية ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا

﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يحتمل العطف ودخوله في الاستفهام وأن يكونَ جملة اسمية حالية والحال إن كلما جاءنا من التجليات والمشاهدات والمعاينات وغير ذلك من الأحوال والمقامات ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ فيما رزقه الله تعالى من عطايا شهودات تجليات الذات وغير ذلك من الحالات والمقالات الحالية والحياة المعنوية المخصوصة بأن المخلصين ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: 84] أي الأطوار التي قد اصطلحوا لأن ينخرطوا في سلك مسالك الصلحاء الشاهدين ويحتمل أن يكون المراد نفس الشهداء.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ﴾ التجليات ودرجات الحالات وعلو المقامات ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الأربعة التي هي صورة التوحيد والعلوم الإلٰهية ونور النبوة والإرشاد والتكميل والمحبة الذاتية والولاية والحقائق الإلٰهية ونور المعارف الفطرية الصافية عن كدورات عالم الطبيعية والعلوم المدونة الرسمية الغير الرضيعية، والبال لرتبة الأحكام النبوية التشريعية والتعريضية، وخمر أسرار الولاية والمحبة الذاتية وهذه الهوية العينية وعلى الجمعية من الكل ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا مرّ الأدوار وكر الأكوار ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 85] في الأطوار السبعة القلبية في الأدوار والأكوار الثمانية التي هي مقتضيات الأسماء السبعة الذاتية والذات وهي أبواب الجنات الثمانية بل نفسها والجنات في الحقيقة هي التجليات الأربعة الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية ولكل منها وجهان وجه إلى الحق والذات ووجه إلى الخلق والممكنات فصارت ثمانية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ في الأدوار والأكوار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: 86].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أعيان الأدوار الجمال والجلال في تمام أطوار الأدوار والأكوار على وجه تساوت نسبتهم إلى جميع الأسماء الإلٰهية والكونية العلوية والسفلية المجردة والمادية ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ﴾ في تمام الأدوار وعموم الأكوار والمراتب الكلية والجزئية ولا تجاوزوا عن حد الجمعية الإلٰهية والكونية، إما إلى التأله المحضة والتوحد الصرف أو إلى الإمكانية الصرفة وكلاهما للعبد العارف نقص ونقض الكمال الجمعي والجمع الكمالي جمالًا وجلالًا نورًا وظلالًا، إذ كمال العرفان والعبودية إنما هو في الحقيقة أن الله تعالى

خاطبني: يا أيها الحسام ما تريد مني قلت: يا ربي إني لا أرضى لا بالألوهية المحضة ولا بالربوبية الصرفة ولا بالعبدية فقط، بل أريد منكَ الفقرَ التام وكمال العبودية التي لا تتحقق إلا بالجمعية الإلٰهية والكونية فالعبد العارف في هذه الحالة أن الشطح بأني أكبر وأكبر من ربي بسُنتين على عكس ما قيل: إني أقل من ربي بسُنتين، فهو معذور وذلك الكبر هو الفقر والعبودية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: 87] الخارجين عن الكمال الجني النوري الجمالي الوجودي والجمع الكمالي الظلي الجلالي العدمي وذلك لأن يسبقه كمال قدرته وعموم ناثر قوته بالنسبة إلى المراتب وما فيها من الأعيان والأكوان على السواء و﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [المُلك: 3] من تفاوت، والتفاوت إنما هو في الاستعدادات المقاضة والقابليات المفاضة من تجلي الذات الأحدية الجلالية والأحدية العدمية، فإن كل ما جرى في الأدوار الوجودية والأطوار النورية والشهودية إنما هو ما قدر الله في خزائن ملك جلال أحديته ودفائن كنوز غيب هويته وقسمه في ظلمة جنات أرض آنيته تقسيمة أولية ونسبته علية التي تجلى بها دفعة واحدة وله في بداية كورة الجلال الذي هو مظهر العدم الذي هو مضمون الإطلاق والبحت والتجرد والأحدية واللاهوت واللاّيقين، وهذا هو حقيقة الولاية العلوية، فالحقيقة المحمدية في فرداريّة الكورة الجلالية التي هي عين الحقيقة العلوية كما كانت الحقيقة العلوية بداية في فرداريّة الدورة الجمالية الحقيقة المحمدية.

قالَ النبي عليه الصلاة والسلام: «**أول ما خلق نوري**». فإذا نزلت الحقيقة المحمدية التي ظاهرها النبوة الصفاتية الأحمدية وباطنها الولاية الذاتية الأحدية العلوية على المراتب وبلغ الضمانة في الطور الناسوتي والجمع الكمالي وتميزت النبوة عن الولاية.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ أي حل لكم وطاب عند نفوسكم من الأغذية والأدوية النافعة ليتوفروا عنها إليها وتنكير نيلها وشهوتها لديه فيكون تصرفها فيه على وجه الإثم والطوية وتتم فائدتها ومنفعتها ويعم فائدتها ويجمعها عليها على طريقة الأمم والمجرورين حال من ﴿حَلَٰلًا﴾ قدمت لنكارتها، فأكل الحلال إنما يتم إذا كان ﴿طَيِّبًاۚ﴾ مرغوبًا وطيبًا محبوبًا لا مكروهًا وعنه مهروبًا وشيئًا معيوبًا فالطيب من المتناولات ما هو غذاء وصار مبدأ التوليد المثلي على

الوجه الأبهى لِينشأ به أجزاء المقتدى تشابهًا تامًا ولا يصير مستلزمًا لأمراض مختلفة ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى ومن لم يطلق الرزق على الحرام لم يظهر عنده لذكر الحلال كثيرًا.

فائدة:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يحب الحلو والعسلَ لكمال مناسبة تطبيقية ووفور مقارنة ترضيعية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيدًا للوصية بما أمر به وزادَ التأكيد بقوله ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 88] لأن الإيمانَ به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به عما نهى عنه.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ نزلت: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 87] قالوا: يا رسولَ الله فكيف نصنع بأيماننا الذي حلفنا عليها وكانوا حَلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل الله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ إلخ في اليمين الساقط هو الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه، فعن عائشة رضي الله عنها هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعند أبي حنيفة هو أن يحلف الرجل على الأمر الذي يظن أنه كذلك وليس كما ظن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ متعلق بلا يؤاخذوكم باللغو لكونه مصدرًا ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ ودافع نكثه ومذهبه والكفارة فعالة ومن شأنها أن يكفر الحنطة وبسرها ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل منهم عند الشافعي وعند العراقيين مدّان وهو نصف صاع وعند أبي حنيفة من الحنطة نصف صاع وعند غيره صاع وشرطه أن يصرف إلى مسلم محتاج، وجوز أبو حنيفة صرفه إلى الذمي ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ [المائدة: 89] من غير قوت ما لكم أو من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام

أهله ومنهم من تعين قال البعض: هو الخبز والخل ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ قرأ الإمام جعفر بن محمد رضي الله عنهما ﴿أهاليكم﴾ وهو اسم جمع للأهل كالليالي أو الأراضي في جمع الليلة والأرض وقد يجمع على أهلون كأرضون:

وما المالُ والأهلونَ إلا وديعةٌ فلا بدَّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على محل من أوسط قرأ بضم الكاف كعدوة وغدوة وأسوة وهي ثوب يغطي ويستر العورة عن ابن عباس كانت القباء يومئذ تجزىء عن ابن عمر رضي الله عنه إزار أو قميص أو رداء أو كساء عن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبانِ أبيضان وإن لم يطعموهم يكسوهم بالكسوة ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عند الشافعي قياسًا على كفارة على قتل أما أبو حنيفة وأتباعه فقد جوزوا في الكفارة الكافرة سوى القتل ويجوز أن يصرف الكفارة إلى رجل واحد في عشرة أيام من الطعام ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحدًا منها ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ غير متتابعة عندَ الشافعي خلافًا لأبي حنيفة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89] بترك الحلف أو حفظ اليمين من الحنث إذا لم يكن يمينه على ترك مندوب أو فعل مكروه فإن حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فالأفضل أن يحنث نفسه ويكفّر كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام الشرائع وأحكام الأول والفرائع لعلكم تشكرون نعمه أو نعمته الواجب شكرها فإن مثل هذا التبيين يسهل حكم المخرج.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ أي القمار ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ أي الأصنام والأوثان جمع نصب بفتح النون وسكون الصاد ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ جمع زلم وهو القدح الذي يستقسم وقد سبق في صدر السورة والكل حرام يجب الاجتناب والحذر عنها بالاتفاق والإجماع عليه وإنما جعلها معطوفًا عليها إشعارًا بأنها أم الخبائث بوجوه:

الأول: إنها تُزيل العقل الذي هو مناط التكليف والمميز بين الحق والباطل ولذا قال ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90].

الثاني: أنه جعله مثل الأوثان رجسًا وجب الاجتناب والاستبعاد والتجافي عنه.

الثالث: أنه تعالى جعلهما من عمل الشيطان الذي لا يتأتى منه إلا بشر بالنسبة إلى الحق والخلق.

الرابع: أنه تعالى أمر بالاجتناب عنه.

الخامس: أنه جعل الفلاحَ مرتَّبًا عليه.

السادس: إنها تبيح الوبالَ وهو الوقوع العقائدي والتناغص والتباين والضد والمنع والصّد عن ذكر الله والغفلة عن عباده ويوجب الخطأ في الصلاة وعدد ركعاتهما ويزيل كمالَ التوجه إلى الله في الصلاة وسائر العبادات وتصرف القلب إلى ما قيل من المناهي والمعاصي والمفاسد لما كانَ ميل أكثر الخلائق إلى الدنيا ولذاتها والخمر يميل القلب والنفس إليها وتصرف لديها والنفس التي تميل إلى الله وتنصرف إلى طاعته وعبادته في غاية القلة ونهاية الندرة، اعتبر الشرع الأكثر ولم يلتفت إلى الأقل في الغاية ولم يعبأ به فجزمها الله وأمر بالاجتناب عنها بقوله ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أي الذي هو الرجس ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 90] لكي تصيروا من أصحاب الفلاح وذوات النجاح بالاجتناب عنه كما تقررت أن ارتكاب الخير القليل للشر الكثير شر كثير.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ﴾ بتعاطيها وشربها وتناولها ﴿بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي﴾ تعاطي ﴿ٱلۡخَمۡرِ﴾ وتناولها وأعمال ﴿وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ [المائدة: 91] من باب حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى لف ونشر بأن **الميسر** يمنع ذكر اللَّهَ **والخمر** الصلاة أما **الأول**: فكمال اشتغال النفس به. وأما **الخمرَ** فلتخامره العقل وسترها وهو حجبها عن حفظ أركان الصلاة وضبط عدد الركعات وغير ذلك من مراقبة أدائها وأبعاضها ومحافظة هيئاتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 91] أي انتهوا واحذروا بعدَ الاستفهام والاستعلام بأن الأمرَ في

المنع والتحذير قد بلغ الغاية فانقطع الاعتذار وارتفعت الإرادة والاختيار وانتفى الاعتذار.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ في حل ما أمر به لصلاح العاجلة والفلاح يجيز الآجلة ﴿وَٱحْذَرُوا۟ۚ﴾ عما نهينا عنه وعن مخالفتهما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أو أعرضوا عن الامتثال والانتهاء ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92] فمن اقتدى به فقد اهتدى ومن تولى وأعرض فقد ضلَّ وغوى. قال النبي ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها الله عليه في الآخرة**».

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ من الخمر والميسر لما قالوا نزلت حين تحريم الخمر والميسر لما قال الصحابة: يا رسول الله إن إخواننا الذينَ ماتوا وهم شاربونَ الخمر وآكلون الربا واستلام الأزلام ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك ﴿وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ [المائدة: 93] الشرك الخفي وهو الرياء ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ إيمانًا حقًا وهو أن يرى المؤمنون به كما صرح به صاحب الكشاف في تفسير ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال: 74] نقلًا عن سفيان الثوري والعجب أنه مع هذا تمنع الرؤية ويبقيها، وصرح بأن مَن آمن ولم يرى المؤمن به فقد تحقق بنصف الإيمان لا الكل ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ تمام من حرم الله ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى ﴿وَّأَحْسَنُوا۟ۗ﴾ الأحوال كلها مع الحق في الطاعات وعموم العبادات ومع الخلق في المعاملات بطريق الشرع والعرف والعادات ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93] مطلقًا لإشراك الجميع في الإحسان وهو حال بين الله وبين العبد لا يعلمه إلا الله ولا يعمل العبد إلا ما أرادَ اللَّهُ ورضي به.

إشارة وتأويل

﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 88] قد تقرر أن الأرزاق قسمان **وجودي** نوري **وعدمي** ظلي، فالجلال المنسوب إلى النور والجمال والوجود وطيب الأعيان الدورة النورية الصريحة وحرام على الأكوان الظلية الجلالية الضمنية وهي المولود الجني فإن كانت مخالفة للمولود الإنسي فرزقه لا يناسب المولود الجني وما يلائمه فيكون حرامًا لما علمتَ أن التغذي وصيرورة الغذاء آخر المغتذى إنما يكون بالمناسبة والمشابهة التامة ظاهرًا وباطنًا مزاجًا وقوامًا ظهرًا وبطنًا، وهذه المشابهة والمناسبة لا تحصل إلا بالاستحالات القائمة والانفعالات العامة في الأدوار والمراتب لاستحضار أطوار المطالب وأنوار المآرب فإن الرزق له أربع مراتبَ وأربعة أدوار.

وكذا انحصرت مراتب الارتزاق ومدارك الاستحالات الأغذية في أربعة كما تحقق في علم الطب في باب التشريح: إن الواردَ على البدن إلى أن يصيرَ هذا البدن بالفعل له أربع هضمات:

الأول: في الكبد.

والثاني: في العروق الوريدية والشعرية.

والثالث: في السطوح، فإن الفناء إذا انضم في العروج صارَ مناسبًا للأعضاء والأجزاء من حيث المزاج فانتشر في السطوح وأنبت في الصفوح إلى أن يصيرَ مشابهًا لَها من حيث القوام والمثابة.

والقيام الرابع: في الأعضاء والأجزاء، فصارَ جزءًا منها ومن البدن.

واعلم أن الرزق والغذاء عبارة عما استحالَ وانفصل عن صورته وتعينه ونعته ووصفه وصنعته، تخلل في أجزاء المرتزق وأعضائه إن كانَ ماديًّا ذا أجزاء، وإلا في ذاته وماهيته وحقيقته، وهو في الحقيقة مطلق الوجود.

والوجود له أربع مراتب: **الجبروتِ والملكوت والبرزخ والملك**، فهذه الأمور الأربعة هي أجزاء الإنسان الكبير مطابقة لأجزاء الإنسان الصغير، والناسوت، فأول ما يتغذى ويرتزق هو الجبروت وأعيانها بل المغتذي الأول هو الشؤونات، ثم أعيان الجبروت وهي الأعيان الثابتة، ثم العقول المجردة هي

أجزاء الإنسان الكبير مطابقة لأجزاء الإنسان ففي هذه المرتبة يقال للذات البحت ومطلق الوجود وما يتعين به من الصفات الذاتية كالعلم والحيوان ونظائرها الوجود لا مطلق الوجود، والذات التجأت لتعينه بالتعين الاسمي الوضعي، فمطلق الوجود قد تخلل وانفصل من تجرده وإطلاقه ونفيه وتفرده وتخلل في الاستعدادات الذاتية والقابليات الأولية، وظهر أولًا بالشؤونات الذاتية، ثم بالنعت العلمي بالأعيان الثانية والصور العلمية، ثم ينسب إلى الصفات الذاتية الباقية من الأحياء والمعذورات والمرادات والمسموعات والمبصرات والكلمات، ثم بالصور العقلية وبما يقوم بها من النسب الفعلية والإدراكات الثابتة، ثم ينزل الرزق إلى أن يصير رزقًا وغذاءً للنفوس والأرواح والأملاك والأشباح والأفلاك والعناصر وما يتركب منها إلى مدارك السلاك، فمطلق الوجود، والوجود المطلق في حق كل منها غذاءً لتخلله في حقيقة كل منها، وأما في المركبات فلا بدّ وأن يتركب الغذاء أو البسائط لا يصير غذاء للمركب لانتفاء اكتسابه والتناسب بينهما، فلا نغير الغذاء والرزق بغير اسمه فيقال أن غذاء المركب التام الطبيعة الكلية أولًا للمعادن النباتي هو العناصر وغذاء الحيوان هو المتناسب وللإنسان الغذاء هو النبات والحيوان.

وإذا انتهى الغذاء والرزق في الإنسان في التنزل وصار غذاء له انْعَكَس الأمر وصار الإنسان غذاءً للكل في الترقي والعروج بأن يدخل في العناصر أولًا في الأرض بأن يتخلل فيها وينفد بغير ذا الغذاء في المغتذي ويستحيل إليها صورة ثم يتلطف بالتدريج وينقلب ماءً وهواءً ونارًا يصير فلكًا بعدَ فلك إلى أن ينتهي إلى فلك الأفلاك حالًا واعتبارًا ومآلًا، فإذا تم العروج الجسماني وأخذ في العروج الروحاني والرباني والإلهي بأن انخلع عن جميع هذه التعينات في وجود المطلق، وتحقق به، ثم انخلع عن نعت الأخلاق وصار مطلق الوجود، وصيرورة الغذاء نفس المغتذي وانبسط في نفسه وينعكس الأمر بتبادل الغذاء والمغتذي والرزق والمرتزق، فالرازق والرزق والمرتزق حقيقة واحدة وهي المأخوذ المطلق والوحدة الذاتية كل مطلق الوجود، فمن وصلَ إلى هذا المقام صار جميع الأرزاق الإلٰهية والكونية والنورية الوجودية الجمالية والجلالية العدمية الظلالية جمالًا كان أو ظلالًا عنده وله وإلا فإن يفقد في الأدوار النورية يكون الغذاء

الجلالي العدمي حرامًا عليه وبالعكس.

واعلم أن الرزق الحقيقي وهو التجلي الذاتي بعنوان الذات إنما هو أولًا للشؤونات الذاتية، وبالعنوان الوصفي العلمي للأعيان الثابتة والصور العلمية وبالجنيّ الأعلى والملائكة المقربة والعقول والأرواح والنفوس المجردة للنفوس المدبرة الأفلاك البرزخية والطبيعية الكلية الثالثة والأشباح الخيالية والأرباب النوعية والمثل النورية، ثم الأفلاك الحسية والأجرام السماوية والأجسام العنصرية ثم يصير الغذاء مركب من العناصر الأربعة أولًا للمعادن ثم للنبات والحيوان وينتهي إلى الإنسان، ثم يرتقي إلى ما كان عليه باستصحاب الإنسان فصار الغذاء مغتذيًا والمغتذى على الإطلاق، والإنسان يظل في الترقي ويصير غذاء للكل كما علمت، وأنتَ خبير بأن التجلي الذاتي هو ظهور الوجود، والشهود وإنما هو باطن العلم ولا هوية يستصحبه في السدى في العلم هو غذاء أولى للأعيان الثابتة والعقول والأرواح والنفوس المتعلقة المدبرة الفلكية والعنصرية المعدنية النباتية والحيوانية والإنسانية، فاعلم والتجلي الذاتي في مرتبة الأحدية الجمعية الذاتية التي هي مبدأ الواحدية والجبروت ونهاية الأحدية واللاهوت لا يتميزان إلا بحسب الحال والاعتبار الذي تقربت على الحال، وإنما يتميزان في أثناء الجبروت في الحضرة العلمية، فالتجلي الذاتي في هذه المرتبة إنما يكون بالعنوان الوصفي العلمي وسائر الصفات، وتصير التجلي تجليًا صفاتيًا وأسمائيًا، ويتميز التجلي عن العلم فالتجلي الذاتي للأعيان الثابتة والأعيان البسيطة باطنًا ولاهوتًا والعلم ظاهرًا وجبروتًا والتجلي في هذه المرتبة هو التجلي الأسمائي والصفاتي والعلم الحقيقي والمعارف النظرية بالذات المتعين وتجليته، وإن لم يكن علم بهذا العلم لأنه موقوف الناسوت إنما على ما هي غذاء العقول والأرواح هذا في الطور الخفي.

وأما في الطور الروحي في عالم الأرواح والملكوت والرزق هو التجلي العقلي والمعنوي للأرواح والصوري الظاهري هو العلم الحقيقي والإدراك البسيط الروحاني المتعلق بالعقل والروح والنفس المدبر، وبالطبائع التي هي مبادىء الآثار المختلفة، وبالأرباب النوعية الثابتة في عالم البرزخ، وهي أصل الأشخاص ومبدؤها والمثل النورية التي تطبق على صورها في عالم الآثار والملك والشهادة من الصور الجسمانية وأحوالها التي هي على مثالها، وأما

التجلي الآثاري الذي هو مبدأ الصور الجسمانية والهيئات الظلمانية فهو ينتفع بالعلوم المتعلقة بالأجرام العلوية وأحوالها من الحركات والأوضاع والاتصالات الكلية والجزئية وآثارها التي دبرها وعليها بالكواكب والنجوم السيارة والثابتة وهي الحوادث الزمانية وبالأجسام السفلية وأفعالها وخصائصها وطبائعها وبالحكمة الطبيعية والرياضية ويتبعها العلوم الإلٰهية، فإنها متعلقة بالمعاني والمفعولات فهي المنطق أو بالصورة والألفاظ فهي المكاتبة النحو والصرف واللّغة والاشتقاق وغير ذلك.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 88] إيمانًا شهوديًّا وإتيانًا حضوريًّا نوريًّا جماليًّا وجوديًّا صريحًا أو طلبًا عدميًّا جلاليًّا ضمنًا في فرداريّة الجمال أو صريحًا إن انتقلت الفرداريّة من الجمال إلى الجلال ويجمعهما الكمال وهذا النوع من الرزق أفضل أنواع الرزق لتضمنه جميع أنواع الأرزاق وأطيبها وهو مخصوص بالإنسان صورة ومعنى.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ وعهدكم الذي جرى في بداية الدورة التخلق في أثناء السير من الله أو إلى الله أو في أثناء الدورة أو في الأدوار الإفرادية أو في مخالفة المولود الجني المولود الإنسي الجمالي ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: 89] الإيمان في السير في الله ومع الله وبالله في الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية وفي الأكوار المربعة الظلية الجلالية الإفرادية وفي جمعيتهما والمجموع عشرة، وأيضًا أن كل أربعة من الأدوار والأكوار تتضمن العشرة باعتبار اجتماع بسائطها (٣) (١٢) (٤) (١٠) المجموع عشرة، ومن هذا قد تقرر أن المقصودَ من كل دورة وكورة حصول العلم بالمبدأ والمنتهى ومجالبة عشرة وهي العقول العشرة تلك عشرة كاملة فكفارته إطعام عشرة مساكينَ من عمال وزير العقل وهم المشاعرة العشرة الشاعرة أعني الحواس الظاهرة والباطنة، فعلى الإمام العادل، والمرشد الكامل المكمل الفاضل، أن يعدلَ ويسوي بين هذه العمال ولا تبالغ في إضعاف القوى النفسانية وإهمال المشاعر المذكورة فإن كلا منها حقًّا على صاحبها يجب رعايته فمن كان معكم ضعيفًا محتاجًا فعليه أن يصرف إطعام طعام المعارف الإلٰهية والعلوم الكونية إليها بحسب مقتضى الحال ومرتضى المآل وكسوة كساء التقوى عن الصرف إلى المصارف الباطلة، ويعتذر عن السير والسلوك إلى

المبدأ الأعلى والمرتبة المنتهى وتحرير رقبة وتجريد قوة من هذه القوى النفسانية من الشهوية والغضبية والواهمة والمتخيلة والحس المشترك والحواس الظاهرة والباطنة عن الاستعمال والصرف في غير المواضع وعن فضل الصرف والمبالغة فيه ممن لم يجد كل واحد منها ولم يقدر على تركه لضعف حاله فصيام ثلاثة أيام أي إمساك هذه القوى عن مقتضياتها ثلاثة أيام.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ إلا رمزًا ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: 41] الليل فإنه خفي على المتحدينَ إلّا على الراصدين والمجاهدين ولذا فرض فيه صلاة الظهر وجعلَه مبدأً لأوقات سائر الصلوات ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78] واحفظوا إيمانكم أي احضروا وأوفوا واقصروا بوجهكم ومراقبكم عليه ولا تغفلوا عنه طرفة عين كذلك يبين الله آياته في المدارك الفعلية والمعارك النقلية والمسالكِ النفسية والممالك الحسية ومن يتولى اللّهَ ورسوله أعرض عن رضائهما وحكمهما وقضائها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية أي الطور السري والروحي والخفي والحقي الذين هم مجالي ظهور التجليات الذاتية الأسمائية والأفعالية والآثارية ثم الغالبون على الأطوار السافلة أي الأطوار الغالبة والنفسية والعملية ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ أي الطور الجني ﴿وَٱلْمَيْسِرُ﴾ أي الطور العقلي والقوة العملية والنظرية إلى الطور القلبي والسري والفؤادي الذي هو أول مجالي التجليات والميسر هو الطور القالبي الذي هو يلعب جميع القوى والحواس الظاهرة والباطنة أو الدور النوري الصوري الوجودي الجمالي والكور الظلي العدمي الجلالي الإفرادي ﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ [المائدة: 90] أي الطور النفسي المحتوي على القوة الشهوية والغضبية أو الطور القلبي الذي هو مجمع الطور القالبي والنفسي فالتقيد بواحد منها.

﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: 90] لأنه يبعد عن الكمال الجمعي النوري الجمالي والجمع الكمالي الذي يصدق الله على الأول وعلى الثاني الحق ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ [البَقَرَة: 219] ومظهر الحب الإلٰهي الذي يجر الواحدة الذاتية فقط من الوحدات الخمسة وهي الذاتية والصفاتية

والأفعالية والآثارية، والجمعية التي هي المقصد الأقصى يظهر بالصورة الكاملة والهيئة الإحاطية الإنسانية الشاملة، وإنما حرم الله الخمر التي هي مظهر الحب الإلٰهي لأنها تفضي إلى الوحدة التي هي تنافي الصورة الجمعية وتنافي الهيئة الكلية الإحاطية.

رأيت يومًا أن الخمر قد اشتكت إلى الله تعالى عن ظاهر الحقيقة المحمدية بأن حقيقتي وهي المحبة الذاتية التي في الحقيقة هي الحقيقة المحمدية وهو قد حرَّمَني وبعّدني عن المحبين والمحبين عني فأجابَ الله بأنَّ حقيقتك لما كانت في غاية القرب مني اقتضت العدالة أن يكون مظهركَ في الظاهر في غاية البعد وإن كنت تقرب بعض النفوس مني إلّا أن أكثر النفوس تبتعد بكِ مني وإنك إن كنتَ تعني صور الكثرات عن الظهور النفسي والدور القلبي ويجعلهما مجردين عن الصور الكونية ويرفعهما إلى الحالة السابقة خاليةً عن جميع القيود عارية عن مقتضيات الجهات والحدود وقد تفردت بهذه الخاصة من بين الأغذية والأدوية بأنها تؤثر بالكمية والكيفية، والخاصة بأن تجعل صاحبَها في الغاية منظريًا جوادًا شجاعًا، ويتقوى ويتغذى بها شرعيًا يظهر أثرها في بشريته ولذا وصفها بصيغة منتهى الجموع بقوله ومنافع للناس.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ولكل ما جاء به الأنبياء والكتب والصحف والزبر ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ﴾ وتأخذه وتصيبه ﴿أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ نزلت في الحديبية (إسلام تعالى) محرمين بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم ازدحامًا وكثرة بحيث يتمكنون من صيدها فأخذوا بأيديهم وطعنوا برماحهم ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ﴾ ويتحاشى عن صولة غضبه وسخطه، ذكر العلم وأرادَ لازمه، وهو الثمر أو المعلوم أو الظهور ويجوز تقدير المضاف، أي ليعلم عباد الله أو يتميز عندهم من يخافه ممن لا يخافه لضعف قلبه ووهن عقيدة غيبه ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ وتجاوز عن حكم الله واصطادَ بعدَ تحريم الله الصيد واصطياده ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: 94].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ محرمون جمع حرام والصيد ما يؤكل لحمه غالبًا لقوله عليه السلام: «**خمس ليس على المحرم في قتلهن جُناح: الحدأة والعقرب والغراب والفأرة والكلب العقور**» ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ ذاكرًا لإحرامه عالمًا لتحريمه ﴿فَجَزَآءٌ﴾ مرفوع منون كمثل أو مضاف إلى مثل يعني فقتله جزاء هو ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أصله ذوان تثنية لذو وجمعه ذوون أي رجلان ذوا عدل أي يعدلان يحكمان بوجوب الجزاء بأن يقتل من النّعم مثلَ ما قتل من الصيد وينبغي أن يكونا فقيهين عالمَين بالمثلية بالخلق لا بالقيمة. وفي الكشاف: فيه دليل على أن المثلَ بالقيمة لأن التقوم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المساعدة وعن قنيصة أنه أصابَ ظبيًا وهو محرم فسألَ عمر فشاور عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه ثم أمره بذبح شاة وكذا من قتل بقرةَ وحش فعليه بقيمة بقرة مثلها في البقرة والشكل واللون ويكون الرجلان العدلان منكم مسلمين ﴿هَدْيًۢا﴾ يكون ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ صفة هديًا لأن إضافته لفظية لا حقيقية أي يبلغ ويصل ذلك الهدي بالكعبة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ بالرفع عطف وإن نصب جزاء فخبر مبتدأ محذوف أي هو يجزي جزاءً ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ بالرفع بيان أو بدل من كفارة ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور أي مثله وما يساويه من الدراهم والدنانير ويصرف ذلك إلى الفقراء في الحرم يعني أنه مخيّر بين قتل النعم وبين تساويه من القيمة بالدرهم والدنانير وهو بالطعام ويتصدق بالطعام أو يصوم ﴿صِيَامًا﴾ أو يتصدّق عن كل يوم مدًّا ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ﴾ أي جزاء معصيته ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ ومضى في الجاهلية ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ورجع إلى ما فعل أولًا ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ آجلًا وعاجلًا ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: 95] لا كفارة عليه وأكثر العلماء على أنه يجب الكفارة المذكورة.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أي لا يعيش إلا فيه لانتفاع فيه كسمك وحدُه عندَ أبي حنيفة وعند أبي ليلى كل ما يصاد فهو حلال كله لقوله عليه السلام «**هو الطهور ماؤه والحلّ ميتته**» وعليه الشافعي وغيره، مثل السمك وأكل ما يؤكل نظيره ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ أي ما قذفه إلى الساحل حيًّا وميتًا قيلَ الضمير يعود إلى الصيد وطعامه أي أكله ﴿مَتَٰعًا﴾ منتفعًا ﴿لَّكُمْ﴾ ومتمتعًا نصيبه لغرض ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ منكم ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ وما صيد فيه أو الصيد فيه فعلى الأول يحرم على المحرم أيضًا ما يعتاده الحلال وإن لم يكن له مدخل فيه والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم يصاد أو صيدَ لكم ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: 96] يعني صيد البحر حلال للمحرم كما هو حلال لغير المحرم أما صيد البر فحرام على المحرم وفي الحرم.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ سميت بها لتكعبها فكل بيت يكعب مربع ومخمس ومسدس أو لارتفاعها من الأرض وأصلها الخروج والارتفاع والنبو ولذا سميت الكعبة كعبًا أو لكونه مأمنًا لكل من دخل فيها وحرم صيده وقتله ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطف بيان للمدح أو المفعول الثاني لجعلَ لحرمتها وعزتها في نفسها لكونها بيت الله بناه نبيه وخليله ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ انتعاشًا لهم وسببًا لانتعاشهم في معادهم ومعاشهم كل خائف وعائف ويعود فيه كل قاعد وطائف ويأمن فيه كل ضعيف وقوي وجسيم ونحيف ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار أو لقيام أمر الدين والدنيا فيه ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قد تيسرها في صدر السورة وتكررها في الكتاب إشعار بتكرار الحاجة إليه والشهر الحرام الذي يؤدي فيه الحج ﴿ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: 97] يحتمل المذكور أو حفظ عزم الحرام أو غيره

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإن في تشريع الأحكام وتفريع الأعلام بالأعلام فائدةً وغرضًا لدفع المضار وجلب المنافع والمسَّارِّ وإشعارًا إلى كمال حكمة الشارع وتمامية قدرته وعموم تعلق إرادته ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 97].

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 98] وفي هذا التعميم للعباد تعليم بأن العلم عام متوقف عليه الخلق والإبداع والاختراع وذلك بالاختيار وبالإرادة والأخيار.

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الطور القلبي في مقام الصدر ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ من الإدراكات النظرية والعلوم الفكرية ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ [المائدة: 94] وقوة اكتسابكم وقدرة استدلالكم ورماحكم أي حدسكم وحسن تفرسكم ليعلم الله ويظهر أنه عالم بما كانَ وبما يكون، وبحال من يخافه ويعلمه بالغيب أي بالنور الإلٰهي الذي ودعه في القلب، وبه ينكشف أسراره ويتشعشع أنواره وبأن المستدركَ هل يتفطن ويخاف ويميل بأن اللّهَ يعلم حالَ المستدل وتوقعه على الانتهاض إلى الطالب وينتقل منها إلى ما يناسبها من المبادىء التصويرية والتصديقية ومن المبادىء الإلٰهية ومنها إلى شهود تجلياته ومعارج مشاهداته ومدارج أنوار مجاهدات النفس بمعاينة أسرار ظهوراته واستغناء أنواع هذه المشاهدات وأجناس ثمرات صنوف المجاهدات يقضي إلى انكشاف أسرار الربوبية والخفايا الإلٰهية، ولذا قال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] بكلا الطرفين.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ وتجاوز من هذه الحالة التي هي المطلب الأعلى إلى التوجه إلى نفسه والإدراك والعلم والإعلام والاستعلام والكمالات العلمية إلى حوله وقوته بعد ذلك العلم المذكور ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 94] في التردد والتشكيك والتوهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾ في الطور السّري ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ﴾ المذكور اللازم للدور النوري الإفرادي ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 95] متوجهونَ إلى كعبة الجمعية القلبية أو إلى كعبة بيت الله وهو القلب الفؤادي والطوري السري أو

الكعبة خدمة المرشد الكامل المكمل الفاضل وشرف صحبته إشارة إلى أنه لا منافاة بين العلم النظري الاستدلالي الذي هو في الحقيقة تجلي علمي والتجلي العملي فإن كمال الجمعية القلبية وتمامية الإحاطية الغيبية الأطوار المتخالفة، وارتضاءات الأنوار المتعاطفة المتخالفة الألوان المختلطة الأعيان بحيث لا يحجب الاختلاط التميز الشخصي بل النوعي، فإن أنواعَ المصابيح الكثيرة وشعاشع لوامِع المشاعل الكبيرة، وأضواء المضيئات المتكثرة فيم وضع واحدة إذا اختلط بعضه ببعض يتميز بعضه ببعض، شخصًا وصنفًا ونوعًا وجنسًا، جزءًا وكلا، بسيطًا ومركبًا إذ يصل علم المعارف لمكاشِف بعلم الله وقتي علمه فحينئذٍ لا يخفى عليه خافي وتتميز عنده هذه الأنوار والأضواء المتمازجة بعضها ببعض أفواجًا وأصنافًا وأشخاصًا ألا يرى أن العناصر الأربعة إذا انحلت وانفصلت في المركبات ورجع كل منها إلى حيّزه الطبيعي وأصله النوعي كيف يجمع الله تلكَ الأجزاء ثانيًا بلا زيادة ونقصان، وإن كان بعضها في الشرق وبعضها في الغرب ويركّبها ويرتب بعضها ببعض ويعيد الروح إليه عند عود الوضع الدوري وكور البضع الكوري إلى الحالة الأولى، هذا من شمس الفرقان إلى الحالة الأوسط.

وبيان العلماء الدّائر مع الله الباقي بالله العالم بعلم الله المتحقق بالله في الجمعية العظمى البالغين في أطوار التجليات المتنوعة وأدوار الظهورات المتفاضلة المتفرعة في حد الكمال الجمعي النوري الجمالي والجمع الكمالي الظلالي الجلالي لا السالكين أو المنتهيين المتقيدين بمرتبة رتبة أو بمقتضى اسم وصفة ولا المتقلد بنعت رسم.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ بتحميل المشاق عليه وتكليف الارتياض الراقي لديه وصرفه عن مقتضى طوره لا إليه ﴿فَجَزَآءٌ﴾ أي فجزاؤه وعوضه وبدل منه ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي من الصفات الحميدة والأخلاق المرضية الشهوية الحيوانية مثل القناعة والعفة والشجاعة وغير ذلك فإن هذه الأوصافَ إذا كانت عند السالك مقصودة بالذات معدودة من الكمالات فينفيها، وعدم الالتفات إليها أولى بل أوجب وعلى الصيرورة حجابًا هو أتم وأعلى وأهم وأبهى ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: 95] وهما القوة النظرية والمعدلة عن الأحكام الوهمية والأعلام الخيالية والقوة العملية المزكاة عن الأغراض والأعراض الكاسدة والأمراض الروحانية

التي هي الجهل المركب أردأ أمراض النفوس، والحال أنه يهدي تلك الكفارة هديًا ويجعلها هديًا يكون بالغ الكعبة الجمعية والهيئة الكلية والنعت بالمعية الأصلية والفرعية كل ظهر ويظهر في الوجود بين الجواهر النورية والظلية والإلهية والكونية والأعراض والمعاني الكلية والجزئية فهي والغيب والشهود فهو لحكمة جليلة ونكتة جزيلة لا يعلمها إلا الله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عِمرَان: 7] وهم المرشدون الكاملون المكملون فإنه إذا نظر في حال المسترشد ووجد نفسه قانعة عفيفة مانعة لفضول الشهوات كريمة جوادًا شجاعة حكمية ووجدوا القوة النظرية ضعيفة مطروحة غير بليغة إليها ولا إلى اصطيادها من الإدراكات النظرية والعلوم الفكرية ولا إلى الملكات الفاضلة من القناعة والعفة والشجاعة والحكمة المتطاوعة التي هي آثار أنوار صفات القوة العملية المتخلية المنجلية قال على التقييد بواحد منها أو بأكثرها وأجمعها فقد احتجبت في هذه الحالة التي عن شهود التجليات العلمية التي هي أشرف التجليات وأعمّها وأعرفها وأتمها، فالواجب على المرشد في هذه الصورة أن يصرف وجهة السالك إلى كعبة جمعية التجليات الغيبية والعينية والعلمية والحكمية، النظرية والعملية، فلا جرم في هذه الحالة يحكم على النفس بكثرة الالتفات والتوجه إلى أحوالها.

فإن هذه الجمعية إنما تأتي من النفس وكثرة أحوالها فإنها مع تمام أحوالها مرآة بخلوة وآلة مصقولة تنعكس فيها الذات بتمام الأسماء والصفات، ولولاها لظهر التجلي مطلقًا لا وجودًا ولا شهودًا، وشرط الانعكاس ظلمة المراقي داخلًا أو خارجًا أو كفارة ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: 95] أي علوم حصلت من تلك الصفات أو تعلقت بها كالعلم بالمتعلق بالعفة ويكتفيه بكونها أو علم حصل بشرطها وذريعتها، فإن كل واحد من هذه الصفات لو تعلقت بها كالعلم بالمتعلق أما الأربعة مرآة لحصول التجلي بأنواع العلم وهي أربعة:

الأول: التعقل والحضور الذهني.

الثاني: التوهم وهو الإدراك الجزئي الحاصل من المحسوسات كإدراك معنى الصداقة والعداوة الجزئية الحاصلة من إحساس زيد وعمرو.

الثالث: هو الإدراك الحاصل من الصورة الغائية عن حاشية البصر والصورة المنقطعة الملائمة والمنافرة وكدلالة إدراك الحاصل عقيب المشمومات والمذوقات والملموسات.

الرابع: الإدراك الحاصل بالحواس الظاهرة.

فهذه الإدراكات المذكورة هي التجليات التي بذريعة هذه الصفات تنكشف وهذه الصفات هي في نفسها مساكين لا علم لها تحتاج في أنفسها التي هي العلوم المناسبة للصيّاد، أما الأطوار السبعة أو الصفات الأربعة أو الحواس الظاهرة أو الباطنة فعند الكمال الجمعي والجمع الكمالي لا بدّ وأن يكون هؤلاء الصيّادون عند توجههم إلى كعبة الجمع معتزلين عن الاستقلال في الصيد بل لا بدّ وأن يطعن بسلطان القلب، فإن خرجوا عن الإطاعة واصطادوا واكتسبوا العلوم لا بدّ وأن يعوض منهم ما اصطادوا بأن يمنعوا عن الإدراكات، وأن يأخذ منهم الإدراكات المكتسبة مثلًا بالمثل، إن كانت مفعولة بمفعولة، أو مقولة بمقولة، كما قال الله تعالى ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ أي يمسكون إن أخذ العلوم ليذوق وبالَ أمره ﴿صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: 95].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ [المائدة: 96] أي الحكمة الإلهية والمعارف الربانية فإنها لكونها لتمام النفوس الذاتية لا تمنع نفس منها أصلًا ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: 269]. قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام**»، الحديث. ﴿وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ وهو الأفياض الإلهية والأغراض الربانية ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ﴾ إلى الله ومن الله فهذا الصيد حلال من المحرم وعلى الحلال ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ أي العلوم الطبيعية والحكمة الكونية الوضعية التي لا يحصل إلا بالنظر والاستدلال ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ﴾ [المائدة: 96] متوجهين إلى الذات الأحدية الجمعية والحقيقة الكلية المحمدية.

اعلم أن الله شديد العقاب وإن الله غفور للعاصين المذنبين، رحيم للمطيعين المنيبين، وعد ووعيد، فمن انتهك محارمه واعتدى وتجاوز مناهيه والتزم مكارمه واستحق رأفته واستحق رحمته ونعمته ومن تعدى حدوده وتصدى وانتقض عهوده واستوجب العذابَ واستوعبَ.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

و﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [المائدة: 99] لإصلاح أمر الدنيا وإفلاح أحوال الآخرة وقد بلغه على ما أمره فلم يكن لكم مقدرة في ترك المأمورات وارتكاب

المحظورات ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ في أمر الدنيا وحال العقبى ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [المائدة: 99] من أحوالها من حسن الكفاية ووفور العناية والصدق والإخلاص في الطاعة والعبادة.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ﴾ الصادر عن الخبيثي والخبيث ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾ الطاهر الظاهر من المجدّ والحثيث في إدراك الأحوال والأفعال والأعمال والأقوال ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ﴾ وأوقعكَ في العجب والتحيّر ﴿كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾ ولا تعجبوا من كثرة عدد أشخاص الخبث أو من كثرة شرور الخبيث أو من كثرة الخبائث وذلكَ لأن الخبث والفساد والشر إنما يظهر بأدنى سبب بخلاف الطيب فإنه لا يحصل إلا بأسباب كثيرة وجودية لا يتأتى إلا من شخص طابت سريرته وأصابت طويته، وذلك في غاية القلة ونهاية الندرة ألا ترى أن البيت إنما يعمر بأسباب كثيرة في أيام كثيرة وأما تخريبُهُ وهدمه إنما يكون في يوم بل في زمان واحد، فلا تعتدوا بكثرة الخبيث ولا تعجبوا بازدحامه إذ الكثرة تحصل بسهولة وتتفرق بالسهولة، وأما الطيب فلا يحصل إلا بالتعب الكثير فيدوم ويثبت ويقوم في أزمنة متطاولة وجولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى الساعة، فالعامل إنما يعتبر الحق الثالث ولا يلتفت إلى الباطل المتغير ولا إلى الخبيث المتكثر ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 100] بإيثار الطيب على الخبيث واختيار الحسن على العيب، والقديم على الحديث.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالحق الثابت والطيب النابت ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمۡ﴾ تلك الأشياء بكثرة السؤال ﴿تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: 101] وتجعلكم ذا تعب وعناء ونعت وأولي بأس شديد ونار ولهب كما كثّر بنو إسرائيل السؤالَ في شأن البقرة التي أمرهم الله بذبحها وبالغوا في السؤال فلو علموا بما أمر الله به

أولًا تقبل الله منهم بأي بقرة كانت يعني لا يكثروا على رسول الله وإلا لتكثر التكاليف الشاقة عليكم فلو عملتم لشق عليكم العمل بها وإن تركهم لحق عليكم العذاب والأجل، كما أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال: يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى عاد واستكثر السؤالَ فقال عليه السلام: «**ويحك وما يوشك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجب ولو وجب ما استطعتم، ولو تركتكم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم فإنما هلكَ من كان قبلكم بكثرة السؤال واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**».

﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي وقت نزول الوحي ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي تظهر تلك التكاليف الشاقة وتقع مشقة، فإن الرسولَ ﷺ بين أظهركم يوحى إليه تلك التكاليف ما دام فيكم ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ منكم في الزمان السالف ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: 101] قد سألها قوم كثير أي المسألة هذه الأشياء ليقال حقها أن يقالَ عن أشياء قال في الكشاف فإن قلت كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل ثم سئل عنها قلت: الضمير في سألها لا يرجع إلى الأشياء حتى يجب تعديته بعن ترجع إلى المسألة التي دخلَ عليها لا تسألوا يعني:

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ هذه المسألة ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من الأولين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 102] وذلك أن بني إسرائيل يستفتون أنبيائهم عن أشياء فإنه إذا أمروا بها تركوها فهلكوا.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: 103] كان أهل الجاهلية إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر يخرقوا أذنها ويشقوها ويحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء وعن مرعى وكلأ، وإذا لحقها العنى والتعب لم يركبها واسمها البحيرة، وكانَ يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برأت من مرض فهاهي سائبة وجعلها كالبحيرة

في تحريم الانتفاع بها، وكان الرجل إذا عتق عبدًا فقالَ هي سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ يعني إذا ولدت الشياه أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرًا فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ﴿وَلَا حَامٍ﴾ وإذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع عن ماء ولا عن مرعى وكلأ، يعني ما شرع الله هذه الأمور ولا ينهانا ولا أمرنا بالبحر ولا السائب ولا بغيرها ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بقولهم بأن الله أمرنا بها خفية ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 103] الخبيث من الطيب والشهادة من الغيب، فكيف يبين الله لهم الأحكام الإلٰهية بلا واسطة هي وحي ولا ملك، ولا من هاتف وإلهام، ولا خطاب وإعلام بل هم قوم عمي صم بكم مقلدون كبارهم ويتعبدون صغارهم ويتقيدون سرارهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ وتحاكموا ﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الكتاب والوحي والصحف والشرع ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ من القرآن ودين الإسلام والنواميس الإلٰهية ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾ وكفانا في هذه الأمور المذكورة ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ قليلًا توبيخ وتعبير ما بلغ وجه وأشنع طور بأن من كانَ حاله كذلك لا يصح أن يقتدى به ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: 104] سبيلًا ولا قائدًا ودليلًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي الزموها والتزموا عليها واحفظوها أصلًا وإلحاحًا قرأ بالرفع على الابتداء ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ أي لا يضركم ضلالة الضال ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105] أي وقت هدايتكم نزلت لما كان المؤمنونَ يتخيرونَ على الكفر ويمنون إيمانهم.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيها المؤمنون الذين يقرؤون هذه الآية وإني سمعت رسولَ الله ﷺ قالَ: «**إن الناسَ إذا رأوا منكرًا فلم يغيروه يوشك أن**

يعمهم الله ببلائه»، وقالَ أيضًا: «**ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم أمرًا مطاعًا وهوى متبعًا ودينًا وأثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرًا لا بدّ لك منه، فعليك نفسك ودع أمر العوام، فإذا رآكم يأمر بالصبر فمن صبر فيهن قبض على الأجر العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**».

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ في تمام الأدوار وعموم الأكوار في كل الأحوال والأطوار ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 105] وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدًا لا يؤاخذ بذنب غيره ولا تزر وازرة وزرَ أخرى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي الإشهاد وأضافها على الظرف وعلى الاتساع ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ﴾ أي يشهد اثنان لفظ خبره ومعناه إنشاء فاعل الشهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف إذا حضر طرف الشهادة وحين بدل منه وفي إبداله دليل على وجوب الوصية وإنها من الأمور اللازمة لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ من أقاربكم أو من المسلمين وهما صنفان لاثنان ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ عطف على اثنان أي من غير دينكم وملّتكم فحينئذٍ تكون منسوخة بقوله وأشهدوا ذوي عدل منكم، لأن شهادة الذمي لا يسمع على المسلم إجماعًا ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ وسرتم وسافرتم من قبيل ما أضمر عامله بشرط التفسير أي إن ضربتم أنتم فحذف الفعل وفسر بضربتم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ قاربكم الأجل ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ استئناف كأنه قيلَ بعدَ اشتراط العدالة فيهما، فكيف يعمل إن ارتبنا وتشككنا فيهما فقيلَ تحسبونهما بعيوبهما وتصيرونهما للحلف والاقتسام ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: 106] أي

صلاة العصر لأنها كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها ويجوز أن تكون اللام للجنس ويقصد بها التحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفًا في المنطق بالصواب والصدق، وناهيه عن الكذب والبهتان والافتراء والزور والفحشاء ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: 45].

روي أنه خرج هذيل ابن مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن يزيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تاجرين إلى الشام فمرض هذيل وكتب كتابًا فيه تفصيل ما معه وطرح في متاعه ولم يخبر صاحباه وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات، ففتشا متاعه وأخذا إناءً من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشًا بالذهب فأتيا به فأصاب أهل هذيل الصحيفة فطالبوهما بالإناءِ فجحدا فرفعوا إلى رسول الله ﷺ يحسبونهما بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس فاستحلفهما عند المنبر فحلفا. ثم وجد الإناء بمكة وقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي.

﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ أي الشاهدان يحلفان ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ وشككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما إن لم يكونا من ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا تمنن عليهما ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ﴾ ولا تستبدل بالقسم ﴿ثَمَنًا﴾ قليلًا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ﴾ أي المشهود قرابة منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾ [المائدة: 106] فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ صلّى صلاة العصرَ ودعا تميمًا وعديًّا فاستحلفهما عند المنبر باللّهِ الذي لا إله إلا هو إنهما لم يخونا بما دفع إليهما فحلفا على ذلك وخلّى رسول الله ﷺ سبيلهما ثم ظهر الإناء.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي فعلا ما أوجب إثمًا واستوجبا أن يقول أنهما لمن الآثمين من العثور وهو الوقوع على الشيء على أنهما استحقا فعلًا ما أوجب إثمًا لهما بخيانتهما وأيمانهما الكاذبة ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ﴾ من أولياء الميت يقدمان شهادة ﴿مَقَامَهُمَا﴾ هو مقام الوصيين وهو الأقرب ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الإثم وهم الورثة ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ [المائدة: 107] الاحتمال وهو من

الأولى وهو الأقرب أي الاثنان من الورثة يكونان أولى من غيرهما فهما الأقدمان فيها على الأجانب لقرابتهما وهو صفة الآخران ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ في أيماننا وقولنا إن شهادتنا أحق من شهادتهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ وما تجاوزنا عن الحد في أيماننا، وقولنا إن شهادتنا أحق وأولى وأليق وإلى القول أوفق ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 107] الواضعين الباطل موضع الحق، والكذب موقع الصدق وإذًا هي جواب وجزاء، يعني لو اعتدينا وتجاوزنا في الحلف فإذًا كنا من الظالمين المردودينَ في الشهادة، ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أرادَ الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبته أو دينه على وصية، أو يوصي إليهما احتياطًا، فإن لم يجدهما بأن كانا في سفر فآخران من غيرهم، فإن وقع نزاع وشك وريب أقسما على صدق ما يقولون بالتغليظ في الوقت، فإن اطلعا على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف من أولي البيت والحكم منسوخ إن كان الإتيان شاهدين، فإنه لا يحلف الشاهد عند الشافعي لأن أكبر كمن يغني عن اليمين وما عند الحنفي فهو لا يزكي بل يأمر الشاهد بالحلف، وأيضًا لا يعارض يمينه بيمين الوارث إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة، وأما لظهور الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمنه أو لتفسير الدعوى. روي عن تميم الداري وعدي بن يزيد: خرجا إلى الشام للتجارة وكانا نصرانيين ومعهما هذيل مولى عمرو بن العاص وكان مسلمًا وقد مرت الحكاية آنفًا فإن غير مقام عمرو بن العاص والمطلب هي رفاعة السهميان وحلفا ولعلَّ تخصيص الورود لخصوص الواقعة.

إشارة وتأويل

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ شديد العذاب عند عدم مطاوعة أعيان مقتضى النور والظلامية الجلالية العدمية الضمنية التي هي المولودات الجنية الأعيان النورية الجمالية الوجودية الصريحة التي هي المعاملة الإنسية والمناسبة من المولودين فحينئذٍ السعادتان النورية والظلية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ سائر على نتائج الظلية الجلالية ﴿رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 98] مريد لإظهار الخيرات والعبادات النورية الجمالية وإخفاء للشقاوة التي يقتضيها غلبة المولود الجني يقتضيها غلبة المولود الإنسي وعصيانه على المولود الإنسي. وإنما صرح بنوعي السعادة والخيرات وهما المغفرة والرحمة تقدم السعادة بالذات على الشقاوة بالعوض لقوله عليه

السلام: «**أول ما حفظ الله تعالى في الذِّكر الأول: إني أنا الله لا إلٰه إلا أنا سبقت رحمتي غضبي**».

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي التجلي الإسمي الذي هو مبدأ الاختلاف في الأحكام الدينية الوجودية والعدمية التشبيهية والتنزيهية ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: 99] أي إظهار الأحكام المذكورة ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: 213] فاختلفوا لينتفي الإظهار والمرتضى بإبداء مبادئها الاستعدادات الذاتية والقابليات الأولية فهو التجلي الذاتي الذي نسبته إلى الوجود والعدم والنور والظل على السواء فباعتبار الوجه الجلالي تظهر الاستعدادات الذاتية وباعتبار الوجه الجمالي تظهر القابليات الأولية فالأول مبدأ الولاية والثاني مظهر النبوة فبالأول تظهر الثبوتات الذاتية وبالثاني الأعيان الثابتة، والأول مبدأ الأكوار الجلالية، والثاني منشأ الأدوار الجمالية ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ مقتضى الأدوار الجمالية صريحًا ومن الأكوار الظلية ضمنًا ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: 99] على ما تقتضي جمعية الدورة الجلالية.

﴿قُل﴾ يا أيتها الحقيقة المحمدية وخصصها التي هي صور تطورات لبنها الذاتية وهيئات إضافاتها الأولية الجمالية ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ الأول مرتضى الكورة والثاني مقتضى الجمال ولو أعجبك كثرة الخبيث التي هي آثار التخالف اللازم للكثرة الأسمائية الغير المتناهية التي صور الموهومات والخيالات والمنامات وأضغاث الأحلام والألباب الصحيحة والعقول الصريحة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100] بأقسام أنواع الكلمات العقلية وأكمل الحالات الروحانية والمقامات القلبية والمنامات البرزخية عن شموس التجليات الإلٰهية وعين ذلك من الأحوال الغيبية الظاهرة بالأعمال والأفعال والأقوال الغيبية وسائر الحالات الكونية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الطور العقلي ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ وتتوجهوا إلى الوحدة الذاتية والحقيقة المحمدية ﴿عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ أي لا تسألوا بلسان الحال وترجمان الاستعداد في المآل، يعني لا يليق أن يقع السّؤال منكم إلا على وجه يقتضي استعداداتكم الأولية ما يليق بحالكم ويحيق بما توافق بما لكم ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: 101]

إشارة إلى تطور الاستعدادات القريبة بالفعل دون الإمكان الاستعدادي والاستعداد البعيد، والمراد من القرآن هو الفيض الجودي والأثر العلمي الوجودي وعفا الله والله غفور، واقتران الحليم بالغفور إشعار بأن سببَ العصيان والظلم الإفراط والتفريط في أجزاء القوة الغضبية، واقتران الرحيم بالغفور إخبار بأن سبب الإثم هو الإفراط والتفريط هو القوة الشهوية، قد سألها وأظهر تلك المسألة قوم وطائفة من الأطوار فعليكم في الفرداريّة الجمالية والجلالية في الأطوار السافلة في الأدوار السابقة، ثم أصبحوا بل صاروا بسبب تلك المسألة كافرين سائرين حقائق استعداداتهم وشقائق حدائق قابلياتهم.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ أي الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والأسمائية ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ أي الأدوار الأربعة الجمالية والجلالية فإن المقتضي لخصوصية كل دورة وكورة من الأعيان المخصوصة إنما هو الاسم الخاص من أمهات الأسماء الذاتية المستجمعة لتمام المنسوبات الكلية ولجام المردودات الجزئية، والمعلومات والمقدورات والمسموعات والمبصرات والكلمات ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أعيان فرداريّة هذه الأدوار المخصوصة ويفيد بالأحوال والأعمال المنصوصة فاستتروا بنقاب خصوصية اقتضاء طور، وارتضاء دور فحينئذٍ تولدوا بمقتضى دورة واحتجبوا بها على الله الكذب بأن تبيين أحكام كل دورتها هو الذات مع تمام الأسماء والصفات، وأنت خبير بأن مبدأ كل ظهور الكائنات، ومنادي الاستكمال الممكنات وهي أربعة العلم والحياة والقدرة والإرادة، فتأثر هذه الأسماء والصفات إنما هو بالاستقلال دون الاشتراك وهي أمهات الأسماء وحقائقها، وأما الأسماء الثلاثة الأخيرة أعني السميعَ والبصيرَ والمتكلمَ.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 103] لأنهم ما بلغوا مبلغ الفعل الصريح والفهم الصحيح وإذا قيلَ لهم تعالوا إلى ما أنزل الله من أحدية جمعية الذات من التجلي الجمعي والفيض الكلي الدفعي إلى الرسول والطور الجامع لتمام الأطوار.

﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا﴾ أي كفانا في اكتساب الخيرات والسعادات ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي الأطوار المتقدمة النازلة ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: 104] من أنواع التجلي الجمعي المذكور فإن التجليات لا تتكرر ولا

تنقطع بل يتطور طورًا أبعد ويتعدد ويكثر ويتحدد بتحدد الأمثال، فيتحدد بتحد التقرب والاستكمال بتحدد الأغراض، بل الجواهر والأجسام ذوات الأغراض والأعــراض ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ﴾ [النمل: 88] ولا يهتدون إلى طريق مستقيم وإلى رفيق شفيق سليم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي الأطوار السبعة ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ﴾ [المائدة: 105] إشارة إلى أن اللَّهَ تعالى قد خصص بحكمته البالغة كل طور منها بنوع مِنَ الأعمال والإدراكات والعلوم، والعدالة الحقيقة تقتضي أن يلازم كل منها بمركزه الحقيقي ولا يتعدى إلى غيره ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: 1، 3] إلخ. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ [المائدة: 105] وفقد مقتضى مركزه الأصلي إلى أمر آخر غيره إذا اهتديتم وبقيتم على سيرتكم الأولى وإلى الله مرجعكم ومصيركم عند المحشر الأعظم وهو عند انتفاء الأدوار وانقضاء أكوار الجمال وأكوان الجلال كلها. قالَ الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزُّمَر: 53]. وقال النّبي ﷺ: «**لو علم الكافر ما عند اللَّهِ من خزائن رحمته لما قنَطَ من رحمته**» العينية.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ ويخبر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 105] فإن لكل عمل من الأعمال الفعلية والبرزخية والقلبية والنفسية والبدنية ما يستحق نوعًا من الكرامات وصنف من السادات، وفي المسالك باعتبار تجليه بالأعمال الصالحة والأفعال الفالحة يعرج في السماوات أولًا ثم في الهواء العمر الذي كلَّ البدن ويضر في الجسد، ويدخل جنة الآثار وتزكية النفوس، يستعد لأن يعرج إلى فلك عطارد وتدخل في جنة الأفعال وتصفية القلب تدخل جنة الأسماء إلى فلك الزهرة، وبتخلية الطور السري يدخل جنة التجليات، فالأول في جنة التجلي الآثاري، ويعرج إلى استدعاء الشمس بتخلية الطور الروحي تدخل في جنة التجلي الفعلي والشهود الروحي، الجوهر الفعلي المنزَّه عن الصور الوهمية والهيئات الخيالية الروحية ويعرج إلى سماء المشتري وبإفناء النسب العقلية والإضافات الأولية عن الطور الخفي وغيب الغيوب نسبي عن خصوصية وجوده الشخصي والنفس الجزئي، وتدخل في جنة التجلي، فأمر الله كل واحد من الأطوار والأجزاء والأعضاء لأن يستكمل قرار الفؤاد ثم يستكمل بالنسبة الجمعية والوصف المعي.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الطور الخفي ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ أي الزموا الإشهادَ بينكم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ الاختياري ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ أي التذكر من العهود الأولية والقيود الأزلية ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ ويستفاد جهادَ القلب أعني الصدرَ والفؤادَ، وأحزانًا من غيركم أي غير الطور وهما القوة النظرية والعملية قد عدلتا لتصلحا للشهادة ﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ﴾ سافرتم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: 106] الاستعدادية القريبة بالفعل.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ الذي حكمنا به من رد اليمين من الأجانب والأقارب إذ الأوصياء هو أولى وأحق وأليق على وجه ﴿أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾ كانت عليه في نفس الأمر من غير تغيير وتبديل كأنهما توجها ﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ﴾ أي يرد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور نياتهم واليمين الفاجرة الكاذبة، وجمع الضمير لأنه يعم الشهادة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أن تحلفوا أيمانًا كاذبةً أو تخونوا أمانةً ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ الموعظة المانعة والنصيحة النافعة في كل باب ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 108] الخارجين عن رعاية حقوق الحق والخلق وأدائها وردها إلى أهلها.

﴿۞يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ أي شيء صار شيئًا لإجابة أبيكم لكم وماذا الذي رد عليكم قولك حين دعوتموهم إلى توحيدي ذاتًا وصفاتًا فعلًا وقولًا بهم يترددونَ عن حكمكم وينفرون عن دعوتكم فـ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ بحكمة سؤالك إما ناهيًا عن أمر أنتَ فيه أعلم، أو أنتَ أعلم بسبب إجابة الملة والقوم والأئمة والقدوم إليهم ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: 109] إلى أحوال أعيان عالم الغيب والشهادة والشهود وما فيها من الكمال والصحة والفساد والعيوب.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنًى ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ مريم فخاض في تفصيل ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ مر ذكره و﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ صبيًّا ﴿وَكَهْلًا﴾ نبيًّا بعث وهو ابن ثلاثين فمكث في رسالته وتبليغ الأحكام الإلٰهية هذا المقدار ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والخط والكتابة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والفهم والذكاء والفطنة ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ يحتمل البيان على طريق اللف والنشر المرتب ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ وتصور وتجعل منه ﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ بإذني ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ والعمى واضحًا ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ والجذام ﴿بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم ﴿بِإِذْنِى﴾ أحياءً ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ وقنعت ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وصرفتهم حين سميتهم بالقتل ﴿عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ والآيات المعجزات ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بعيسى وأمه ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذي أرانا عيسى من إبراء الأكمه والبرص والجذام ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110] واضح بلا شبهة.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111].

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [المائدة: 112] وهم خواص عيسى أي آلهيتهم، واذكر وقتًا

وزمانًا قال الحواريون ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ خوانًا وسماطًا ﴿قَالَ﴾ عيسى لهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تشكوا في كمال قدرته وقوة تكوينه وإبداعه وخلقه واختراعه ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 112] باللّهِ وبرسوله وبكل ما جاء منه.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣﴾

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾ أكل كرامة وتبرك، لا أكل قوة، وقوة تحصيل. قوة وغذاء ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ وتسكن روعتنا ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾ في دعوة النبوة والرسالة ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا﴾ أي على تلك الدعوى وعلى ما اشتملت هي عليه من التوحيد والتنزيه حدودَ التشبيه والتقديس ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 113].

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ عند وضوح نيتهم وظهور قوة طريقتهم وصفاء عقيدتهم ورأيتهم فيما قصدوا من المائدة ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ﴾ تلك المائدة ﴿لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدل مَن لنا لإعادة العامل أي عند مقدمتها ومؤخرها. روي إنها نزلت يوم الأحد ولذا أخذوه النصارى عيدًا وعظموه ﴿وَءَايَةٗ﴾ دالة على كمال رأفته وتمام لطفه وعموم رحمته وعاطفته ﴿مِّنكَ﴾ نازلة لا من غيرك عطف على عيدًا ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ المائدة ووفقنا على الشكر عليها ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: 114].

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ في إجابة دعائهم وإسعاف مسألتهم ولإعادة بدايتهم ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا﴾ تعذيبًا ويحتمل أن يكونَ مفعولًا به على الاتساع ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ راجع إلى المصدر أو إلى العذاب ﴿أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 115]

عالم زمانه أو العالم مطلقًا لأن هذا النوع من العذاب وهو المسخ بالوجه والخنازير وعبد الطاغوت، وإليك ما وقع في زمان من الأزمنة روي أنها نزلت حمراء بين غمامتين ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم على عيسى فقالَ: اجعلني من الشاكرينَ اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها عقوبة ثم قام وتوضأ وصلّى وتلا وكشف المنديلَ قال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشويّة بلا فلوس ولا شوك بسل وسمّاء وعند رأسها ملح وعند ذنبها خلّ وحولها من أنواع البقول ما خَلا الكرّاسَ والبصلَ والثوم لكراهة روائحها وإذا خمسة أرغفة على واحد منها دهن وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديشة.

فقال شمعون: يا روح اللّهِ من طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ قالَ: وليسَ منهما ولكن اخترعه الله بقدرته، كلوا ما شئتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالَ: يا روح اللّهِ لولا تبين لنا من هذه الآية آية أخرى؟ فقال عيسى: يا سمكة قم بإذن الله فاضطربت، ثم قالَ لها عودي كما كنتِ فعادت مشويَّةً ثم طارت المائدة، ثم عصوا بعدها فمسخوا، قيلَ: كانت تأتيهم أربعين يومًا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء فشكوا وعصوا فمسخوا هذا أيضًا من جملة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾ [المائدة: 101] إلى آخره.

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ﴾ عيسى في جواب الحق ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ أنزهك تنزيهًا من أن يكونَ لك شريك ما يكون وما يليق وما يصح ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ أي قولًا لا يصح ولا يصلح بي ولا لغيري من أولي الألباب مثل هذا القول ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ لأنك عالم الغيب والشهادة ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ من الخفيات ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ وغيب هويتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: 116] قيل ذكر النفس للمناسبة.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ تصريح النفس المستفهم عنهم بعدَ تقديم ما يدل عليه توبيخ عليه لقلة التدبير ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ تفسير الضمير أو بدل منه بدل الكل والبعض إن كان المأمور به أعم ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ شاهدًا حاضرًا لديهم ناظرًا إليهم أو شاهدًا ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ بالرفع إلى السماء والعروج إليه بقولكَ إني متوفيك ورافعك من التوفية أخذ الشيء وافيًا وجميعًا ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾ والموت في الحقيقة نزع النفس والروح من البدن وصرفها إلى المبدأ الأعلى وعالم البرزخ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الله يوفي الأنفسَ حين موتها والتي لم تمت في منامها ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117].

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ﴾ ومخلوقاتك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ بالستر على خفياتهم والتجاوز عنهم سيئاتهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118].

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾ اليوم والوقت ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ﴾ في الأقوال والأحوال والأخبار والأعمال كالمنامات الصادقة والاعتقادات ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ﴾ البيع المذكور ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: 119، 120].

تمت سورة المائدة

إشارة وتأويل

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ﴾ واعلم أن لكل شيء وجهين وجه إلى الله وهو بهذا الوجه وارث، ووجه إلى الخلق وبهذا الوجه مورث ومحتضر على الموت، والشيء بهذا الوجه سائر إلى الخلق ودائر إليّ من الجمع إلى الفرق، وصاحب الجمع إلى الوجهين مقيم ومسافرٌ وغائب وحاضر، فباعتبار ملاحظتهما على الانفراد يكون هذان الوجهان شاهد المسافر وباعتبار جمعيتهما هما شاهدان حاضران وغائبانِ ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي ذلك الشاهد المذكور من الشهود وهو أدنى وأحرى وأجدر وأولى ﴿أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لتملك ما بقيَ من هذينَ الوجهينَ نقود المعارف الإلٰهية ومن أجناس الحكمة الطبيعيّة والرياضية أو تخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم أي انحصر الأمر على هذين الوجهين أخذ المال بالشهادة الداخلية والخوف يرد الشهادةَ لتوهم عدم العدالة فيهما ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وارجعوا إليه، حظرًا من الشهادة الزور، واسمعوا نداءَ الحق الأدنى الأبدي المستمرّ إلى غير النهاية المتعلق بالأمر بالوفاءِ بذلكَ العهد الأزلي والعقد الأولي، بأن يؤدي الشهادة عند الطلب ولا يكتمه، وأن لا تزوِّر ولا تخاينَ والمستودعات وتغيرها من الأمانات ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 108] الخارجين من زمرة أرباب الوفاء.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ أي الأطوارَ الغالية التي هي مطايا التجليات الإلٰهية قد شاهدتها في المعهد الأزلي والمعقد الأولي فيسألُ عنهم من تبليغ الأحكام الإلٰهية التي أخذ الله عنه الميثاق بأدائها إلى أهلها وعن أمتهم وهي القوى النفسانية والبدنية والمبادىء الروحانية بالقبول لها ولرعايتها وحفظها حق الرعاية والمحافظة، فيقول الله للرسل ماذا أجبتم، أي كيف أجابت أمتكم دعوتكم وكيف قبلوا منكم لها طوعًا أو كرهًا قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: 109] في هذه النشأة العنصرية ومرتبة الصورة النوعية البشرية إلا ما علمتنا في النشأة العليا والمرتبة الأعلى والفطرة الأولى، إنك من المعارف الفطرية والحضرة العلمية والتجليات المشهودة في ضمن شهود الحق ذاته بذاته شهوداتك لا بذاته في جانب الأزلي والانقضاء له أبد الآباد أو الظاهرة من الأعمال النفسانية والأفعال البدنية ومبادئها القوى الطبيعية والمبادىء العقلية من غير نهاية ولا تكرر ورعاية عليك وعلى والدتك.

﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ أي التجلي الروحي وهي في الحقيقة التجلي الذاتي بمرآة الروح، ومجلاة ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ [المائدة: 110] الحسّي والمشهد والقوة الإلٰهية، فإن المتكلم هو الله بلسان عيسى في مهد بدنه في بداية الدورة الحسية والرتبة الإنسية، وكهلًا في أثناء إنشائه ووسط نبوته، وشيخًا في آخر النشأة البشرية، ومن الصالحين في الصورة الجمعية من الأفعال البدنية والأعمال النفسانية والأحوال الجنانية، والإدراكات الروحانية، والنسب الفعلية والصور العلمية والحكمة الجمعية بين العلمية والعلوم الحالية والغالبة، والتوراة أي الحكمة النظرية، والإنجيل أي الحكمة العملية المتعلقة بأحوال القلوب وصفاتها الرسمية وملكاتها ونعوتها الإلٰهية، وإذ تخلق من الطين أي وقت تألهك وتحققك بنعت الربوبية والتكوين في مقام وطور التمكين، كهيئة الطير وصورتها وشكلها وهذا الخلق في عالم الخلق وطور النفس والملك والحس. وأما في عالم المثال الذي به تتحقق أكثر المقاصد الدينية والمعجزات النبوية وظهور الكرامات وخرق العادات وعموم المطالب الأخروية كعذاب القبر الذي هو منزل من منازل الآخرة كالصراط والميزان والجنة والنيران وغير ذلك مما يجب الإتيان به لقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، فينفخ عيسى الطور الخفي فيها أي في تلك الهيئة فتكونَ، ويوجد ويظهر ويرى طيرًا بإذن الله وأمره وقضائه حيًّا يطير إلى سماء الأسماء والآثارية، ثم إلى سماء البرزخ، ثم إلى ملك الملكوت وعالم الأرواح والأمر، ثم إلى فلك الجبروت وسماء الأسماء الذاتية وعالم الواحدية والعقول، والملك المعذب، ويبرىء الأكمه والأبرصَ والأعمى أي البصيرة التي عينها الله وخصصها لشهود تجليات الوجه الإلٰهي، فأزال حجابَ العمى عن البصيرة التي هي القلب في إدراك التجليات وشهود الحالات والمقامات كالبصر للنفس في إدراك صور المحسوسات، والأبرص وهو عبارة عن فساد العقيدة ونقصان الاعتقاد، والخسران الذي هو المطاوعة والانقياد فإنه يصرف وجه القلب الذي يلي الذات إلى عالم الإمكان وظلام الزمان وغياهب الحيز والمكان، ويفسد ويغيره بإذني، وإذ تخرج الموتى الطبيعية الآفاقية والنفسية عن قبور الأبدان وأحداث الأعيان، وفي الآفاق والأنفس بإذني وبقدرتي وإرادتي، وإذ كفيت بني إسرائيل القوى البدنية والنفسية والمبادىء الروحية والأطوارالمخصوصة المعنوية

إلى الأطوار إلى الأدوار الإفرادية عنك يا حقيقة المحمدية السارية إلى حصصها التي هي الصورة الجمعية القلبية يهبط إليها إشراقات الأنوار الإلٰهية وينزل لديها شعاشع التجليات الذاتية وجودًا وكونًا وشهودًا، ويعرج إليها المعاني الحقية بملابس المحسوسات ومجالسِ الملموسات التي هي أول ما يتعين من القوى الحساسة من طين البدنية بتكون من الحيوانات، ولا يوجد فيهما من الحواس إلا قوة الملمس، وإذ جئتهم وبعثتَ إليهم لتدعوهم إلى الحضرة الجمعية فما أجابوكَ؟ فقال: الذين كفروا بالله وبكمال قدرته وعموم قوته وهجوم حكمته ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي ما ظهر شيء الحقيقة المحمدية التي بعثت في النشأة العنصرية بالصورة النوعية البشرية ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 110] أي تصرف بشري لا تصريف إلٰهي وقدرة وتقدير دياني.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي الأطوار الذين استكملوا في مدارك مسالكهم وممالك مناسكهم ﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾ وتحققوا بأسمائي وصفاتي الذاتية والأفعالية والآثارية وبرسولي التجلي الذاتي الذي يستتبع العلم به ويتضاعف حسب تضاعفه وبرسولي ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ﴾ على صدق إيماننا بالله وبما أمر الله بالإيمان به ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: 111] إذ قالَ الحواريون لدى غلبة الأحكام الإمكانية ومقتضى الأحوال الزمانية والمكانية.

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ الطور الروحي ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ومبدؤك ومرتِّبُك ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ حالية وكرامة كاملة خالية مِنَ الملكات النفسانية والهيئات الردية الإنسانية، كاملة من السماء الجمعية والأسماء الذاتية، بحيث يتضمن شهود الكمالات الذاتية والأسمائية قال عيسى: الطور الروحي ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وارجعوا إليه وعودوا لديه ثانيًا وثالثًا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 112] قالوا نريد أن نأكل منها ويتحقق بالكمال الجمعي والجمع الكمالي الغيبي والعيني النفسي والقلبي والروحي فإن التحقق والكلية قسمان جزئي لتحصر التصرف والحكم منه في عالم الغيب، تارة يتحقق بالتكوين الإبداعي والتخلق الاختراعي كما يتحقق به بعض السلاّك وكلي نعم التصرف في الغيب والشهادة كما هو شأن الأنبياء المرسلين والأولياء الكاملين المكملين، ذوو القدرة الكاملة والقوة العاملة الشاملة يتصرفون في الظاهر والباطن بالخلق والاتحاد والتكوين سواء

كانوا في مقام التكوين والتمكن، وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ويكون على حقيقتها من الشاهدية في مقام علم اليقين وعين القلبي وحق اليقين. قالَ عيسى ابن مريم: في مقام التحقيق في الأطوار مر الأدوار وكرّ الأكوار طالبًا للتحقق في مقام الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الجمعية الذاتية والأسمائية والكونية الجمالية والجلالية ﴿تَكُونُ﴾ مائدة سماء الجمعية فائدة الكمالية الكلية ﴿عِيدٗا﴾ [المائدة: 114] لأولنا في الجمعية الإلٰهية في مرتبة الأحدية الجمعية وآخرنا في الجمعية الناسوتية والمراد من الأول هو التحقق بالكمالات الذاتية وبالآخر هو التحقق بالكمالات الأسمائية الذاتية والأفعالية والآثارية أو المراد هو الفناء في الله أو البقاء بالله، أو المراد بالأول هو كون الحق مرئيًّا للعبد يشهد نفسه قائمةً بالحق متحققة بسمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبه يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي وينطق، هذا ما أفادته المواظبة على التوكل «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره**» إلخ وبالآخر هو أن يكون العبد مرئيًّا للحق بأن يكون سمع الحق وبصره ويده ورجله ولسانه فيتصرف الحق في الكون بواسطة العبد كما يتصرف بعيسى في خلق الطير وإبراء الأكمة والأبرص وغير ذلك من إنزال المائدة هو الذي يفيده وإقامة الفرائض وإدامتها ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾ رزقًا كليًّا دارًا شاملًا لجميع الأرزاق المعنوية والصّورية في تمام الأدوار وأعيان أكوان الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: 114].

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ﴾ مرة بعد مرة ودورة بعد دورة إشارة إلى ديمومية هذه الحالة الجمعية ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه في النشأة الإفرادية ﴿عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: 115] وقس الثاني على ما ذكرنا.

قد تم تأويل سورة المائدة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 6 | سُورَةُ الأَنْعَامِ | آياتها 165 مكية

نزلت بمكة جملة ليلًا معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم أرجل التسبيح والتحميد والتمجيد فقالَ النبي ﷺ: «**سبحان ربي العظيم**» وخرَّ ساجدًا، نزلت سورة الأنعام بمكة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: 91] إلى آخر الآيات الثلاث قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151، 153].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي جعل إظهار الحمد والشكر مبدأً لمزيد إنعامه ودوام إفضاله وإكرامه على عباده حتى الطيور والهوام والسّباع والأنعام ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلًا وأجل مسمى ثم أنتم تمترونَ وأمرنا بالسير في الأرض لنكونن من الشاكرين المعتبرين غير المنكرين الذين ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ لأنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعَام: 103].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ خلق ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعَام: 1] قالَ كعب الأحبار: هذه الآية أولى آية في التوراة وأجزى آية فيها هو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: 111] أخبرنا بها حقيق الحمد ونبَّهَ على أنه المستحق له على هذه النعم الجسام والمِنَح العظام الباذلة على عموم الأنام الخواص والعوام، وباللزوم والدوام على مر الشهور والأعوام، وإنما جمع

السماوات دون الأرض وهي مثلها لأن لها طبقاتٍ متحركةً بحركات متغايرةٍ قدرًا وجهةً دون الأرض، وقدمها لشرفها وعلو مرتبتها تعليمًا للعباد ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعَام: 1] يتعدى إلى مفعول واحد إذا كانَ بمعنى خلقَ وأحدث وأنشأ وإلى مفعولين إذا كانَ بمعنى صير كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19].

والفرق بين خلق وجَعَلَ أن خلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو يصير شيء شيئًا إذ نقله من مكان إلى مكان ومن ذلك ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وجمع الظلمات لكثرة أسبابها وبعدد الأجرام الحاملة لها لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النارِ وهي بسيطة لها ظل واحد، بخلاف الظلمات أولًا لأن الظلمة هي الضلالة والنور هو الهدى، وفي الظاهر أن الهداية مستندة إلى الواحد لأنك لا تهدي من أحببتَ ولكن اللَّهَ يهدي إلى صراطٍ مستقيم من يشاء، والضلالة تستند إلى الأهواء المختلفة أفرأيتَ من اتخذ إلٰهه هواه وأضلّه الله على علم، والظلمة لكونها متقدمة في الخلقة قدمها عن عباده، إن اللَّهَ خلق السماوات قبل الأرض، والظلمة قبلَ النور، والجنة قبلَ النار، قالَ النبي ﷺ: «**إن اللَّهَ خلق ما خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور فقد اهتدى، ومن أخطأه فقد غوى**».

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ عطف على قوله الحمد لله يعني أن اللَّهَ حقيق بالحمد على ما خلق نعمةً جليلة وعطية جزيلة لا يعلم منافعها ولا يحيط بمواقعها إلّا الله ﴿يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعَام: 1] ويجعلونَ له عديلًا شريكًا في إيلاء النعم وَإفاضة الإفضال وإعطاء النعم وأما على معنى أنه خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم يعدلونَ به ما لا يقدر على شيء، وتجعلون له عديلًا شريكًا في الملك والخلق والتخليق والإحياء والإماتة والترزيق، فالباء على الأول متعلق بكفروا، ويعدلون خبر الموصول أي عن أداء الشكر، وعلى الثاني متعلق يعدلون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعَام: 2] من للابتداء من بعث الله عزَّ وجلَّ جبرئيل عليه السلام إلى الأرض ليأتينه بطائفة فقالت الأرض إني أعوذ بالله أن

تقبض مني ثم رجع ولم يأخذه فقالَ إنها أعاذت بكَ، فبعث ميكائيل فاستعاذت أيضًا فرجع فبعث إسرافيل فاستعاذت مثل ذلك فرجع فبعث ملك الموت فاستعاذت قال: إني أعوذ بالله أن أخالفَ أمر ربي فأخذ من وجه الأرض فخلط الحمراء والبيضاء والسوداء ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر، ولذا اختلفت ألوانهم وتغايرت أخلاقهم وأعمالهم وأكوانهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: «**خلق الله آدم من تراب وجعل طينًا ثم تركه حتى كانَ حمأً مسنونًا ثم خلقه وصوره حتى كانَ صلصالًا كالفخار ثم نفخ فيه من روحه**» ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ لكل أحد أجلان أجل من الولادة إلى الموت والثاني من الموتِ إلى البعث وهو البرزخ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون وقالَ بعضهم: ثم قضى أو الأجل اليوم قبض فيه الروح ثم بعث أو يرجع، الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمنع التي قضى عليها الموت الأخروي إلى أجل مسمى، مبتدأ عنده خبره ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2] تشكُّون في البعث.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المعبود الظاهر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ﴾ بألوهيته وكمال ربوبيته وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ تقرير وتصوير للأولى لأن الذي استوى في علمه السّر والجهر هو الله وحده في السماوات والأرض ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3] ويعملون من الخير والشر والعلانية والسر والخفاء والجهر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ قطّ من الأولى للاستغراق والثانية للتبعيض ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: 4].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْۖ﴾ بالقرآن أو بمحمد ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾ أخبار ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 5] أي خبر استهزائهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي من القرون الماضية من الأمم الخالية في البلاد النائية والأماكن البالية ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ أي مطرًا دارًّا وغيثًا سارًّا ليلًا ونهارًا فإنه ينزل من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض وجعلنا الأنهار تجري ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ أي تحت القصور والبنيان والأشجار والرياض والأثمار ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: 6] على أنه لا يتعاظم ويتعالى عليه أن يهلك قومًا ويخرب مساكنهم وينشئ مكانهم قومًا آخرين فيعمرهم بلادًا أخر، ويسكن فيها عباده وأولى وأملح منهم مدة مديدة إلى أن يتغير حالهم ويتفحش مقالهم فاستحقوا أن يهلكهم الله.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوبًا ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ ودفاتر ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وإنما جعله كذلك لئلا يقولون إنما سكرت أبصارنا ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 7] ظاهرًا بينًا.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ على محمد واقتدوا على النظر إليه فإن نظروا إليه ولم يقبلوا ما أمرهم به ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: 8] وحكم عليه بالإهلاك كما فعل أصحاب المائدة وإن نظروا إليه لزهقت أرواحهم وتعرفت أشباحهم من الهول والهيبة والغول فلا يؤجلون ولا يمهلون طرفة عين.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ [الأنعام: 9] أي أرسلنا وبعثنا وأنزلنا الرسولَ عليهم ملكًا

حقًّا من غير تلبيس بلباس البشر ﴿لَّجَعَلْنَهُ رَجُلًا﴾ أي في صورته وشكله وهيئته ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: 9] لخلطنا عليهم ما يخالطون على أنفسهم فحينئذٍ يقولون: أَمَلِك هو أم إنسان أم نوع آخر فلا يؤمنون به فيهلكوا أو أهلكوا.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 10] أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزؤونَ ويسخرون ويحقرون.

إشارة وتأويل

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي عالم الأملاك والأنوار القاهرة والجواهر المجردة من العقول والنفوس والأرواحِ المقدسة والأشباح الإنسية والأرض، وعالم الأجسام من الأجرام السماوية والاستعطافات السفلية وما يتركب منها، أو المراد من الأولى هو الأدوار النورية الجمالية.

ومن الثانية الأكوار الظلية الجلالية والمراد هي الأدوار والأكوار الإفرادية والدورة والكورة الجمعية والمجردات والماديات والمراتب العالية وهي الجبروت والملكوت والبرزخ والسافلة وهي الملك والشهادة ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] مثلًا فيهن يندمج أحدهما في الآخر ولا ينفك أحدهما عن الآخر اندماج الجلال في الجمال وبالعكس، وفيهما توأمان يندرج أحدهما في الآخر اندراج اللّيل في النهار وبالعكس، وكاندماج الحياة في الموت وبالعكس، واندراج الروح والنفس في الجسد، وبالعكس في الحجر المكرم، أو المراد من الظلمات هي الإمكان ومن النور هو الوجود وبالعكس فالله عز وجل دبر بحكمته القاهرة ومحبته الذاتية الباهرة، وهذا النور والظلمات مندمجة في مطلق الظلمة التي أشار إليها النبي ﷺ: «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغوى**» وأشار إلى هذه الظلمة.

قالَ آدم الأولياء علي المرتضى كرم الله وجهه: «أنا قائم في ظلمة حيث لا روحَ يتحرّس ولا نفسَ يتنفس غيري»، فتدبر الله هذه الظلمة والنور في مطلق الظلمة حيث يكون وجه الظلمة والممات والجهل والعدم والكفر ظاهرًا صريحًا، ونقائصها خفيًّا إنما هو بباطن الصّفات الأربعة المذكورة في غضب المراتب المزبور في المدة التي مرَّ ذكرها أعني الجبروت والملكوت والأمر والبرزخ والملك والشهادة إلى الناسوت، وأسمائيًّا هي العلم والحي والقدرة والإرادة ونقائضها هي اللاهوت واللاعلم واللاقدرة واللاإرادة فيظهر في هذه الظلمة الاستعدادات الذاتية باعتبار اقتضاء الجلال والعدم والقابليات الأولية القابلة للوجود الغيبي، كما أن الأولى قابلة للوجود الغيبي وجمعيتها تقبل الوجود الغيبي أعني العدم، والوجود الغيبي أعني الكونَ الجامع لهما، والمظهر الرافع وهو الناسوت الذي ينقلب لاهوتًا عند الصعود والترفع، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، واللاهوت ناسوتًا في غاية التنزلات ومراتب التعينات وامتداد نفس الرحمٰن في تمام مراتب المكوناتِ ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك: 3، 4].

وظهور هذه الحالة ضربان: دفعي في نهاية امتدادِ نفس الرحمٰن في نفس الإنسان «**خلق الله آدمَ على صورة الرحمٰن أو على صورته**». وتدريجي يظهر في بداية الدورة الكلية ونهايتها نوريةً كانت أو ظلية بأن ينتقل الفرداريّة ونوبة تربية التجلي الإلٰهي الأربع من دورة إلى دورة أخرى ومن كورة إلى كورة أخرى وعند ذلك ينتقل طور الدنيا وهو التعين الحسي إلى طورة الآخرة، وهو التعين العقلي والنفسي، وطورة الولاية بنوره وطورة النبوة ولاية، والألوهية عبودية والعبودية ألوهية، وطور الجسد روحًا ونفسًا وطور الروح والنفس جسمًا وجسدًا والسماوات تصير أرضًا والأراضي سمواتٍ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

والنور ظلمة والظلمة نورًا وهكذا تتبدل الأضداد والمتقابلات بعضها ببعض لدى انتقال فرداريّة التدبير من اسم إلى اسم آخر من الأسماء الذاتية، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عن شكر نعمه الجلالية والجلالية بأن لا يبرها ومنعمها

ومولاها وإن رأوها إلا أنهم أسندوها إلى خصوصية النور والجمال وإلى الظل والجلال لا إلى الذات الجميل والذات الجليل فكفروا بالله العظيم وعدلوا عن الإيمان باللَّهِ وشهوده إلى إنكار نوره.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ بيد الجليل وقدرة الجميل الذي مظهره ملك الموت أي أطاع اللَّهَ وامتثل أمره بأن أقر أولًا مادة بدنه التي أفادت الجلال في بداية الدورة العظمى ثم دبر بيد الجلال والجمال وجعلها طينًا طيبًا أربعين صباحًا خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحًا إلى أن ظهرت فيها مناسبة معنوية في مركب الجسماني لظهور الراكب الروحاني في عرضة العنصر الإنساني، فنفخ فيها من روحه، وذلك في الحقيقة إن الروحَ الذي هو الوجه الجمالي النوري كانَ مندمجًا في الجسم والبدن اندماج اللّيل في النهار والنهار في الليل، واندماج الظلمة في النور، واندماج النور في الظلمة.

فإذا انتفت المناسبة اختفى الروح في البدن وأجزائه الأصلية التي هي مع البدن المثالي البرزخي، وأجزائه البرزخي المثالي الذي لا تتغير ولا تتبدّل ولا تنقص ولا تقتل إليه ولا تنكفن، ثم قضى أجلًا إشارة إلى انتفاء المناسبة واختفاء المقاربة والنسبة والمقارنة إلى أن ينتهي التدبير الإلٰهي في النشآت الأخروية إلى أن تبرز المناسبة الصورية ثانية بين الروح والبدن والجسد من جانب الروح فحينئذ يظهر البدن بتعين الروح، فظهر الروح وتعين الروح وتبطن البدن واختفى، وإلى هذه أشارَ بقوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ في النشأة الأخروية ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ في هذه النشآت الثانية لعدم الاطلاع على مطابق النشأة الأولى بالنشأة الآخرة ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: 3] في الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات التي تظهر أحكام أنوار ألوهيته وأعلام أسرار ربوبيته أولًا في السماوات الأخرى والأدوار النورية الجمالية الوجودية في بداية دورتها العظمى والكبرى والوسطى والصغرى الإفرادية، ثم في دورتها الجمعية وهيئاتها الكلية، وفي الأرض أي أرض الأكوار الظلية الجلالية العدمية التي تتضمن الحالات الشهودية لدى مطاوعة المولود الجني الذي اقتضاهُ سلطان الجلال بالمولود الإنسي الذي يرضيه النور والجمال، وفي إعادة الجارّ تلويح إلى أن مقتضيات الأكوار ومرتضيات الأدوار في جميع الأحوال والأطوار

وكمية الأدوار متطابقة، لأنها باطنها وعينها، والظاهر يطابق الباطن وبالعكس، وتلميح إلى أن الصراحة والضمنية بين الجمال والجلال متبادلة وفي الفرداريّة ونور التدبر والتربية متعادلة بأن فرداريّة صراحة تدبير النور والجمال عندَ انقراض مدة تدبير ينتقل إلى الجلال، وصار حكم اقتضاء النور والجمال نورية إلى أن تنتهي مدة سلطنة اقتضاء الظل والجلال، فإذا يتبدل حكم الصراحة والضمنية وينتقل الصراحة من الظل والجلال إلى النور والجمال والتضمن من النور والجمال إلى الظل والجلال ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ وجناياكم التي كانت في فرداريّة تدبير النور والجمال خافية في خزائن الظل والجلال ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ كانت في مقتضيات صراحة النور والجمال ظاهرًا ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3] في فرداريّة أفرادًا وجمعًا، وفي إعادة العلم إفادة وإشارة بأن السر والعلانية في تمام الأدوار والأكوار في جميع الأطوار بالنسبة إلى علمين متساويين لا تفاوتَ عند الله بين الظاهر والباطن والبارز والكامن لأن علمَهُ شهودي حضوري ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبإ: 3].

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من الأحوال المعنوية والصور الجمعية والإفرادية والمقامات الغيبية والحالات القلبية التي كانت حاضرة في كنز جمعية الأحدية والواحدية حال كونها بعضًا ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية أي تستتبع العلوم المتعلقة بهذه التجليات فإن التجلي في كل آن تغاير ما في الآن الثاني والثالث والرابع إلى غير النهاية، وإن له في كل آن علمًا يغاير علم الأول والآخر، وإن كل علم يتضمن علومًا ومضاعفة فهم مارسوها متعاطفة غير متناهية ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: 4] إشارة إلى أن غيوبَ الأعيان وأطوار أفراد الإنسان متفاوتة الأقدام، فإن من يقيد بقيود نورية وجودية وحدود ظلية عدمية في أي طور من الأطوار احتجب عن مشاهدة طور التجليات وتنوع لحوق الإدراكات المضاعفة وإذا كان كذلك فقد كذبوا بالحق وظهور تجلياته وخطور تنوع إدراكاته المتعاطفة والعلوم المتضاعفة لما جاءهم بتعريف العارف وتعطيف الواقف الغير الواقف ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 5] إذا انتقلت نوبة التربية الصريحة من النور والجمال إلى

الظل والجلال الذي كانَ ضمنًا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أعيان الأدوار الوجودية الجمالية وأكوان الأكوار العدمية ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الاستعدادية والأعراض القابلة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ إشارة إلى تفاوت مقتضيات الأدوار ومغايرة أكوان مرتضيات الأكوار، فإن في الدورة العظمى النورية الوجودية أعيانها التي من جنس ظاهر العلم والكون وأكوانها التي هي من جنس باطن العلم وغيب الكون، في غاية العظمة والقوة، فإن أعيانَ الدورة العظمى الوجودية وهي الملائكة المقربة، وهي إسرافيلُ وميكائيل وجبرئيل وملك الموت عزرائيل وأعوانهم الجواهر النورية والقواهر الجوهرية، والعقول المجردة التي هي مقتضيات النور والجمال التي كانت من جنس باطن العلم وهي الأهرمينات والشياطين والأغوال والأبالسة والجن والجان التي هي من جنس غيب الوجود وباطن العلم في غاية العظمة لا يعلم عظمتهم وقوتهم وقدرتهم وعدة أتباعهم ومدة أعمارهم وكيفية أطوارهم إلا الله، وهي بواطن الملائكة وعينهم ومرتضيات العز والجلال فإذا كانت الفرداريّة للنور والجمال صريحًا والأهرمينات وأقرانها خفية ضمنية وكذا بأهوائهم وتصرفاتهم خفية وضمنية.

قالَ النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن** قالوا: وإياكَ يا رسولَ الله؟ قالَ: **وإياي إلا أن اللّهَ تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**» الحديث، ولي بتوفيق حسنه وحسن تدبيره وعموم عنايته في هذا المشهد تصريفات وتصرفات لو أنشأوا طرفًا منها وحرفًا من أطوارها لانكسر على كل من يسمعه منه لم يذق ولم يدر، المرء عدو لما جهله وإلى هذا أشار النبي ﷺ: «**خلق الله آدم على سبعة آماد**» والأمد هو الدهر الطويل لا يحصيها إلا الله ونحن في الأمد الأخير.

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ أي سماء الأدوار على أعيان هذه الدورة أولًا صريحًا وعلى أكوانها ضمنًا مدرارًا مستمرًّا ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ﴾ [الأنعام: 6] الأربعة أولها وهي ظلال التجليات الإلٰهية ومن وجود كل شيء وذاته وماهية الأولية والثانية الخمر وهي المحبة الذاتية ظل التجلي الذاتي هو الماء ظل التجلي الصفاتي والأسمائي ومنه الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30] هي الثالثة واللبن وهو مظهر التربية والتدبير وظل التجلي الفعلي والعسل وهو مظهر

الحلاوة العلمية والمعرفة ظل التجلي الآثاري ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ أي تحت أرض القابليات الأولية في الجنة المعنوية التي هي التجليات المربعة في الدورة العظمى النورية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ ومخالفتهم أمر الله عند انتقال الدورة وفرداريّة النورية إلى دور آخر وبدلناهم من طور إلى طور آخر من نشأة إلى نشأة أخرى حسب بعدهم وتقييد بخصوصيات مقتضيات كل دورة عن الوحدة الجمعية والجمعية الأحدية ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ في الدورة الأخرى قوله ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعَام: 6] ودورة أخرى.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ من سماء الأحدية ﴿كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ إشارة إلى اختلاف مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار فإن في الدورة العلمية وفي المرتبة الواحدية التي تكون فيها ذوات نورية علمية يكون الكتاب فيها شاهدًا معاينًا كالكتاب المكتوب في القرطاسِ وذلك لأن الصفات الذاتية والأسماء الأولية وسائر المراتب بما فيها في هذه المرتبة عين الذات والعلم عين الذات وعين سائر الصفات والأسماء وأعيان الكائنات، لأن نفسها في هذه المرتبة علمية فمن لم يجمع إلى هذا المقام والرتبة لأنك على صاحب هذا المقام وقالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعَام: 7] وقالوا له: أنزلتَ ملك إشارة إلى الدورة الكبرى ومقتضياتها في مرتبة الملكوت، فإن أعيان هذه المرتبة أملاك وحقائق الأنبياء في هذه المرتبة تتعين بتعينات الأملاك ومدبر هذه المرتبة هو الحي والحياة ومربوباتها إنما تكون بنعت الحياة وتسمى أرواحًا ونفوسًا فلكية إن تعلقت بالأفلاك ودبرتها، وإن تعلقت بالمركبات فإن اقتصرت تصرفاتها في المعادن بأن حفظت صورة المركب عن الانحلال تسمى صورة نوعية وطبيعة معدنية، وإن اقتضت النشر والنماء وتولية المثل سمى طبيعة نباتية ونفسًا وروحانيًّا.

وإن اقتضت الحس والشعور والحركة الإرادية سمي باعتبار كونها مبدأ الآثار مختلفة طبيعية حيوانية وباعتبار كونها مقتضى للحس والشعور بالمنافع والمضار سمي نفسًا وروحًا حيوانيًّا وإن اقتضت جمعية هذه المذكورة مع إدراك الكليات والمجردات والإلهيات وشهود أنواع التجليات يسمى روحًا إنسانيًّا وأرواحًا إلهيًّا ونفسًا ناطقة ولو أنزلنا ملكًا في الدورة الوسطى في مرتبة عالم

البرزخ لتكميل النفوس الناطقة قصة البرزخية لقضي الأمر ثم لا ينظرون، ولا يمهلون في الانتقال، ولو جعلناه ملكًا في الدورة الصغرى لجعلناه رجلًا لأن مقتضى هذه الدورة أن تلبس المعاني المجردة والجواهر النورية تصور الأعراض والجسم التعليمي والهيآت الملكية لا بالأعيان الملكية إذ ليس لهذه المرتبة الجسمانية السفلية مناسبة بالأملاك والجواهر المجردة والنفوس المدبرة للأفلاك ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إشارة إلى أن مقتضيات الأدوار متطابقة لما تقرّر من أن المرتبة الأدنى بما فيها ظلال لما هي في الأعلى وما فيها ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 10] إشارة إلى أن ما يقع في الأدوار من التبدل والانتقال والاستهلاك والتغير والاستبدال، إنما يكون بسبب مخافتهم لصاحب الزمان ورب الدوران من أشرف الأعيان وأعيان الأكوان من الأنبياء والأولياء والحكماء الإلٰهية والعلماء الربانية.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معتبرين من أحوال السلف الناظرينَ إلى أطوار الخلف سيرًا عقليًّا بخطوات الفكر وإقدام النظر والذكر هذا السير واجب سيرًا حسيًّا عقليًّا لخطوات الفكر وإقدام النظر، ثم انظروا نظرًا عقليًّا مباحًا لاجتلاب المنافع الحسية واكتساب المقدمات النفسية والمبادىء القدسية.

وبالنظر إلى آثار الهالكين وأطوار الأقوام المالكين للدنيا السالكين لاجتذاب حطاماتها وغير ذلك من أسباب انتظام أمور الأولى والأخرى منه التجارات وتحصيل العلوم الدينية والرسوم اليقينية ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ نظرًا اعتباريًّا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: 11] وآخر أمرهم وغاية حالهم وبالهم.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سؤال وإلزام وتبكيت ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: 12]

تقرير وتعريف لهم توبيخ وتعبير عليهم أي هو الله الواحد العزيز القهار بلا خلاف بين العقلاء فلا يقدرون أن يصرفوا شيئًا منه إلى غيره ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ في بدايتهم إلى معرفته استعطافًا للمؤمنينَ عنه وإخبار بأنه رؤوف بالعباد فلا يعجل العقوبة ويقبلُ الإنابة والتوبة قالَ النبي ﷺ: «**لما قضى الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**» إن الله تعالى مائةَ رحمة واحدة بين الجن والإنس والطيور والبهائم والهوام يتعاطفون وبها يتراحمونَ وبها يتعاطف الوحوش والدواب وسائر الأعيان من الحيوانات على أولادها وتسعة وتسعون يرحم بها عباده يوم القيامة ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ واللام لتوطئة القسم والنون للتأكيد وإلى بمعنى في أو لتضمن معنى ليجمعنكم معنى الجعل أي جعلكم منصرفين في قبوركم، و﴿إِلَىٰ﴾ متعلق بالرحمة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ في علم الله ومشيئته ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعَام: 12] في الظلمة الإمكانية التي خلق الله الخلق فيها ثم رش عليهم من نوره، ومن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد خسر خسرانًا مبينًا كما مر في الحديث، يعني عدم الإيمان خسرهم في علم الله لا عن نفس خسر الأنفس، فإن قيلَ عدم الإيمان أيضًا ثابت في علم الله، قلت المراد عدم الإيمان في موطن التكليف، والخسران فقدان التوفيق الأزلي وعدم تعلق المشيئة بإيمانهم وإن تعلق العلم بالإيمان وعدمه، فإن كليهما ثابتان في علمه إلا أن الإرادة والمشيئة إنما تعلقت بعدم الإيمان.

﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾ عطف على اللّهِ أي لله ما سكن واستقر وأقام من السكنى سؤالًا لا من السكون اللام للسكنى والإقامة وما مصدرية أي لله سكنتهم وإقامتهم ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ لكل ما هو من شأنه أن يسمع كل شيء يستدعي الوجوبَ الغيبي والشهود العيني بلسان الحال وترجمان المقال ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعَام: 13] بحال المستدعي للوجود وباستعداده وبمقدار استعداده وفيه، ويحتمل أن يكون وعيدًا للمشركين على أقوالهم وأفعالهم وكيفية أحوالهم فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وكلا يسأل عليه الملوان وثبت في عالم الإمكان.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ معبودًا لاتخاذ غير الله وليًّا لاتخاذ الولي فإنه غير منكر فلذا قدم إشعارًا بأن الإنكار منحصرٌ على اتخاذ غير الله ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومبدعهما بالخبر صفة لله ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ ويرزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعَام: 14] ولا يرزق إذ الارتزاق من خواص الممكنات الممكنة التي يتطرق عليها وليًّا لا على اتخاذ الولي والتبديل، ما أريدُ منهم من رزق وما يريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين إن أنواعًا من المنافع الصورية والمعنوية التي كلها منه مع مخصوص بالممكن لأنه ناقص في ذاته يحتاج في الوجود وما يتبعه من الكمالات الذاتية الأسمائية الواجبة بذاته بنعوت ذاتية ووجوه أولية، والأسمائية وهي ظهور الذات بأسمائه وصفاته الذاتية وهي سبعة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وهذه الأسماء والصفات في الحقيقة عن الذات لانقطاع عرف الغير فيها وارتفاع وامتناع وصف إلا في هذه الحضرة فهو كامل بذاته غير محتاج في كمالاته الذاتية والأسمائية والأفعالية إلى غيره فلا يحتاج إلى رزق وإلى طعام، بل هو من خصائص الممكن الذي هو محتاج ومتغير في ذاته وصفاته ووجوده وبقائه إلى غيره، والممكن لكونه مركبًا لأمر الجواهر الفردة والوحدات الذاتية، ثم من العناصر الأربعة، ثم من الأخر الثانية والقوى والأعضاء البدنية، ولكونها متخللة آنًا فآنًا يحتاج إلى بدل ما يتخلل وهو الرزق والغذاء.

وأما الواجب لذاته فلكونه واحدًا حقيقيًّا وبسيطًا أصليًّا عينًا في ذاته وصفاته لا يحتاج في ذاته ولا في صفاته ولا في وجودِهِ وبقائِه إلى الغير من الأجزاء والقوى والأعضاء، وأما الرزق والغذاء المعنوي فهو ليس من هذا النوع من الغذاء بل منه نوع آخر يتعدى به إلى النفوسِ والأرواح والقوى النفسانية كالعلوم والمعارف الإلٰهية الغير المتناهية والطاعات والعبادات ومخصوص بالأنبياء والأولياء الذين مادة بدنهم من طين الجنة لا من طين الدنيا». قالَ النبي ﷺ: «**خلق الله الأنبياء والفقراء من طين الجنة والأغنياء من طين الدنيا** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: 169، 170].

وقالَ عليه السلام: **لست كأحدٍ منكم فإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني فإذا مرضت فهو يشفيني**».

قد اشتهر أن الشيخ الأقدم علاء الدّين السمناني كان مريدًا صدّيقًا صائم الدهر قائد المركبة راجلًا في طريق الحج لا يأكل ولا يشرب إلى أن يصلَ إلى مكة فهو إذا يفطر مرة واحدةً يأكل الطعام مرة واحدة، وأن إدريس عليه السلام قد عرجت إلى السماء روحه ثلاثينَ سنة وكانَ جسده مطروحًا لا يتغذى ولا يأكل ولا يشرب، وكان يأكل ويشرب عند ربه وأمثال هذا كثير.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ من هذه الأمة واستسلم لأمر الله وقيل: قالَ النبي ﷺ: «**من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**» ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ أي قيلَ لا تكونن ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعَام: 14] ويجوز أن على قل أي أمرت بالإسلام ونهيتُ عن الشرك لأن بثبوت الأحكام الدينية لغير الشارع نوع ثبوتها في نفسه لنفسه.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعَام: 15] تعريض لهم بأن القضاء ستوجبون للعذاب، اعتراض الشرط بين الفعل والمفعول تقرير الأمر المخوف وجوابه محذوف يدل عليه الجملة المتقدمة.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ العذاب وسوءَ العقاب ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ﴾ عظمه وأكرمه ونعمه ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الصرف والرحمة ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعَام: 16] أي النجاة الظاهرة والدرجات الباهرة.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ مرض وفقر وألم وبلاء ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ أي لا واقع ولا رافع ﴿إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعَام: 17] النفع والضر والخير والشر.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ تصوير لكمال غيره وتقرير لعموم شأنه على صاحب قنطه ويأسه، وتحرير لتمام تفرده وتوحده بالتدبر الذي هوخير الخلق على مراده، ولكمال استيلائه وعموم استعلائه لا يشاركه أحد فيه ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الحاكم على الإطلاق بلا مماطل ولا مانع عاطل ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] العالم بالسر والعلانية.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩﴾

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ﴾ نزلت حين قال أهل مكة لرسول الله ﷺ أرنا من شهد أنك رسول الله ﴿قُلْ﴾ يا محمد في جوابهم ﴿ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ﴾ يشهد لي بالحق ويشهد عليكم بالباطل والحق ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ أي لأجل إنذاري وتخويفي إياكم يا أهلَ مكة ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ إليه هذا القرآن إلى آخر الدنيا. قالَ النبي ﷺ: «**بلّغوا عني ولو بآيةٍ وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»، مَن بلغه القرآن فكأنما رأى محمدًا وإنما اكتفى بالماضي إيماءً إلى تحقق البلاغ بالنسبة إلى الكل ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ إنكارًا عليهم بأداء الشهادة في ﴿أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ﴾ يا محمد إن شهدتم أنتم لكمال جهلكم ووفور مهلكم ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُۚ﴾ أن معه آخر يستحق العبادة بل أنت يا محمد ﴿قُلْ﴾ ردًّا عليهم ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له، له الملك وله الحمد ﴿وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19] من الأوثان والأصنام وسائر الأعيان من الملائكة والنجوم وباقي الأكوان.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والإنجيل والزبور والصحف السماوية ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ يعني محمدًا بما وصفه الله تعالى في الكتاب المذكور ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ﴾ [الأنعام: 20] قالَ عبد الله بن سلام: وصفه بل أشكُّ في أبنائي لأني لا

أعرف أن أيهم ما فعلت، ولا شكّ لي في محمد لأن اللّهَ وصفه في كتابه كما هو عليه ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الموصول إما منصوب أو مرفوع على المدح وفي إعادته إشعار بأن الممكن من بني آدم لنقلت أحواله من أن أوله أعماله تتحول وتتبدل آنا فآنًا من حال إلى حال ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: 20] بمحمد وبما جاء أبدًا وإلا لزم الجهل تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إشارة وتأويل

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الاستعدادية وعرض القابليات الأولية سير شهود ومعاينة ومشاهدة في تمام الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: 11] المتعبدين بدرجة التقليد في دور من الأدوار أو في حكم كور من الأكوار.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي الأدوار الوجودية من المقتضيات الجمالية، والأرض أي الأكوار العدمية من المرتضيات الجلالية ﴿قُل لِّلَّهِۚ﴾ أي التجلي الذاتي والذات البحت، مطلق الوجود الجامع لتمام الأسماء والصفات الثبوتية، والسفلية الوجودية، والعدمية النورية والظلية ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ أن تبلغ أعيان كل دورة في آية مرتبة ويمر على جميع الأدوار وتمام الأكوار ويدبرها بتمام الأطوار وخصائص جميع الأدوار ونصائص كل الأكوار ثم يوصلها إلى رحمته الجمعية الكبرى وهدايته الفرعية الأعلى ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ في محاضر الأدوار ومجاوز الأكوار ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ العظمى وهي الجمعية الكبرى التي أحاطت بجميع مقتضيات الأدوار ومرتضيات كمالات الأطوار ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ [الأنعام: 12] أصلًا إذ اقتضاء الطبيعة النوعية لأمر نوعي لا بدّ وأن يوجد ذلك الاقتضاء في تمام المواد وجميع الآحاد وعموم ما صدقاتها وكل الأفراد لأن لما شاهدنا اختلاف الاقتضاء الأربع في الدورة السنية من الشتاء والربيع والصيف والخريف.

وقد تقرر أن الأدوار مطابقة ومقتضياتها متوافقة متماثلة، إذا تحقق هذا فالخريف شرف أشراط الساعات وعلامات القيامات، والشتاء مثل القيامة التي هلكت فيها الأعيان، والربيع شبه النفخ في الصور الثانية التي تحشر الأموات ويجيء العظام الرميم، وفي الصيف تنقسم الآخرة، وأنتَ خبير بأن الأدوار لما

كانت متطابقة ومتعادلة ومتوافقة، وأن الدورة الأدنى بما فيها إجلال وأمثال الدورة الأعلى فليتحدس ويتفطن من اختلاف الفصول الأربعة وما فيها من الأحوال باختلاف أحوال مقتضيات الأدوار والأكوار، وهي العتابات، وبهذه الأحوال الجزئية هذه الدورة الجزئية يسند على الأحوال الكلية الجارية في الأدوار الكلية الأربعة النورية الجمالية الإفرادية، وكذا في الأكوار الأربعة الظلية الجلالية الإفرادية، وكذا في الأربعة الجمعية بينهما فتصير اثنتا عشرة دورة كلية كل منها بمنزلة برج من الفلك الكلي وسماء التجلي الذاتي، لكل من هذه الأدوار الكلية الإلٰهية تكون أعيانها وأحوال أكوانها من جنس مقتضى برج دورة من هذه الأدوار إلى أن تموت هذه الأدوار فحينئذٍ يحصل يوم وليلة إلٰهية فالسنة الإلٰهية هي التي تكون مركبة من ثلاثمائة آلاف وستين ألف سنة، فمن كان مدة عمر هذه الأدوار الإلٰهية يطلع على الأسرار الإلٰهية والأنوار الربوبية، وعلى مدة فرداريتها وجودًا وعدمًا ظلًّا ونورًا جمالًا وجلالًا وهذه الأدوار هي الدورة العظمى الإلٰهية، وأما الدورة النورية الوجودية الجمالية فهي عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة كل سنة عبارة عن ثلاثمائة وستين كل يوم من أيام سنة الدورة الأدنى وهي الدورة الكبرى العظمى مقدار يومه خمسون ألف سنة، تعرج الروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، ومقدار يوم الدورة الوسطى ألف سنة، وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، ومقدار يوم الدورة الصغرى بأنه سنة ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: 259] ويوم آخر الدورة الصغرى أربع وعشرون ساعة وكليات أعيان هذه الأدوار أظلال متطابقة وأمثال متوافقة فما في نفس الأمر متطابقة أما في الآفاق وهي الأدوار والأكوار بالاتفاق أظلال متطابقة فمن دار في الآفاق وشاهد ما فيها من الأدوار بما فيها من الأعيان والأحوال والأطوار وما لها من الأنوار والأسرار، وعاين تنوعات أنواع أطوار أحوال أعيان كل دورة وتطورات تعيناتها.

واعلم أن الأحوالَ أعيان كل دورة دائرة على طورين ليل ونهار وطور الليل هو الآخرة وطور النهار وهو الدنيا، فطور الدنيا هو الآفاق تدركه الحواس الظاهرة، وطور الآخرة وهو الأنفس يعلم ويشاهد بالحواس الظاهرة والباطنة، وبالطور الذي هو طور الحواس والمشاعر الظاهرة تدرك أحوال الآخرة، فمن

يقتدر بالطور الأول احتجب عن إدراك أحوال الآخرة، فلو أنكر الآخرة فهوَ معذور وبالإدراكات الحسية مغرور، ومن تجرد عن هذا القيد وانتصب على بساط جمعية الطورين بتوفيق الله ومشيئته الذاتية وقدرته الكاملة وحكمته البالغة الشاملة في نفسه بعدَ أن أمات بالموت الإرادي جميع مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية من القيامات وأطوارها وقيام الساعات وأشراطها، بل يشاهد كل ما كان في الأدوار والأكوار وما سيكون فيها في آن واحدٍ. قالَ آدم الأولياء علي المرتضى: «أنا الذي ملكني الله شرق الأرض وغربها أسرع من طرفة عين ولمح البصر أنا الذي أرى أعمالَ الخلائق في مشارق الأرض ومغاربها ولا يخفى علي شيء منهم، أنا الذي أجول السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين، فمن بلغ هذا المقام أصالة وتبعًا لم يتوقف في خفية ظهور قيام الساعات وقيام الطامات، ولا في كل ما صدر من العارفين وظهر من المحققين الواقفين والغير الواقفين.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: 15] أي بذات القيامة العظمى على أبواب هذه الحالات وفقدان شهود تلك المقامات والمشاهدات والمعاينات ومن يصرف عنه يومئذ القطيعة وعقاب تحسر أعوان هذه الكمالات فقد رحِمهُ رحمة تامة واسعة ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ في تمام الأدوار والأكوار إلا هو ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17] ممكن وجود قدير ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18].

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ المستجمع لجميع الظاهر في دورة حكم الجمال وكورة حكم الجلال ﴿شَهِيدٌۢ﴾ [الأنعام: 19] حاضر حاكم شديد وإطلاق الشيء على الله مشعر بأن الوجودَ يرادف الشيءَ إذ الوجود هو عين الذات، إذ لو كانَ غيرها لكانت الذات عدمًا ممتنعًا لأشياء صرفًا فيكون نفيًا محضًا، لا يقالَ إن مفهوم الشيء أعم من الوجود لصدقه على العدم، لأنا نقول الصدق لا يكون إلا بعد التعقل والتصور والإدراك فما لم يوجد المفهوم في الذهن والقوة والإدراكات لا يصدق على شيء أصلًا، فإذن الوجود أعم بحسب الصدق وعين الشيء في الأعيان إذ المفهومات كلها في هذه الأعيان الذات الأحدية وهو عين الوجود انتهاء الكل إليه وصيرورته إليه إلخ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي التجلي الجمعي والكمال المعي ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي الحقيقة المحمدية السارية في تمام أعيان المراتب وهم يشاهدون فيها بعين الأعيان ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ أي نتائج حالاتهم الوجودية وثمرات شجرة المقامات العدمية إلى الفناء في الله والبقاء بالله والتوحيدات والتحقق بالذات وتمام الأسماء والصفات، والتجرد عن الكثرات والتخلق بالأخلاق الإلٰهية، والتفرد عن صور العلم الرّسمية والرسوم البشرية أو المراد من الكتاب القوة العملية وحالات ظهرت منها ومن الأبناء وهي الإدراكات النظرية والكمالات الفكرية ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: 20] ثبوت استعدادهم الذاتي وثبوت استعدادهم الأولي ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بالوجود المطلق والجمع المحقق.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 21] ومن أظلم ممن افترى واختلف وكذب على الله كذبان جمعوا بين أمرين متناقضين بأن كذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة القاطعة والبراهين اليقينية الساطعة حيث قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: 148]، لكن شاء الله الإشراك فأشركنا، وأمرنا الله، وقالوا: الملائكة بنات الله، ونسبوا إليه تحريم النجائب والشوائب وغير ذلك مما هو افتراء محض وكذب صرف ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ المعجزات والقرآن جمع بينهما على أن كلًّا منهما بلغ الإفراط والظلم على النفس ﴿إِنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 21] أي لا يصبحوا أو لا يظلموا مفلحين وأصحاب نجاة ونجاح أصلًا، فما ظنك بمن هو أظلم، ولا يكون أحد منهم أظلم وأقدم وأتم في الظلم وأحكم.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ﴾ [الأنعام: 22] منصوب بمضمر تهويلًا للأمر الذي انكبوا عليه

وهو الخسران الكامل والنقصان الشامل، في يوم نحشرهم في المحشر الأعظم وكان كتب ﴿جَمِيعًا﴾ عابدًا ومعبودًا وساجدًا ومسجودًا ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعَام: 22] أنهم شركاؤكم ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم لم تنفعهم شفاعتهم وخابوا عن حمايتهم كأنهم غائبون عنها وقد فارقن عنهم وهل بينهم وبينها في وقت التوبيخ ويرون مكان جرمهم ونحشرهم.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ وكفرهم وعاقبة جحدهم قد صرفوا أعمارهم عليها وقاتلوا وقوتلوا لديها وافتخروا وقالوا أين آباءنا ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ بالجر صفة للَّهِ وقرأ بالنصب على النداء و﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعَام: 23] وإنما كذبوا وحلفوا عليه لفرط حزنهم وتسلط دهشتهم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وفقد وزال عنهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عِمرَان: 24] به على الله من الأصنام وما يؤمل منها من الشفاعة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ﴾ ويتوجه ويميلُ ﴿إِلَيْكَ﴾ إذا نزل القرآن وهم أبو سفيان والوليد والنصر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله ﷺ يقرأ فقالوا للنصر ما يقول محمد قال: لا أدري ما يقول إلا أنه يتحرك لسانه ويقول أساطير الأولين وقالَ أبو سفيان أراه حقًّا فقال أبو جهل: كلا ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ جمع كنان كالأعنة جمع عنان وهو ما يستر الشيء كراهية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ويعلمه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلًا صممًا لا يسمعون الحق كما لا يفقهون يعني أن الله عزَّ وجلَّ بيده مصالح أهل البلاد وبين أصبعيه قلوب العباد يصرفها إلى ما أراد فيشرح بعضها للهدى وبعضها للمكابرة والبغي والعناد ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ من المعجزات الباهرة والإرادة الباهرة ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ يعني أنهم

بلغوا في التكذيب إلى مقام يجادلونك وينكرونك بالعناد ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25] تفسير وبيان للجدال جمع أسطورة أو أسطارة وهي الأباطيل.

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٢٦﴾

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ أي يمنعون الناسَ عن سماع القرآن وقبول أحكامه وتلاوته والعمل بما فيها وهم يتباعدون عنه كي لا يسمعونه ﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ﴾ أي ما يهلكون أحدًا من الأعيان ولا فردًا من الأكوان في هذا المنع والجدال ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأنعام: 26] إن وبالَ المنع إنما يرجع ويعود إليهم قيلَ نزلت في أبي طالب وأتباعه فإنهم ينهونَ الخلق عن التعرض برسول الله ﷺ والمراحمة به فإنهم قد اجتمعوا إلا أبي طالب وأرادوا التعرض بالرسول فأنشد شعر:

والله لن يصلوا إليكَ بجمعهم ... حتى أوسّدَ في التّراب دفينًا
فاصدع بأمركَ لا عليك غضاضة ... وأبشر بذاكَ وقَرَّ منكَ عيونًا
ودعوتني وعلمتُ أنكَ ناصحٌ ... ولَقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينًا
وعرضتَ دينًا لا محالةَ أنه ... من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة وحدادي سنة ... لوجدتني سمحًا يداك متينًا

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧﴾

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ﴾ وسكنوا أو ألزموا ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي في النار وإنما عدلَ (على) بدل (إلى) إشعارًا بأن النار قد يتقرب منهم لرداءة حالهم ودناءة مآلهم فكأنما كلفت بالتسليط عليهم كقوله على ملك سليمان في ملك سليمان ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا مرة أخرى ونؤمن بالله وبمحمد وبما جاء به ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27] الموقنين والموقنين المتقين عن أضراب المنافقين وعن الناجي بهم قرئ بالرفع يعني نرد ونحن لا نكذب ونكون قرئ بالنصب فيهما على الجواب للتمني بتقدير أن بعد الواو وقرئ برفع الأول ونصب الثاني على الجواب المذكور.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿بَلْ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المعهود بل ﴿بَدَا لَهُم﴾ أي ظهور الجماعة المذكورة من اليمنى ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾ من الناس من قبائح الأعمال ووقائح الأقوال وفضائح الأحوال في صحبتهم وبشهادة الجوارح عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ﴿مِن قَبْلُ﴾ هذه الحالة في الدنيا ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ مرة أخرى إلى الدنيا ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الكفر والنفاق والحال ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28] في قولهم لو يردوا لا يكذبوا.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ﴾ أي الحياة والحالة الثانية ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ في ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ فقط ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: 29] في النشأة الأخرى.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿أَلَيْسَ هَـٰذَا﴾ القرآن أو محمد مستصحب ﴿بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ﴾ الله لهم ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 30] أي بسبب كفركم في الدنيا.

إشارة وتأويل

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ من الأعيان النورية والأكوان الظلية العدمية فإن كلًّا من هذين الفريقين تزعم اختصاص عبادة الحق نفسهم ولا يرون غيرهم والحال أن الله عزَّ وجلَّ أخبر في صدر السورة إنهما مخلوقان معًا خلق الظلمات والنور وجعلهما مرآةً واحدة ذا وجهين مقبولين والبرزخ بينهما هو الظلمة المطلقة والهيئة الإمكانية أو شر محاكاة المرات هو الظلمة أما في حد الوجهين وكلاهما ظلمة لئلا يتعد الشعاع في الجسم المصقول بل ينعكس مستقرًّا من الظلمة إلى مبدئه فتحاكي صورة الرأي ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ أي التجليات الذاتية بجميع الأسماء الذاتية والصفات الأولية والثبوت الإلهية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 21]

والحال أن كلًّا منهما على نفسه وعلى غيره ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ في القيامةِ العظمى والفرصة الكبرى لدى إتقان نوبة التدبير من الأدوار والأكوار الإفرادية إلى فرداريّة الفرداريّة الجمعية جميعًا جميعًا أي جميع الأعيان النورية الوجودية وتمام الأكوان في الأكوار الظلية العدمية.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ [الأنعام: 22] من الأطوار العالية والسافلة المتقيدة بخصوصية مقتضيات الأطوار من الحالات وعلو المقامات ومشاهدة أنوار التجليات وأسرار الأسماء وأزهار الصفات فإن العبدَ الدائرَ والسالكَ السائرَ إلى حال ومقام وكشف وكمال يتقيد فهو في الحقيقة مشرك بالله العظيم فإن السالكَ ربما يستكمل الأطوار السبعة القلبية على مرتضى حكم الجمال والظل والجلال والفناء في الله والبقاء بالله وما يلزمهما من التوحيدات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية والمظهرية والكلية والتحقيق بالذات والأسماء والصفات الذاتية والإلهية والربوبية والكونية وتقيده مطابقة مخصوصة من التجليات والمقامات وعلو الحالات فهو بالحقيقة مشرك باللّهِ ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ إنما هو غير الله الذات المستجمعة لتمام الأسماء والصفات الإلٰهية والربوبية والهيئات الكونية ومقتضيات الأدوار الإلٰهية والكونية والربوبية والغيبية وتطورات النشآت وتنوعات الشؤونات ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 22] في فرداريّة الأدوار وفرداريّة نشآت الأكوار.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ وعذابهم وسورة عقابهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ أي مقتضى هذا القول وهو داء وعاقبة أمره كانَ كامنًا في قوة استعدادهم فتمثل لهم بصورة نار التحسر والتأسف، ونهيه بوار القطيعة والتحرف، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23] بقدرتنا واختيارنا وإرادتنا، إذ الشرك والكفر قد كان ثابتًا ومقدرًا قبلُ وجوديًّا وتعينًا في استعدادنا وقابليتنا في صراحة فرداريّة النور والجمال والوجود والظهور في مقتضيات خزائن سلطان الظل والجلال والعدم والخفاء في المولود الجني والمعهود الحقي نفس الإيمان الذي هو مرتضى غيب هويتنا وجنة حقيقة ماهيتنا، ومرتضى مولود الجني الذي تولد مع المولود الإنسي معًا، تولد النور والظلمة والجمال والجلال، والخفاء والظهور من أم الأحدية الذاتية والهوية الغيبية، وإذا انتقلت فرداريّة نوبة التربية إلى الظل والجلال صار كفرنا

وشركنا وجهلنا وكذبنا ومعاصينا عين الإيمان والتوحيد والعلم والطاعة والعصيان، الصدق والإيقان في اليقين والمعرفة والإتقان، وتقليب سائر الأحوال إلى صورها الغيبية بأن صارت الشهادة غيبًا والظهور باطنًا وضياء الروح جسمًا، واليقين جسدًا، والجسد نفسًا، والجسم روحًا، والسماء أرضًا، والأرض سماءً، والوجود عدمًا، والعدم وجودًا، والدنيا آخرة، والآخرة دنيا، والنبوة ولاية، والولاية نبوة، والناسوت لاهوتًا، واللاهوت جبروتًا، والجبروت ملكوتًا، والملكوت برزخًا، والبرزخ ملكًا، والملك والشهادة بما في ضمنه من البرزخ والملكوت والملك والأهرمة والشياطين والجبروت والعقول والإدراك المغرس، وعينهم وهو الأهرمينات ناسوتًا، والناسوت لاهوتًا، واللاهوت والذات البحت ومطلق الموجود هو غيب الكل، كما أن الناسوت وعين الكل والتعين الغيبي الشهادي ولذا صار مقصد الكل وجامع الجزاء، والكل واقع تمام الطرق، وجميع السبل إلى حضرة الكل.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعَام: 24] أي يتمثل هذا القول أيضًا عندهم بصورة النار وهي أشد تأثيرًا لأنها نار روحانية وبوار ربانية يحزن الروح والنفس على وجه لا يطلع عليه غير الله لأنها ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهُمزة: 6، 7] الآية، فعند هذه النار وشدة تأثيرها تضل وتغيب شركائهم عن نظرهم وظل وأصبح بأن اختفى واستوصل وفقد تنوعات ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعَام: 24] من القول والإفك من نفوسهم الكمالي اشتغالين بإدراك تأثير النار وإحراقها قد غفلت عن الشركاء عن ما صدر عنهما من الافتراء والقول الكذب، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ﴾ القرآن ويتوجه ﴿إِلَيْكَ﴾ بالمناسبة الذّاتية التي هي الإسلام الحقيقي عند النبوة الذاتية وجريان حكمها على الأعيان الثابتة، فمنهم مؤمن ومنهم كافر ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الأدوار والأكوار بحسب اكتساب الأطوار في نشأتها الأنوار والأسرار وتقيدها بها.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ وثقلًا وحجابًا أي على غيب وجودهم وأغطية ونقابًا على أفئدتهم فاحتجبوا عن شهود التجليات ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي إدراك شهود التجليات وتعاطفها وسابقها وتضاعفها ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ قد امتنعت عن سماع الكلام الإلهي والمرام الغيبي.

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ ومعجزات وخرق عادات ﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ولا يسألونها ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوكَ﴾ على مقتضى مناسبة الفطرة الأولى ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ على مقتضى النشآت العنصرية ومقتضى مخالفتها، ومرضيًا تباين صورها المتضادة، يجادلونك ويخالفونك، وينتظرونَ ويتباعدونَ لعدم المناسبة بينك وبينهم في هذه النشأة، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25]، أي ليسَ هذا القرآن إلّا الذي رأينا وسمعنا في الفطرة الأولى وبداية الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى في مسالكِ سلوكنا ومدارك صكوكنا من الله إلى اللّهِ وإلينا وبيننا إلى غيب قلوبنا وأرواحنا وعيوننا، فلما كان سرهم في نفوسهم ودورهم في ممالك أنفسهم احتجبوا بنفوسهم عن الله وأهلِ الله إلى أن يتم هذا السير ويعم هذا السّلوك والطير إلى أعلى عليين، ومنه إلى أسفل السافلين فحينئذٍ يحيطون من أفياض أمواج بحر كمال رحمته وأفواج رأفته، ويرون عموم عنايته وعاطفته ويعترفون من ثمة بحقيقة الإسلام الذاتي ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53] لا يغفل عن إضافة الرحمة إلى اللّهِ دون الرب، وعن تنزيل المظهر ووضعه موضع المضمر، ومنه التأكيد وتحليل ضمير الفصل، ومن المبالغة في المغفرة والرحمة.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي الأطوار القلبية ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ منسوباتهم ﴿عَنْهُ﴾ أي عن التذكر بالقرآن الذي سمعوا في الفطرة الأولى وعن إطاعة الحقيقة الكلية السارية في جميع الأعيان الثابتة والأكوان الغيبية ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ الخاصة وحقيقتهم الجزئية الغاصة إذ الغرض من النهي والمنع والتبعية والنأي وما يتفرع عليهما من النار والسعير والبوار والزمهرير والسعير استهلالهم عن التعبدات واستبعادهم عن التقليدات الرسمية والتقييدات القلبية والاسمية ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 26] إهلاك أنفسهم وأملاك عينهم وقدسهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ أي الأعيان المذكورة والأطوار المزبورة عند انتقال الدورة إلى الحكم الجلالي الضمني والنار الضمنية التي هي صور الأعمال والأفعال وغرر الأقوال والأحوال. قالَ النبي عليه السلام: «**إنما أعمالكم تردّ عليكم**». ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي استشرفوا عليها من غير ورود فيها ودخولٍ في جوفها ﴿فَقَالُواْ﴾ في هذه الحالة متمنين الخلاص عنها أو من إلى دخول فيها ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا والنشأة

الأخرى التي هي في ضمن هذه النار أو بالعكس لما تقرر من أن الدنيا والآخرة والنار والجنة والنور والظلمة والليل والنهار يتضمنان ويتبادلان في الصراحة والضمن عند تبدل الأدوار والأكوار والانتقال من بعضها إلى بعض ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ في هذه الدنيا المعادة ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27] فيها.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ في هذه النشأة ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟﴾ إلى هذا الدنيا الثانية المعادة ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28] التقيد المخصوص اقتضاء هذه الدورة لأن الأدوار الإفرادية مقيدة بخصوصية الاقتضاء الخاص والقيد الخاص لا يرفع إلا في الدورة الجمعية التي تعانقت الأدوار وما فيها من الأعيان المتضادة والمتعادلة والمتعاندة وحقائق الأكوان الملكانية والمتباينة ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28] في هذه الدعوى لجهلهم بكيفية اقتضاء الدورات.

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ في ردهم ورجوعهم وادعوهم إلى هذه الدنيا الثالثة ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي ليست الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: 29] لأن التصرف بالنعت إنما يتوقف على الجمعية الكاملة والهيئة الكلية الشاملة لتمام الأطراف والأضداد والنقائص والأنداد فلا تعارض فيها ولا مخالفة ولا تناقضَ مما لم يتجرد من خصوصيات الاقتضاءات المتناقضة ولا يتحقق بحقيقة النعت ولا يصدق بحقيقة البعث ولا يتحقق بما يقتضيه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ واستشرافهم بمشاهدته بأن يتجلى لهم بجميع الأسماء والصفات وإذ ﴿قَالَ﴾ الحق في هذه الحالة ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ القرآن والتجلي الكلامي الجامع لجميع الأسماء والصفات الذاتية بالحق ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أي الحق ربنا الذي كان بناء ومعنى ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي عذاب التحسر والندامة بانتفاء التحقق وعين اليقين وحق اليقين، فإنَّ علم اليقين بالجمعية المحققة الشاملة للأضداد والنقائض والأنداد، فإن العذاب الروحاني والعقابَ النفساني لا يرتفع إلا بالتحقق بالجمعية الكاملة. قال النبي ﷺ: «**إن لله تعالى تسعةَ وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 30] على الله وتنكرون مرتبة علم اليقين ومرتبة عين اليقين وحق اليقين.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 5، 8]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ

﴿رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 95، 96].

واعلم أن لكل واحد منها يرتفع نوع من العذاب في النيران، فبعلم اليقين يرتفع العذاب الجسماني وبعين اليقين يرتفع عذاب النفس وبحق اليقين يندفع العذاب الروحاني، فبالأول تدخل جنة الآثار، وبالثاني جنة الأفعال، وبالثالث جنة الأسماء والصفات، وتصوره جمعية الكل يدخل جنة الذات، نعم الدخول في هذه الجنات لا يوجب الدخولَ في جنات التجليات الأربعة، وهي التجلي الآثاري والأفعالي والأسمائي والصفاتي والتجلي الذاتي وقد ورد في الحديث: «**إن الله تعالى قد يتجلى لأهل الجنة فمنهم من عاش التجلي فصارت الجنة في حقهم روحًا وريحانًا وجنة نعيم**»، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [الواقعة: 88، 89] إلى قوله: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 96] فمنهم من لم يشاهد التجلي صارت الجنة في حقه جحيمًا.

قالَ النبي ﷺ راويًا عن الله: «**يا أحمد إن في الجنة من لؤلؤة فوقَ لؤلؤة ومن درة فوقَ درة ليسَ فيها قصم ولا وَصَلٌ فيها الخواص، أنظر إليهم في كل يوم سبعين مرةً، وأكلمهم، كلما نظرت إليهم ازدادوا في ملكهم سبعين صنفًا، وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب، تلذّذ أولئكَ بذكري وكلامي وحديثي معهم، قلت: وما علامة أولئكَ يا رب؟ قال: مسخنون قد سخنوا ألسنتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام**».

تفسير

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١﴾

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ وشهود وجهه وجماله استمر الخسران أو بكذب لقاءِ اللّهِ تعالى ومشاهدة وجه الرحمٰن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وفاعلتهم القيامة ﴿بَغۡتَةٗ﴾ [الأنعام: 31] ودفعة واحدةً لأن أمر الكون تدريجي يحتاج إلى أسباب كثيرة وشرائطَ غفيرة، بخلاف الفساد فإنه دفعي، إذ بارتفاع الخبر الواحد

يرتفع الكل والجمعية ويفسد، أما كونه ووجوده يتوقف على اجتماع الأجزاء وشرائطه، وارتفاع الموانع واندفاع القواسر ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾ [الأنبياء: 104]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ وندامتنا وتأسفنا على قصد المبالغة كأنه قيلَ يا أيتها الحسرة والندامة والتأسف والملامة قد جاء أوانكم وحان أوقاتكم وأزمانكم ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ وبصرنا وضيعنا الأوقات وأوان عمرنا في الجهالة والبطالة والضلالة ﴿فِيهَا﴾ أي في الساعة والتصديق بوقوعها يكون ذريعة النجاة وذريعة وحصنا حصينا في المحاربة مع أعداء الشيطان والنفس في الدنيا ﴿وَهُمْ﴾ في هذه الحالة ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ ما اكتسبوا في الدنيا من الأعمال والأحوال خيرًا كانت أو شرًّا مشتركة في هذه الحالة بالأحمال والأعمال محمولة ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ﴾ أي يظهر لهم هذا الحمل خفيفًا كانَ أو ثقيلًا كثيرًا كان أو قليلًا وهكذا كان هذا الحمل والمحمول منفكًا عنهم طرفة عين عاجلًا وآجلًا وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ويخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: 31] يحملون الأوزارَ والوزرَ.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ﴾ الظاهرة ﴿ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ﴾ أي الاشتغال بهذا الاشتغال بما لا يعنيه ظاهرًا وباطنًا قالَ النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه**»، فمن اشتغل بما لا يعنيه فإنه ما يعنيه.

اعلم أن الدنيا من حيث هِيَ شاغلة من الحق ومعرفته مذمومة والاشتغال بها ملومة وأن الدنيا مزرعة الآخرة ومطية زادها ووسيلة لاكتساب سعادة الآخرة ولا آخرة لولا الدنيا. قالَ النبي ﷺ: «**لا تسبوا الدنيا فإن الدنيا مطية الآخرة الدنيا مزرعة الآخرة**»، ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي الظاهرة في آخر الدنيا ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ﴾ [الأنعَام: 32] من الدنيا ويحفظون نفوسهم من الاشتغالِ ومهالكها لبقاءِ الآخرة

ونعمتها وفناء الدنيا ولذاتها صورة ومعنى من حيث انقلابها بالأمر وتبدلها بالأرجاع والإيلام والأهوال والسعير والنار والسلاسل والأغلال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32] تعرض له بانتفاء العقل عنهم لعدم جريهم على مقتضاه الذي هو الفرق بين الحق والباطل.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ في حقك يا محمد نزلت حين قالَ الأخنس بن شريف لأبي جهل: أخبرني عن أمر محمد وليسَ هاهنا غيرنا قالَ أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق وليسَ بكاذب، لكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والقدوة والنبوة فما يكون لسائر الخلق من قريش. فلا تحزن يا محمد ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: 33] فيما أنزلَ لأنهم يكذبونك في الظاهر باللسان لا بالقلب أو لأنك ما تقول من تلقاء نفسك بل القائم والمتكلم بالوحي أنا لا أنتَ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: 3، 5]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على أنفسهم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33] وينكرونها ويكذبون الله لأن تكذيبَ الرسول حقيقة هو تكذيب المرسِل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] وتقديم المجرور يفيد الحصر.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في الأزمنة السالفة ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ روي أن قوم نوحٍ كانوا يضربونه حتى يغشى ويخاف ويخشى عليه فدعى نوح لهم اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعرفون ولقد جاءهم نصرنا لقهر من كذبك وظفّرك عليهم ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنه حكم ولقد سبقت كلمتنا وإن جنودنا لهم الغالبونَ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34] وأجنادهم تسلية وتقوية لقلبه وطويته إليكَ من بعض أخبار الأنبياءِ المرسلين من الإهانة والاستخفاف والاستهزاء وغير ذلك قد وصلت من قومهم بهم قد صبروا بهم وعلى أذيتهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ وانصرافهم عنك وعن ما جاءك ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ في حدتهم إليك... ولديك ﴿أَن تَبْتَغِيَ﴾ وتطلب وتجاوز ﴿نَفَقًا﴾ سريًا وطريقًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ أو سبيلًا ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ واضحة وعلامة صريحة تدل علي ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ﴾ [الأنعام: 35] بأجمعهم بل لمن شاءَ الله لمخالفته الحكم الإلهية والتأثيرات الربانية ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: 13] ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35] بحكمتي وقدرتي ومشيئتي.

﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ﴾ المؤمنون المتقونَ الذين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ الذكر فيتبعونه ويتمتعون به لا من ختم الله على قلوبهم وطبع على قلوبهم وآذانهم وعيونهم ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ فإنهم الطينة وهي العلوم الحقيقية والمعارف الإلهية الربانية تتبدل تبدل الدول والملل والنحل، وهم الموتى الحقيقيين أموات غير أحياء وما يستقرون يتبعون من كانَ ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: 36] ليجزيهم ويخزيهم بما فعلوا الموصول مرفوع بأنه بدل من افسحوا.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ﴾ أي هذا أنزل ﴿عَلَيْهِ﴾ نزل لديه آية أو كتاب وكلام وكتاب وقرآن وتبيان ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ استحقار لشأن محمد واستخفاف لبرهانه ﴿قُلْ﴾ يا محمد احتجاجًا عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ على التحقيق أراد بلا مانع لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 37] مراد الله وحكمته ومشيئته وقضائه ومصالحه.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ جملة فعلية صفة كاشفة لطائر ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ أحوالهم كانت كأحوالكم وأسماؤهم كأسمائكم المعلة والبهائم المحكمة كالكلاب والذياب والفرس والجمل والبقر والمعاز والكبوش وغير ذلك. قالَ النبي ﷺ: «**لولا أن الكلابَ أمّة لأمرتُ أن يقتلوها فاقتلوها واملؤوا كل سائر الأمم والطوائف عليه**».

قالَ بعضهم في المعرفة: الحالات. وقالَ أيضًا عليه السلام: «**جُبلت البهائم والطير والوحوش والسباع والحيتان والأشياء كلها على المعرفة بأن الله ربها وحيث تأوي وطلب رزقها، وكيف يأتي الذكر والأنثى وحذر الموت**»، قيل: إشارة إلى أن النفس الإنسانية باب الأبواب كنفوس الكائنات ونفوس المكونات قال الله تبارك وتعالى: خلقت أولًا نفس آدم وحقيقته.

قالَ النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله روحي، وأول ما خلق الله نوري، وكنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**». وقالَ علي رضي الله عنه: «أنا آدم الأول»، فنفوس الأفلاك كلها والصورة النوعية العنصرية والمعادن ونفوس النباتات والحيوانات ومستنسخات نفس الإنسان قد صرح به صاحب الإرادات والتلويحات وقد تمسك أصحاب التناسخ بهذه الآية على ما ذهبوا إليه من إثبات التناسخ ولذا قيلَ ما ملة إلا وله قدم في التناسخ.

﴿مَّا فَرَّطۡنَا﴾ وما تركنا وما قصرنا ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فاللوح المحفوظ والذكر الأوّل ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعَام: 38] من الأشياء الوجودية والعدمية وكل ما خطر ببال الإنسان وحضر في قلبه وكل ما يخطر ويحضر بل كل محدث وحدث إلى يوم القيامة من الجواهر وأحوالها والأعراض وصورها وأشكالها وهيئاتها النوعية كالمسدس والمربع والمخمس وغير ذلك من مقولات الجواهر والأعراض التسع فهو في علم الله والقبل الأول وهو الكتاب المبين. قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله العقلُ ثم قال له: أَقْبِل فأقبلَ ثم قالَ له: أدبر فأدبر ثم قالَ له: ما خلقت خلقًا أحسنَ منكَ بك آخذ وبك أعطي**»، فالأول باعتبار والأخذ والإدبار باعتبار

الإعطاء وقال أيضًا: «**أول ما خلق الله القلمُ ثم خلق النون والدواب ثم قال له: اكتب قالَ: ما أكتب؟ قال: أكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ثم ختم على فم القلم**» ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: 1]، والنون هي النّفس الكليّة التي عبر عنها باللّوح المحفوظ والقلم هو العقل الأول ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38] بالموت الإرادي أو الطبيعي في الآفاق والنفس عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة والدواب والبهائم والطير وكل شيء للجزاء فيأخذ للجماء للقرناء ثم يقول له: كن فيكون ترابًا فحينئذٍ يتمنى الكافر ويقول: يا ليتني كنت ترابًا» لأن مناط التكليف ومحاط التعريف هو العقل وهو قد انتفى عنها وهو يوجب البقاء والإبقاء والعوض والجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هم بأسرهم وبأجمعهم ﴿صُمّٞ وَبُكۡمٞ﴾ لا يسمعون ولا يتكلمون الخبر بحيث تناشز به نفوسهم ثابتون ومخلدون ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ خبر ثالث للموصول ظلمات غياهيب ضلالات الكفر والشرك والجهل المركب الذي هو رداء أعراض النفوس أو العناد والتقليد والمكابرة والتقييد ويجوز أن يكون حالًا من المستكن في الخير ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُۚ﴾ رد على المغيِّر له ﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: 39] على ما تقتضيه الحكمة الإلٰهية والمحبة الذاتية والمشيئة الأزلية والإرادة الأولية.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠﴾

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ استفهام تعجب واستعلام تغلب والكاف حرف خطاب أكّد بِهِ الضمير المخاطب لا محل له من الإعراب وجمعه البعض إذ يقول أرأيتك زيدًا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولًا كما قاله الكوفيونَ لعدّدت الفعل إلى ثلاث مفاعيل وللزم في الآية أن يقال رأيتموكم رعاية للمطابقة بل الفعل مفعول أو المفعول محذوف أرأيتكم آلهتكم ببغيكم أو تدعونها ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ كما

أتى قومًا من قبلكم ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وأهوالها ومهالكها وأغوالها ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ في هذه الحالات وهو إلزام لهم وتبكيت وانفعال لهم وتسكيت ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعَام: 40] في أن الأصنام آلهة يشفعون لكم ويخلصونكم عن عذاب اللَّهِ وجوابه محذوف أي فادعوها فدفع العذاب ورفع شديد العقاب عنكم وأنتم لا تدعونها.

﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١﴾

﴿بَلۡ إِيَّاهُ﴾ أي الحق ﴿تَدۡعُونَ﴾ [الأنعَام: 41] في هذه الصور وإذا غشيهم موج كالظلل دعو اللَّهَ مخلصين.

إشارة وتأويل

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ والشهود الجمعي الجمالي الإلهي والكوني والوجه المعي التدريجي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ الجمعية وهي القيامة العظمى عند انتقال الفرداريّة من الأدوار الإفرادية إلى الإقرار الجمعية بَغۡتَةً دفعة واحدة لتساوي تبينهما إلى جميع الأدوار وما فيها من الأعيان وما لها من الدهور والأزمان وما يلابسها من الأحيان والمكان والوجوب الذاتي والإمكان، وأما الساعة الإفرادية وهي التي تظهر عند انتقال الفرداريّة الإفرادية إلى الدورة الفردية وكذا الانتقال من الدورة الفردية إلى الكورة الفردية فهي ارتضاء كالبروج الاثنا عشر فإنه في خط الاستواء الذي نسبته إلى الشمال والجنوب على السواء كان البروج يطلع شيئًا فشيئًا واحدًا بعد واحد، وأما في الآفاق المائلة بطلوع البروج يختلف إذا بلغ العرض إلى تسعين انطبق معدل النهار على الأفق وصل قطب معدل النهار سمت روس من كان في هذا العرض فيطلع نصف منطقة البروج وهو سر بروج بغتة ودفعة منه آخذة والبروج الأخرى أقيسة الثالثة بتعد بغتة وذلك مثل الدنيا والآخرة والدورة المقتضية الجمعية بما فيها من الأعيان وما يتبعها من الأحوال والأكوان الضمنية تتعرض ويختفي ويقرب ﴿بَغۡتَةً﴾ [الأنعَام: 31] في الدورة المنقلبة إليها ويظهر وتطلع الدورة الثانية المنتقل إليها دفعةً واحدة فبالنفخ الأول في صور انقضاء الدورة الأولى التي تنتقل إلى الدورة الثانية تظهر الساعة بالنفخ الثاني تقوم الساعة وتحشر الموتى عن القبور والأجداث، فإذا نفخ في

الصور أي ظهور الدورة الثانية ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يٰس: 56].

ففي كل دورة من الأدوار الأربعة النورية ظهور الساعة وقيام القيامة، وإن كل دور من هذه الأدوار المربعة أعني العظمى والكبرى والوسطى والصغرى يتضمن وينطوي على أربعة أدوار وإن لكل دورة من هذه الأدوار الأربعة في الأربعة أربعة أصلية واثنا عشر فرعية، والحاكم على هذه الأدوار الستة عشر ومراتبها إما الجمال والجلال أو مجموعهما، فيرتقي المجموع إلى 48 حاصلة من ضرب الثلاثة في الستة عشر وهو حقيقة آدم 45 إلى أقنوم ثلاثة فلكل واحد من هذه الأدوار الأصلية والفرعية ساعة وقيامة.

﴿قَالُواْ﴾ الأعيان النورية الأصلية والفرعية ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا﴾ أي ترك السعي في استكمال حقيقتنا واستحصال الحالات والأطوار الجمعية ﴿فِيهَا وَهُمۡ﴾ أعيان الأدوار المذكورة ﴿يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ وأعمالهم وأحوالهم في الأدوار الإفرادية والأكوار الفرداريّة ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعام: 31] أي على استعدادهم الذاتي وقابليتهم الأولى الظاهرة في المظاهر الكيانية والمحاضر الإمكانية.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ أي المظاهر في الأدوار والأكوار الإفرادية فإنها لكونها غير مقصودة بالذات بل ملحوظة للغير ﴿إِلَّا لَعِبٞ﴾ باعتبار تربية النور والوجود والإضافي والجمال الظاهر الصريح ﴿وَلَهۡوٞۖ﴾ [الأنعام: 32] باعتبار هوية الظلية والعدم الممكن والجلال الظاهر الضمني وهو أفعال المولود الجني الغير المطاوع للمولود الإنسي ولعب أعمال المولود الإنسي الذي تابع المولود الجني الذي خلقه الله تعالى ليخدم المولود الإنسي فأعمال المولودين من حيث الانفراد من غير الجمعية الإلٰهية والكونية لهو وضلال.

قالَ النبي عليه الصلاة والسلام: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»، ألا ترى أن التصورات المتفرقة من غير الاجتماع والتصديقات والقضايا بلا اجتماع وترتيب وانضمام وتركيب لا يعتد بها فيكون لعبًا ولهوًا، وكذا الكلمات المفردة عند عرف النحوي غير مفيدة، فهي بمنزلة الأصوات والحروف إذ الفرض من النحو معرفة الإعراب والبناء وهي موقوفة على الاجتماع والتركيب.

واعلم أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا وحقيقة جمعيةً متحول ومتقلبة ومتبدلة عليها ومن تعلّقت به فهو هالك لا مالك، وأما باطنها فهو الآخرة، وهي وإن كانت مرغوبة العامة إلا أنها مرهوبة الخاصة، الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله تعالى، وأما حقيقتها فهي صورة جمعية تمام المراتب، وما فيها من الجواهر النورية والقبول والنفوس والأرواح والأملاك والأشباح والأفلاك وما فيها، والعناصر وما يتركب منها، وهذا الوجه أحسن الوجوه، هي وهذه المراتب أتم المراتب وأعم المآرب وأهم المطالب. قالَ النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها تبلغه الجنة وبها ينجو من النار**» فالمذموم منها هو الوجه الأول. قالَ النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا إله إلا الله، تمنع من سخط الله، ومن لم يؤثروا منفعة دنياهم على دينهم وقالوا: لا إلهَ إلّا الله ردت عليهم**». قالَ الله عزّ وجل: «**كذبتم**».

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الحاصلة بعدَ الدنيا جنات كانت أو تجليات وحالات وأوقات مع الله «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 32] مما سواه والتقوى ويختلف بحسب اختلاف الشخص فمن كان غرضه من الآخرة الجنة ونعيمها فتقواه إنما يكون من الدنيا ولذاتها، فمن كان مشاهدة غرضه من الإسلام العلوم والإدراكات، أو مشاهدة التجليات فتقواه إنما يكون من غيرها، ومن كان غرضه الحق وشهود جماله وجلاله وتجلياته فتقواه لا بدّ وأن يكونَ مما سوى الحق حتى نفس العارف والآخرة بل الحق وشهوده، فإنَّ لله تعالى نفحات من رحمته وتجليات ذاته وصفاته فمن اعتدل بشيء منها واعتكف عليها وانعطف للدنيا فهو بالله العظيم كافر فانطواء العارف إنما يكون مما سوى الحق وشهوده ولا يتحقق له ذلك يرجع ولا يصل إلى عالم العقل الصريح والى حقيقة الدنيا والآخرة يؤثر الآخرة على الدنيا والحق عليهما.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ [الأنعام: 33] ويفيدك ويعنيك الذي يقولون ويتقلدون وهم حضيض الشكّ الذاتي فلا تحزن وبتقيدات في ذاتك وحقيقتك الأولية السارية في الأعيان النورية الوجودية الجمالية أولًا وصريحًا وفي الأكوان الظلية العدمية الجلالية ضمنًا وثانيًا، السائرة في المراتب الجمعية والجمع الكمالي والكمال الجمعي انتفاء للمقام المحمود ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن

يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: 79] الآية إلخ ولهذا أمرَ بعدَ الأذان بدعاء: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه مقامًا محمودًا**» إلخ، إشارة إلى أدوار مسيراته، فإن الوسيلة إشارة إلى الدورة العظمى النورية، والفصيلة إلى الدورة الكبرى الدرجة العالية الرفيعة إلى الدورة الوسطى التي هي كريمة الطرفين مقامًا محمودًا هو الدورة الصغرى والصورة الجمعية التي هي أقصى المطالب وأعلى المراتب ولكن الظالمين المحجوبين المتبعدين بالتعينات النورية والأعيان الظلية المتجاوزين عن فطرتهم الأصلية وطبيعتهم الأولية «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام إلا أن أبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**» الحديث ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33] أي ينكرون آيات تجليات أنوار الحالات.

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ أي تجليات أسمائية وعلوم وإدراكات حقيقية تستتبعها التجليات المذكورة المتضاعفة حسب تضاعف قد جاؤوا أي التجليات بالبينات أي العلوم السبعية ﴿فَصَبَرُواْ﴾ واستمروا بحسب استمرار النشأة الإلٰهية والشؤونات الربانية ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾ وأوذوا حسب حرمان مقتضيات النور والجمال والجمال ومرتضيات الظل والجلال على وفق الطبيعة فإن كمالها إنما يظهر بتوافقهما وحقيقتهما ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ﴾ تجلي ذاتنا وكلمات أحكامنا ومقتضيات أوامرنا ومرتضيات سنّتنا ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ وأحكام قضائه ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34] إلى مقتضيات أخبار التجلي الأسمائي وهي العلوم والإدراكات المتعلقة بالأعيان الثابتة والعقول المجردة والملائكة المتفردة وأعوانها، وبأحوال أعيان الدورة الكبرى وهي الأرواح ومن الأطوار العالية بشيء الحقي والحقي ولوازمها وهي النسب الذاتية والشؤونات الأولية أو الوصفية وهي الصور العلمية والأعيان الثابتة والإضافات الفعلية والنسب الوصفية والأعيان الثابتة والعلوم الخصوصية والمثل النورية، كما قيلَ في تعريف العلم بمثل حقيقة الشيء عند المدرِك يشاهد ما يدرك.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾ [الأنعام: 35] إشارة إلى التطورات والتوقيع في أثناء السلوك العقلي والقلبي، أما الأول فلأن الفعل من شأنه الإقبال والإدبار كما ورد في الحديث: «**أول ما خلق الله العقل ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر**

فأدبر». ويتعدى هذا الإقبال والإدبار إلى الأفلاك وكان للأفلاك إقبال وإدبار، وكما شاهدتهما أصحاب الطلسمات في المثل الكلية، وانصراف منطقة البروج عن معدل النهار استبعاد مداعيه إلى ما لم يأخذ في التقارب إليه شيئًا فشيئًا إلى أن انطبقت عليه وعادت العناصر الأربعة إلى حيزها الطبيعي بعدَ الانحلال واستقر حكم الماء على كرة الأرض ولم يبق شيء من الأرض مكشوفًا ولا من الملقيات عليها معروفًا، ثم ينصرف إلى المعدل إما إلى الشمال بحيث يكون أو جانّ الكواكب أيضًا إلى الشمال فينكشف الربع الشمالي وتقع العمارات كلها أو أكثر في الشمال أو إلى الجنوب فانعكس الأمر وانصرافه أيضًا إلى حدّ، وهاهنا صور واحتمالات كثيرة من الإقبال والإدبار، ووضعوا من السحر طلسمات وأشكال كثيرة وغريبة ومؤثرة عجيبة فأنتَ خبير بأن في الفعل وجهين:

أحدهما: إلى الحق يستفيض وله إقبال سرمدي بهذا الوجه إلى الله قديم أزلي بالله عليم بوجه الله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88].

والثاني: إلى الخلق وهو بهذا الوجه مفيض حادث، وله بهذا الوجه إدبار من الله. وهذا الإقبال والإدبار كما سرنا إليه في الأفلاك سرنا في الكائنات الأمدية أعني النباتات والحيوانات والإنسان، فإن لأكثرها إدبارًا ولا يصل إلى كمالها اللائق، والأشجار كثيرًا وهكذا الأزهار كثيرًا لا بتعديل ويسقط، والمنعقدة لا يبلغ إلا الصلاح وما سلمت وصحت لا يصل إلى أهل الصلاح، وكذا الحيوانات والإنسان لها إدبارات كثيرة ولا إقبالَ لشيء منها إلا تعليل، وكذا الأفلاك من حيث أنها تتوجه إلى الناسوت ليصلوا بوسيلتها إلى اللاهوت، إدبارات وراء تلكَ الأدبار المذكورة، فالحقيقة المحمدية السارية إلى المعاقد الإفرادية والمراصد الفرداريّة.

﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية وعرض القابليات ليوصل ما كان كامنًا في هذه الأرض من الأعيان الوجودية النورية التي هي إخفاء الخصوصية الجمعية المحمدية إلى تلك الحضرة الجمعية ﴿أَوْ سُلَّمًا﴾ من خطوات الأفكار الشهودية والأنظار الوجودية ليصعد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سماء الأدوار الإلٰهية لتنزل الأعيان الثابتة والحروف العالية والماهيات الكونية بل الشؤونات الذاتية والنسب الأولية من هذه المرتبة إلى المراتب المتوسطة إلى مرتبة الناسوت

ليصل منها بذريعة الكون الجامع ووسيلة المظهر إلى الذات الأحدية واللاهوت ﴿فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ﴾ خارقة للعادة ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يجمعهم ويوصلهم إلى حضرة الجمعية الأحدية ﴿لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾ إليها ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعَام: 35] الذين ضيعوا أعمارهم إلى التمني لاستحصال المستحيلات وفرغوا نطفة فطرتهم في افتياض المجهولات في مطاوي الدورات من غير استكمال الاستعدادات وتتميم القابليات، إنما ويقبل الهداية الفطرية العارفون المتحققون بالحقيقة حين السماع وصفاء قوة الاستماع وقوة الإصغاء وحصول الاستمتاع، الذين يسمعون الحق ويستمعون عن الحق بالحق إلى الحق فيتبعون أحسنه في طريق الجمع مع الفرق، والموتى يبعثهم الله في المحشر الأعظم ويحشرهم في العنايات المذكورة ثم إليه ترجعونَ للأجزاء وإعطاء الجزاء بما يليق بحال استعدادهم ومآل استدعائهم، وقالوا أي الأعيان المتوقفون المتقيدونَ بمرتبة التفرقة لولا أنزل يعني لا ينزل عليه أنه جذبة وجمرة من جمرات المحبة الذاتية نازلة من سماء أحدية الجمع وفلك أسماء رتبة جمع الجمع، قل إن الله قادر على أن ينزلَ، وعلامة عامة ضامة حالة الفرق بالجمع، ولكن أكثرهم من أعيان الأطوار وأكوان الأدوار، لا يعلمون الفرق بين الجمع والفرق، وجمع الجمع وفرق الفرق.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ﴾ في الأرض القابلية من احتجاب التجليات الجلالية والشهودات الظلية ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ﴾ إلى الحظائر القدسية والسرائر الإنسية من أرباب المشاهدات النورية والمعاينات الوجودية الجلالية ﴿يَطِيرُ﴾ ويعرج بجناحيه بكمال علو الهمة وسمو الطوية وصفاء النية وضياء الأمنية في السير إلى اللَّهِ ومن الله لقوله عليه السلام: الإنسان يطير بهمته كما يطير الطير بجناحيه ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعَام: 38] إشارة إلى أن الأدوارَ وما فيها من الأعيان الصريحة والأكوان الضمنية النصيحة متطابقة، والفرق إنما هو بإجمال الأحوال والأعمال والتفصيل فيهما وفي الكمالات الذاتية والأسمائية.

أما الأول: فهو شهود الذات بالنعوتات الذاتية والأسمائية أما الأول فشهود الذات وبالوجوه غيب الغيوب بحيث لا يشاهد في ضمن شهود الذات العارف الفاني في ذاته البقاء ببقاء الذات في مشهد التجلي الذاتي غير الذات وشبهه الذاتية وهي الشؤونات والوجوه الغيبية والامتياز من هذه الوجوه والشؤونات إنما

هو بالذات، وأما الكمالات الذاتية والأسمائية فهي ظهور الذات بالذات بالنعوتات الوصفية والوجوه الأسمائية كمشاهدة الذاتية بالعنوان العلم الوصفية والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، والمنسوبات كل منها من المعلومات الأحياء والمقدورات والمرادات والمسموعات والمبصرات.

والكلمات إما فرادى أو مجموعًا، والمراد هو القوة النظرية المجردة عن الاستعانة بالوهم، والعملية المتفردة من أعمال النفس الأمارة والشياطين، والصدر المشروح، والفؤاد المجروح، والقلب المصفى، والنفس المزكى، والجمال الصريح والجلال الفصيح، فيه إيماء إلى أن تمام الحِصَص الوجودية بل النسب العدمية والمفهومات الوهمية والمعاني الجزئية التي يحسبها عن المحسوسات والمشاهدات والصور الخيالية المرئية في جزئية الخيال والمعاني الكلية التي في القوة الحافظة والعقل الفعال والبرازخ العالية أو في المرتبة المثالية والجزئية الخيالية أو في القوة الدراكة الفلكية، والنفس الكلية، واللوح المحفوظ، والكتاب المبين، أو في الحضرة العلمية متساوية النسبة إلى الله تعالى.

وإن كل حصة من الحصص المذكورة من حيث إنها قائمة بمطلق الوجود والذات الأحدية الجمعية دائمة بدوامها لازمة غير متفارقة عنه له قابلية قبول تمام الكمالات الوجودية والحالات العدمية والمقامات القلبية والمقامات الغيبية، فتكون من هذه الحيثية مقالًا وإظلالًا متكافئة وإن قبولَ هذه الكمالات متوقفة على التردد في النشآت والتبدد في مراتب ظهور الشؤونات وبروز المكونات صور جميع التعينات، فمن هذا النتائج ونشأة ترتيب الكون والبروز وفشا بين كل البروزات وتطور الثمرات.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ الجامع وهو الجمعية العظمى والكلية الكبرى المحيطة بالأولى والأخرى، ثم بعد استكمال كلمة حصة مقتضيات الأدوار واستحصال كلًّا من المستبدعات في أدوار الأكوار ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38] طوعًا وطبعًا تدريجًا ودفعًا أما الأول فشرط وصولهم إلى النشأة الجامعة البشرية، ولذا سميت باب الأبواب إذ من كل حصة متعاقد الفتح إلى هذه النشأة باب، ومنها إلى كل منها أبواب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وظهور تجلياتنا الذاتية والظهور الأسمائية في الأدوار

والأكوار الظلية ﴿صُمٌّ﴾ لا يسمع استدعاء الاستعدادات وضد استرعاء القابليات ﴿وَبُكْمٌ﴾ لا ينطق بين الخلق لا في مقام الجمع ولا في مقام الفرق إلا بالكلمات ولا بكمالات الكلمات التامات المجردات والمادات ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ أي الظلمات الثبات العنصرية وكدورات الصفات البشرية، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ إغواءه وإضلاله ﴿يُضْلِلْهُ﴾ ويغويه وإلى الكفر والمعاصي يغريه في نشآت الأدوار بالتقييد بقيود التعينات وحدود الأماكن والإمكانات وشهود الحالات وعلو المقامات وبكثرة الأحوال والعلوم والمعارف والإدراكات، وأضله على علم وختم على سمعه وبصره ﴿وَمَن يَشَأْ﴾ هدايته وعلمه ودرايته ﴿يَجْعَلْهُ﴾ ثابتًا وراسخًا متمكنا ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 39] وطريق مستوي قويم وهو الشريعة والطريقة والحقيقة، كقوله عليه السلام: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**».

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ وعقاب بعدكم عن التجلي الجمعي وظهور الجمع الجمالي بحكم الحجاب النوري ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ عند الانتقال إلى ظلمة اقتضاء الظل وارتضاء الظلالِ فأنتم في هذه الأحوال والحالات ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: 40] في دعواكم شفاعة الشركاء وتقريبهم أيديكم إلى الله قربًا وزلفى ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ في هذه الحالة أنتم إياه ﴿تَدْعُونَ﴾ بحكم اقتضاء الفطرة الأولى التي تقتضي الإسلام الحقيقي والإذعان العتيقي.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يوضح الحق في طور ما تطلبونه أنتم وتسألون كشف المدعو المطلوب وإظهار الأمر المرغوب ﴿إِن شَآءَ﴾ أراد كشفه في الدنيا والآخرة تفضلًا وإحسانًا وتفقدًا وامتنانًا ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ وتتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 41] أي الإلٰهية والشركاء وتقرر في ذلك الوقت لما ثبت لدى العقول السليمة من أن القادر على كشف الضر وعصف البلاء والشر في الدنيا والآخرة ليسَ إلا هو.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ من صلة إلّا رسلًا بعثوا في زمان قبلَ زمانك فكفروا بهم وكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ والشدة والفقر والحدة والسفر

والآفة والبؤس والحقر وهما مؤنثان لا مذكر لهما ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42] ويسألون دفعهما بالتذلل والخضوع ويتوبون عن الذنوب ويستغفرونَ عن عيوب الذنوب فإن دواءَ الذنوب الاستغفار. قال النبي ﷺ: «**لكل داءٍ دواء ودواء الذنوب الاستغفار فليرجعوا إلينا بالإنابة بالتوبة والإيابة**».

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ وعذابنا يعني ليسَ لهم إذ جاءهم عذابنا وجلّ عليهم عقابنا أن ﴿تَضَرَّعُواْ﴾ وآمنوا وأذعنوا بأوامرنا ونهينا ليرفع عنهم العذاب معناه نفي التضرع وقت مجيء العذاب لأنه لا يفيد ولا ينفع وإنما جيئ بلولا لسند أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع ولا العناد ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وأعجبوا بأعمالهم ورأيهم ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43] أي أعمالهم أو الذي يعملونه من الكفر والمعاصي فأخذهم الله بالأقدام والنواصي استدراك على المعنى للخائف لهم عن التضرع وإنه لا مانع لهم عنه بقساوة قلوبهم وإعجابهم بالرأي والعمل الذي رتبته لهم.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ وتركوا ما ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به ولم يأتمروا و﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أنواع النعم وأصناف الآلاء وأجناس الدواب والنعم مراوحة عليهم من يؤتى البأس والضراء واختيارًا وابتلاءً لهم بورود الفناء والراحة إلزامًا وحجة عليهم وإراحة عن شدائد المحن وإزاحةً عنهم، فكانت شدائد البلاءِ ونوائب الفتن وذوائب العناءِ استدراجًا ومكرًا في إزالة علة ألزمه في بعض من الأوقات والزمن ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ عطفًا من أنواع النعم الظاهرة المذكورة والباطنة كالحياة والعلم والقوى المدركة والمبادىء المتحركة فتغفلوا عن النعم وأعرضوا عن شكرها ومنعها ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ دفعة واحدة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44] آيسون ومتحيرون.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ آخرهم وعاقبة أمرهم ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعَام: 45] على إهلاكهم فإن في إهلاك دبر الظالمين أمان للفقراء العاجزين وللضعفاءِ والمساكين، وإنما حمدَ الله عزَّ وجلَّ نفسه في قطع أدبارهم ودفع إصرارهم لأنه أشرف النعم الظاهرة والباطنة لطمًا بين قلوب أهل الله إذ في رفع الأمن والأمان تشوشهم وتفرقهم في طاعة الله وعبادته وشهوده ومعرفته، ولذا يعم البلاء والفساد في البلاد بين العباد فإهلاكهم وهلاكهم من أجل النعم الظاهرة والباطنة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أيها المشركون ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ قوة الاستماع وقوة الإصغاء ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ قوة الإبصار حتى لا يسمعونَ الحق والأقوالَ الحقة والكلمات الصادقة ولا يقتدروا على النظر إلى أثار الهالكين فلم يعتبروا إذ لم يستبصروا فانتفى ما هو المقصود الأقصى من الحواسِ الظاهرة التي هي مبادىء مقدمات القياس والحجة والبرهان وهو الاستدلال على وجود الصانع وكمال قدرته ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ وطبع عليها حتى لا يفقهوا شيئًا ولا يعلموا إلا ظاهرًا ولا باطنًا لا صورةً ولا معنًى إذا العلوم والمعارف ينزل أولًا على القلب ثم يسري في القوى المدركة والحواس الظاهرة والباطنة والطبع بمعنى القبول والسراية والحلول فانظروا ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ أي بظنكم وبتعددكم من المدركة المذكورة و﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد وإنما عدلَ من المشركين في الجواب إلى الموحدين إشعارًا بأن النظر الصحيح والفكر الصريح لا يتأتى إلا منهم ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعَام: 46] عنها ولأقرهم على توحيد الذات، وتقررها بالصفات الكاملة في الحقيقة، والمعنى هي عين الذات إذ الذات الكاملة لجميع الوجوه كافية في الكمالات الذاتية وهي شهود الذات بالذات لا بأمر غيرها بعنوانات ذاته ونسب أولية وإضافات غيبية معنوية ظاهرة من ذاته بذاته كل منها عين الذات إذ لا محالَ للقربة ولا ظهرت الإثنية في تلك الحضرة، وهذه الوجوه والعنوانات الذاتية تظهر في المرتبة الواحدية تصور علمية ومعلومات ذاتية بالصور العلمية التي هي عين الذات تظهر بصور عقلية،

وهكذا ينزل إلى الناسوت ويظهر بالصور الجوهرية النفسية والروحية والهيئة الشخصية والمثل التوراة بالصور الجسمية والفلكية والعنصرية إلى الصورة النوعية البشرية وهاهنا بها العرضية من الأفعال والإدراكات وهذه الصور في الحقيقة والمعنى هي الصور المعنوية العلمية المتضاعفة بهيئات التصاريف والعلم في الحقيقة هو الذات لأن غيرها هو العدم المحض.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأة ودفعة واحدة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ غيابيًّا قدر بها إما ليلًا ونهارًا إلا ما سواه آخره ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 47] المشركون والغافلون.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للعادلين الصالحين العاقلين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للظالمين الغافلين الفاسقين ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ من المشركين الظالمين ﴿وَأَصْلَحَ﴾ وأخلص في إيمانه وأعماله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب وسوء العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: 48] من فوت السعادة وموت حسن الثواب وآثار أنوار السعاية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ جهرًا وعيانًا عنادًا وجهلًا واستكثارًا، وذكر الكذب إشعار بأن الكذبَ هو الكفر ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الأليم ويصبهم العقاب العميم العظيم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: 49] أي بسبب فسقهم وكفرهم وكذبهم.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 50] ومقدوراته ودفائن أرزاقه

ومكنوناته ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ أي غيبَ السماوات والأرض ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من جنسه إذ ما يقتدرون عليه من الأمور الخارجة عن وسع البشر إشارة إلى عجز البشر وإلى أن كل ما يأتي منه فهو من الله ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ ويلقى من اللّٰهِ إليَّ ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ القلبي بالخفي القلبي ﴿وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ بالأمور الغيبية والأنوار والأشكال والهيئات الغيبية فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50] في بدائع قدرته ومصانِع حكمته وعجائب ملكه وملكوته وغرائب فلكه وجبروته.

إشارة وتأويل

﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: 41] أي يظهر ويبدع ما استدعته استعداداتكم الذاتية واستودعته قابلياتكم الأزلية إن شاء وأرادَ عندَ انضمام اقتضاء فرداريّة النور والجمال صريحًا وكذا الحال في اقتضاء نوبة تدبير الجلال إذا كانت القابليات هيئةً في أرض الجمالِ فإن شجر قابليات أعيان الجمال إنما تثبت في أرض الجلال، وعرض العدم وعرض الإمكان والظلال، أما قابليات أعيان الجلال واستعدادتهم الذاتية فإنما تنبت في ساحة النور والجمال وإمكانه الاستعدادي كما كان استعداد أعيان النور والجمال كامنًا في راحة الإمكان الظلي والعدم والجلال، وينسون ويعتقدون ما يشركون ولا تنسونَ الأثرَ والتأثير إليه من الأعيان في الأدوار والأكوار.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ في القرون الماضية والأدوار النورية المرضية الراضية رسل التجليات المبشرة ونذرَ النظريات من العلوم والإدراكات الشائعة للتجليات المتضاعفة مخالفة ارتضاءَ الظلي الضمني للاقتضاء النوري الصريح أو بالعكس إذا كان الحكم والفرداريّة للظل والجلال ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ وقهرناهم وعاقبناهم في الأدوار ﴿بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ أي بؤس فقدان شهود التجلي النوري الجمالي، والضراء أي ضرة بستان شهود الظلي الضمني في الأكوار العدمي الجلالي ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42] ويتذلّلون وينقادونَ لسلطان جمع الجمع لاندراج الفرق في الجمع في اندراجهما في جمعية الفرق بالجمع وبالعكس، وجمع الجمع لفرق الفرق وبالعكس.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ في نوبة سلطة النور والجلال والوجود في عرضه الظهور والشهود و﴿تَضَرَّعُواْ﴾ أطاعوا ورجعوا إلى هذا الجمعية لا شروط بارتفاع الحالة الفطرة وانقطاع النشأة المكررة في الكلية المحررة والجمعية المقررة، وهذا لا يتصور إلا باستكمال حكم العدم والاستظلال ورسم الظلمة والتحسر والندم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لانتفاء الارتفاع المزبور واختفاء الانقطاع المذكور ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ الظلالي إلى العدمي الضمني الجلالي الذي هو إما نفس المولود الجني ومقتضاه ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43] من الكفر الظّلّي والعصيان النوري ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ وتحركوا في النشأة الثانية والدورة الثانية التالية ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ الفرداريّة الأولى ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في الدورة الثانية من النعم الجمالية الصريحة والشيم الجلالية الضمنية الفصيحة ﴿أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من منسوبات النور والجمال ومربوبات الجلال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ﴾ بما أدركوا ﴿بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ وعملوا وسروا وجردوا نفوسهم بما سلكوا منه وتقيدوا بما استدركوا ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾ وأهلكنا بهم في تحول التدبير وبتبدل التصرف والتقدير إلى ما هو ضمني في ذلك التدبير، فتختفي مقتضيات التدبير، هذا في ضمن هذا الحكم دفعة، ويختلي هذا الحكم أيضًا بغتة كما تقدم من أن البرزخ الحسي في عالم الحس في موضع يكون قطب فلك البروج على سمت رؤوس أهله يطلع سنة منها دفعة واحدة ويقرب منها سنة أخرى، وذلك لأن قطب فلك البروج إذا انصرف عن سمت الرأس انحرفت وانصرفت منطقة البروج عن انطباق أفق ذلك الموضع فتعاطفت مع الأفق على الناصفة فارتفع النصف وانحط النصف الآخر على الفور والإلزام تفكيك أجزاء منطقة البروج، وقس عليه بروج الفلك العقلي والسماء المعنوي، فمنطقة الفلك النوري الجمالي إذا انطبقت على منطقة الفلك الظلي الجلالي لدى ظهور الساعة والقيامة وانتقال نوبة التدبير من الدورة النورية الجمالية إلى الكورة الظلية الجلالية أو بالعكس طلع أحد نصفي تلك المنطقتين ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44] أي الأعيان الدورة النورية عند انتقال الفرداريّة من النور إلى الظل الشؤون في هذه الحالة عن الكمالات النورية الوجودية الجمالية.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنعام: 45] على ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ في الدورة الوجودية الإفرادية في مشيرات سرهم ومسالك سلوكهم ودورهم وطيرهم في مدارك ظنونهم

وشكوكهم، يعني انتهى امتداد الضال طرفي نصف منطقة البروج التي فوق الأرض بطرفي نصف التي بحسب الأرض، فظهر ما كان حفيًّا وضمنًا في إحدى قوسي الامتداد المذكورة وهو الآخرة، وأخفى ما كانَ ظاهرًا وهي الدنيا، فصارت الدنيا آخرة والآخرة دنيا، والدنيا ولاية والولاية ألوهية، والألوهة كلام ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] إلى ما يقابلها صريحًا أو ضمنًا، وأبصاركم أي شهودكم الذاتي الحاصل في ضمن علم الذات وشهودها ذاته.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ أي حكم على جمعيتكم الإلٰهية والكونية الربوبية والعبودية، النورية والظلية، والوجودية والعدمية، الكامنة في استعدادكم الذاتي ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي ليس إلٰه سوى الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات نأتيكم به أي يظهر فيكم بالأمر المطلوب والأثر المرغوب، انظر يا محمد ويا حقيقة المحمدية ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأنعام: 46] ونبين لكم التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية فردًا فردًا وجمعًا جمعًا، ويغني فيكم أنواع العلوم والإدراكات الباقية لَها، الدالة على خصوصيتها، ونواح تعيناتها أسمى، ثم يصدقون ويعرضون وينصرفونَ عن مشاورتها لانتفاء شرائطها وإخفاء روابطها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ وتبعيده عن شهودها ويقيده إياكم بخصوصيات اقتضاءات الأنوار النورية صريحًا وارتضيات الأكوار الظلية فردًا ضمنية بغتةً خفية ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ كما هي مقتضيات النور والجمال وظهور الوجود وما عقبه من أنواع الكمال ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 47] إشارة إلى أن الغرض من العذاب ومن إيراد أنواع العقاب هم المفسدون بأصناف القيود الوهمية عن ظلمات الإمكان وكدورات حدود الزمان والمكان وتصفية قلوب العارفين عنها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية إلى بلد البدن لتكميل نفوس العابدين ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الأنعام: 48] للصالحين من الأطوار المستعدين لمشاهدة الأنوار الإلٰهية ولمعاينة الأسرار الربانية بخصوصية اقتضاء القابليات، فإن لكل منها في المرتبة الخاصة قابلية مخصوصة ومادة منصوصة ماضية لما يناسبها، فإن لطفت ونصفت عن العوائق النفسانية والعلائق الجسمانية

والشوارق الشيطانية ارتفعت في حق صاحبها الحجب النورانية وانصد عنه النصب الظلمانية، فشاهد كل من الأطوار المذكورة ما يناسبها من التجليات المشهورة والمشاهدات المسرورة والمعاينات الميسورة المنشورة، فيكون في حقه بشارة وإلى كل سعادة إشارة، وإن كان الأمر بالخلاف فبالعكس، فتكون التجليات في حق صاحبها مخوفين ﴿وَمُنذِرِينَۖ﴾ [الأنعَام: 48] وكذا الحال يختلف في شأن أرباب التجليات، فإن الذات الأحدية في حدّ ذاتها خير، وتجلياتها أيضًا خير وسعادة، فالشر إنما يظهر من المحل القابل أن يرى أن الوجه الجميلَ الحسنَ الكميل إذا نظر إلى المرآة المستديرة التي هي أشرف الأشكال وأعرف الأمثال فإن كانت المرآة على الوضع الطّبيعي مواجهة للرائي يرى الوجه على أحسن الوجوه، وإن كانت مفتوحة أو مستطيلة أو مخروطة وغير ذلك يرى الوجه الأعلى ذلك المذكور حسيًّا بل ربما يرى قبيحًا، فهذا القبح إنما يكون من المرآة وخصوصية وضعها لا من الوجه ولا من الرائي كل مولود يولَدُ على فطرة الإسلام، فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه.

﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بالذات المستجمعة لجميع الأسماء والصفات المحيطة بجميع الأدوار والأكوار بإطاعة الجلال وما يقتضيه من المولود الجني الجمال، وما يرتضيه من المولود الإنسي في نشأته وتطور شؤوناته أي باتباع ما فيه الضمن الصريح، وجعله إياه صالحًا بقبول الأحكام الجمالية والنورية ليحصل التطابق والتكافؤ والتوافق بين مقتضى الجمال ومرتضى الجلال، ليصل كل من أعيان وأكوان الجلال إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي التدريجي والدفعي الحضوري ألمعية ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لدى الانتقال إلى الجلال بأن ينعكس وتعرض وترد ما قد كان مخزونًا في خزائنه عليه وبعده ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعَام: 48] في فوت جمعية مقتضيات الجمال والجلال وانتفاء الكمال الجمعي ووصال المعية لتحققهم بالكلية الأصلية الحقيقية الكلية، قل يا محمد في الصورة المقيدة والهيئة المقيدة في الحالة الغير المجردة في طور النبوة، ولا أقول لكم عندي خزائن الله الجامعة لجميع المقتضيات النورية والظلية الوجودية والعدمية في تمام الأوقات وعموم الساعات، إن البشرية لا ترتفع بالكلية وإلا لزم النقص والزيغان على قلبي وإني لأستغفر اللَّهَ في كل يوم سبعين مرة أو مائة مرة ولا أعلم

الغيب الاستعدادي والجيب الاستبدادي والغيب الاستمدادي الآخر.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ مجرد عن المقتضيات العنصرية والمرتضيات البشرية ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ من النواميس الإلٰهية والحواسيس الغير المتناهية ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الذين لا يعلمون فلا يشاهدون ولا يشعرون ﴿وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ [الأنعَام: 50] إلى مقتضى النور والجمال والوجود وصاحب الوجدان والشهود ومرتضى الظل والجلال والعدم والشد والشدود أو مقتضى الجمال الصريح وهو المولود الإنسي، ومرتضى الجلال الضمني الذي هو المولود الجني.

واعلم أن الانتقال من حكم النور والجمال إلى الظل والجلال، وإنما استوى الأعمى البصير إذا دخلا تحت سلطان القلب وتوافقا في الاقتضاء في الكمال الجمعي والجمع الكمالي فصار الأعمى بصيرَ التوافق مقتضى الظل والجلال الضمني الخفي مرتضى النور والجمال صريحًا وكذا تمام الأضداد وعموم المتقابلات والأنداد قد تعانقت فتطابقت التقابض والتبايعات لانتفاء أحكام المباينة واختفاء المخالفة اللازمة للفرق في جميع الخلق إلّا ما شاء الحق لأهل الجمع والفرق صاحب الرتق والعتق هذا من خصائص المرتبة الجمعية من الولاية والنبوة والصورة المتقدمة فبالنظر إلى بحر النبوة كما صرح بقوله: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: 9] هاهنا أربع إشارات ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعَام: 50] إشارة إلى الجمعية التي مقدارها القوة الإلٰهية لا أعلم الغيب إشارة إلى الولاية إني ملك إلى النبوة.

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ إلى الجمعية التي تكون من جانب النبوة أي كون النبوة مبدأ الجمعية وعلّة لظهور الولاية كما كانت الولاية سبب لظهور النبوة وإليه إشارة بقوله: «**يا علي كنتَ مع الأنبياء سرًا وضربت معي جهرًا**»، فالأول إشارة إلى وجود أول الخلفاء وهو أبو بكر الصديق والثاني إلى عمر والثالث إلى عثمان والرابع إلى آدم الأولياء علي المرتضى رضي الله عنهم ولذا تأخرت خلافته وصار جامعًا للكل كما قالَ: «أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا إبراهيم الخليل حين ألقى في النار أنا النور الذي اقتبس منه موسى فهدى أنا عيسى الذي تكلم في المهد صبيًّا أنا محمد المصطفى أنا علي المرتضى».

كما قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**»، «**أنا وعلي من نور واحد**»،

وقالَ أيضًا في نهج البلاغة: «لا تستجهلوا أصحابَ النبي ﷺ فإن أول ما فتح به الخلافة أبو بكر ثم ثناه بعمر ثم ثلثه بعثمان ثم ختمها أي النبوة فهم في الحقيقة تفاصيل أحكام خلافته، لأن شمس النبوة إذا أسعدت ووصلت إلى كبد سماء الربوبية لا بدّ وأن يطلع ثلاثة بروج الخلافة فطلعت بدر الولاية وهي نهاية الخلافة وهداية الولاية فتدبر وأعرض عن مقالات الرافضة وجهالاتهم».

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ في تأويل المصدر مفعول يخافونَ، وإنما خص الإنذارَ بالقرآن بالخائفين إشعار بأن مناط وجودِ الإيمان وصدقه هو الخوف، وإن قبولَ الأحكام الإلٰهية عن الشارع لا يكون إلا بالخوف، ولذا انحصر نجوى العارفين على ثلاثة الخوف والرجاء واليقين، والآخران يترتبان على الخوف أو الخوف عبارة عن الحركة منَ الظاهر والمحيط إلى الباطن والمركز يتقوى في دفع المكروه ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ صديق وناصر شفيق ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم يوم القيامة عند الرب وهو النبي والولي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 51] كي يتحذروا وينتهوا عما نهيتم.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: 52] نزلت حين كان الرسول ﷺ تفقد حال الفقراء كعمار بن ياسر وبلال وصهيب وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وخبَّاب ومقداد بن الأسود وبلال الحبشي وغيرهم إلى ثلاثين نفرًا فلما رأى رؤساء المشركين النبي جالسًا معهم حقروهم وقالوا: يا محمد لو جلست صدرَ المجلس ونفيتَ هؤلاء الخلقة البذلة وطردتهم عن مجلسك وبعدتهم عنا وادفع عنا أرياح خبانتهم الوسخة المنتنة لجالسناك قالَ لهم: «**ما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير**» فقالوا: أقمتم إذ جئناكَ فقالَ عمر ـ رضي الله عنه ـ: لو

فعلت حتى ننظر فدعا الصحيفة ليكتب المعاهدة فنزلت، فألقى الصحيفة من يده فدعا الفقراء فقال لهم: «**سلام عليكم كتبَ ربكم على نفسه الرحمة**» فقالوا: كنا نقعد مع رسول الله ﷺ فإذا أرادَ النبي ﷺ أن يقوم مِنّا ما قام وتركنا فلما أنزلَ الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: 28]، ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ الآية إلخ، كانَ رسول الله ﷺ يقعد معنا فلما ظهرت لنا سآمة قمنا به وتركناه ثم يقوم وَقال لنا: «**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله**» وقالَ لنا: «**الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم الحياة ومعكم الممات**». والمراد بالعشي هو الدوام والاستمرار الذي مبدؤه منتهاه، وهو الذّات والعشي، والمراد بالغداة الصبح وطلوع الفجر إلى وقت التعدي في النهار وهو الضحوة كما قيل إذا تعدت فثم ولو على قرن أنفسهم، والعشي وهو غروب الشمس إذا ما بعثت قدرًا ولو علي بحال الحذر قيلَ: صلاة الصبح والعصر ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام: 52] حال من يدعون أي ويقصدونَ به لقاء الله وحسب، قال: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسَان: 9] إشعار بأن المقصود منه العبادة والغرض منها لقاء الله ومشاهدةَ جماله ومعاينة أنوار عظمته وجلاله لأنها أتم المعارف الّتي هي الغرض الكلي والمقصود الأصلي من الخلق، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.

﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ أي ليسَ عليك حساب إيمانهم وأعمالهم فإن إيمانهم أتم وأعلى وأقدم من إيمان كثير من المؤمنين فإنَّ ابن عباد رضي الله عنه يريد بلالًا وصهيبًا وعمار بن ياسر وخباب بن الأرتّ وعتبة بن غزوان وسعد بن خولة وملك بن خولي وخولي بن الدخول ومهجعا مولى عمر وسالم وحذيفة وذو الشمالين وابني العصا وصفوان وسهيلًا وأبا عبيدة بن الجراح هذه من أهل مكة آمنوا بالله وصدقوا النبي ﷺ قالَ: في كلّ دورة وقرن وكورة ظهورًا وتعينًا، فإن زمان إبراهيم كانوا بصفة الأبرار أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام: حسِّن أخلاقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار، في زمان موسى ظهور بصورة الملائمة كما روى من موسى وخضر عليهما السلام، كما كتب في كتابه نصبهما، وفي دور نبينا ﷺ بصورة أصحاب الصفّة ﴿فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 52] فالفاء الأولى جواب والثانية جواب النهي.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الفتن التي مر ذكرها في الفقراءِ ﴿فَتَنَّا﴾ وابتلينا واختبرنا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الغني بالفقير والشريف بالوضيع وغير ذلك من أعيان أهل الدنيا، فإن الغني والشريف إذا نظرا إلى الفقراء والوضيع اللذين اشتهرا بالإيمان أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ متعلق بفتَنّا ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ بالهداية والتوفيق وحسن الهداية الأزلية كما قيلَ العناية الأزلية كناية الأبدية ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: 53] لمن يقع منه الشكر دائمًا والذكر بالإيقان.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وشهود تجلياتنا بعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ نزلت في الفقراء المذكورين الذين نهى الله طردهم فكان رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيتم الفقراء فألقوا عليهم السلام**» ﴿إِنَّهُۥ﴾ بكسر الألف استئناف يفسر الرحمة وبالفتح بدل عنها ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ لا يعلم حلالًا ولا حرامًا ولا يتميز بينهما قيلَ جاهل وبما يورث ذلك الذنب وبما يورث الطاعة ولذا آثر المعصية على الطاعة والأجلَ الحقير على الأجل العظيم الكثير المنافع والكثير التواضع ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال من الفاعل، فإن من عملَ ما يؤدي إلى الضرر في المآل وهو عالم يتيقن به أو كاد فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير، ومن قوة الحكيم أن لا تقدم على شيء حتى يعلم حاله من النفع والضرر والخير والشر، وغايته وغرضه نزلت في عمر رضي الله عنه حيث أشار إلى إجابة الكفار إنها مفسدة ومعصية ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ ثم رجع عمر واعتذر لهم وللرسول ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 54] غفور لمن هو متجاوز عن السيئات رحيم أي يرحم رحمة واسعة

وينعمه نعمة شائعة، يجوز فيها الكسر والفتح استئنافًا وبدلًا من أن الأولى.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي مثل ذلك التفصيل الواضح والتفضيل الصالح في الفقراء بين الآيات صفة المطيعين وصفة العاصين المجرمين المضرين ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 55] أي لتبين أنتَ يا محمد طريق من أحرم وأجرم أمر الله ونهيه، وتوضح طريق الباطل عن طريق الحق، قرأ بالرفع ليكونَ فاعلَ الفِعل وتأنيثه لكون السبيل مؤنثًا أو لكونه بمعنى الطريقة مؤنثًا سماعيًا، وقرأ بالياء التحتانية لكون التأنيث غير حقيقي.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾ أي صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة والآيات الدالة على حقيقة التوحيد ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ قل يا محمد في رد الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأصنام ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ﴾ في عبادة الأوثان وطرد الفقراء الذين هم من أصحاب كمال اليقين والإيمان لأني قد ضللت، إذ المعنى لو فعلت ما أمرتموني ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ وتركت طريق الحق وسلكت مسلكَ أهل الأهواء ومدرك تارك الهدى للافتراق والفرق ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 56] الواصلين إلى الحق.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّى﴾ في مدارك ديني ومسالك يقيني ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ وبيان وبصيرة وبرهان وحجة كل آن حاصلة ﴿مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ﴾ أي بهذا البرهان أو بربي ﴿مَا عِندِى﴾ أي ليس عندي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ﴾ [الأنعام: 57] من حلول النوائب ونزول العذاب ووصول المصائب والعقاب نزلت حين استعجلت نزول العذاب وحلول ما وعدوا من أشد العقاب ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الشورى: 18] الآية قل يا محمد في جواب استعجالهم العذاب ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ في تعجيل العذاب

وتأجيل العقاب أي ليس الحكم في استعجال العذاب ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾ وينبه ويقصه ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57] بين العباد وطرائقهم.

﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨﴾

﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي﴾ وكان بعدي ﴿مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ﴾ من ورود صنوف العذاب وصنوف العقاب ﴿لَقُضِيَ﴾ حكم بجريان ﴿ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾ بأن يهلككم ويميتكم لا يخلص منكم باستهلاككم واستئصالكم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 58] وبسوء حالهم وبعواقب أمورهم.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو كسرها وهو المفتاح أي مفاتيح أبواب خزائن الغيب ﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ وهي كما أشارَ النبي إليه خمس لا يعلمها إلا هو ولا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله ولا يعلم ما عنده إلا الله ولا يعلم أحد متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾ قيلَ البر المفاوز والقفار والبحر هو القرى والأمصار يعني أهل الوبر والمدر ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ فاعل سقط ومن صلة لتأكيد معنى النفي للاستغراق ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ أي يعلم عددها وعدد ما تسقط من أوراق الأشجار وأحوالها من التقلب ظهرًا وبطنًا إلى أن يصل إلى الأرض ﴿وَلَا حَبَّةٖ﴾ مزروعة ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ وبطنها أو تحت الصخرة في أسفل الأرض ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: 59] أي كل أمرين متقابلين وأفرادهما وما يصدقان عليه من القليل والكثير هذا أقل ما ذكر في إحاطة علمه وشمول حكمته وحكمه ولا أجناس معلوماته وأنواع مقدوراته ومصنوعاته ومحكوماته لا تعد ولا تحصى فإن أستار الله تعالى في غيب علمه لنفسه وذاته وتجلياته لا يعلمها إلا هو، وليس فيه مبالغة كما توهمه البعض، بل هو أقل ما يقدر

من الخزائن، وحكمه على قدر عقول الممكنات كما هو الظاهر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم﴾ ويقبض أرواحكم وتوجهها إلى عالم البرزخ الذي قد ثبت فيه صورة تمام المحسوسات ونسب المعاني الجزئية والكلية ولطائف جميع المعقولات وحالات الأرواح وعجائب المثل النورية وحقائق المقولات الأولى والثانية، وأحوال الأشباح والمنامات والرؤيا الصالحة والمعجزات والكرامات وسائر أحوال النبوة والولاية ﴿بِٱلَّيْلِ﴾ وحالة النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ وكسبتم بالأعضاء والجوارح والقوى الحساسة والمتحركة ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾ وفي حالة اليقظان ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي في النهار واليقظان ﴿لِيُقْضَىٰٓ﴾ ويبلغ ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة بعدَ الموت وانقضاء الأجل ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم﴾ ويخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 60] بالليل والنهار واليقظة والنوم في الليل واليوم.

إشارة وتأويل

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟﴾ [الأنعام: 51] كلهم بغتةً عند انقضاء كل دورة من الأدوار الآنية والأكوار الحالية الدفعية الشأنية ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] وهو يمرّ مرّ السحاب ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 29] والتدريجية المشهورة قد عرفتها عددًا وأمدًا إلى ربهم الخاص وهو الذات للاسم المخصوص من ابتدائهم وإليه عودهم وانتهاؤهم عندَ انقضاء نوبة ترتيبه في القيامات الوسطى والصغرى أو العام وهو الذات الجامع لتمام الأسماء والصفات ومقتضياتها، فإن لكل واحد من الأعيان الوجودية أو العدمية حالين إحداهما إلى الاسم الآخر الخاص، والثاني إلى الاسم العام وهو العليم الذي هو مدبر الأدوار الأربعة النورية الوجودية الجمالية الإفرادية، الصورة الجمعية للكل أيضًا على الجزء والكل، وهو لكونه في نفسه عام النسبة في الكل كلي عام وله نسب كلية وكلية غير متناهية، وهو الدورة الخامسة، وهذه الدورات مجالي العوالم الخمس بل عينها وإليه الإشارة بقوله ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

وللعلم وجهان: جمال وجلال، ونور وظلال، فتمام النسبة الغير المتناهية مندرجة تحت هذين الوجهين، ولكل واحد منهما خمسة أدوار جمالية وخمسة أكوار جلالية فالمجموع اثنا عشر دورة، كل منهما بروج من سماء الدورة العظمى المستديرة السرمدية، وكل برج مشتمل على ثلاثين درجة، ولكل درجة سلطنة إنما يستكمل بألف سنة فتتم الدورة بثلاثمائة وستون ألف سنة، وهي الدورة العظمى السرمدية كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا كل يوم مقداره ثلاثمائة وستون ألف سنة من سني ما دون الدورة النازلة وهي الكبرى التي مقدار يومها خمسون ألف سنة ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعَارج: 4] ليس لهم من دونه ولي جمالي ولا شفيع جلالي ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعَام: 51].

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعَام: 52] إشارة إلى أن الكلَ معلوم ومصدور وجهًا إلى الذات لا يعلم هذا الوجه إلا اللَّهَ، وهو ما استأثره اللَّهُ عزَّ وجلَّ لذاته، ولا يصل البشر إلى هذا الوجه إلا أن يعني وجهه الإمكاني في الوجود الوجوبي، فينطبق وجهه الوجوبي على الوجه الإلٰهي، فيتحد الوجهان الإلٰهي والكوني: «**لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**» ووجهًا إلى الأسماء والصفات.

ووجه ثالث وهو الوجه الجمعي بين هذين الوجهين، وإليه الإشارة بقوله يريدون وجه الله الجمعي لهذين الوجهين، إلى الوجه الجمالي الإمكاني والوجه الجلالي الوجوبي، ما عليك يا أيتها الحقيقة المحمدية السارية في أعيان الأدوار النورية صريحة، وفي أكوان الأكوار الظلية ضمنًا من حسابهم وانتقالهم من غيب الحضرة الواحدية والجبروت إلى الناسوت في الأدوار النورية والأكوار الظلية ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: 52] في تلك الأدوار والأكوار إشارة إلى أن جميع الأعيان النورية والوجودية والأكوان الظلية العدمية في المبدأ والمعاد والحركة في الأدوار والنشآت الإفرادية والجمعية صريحًا والأكوار ضمنًا وسائر الأحوال متساوية الأقدام نبيًا كانَ أو وليًا فتطردهم فتكون من الظالمين أشد ظلمًا وقس الباقي من هذه الفقرات إلى قوله.

تفسير

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: 61] ويحضرون عليكم من الملائكة يحصونَ أعمالكم أقول قد مرّ تفسيره وإعادته وتكراره إشعار بتحدد مقتضيات هذا الاسم وتعدد مستقرها وتحدد مرتضياتها والملائكة، وذات نورية حافظة وحقائق معنوية وصورية عينهم الله تعالى لحفظ أفعال الخلائق سيما للإنسان ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرّعد: 11] أعني ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار: 11، 12]، والحكمة فيه بنيت على كمال قدرته وشيوع سلطنته وعلمه وحكمه ويسوغ قهرمان آلهيته في مستدعاه، فإن فيه سلطنتين: إحداهما لذاته والأخرى لمخلوقاته فإن رفعة شأن الإلٰهية هو الكمال في نفسه والتكميل لغيره، وهو أتم من أن يباشر بنفسه في جميع الأحوال، وتمام الأعمال: يا عبدي أطعني اجعلكَ مثلي وليسَ لي مثل. الحديث ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يريد جاء إلى أحدكم الموت ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61] يريد من كانَ من أوليائي يبعث إليه ملائكة الرحمة بالسرور والبشرى وإن كان من أعدائي يبعث إليه ملائكة العذاب بالغضب والغلظة والشرور في الأولى والأخرى.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ يريد ولي الذين آمنوا الذين كانوا يقولون الحق ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يريد العدلَ ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ يريد إذا قضى من خلقه لم يقل أهل الجنة لا في منازلهم فلا أهل جهنم إلا في السعير والبلاء ثم قالَ في سورة الفرقانِ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۗ﴾ [الفرقان: 24] يومئذ يريد في ظل عرش الرحمٰن وأحسن مقيلًا يريد في النعيم والسرور وويل في أعدائه، لهذا أقول ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الأنعام: 61] عند انقضاء الأجل وانتفاء طول الأمل ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي استوت روحه، وهم ملك الموت وأعوانه، وفي الخبر «**أن الله تعالى جعلَ الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من هاهنا ومن هاهنا**»

وإذ كثرت الأرواح تدعو لِلأرواح فتحت له ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61] لا يعصون ولا يمهلون بقناعة ولا يتمنون أمر الله وحكمه ساعة التفريط، من الفرط وهو التواني والتقصير، ثم ردوا إلى الله حكمه وأمره وجزاؤه، مولاهم وناصرهم، الذين تولى أمرهم وكتب على نفسه حفظهم ونصرهم، الحق القسط أي يحكم بالعدل والقسط والصدق، قرأ بالنصب على المدح، الإله الحكم لا لغيره تنبيه على انحصار الحكم والأمر عليه كما يشعر تقديم الخبر على المبتدأ ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62] بحيث لا يغيب عن علمه ولا عن إحاطة عدله وحكمه حال شيء من الأشياء الموجودة والمعدومة كما علمته، ولا يشغله حساب من حساب ولا عدد من الأعداد في كل باب كما كانَ لا يشغله شأن عن شأن.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ من يهديكم ﴿مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا﴾ عند الشدائد توحِّدوني وتتضرعون إليّ، فإن أنجيتكم وكشفت ضركم ورفعت الشدائد عنكم أشركتم، لئن أنجينكم ﴿مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 63] يريد من الطائعين للّهِ.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 64] يريد يجعلون له شريكًا وندًّا وصاحبةً وضدًّا، هذا أقول من ينجيكم ويخلصكم من هذا البر والبحر ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ خوفًا ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55] سرًّا يتولون في هذه الحالة هذا القبول، والمقالة لئن أنجانا من هذه الظلمات الشديدة والهيئات المظلمة الشديدة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: 63] على أنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ أي من ظلمات الشدائد وغمرات الأهوال والفوائد ومن كل كرب وشدة وغم وحدة همٍّ كسمٍّ ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ بل أنتم لانهماككم وفرط انغماسكم في الغفلة، ولكمال الاستغناء والبطالة ﴿تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 64] تعودون إلى الشرك لكفران نعمه والحرمان عن فيضان مواهب جوده وكرمه.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ فوق عباده ﴿عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يريد من السماء كما خسف قوم لوط وكما يرى أصحاب العقل ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما كسف بقارون، وقالوا السلطنة، ومن فوقكم وتحت أرجلكم الممالك ويلبسكم شيعًا ويخالف بعضكم.

والقول الثاني أهواء مختلفة من الرافضية والقَدرية والأينية والمرجئة والجهمية ويذيق بعضكم بأس بعض يريد يقاتل بعضكم بعضًا انظر يا محمد كيف نصرف الآيات تريد تصرفها إلى ما يفقهون، يقولون ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعَام: 65] وكذب قومك بالقرآن وبرسالاتي إياك، قل يا محمد: لست عليكم الوكيل بوقت.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعَام: 67] يريد خيري وخيركم، وسوف يعلمون، يستقر عند رب العالمين، ويحكم بيني وبينكم وهو خير الحاكمين، فسوف يعلمون من له الحجة على صاحبه، أقول هو القادر القوي المنيع القاهر على أن بعث عليكم حفظة، لا الصيحة وهبوط الأحجار وسقوط الأمطار والريح، فإنها كما فعل بعاد وقوم ثمود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم لوط.

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالرجفة والخسف كما فعل بقارون وقومه وأموالهم وأسبابهم وجهاتهم وبفرعون ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أنه يلبسكم ويخالطكم شيعًا فرقًا، ويثبت فيكم الأهواء المختلفة والآراء المتضاعفة المتعاطفة، ويذيق بعضكم بأس بعض، أي الصنوف والأصناف والضيوف، عن جابر بصفته لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قالَ رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾؟ قال: أعوذ بوجهك ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال عليه السلام: «**هذا أسهل وأهون**» وأيضًا قالَ: «**سألت الله أن لا يلبس على أمتي عذابًا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فأعطاني ذلك، وسألت أن يجعل بأسهم بينهم فمنعني**

وأخبرني جبرئيل أن هلاك أمتي بالسيوف» ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65] يعلمون.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ بالقرآن وبما فيه من الأحكام وخفية الإيمان أو بالعذاب، أو بتصريف الآيات والأحكام ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القرآن حق طلق وصدق محض في نفس، ولما فيه من طبق ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 66] بحفيظ ورقيب وبمسلط ألزمت عليكم الإسلام من تلقاء نفسي بل إنما هو رسول مبين وما على الرسول إلّا البلاغ أي شيء بيننا ويخبر به أو خبر من أخبار القرآن وبما فيه من الوعد والوعيد من العذاب الشديد والعقاب العنيد مستقر وحقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتعين صدقه ويتعين طبقه وعدم طبقه أو مكان ووقت وزمان.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ يستقر ويتمكن ويتقرر فيه إما في الدنيا أو في الآخرة ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 67] في النشأتين.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ يريد منه الله الحجة على صاحبه يريد المشتهرين والمقتسمين ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ يريد إن نسيت بإلقاء الشيطان فيقلب ثم يتذكر ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 68] المشركين.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يريد فرضه للمؤمنين في القعود معهم يذكرونهم ويفقهونهم ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 69] يريد ذكّر أي عظوهم لعلهم يتقون يحافظونَ.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ ألسنتهم مرتين والمقتسمين والجميع كلهم ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ وعظ المستهزئين وأعلمهم بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ في تأويل المصدر المنصوب مفعول ذكر وعظ المستهزئين بالقرآن بسيل النفس ورؤيتها مكتسباتها يرتهن في جهنم بما كسبت في الدنيا ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ﴾ يريد بعبدي في الدنيا وما فيها لا يؤخذ ولا يقبل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾ ارتهنوا ﴿بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ﴾ بما عملوا لهم ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ مثل ما كان في الذين كفروا وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم لبقائهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: 70] هذا وإذا رأيتَ الذين يخوضون يشرعون في آياتنا المعجزات وبيناتنا الواضحات وهي القرآن بالاستهزاء فأعرض عنهم واتركهم ودع مجالستهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكلام طيب أو خبيث.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأنعام: 68] وأن تجعل نهي المجالسة بهم نسيًا منسيًّا ويشغلك بوسوسة عنه وإما هنا أدغمت إن الشرطية في ما الإبهامية أو الوصفية، ويجوز أن يزاد وإن كانَ الشيطان ينسيّنكَ قبل النهي عن مجالستهم لأنها مما ينكرها العقل السليم والطبع المستقيم، وما تعتقد ولا تجالس بهم بعد الذكرى ويذكرك ذلك المنتهى مرة أخرى، مع القوم الظالمين وما على المسلمين الذين يتقون من المهيبات ويخالطون بهم بالضرورة في المسجد الحرام والطواف وهم يخوضون فيها أبدًا، نزلت حيث المسلمون كيف تركهم وهم جالسونَ بهم ويخالطون معهم في المسجد الحرام والطواف ليس من حسابهم من شيء من الذنب والمعاصي والسباب ولكن ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي عليهم يذكروه ذكرى إذا سمعوهم يخوضون

بالقيام عنهم وإظهار الكراهية بهم وموعظتهم وينصحهم بالحكمة الفائدة إياهم إلى ترك الخوض فيه لعلهم يتقون كي يتركوا المجالسة بهم والمخالطة معهم.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ اللهو هو غفلة القلب واشتغالها بالعبث والضلالة، واللعب هو صرف القوى النفسانية والجوارح إلى ما لا يعنيه، وغرتهم الحياة الدنيا، وهم الكفار الذين إذا سمعوا آيات كتابه وإمارات خطابه وهيئات أسبابه ومعجزات فتح أبوابه استهزؤوا بها، ولاعبوا وصرفوا جوارحهم إلى الأباطيل وألهوا قلوبهم ونفوسهم عن التوجه إليها والتأمل فيها إلى الاستهزاء بها والاستخفاف بصاحبها عند ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ ما قالَ الله تعالى: جعلَ لكل قوم عبيدًا ليلعبوا فيه لعبًا، ويجعل دينهم وعادتهم ليوافيه وجعل المسلمين عبيدًا يتذكرون اللّهَ فيه بالصلاة والتسبيحات والتكبيرات والتهليلات مثل الجمعة وعيد الفطر والضحى وذكروا نصحه وفكره ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ أي كرامته أي يمنع، ومخافة أن يسلم بعين ويهلك بما نسب، أي مع مكتسباتهم في ذلك اليوم لاستهلاك الكل فيه، من البسل وهو المنع والإبسال، وذلك مثل التحريم والحرام، فجعل لعبًا لكل شديد ينفي ويترك ليسَ لها من دون الله ولي ولا شفيع أي قريب ينفع وينعتق ويشفق في يوم لا يؤخذ فيه شفاعة ولا عدل، وأن تعدل النفس كل عدل أي تغذى كل غذاء، العدل هو الغذاء والغذية لأن الغاذي يعدل المغذى ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ منصوب على المصدرية وفاعل ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ هو منها لا ضمير العدل لأنه مصدر لا يستدل إليه الأخذ وأما قوله: ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ عدل، فالنبي هو المعدى به فصح إسناده إليه يا محمد أتدعون من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا؟ يريد يعبد من دون الله ما ليسَ عنده لنا منفعة وإن عصينا لم يكن له عندنا مضرة، كما قال في أصحاب العجل قالوا: يا موسى كانَ عبادة العجل أخف من عبادة الله لأن العجل إن عصينا لم يضرنا ولم يعذبنا، والرحمٰن إن عصينا عذبنا قال لهم هو: ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 90] وترد على أعقابها بعد إذ هدانا الله بهذا قول أبي بكر وأصحابه رضي الله عنهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ في الدنيا والعقبى من الأوثان والأصنام والأغراض والأهواء ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ رجع القهقرى على أدبارنا لا ديارنا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى سعادة الدارين نجاة النشأتين ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ وأعوانه وأهلكته وأضلته وجعلته ذا أهواء ونصحة وآراء وقبحه من مودة الجن والأغوال ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ﴾ في الميل إلى المقصد له هيمان وفي هذه الحالة له أي للمستهزئ ﴿أَصْحَٰبٌ﴾ شفيق وأرباب وثيق وهم بالاهتداء حقيق ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ ويمنعونه عن مفاسد الهوى ومهالك الإغواء يقولون له ﴿ٱئْتِنَا﴾ ليهتدوا بما اهتدينا إليه منه دولة الدنيا وسعادة العقبى ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو الإسلام الحقيقي الأزلي الذي تولد الكل عليه «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام**» الحديث ﴿وَأُمِرْنَا﴾ في الأزل ﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 71].

﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ يريد عبد الرحمن بن أبي بكر ﴿حَيْرَانَ لَهُۥٓ﴾ يريد ﴿أَصْحَٰبٌ﴾ يريد أبويه ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ فتعجب متحيرًا لا يدري ما يصنع، وأبو بكر يقول: اتبع ديني ونحوه إن دين الله هو الذي هم عليه ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 71] ندع ونترك عبادة هذه الأصنام والرحبة التي فيها العذاب في الدنيا والآخرة أن أقيموا الصلاة واتقوه وأطيعوه هو الذي ترجعون إليه ﴿تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 72] وهذا.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في النشأتين ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ وهذه المعطوفات متداخلة في حيز التعليل للأمر أي أمرنا للإسلام ولإقامة الصلاة وللتقوى وأن أقيموا الصلاة عطف على لِنُسْلِم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 72] يجمعون وإليه يرجعونَ.

إشارة وتأويل

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام: 65] القاهر القوي الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 61] يبعث حلاله بإعادتهم ويرجعهم وإيالتهم في المحشر الأعظم إلى ما كانوا عليه في الفطرة الأولى والنشأة العليا والدورة العظمى واللطيف بهم بصفة النور والجمال تردهم وينزلهم إلى ما عادوا ورجعوا منه إليه نعته آنًا فآنًا أو تدريجًا في الأدوار والأكوار الجزئية لما تقرر من أن أطوار الوجود دوري ونير الشهود كوري ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ حافظةً على العباد أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

واعلم أن لِلَّهِ جنودًا وافية وعهودًا واعية للعبادِ في تمام العباد إلى يوم التناد وإن لله بلادًا في تمام المراتب نزلًا فيضه وتعينات فيضه، وفي كل بلد نوع من المخلوق ولكل أحد منها من جنس النور والظل حافظ يحفظ بعضها لإعطاء المرتبة وأجزاء العاملة المردسة من القوى الدركة والمنادي النفسانية والمبادىء الجسمانية وبعضها يحفظ أقوالها وأعمالها وأحوالها فالذي يحفظ في هذه المرتبة بل في مقام المراتب الأعمال الصالحة هو من جنس النور والجمال والذي يحفظ الأعمال الطالحة هو من جنس الظل والجلال ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ الأكبر وذلك عند قيام القيامة الكبرى وظهور الساعة العظمى دون تحول الفرداريّة من مرتبة إلى مرتبة أخرى والموت الأصغر الجزئي الشخصي وذلك لدى قيام القيامة الصغرى الشخصية. قال النبي ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**».

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: 61] وليعلم أن المؤثر في الحقيقة وعلى الإطلاق والمكون والمصور بالاستخفاف هو الذات ولها من ذاتها نسب إضافات ووجوه وجهات ويسمي ذاته بها بأسماء مختلفة كالشأن والشهود الذاتي والعلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وبهذه الأسماء والصفات يظهر إضافات ونسب وضعه، فمن العلم يظهر الملك والعقل والنفس الروح والفلك، فللذات بالعنوان الذاتي والوصفي تجليات وظهورات فالأول يسمى بالجمال،

والظل سمي بالجمال، والنور فباعتبار كل منها للذات بالجمال والجلال اقتضاء وظهورًا فظهوره بالجلال والظل والثاني يسمى بالجلي والتكوين والإبداع والإحياء وبوجه الجلال والظل يسمى بالإخفاء والإعدام والأمانة والعدم والتوفي، فإن كان جميع الوجوه سمي بالموت، وإن كانَ بعض الوجوه يسمى بالنوم كما قالَ النبي ﷺ: «**النوم أخ الموت**»، فإسناد الفعل إلى الأسباب والوسائط إنما هو بالمجاز وإلا فالظهور والإظهار والإخفاء والخفاء والخلق والإحياء والإماتة إنما هو لله وعلى الله ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: 61] لا يقصرون فيما يأمرون به.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي الذات الجامعة لجميع الأسماء والصفات والأفعال والإضافات ورجعوا بالآخرة في الآخرة إذ منه بدأ وإليه يعود مولاهم وتولاهم وحفظهم الحق بالجر صفة بعد صفة وهو ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي الثابت على ألوهيته وتوليته وحفظه إياهم بطريق العدل والقسط في تمام الأدوار وعموم الأكوار في جميع المراتب والأطوار الإله الحكم والقضاء وعلى الخلق بالرتق والعتق حالة الجمع والفرق ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62] بعموم إحاطته وشمول غلبته وهجوم قدرته وحكمه بحيث يكون جميع المخلوقات بتمام أحواله وأطواره حاضرة عنده وشهوده دونه.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي من قيود النشآت النورية وحدود الشؤونات الظلية المعنوية والصورية المستجمعة في المرتبة الصغرى في الصورة البشرية تصور العلوم النظرية والإدراكات الفكرية وحصول المعارف الفطرية والمشاهدات والدرايات الحضورية، والأحوال والمقامات الضرورية، أو التجليات الذاتية والأسماء والأفعالية والآثارية، وغير ذلك مما هو صورة البر والبحر فإن التقيد بهذه الأحوال والمقامات في بر الحالات والمقامات وبحر العلوم وثم المعارف والدراكات والإدراكات غياهب وظلمات يمنع صاحبها من محيط الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات إلى فضاء ضياء الحضرة الجمعية وإلهية الكلية من الإلهية والكونية النورية الظلية البرية والبحرية ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: 63] هدانا هو بالنظر إلى الفطرة الأصلية وهي الإسلام.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 66] يا أيها الحقيقة المحمدية الجامعة لهذه الأطوار المقيدة والأعيان المعهودة في بحر الأحوال

والمقامات من ينجيكم ويخلصكم يا أيها الأطوار العلية من قيود هذه الظلمات حصول الأصلية للجمعية الكبرى الكونية والإلهية.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ وبعدًا وحجابًا ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: 65] أي من الجزاء الأفضل وهو العقل والروح ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الجزء الأحسن، وهو البنية والبدن والنفس الأمارة، وقواه وهي القوى الجسمانية والمبادىء النفسانية، أو المراد منه العلوم والإدراكات الحقيقية، ومن الثاني هو العلوم والإدراكات الرسمية أو القوة النظرية والفكرية القوية العملية، أو المواد من الأول هو العلوم الإلٰهية ومن الثاني هو العلوم الطبيعية أو المراد من الأول هو علم الهيئة، ومن الثاني هو علم الهندسة والحساب والتأليف، أو المراد من الأول هي التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية، ومن الثاني هي التجليات الآثارية، فإن التقييد بهذه الأمور المذكورة هو في الحقيقة بالنسبة إلى الحقيقة الجمعية والهيئة الكلية الإلٰهية والكونية أو بالنسبة إلى شمس المعارف الجمعية الإلٰهية والإمكانية بهيئة ظلمانية ونسبة إمكانية يمنع المعارف من الأنوار والجمع الكمالي والكمال الجمعي، فيكون أشد العذاب وأحّد العقاب، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي التقيد بالبعض يمنع الشروع في البعض فينحرم عن الكل ويذيق بعضكم بأس بعض بالنفي والأفكار والمنع والاستنكار ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ وهاهنا على وجه يدل على أن الكلَ حق ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65] عن ظلمات التقليد وكدورات التقييد.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالتجلي الجمعي والبدلي للمعيّة ﴿قَوْمُكَ﴾ أي الأطوار المتفردة والأعيان المنفردة المندمجة تحت حبة الهيئة الجمعية والجمعية الأحدية والواحدية ﴿قُل﴾ [الأنعام: 66] يا محمد والحقيقة المحمدية السارية في تمام الأعيان النورية الجمالية صريحًا في الأكوان الظلية الجلالية ضمنًا إذا كانت الفرداريّة والحكم الصريح للنور والجمال، ما إذا انتقل الحكم وسلطنة التدبير والتربية والتقدير من النور والجمال صريحًا إلى الظل والجلال الضمني صريحًا انعكس الحكم وانتقل حكم الفرداريّة من الحقيقة المحمدية إلى مرتبة الولاية فصارت حقيقة المحمدية ضمنًا ومرتبة الولاية صريحًا فكانت الولاية وأحوالها وأسرارها ظاهرةً لما كانت في الأول حيث قالَ: «**يا علي أنتَ مع الأنبياء من حيث كونه وليًّا سرًّا وسرتَ معي جهرًا**» والنبوة وأنوارها وأحكامها وأطوارها

خفية مندمجة في الولاية وأسرارها، وهو أي الكمال الجمعي والجمع الكمالي الحق الثابت على حقيقتها الجمعية، وهاهنا من غير انتقال وبغير ذلة استبدال وتغير، وإن توجهت الأعيان الإفرادية والأكوان الفرداريّة آنًا فآنًا إلى تلك الجمعية والحقيقة الإحاطية والهيئة الكلية ألمعية واندمجت فيها واندرجت دونها لما تحققت أن المراتب ثابتة الأعيان مستدلة ومنتقلة ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ على تلك الأعيان والأكوان الإفرادية ﴿بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 66] حاكم مانع من الاندراج والتوجه والاندراج فيها كل بناء وحكم ومقتضى كل أمر وخبر مستقر، أي وقت معين ودهر مبين وعصر تعين يكون ظهوره موقوفًا على سلطنة فرداريّة وفرداريّة وحدانية وسوف تعلمون ذلكَ الأمر المحقق عند استيفاء استدارة الدور واستنارة شمس ذلك الطور الذي يقتضي التحقق به من أحكام الأدوار وأعلام حصول تلك الأكوار.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ الأطوار ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ وشهود تجلياتنا بالتحقيق الجمعي أحكامها في غير الوقت الذي يقتضي ذلك التحقق منه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ عن إكمالهم وإرشادهم وإيصالهم إلى ما الوصول إليه من مقتضى أصل نظرتهم السليمة دون الوقت المخصوص ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: 68] مما يليق بحالهم، إشارة إلى الإرشاد وكيفية التكميل، فإن السالك العارف ربما يستصعد إلى مقام أعلى قبلَ استكمال الأولى.

فعلى المرشد الكامل المكمل أن لا يجلي السالك وينفيه في ذلك المقام الأعلى بل لا بدّ وأن يطردهم ويرجعهم ويردهم إلى المكان الأدنى حتى يستكمله، مثلًا إن السالكَ إذا خاضَ في السلوك والاستكمال فقبل استكمال الطور القالبي بالأحكام الشرعية وبمقتضيات النواميس الإلٰهية يعني قبل استكمال الشريعة التي هي تجلي البدن وتزين البنية بالصلاة والصوم والحج والزكاة واستبعاد آداب الطريقة بالرياضة والمجاهدة والخلوة عن الناس أو الجلوة بين الخلق وتوجيه النفس والقلب إلى الحق بعد تزكية النفس من الأوصاف الردية والهيئات الدنية من الفسق والفجور وإجراء الشهوات لا على مقتضى الشريعة ومن الطمع والحرص والحقد والحسد، وغير ذلك من الأوصاف الدنية، وتصفية

القلب عن محبة الدنيا وعن التوجه إلى غير المولى، وتجلية السر عن صور الأغيار وعن مقتضيات غرر الأطوار، قد استصعد إلى ذروة تدوير فلك التجلي الذي هو من خصائص الطور السّر والروحي والخفي والحقي وغيب الغيوب.

فلو خلى المرشد والحالة هذه السالك على حالة لأدت إما إلى الجذبة المضيعة، وإما إلى الإلحاد والزندقة والإباحة التي منه خصائص الخنازير والدب، وإلى الإنكار لأهل سوء أحوالهم كما هو حال المآل والشياطين ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ تلك العهود الأزلية والميثاق والعقود الأولية التي أخذها منكم في مقام خطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ والتذكر عن تلك الحالات والنشأة العليا والفطرة الأولى ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعَام: 68] الذين وضعوا أحكام الشريعة وضيعوا أعلام الطريقة وصرفوا آدابها عن مواضعها إلى غيرها.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ويستحفظونَ نفوسهم من ذلك الانتقال والتطور والاستدلال ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ [الأنعَام: 69] أي من حساب أعمال الأطوار السافلة.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ﴾ سافروا وساروا إلى الله ومن الله وتقيدوا به وتقلدوا عليه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الأول من مقتضيات النور والجمال والثاني من مرتضيات الجلال أما الأول من لوازم الدنيا والثاني من فضلات أفكار الآخرة والاعتكاف عليها والتقيد بفكر الآخرة وحضرة عليها من جنس الدنيا لقوله عليه السلام: «**كل من يشغلك عن ربك فهو دنياك**». ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ يدل على ما ذكرنا ولذا حضر الغرة بالحياة الدنيا ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ أي بالقرآن الجمعي والجمع الكمالي النوعي فرقان ألمعية القلوب اللاهية والعيوب الواهية لئلا يلتفت بغير الله الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهما حرامان على أهل الله، كراهة ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ ويقتدوا بهلك وتقلد ﴿نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وتعبدت تصور المكتسبات وغرر المقتبسات من الأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات والشهود والمشاهدات ومن الشطح والطامات والكشف والكرامات وصنوف خرق العادات وأنوار العبادت لهم شراب من حميم من نيران ظاهر النور والجمال وديتان، أولئك الذين انحصر نظرهم على أعمالهم وإدراكاتهم على أموالهم ومقاماتهم ﴿أُبْسِلُوا﴾ وانهلكوا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الأنانية والعجب

والظلال وراء نور جمود الجلال ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من التحسر والندامة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعَام: 70] وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي النوعي.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعَام: 71] من الدنيا والآخرة وما فيها من الأدوار الجمالية والنور في الأكوار الظلية، والجلالية والغرور، ونور السرور، ويرد على ما ينافي السير إلى الله من الله الذين هما طريقان في السير في الله، وقد تقرر أن السالك قد يقع في طريقه الردة والسقطة، وأنهما صنفان: طبيعي وإرادي.

أما الطبيعي فهو في المركبات، فإن الفلاح قد يغرس في حديقته أشجار مثمرة، أما الثمرة فإن الشجرة تتنور، ومنها ينعقد، ومنها يثمر ومنها مانعية، ويصلح ويسقط وهكذا الزرع وسائر النباتات بل المعادن، فإن العناصر ويترتب بعضها على بعض وينعقد ذهبًا وفضة ونحاسًا وزئبقًا وغير ذلك، فمنها ما يصلح ويصير ذهبًا بالفعل وإلا البعض، والبعض لا يفسد ويرجع ويدبر إلى ما كان في أول المرتبة، وكذا الحيوانات فمنها ما يبلغ إلى مرتبة النطفة ومنها إلى مرتبة الجنين ويسقط، ويرجع الرجع القهقري، ومنها ما يكمل ويصل إلى كماله اللائق وهو أن يصير غذاء للإنسان الكامل بعضه يسقط ويرتد في مرتبة النطفة أو الجنين أو في مرتبة الطفولية، فالذي يكمل ويصل الكمال والتكميل فهو في الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

أما السقوط **الإرادي** فأولى ما ابتلى به هو الإبليس، ومن الملائكة هو هاروت وماروت قد اشتهرت حكايتها بعد إذ هدانا الله من المسلك المردود ومنه إلى المسلك إليه، ومثل هذا السالك كالسالك الذي استهوته وجذبته الشياطين، والأبالسة في الأرض الاستعدادية، يتردد فيها الشؤونات الذاتية والأعيان الثابتة التي تتوارد عليها، فالذي يكون للشيطان أعوان يدعون المولود الإنسي إلى الضلالة فيها الشؤونات الذاتية والأعيان الثابتة التي يتوارد عليها، أما ما يترددونَ في النشأة الأخيرة والمرتبة الأسيرة من الأعيان النورية الجمالية في الأدوار الوجودية والأكوار العدمية الشهودية لَه أصحاب أي للذي جذبته الشياطين أعوان من الملائكة والقوى الروحانية يدعونه إلى الهدى والإضلال، وقد علمت أن كل مولود عين من الأعيان الإنسانية، على مولودين توأمين أحدهما مولود إنسي والآخر

مولود جني، فالمولود الجني إن أطاع المولود الإنسي وتابعه وأسلم بيده صارا مؤمنين كاملين، وإلا صارَ المولود الإنسي في يد المولود الجني أسيرًا كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران حائرًا دائرًا بايرًا ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: 71].

قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا وله مولود جني قالوا وإياك يا رسولَ الله قالَ وإياي إلا أن اللَّه تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولم يأمرني إلا بالخير**»، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 71 - 72].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ يريد أنه لا ملك ﴿يَوْمَ﴾ يوم القيامة لغيره ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ أخبر أن ذلك اليوم يوم ينفخ فيه في الصور ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ عالم بما غاب عن الخلائق وشهودهم ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73] أي الحكيم في خلقه الخبير بخلقه.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ الخليل ﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ عبدة الحجارة من دون الله اجعلها معبودًا إلهًا ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ في هذه العبادة ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 74] وخسران متين.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد أن اللَّه تعالى أعطاه ما

يراه يكون في السماوات من عجائب خلقه ومن عبادة الملائكةِ وطاعتهم وخشوعهم وخوفهم من الله وهم لها طائعونَ، وما في جميع الأرض من عصيان بني آدم وجزائهم على الله فرأى رجلًا يكفر بالله فدعا عليه فأهلكه الله ورجلًا يزني فدعا عليه فأهلكه الله فأوحى إليه: يا إبراهيم أمسك عن عبادي فإنهم مني على ثلاثة خصال: إما إن رحمتهم فأتوب عليهم، وإما أهلكتهم فعذبتهم، وإما استخرجت من أصلابهم من يعبدني ولا يشرك بي شيئًا يا إبراهيم أما علمت أنه من أسمائي أنا الغفور التوّاب الرحيم ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75] يريد ختمت له اليقين.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ يريد فلما أظلم عليه الليل رأى كوكبًا حسنًا شديد الضوء مثل المشتري ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: 76].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ وغاب ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: 77] قال الله في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51] يريد لئن لم يرشدني ربي إلى أفضل الأوقات وأعظم العباد لأكونن من القوم الضالين من قبل سعته.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾ حين أصبح ﴿بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ عتمت وغربت ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] إن الله واحد لم يكن له شريك ولا ولدَ.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ نحو مكة ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ أرشدني ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ المشيئة والأسقام والأمراض إليه ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 80] كما قال في آية الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] الذي لا أعلى ولا أعظم ولا أجلّ غيره، وهو الذي خلق السماوات العقلية والأفلاك النورية الروحية الجنية، والدوائر النفسية البرزخية، والدوائر الحسية المتحركة السبعة بحركات مختلفة، والأرض بطبقاتها المتنوعة، وتميزها بتميزها فيها من المخلوقات كما بيّنها ابن عباس.

وإنما أفرد الأرض لتوحد في بعضها حسابًا بالحق متلبسًا بالحق ومستصحبًا بالعدل والقسط فتكرار السماوات والأرض إشعار بما ذكرنا وبأن إمكانيتها باقية في كلّ آن بالعلة المنفية بأن كل سماء منطو على سماوات ضمنية ينفى بإمداد امتداد النفس الروحانية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمان: 29]، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88] وهنا الأمر إن كانَ عامًّا شاملًا لجميع الموجودات إلا أنه لما أشارَ في أعظم المخلوقات الحسية إلى هذا السير العزيز كان كافيًا لسائر الموجودات يوم بعد خلق السماوات العقلية والروحية والبرزخية والأرض الاستعدادية في كل مرتبة من المراتب العملية والعقلية والروحية والشهادية والبرزخية الغيبية يقول السماوات الحسية الامتدادية والأرض السفلية ﴿كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبره.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ عليه والمراد باليوم الرباني الذي مقداره ألف سنة مما تعدون

ويجوز أن يكونَ ظرفًا لخلق هي بمعنى ﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبره يوم مقدّم عليه، والمراد من يوم هو اليوم الرباني الذي مقداره ألف سنة مما تعدون، ويجوز أن يكون ظرف لخلق حين بمعنى أي خلق السماوات قول الحق إسمي يكون أي حين يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ سببًا لتكوين الأشياء وإيجادها، وانتصاف يوم بمحذوف وهو التكوين ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: 73] أي كل ما دخل تحت حكمه وتصرفه فيشتمل الغيب والشهادة ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]، والصور قرن كهيئة البوق ينفخ فيه سئِلَ النبي ﷺ قالَ: «**قرن ينفخ فيه**» عالم الغيب عن الحس والشهادة فالأول يعم عالم البرزخ والأشباح وعالم الأموات والملكوت والأرواح وعالم الجبروت وما فيها من العقول الإلهية والأعيان والصور العلمية والشهوات الذاتية والأسماء والصفات الأولية، أما عالم الشهادة وهو الذي تشاهده الحواس الظاهرة وهو مخصوص بعالم الأجسام والعناصر والأجسام ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعَام: 73] لفٌّ ونشر.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ عطف بيان وله اسم آخر تارخ كإسرائيل ويعقوب قيلَ اسمه تارخ وآزر، وصف بمعنى المسيح والمعوج، أو اسم صنم ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ بهمزتين إحداهما الاستفهام والثانية للمتكلم ﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ دون الله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ وهذا الاتخاذ، والثالثة ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ وبعد عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ [الأنعَام: 74] ظاهر واضح وشاهر. والضلالة في الحقيقة هي فقد الدليل ضد الهداية وهي إما وجدان المطلوب، أو سلوك طريق يوصل إلى المطلوب.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ حكاية عن حال ماضيه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعَام: 75] أصل الملك، وهو الناموس الإلٰهي والإخبار الرباني، التاء للمبالغة في العظم، أو المراد هو الملك، وهو مصدر بمعنى التصرف، والملك العظيم في عالم الشهادة هو السماء الأعظم هو العرش، وفي عالم الغيب الملك الأعظم هو عالم اللّاهوت، ثم الجبروت، ثم الملكوت، ثم البرزخ وهو كالإنسان، وإن كان بحسب الظاهر والرتبة والمرتبة أصغر إلا أنه يجيب المعنى والحقيقة أكبر وأعظم، لأنه مرآة ذات وجهين ينطبع فيها صورة المحسوسات والمعقولات،

وهو كالملكوت ثلاثة أقسام: برزخ مبدئي، ومعادي ومتوسط. أما الملكوت الأعلى وهو الروح والنفس المدبرة الأفلاك العالية والسماوات العاليات وهو العرش والكرسي والمتوسط هي النفوس والأرواح المدبرة للسماوات الباقية، والملكوت الأدنى هي النفوس، والأرواح المدبرة المتصرفة في العناصر والمواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات، والجامع للكل هو الإنسان والكون الجامع.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعَام: 76] من الكواكب الثابتة المشهورة المرصودة كالشعرى والسهيل والنسر الطائر، والنسر الواقع، وغير ذلك من الثابتات، والمشتري والزهرة وغيرهما.

قالَ أهل التفسير: وُلِدَ إبراهيم في زمن نمرود بن كنعان، وهو أول من وضعَ التاجَ على رأسه وادّعى الألوهية وكانَ له كهان ومنجِّمونَ، وقالوا له: سيولد في بلدك في هذه السنة غلام يكون هلاكك بيده، وهم قد أخذوا ذلك من مشكاة النبوة، وهو أيضًا قد رأى في منامه كأنّ كوكبًا طلع وعكس ضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما نور وضوء، ففزع من ذلك فزعًا شديدًا فدعا الكهنة والمنجمين والسحرة فسألهم، فقالوا: يولد ولد في ملكك وبلدك في هذه السنة من يكون خراب الملك وهلاكك بيده. فأمر بذبح كل غلام يولد في هذه السنة في بلدة وناحية وعزل الرجال عن النساء، وكانوا لم يجامعوا النساء في الحيض، فلما أتى آزر في بيته ورأى روضة قد طهرت عن الحيض، فوقع عليها فأحملت بإبراهيم، فلما ولدت خرجت إلى المفازة ووضعته في موضع كُنٍّ، ثم أتت إلى البيت فسأل أبوه فقالت خرج ميتًا فطرحته فلما مضت خمسة عشر شهرًا سأل إبراهيم أمه أن يخرجه عن كنّ كان فيه فلما خرج ونظر إلى الكوكب ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ وغرب وغاب ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعَام: 76] ولا أعبد ربًّا لا يثبت ولا يدوم.

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ إبراهيم في ليلة القابلة ﴿ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ ظاهرًا طالعًا باهرًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ لأنه أعظم وأنور وأبهى وأشهر هذا ربي ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ في مدارك فكري ومسالك استدلالي ونظري وذكري ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعَام: 77] الفاقدين طريق الهداية ورفيق كمال اليقين ووفور الدراية.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ﴾ في أول النهار ﴿بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا﴾ الكوكب البازغ والطالع

الفارغ ﴿رَبِّي﴾ وخالقي ومدبري ورازقي كانَ يرزقني ويدبرني في ذلك الكهف هذا أكبر وجودًا وأعظم قدرًا وشهورًا، وأكثر فيضًا، وأكبر جودًا ووجودًا ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وغربت وأظلمت الأرض واختفت كمية الطول والعمق والعرض وكيفيتها بحسب التقدير والعرض ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] من الأوثانِ والكواكب وسائر الأعيان المصنوعة والأكوان المرفوعة والموضوعة والأجرام المتحركة المطبوعة والأجسام المنحوتة المدبوغة، وكان آزر أبا إبراهيم على دين نوح وشريعته لأنه أول من وضع الشريعة ورفع أعلام قواعد النِّحل ومعاقد الملة بين أولاده، ومن جملتها وبعض قوانين ملتها، هو منع الخلق عن مباشرة الحيّض، وأما صفة الأصنام فإما لأنه ما كانَ محرمًا في دينه كالتصاوير في ديننا وإما لأن هذه الصنعة الكريهة المحرمة قد شاعت بعد ولادة إبراهيم فإذن قد رفع الإشكال عن قول النبي ﷺ: «**تقلب من الأصلاب الظاهرة إلى الأصلاب الطاهرة**» ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: 114] الآية إلخ.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ نعتًا يقينًا ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ أي هاضمه وجادله في دينه فلما رجع وأتى إبراهيم من الكهف الذي كانَ فيه بعد مدة وهو شاب قد ارتفع عنه خوف الذبح فضمه آزر إلى نفسِه وأعطى الأصنام المنحوتة ودفعها إلى إبراهيم ليبيعها وكان يقول من يشتري ما لا ينفعه شيئًا ويضره ضررًا كثيرًا ويستهزئ بها وقد فشا استهزاؤه وأظهر دينه لهم فخاصموا وجادلوا معه ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ ودينه وهو طريق الحق ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ وخلقني وعصمني ورزقني وقد خوفوا بأصنامهم بأن من أهانهم أهلكوا فقال في جوابهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 80] حيث قالوا: إياكَ واستهزاءَ الأصنام فإنه يضرك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ الاستثناء منقطع ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وأحاط علمه بكل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 80].

إشارة وتأويل

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الجواهر النورية والقواهر العالية المجردة عن

الغواشي الغريبة واللّواحق المادية أعني النقول والأعيان الجمالية العالية ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 73] الجواهر الغاشية العناصر الضمنية العدمية لما تحقق من أن كل إنسان يتضمن مولودين توأمين، إحداهما مظهر النور والجمال وهو المولود الإنسي، والآخر أي الظل والجلال والعدم فذلك، وذلك غير موجود في الخارج الذي هو عبارة عما هو خارج عن المشاعر العشرة، والخارج بهذا المعنى يرادف نفس الأمر والواقِع قد يطلق على ما يختص بالمشاعر الخمسة الظاهرة عند من يقول: إن الجن معدوم غير موجود في الخارج، بل العقول والنفوس المجردة والملائكة والذات البحت فإنها غير موجودة محسوسة لا إنها غير موجودة في نفس الأمر، فإنه مما لم يقل به أحد من النهي.

فعلى هذا يكون الإنسان عبارة عن جوهرين: موجود ومعدوم كالّذات البحت، ومطلق الوجود وواجب الوجود، فإن مفهوم هذه العبارة مركبة مما يدل على الثبوت والنفي، والوجود والعدم، فيكون الحق خالقًا للوجود والعدم، يعني أن اللَّهَ ظهر بذاته في ذاته بالنور والوجود والجمال وبالظلمة والجلال والعدم والظلال.

ولا شكّ أن هذا الأمر والاعتبار ليس من الخارج منه ولا من فيض زائد عليه، بل ظهر من ذاته بذاته، فمن نظر إلى ظاهر هذه الحالة حكم بأن الموجودات قد ظهرت اتفاقًا لا لزومًا، والإرادة اختيارًا، ومن نظر إلى أن هذه الأمورَ والمفهومات لا انفكاك لهم عن الذات ولا لكل عن الآخر، ذهب إلى الحالات والتلازم واللّزوم، ومن جمع هذين النظرين، وهم المحققونَ من أهل اللَّهِ قالوا: بهما وبالإرادة والاختيار وبكل ما أدركته القوة العاقلة الواهمة والخيال والمتخيلة، إذ الإدراكات القابلية والوهمية والخيالية والحسية، وكذا الآمال الإرادية والاختيارية كلها من الله وبالله وبقوته وإرادته ومشيئته وقدرته بالحق وبالعدل والقسط والاعتدال وبالحكمة البالغة وبالفصل على ما يقتضيه النور والجمال والظل والجلال وصورتهما الجمعية وإليه الإشارة بقوله: ﴿يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾ [الأنعام: 73] فللكاف إشارة إلى الجمال والنور فيكون أي بصورتهما الجمعية وهي العدالة بتكون عالم الغيب والشهادة، فالكاف عالم الغيب وبالنون التي ظاهره وباطنه وأوله وآخره عين الآخر، عالم الملك والشهادة، فإن الأشياءَ في الحقيقة وفي المعنى بأسرها وظاهرها وباطنها أي

الصورة العلمية التي هي الإدراك الحضوري والعلم الشهود ظهر في نهاية التنزلات وغاية التعينات بالنعت الأول والحالة الأولى وهو الإدراك البصري والشهود الشعوري، وهذه المطابقة لا تكون إلا في الإنسان المكمل.

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ والجامع السماء والأرض والسّمك والعرض، والرافع للنور والجمال إلى الظل والجلال ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ النوري والظلي والجمع الكمالي إلى ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: 73] قرن صور الكمال الجمعي الذي يجمع الأعيان النورية والأكوان الظلية الإفرادية في قرن الفناء ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: 68] إشارة إلى نفخ الثاني الذي يكون في بداية الدورة الثانية وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 68 - 69] الآية إلخ. ففي بداية كل دورة تنتقل نوبة التدبير إليها، فإن بداية كل دورة هي الصورة العلمية والدرر الحكمية ثم ينزل مِنَ العلم إلى العين إلى أن يصلَ إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي، فحينئذ يكون الغيب عينَ الشهادة والشهادة عين الغيب ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الأنعام: 73] إذا صار الغيب عينَ الشهادة والشهادة عين الغيب ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ حين صيرورة الشهادة نفس الغيب.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ أي اذكر يا إبراهيم الحقيقة المحمدية في الوقت الذي قال ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ والطور الروحي والسّردمي الفؤادي ﴿لِأَبِيهِ﴾ أي الطور الخفي العقلي ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ وصورًا علميّةً نظرية تصورية وتصديقية وأحكامًا فكريةً بأن يتفكّر بها ويتقيد بلوازمها وخصائصها ﴿ءَالِهَةً﴾ يعتكف عليها ويتعطف لديها آنًا فآنًا إليها ولا يتخوف في ساعة وزمان عنها إلى غيرها ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 74] أي النسب العقلية والصور العلمية ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عن الكمال الجمعي والحال الجامع النوعي الحضوري.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الأسماء الذاتية والصفات الأفعالية والأسماء الآثارية، وللمادة القابلية والقوة الاستعدادية، لاستدعاء شهود التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والكمالات الجمعية ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ وليصرن وليصلن إلى درجة حقيقة اليقين ومرتبة حق اليقين، فالأول ثمرة شجرة الشريعة، والثاني نتيجة برهان الطريقة، والثالث

فذلكة الحقيقة الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ يعني الفناء الحسي وهو البقاء عن الإدراكات الحسية على ما يقتضيه التقاعد في الحضائر القدسية عن المطالب والمآدب الحدسية، والمدارك الدرسية ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ في عالم البرزخ في الطور السري والرتبة الفؤادية بصفة الأنوار وهيئة الأفكار وصورة الأنظار، وهي الانتقال من الشهود الحسي إلى العهود القدسي والعقود الإنسي ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ ومربي ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ [الأنعام: 76] وغاب بالترقي من القوى النفسانية والمبادىء الروحانية إلى المبادىء الربانية التي هي الصور الكواكب بل الكواكب صورها لما علمت أن النفوس الفلكية هي مستنسخات النفوس الإنسانية وصور القوى النفسانية، لأن الدائر في الأدوار والدوائر في الأكوار هي الحقيقة الإنسانية والطبيعة النفسانية فإن لها في الأدوار الإرادية والأكوار الفرداريّة والأطوار الجمعية والأسوار المعية تطورات، وفي الاستدلال نزعات وتصورات، إذ لها في كل دورة صورة مخصوصة وهيئة منصوصة على ما تقتضيه الأدوار ومرتضيات الأكوار، ففي فرداريّة الأكوار الجلالية يظهر بالصور العدمية والهيئة الطبقية والظلمة الاستعدادية، والظلمة الإمكانية وهي الأربعة.

قال آدم الأولياء وخاتم الأولياء: إن المعنى لا يقع على اسم ولا شبه وأن الذي قائم في ظلمة حصر حيث لا روحَ يتحرك ولا نفس يتنفس والمعاني المذكورة هي باطن الملائكة وسر الأعيان النورية بالأهرمينات وهي جنس الأغوال والشياطين والجان وكذا لها أي للحقيقة الإنسانية في الأدوار النورية الجمالية للحقيقة صورة ومعنى ونعوت نورية ملكية وصفة روحية وهيئة سجية وحقيقة جسمية، ففي كل دورة من الأدوار النورية الجمالية للحقيقة الإنسانية تعينات وفي الظهور تنوعات ففي الدورة الأولى وهي العظمى يظهر معه الكون والوجود وصنعة الشهود، وبخصوصيات العلم وأطوار الشهود، وفي الدورة الثانية منها أعني الكبرى تصور الأفلاك النورية العقلية، وفي الثالثة تصور الأرواح وهيئات الأشباح، وفي الرابعة تصور الأفلاك الحسية العناصر السفلية وبما هو مركب منها، وكذا لها في الأطوار الجمعية أيضًا ظهورات في مراتب أربع، ففي المرتبة الأولى يظهر جمعية الوجود والعدم طردًا وعكسًا، وفي الثانية

الجمعية الهيئة الظلية والنعوت النورية والجمعية الأهرمينات بالملائكة، والجمعية الجمعية وصلة الممات في الثالثة باجتماع الأرواح ونعوت الأشباح وبصفة جمعية الأرواح بالصور اللطيفة البرزخية والمثل الشبحية، وفي الرابعة باجتماع الأملاك والجان والشياطين والأفلاك والعناصر وما يتركب منها إلى نهاية الإدراك ومدارِكِ السلّاك، كما اشتهر أن إبليس الجني أو الملكي قد عبد الله في السماوات والأرض حتى لا يبقى فيهما موضع إلا وقد سجد لله فيه. قال النبي ﷺ: «**إني أرى ما لا ترونَ وأسمع ما لا تسمعون أن السماء أطّت وحقّ عليها أن تئِطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله عز وجل لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنشأة على الفرش ولخرجتم إلى الطرقات تجأرون إلى الله**».

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76] الغائبين في الأدوار الإفرادية والأكوار الفرداريّة وذلك عندَ الترقي عن شهود مقتضيات الأدوار الإفرادية إذ العكس، فكما أن القمر يقتبس النور عن الشمس، كذلك الطور القلبي يقتبس النور الجمعي من شمس الروح والعقل ومن أرض الطور النفسي والقالبي.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ في طوره فارغًا إلى استكمال مراتب دوره في كوره ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ أي مربي في الطور النفسي والقالبي ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ وغاب عن الطور القالبي والنفسي مستصعدًا إلى فلك الأشباح وسماء الأمر وملكوت الأرواح ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ إلى صراط مستقيم الكمال الجمعي والجمع الكمالي فأصل واتصل إلى سماء الحقيقة الجمعية الكاملة ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: 77] القوم المبتعدين بالأطوار الإفرادية في الأدوار النورية الفرداريّة واحتجب بحجب مقتضيات الأطوار في الأدوار النورية عن مشاهدة الكمال الجمعي وعن شهود الجمال الساري في تمام الذراري بالوجه الجمعي وطور المعيّة ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ﴾ أي شمس عموم التجلي الآثاري في مراتب أعيان الغيب والشهادة إجمالًا وتفصيلًا بأن كان تمام أعيان الملك والملكوت، وأشباح البرزخ وحقائق الجبروت مرايا متكثرة مترتبة، فيشاهدُ ذلك الوجه في تلك المرايا بوجوه لا تتناهى، ويسمع كلامه من قوة لا تعد ولا تحصى، تارة أخرى في مراتب واحدة،

وهي جمعية الكل والإجمال، بحيث لا يقدح إجمال الجمال ولا الإجلال كمالَ التفصيل في أعيان النور وأكوان الظلال، بل يكونان مشهودين مقالًا يقدح أحدهما.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ [الأنعام: 78] وغربت عن مشاهدة الجمعية المخصوصة إشارة إلى أن للجمعية أيضًا مراتب بحسب جمعية الأدوار والأكوار، وجمعيتهما فإن لكل منهما جمعية ولمعيتهما جمعية، إلا أن لمعيتهما أيضًا اعتبارين أحدهما: أن يكون الملفوظ أولًا وبالذات هو النعت الكمالي أو الجلالي، وفي هذا الاعتبار اعتقادات أحدهما أن يكون بوجه الجمال والثاني توجه النور، والثالث بوجه الوجود، والرابع بالوجه الجمعي من هذه الوجوه، وكذا بالنعت الجلالي والظلي، والصورة الجمعية من الكل، والتي لا يتغير ولا يتبدل هو الجمعية الكلية والهيئة الإحاطية من الجميع وهي التي أشار إليها ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78] من هذه الوجوه المذكورة.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ أي كلية ذاتية وهيئة إحاطية أسمائية وصفاتية ومبادىء نفسي وقوى روحية وعقلية وتعينات وجودية، التجدد الواردة عليه آنًا فآنًا، وتمام ما انطوت عليه جمعية من أعيان الجبروت والملكوت والبرزخ والمُلك والسماوات والأرض والعناصر وما يتركب منها، وتمام مقتضيات أدواري، وأكواري مع إقبالي وإدباري ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والأدوار الإلٰهية والنورية والجمالية الوجودية ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ أي الأكوار الظلية والجلالية والعدمية والكونية وأعيانها وأكوانها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79] الذين حصروا الألوهية على سلطان الجمال والجلال الإفرادي إلى آخر الآية.

تفسير

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٨١)﴾

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ به يريد إني أوحِّد اللّٰه لا أشرك به شيئًا ولا

أخاف غيره ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ وجعلتم إلهًا من دون الله ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ ليس لكم فيه حجة ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ يريد من العذاب ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81] تُبصرونَ ما تفعلونَ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وصدقوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي أرشدوا إلى دين الله واتقوا بعبادة الله ولم يعدلوا بالله شيئًا ولم يخافوا غيره ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] إلى الرشد بدين الله وإلهام بعبادة الله وتوحيده.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ ألهمناها إبراهيم وأرشدناه إليها ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ يريد أن مَنْ مستثنى رفعت إبراهيم على جميع خلقي ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] ما حكم لإبراهيم أني خلقته لطاعتي وعصمته من معصيتي وحكمت في ملكي ألا أبعث نبيًّا من بعده إلا من علمته علمًا مني بما خلقت من خلقي حيث أجعل نبوتي في أوليائي وأهل طاعتي وخيرتي من خلقي.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا﴾ كُلًّا ﴿هَدَيْنَا﴾ أرشدنا ووفقنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ إبراهيمَ يريد أرشدنا إلى طاعتي وألقيت عليه من محبتي ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84] يفعل بالموحدين.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فجعل عليه في هذه الموضع من ولد إبراهيم ﴿وَإِلْيَاسَ

﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: 85] من أنبيائي.

﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ﴾ وهو ابن أخيه ياسين في هذا الموضع ابنه ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 86] يريد: أرسلُ إلى العالم من خلقي، وختم الله لإبراهيم لأخلقن من ذريتك مثل نجوم السماء وحصيّ الأرض وأزيد من خلقي.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ ومن ﴿وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ﴾ [الأنعام: 87] يريد من آبائهم قومًا من ذكورهم مؤمنين، وذرياتهم يريد من ولد إسرائيل كثيرًا، وإخوانهم شعيب إلا أن شعيبًا من ولد مدين بن إبراهيم وله من ولد مدين لم يذكرهم، فمنهم الذي يروح إليه موسى، ويريد أيوب بن أموص وهو من ولد عيص أخي يعقوب ﴿وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ﴾ اصطفيناهم ﴿وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 87] إلى دين مستقيم دين الله الواضح الذي هو من الأديان.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ يريد ذلك الأمر المذكور دين الله الذي هم عليه ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾ من أوليائه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ يا محمد لو عبدوا غيري ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88] ولكن عصمناك وعصمتهم وأخبرتك وأخبرتهم.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ الذين أي الأنبياء ﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أنزلنا عليهم القرآن يريد التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وكتب الله التي أنزلها الله كثيرة وهو أعلم بها ﴿وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي الذين يكذبونك ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا

﴿قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 89] يريد بهم المهاجرين، يريد وَكَّلْنَا أحصينا بها المهاجرين والأنصار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ النبيين الذين ذكرهم إبراهيم وولده ونوحًا من قبل ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ يا محمد ﴿ٱقْتَدِهْۗ﴾ يريد اتبع ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ﴾ مالًا يعطونه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 90] موعظة للخلق أجمعين، يريد إني أبقيت الإنسَ والأحمر والأسود وجعلتهم خاتم النبيين، وكيف أخاف ما أشركتم إياه بالله من الأصنام التي لا ينتفع بها ولا تضر بذاتها، إلا أن الشياطين تتعلق بالأصنام، فإن السنة الإلهية قد جرت بأن كل صورة من الأجسام يتعلق بها نفس من الحق، والشياطين والنفوس الجنية إن كانت إلا وضعه الشرع والعقل ولا يملك من الأملاك المترددة التي خلقهم الله بخصوصية أوضاع الأفلاك وما فيها من الأجرام العالية والكواكب الثابتة والسيارات يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه الآية. وقال: سبق الإيماء آنفًا في الحديث: «**إني أعلم ما لا تعلمون وأسمع ما لا تسمعون**» إلخ.

قالَ للصور الفلكية ولهذا أدركها أصحاب الطلسمات حين حلول الكواكب فيما أرادوا عمله فالأصنام والأوثان يتعلق بهن جنية الطليموس والصورة التي في عالم التركيب طبقة فمن يتعرض بهن بسوء تضرّهم إن كانوا من النفوس الناقصة، فلما كان إبراهيم يهين أصنامًا نحتها أبوه أو يستهزأ بهن خوفوه بها.

وقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ وإن الله تعالى يعصمني من شرور الإنس والجن ومن شرور النفوس الخبيثة، من كان الله كان الله له ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ وضر ما ضيعتم فإن وبالَ ما ضيعتم يعود ويرجع إليكم من الله في الدنيا والآخرة، فإن الله خلقكم وما تعبدونه ورزقكم، فأنتم تعبدون غيره الذي خلقه فإذا هو أحق أن يُخاف منه كل الخوف، لأنه مبدأ كل ضرر، وخالق كل غرر وعوف(*) وينقطع به كل باطن وخوف ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ﴾

(*) العَوْف: الحال والشأن.

وحجة ودليلًا وبرهانًا وعلة يعني كيف أخاف بتخويفكم إياي بأمر لا ينفع ولا يضر وهو مأمون الخوف ومصون الجوف، وأنتم لا تخافونَ من يتعلق به كل الخوف، ويصفون ما ينقطع به كل باطن وعوف، وليس لكم عليه سلطان ودليل وبرهان، وهو الإشراك، والغافل لا يفعل شيئًا في أمر الدين والدنيا وما دام لا ينزل عليه حجة، ودليل إشارة إلى أن كل عاقل يُغفل شيئًا دينيًّا أو دنياويًّا لا بدّ له من دليل يرشده سواء كان عقليًّا أو نقليًّا أو وحدانيًّا جنانيًّا. قالَ النبي ﷺ: «**استفتِ قلبك**»، وقالَ أيضًا: «**من كان له واعظ من نفسه كان له من الله حافظ**»، وذلك أن كل فعل إرادي اختياري لا بدّ له من أربعة أمور تصوره قبلَ الشروع فيه وتصور غايته وغرضه الذي يترتب عليه، والشوق الباعث إلى طلبه، وأمنًا أحق بالأمن والأمان والراحة في كل الأوقات والزمان، وإنما لم يقل ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أم أنتم حذرًا عن توهم النفسانية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81] موانع الخوف ومواضع البرود والعوف.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ أي لم يخالطوا إيمانهم بظلم وجور وتجاوز عن عدالة في دور وكور إما على نفسه أو على غيره ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ أي الذين آمنوا بلا شرك خفي أو جلي ولم يخالطوا إيمانهم بظلم إنما يختص ويحصل لهم الأمن والأمان في كل زمان ومكان ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] واصلون إلى المطلوب والمرصد المرغوب والمقصد المحبوب.

﴿وَتِلْكَ﴾ أي الهدايات ومشاهدة الآيات ومسابقة واجتباء ثمرات صنوف المجاهدات ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وأعطيناها له قائمة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في مراتب الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] بحقائق الأشياء وخواصها ولوازمها وبالعمل على مقتضيات تلك الخبرة ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83] بكيفية العمل وكيفيته وخلوصه وعمومه وخصوصه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ بلا واسطة ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ بواسطة أي الأنبياء المذكورة وغير المذكورة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أولاده وبعض أحفاده ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ بن داوود ابن إيشا ﴿وَأَيُّوبَ﴾ بن موص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ﴿وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿وَمُوسَىٰ﴾ بن عمران بن يصهر بن لاوث بن لاوي بن يعقوب ﴿وَهَٰرُونَ﴾ أخو موسى ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما جزينا به

إبراهيم وذرياته ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84] من الأمم المنسوبة بهم.

﴿وَزَكَرِيَّا﴾ بن يحيى ﴿وَيَحۡيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم بنت عمران ﴿وَإِلۡيَاسَۖ﴾ اختلف فيه، منهم من قالَ: إنه إدريس ابن النبي نوح العالي درجة وهو ملك ابن سنح بن أخنوخ مثل أنه ابن فنحاص بن الغرار بن هارون ﴿كُلّٞ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: 85].

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم بن تارخ وهو تارخ ماروج بن لهاسوق بن أرغون بن فالغ ابن عابر وهو هود النبي ابن متوشلح بن أرفخشد بن سام بن نوح ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ بن أخطب بن عجوز ﴿وَيُونُسَ﴾ بن متى ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ بن هامان وأخ إبراهيم وكلًا منهم فضلنا على أهل العالمين ومن آبائهم عطف على ﴿وَكُلّٗا﴾ أو نوحًا أي ﴿فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 86] على أهل عالمي زمانهم وذرياتهم أي البعض لأن عيسى ويحيى ما كان منهما وإخوانهم وأحشائهم عطف على ﴿فَضَّلۡنَا﴾ وهديناهم وهو الإيمان والتوحيد المذكور والإخبات والاقتداء والاهتداء.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ دين الله وما يتفرع عليه من التوحيد والمعرفة ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ هؤلاء المذكورين ﴿لَحَبِطَ﴾ وبطل وذهب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88] عملًا قلبيًّا وهو الإيمان أو عقليًّا وهو المعرفة بالله وأنفسنا وهو ما صدر منه آثار الأوصاف المرضية كالعفة والكرم والجود والسخاء والإقدام على دفع الأعداء والتودد والتسليم والتوكل والرضاء بالقضاء وغير ذلك من الأعمال السببية أو تدينًا كالصلاة والصوم والجهاد وغير ذلك من العبادات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ الخطاب إما خاص أو تبع أو عام لتابعيه من الأمر ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ﴾ أي المذكور ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾ وموعظة وتذكرة ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 90].

إشارة وتأويل

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ [الأنعام: 81] أيتها الأطوار الروحانية والسرية والقلبية والنفسية والبدنية وجعلتم الأفعال والأعمال المخصوصة والأحوال المنصوصة والعلوم والإدراكات المتعلقة بذواتها وأفعالها من السعادة والشقاوة والّلام واللّذات الفعلية والروحية والنفسية والقلبية والبدنية ومن شهود التجليات

الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية وغير ذلك من التدبيرات النفسية للبدن من حفظ عن التلاشي بالتعدية والتنمية وتوليد المعادن الثلاثة لحفظ الشخص والنوع وما يتوقف هو عليه من الهضم والجذب والدفع والإمساك وتقسيم الغذاء على البدن وأجزائه وأعضائه ومن الأحوال والأحكام والعائدة إلى الطور القلبي من تبديل الأخلاق وتحسين الأوصاف، وتجريد المعاني الجزئية عن القيود الجزئية، ويصعد من المجالس الجنية إلى المجالس القدسية، ومنها إلى الحضائر الإنسية ومن قبول الإشراقات الإلٰهية والمعاني الكلية وتصويرها بالملاليس الحسية والمجانس النفسية وتنزيلها على النفس وتقييدها بقيود الصفات الحيوانية من الأكل والشرب والوطي، وللحركات الإرادية على نفس القلب التوسط بين الفؤاد والصدر، وتعينها بمبادىء الأخلاق التي هي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة، خصص كلًّا منها بقوة من القوى النفسانية والروحانية والنفس الإنسانية والأجزاء البدنية والأعضاء والجوارح والجسمانية بعين العفة بالقوة الشهوية، والشجاعة بالقوة الغضبية، والجملة بالنفس الإنسانية، والقوة والعدالة بالقوة الجامعة القلبية، فسلطنة القلب في أجزاء أنوار الشمس المدل على جميع القوى أولًا على القوة النطقية بأن تكون آثارها جارية على المشاعر الصاغرة العشرة الظاهرة والباطنة على طريق العدالة ثم على القوة الغضبية على القوة الشهوية ومن الأحوال المختصة بالطور السري والروحي والجني من التجليات الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية.

فمن تقيد بواحد منها وتقلد لديها واعتكف عليها فقد أشركَ بالله ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 81] في أطواركم المخصوصة وأنواركم المنصوصة وأدواركم المبصوصة وبتقديم عن الموطن الأصلي والتقيد بها فأي الفريقين المقيد الساكن المتجرد والمتعين والمطلق هو المتكبر المتفرد بل المطلق والمتفرد عن الإطلاق والتقيد وإطلاق الإطلاق، وعن التجرد وتجرد التجرد، وهذا النوع من الإطلاق والتجرد لا يكون إلا فيما أحاطَ على تمام المفهومات المتقابلة في نعت مجرد ومطلق ومتعبد ومتعلق بالكل متجرد عن الكل، فاستوى نسبته إلى الكل فصار عن الكل فرادًا ومجموعًا، فيكون عين كل واحد وغيره وعين الكل وغيره لأنه عليم الأضداد ونفس الجمع والآحاد، فيكون أحق بالأمن وأليق بإلمامه لأنه جامع للخوف أيضًا فلا تخاف منه لخوف الخوف ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: 64]، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81] معنى الخوف والأمن ومواردهما.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وشاهدوا لكماله الجمعي والجمع الكمالي ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي لم يحتجبوا في الرتبة الإنسية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 82] والأمان من لحوق التفرقة وسبوق الظلمة والظلية.

﴿وَتِلْكَ﴾ أي المشاهدة الجمعية والإحاطة الإلٰهية والأحدية الذاتية الكلية ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ ودليلنا قد أرشدنا إليها ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: 83] الطور الخفي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43] على قومه والأطوار التي تحته ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: 83] من الأطوار والأعيان الجمالية والجلالية.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: 84] إلى آخر الإشارة إلى الأطوار المترتبة أولها هو آدم الطور القالبي ونوح الطور النفسي وإبراهيم الطور القلبي وموسى الطور السري وداوود الطور الروحي وعيسى الخفي ومحمد الطور الخفي فكل الأنبياء والمرسلين والأولياء الكاملين المكملين منسوب بهذه الأطوار إشارة إلى النشأة الإلٰهية وبرزات الكمال في الأدوار الغير المتناهية فإن السير الإلٰهي الدائر في النشآت يظهر في مظاهر الأنبياء والأولياء وسر القوة النظرية الدائرة في نشآت أدوار الجمال في مظاهر الأنبياء ولذا اختلف فيه والكل صادق وإما خطر فهو مخصوص بالجلال وظلمة الإمكان والظلال.

قال علي كرم الله وجهه: «أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح يتحركَ ولا نفس يتنفس وهما شخصان دائران في الأدوار والأكوار والبراري والبحار».

قالَ عليه السلام: «**الخضر في البحر وإلياس في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويحجان في كل سنة ويشربان من زمزم شربة يكفيهم طعامهم ذلك**».

وقالَ أيضًا: «**يلتقي الخضر والإلياس في كل عام والموسم بثلاث فيخلق أحدهما رأسي وأما محمد وعلي فهما سران سائران وداران دائران وفي دورات جمعية وكورات جمعية قد جمعوا الاقتضاءات النورية وارتضاءات الظلية**».

وقالَ أيضًا: «**خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة ألف عام فلما خلق الله آدم ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتى افترقا في صلب عبد المطلب فَفِيَّ النبوة وفي علي الخلافة إلا أن سرَّ النبوة في هذه الدورة النورية الجمالية وقد ظهر وسرّ الولاية قد خفي وبطن إلى أن ختم سر النبوة قد ظهرت الولاية مع النبوة وختمها إلى أن ظهر في إمام الزمان والمظهر الموعود فإذا استترتا واختفتا تقوم القيامة، يا علي كنت مع الأنبياء سرًّا وضربتَ معي جهرًا**».

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ أي الأدوار الأصلية الكلية ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الأنعام: 87] أي الأدوار الجزئية والغرابات الأربعة التي هي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى التي وقعت في الملتقيات الأربعة التي هي الفلك الإلٰهي على طبيعة مقتضى أرباب الأدوار والقرابات، وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة، فالأول على طبيعة الحياة الربانية، والرابع على طبيعة القدرة والإرادة وأن للقلوبين وهما زحل ومشتري الأول مظهر العلم والجلال والثاني مرآة الحياة والجمال في كل من المثلثات المذكورة اثني عشر قران فإن كانَ في المثلث البادي وهو الحمل والأسد والقوس بالقران الأعظم وفي الهواء، وهو الجوزاء والميزان والدلو سمي بالقران الكبرى في المائي وهو السرطان والعقرب والحوت بالأوسط في البراري، وهو الثور والسنبلة والجدي بالأصغر مجموعها وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١﴾ في سبعة مواضع يظهر فيها أحكام سلطان أنوار الأسماء السبعة الذاتية، فكل دورة من هذه الاثني عشر على طبع برج من البروج الاثني عشر وأخواتهم أي قرابات أخرى يقع في هذه المثلثات لما عدى زحل ومشتري وهي قدرة وإرادة الشمس وسمع الزهرة وعطارد والبصر وكلام القمر ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 87] وهو ما قدره الله لكل واحد من هذه الأدوار والدورات والقرابات الكلية والجزئية من الاقتضاءات والتدبيرات ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5].

﴿ذَٰلِكَ﴾ التقدير الإلٰهي والتدبير الرّباني ومعرفتهما ومشاهدتهما والتحقق بهما في الأدوار والأكوار الكلية والجزئية ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: 88] بأن يلاحظوا الأدوار والأكوار الإفرادية والأكوار الكلية والجزئية ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وأعيانها والأطوار المنسوبة إليها فلك

الأمور المذكورة، وأسندوها إليهم بأن جعلوا تلك الأعيان مؤثرة والأطوار مصورة ومقتضية الأنوار، فيكونوا شركاء لله يريد الله تعالى، ثم نزل هذا القرآن على محمد ﷺ ولم ينزل على موسى قبله قرآن.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ في الدنيا والآخرة أجلى الله به قلوب أحبائه وهدى وبيانًا من الضلالة وكلما ذكره الله سبحانه ويسخط الناس يريد الله به العجم ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ يظهرونه ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ منها ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ ما جاءكم به محمدﷺ من الكرامة لكم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له علمتكم ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ يا محمد ﴿فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91] يريد: يمارون.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يريد جميع الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من اليمن وفارس وجميع الآفاق والعراق ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يريد صدقوا بالنعت ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يصدقون به ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: 92] الذين آمنوا بمكة ويخبروا الشام والحبشة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ومثل الأسود بن الحمار العبسي ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يريد المستهزئين النصر بن الحرث وجميعُ المقتسمين ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الأنعام: 93] يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ في غصص الموت ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ملائكة العذاب ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ مع الحديد بالفظاظة والغلظة والشدة ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ والهوى والخزي ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ما لا تفعلون الكذب ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: 93] يزعمون أن الملائكة بناته مثل ما ذكر في بني إسرائيل: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40]، ومثل ما قال في النجم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: 21 - 22] يريد جائرة وقيلَ ما قال في الحج فأجمعوا قولَ الزور أن الملائكة بنات الله ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93] يريد عن أداء فرائضه والسجود لا يضبطون وقد قالَ رسول الله ﷺ: «**من سجد لله سجدة فقد يرى من آياته الكبرى نية صادقة**».

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عرفوا اللّهَ حق معرفته في جلالة شأنه وجلية برهانه وعظمة ذاته في أسمائه وصفاته، وكمال رحمته، وعموم رأفته، وهجوم عنايته، ووفور نعمته، وشمول علمه وحكمته، وشدة بأسه، وقهرمان عظمته، وسلطان هيبته، وَحِدّة بطشه، وشدة نقمته ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ أي وقت قول اليهود مبالغة في إنكارهم إنزال القرآن حيث قالَ ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ﴾ يا محمد ردًّا عليهم تكبيتًا وتعريضًا بهم وتسكيتًا لهم بأنهم أنكروا الحقَ ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ﴾ أعني التوراة التي الإقرار منهم بها ضروري بأن إنزالها إظهار نورِ الإيمان بالله الخالق المبدئ للأشياء والأعيان، والإشهار والهداية في انتظام أمور المعاش، والقيام ظهور الانتعاش، وإلى معرفة المبدأ والمعاد وأطوارهما و﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾ أي يصيّرون الكتاب ﴿قَرَاطِيسَ﴾ جمع قرطاس وهو ما يكتب عليه يعني دفاتر منقطعة ورقاب متفرقة تبدو لها ﴿تُبْدُونَهَا﴾ ويظهرون بعضها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ﴾ منها لعدم موافقته أغراضهم توبيخ على فرط جهالتهم ورداءة مقالتهم وكثرة ضلالتهم. روي أن مالكَ بن الضعيف من أحبار اليهود وأصولهم ومقدمتهم قالَ: يا رسول الله ﷺ أنشدكَ الذي أنزلَ التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قالَ: «**نعم**» قال: **فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي أعطاك اليهود**» فضحك القوم ثم التفت إلى عمر فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فقالَ له قومه: وتلك الذي تلقينا عنك، فعزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف. وقيل: هم المشركونَ، وأما إنزالهم بإنزال التوراة فلاشتهاره بينهم من علماءِ اليهود ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ على لسان محمدﷺ ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ من أحوال المبدأ والمعاد وأحكام النبوة وأنوارها وإخفاء أعلام الولاية وأسرارها وأطوار الحكمة وأنوار الهداية ﴿أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ﴾ يا معشرَ اليهود قيلَ الخطاب للمؤمنين ﴿قُلْ﴾ يا محمد ردًا عليهم أنزل

﴿ٱللَّهُ﴾ [الأنعَام: 91] والله أنزلَ جواب الاستفهام إشعارًا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره، وتنبيهًا على أنهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ ودعهم واتركهم ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ وشروعهم في حيز أقاويلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعَام: 91] حال من هم أو من خوضهم ويجوز أن يكون في خوضهم حال كونهم يلعبونَ وأن يكون صلة أو لِذَرهم.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَهَٰذَا﴾ المنزّل على محمد ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ﴾ الكتاب ﴿ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي حاضر عند محمد أي التوراة وغيرها من الكتب المنزلة والصحف المنزلة ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي لا تدارك به أهلَ مكة أو لإنزال الكتاب سكانها وإنما سميت بها لأنها أول ما خلقت من الأرض ثم دحيت من تحتها كما علمت ﴿وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾ من أهل الأرض جميعها شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا وإشعار بأن مكة كقلب الأرض وقعت في الوسط كالمركز في وسط المحيط الذي يطلبه جميع أجزائه ويتوجه إليه من تمام الجهات ولذا تحركت عليه لأن جميع أجزائه متساوية النسبة فلا يكون لجزء منها وضع ومحاذاة معينة ومواداات مثبتة فإذن لا بدّ وأن يجعل له تمام الأوضاع وجميع المحاذات فإذن لا بدّ وأن يتحرك المحيط على المركز ليحصل لكل جزء من أجزاء المحيط جميع الأوضاع وتمام المحاذاة وعموم المودات ونظير بهذا لو وضع كرة حقيقية على سطح مستو حقيقي لا بدّ وأن يتماس بجزء واحد من الكرة ونقطة واحدة بجزء ونقطة من السطح وأن يشبه جميع أجزاء الكرة بأجزاء السطح على السواء فلا بدّ وأن يتحرك لكرة أبدًا إلى غير النهاية والأشخاص ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ وأحوالها ومالها من الجنة والنار ونعيم الجنة وجحيم الظلم للإنس والجن ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ [الأنعَام: 92] وحميم البوار وخبر إشعار بأن الإيمان بالكتاب منحصر على من آمن بالآخرة وعالم الغيب وأنصف بالقوى ورفض بالشكّ والريب ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 2 - 3] الآية، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ المفروضة المكتوبة الخمس ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعَام: 92] يواظبون عليها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن تبنى أو ادعى النبوة ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: 93] نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي والأسود العنسي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح حيث يكتب فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ فلما بلغ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قالَ عبد الله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] فقالَ عليه السلام: اكتبها هكذا نزلت، فشكّ عبد الله في أمر الوحي وقالَ: إن كانَ محمد حقًّا وهو في أمره صادقًا فلقد أوحيَ إليّ كذا كما أوحيَ إليه وإن كانَ كاذبًا لقد قلت مثلَ ما قالَ.

روي أنه عليه السلام قالَ: «**بينما أنا نائم إذ أُوْهِبَ لي من خزائن الأرض فوُضِع في يديّ سواران من ذهب فكبّر علي فأُوحي إليّ أن أنفخهما فنفختهما فأولاهما مسليمة الكذاب والأسود العنسي**» ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 93] كتابًا نزلت أيضًا في عبد الله بن أبي سرح فإنه ارتد وقالَ هذا المقالَ ولحق المشركين ثم رجع قبلَ فتح مكة إلى الإسلام ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الأنعام: 27] يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي في وقت يكون الظالمونَ ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ جمع غمرة وهي كل شيء عظيم أصلها ما يغمر الأشياء ويغطها ثم استعملت في موضع الشدائد وهي سكرات ومكارهه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ بالعذاب والضرب يضربون وجوههم وأدبارهم ويقبض الأرواح يقولونَ ويأمرونَ المسلطين عليهم بقولهم ﴿أَخْرِجُوٓا۟﴾ أنتم عن البدن ﴿أَنفُسَكُمُ﴾ أي أرواحكم جواب لو محذوف أي لترى أمرًا قريبًا وسببًا عجيبًا ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ اذكروا ﴿تُجْزَوْنَ﴾ فيه ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي الشديد في رد أمانة الروح وشدائد نزعه والوقت المديد المتطاول الذي يجمعهم في البرزخ ويوم القيامة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ ادعاء والشريك وكادعاء النبوة والوحي وإنكاره وأن الملائكة بنات الله ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ

تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93] وعن كلامه وقرآنه تستكبرون.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا شيء قدمتموه ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عراةً حفاةً كما خرجتم من بطون أمهاتكم ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ من النعم والمالِ والعبيد والفراغ والمواشي وكل ما فضل عليكم من أمور الدنيا وأسبابها ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ يريد شريكًا لي وشفعاءَ ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ يريد وصلكم ومودتكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94] يريد ذهب عنكم ما كنتم تكذبون في الدنيا.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ يريد النبات من الحب والنوى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ويخرج المؤمن من الكافر كما يخرج النبات من النوى والحب ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ العاصي من المطيع والطائع ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: 95] يقول الله وحده لا شريكَ له يفعل هذا فكيف يكذبون.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ خالق الإصباحِ كل يوم جديد غير الذي كان أمس ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يريد سكن كل ذي روح إليه فيه ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ يريد لحساب مثل ما قالَ في سبحان لتعلموا عددَ السنين وكل شيء فصّلناه تفصيلًا ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: 96] الذي قدر الأقوات كل زمان وما يصلح كما قالَ في حم السجدة وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾ يريد في إشعاركم في البر والبحر ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 97] يريد أصحاب النبي ﷺ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ من آدم عليه صلوات الله ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ﴾ يريد الاستقرار في الرحم والمستودع في الأصلاب ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98] أصحاب النبي ﷺ فهموا عن الله عزَّ وجلَّ عظمته وجبروته وبهاءه وعونه وملكه وجلاله وأنّ ليسَ مثلَه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يريد المطر الذي ينزل ليسَ من قطرة إلا معها ملك وحَبٌّ مما يريد الله نباته ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ يريد منه القمح وسائر العطايا ومنه الشعير والذرة والأرز ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ بعضه على بعض في سنبلة واحدة ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ جمع قنو العذق دانية متدلية وقريبة لا يتكلف مشقة كبيرة من أراد جنيها والحصول عليها ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ يريد العنب والتين والخوخ والبرقوقيا والإجاص وعين البقر وكل جميع الثمار التي تؤكل وتلبس ومنها الأعناب ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ﴾ يريد بعضه أفضل من بعض قالوا مختلفة ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ يريد طينه إذا نضج ﴿وَيَنْعِهِۦٓ ۚ﴾ [الأنعام: 99] يريد خضر به قيلَ أن ينضج ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعَام: 99] يريد يصدقون إن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم ليجزي كل نفس بما له كسب.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ يريد كلما جنّ فهو جنٌّ ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ﴾ يريد فيقولوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعَام: 100] يريد تنزهت نفسه تبارك وتعالى وعظم شأنه أن يكونَ مثل خلقه هذا ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أقول: على الهيئة التي ولدتم عليها في الكرة الأولى حفاة عراة غرلًا.

﴿وَتَرَكْتُم﴾ وخلّفتم ﴿مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم أنعامكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى﴾ في ذلك اليوم ﴿مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ وأصنامكم وأوثانكم ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ وطيبتم ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاؤُا﴾ [الأنعام: 94] وأنداده وأمثاله يشفعون لكم عنده ويقربونكم دونه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ﴾ وانقطع أي وقع التقطيع والافتراق والانقطاع بينكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ وغاب عنكم في ذلك اليوم ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94].

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ والأول في الزراعة والثاني في الفلاحة من الأشجار يعني لشق الحبة من السنبلة والنواة من النخلة وسائر الشجرة فيخرجهما منهما والحب جمع حبة وهي اسم لجميع البزور والحبوب كالحنطة والشعير والأرز والذرة والسلت وغير ذلك والنوى جمع النواة وهي كل ثمرة اشتملت على الحب والحبة التي هي مادة الأشجار والأزهار والأثمار كالتمر والمشمش والخوخ والإجاص وغير ذلك قيل المرادَ به الشقاق الذي في الحنطة والنواة ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ الزرع يخرجه ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي مما لا يظهر فيه أثر الحياة كالنشوء والنماء والحركة الإرادية والشعور والإحساس وإنما فسّر المذكور بالأعم تنبيهًا على أن الحياة كما يطلق على الحيوان تطلق على النبات هنا ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: 95] وإنما ذكر بلفظ الاسم في الميت والفعل في الحي إشعارًا بأن خروج الميت من الحي أمر ثابت أي شأن الحي هو أن يكون ولودًا، ثابتًا له

التولد والتوليد ويظهر منه التجدد والتجديد وشأن الميت هو الخمود والسكون والجمود والتجمد. وأما خروج الحي من الميت، والمراد من الحي المؤمن العارف بالله والواقف بالله والباقي ببقاء الله، والموجود بوجود الله، وإيثار الفعل المستقبل، وإشعار بأن حياته حقيقي سرمدي مستمر أزلًا وأبدًا بلا انقطاع وارتفاع وإن له في كل آن وقت وزمان حياة محددة ومتحددة.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدر من الإفعال بمعنى أصح، وقرئ بالفتح جمع صبح وقس عليه الإمساء. فالمعنى فالق ظلمة الصبح وهي الشق في آخر الليل ومقتضى بكر الصبح أو المراد بالإصباح هو عمود الفجر الذي انفلق عن بياض النهار وإسفاره يقال: انشق عمود الصبح وانفلق وانصدع الفجر وسمي الفجر فلقًا أي مفلوقًا قرئ بنصب فالقَ ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ قرئ: وجعل الليل سكنًا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ﴾ كان المبدأ حسبانًا، أما الرفع فعلى الابتداء وحذف الخبر أي هما مجعولان أو محسوبان وأما النصب والجر فظاهران. يعني أن حساب الإهماك يعلم من دورهما ومقدار سيرهما. والحسبان بالضم مصدر حسب بفتح العين وبالكسر مصدر حسب بكسرها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ وتدبير القوى الغالب على تحريك الشمس والقمر وتدويرها ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: 96] بأحوال الشمس والقمر وكيفيتهما اتصالًا بالكواكب السيارة وكمية دورهما وانتقالهما يومًا وشهرًا وعامًا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ الثابتة والكواكب السيارة المتحركة بالحركة الذاتية أو العرضية الشرقية والغربية المتوالية وغير المتوالية، بالإقبال والإدبار ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ﴾ النهر ﴿وَٱلْبَحْرِۗ﴾ [الأنعام: 97] أو المراد ظلمات الأهوال والمخاوف والتحير والانهماك في الأمور الدينية أو الدنياوية في ظلمات الجهل والظلم ومن البحر هو بحر النظر والفكر، ومن البر هو التأمل في خلق السماوات والنجوم والكواكب وغير ذلك من المآرب في خلق السماوات والأرض ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قائلين في خلقهما: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 191]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: 189].

فإذًا تكون علوم النجوم ومبادئها من الهندسة والحساب والطبيعة من حيث

الأرقام والإعلام بإعلام علام الغيوب، وإحكام أحكام صانع البدائع وجامع لطائف غرائب الطوالع وعجائب المطالع مما هو يتوقف عليه الهداية ويترتب عليه الدراية ولذلك مدح الله تعالى التفكر فيها بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: 190 ـ 191] وأمر بتعليمه وتعلمه بقوله: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: 189] وأشار إلى شرطه وهو النبوي قالَ علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: من لم يعرف التشريح والهيئة فهو عنين في معرفة الله تعالى، وعن عمر رضي الله عنه أن هذه الآية أعني: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا﴾ [الأنعام: 97] إلخ تدل على وجوب تعلمها فإن الهيئة هو علم تشريح الآفاق، وعلم الطب هو تشريح الأنفس، ومعرفة الأنفس واجبة لأنها مقدمة معرفة الله تعالى، ومعرفة الله واجبة، ومقدمة الواجبة لأنها آيات الله ومعرفة الآيات فأشهر آيات الله وأجلاها علم الهيئة فتكون معرفتها واجبة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾ وأظهركم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم وحقيقته فلكم في الرحم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ وفي الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أو فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في الصلب وفي القبر إلى أن يبعث أو وجه الأرض أو مستقر في القبر ومستودع في الدنيا أو المستودع في القبر والمستقر في الجنة والمستقر في القبر والمستودع عند الله في الآخرة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 98] يعني يعلمون صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا وفي إنشاء آدم لكونه مجمعًا للآيات الواضحات ومرتعًا للأسرار المخفيات ذكر الفقه في الآيات وفي إنشاء آدم وفي النجوم العلم إشعارًا بأن خلق آدم أدق وهو للخلافة أوفق وأحرى وأليق وأجدر وأحق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 99] من الموجودات والمراد من الماء، الماءَ الذي به حياة كل شيء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30] وهو الذي يكون مادة كلِّ كلِّ وثبت كلية كلِّ كونٍ وموجود يمكن الذي كان العرش عليه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7] الآية، ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هي سماء الربوبية ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ [الأنعام: 99] أي من هذا الماء في عالم التركيب نباتًا خضرًا كما يقال عور وأعور إشعار بأن أعور كما خضر ليسَ بأفعل التفضيل كما أن أحمر وأبيض وأسود وأصفر وكلما كانَ على وزن أفعل من الألوان والعيوب ليس

بأفعل التفضيل بل المراد من أبيض ونظيره هو من له بياض وسواد وغير ذلك يخرج منه من الماء نباتًا ومن النباتات حَيًّا أي مادة حياة كل كائن في مرتبة التركيب وبروزه متراكمًا أي مركبًا وأصلًا مرتبًا ويخرج بعدَ ذلك من النخل خلقت من بقية طينة آدم.

قالَ النبي ﷺ: «**أكرموا عمّتكم التي خلقت من بقية طينة آدم وهي النخلة**» إشارة إلى تنوع النباتات وأقسامها، فمنها ما لا ساق له ولا حب ولا بزور، ومنها ما لها كلاهما دون مادة توليد المثل، ومنها ما له الأمور الثلاثة مع شيء آخر وهو الحركة الشوقية، وبها نمو قد خرج عن حدّ النبات ودخل في حدّ الجنس الحيواني كما أن مرجعًا له خرج من حدّ المعدن ودخل في حدّ النبات بنعت النماء، والقردة قد خرجت عن حدّ الجنس الحيواني ودخل في حدّ النوع الإنساني بطريق من قوة الفكر، ألا ترى أن القردة تفعل فعلًا عجيبًا وتصنع صنعة غريبة لا يستطيع جماعة من الأذكياء أن يفعلوا مثلَ هذه الصفة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾ وهي أول ما يخرج من النخل قنوان أي وأخرجنا من النخل طلعها ﴿قِنْوَانٌ﴾ مبتدأ ومن النخل خبره ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدل منه أي حاصلة من طلع النخل ﴿قِنْوَانٌ﴾، ويجوز أن يكون الخبر محذوف لدلالة أخرجنا عليه أي ﴿قِنْوَانٌ﴾ يخرج من طلع النخل جمع قنو قرئ بضم القاف وفتحها على أنه اسم جمع كوكب وركبان لأن فعلان ليس من زنات التكسر وهو العذق والقطوف دانية قريبة المتناول سهلة المجتنى ينالها القاعد والمضطجع النائم، ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بالنصب عطفًا على نبات كل شيء أو على الاختصاصِ وبالرفع على الابتداء أي لكم، وثم جنات ولا يجوز العطف على ﴿قِنْوَانٌ﴾ إذ العنب لا يخرج من النخل ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أي شجرتهما ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الورق لأن أوراقهما متشابهة ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطعم والهيئة ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ أي ثمر كل واحد منها ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ وظهر ثمره في الوقت ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي حالة نضجه وإدراكه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾ أي الذي ذكره من الفلق إلى القذف ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالة على وجود الصانع وكمال علمه وحكمته وعموم إرادته ومشيئته ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 99].

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: 100] وهم المجوس ومن يحذو حذوهم فإنهم يقولون خالق الخير هو الله ويزدان وخالق الشّر هو أهرمن ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي

والحال أن اللّٰهَ خلق الجن كما خلق الإنسَ وما عداهما ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾ اختلفوا وافتروا لَه وعليه ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ وإدراك وعقل يحكم بصحته ويعلم صدقه وحقيقته ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ وتنزه وتقدس ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: 100] بالانتساب إليه بالبنين والبنات إليه، وانتصاف الشريك بين يديه.

إشارة وتأويل

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ لا في أصناف الأدوار ولا في أطراف الأكوار الإفرادية ولا في الجمعية، لأن قدرة الممكن متناهية والله غيرُ متناه في حد ذاته وكمالاته الذاتية والأسمائية، وتقديراته الإلٰهية وتدبيراته الربوبية في الآماد المتابعة والأحقاب المتتالية الغير المتناهية ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ من كتاب التجليات الإلٰهية وفتح أبواب الفتوحات الغيبيّة ومنحات القلبية وكشف الأسرار الربوبية وإنما قيد نفي القدرة على المعرفة بوقت إنكار الوحي وإنزال المعارف الفطرية والعوارف الفعلية الفطرية تنبيهًا على أن هذا الإنكار عرضي لا ذاتي فنزل في الآخر بعد الترددات في النشآت في الآخرة.

﴿قُلۡ﴾ يا أيها الطور الحقي الغيبي والحقيقة المحمدية والكمال الجمعي والجمع الكمالي الساري في أعيان ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: 91] والتجلي الذاتي والأسمائي وأنتَ خبير بأن الآفاق والأنفس متطابقة ومتماثلة متوافقة فالذات الأحدية في الأحدية الجمعية لما كانت قادرة على إنزال الكتاب النفسي وهو التجلي على الأطوار القلبية السبعية يكون قادرًا على إنزال توراة التجلي الأسمائي على موسى الطور الخفي على حصة مخصوصة من حصص الحقيقة المحمدية وهي الحصة المحمدية الشهادية يكون قادرًا على إنزال الكتاب الآفاقي ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: 53 - 54].

﴿ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ الطور الروحي في هذه الدورة التي هي نهاية الدورة الصغرى النورية ﴿وَهُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 91] أي الأخلاق المرضية والملكات الفاضلة الرضية يهتدي بها كل طور من الأطوار القلبية في كل دور من الأدوار الإفرادية وفي كل كور من الأكوار الفرداريّة من الأفعال والأعمال والأقوال

الحسنة ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ أي ما جاء به موسى الطور الزوالي في الأدوار النورية الصريحة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي علومًا متفننةً ورسومًا متيقنة ﴿تُبْدُونَهَا﴾ [الأنعام: 91] أي تظهرون بعضًا منها على ما يقتضي الحال وتجعلون كثيرًا منها على ما يرتضي الظل، والجلال إشارة إلى أن الإفراد ربما يقتضي ويجمع في فرد كامل كالنبي والوكيل والحكيم الإلهي والعالم الرباني، وربما يتفرق وينقسم في أشخاص متفرقة، فمنهم من قنع ببعض منها نصارى الطور القلبي فإنهم قنعوا ببعض الأخلاق وبعلم اختص به كالفقه والقناعة والصبر والتوكل وغيره، ولم يلتفت إلى سائر الأطوار والأخلاق وصرفوا أعمارهم في اكتسابها ومنهم من يعبد بدرجة مقتضى الطور القلبي وتقلد بالقوة النظرية وحصر المطالب على مدركاتها، ومنهم من لم يقنع بشيء منها وطلب الكل من الكل أو من فرد كامل جامع للكل، وعلمتم يا معشر أعيان الأدوار النور والجمال ما لم يعلموا جمعيتها وخصائص عينها ونصائص لوازمها الذاتية وهي الفناء في الله والبقاء باللَّهِ والمظهرية والتحقق بالذات بتمام الأسماء والصفات «**ومن قتلته فأنا ديته**».

وقال أيضًا: «**أطعني يا عبدي أجعلك مثلي وليس لي مثل، لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي ينطق**». ومن خصائصها استمرار التجليات الذاتية والعلم بها الحضوري الشهودي والبرزخات الكلية للكمل، ولها تنوعات وتطورات غفيرة أحدها أن يكونَ تصور البرازخ العالية الثاني ينصف فيها.

مطلب من كلام علي رضي اللّه عنه

قالَ آدم الأولياء علي المرتضى رضي اللّه عنه، وكرم الله وجهه: «أنا الذي نظرت في الملكوت فلم يجد غيري شيء، أنا أقمت السماوات السبع بنور ربي وقدرته» والثالث هو أن يظهر ويبرز بصور العقول والجواهر المجردة والملائكة العالية، «أنا الذي خدمني جبرائيل أن الذي خص الله جبرائيل وميكائيل بالطاعة»، «أنا الذي عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعدَ محمد غيري، أنا بكل شيء عليم، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا الحجر الذي تفجر منه اثني عشر عينًا، أنا الذي عندي خاتم سليمانَ، أنا اللوح المحفوظ، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول،

وأنا إبراهيم الخليل حين ألقي في النار»(*) وغير ذلك مما يدل على تنوع البرزات وأطوارها.

واعلم أن للبرزة فائدتين إحداهما: للبارز المبارز والثاني: للمبروز فيه أما الأول فلا فأوتين أحدهما للكاملين المكملين وهو بعدَ استكمال الفائدة الثانية بأن يكون نفس كاملة كلية يندرج في حيطتها نفوس جزئية و«أنا وعلي من نور واحد» فالحكمة الإلٰهية إنما تقتضي لأن يرجع ونفوذ تلك النفوس الجزئية إلى النفس الكاملة الكلية ويتعلق بها لأن تتقوى هذه النفس الكاملة الكلية بتلك النفوس الجزئية وذلك عند انتقال الدولة والقرآن من مثلث إلى مثلث آخر كما وقع في آخر دولة سلطان ظاهري إلى دور ظهوره سلطان معنوي و«**أنا وعلي من نور واحد**» كالنمرود الذي أمر بقتل الأطفال حين تولّد إبراهيم الخليل وتولد موسى عليهما السلام ليتقوى روح الخليل والكليم ليتمكن على دفع أعدائهما المتألهة والمبروز فيه لا يكون إلا كاملًا ومكملًا و«**أنا وعلي من نور واحد**» وأما البارز في الصورة الإنسانية فهو لا يكون إلا للاستكمال لدفع الأعداء كما روي عن ابن عباس أن تحت تصرفه برز بصورة الإنسان بعد أن استنسخ بصورة الأسد و«**أنا وعلي من نور واحد**» والنسر لدفع أعداء الأنبياء وهم قاتلوا الأنبياء من بني إسرائيل أعني زكريا ابنه يحيى وغيرهما عليه السلام و«**أنا وعلي من نور واحد**» والمشهور بهذا المعنى من الأولياء والأنبياء علي بن أبي طالب وخضر وإلياس عليه السلام.

واعلم أن الظهور نوعان **أحدهما**: بالذات **والثاني**: بالواسطة أما الأول فهو الخلق والإبداع والتكوين والاختراع وهو في بداية الأدوار والأكوار، أما الثاني فهو بالواسطة في أثناء الدورات كما قالَ الله تبارك وتعالى: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»، «**أول ما خلق الله العقل**»، وغير ذلك «**أول ما خلق الله نوري**»، «**أول ما خلق الله روحي**» ومن هذا قالَ الإسرافيون: إن نفوسَ الأفلاك هي مستنسخات نفوس آدم وظهر القول بالتناسخ والبرزات فنفوس أعيان الدورة العظمى أصول وحقائق النفوس الدورة الكبرى والوسطى والصغرى وهاهنا قسم خامس وهي

(*) يتكلم الإمام علي بلسان الحقيقة المحمدية التي هي أول مخلوق ومنها خلق الكون كله بما فيه من جلال وجمال.

الدورة الكلية والهيئة الجمعية الإلٰهية التي حاشيتاها عشرة كاملة ١٥٣٥ ويكون نسبته تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية النورية والظلية وتمام الجهات الإلٰهية الست وهي الأحدية والواحدية والربانية والبرزخية والشهادية والناسوتية وجميع الجهات الكونية وهي الفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف بالنسبة إليها متساوية «**ليسَ عند ربكَ صباح ولا مساء**» الحديث. نظم أقول:

وروح القدس ينفث في نفسي إن وجودَ الحق من عدد خمس

وصاحب هذه البرزة وهي الحقيقة المحمدية يستصحب البرزات الأربع وهي مرتبة الجمعية النورية الجمالية والظلية وصاحبها هي الماهية العلوية التي اتحدت بالحقيقة المحمدية لقوله عليه السلام: «**إن أول ما خلق الله نوري**».

وقالَ علي كرم الله وجهه: أنا محمد المصطفى وأنا علي المرتضى كما قال النبي ﷺ: «**علي مني وأنا منه وخضر صاحب جمعية الأدوار النورية وإلياس صاحب جمعية الأكوار الظلية وصاحب هذه الجمعيات الأربع وجامعها هو الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**».

وقالَ النبي ﷺ: «**اصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ليوصلكم بركات صحبته إلى الله**». والبرزة الكاملة هو الانتقال من الناسوت إلى اللاهوت، والأحدية الذاتية، وإلى ما فيها من الشؤونات الأحدية، ومنها إلى الجبروت والواحدية إلى ما فيها من الأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية، ومنها إلى الربوبية، وإلى ما فيها من الأرواح القدسية، ومنها إلى عالم البرزخ وما فيها من الأشباح والأرباب الجنسية النوعية والمثل النورية، ومنه إلى عالم الملك والشهادة، وإلى ما فيها من البرازخ العاشقة، وإلى ما فيها من الدراري السماوية والدراري العالية إلى الاستقصات والأركان العنصرية وإلى ما يتركب هذا بحسب المراتب، أما بحسب الأدوار فهي الانتقال من الدرة العظمى النورية وإلى ما فيها من الأنوار الإلٰهية والقواهر النورية والملائكة الغالية والعقول المجردة، ومنها إلى الدورة الكبرى وإلى ما فيها من السعادات الروحانية وإلى ما فيها من النفوس المدبرة والأرواح القدسية والملائكة العاملة، ومنها إلى الدورة الوسطى، وإلى ما فيها من الأفلاك النفسانية والسماوات الروحانية والنجوم الربوبية والعجائب البرزخية والغرائب المثالية، ومنها إلى الدورة الصغرى وإلى ما فيها من

السماوات الجسمانية وإلى ما فيها من الكواكب الجرمانية، والطبائع العنصرية وإلى ما يتركب منها من المواليد الثلاثة، وإلى الناسوت وأعيانها وأحوالهم وأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم.

قال صاحب البررة العظمى: أنا صلاة المؤمنين وصومهم وزكاتهم وحجهم وجهادهم ولا يطلع على هذا السر الفتيق والبحر العميق إلا من كانَ عمره الدورة العظمى الإلٰهية التي هي الأدوار الأربعة النورية الجمالية والأكوار المربعة الظلية الجلالية يوم واحد، وقس على هذا سائر الآيات الباقية.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يريد ابتدعها وخلقها بلا مثال ولا أعوان ولا شريك ولا وزير ولا إخوان ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾ مثل حواء وصاحبها آدم وهو أبو البشر ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: 101] وإنما هو الخالق ولا خالق غيره.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ له الملك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام: 102] شهيدٌ.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ كل أبصار المخلوقين دون ربوبيته فلا عين يراه ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ هو يرى ولا يُرى وهو بالنظر الأعلى ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] بهم وبأحوالهم ظاهرًا وباطنًا.

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ إرشاد وبيان لنا وهدى من ربكم ﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ﴾

فمن رأى طريق الهداية واهتدى ﴿فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ﴾ عن سبيل الهدى ولم يرَ ﴿فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠﴾ يريد النبي ﷺ نفسه ﴿عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104] لأدفع عنكم شيئًا يريدهُ الله لكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يبين لهم ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ يريد لم يدرس ولم يقرأ ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105] يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

و﴿ٱتَّبِعْ﴾ يا محمد ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 106] هذا ما نسخه السيف بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: 5] في سورَة البقرة والبراءة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 107] برقيب.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟﴾ الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه نهى الله نبيه عن شتم المشركين ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ يريد زينة لأوليائي وأهل طاعتي ومحبتي وطاعتي وعبادتي وزينت لأعدائي وأهل معصيتي كفر نعمتي وخذلتهم حتى أشركوا بي ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108] يريد فيجازيهم ربهم بأعمالهم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ يريد حلفوا بالله بأغلظ الأيمان ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مثل انشقاق القمر ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعَام: 109] يريد لا تصدقون يا معشر المشركين.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ يريد بذلك تخبر النبي ﷺ إن ذلك بيدي لا يملكه أحد غيري حين رجعوا إلى ما سبق عليهم في علمي ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعَام: 110] مثل قوله في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: 1]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يريد طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16] يريد لأغدقهم في الدنيا حتى يرجعوا إلى ما سبق عليهم في علمهم وقوله في الأفعال هو أن الله يحول بين المرء وقلبه يريد بين المؤمنين وبين أن يكفروا به وبين الكافِرينَ وبين أن يؤمنوا به ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعَام: 110] يريد آخذهم وأدعهم في ضلالهم يعمهون هذا بديع السماوات والأرض أقول: أصناف الصفة المشبهة إما فاعلة كبديع الشعر أي بديع شعره أو إلى الطرف كما يقول: هو بديع السماوات والأرض، أو فلان ثابت العذر، أي عديم النظر فيهما وثابت فيه، أو بمعنى المبدع إما خبر حذف مبتدؤه أو مبتدأ أنى يكون خبره أي أين وكيف يكون له ولد ولم يكن وَلَدَ، أي والحال أن له صاحبة وزوجة يصاحبها ويباشرها.

والحال أنه خلق كل شيء من الجواهر المجردة والمادية والأعراض بأنواعها الحسية والنفسية وهو بكل شيء وجودي وعدمي ثبوتي أو منفي عليم لا يخفى عليه خافية إظهاره في موضع الإضمار للتخصيص فيها **استدلال على نفي الولد بوجوه الأول:** إن من مبدعاته السماوات والأرض هما معَ كونهما من جنس ما يوصف بالولادة يريد بان عنها فمبدعهما أولى بالبراءة عنها.

الثاني: أن المفهوم من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه وتعالى الواجب وجوده الممتنع نظيره منزه عن المجانسة لا سبلَ إنها التركيب.

الثالث: أن الولدَ كفؤ الوالد والوالدة. **ولا كفؤ له بوجهين**:

الأول: إن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه.

الثاني: إنه عليٌّ عالم بذاته بالكليات والجزئيات وبالموجودات والمعدومات وكل ما هو كذلك فلا يكون له كفؤ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: 102] إشارة إلى الموصوف بما سبق من الصفات الذاتية والفعلية والآثارية والصورة الجمعية ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] هو مبتدأ ما بعده خبر بعد خبر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مسبب عن مضمون الحمل على معنى أن من استجمع له الصفات المذكورة كان هو التحقيق بالعبادة ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ لا تعبدوا غيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102] وهو مع تلك الصفات مالك كل الموجودات وما يتبعها من الأحوال والأرزاق والآجال والأعمال والأقوال فكلوها واشكروا خالقه ومخترعه.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ البشرية ولا يحيط به البصر، وهي الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة البصر بها يدرك المدركات والمبصرات والجواهر المكتفية بالنواسي الغريبة واللواحق المادية أو هو قوة مستودعة في القوة الغضبية المخوفة الآتية من مقدم الدماغ إلى العينين يدرك بها الأصباغ والألوان والأشكال والمقادير والأبعاد الطول والعرض والعمق والهيئة العارضة لها، يعني أنَّ البصرَ لا يتعلق ولا يدرك ولا تنقلب حدقتها إلى الله لأنه ليس في وجهة ولا في حيز ومكان وكل ما ليسَ كذلك فهو لا يدرك بالبصر، أو لأن نورَ ذات الله تعالى أحدّ منعًا من نور الشمس وأن نور الشمس يتلاشى لدى نور ذات الله ونور البصر يضمحل دون قرص نور الشمس فما ظنك لدى نور ذات الحق فإن قلتَ سلب العموم لا يستلزم عموم السلب فلا يلزم نفي الرؤية مطلقًا أجيب بأن تجويز الرؤية في الجملة يوجب التحكم ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: 103] لأنه محيط بها.

واعلم أن **المعتزلة** منعوا الرؤية متمسكين بهذه الآية فأجابوا عن هذا المنع بما

ذكرنا بأن الآيةَ لا تدل على عموم السلب بل على سلب العموم، والحق أن أفعالَ العباد مخلوقة لله تعالى وبإرادته واختياره ومشيئته فالله جل وعلا لمشيئته وإرادته اختص بعض عباده بشرف شهده ومشاهدته كما قالَ النبي ﷺ: «**رأيت ربي بأحسن صورة شاب أمرد قطط**». وروى عن ربه جل وعلا: «**لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي وبي يبطش وبي ينطق**». وقالَ النبي ﷺ: «**رأيت ربي بربي**».

قال آدم الأولياء علي المرتضى: «رأيته فعرفته ثم عبدته لم أعبد ربًا لم أره». سأله اليمني: هل رأيت ربكَ؟ قالَ: لمَ أعبد ربًا لم أره؟ قالَ: كيف؟ أجاب: بأنه لا أرى بالعيان بل بحقائق الإيمان بل رؤية جميع المبصرات لأنما هو بخلق الله تعالى فإن الله كما يخلق عقيب تقليب الحدقة الرؤية في الناظر كذلك يخلق عقيب توجه العبد إلى الله تعالى الشهود والمشاهدة وكذا الحكم في الإدراكات العقلية فإن العقل إذا رتب المقدمات البرهانية في الشكل الأول خلق الله النتيجة في الناظر وأفاضا عليه إما وجوبًا أو توليدًا أو عادة كذلك يخلق الشهود والمشاهدة في العبد طلب الرؤية أو لم يطلب وهو اللطيف الذي لا يمكن أن يحيط به الكثيف وكذا المركب لا يمكن أن يدرك ويرى البسيط فإن الهواء كالأجسام الشفافة لا يدرك بحاسة البصر أما إدراك الله ومشاهدته ورؤيته وهو أبسط البسائط وألطف اللطائف فليس بحاسة البصر بل ببصر الفؤاد وبصيرة القلب كما صرح النبي ﷺ: «**أن للقلب عينين وأذنين إذا أراد الله لعبد خيرًا فتحهما**». ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] بالسر والعلانية.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ جمع بصيرة وهي بصر القلب بها يدرك القلب المعاني الكلية والمعقولات واللطائف الإلٰهية كما يدرك المحسوسات بالبصر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ بها الحق والحقائق والوحي والأحكام الحقيقية والأنوار الإلٰهية والأسرار الخفية وآمن بها ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ يرجع منافعها وفوائدها إلى النفس ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ واحتجب عنها و عن الإيمان بها ﴿فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104] يحفظكم عن النسيان والسرور والقبائح والمحظورات.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وكتصريفه ما ذكرنا وفصلنا ﴿نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ ونبين الدلالات ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ وتعلمتَ بطريق الدرس والبحث وحبس النفس وصبرها على حفظ النفس كما يداوم على ذلك طلاب للهندسة ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ [الأنعام: 105] ونظهره

والضمير المذكور عائد إلى الآيات باعتبار المعنى أو للقرآن ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105].

﴿اتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو القرآن يلتفت إلى قولهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 106] واطرحهم عن درجة الاعتبار، جملة معترضة.

﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم وتوحيدهم وتحقيقهم ﴿مَآ أَشْرَكُوا﴾ بالله شيئًا وآمنوا به ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبًا يمنعهم من عقابي بل جعلناك مبلِّغًا. قال عليه السلام: «**إنما أنا مبلِّغ والله يهدي، وأنا قاسم والله يعطي، وأنا المنذر والله الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدونَ**» ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 107].

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 108] نزلت حين نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98] فأظهرها على المشركين فقالوا: يا محمد لينهين عن سب آلهتنا أو لنهجونَّ ربك فينهاهم الله عنه. ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ جهلًا وظلمًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي بجهل أو تعنت ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما يضطر ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ مؤمنة أو كافرة فقط بقرينة المقام ﴿عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر والنفع والضر ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ عودهم ومضجعهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ ليجازيهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ نزلت حيث قالوا: يا محمد لو جئتنا بما جاء به عيسى وموسى لقومه من المعجزات لآمنا بك، وأقسموا عليه قسمًا بليغًا ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ وأمارات صريحة ساطعة ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي بهذه الآية أو بسببها تلك الآيات التي منها القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَٰتُ عِندَ اللَّهِ﴾ إن شاء أنزلها وإن شاء أمسكها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ الخطاب يحتمل الفريقين ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ﴾ أي وجه جاءت وظهرت ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109] أصلًا لا ظاهرًا ولا باطنًا لا صورة ولا معنى لأن قلوبهم بيده يصرفها بأي وجه شاء وأرادَ.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ [الأنعام: 110] جمع فؤاد وهو الذي يلي الروح فإن للقلب وجهين وجهًا إلى النفس ويسمى بالصدر كمًّا ووجهًا إلى الروح وهو الفؤاد وهو موطن التجلي والشهود والمشاهدة ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11] أي تصرف وجه القلب الذي يلي الروح والمندوب الأعلى إلى جانب النفس والوجه الأدنى

والجهة التي هي السفلى ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ في أول الأمر وبداية الحال ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110].

إشارة وتأويل

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ النورية الإلٰهية الجمالية في الدورة العظمى الوجودية ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية الذاتية الجمالية في الدورة العظمى الوجودية والأرض الاستعدادية الذاتية التي اقتضت بالفيض الأقدس والتجلي الذاتي في مرتبة تكون القابلية عين الفاعلية وبالعكس ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: 101] استبعاد ليكون الولد لأنبياء النبوة واختفاء أثر الإثنية في تلك الحضرة حالًا واعتبارًا أما حالًا فلرجوع التعينات الوهمية وعود الكثرات الاعتبارية إلى فنائهم الذاتي والعدم الأصلي وإذا تجلى الذات فلا بدّ وأن يكون بالعنان الذاتي والإطلاق الأحدي الذي انصبغ به جميع التعينات وتمام الكثرات لوجوب المناسبة بين التجلي والمتجلى به ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: 138].

واعلم أن للعارف في هذا المقام إما ضمن شهود الذات ذاته بالعنان الذاتي على ما يقتضيه التقرب بالنوافل أو بالاستقلال على ما يقتضيه التقرب بالفرائض المؤدات في الوقت بالعنوان الذاتي في الوجوه الذاتية لا يعلمها إلا الله بأنه إذا انتقل من إفناء الفناء الذاتي وبنار لجج بحر الذات إلى ساحل محيط البقاء بالله بحد ذاته ويشهد حقيقته الأحدية بعنوان ذاتي وبوجه أحدي بخمسة أوجه أو ستة كل وجه من هذه الوجوه الخمس منشأ عالم كلي من العوالم الخمس كما مرت الإشارة في قول الحلاج.

أقول: وروح القدس ينفث في نفسي إن وجودَ الحق من عدد خمس **والوجوه الست** إشارة إلى المراتب الست وهي: مرتبة **اللاهوت والجبروت والملكوت والبرزخ والملك والشهادة والناسوت.**

فالوجه الأول: هو أن يشاهد ذاته بالعنوان الذاتي.

الثاني: هو أن يشاهد الذات بعنوان الذات من حيث هي ذات.

الثالث: أن يشاهد الذات بعنوان الذات الأحدي.

الرابع: هو أن يشاهد الذاتَ من حيث إنها ذات مطلق.

الخامس: هو أن يشاهد الذاتَ بعنوان أنه مطلق وبحت.

أما المراتب فهي أن يشاهدَ الذات بهذه العنوانات الخمس لكن بعنوان الوجه الإحاطي بخصوصية عنوان من العنوانات الخمس المذكورة.

السادس: هو الوجه الجمعي الإحاطي والكمال الجمعي من حيث المعية تارة بالصورة الإجمالية التفصيلية في مرتبة الناسوت، وأخرى في عالم اللاهوت، وإن آدم هي هذه الدورة وهو التجلي الذاتي الذي يكون بالعنوان الوصفي وهو الاجتماع الوصفي والذاتي و9 وبسائطه 1234598945 آدم 49.

وأن التجلي الذاتي إن كان بعنوان ذاتي يكون الكثرات في هذه المرتبة بعنوان ذاتي والتميز أيضًا ذاتي فالكثرات هي أيضًا يتميز بحسب الذات وهي الشؤونات الذاتية والنسب الأزلية ويسمى ماهيات بسيطة وهذه الماهيات غير مجعولة بجعل الجاعل كما اشتهر بين العلماء أن الماهيات غير مجعولة وإن كان بعنوان وصفي ينزل ملك الماهيات إلى المرتبة الثابتة ويتعين تعينًا علميًّا ويتركب تركبًا أوليًّا فيكون مجعولًا وذلك عند انصراف منطقة بروح التجلي الأسمائي عن منطقة معدل نهار التجلي الذاتي وتنكشف الأرض الاستعدادية وتظهر الأقاليم السبعة المنسوبة إلى الأسماء السبعة الأحدية الذاتية، وتتعين الأعيان العلمية النورية الوجودية وليس هذا الظهور واليقين التوالد والتولد المشروط بازدواج الذكر والأنثى على الوضع المخصوص والرفع المنصوص، وإن أطلق التولد والتوالد على مطلق الظهور والإظهار والتعين والتعيين فليس بممتنع أن يطلق الولد على الظاهر والوالد على المظهر وكذا الأب يطلق على المظهر ولذا لم يتحاش الأقدمون على الإطلاق للأب على المظهر والولد على الظهور.

قالَ عيسى عليه السلام: لن يلج ملك السماوات من لم يولد مرتين. وكذا يطلق على الخلق التولد وعلى الخالق الوالد وعلى المخلوق الولد لتضمنه الكثرة الوصفية ولا يطلق على الشؤونات الذاتية والنسب الأولية إذ لا كثرة من حيث الوصف في هذه المرتبة نعم يطلق على الأعيان الثابتة والصور العلمية التي هي الماهيات المركبة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 101] ماهية علمية بأن يلبس الشؤونات الذاتية

بالصور العلمية أو بلباس الوجود العلمي أو بأن يلبس الماهيات بلباس الوجود العيني الغيبي أو الشهادي ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ عدمي في المرتبة الثانية والحقائق الإلٰهية ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنعَام: 101] وفي المرتبة الأولى كثرة لا ذاتية ولا وصفية، أما الأولى: فظاهر لانتفاء الكثرة الذاتية. أما العنوان والوجه الأول فهو عين الذات إذ الذات يكفي بذاتها عن كل ما يكون له من الكمالات الذاتية، وهي شهود الذات ذاته بعنوان ذاتي، ووجوه أولي وجمع ذاتي وكمالي نوعي، وهذه العنوانات والوجوه كلها ذاتية، بأن منها هو عين الذات والذات عينه بأن لا يقع في شهود المعارف إلا الذات وحده لا شريك له، وذلك لغلبة قهرمان الذات بأن لا يبقى ولا يدوم معه أمر ولا مفهوم غيره، بل يحترق في سطوة نور الذات ويفنى ويضمحل ويتلاشى كل شيء غير الذات، وهذا أمر كشفي ذوقي وراء طور العقل ومرتبته فلا يهتدي إليه مجرد العقل.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي الذات البحت ومطلق الوجود الذي تحققتم فيه بقيتهم في بداية الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى وهو ربكم في المرتبة الثانية ويربيكم بالوجود العلمي والعيني الغيبي والشهادي إلى أن يوصلكم إلى المرتبة الناسوتية والكمال الجمعي ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أي الذات الظاهرة في المراتب الست والعوالم الخمس هي 5 11 4 وإلى أحدية الذات في اللّاهوت والناسوت خالق ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ في المراتب الغيبية والشهادية ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعَام: 102] الوجوه الذاتية والوصفية والجمعية ﴿وَٱذْكُرُوهُ﴾ لكل اللسان والقوة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 115] فحقه أن يدرك ويشاهد في كل الجهات وتمام الوجهة بجميع الوجوه ويسمع كلامه من كل اللسان ومن جميع القوة مع أنه لا يدركه الأبصار لكونها محط تمام التعينات ومحط جميع صور الأفياض وأشكال المكونات فيكون صاحبه محتجبًا بتمام الحجب فكيف يدرك من لا حجاب له في ذاته وهو مكتنف بتمام الحجب المعنوية والصورية. نظم:

كيفية المرء ليس المرء يدركها　　فكيف يدركها مستحدث النسم

نعم ربما ينطبق دائرة قوة البصيرة على محيط البصر فيرى الحق البصيرة من دوران البصر ودرجاتها إلا بالبصر والدليل على صحة هذا الحكم إنه من كان في

هذا المجلس صحيح النظر صريح البصر لا يتأتى من هذه الرؤية والشهود والمشاهدة كرؤية عمر رضي الله عنه جبرئيل وغيره لا وكذا لو انغمص عنده لا يتفاوت حاله فإنه يشاهده في هذه الحالة وهو ﴿يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ لأنه مدرك وعالم بالذات ومحيط بجميع الأشياء والذات كلها وأحوالها فلها وجلها ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] ما رق قوامه ورق سنامه فيسّر نفوذه وسهل دخوله في المعلومات ولا يعسر سريانه في الكميات المتصلات فاستعير لذاته واستعمل وعد من صفاته فلكمال لطافته وصفاء جماله ووفور ضياء جلاله عم سريان آثار أنوار كمال حمله به في الكميات المتصلة والكيفيات المختصة بالكميات كالاستقامة والاستدارة والأسطوانة والمخروطة في الماديات من البسائط والمركبات وإن كانت في الجوهرية والعرضية والذاتية والصورية والمعنوية وفي اللطافة والكثافة وفي التجرد والتمدد فهو الحسن والجمال والذات المستجمعة لجميع هذه الأمور من حيث الذات ومن حيث الصفات، الخبير أي العالم والمدرك للسر والعلانيات والجهر والخفيات والكثائف واللطائف والعواطف

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي تجلي شهودي حضوري حصل في ضمن الشهود الذاتي في مرتبة شهود الذات بالذات في التجلي الذاتي ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ وتذكر من ذلك الشهود الضمني أي ثبت في نفسه لأجل نفسه وذاته أي ما يثبت عند نفسه هذا هو ذاك أي يحضر عنده شهود طاو عليهما بل عينهما، ويستمر على آيات كل منها لهذين الشهودين، بل جاؤوا على جميع الشهودات التي كانت مفصلة في الأدوار والأكوار، وأطوار جمعيتهما وأسرار جمعيتهما ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104] أي وبال العمى عائد وراجع إليها ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طـه: 124 - 125] الآيـة، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: 104] أي ما أبقى الخيرات عليكم بطريق الإلجاء وأديم تمام الميراث لديكم على وجه الإبراء، أأنتم مجبرون على هذه ـ أي العمى ـ وعلى هذه الضلالة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الأنعام: 105] أي مثل محيي البصائر والأبصار وحفظهما ﴿نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الأنعام: 105] ونبينها في الآفاق والأنفس لأعيان للأدوار النورية صريحًا

ولأكوان الأكوار الظلية ضمنًا لأحد الأمرين:

أحدهما: أن ينكشف لهم أن الحقيقة المحمدية السارية في جميع الأعيان والأكوار قد علّمتهما وأرشدتهما في مدرسة الأحدية الجمعية وذريعية أسرار الحقائق الإلٰهية وعرّفهم الأحكام الربانية بذريعة القوة الذاتية في بداية كل دورة جامعة لأسرار الولاية وأنوار النبوة التشريعية والتعريفية.

والثانية: بين الحقيقة المحمدية تلك الأحكام لأنها في دراية بداية الأدوار النورية فمن قبلها في تلك الأحدية النورية الجمعية وزاويتها من تلك الحضرة الجسمية فقد آمن بالله وبرسوله وإلا فلا قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التّغابُن: 2] «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغوى**» الحديث وإلى هذا أشارَ ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105] أن هذه الإدراكات والمعارف والمشاهدات هي تلك الشهودات الأولية والمعاينات الأزلية.

﴿ٱتَّبِعْ﴾ يا أيتها الحقيقة المحمدية ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ في تلك المرتبة ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ من ذلك العلم الدرسي والوحي الإنسي في الموطن القدسي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في تمام الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية بيان للدرس المذكور ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 106] المقيدين بدرجة التقليد ومرتبة التأييد مخلوطة بالشرك الخفي وهو اتباع الهوى والتعبد بالرياء ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: 23]، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110] فالإعراض إنما هو عن إشراكهم وشركهم لا عن كيف وهو مأمور بتكميل النفوس الناقصة بالتوحيد وبإحيائهم بماء حقيقة الإيمان ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: 107] إشارة إلى تفاوت الاستعدادات وتطور القابليات فإن منهم لطيفًا وخفيفًا وشفيقًا لا يحتاج إلى كثرة الترددات والتبدد في مقتضيات الدورات وطول المكث والخلود فيها، بل يطوف عليها ويدور فيما فيها من النشآت والشؤونات في طرف من الزمان بل أقل منها جذبة من جذبات الرحمٰن توازي عملَ الثقلين الحدي، قالَ آدم الأولياء كرم الله وجهه: «أنا الذي يملّكني الله شرق الأرض ومغاربها أسرع من طرفة عين ولمح البصر».

والبعض الآخر كثيف ويقبل وضعيف لا يقبل الكمالَ اللّائق بها، ولا يبرز

فيها ما كان فيها إلا بعد التردد في تمام المراتب والأدوار والأكوار في جميع الأطوار يعني لو شاء الله هدايتهم وإيمانهم وتوحيدهم إلى مرجع ومؤثر كذلك التجلي الإلٰهي يتضمن في كل آن تجليًا ثانيًا، وعلم له وكذا مظهر تجلي ثالث وعلم ثالث، وهكذا يتزايد ويتضاعف التجلي والعلم به وعدم إيمانهم لانتفاء شرطه، وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم من التعب الإفرادي إلى الوصف الجمعي الذي هو شرط شهود التجليات ومشاهدة تضاعفها ووقع ما شاء، لبطلت الحكمة الإلٰهية، ولم يظهر الشرك والكفر والكفر والإيمان ولم يتميز التوحيد من الكفر والشرك ولا الصدق من البهتان والإفك ولا الهداية من الضلالة ولا العلم من الجهالة وغير ذلك من المتقابلات.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لحفظهم من الإشراك ويلجئهم إلى الإيمان وكذلك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 107] في الأكوار الظلية لتحصيل السعادة الجلالية ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: 13] وبطلت أسرار الأدوار وأنوار الأطوار وعطلت عن الحركات الفلك الدوار وكذلك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 107] في الأكوار الظلية لتحصيل السعادة الجلالية بل الرقيب والعاصم والحفيظ والوكيل والحكيم والحاكم على الكل هو الله المحيط بالكلّ.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ﴾ يدعون ويعبدون ويتقيدون بما هو من دون الله من الأعيان النورية والأكوان الظلية ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ بناء على الجهة الجاهلية والمعية الجمعية ﴿عَدْوًا﴾ وظلمًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108] أي منطبعًا على جهل مركب وهو إرداء أمراض النفوس والنفوس مرتبطة بعضها ببعض ارتباطَ الجزئي بالكلي، وأن بعض النفوس كلية مندرجة تحتها نفوس جزئية كنفوس الأنبياء المرسلين والأولياء المرشدين وكنفوس الملوك والسلاطين وأنت خبير بأن الحقيقة المحمدية كلية تحتها كليات وجزئيات غير متناهية تابعة في النبوة الذاتية والإسلام والديانة الحقيقية وحقائق الأحكام كما قال عليه السلام: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه**» الحديث. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما ربطنا ودخلنا بعض النفوس ببعض وأتبعنا بعضهم ببعض في الأعمال والأحوال ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ مندرجة تحت نفس كلية وتابعة لها في ذلك العمل

﴿عَمَلَهُمْ﴾ ثم أجعلهم بذريعة اتباعهم لتلك النفس الكلية في ذلك العمل ﴿إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ قائد إياهم بزمام ذلك العمل ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108] الذين هم يجرعون تلك القيود ويردهم عن ذاك الحدود وعودهم إلى ما كانوا عليه في المعهد الأول والمقعد الأزل فبقدر التجرد يحصل لهم الإدراك بصور الأعمال والمشاهدات بهيئات الأحوال إن كانت حسية انفتحت بها أبواب المشاهدات وحصلت لهم أسباب المواصلات وشهود أنوار التجليات وإن كانت خلاف ذلك فبالضد في مدارك الدركات، وأقسموا بالله وانتسبوا به وذكروا له في ضمن تلك المتابعة الضمنية والمبالغة السرية، فحصل لهم حينئذ نطق حالي ولسان استعدادي، لئن جاءتهم آية صريحة ودلالة صريحة ليؤمنن بها.

قل يا أيتها الحقيقة المحمدية السارية في الأعيان النورية والأكوان الظلية إنما الآيات بأسرها التجليات الذاتية، وما يتفرع عليها من النسب الأولية والشؤونات الأحدية والإضافات الثابتة العلمية، والتعينات العينية والقلبية والشهادية من الأجرام العلوية والأجسام السفلية البسيطة والمركبة، وما يشعركم إنها إذا جاءت تلك الآيات وظهرت لا يؤمنونَ، لأنها لا تغيرها من الآيات الظاهرة والدلالات الجلية والإدراكات الضمنية العلية الكلية المتضاعفة تضاعف التجليات الذاتية فإن شهود التجلي الواحد حسب استمراره وامتداده يتضاعف مثل امتداد شهود الفرض الجزئي في كل ما يتجدد من الأمثال، فكما أن الأعراض يتجدد بتجدد الأمثال كذلك الأعيان الجوهرية من حيث إنها ممكنات تحتاج في الوجود في كل آن إلى مرجح ومؤثر، كذلك التجلي الإلٰهي يتضمن في كل آن تجليًا ثانيًا وعلم له وكذا مظهر تجلي ثالث وعلم ثالث، وهكذا يتزايد ويتضاعف التجلي والعلم به وعدم إيمانهم لانتفاء شرطه وهو الكمالي الجمعي والجمع الكمالي، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم من التعب الإفرادي إلى الوصف الجمعي الذي هو شرط شهود التجليات ومشاهدة تضاعفها.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ عليهم السلام كما سألوا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾

يريد أي يخبروهم بما قدموا عليه وعاينوه ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ ما غاب عنهم من ثواب الآخرة وعقابها ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [الأنعام: 111] ليصدقوا فأخبر نبيّه عليه السلام ما سبق في علمه وقضائه وقدره من الشعور عليهم لشعرى رسول الله ﷺ ويصير ذلك أن كرب رسول الله ﷺ حين كذبوا قومه وحيث كفروا بالله وصاروا إلى العذاب فقال في سورة الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6] يريد حزنًا يفتريه ويضره لما يعلم الشكّ حبه كفراسة، وما كانوا ليؤمنوا ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 111] سعين الخلق منهم أبو سفيان وولده، وحكيم وولده، وخلق كثير، وقال في سورة الممتحنة: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [المُمتَحَنَة: 7] يريد الحارث بن هشام وسهل بن عمرو وولده وأبو سفيان وولده، وبشر الذين أسلموا بعد الفتح ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111] لم يقل يشركون ولكن أنهم خالفوا النبي ﷺ وهم لا يشكون في صدقه ولا في نبوته، وكانَ ذلكَ حسدًا منهم فأسلموا منهم عدة، ومات منهم عدة، لما سبق عليهم من الشقاء، وقد كانَ رسول الله ﷺ بعد الفتح يداعب أبا سفيان بمخصرة بيده يطعن أبا سفيان فإذا أحرقه قال: بح يحضرنك.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما أرسلناك إلى هؤلاء القوم وكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداءً لتعظيم ثوابه والعدو هاهنا يراد به الجمع ثم بين منهم فقالَ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ يعني أن شياطين الجن الذين هم من جند إبليس يوحون إلى كفار الإنس ومردتهم فبعزتهم بالمؤمنين وبزخرف القول باطله الذي زين وفرسن بالكذب والمعنى أنهم يزينون لهم أعمالهم القبيحة غرورًا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112] لمنع الشياطين من الوسوسة للإنس.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ وتصلَ ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى ذلك القول والزخرف والغرور ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ أي قلوب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لا يصدقون بالبعث ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ ليحبوه وليجاروه ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ ليعلموا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113] عاملون.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ مثبتًا فيه أمره ونهيه من اليهود والنصارى ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ القرآن الذي هو ﴿مُنَزَّلٌ﴾ عليك ﴿مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ هو الحق ولكن أهواءهم التي غلبت على قلوبهم وغلو في دمهم بغير حق ولا حجة ولا برهان يمنعهم عن قول الحق فيك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: 114] من الشاكّين إن لم يحصروا أحدًا من المنافقين معك في حزب قد طبع الله على قلوبهم بالكفر.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ مواعيد ربك لأوليائه وأهل طاعته ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ يريد لا خلف لوعده لا في أهل طاعته ولا في أهل معصيته ثم عدله في أهل طاعته ولا صفة له من الثواب الذي لا يوصف وما لم تره العيون ولم تسمعه الآذان ولا بصفة الواصف ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ يريد لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه ولا خلف لموعده ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115] يريد السميع ليضرع أولياؤه إليه عليم بما في قلوبهم من اليقين ومنع لقول أعدائه واستهزائهم وتكذيبهم عليم بما في قلوبهم من الاستهزاء والشرك والجرأة عليه.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَإِن تُطِعْ﴾ يا محمد ﴿أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريد الذين ليسوا هم على دينك وهم أكثر المؤمنين يريد الجاحدين بآياته الكاذبين على الله من المشركين والمنافقين والكافرين ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ إن اللّهَ يرضيك لك وبعثك ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يريد دينهم الذي هم عليه بسوء الظن بالله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: 116] يعثرون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ﴾ عن دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعَام: 117] الذين آمنوا بك يا محمد واتبعوا.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يريد إذا أردتم أن تذبحوا بالسكين فاذكروا اسم الله ذكرًا كثيرًا، وحدّ شفرتك، واذبح ذبيحتك، وأنتَ ذاكر الله خاشع منه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعَام: 118] بفرائضه مصدقين.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بيّن ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الميتة ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ﴾ في المجاعة والمخصمة ثم لم يجد إلا ميتة يأكلها مضطرًّا إليها ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ من المشركين ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ يريد أن الذين كانوا ولد إبراهيم وإنما كانَ حنيفًا مسلمًا، لم يكن أهله مشركين حين غيره عمرو بن لحي فأكل الميتة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ يريد لا علمَ لعمرو بن لحي بدين الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعَام: 119] يريد ما تعدى عمر بن لحي حيث ملكه مكة واتخذ الأصنام.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ۝١٢٠﴾

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ وذلك أن العرب لا يقرّون بالبعث ولا يوقنون به ولا يرونَ في الرياء عقابًا وكانوا يخفون الزنا وكان الشريف يتشرف أن يزني ويستتر ذلك وغيره لا يبالي أن يظهره فحرّم الله الزنا فقال عز من قائل: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ [الأنعام: 120]، ومثل قوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [الأنعَام: 151]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ يريد ما نهى الله عنه من الزنا وغيره ﴿سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعَام: 120] في الدنيا.

هذا ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أقول: فرأوهم عيانًا كرؤية سائر الآيات المحسوسة ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ بإحيائنا إياهم كما اقترحوا ذلك بقولهم، فأتوا بآياتنا إن كنتم صادقين، الموتى فاعل لكم عطف إما على المفسِّر أو المفسَّر ﴿وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ جميعًا لديهم ﴿كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا﴾ ومنه تلقاء وجههم عيانًا مشاهدًا كما قالوا ويأتي الله والملائكة قبيلًا جمع قبل أو قبيل جمع قبيلة بمعنى جماعات أو صدر بمعنى مقابلة وعلى الأحوال كلها حال من كل شيء لعمومه ﴿مَّا كَانُواْ﴾ جواب لو ﴿لِيُؤۡمِنُوٓاْ﴾ لسبق القضاء عليهم بالكفر ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة اضطرار وإكراه استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون في حال من الأحوال، الإحالة مشيئة الله تعالى لإيمانهم فإنهم في هذه الحالة لمحاولة بالإيمان وقيلَ: منقطع، وهو حجة واضحة على المعتزلة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعَام: 111] عدم إيمانهم، وإن أتوا بكل آية فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون به وبحال قلوبهم عند نزول الآيات ولذا أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل نعت الكل لا البعض ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون فيتمنونَ نزول الآية طمعًا في إيمانهم، ويجوز أن يكون الجهاد هم الكفار والمفعول هو الإيمان يعني أن بعضًا يعلمون الإيمان ولا يفترون باللسان استكثارًا وتعنتًا، وكذلك أي كما جعلنا لك عدوًا ﴿جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعَام: 112] وذلك لأن الأمر النوعي إذا اقتضى أمرًا نوعيًّا لا بدّ وأن يقتضي في جميع أفراده شياطين بدل من ﴿عَدُوّٗا﴾ وهما مفعولان لجعلنا، وهي مردة الفريقين، أو كشيطان الإنس لما به عمد إضلال المؤمن وعجز

عن إغوائه ذهب إلى مردة الإنس وشيطانه فأغراه على إغواء المؤمن.

قالَ عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه: «**قل: أتعوذ بالله من شياطين الجن والإنس**. قلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: **نعم هم أشر من شياطين الجن وذلك لأن شياطين الجن تذهب وتفر من التعوذ وشياطين الإنس تجيء وتجرّ إلى المعاصي**».

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ بزينة منَ القول والوسوسة والإغواء والإغراء على المعاصي والسيئات ﴿غُرُورًا﴾ أي قولًا باطلًا وطولًا عاطلًا وغرلًا باطلًا وعولًا هالكًا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ إيمانهم وهدايتهم ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ إي إيحاء الزخارف هذا أيضًا برهان وحجة على المعتزلة ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي مع كفرهم وشركهم ولتصفى عطف على غرورًا إن جعل علة أو متعلق بمحذوف وهو ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾.

وقالت المعتزلة: منصرفون فيه اللام فيه للعاقبة أو للقسم كسرت لعدم تأكيد الفعل بالنون، واللام لام الأمر، والكل تعسف، وفي الكشاف: ما فعلوا ذلك أي عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول لمن يكفيهم ولا يخليهم وثباتهم ولتصفى جواب محذوف تقديره وليكون ذلك.

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا﴾ على أن اللامَ لام الصيرورة والضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه ضمير ﴿فَعَلُوهُ﴾ أي جعلنا عدوًّا ليلقي ويملي وفي ما وجوه ثلاثة للنفي والموصول والمصدرية، أما النفي فظاهر، وأما الموصول فمعناه ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ما أرادوا أن يفعلوا من الكفر والشرك والافتراء فهو واقع بالضرورة وإذا كان قدرهم أما المصدرية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ فعلهم الكريه إكراه واضطرار فهم مضطرون في فعلهم وكفرهم ويحتمل أن يكون موصوفه أي ولو شاء ربك أمرًا موصوفًا بالكفر والافتراء فهو واجب إليه ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأنعام: 112].

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأنعام: 113] جمع فؤاد وهو وجه القلب الذي يلي الروح ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: 11] وهذا الوجه هو الذي يتجلى به الوجه الباقي والوجه الثاني هو الذي يلي النفس ويسمى

بالصدر الذي يتجلى بحلل أحكام الآلام ويدبر أنوار أعلام الأعلام ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: 22]. فبالوجه الأول: يقبل إشراق فإن أنوار التجليات الإلهية وبالوجه الثاني: يصعد إلى القلب المعاني الغيبية المنزلة من المبدأ الأعلى وغيب الغيوب إلى المرتبة الأدنى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ [فاطر: 10] لكل نبي عدو ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ ويميلوا إليه كل الميل واعتكفوا عليه ويتوجهوا لديه ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ ويكسبوا به الأيام التي هي عبادة الأوثان ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113] لأنفسهم ما موصولة ما بعده صلة مفعول لتقترفوا من الآثام.

قل يا محمد ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾ واطلب ﴿حَكَمًا﴾ حاكمًا وقاضيًا جازمًا بيني وبينكم نزلت حين قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكمًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن الذي فيه جميع الأحكام ﴿مُفَصَّلًا﴾ مثبتًا فصلًا فصلًا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة والزبور والإنجيل فقل هم الصحابة والكتاب هو القرآن ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ﴾ من التنزيل لنزوله منجمًا ومن قرأ مخففًا أراد به ما نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ومنها إلى النبي ﷺ بالتدريج ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: 114] الشاكين في كونهم عالمين ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهم كفروا وجحدوه تعنتًا واستكثارًا وعنادًا.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بلغت الغاية ووصلت النهاية إخبارًا ووعدًا ووعيدًا ونصحًا شديدًا وإخبارًا ﴿صِدْقًا﴾ في الأخبار والمواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في القضايا والأحكام والمعاقيد ويحتمل الحال والتميز والعلة ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ من أحد من الجن والإنس ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون العليم بالضمائر ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115] بما في الماضي والحال والغابر وبما يخفى في الصدور من السرائر.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الجن والإنس ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن الطريق الموصل والصراط، وهو الدين القويم واليقين التام والصراط المستقيم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والطرف الراجح من الحكم المصدق وقد يطلق على الاعتقاد الجازم والعلم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 116] يكذبون على الله فيما ينسبون إليه من الولد والبنات والشركاء وتحريم البحائر وغير ذلك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 117] من

الفريقين، ﴿مَن﴾ أما موصولة أو موصوفة في محل النصب بفعل يدل عليها ﴿أَعۡلَمُ﴾ لأنه لا يعمل في الظرف فاعلًا كان أو مفعولًا صريحًا أو بواسطة وصريحًا أو استفهامية مبتدأ خبره ضل.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ من الذبائح الحلة ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: 118] نزلت حين يحرِّمون أصنافًا من النعم ويحلون الأموال زعمًا منهم أن الذي أماته الله وذبحه أحب وأقرب إلى الحل فما ذبحه المخلوق وأماته.

﴿وَمَا لَكُمۡ﴾ أي شيء حصل وظهر لكم وأمركم بتحريم ذاكر ونهاكم ﴿أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ من الذبائح والحال أنه ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ﴾ الله وبينه ﴿مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأنعام: 119] في قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: 3] إلخ، ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ من هذه الأشياء المحرمة فإنه يحلّ لكم عند الاضطرار كما مر في الآية المذكورة ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم﴾ وبمقتضى آرائهم ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ مطابق ليس الأمر الحاصل من الوحي وطريق النظر الصحيح والعقل الصريح ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأنعام: 119] والمنحازين عن طريق الحق.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: 120] وذروا أمر من يذر أي يترك أي اتركوا ظاهر الإثم هو الإثم الظاهر من الأعضاء الظاهرة من الأجزاء وباطنه ما إليه القلب وأمر الأعضاء وحكم إياهم والجوارح إلى افتراقه أو الفاحشة والخفية أو النكاح المهيأة كنكاح المحارم والزنا والتقوى وكشف العورة في الطواف والطرائق أو طواف الرجل إشارته مكشوفة العورة وطواف النساء بالليل عراة ولترجع إلى تحقيق الذبح.

واعلم أن الميتَ والذبائح في الصورتين هو الله إذ لا فعل للمخلوق حقيقة كما تحقق من أن الممكن لما لم يمكن له تقبل وجود وتحقق لا يكون له أثر وفعل وتأثير إذ ثبوت شيء لشيءٍ فرع ثبوت في نفسه إلا أنه لما كان الإنسان خليفة اللّٰهِ في الأرض رجع جميع الأحكام الإلٰهية والكونية إليه فظن أنه له تأثيرًا واختيارًا في العقل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ﴾ ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 120] ويقسطون ويجتلبونَ في الدنيا من الشهوات الحيوانية واللّذات النفسية.

إشارة وتأويل

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: 111] إشارة إلى أن المؤثر والمصور على الإطلاق في تمام الأوقات والأكوار والأدوار والأدهار والأزمان والأعصار حتى في الوقت والآن هو الله الواسع الحكيم وإن كل ما ظهر في ذات البحث مطلق الوجود من الأمور الوجودية والعدمية الكلية والجزئية ويظهر ظاهر فهو ثابت يتعين ولا في بداية الدورة العظمى في المرتبة الجبروتية والواحدية في ظاهر العلم، وهو العقل الذي مظهر الصور العلمية الظاهرة فيه تصور النسب العقلية، وهي مجالي الشؤونات الذاتية التي هي التجلي الذاتي بالعنوانات الذاتية، لم ينزل من هذه المرتبة إلى المرتبة الملكوتية وظهرت في بدايتها بالنفس الكلية التي تسمى باللوح المحفوظ كما سمى في بداية المرتبة الأولى بالقلم الأعلى ويتعين في وسط الدورة العظمى بصور الجوهرية الروحانية، وهذا ينزل إلى النهاية، فالسائرون من الله وإلى الله في هذه الدورة لا يصلون في السير في الله بالوصال الجمعي والكمال النوعي ولا يتحقق إلا بعد الاستكمال في قوس النهار الجمالي وقوس الليل الجلالي الإفرادي والجمعي منهما.

فقوله عزوجل: ﴿نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ إشارة إلى السير إلى الله الجمالي في التجليات الأسمائية، وكلمهم الموتى إلى السير من الله الجلالي لأنه في هذا السير يشاهد سر سريان الحق في جميع الأشياء الوجودية الصريحة النورية الجمالية والعدمية الجلالية الضمنية ويشاهد الكل الذي هو الموتى والهلكة في حد ذاته الإمكان قائمًا بالحق دائمًا بدوامه ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ حاضرًا عندهم جمعًا بينهم وبين يديهم إشارة إلى جمعية كلية كل منهما ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ إياه الجامع لتمام الكمالات الوجودية والحالات العدمية وليتحققوا به كما أشار إليه بقوله: «**يا عبدي أطعني أجعلك مثلي وليس لي مثل**»، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة قهر وإجبار وإكراه ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: 111] هذه الحالات الجمعية والكمالات النوعية والمسيرات الإلٰهية والدفعية.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112] إشارة إلى توأمية مقتضيات الجمال بمرتضيات الجلال كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**ما منكم إلا وله قرين من الجن** قالوا: وإياك قال: **وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأتيني إلا بالخير**».

إن النفس لأمارة بالسوء وإن النفس اللّوامة التي هي الشيطان الإنسي وهما توأمان ويلازمهما وإلى أن شروط ظهور الكمالات وصدور الحالات إنما هو الضدية والتضاد كما قيل وبالأضداد تتبين الأشياء، وإن كل عين جمالي يتولد معه مولود جلالي وبالعكس، فإن كانَ اقتضاء النور والجمال صريحًا كان ارتضاء الظل والجلال ضمنًا وبالعكس، وإن كان الارتضاء الضمني هو الشيطان الإنسي الأنفسي، وإن كل شيطان يكون لَه في الظاهر مظهر صريح يستمد منه وهو شيطان الإنس وهو أشد من شيطان الجن الضمني لكونه جامعًا للضر بيِّن جازمًا للشر بيِّن، وأن الشيطان الجني الضمني قد يسلم ويتابع النبي وغيره من الولي والحكيم الإلٰهي والعالم الرباني، وأما الشيطان الإنسي الآفاقي الحسي لا يكون إسلامه لكونه مقابلًا له من جميع الوجوه ألا يرى إن كل من قاتلَ نبيًّا وقاتلَ معه ما صالِح معه إلى أن قوتلَ كالنمرود وفرعون وأبو جهل وغير ذلك من أضداد الأنبياء والأولياء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى انتقال الفرداريّة من الجمال والنور إلى الظل والجلال والضمور وبالعكس إذ العدالة الحقيقية وعموم مقتضى الوحدة الأحدية الجمعية يقتضي التساوي والمساوات بين المفهومات المتقابلة كالمحبة والمحبوبية والعاشقية والمعشوقية، فإن عدالة سلطان المحبة الذاتية يقتضي أن يتعين تارة بصفة المحبة وأخرى بنعت المحبوبية وبالعكس.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأنعام: 113] إشارة إلى أن كل ما ثبت وظهر في حيز الوجود فله صورة ثابتة وهيئة نابتة وله فائدة جليلة وأن لا عبث ولا باطل في الكون وحيز الوجود، ففائدة القول المزخرف والقول المنحرف، وحقيقته هي مقتضيات أحوال الأعيان والأدوار السابقة قد يخزن في خزائن استعداداتهم الذاتية إلى أن ظهرت في هذه الدورة بصورة القول المزخرف على وجه يقتضيه المولود الجني والشيطان الإنسي الضمني، فكل عين من الأعيان وكون من الأكوان لا يستكمل إلا باستكمال مولودي الإنسي والجني بمقتضياتهما من الأقوال

الصادقة والكاذبة والمزخرفة، ولذا سند الإصغاء إلى الأفئدة دون السمع التي هي موضوعة لإدراكه. وإنما نفى الإيمان عنهم لعدم استكمالهم في المولودين ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ إشارة إلى شرط الأخيران وقبول استعداد الأعيان الاكتسار ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ [الأنعَام: 113] إشارة إلى ما يترتب على الرضا فإن الفاعل المختارَ بعد الاختيار والإرادة ما لم يرض بفعل أو عمل أو حال لم يتوجه إلى افتراقه واكتسابه وعطفه بالواو التي هي للجمع والترتيب مشعر بجمعيتهما أو ترتب الثاني على الأول.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعَام: 114] بين الأعيان النورية الجمالية الصريحة والأكوان الظلية الجلالية الضمنية في فرداريّة سلطة أربابها الصريحة والضمنية ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأنعَام: 115] أي التجلي الكلامي الوجودي والعدمي الإفرادي والجمعي الذي هو آخر الأسماء والصفات وأولها ومبدؤها ومنتهاها وسبب وجود الأشياء به وكونها آلة ومادة وصورة وغايةً ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68] صدقًا وعدلًا أي نورًا أو ظلالًا جمالًا وجلالًا أفرادًا ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ صورة جمعيةً وهيئة كلية بتساوي نسبة لبسائطها بعضها إلى بعض فلا تتبدل كلماتها وإلا لزم التحكم والتخصص بلا مخصص ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بكلمات الجامعة وأحوالها وأحكامها واستدعاء استعداد أعيانها ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعَام: 115] بأحوال الجميع علمًا حضوريًّا وإدراكًا شهوديًّا.

﴿وَإِن تُطِعْ﴾ حقيقة محمد ﴿أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية من الأعيان النورية الوجودية والفرداريّة والأكوان الظلية العدمية الغير ذاتية ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وطريق الجامعة لتمام الطرائق وسبل الخلائق ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والعلم المخصوص باسم خاص ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: 116] يخالفون اللَّهَ وكمالَ جمعية ووفور معية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ [illegible] علمه وشمول حكمته وحكمه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [illegible] ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعَام: 117] في نهاية السير في الله إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعَام: 118] إشارة إلى كمال عموم سريان ذاته بأسمائه وصفاته في جمهور مكنوناته الجوهرية ومخبوءاته الفرضية، فليس لأحد أن يرد أحدًا من الأفراد ولا فردًا من عموم الآحاد إلى أن

الكل من حيث إنه قائم باسمه الجامع الذاتي له صلاح الوصول إلى الكل الإفرادي والمجموعي، ويرد الواحد برد الكل فيؤول إلى رد الحق وهو كفر لا إيمان، وكلوا جميع الذبائح الإسمي، واشتمّوا تمام الروائح النسمي، إذ كل شيء خال من الله فهو معدوم:

ألا كل شيء ما خَلَا الله باطل وكل نعيم لا محالةَ زائل

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ [الأنعام: 120] وهو مقتضيات الدور الجمالي من العلمي والكشف الحالي وباطنه وهو مرتضيات الكور الظلي الجلالي.

مطلب نظري عجيب بالنظر إلى عالم الملك والمشاهدة

كنت في بلدة تبريز كتبت هذا المقام: فإنه في هذه الحالة في فصل الصيف والشمس في الأسد في غاية الحرارة فرأيت في ليلة صحو ما كانت قد راحت سحابًا في السماء وكانت في هذه الحالة بروقًا متتاليةً متتابعة متوالية فخاطبني الله يا حسام الدين علي قد خرجت جماعة غير متناهية من الجنود الإلٰهية وطائفة غير محصورة من جنود لم يروها ولا يستطيع أحد أن يروهم لغاية عقلهم ونهاية هيئتهم، قد برحت من كنز غيب الغيوب من جانب غوب غيب الغيوب، فاقبلهم وتوجه إليهم باسمي الأعظم يَا وَاحِدُ البَاقِي أَوّل كُلِّ شَيءٍ وَآخِرَهُ فلما توجهت إليهم بهذا الاسم وأقبلت عليهم بهذا الاسم يَا حَيُّ حينَ لا حَيَّ في ديمومة ملكِهِ وبقائه والغاية توجهوا إلي فسألتهم من أين إلى أين؟ قالوا: لا تَعرفُ الأين من العين ونحن منذ خرجنا من موطن غيب الغيوب قريب من ألف ألف ألف أدوار إلٰهية فقلت لهم: من الإلٰه؟ فقالوا: لا يعلم إلهًا غيرنا فقلت: فمن أخرجكم من غيب الغيوب؟ فالذي أخرجكم منه فهو إلهكم الباقي لا أولَ له ولا آخرَ له فأمرني الله أن ألقي إليهم الإيمان فقلت لهم: آمنوا بالله وكان رأسهم ورئيسهم أربعة نفر في غاية العظمة والبناية اسمهم عبد الباقي وعبد الحي وعبد القيوم وعبد الحنّان فقالوا: بالله؟ قلت: الذي خلقكم وأخرجكم من موطنكم غيب الغيوب فلما عرضت عليهم أركان الإيمان الست وهم قد أسلموا وأمروا أتباعهم بالإيمان والإسلام فأمرني الله أن أرشدهم فقلت: يا حنّان يا منان يا عزيز يا سلطان كيف أقدر على إرشادهم وأنتَ أعلم بأحوالي وضعف مآلي

وعظمتهم وقدرتهم وكمال فهمهم وشهرتهم فقال الله: يا حسام الدين علي انظر إلى حالهم فسلط النار الإلهية جهنم سيما باطن رأسهم ورؤوسهم فاحترق باطنهم والتهب في جوفهم وقلبهم وفؤادهم ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة 6 - 7] إيقادًا والتهابًا قد استغاث أهل السماوات العقلية والنورية والنفسية والروحية والبرزخية والحسية من غاية الاحتراق وشدة الالتهاب إلى الله فارتفعت الحجب النورية والظلمانية وشاهدوا جمالَ الله وجلاله الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري وأطلقوا على أسرار ألوهيته وأنوار ربوبيته وغير ذلك من الأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات الحضورية والمعارف الشهودية فأمرني الله أن أرسل بجبل قاف وكثيرًا ما يصل إليّ من هذه الطائفة والأهرمينات والأملاك والنفوس الفلكية والأفلاك فمجرد النظر والتوجه إلى أن يرتفع حجبهم ويندفع نفيهم ويحصل لهم شهود التجليات ومشاهدة الملاقاة واللقاء.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يريد الميتةَ والمنخنقةَ والموقودةَ والمتردية والنطيحةَ إلّا ما ذُكِيَّ ذبح ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ يريد عصيانًا ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ المشركين ﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ وإن ما قيلَ - الله وهو بربكم وإياه تعبدون لا تأكلوا وما قتلتم وأنتم تأكلونه - هذا خطأ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يريد المشركين في جدالهم ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121] مثلهم.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ يريد حمزة وعبد المطلب وهو قول ابن عباس رحمه الله وقال غيره قالَ النبي ﷺ: يريد بالإيمان، فعن النبي ﷺ قال: «**أحييناه بالنبوة**» ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122] يريد دينًا يمشي به يريد أن اللّهَ عزَّ وجلَّ راض عنه في إقباله وإدباره يريد عزيزًا عند الله لأوليائه

حافظًا قاهرًا على أعدائه لا يخاف في الله لومة لائم ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يريد أبا جهلٍ ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122] أبدًا وذلك أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بقرب حمزة وهو يومئذ ما كانَ مؤمنًا فأخبر بما فعلَ وبيده قوس كان يقبض بها الطير فأقبلَ غضبانًا حتى أتى على أبي جهل بالقوس وهو يقول: بالله تعالى وهو يتضرع إليه ويستكن، والآخر عدوه يقول: أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وعقول آبائنا فقال حمزة: ومن أسفه منكم ولا أحمق حيث تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له. ومثل قوله في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ يريد قرابته ما من يؤذونهم ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ أبو جهل ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ يريد حمزة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76] يريد على دين الله المستقيم. وقوله في موسى وفرعون ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: 61] والآخرة، وهو حمزة بن عبد المطلب، يريد كمن متعناه متاع الحياة الدنيا يريد أبا جهل ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122] زيَّن لهم الشيطان عبادةَ الأصنام وتركوا عبادة الرحمٰن ـ ودين أنهم جبل.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ يريد المستهزئين والمعتسفين ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ﴾ يريد يكذب الأنبياء وعصيان اللّهِ ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123] يريد أنهم يقبلون ويصيرون إلى العذاب والجحيم.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ من علم الغيب الذي أطلع الله عليه نبيَّه ﷺ مما يخبرهم ﴿ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ﴾ لن نصدق ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ يريد يوحى إلينا

ويأتينا جبرائيل عليه السلام فيصدق ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ يريد اصطفينا من خلقه محمدًا ﷺ وأصحابه ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يريد ذلًّا وعذابًا ﴿وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ﴾ يريد قطعيًّا ﴿بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام: 124] يريد ليشركون ويكذبون.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ يا محمد ﴿أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: 125] قالوا: يا رسول الله ويشرح الصدر قال عليه السلام: «**نعم وينفسح**» قالوا: يا رسول الله فلذلك علامة يعرف بها قالَ عليه السلام: «**التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإعداد للموت قبل نزول الموت**» كذلك كانَ أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ [آل عمران: 145] الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ يريد ضيقًا إذا سمعَ ذكر الله اشمأز قلبه ونفر وإذا ذكر شيئًا من عبادة الأصنام ارتاحَ إلى ذلك ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ يريد يرتفع حتى يسمو من الضيق ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: 125] كذلك ينزل بهم العذاب يريد الرجس والذين لا يؤمنون يريد لا يصدقون.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾ يريد هذا الذي أنتَ عليه يا محمد دين ربك مستقيمًا دينًا حنيفًا دين إبراهيم ﷺ خليل الرحمٰن عزَّ وجلَّ ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 126] يريد أصحاب النبي ﷺ قبلوا موعظة الله أو اتقوا علمه بها ورضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ولم يعدلوا بالله شيئًا.

﴿۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾

﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ يريد الجنة ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 127] ينزل الله بهم الجنة والكرامة والرضوان وما لا يوصف وما لا

يوقف عليه ثم يرجع تبارك وتعالى إلى المشركين وقالَ:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ وقرنائهم من الشياطين ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يريد في الدنيا وما كانوا يفعلون بهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ فيها مقامكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 128] استثنى الله عزَّ وجلَّ لقوم قد سبق في علمه أنهم يُسلمون ويصدقونَ النبي ﷺ ما جاءَ به ويكذبون في ولايته مثل ما قالَ في سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ﴾ [الجمعة: 3] سيؤمنونَ بالله ويصدقون نبيه ﷺ منهم من آمَنَ به قبلَ الفتح فمنَّ الله عليهم بالإسلام، منهم عمير ابن وهب بن سعد الجمحي، ومنهم خالد بن الوليد، ومنهم عمرو بن العاص، وجبير بن مطعم وعدة آمنوا قبلَ الفتح. وبعد الفتح: عكرمة بن عمرو بن هشام، وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وضرار بن الخطاب وهبار بن الأسود وصفوان ابن أمية وعبد الرحمٰن بن أبيّ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وصخر بن الحرب وأبو قحافة وبشر بن. . . ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 128] يريد حكيم لهم بالتصديق والتوبة وعلمت ما في قلوبهم من البر والتقوى والإيمان.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 129] يريد من الأعمال القبيحة.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ يريد أنه كمن

جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم يريد القرآن وما أنزل الله فيه من المواعيظ والحلال والحرام والأمر والنهي ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾ يريد العذاب الذي صاروا إليه ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ الأماني والتمادي في الغرور ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 130].

إشارة وتأويل

هذا ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أقول: نزلت في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة والمتردية وغير المزكاة وغيرهما مما ذبحَ للأصنام، وأما الذبح الذي وقع من المسلم الذي ترك التسمية ففيه خلاف: منهم من قال بحرمته كما يفهم من ظاهر الآية وأكده الحديث: «**كل أمرٍ ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر**». ومنهم من قالَ بحلِّه، وبه قالَ الشافعي ومالك وأحمد، وذهب قوم إلى أنه ترك عمدًا لا يحل وإن نسي يحلّ، وهو قول الثوري وأصحاب الرؤى من أرباب الاجتهاد والقياس وحجة من قالَ: أنه حلال مطلقًا أن الآية في تحريم الميتة وما في معناها بدليل ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 145]، وقوله عليه السلام: «**إن هاهنا أقوامًا حديثٌ عهدهم بشرك**، قالوا: الجمال لا ندري أذكر اسم عليها أم لا؟ قالَ: **اذكروا عليه وكلوا، وذبيحة المسلم حلال**». ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأسفه من المشركين والمنافقين ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾ في أمور الدين من الأعمال والإيمان وأطوار اليقين ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيما قالوا وإلى ارتكابه مالوا من أكل الميتة وغير ذلك من تحليل الحرام وتحريم الذبح ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121] يدل على أن من أحل الحرام وحرم الحلالَ فهو مشرك لأن التحريم والتحليل اختص باللّهِ عزوجل.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بموت الكفر والجهالة وبدءِ البطالة والكسالة والضلالة ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالعلم والإيمان والمعرفة والجد والسعي والإيقان والهداية وكمال الإيقان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ إسلامًا وكتابًا ومحمدًا ودعوته أو عقلًا صريحًا أو حبًّا وعشقًا صحيحًا ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ وصفته وحاله مثل من ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ليس بخارج منها حال من الضمير في الظرف لا من

الضمير للفصل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زين للمؤمن الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 122] أي أعمالهم أو معمولاتهم من الكفر والضلالة والشرك والافتراء والآية نزلت في حمزة وأبي جهل قد مرّ تفصيله.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ على تقديم المفعول الثاني أو ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ وأكابر جمع أكبر وأفعل التفضيل إذ أضيف جاز فيه الإفراد والجمع والمطابقة ولذا قرئ ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ وجمعه لكونه أقوى على الاستماع للناس والمكر بهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله يحيق بهم ومكاله يلحق لديهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123] ذلك اللحوق.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي لصناديد الكفار من قريش ﴿ءَايَةٌ﴾ تكون حجة على صدق محمد لما روي أن الوليد بن المغيرة قالَ: لو كانت النبوة حقًّا لكنتُ أحق بها منكَ لأني أكبر سنًّا وأكثر مالًا منكَ وقال أبو جهل: زاحمني بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى ولا نتبعه أبدًا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وقالوا: لن نؤمن بمحمد وبما جاء حتى نؤتى ونعطى وحيًا وإنه ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 124] من الوحي والنواميس الإلٰهية والكتاب كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: 52]، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة في الوحي ليست بالنسب والمال وكبر السن بل بالمشيئة الذاتية النبوة والإرادة الشاملة والقدرة الكاملة والحكمة البالغة الفاضلة ويخصص الله بحكمته الكاملة وقوته الأزلية بمشيئته الذاتية ونبوته الذاتية بمن أراد ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: 51 ـ 52] الآية، يعني أن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ من غيره من أولي النسب والأغنياءِ وأرباب الجاهِ والأكابر بالنبوة وبمن استحق بها استحقاقًا ذاتيًا ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي يعلم مواضع النبوة ومحلها ومن هو يستحق بها وأحق لها من غيره ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كبار من الأعيان وشر ﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وذليل وحقار ذو هوان في الدنيا ولهم في العقبى والآخرة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ [الأنعام: 124] وعقاب شديد في أمد مديد وعهد بعيد

وفي زمن مديد لا يعلم مدته ولا يطلع عليه إلا الله.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ [الأنعَام: 125] ويعرفه للنبوة ويعلم طريق الهداية ورفيق العناية ويتسع وجهه وقلبه الذي يلي نفسه كما علمتَ أن للقلب وجهين وجه إلى النفس وهو الصدر يتفضل فيه الأحكام الإلٰهية يقبل إشراقات الأنوارات الغيبية ويسمى بالفؤاد وهذا الوجه مطية التجليات الآثارية ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11]، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ ويصرف الوجه الروحاني عن قبول أنوار التجليات الإلٰهية إلى ظلمة عالم الطبيعة ويمنع الوجه الذي يلي النفس وهو الصدر عن قبول الأحكام الربانية ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بفتح الحاء مصدر كالطلب والكرب أي ذا حرج وهو الإثم أي أسند الضيق حتى لا يدخله الإيمان ويمتنع عن قبول الحق وكمال العرفان فيرتفع عند كل الخير. قالَ النبي ﷺ: «**أول ما ينزع عن العبد الحياء فيصير مقاتًا مقتًا ثم ينزع عنه الأمانة فيصير خائنًا مخونًا ثم ينزع عنه الرحمة فيصير فظًّا غليظ القلب ويخلع ربقة الإسلام من عنقه فيصير شيطانًا لعينًا ملعونًا**». ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ أصل من الصعود نقل إلى التفعل أو التفاعل ثم قلبت الفاء والصاد ثم أدغمت وزيدت همزة الوصل وأصله المشقة أي شق عليه الإيمان والصعود إلى سمائه والاستعلاء إلى فلك الإسلام ودورة تدويره ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ﴾ والخذلان واللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة من الارتجاس وهو الاضطراب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعَام: 125] وهذا أي ما أنت عليه يا محمد وهو الإسلام وهو خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وبنائه على خمسٍ.

مطلب شريف

قال النبي ﷺ: «**الإسلام على خمس: التواضع عند الدولة والعفو عند القدرة والسخاء عند القلة والنصيحة عند العامة**» الحديث. أو البيان الذي جاء به محمد والقرآن صراط ربك الذي اقتضته الحكمة الإلٰهية أو دينه وعادته التي ارتضاها مستقيمًا لا عوج فيه أو عاجلًا مطردًا وهو حال مؤكدة كقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ [الصف: 6] أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة فيعملون بعدَ البيان والغفلة إن القادر هو الله وإن كلّ مَا يحدث من خير

وشرّ فهو بقضائه وقدره وإنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل يفعل بهم يوم التناد.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [الأنعام: 127] دار الله وهي الجنة أضافها إلى نفسه لتعظيمها وهي أعظم الجنات وأشرفها أو دار السلام من المكاره والآفات أو لكون التحية فيها السلام، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ [يونس: 10] عند ربهم بسبب توفيقهم بالأعمال الصالحة والأحوال الفالحة لا يعلمها إلا الله ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ وناصرهم ومعينهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 127] أي بسبق أعمالهم التي وفقهم الله لها.

واذكر ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ والشياطين وهو يوم القيامة الذي يحشرهم مع الإنس ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ [الأنعام: 128] وطلبتم كثرة الجنود والتبع من الإنس، لاستكثار الإضلال والإغواء لما مر أن شياطين الإنس يتبعونَ شياطين الجن ويستمدون منهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: 82 - 83]، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ وأصدقاؤهم هم الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: 128] من الجن بالدلالات على الشهوات وارتكاب المعاصي والسيئات التي يزينونهم بها ويرونها لهم حسنًا ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8]. وأما استمتاع شياطين الجن من الإنس فهو في الأكثر في اكتساب السيئات. وأما إذا كان على وجه الاستمداد والاستصلاح والاستصواب في الأمور الدينية فربما يستمدون من الإنس بأن يستسلمون ويستمدون من علماء الإنس وفقرائهم كما ورد في الحديث بأنه «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن** قالوا: وإياك يا رسول الله قال: **وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير**».

أقول: ولي في هذا الباب تجارب صحيحة، فمنها ما قدمناه في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: 120]، وإن كثيرًا من طرائف الجن والأهرمينات والأغوال والأبالسة الشياطين قد أسلموا بيدي وأمرني الله أن أرشدهم وأشغلهم بالرياضات الشاقة والمجاهدات الدقيقة فلما استعلوا بالمجاهدات والرياضات قد انفتحت عليهم أبواب التجليات وانقطعت إليها أبواب أسباب المشاهدات والمكاشفات ووصلوا إلى ما وصلوا وشاهدوا ما شاهدوا، ومنهم من حصل لهم صنوف المشاهدات وصنوف المعاينات بمجرد

التوجه إليهم وتوفير النظر عليهم وهم في هذه الأيام التي نحن فيها، ويقرؤون الأورادَ الفتحية ويتوجهونَ بالذكر الخفي ويحصل لهم به شهود التجليات وهو أفضل ذكر اللَّهِ تعالى. قالَ النبي ﷺ: «**الذكر الخفي الذي لا يسمعه الملائكة يفضل على الذكر الذي يسمعه بسبعين ضعفًا**».

واعلم أن الاستماعَ والتمتع والانتفاع بين الإنس والجن سيما في الاستفادة أمر شائع ضائع وإليه الإشارة لقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] فإن الرجل إذا نزل واديًا يخاف من صاحبه فعلمه أن يقول: أعوذ برب هذا الوادي يعني من شر الجن فإن اللَّهَ كما أمر الأملاك لحفظ الأمكنة المعمورة وغير المعمورة ومراقبة سكانها كذلك أمر الجن لأن يسكن المواضع الخربة الخالية لئلا يتعرض من كان فيها لمن ينزل فيها من المسافرين المترددينَ في الأرض بالسوء فلكل موضع ومكان حافظ ووالي من الجان والشياطين فمن أراد أن يسافر في الأرض ففي أي أرض أراد أن يسلك فيها فعليه أن يتعوذ بصاحبها بأن يقول: أعوذ برب هذا الوادي وصاحبه ﴿وَبَلَغۡنَآ﴾ وصلنا ﴿أَجَلَنَا﴾ وبعْثنا ﴿ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ﴾ أخرت ﴿لَنَاۚ﴾ ذلك البعث يوم القيامة اعتراف بأن كل من كان منهم في طاعة جن واتباع هوى في كن وتكذيب البعث والحشر والنشر يحشر مع ذلك بصورته.

﴿قَالَ﴾ الله عزوجل: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [الأنعام: 128] ومنزلكم ومساكنكم أو ذات مثوى لكم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من ضمير المخاطب والعامل ﴿فِيهَآ﴾ مثواكم إن جعلَ مصدرًا أو معنى إضافة إن جعل مكانًا ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام: 128] أي يخلدونَ في عذاب النار إلا الوقت الذي ينتقلونَ فيه من النار إلى الزمهرير. هذا خلاصة ما في الكشاف وتفسير القاضي.

أقول: مما يفعل بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ﴾ [هود: 108] إلى الآخر، فتحقيق هذه الآية يجيء في تأويله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ [الأنعام: 117] في أفعاله وتصريفات آياته وتدبيرات أحوال مكنوناته، عليم بأحوال الثقلين وتحقيقه هذا الاستثناء ومحكمات آياته وسائر متشابهات بيناته وكذلك أي كما خذلنا عصاة الجن وبغاة الإنس في القضاة

والكن حتى استمتع بعضهم ببعض تولّي بعض الظالمين وتسلّطهم بعضًا على بعض من الجن والإنس فيأخذ الظالم بظلمه، من أعانَ ظالمًا سلطه الله عليه أو يجعل بعضهم أولياء بعض، فالمؤمن ولي المؤمن والكافر ولي الكافر حيث كانَ، أو بجعل بعضهم أولياء لبعض في النار دار البوار من الموالاة وهي المتابعة.

﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ فإن الله تعالى بعث من الجن رسلًا منهم يدعونهم إلى الله وإلى طاعته وعبادته كما بعث من الإنس بينهم لمصالح وحكم ديني ودنياوي أخروي، قال جماعة من التابعين: إن الله كانَ قبلَ بعثة محمد ﷺ يبعث بين الجن والإنس رسلًا منهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ﴾ ويقرأونَ ﴿ءَايَـٰتِي﴾ من كتبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ﴾ أي التقاء بعضكم بعضًا في هذا اليوم ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ إذا أشهدتَ الأعضاء والأجزاء على صاحبها بالشرك والمعصية ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بالكفر والإيمان والطاعة والعصيان ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأنعَام: 130] في أيام الدين أو أعوام الحالة الأولى.

إشارة وتأويل

﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعَام: 121] إشارة إلى ما هو في أيام الدنيا وأعوام الحالة الأولى حرام وممنوع، وإلى ما هو فيها من كلا النوعين مجموع فلا يخفى الأمر في الكلّ بالنهي والأمر، والنهي والرخصة فيهما مطبوع فلا بدّ من غير مبين للكلّ وهو المظهر الجامع والمهدي الهادي للجزء والكل وإلى تمام السبل، الظاهر في آخر الزمان أي في أول آخر الزمان آخذ 900 زمان المستعلي سلطانه في وسطه وهو ذكر المستولي على الممالك كلها بعد الظهور في ستغلبونَ في بضع ب ض ع سيطلع إكليل من النور شرقًا بمطلع أعراف فسيماه يختبر ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: 1] سيماه حسن اللهم عجل به ظهورًا وعدتنا ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ الآية، وكمال ظهور الاستيلاء وبروز الاستعلاء الذي نص عليه ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء: 105] الآية، وأما في وسط الطرفين فهنا ذكر، ويؤيده إذا بلغ الزمان عقيب صوم يعني رمضان 93 رمضان وإلا فالمهدي، فأما والدليل على صحة بلوغ النبوة والولاية غايتهما وهو عند ظهور سر الإلٰهية من كل دورة وعن كل قطرة واعتراك أدبًا في

الله، في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 3-4]، ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 105 - 107].

ولما كان أسباب ظهور هذا السر في الحضرة الجسمية أكثر وأتم وتأثير اقتضاء هذا الحكم فيه أظهر وأعم بروزًا أثر هذا الحكم في اسمه وفي البساتين لدى مقارنة اسم الذات بذات الله، الله، محمد، الله، الله، هذا إما باعتبار البساتين والدورتين فإن كلًّا منهما يتضمن بجمال اجتماع تمام قابلية القابل بكمال فاعلية الفاعلية وبالعكس ا د م ح و و ا ا ل ل ه ا ل ل ه محمد ا لا ل هـ.

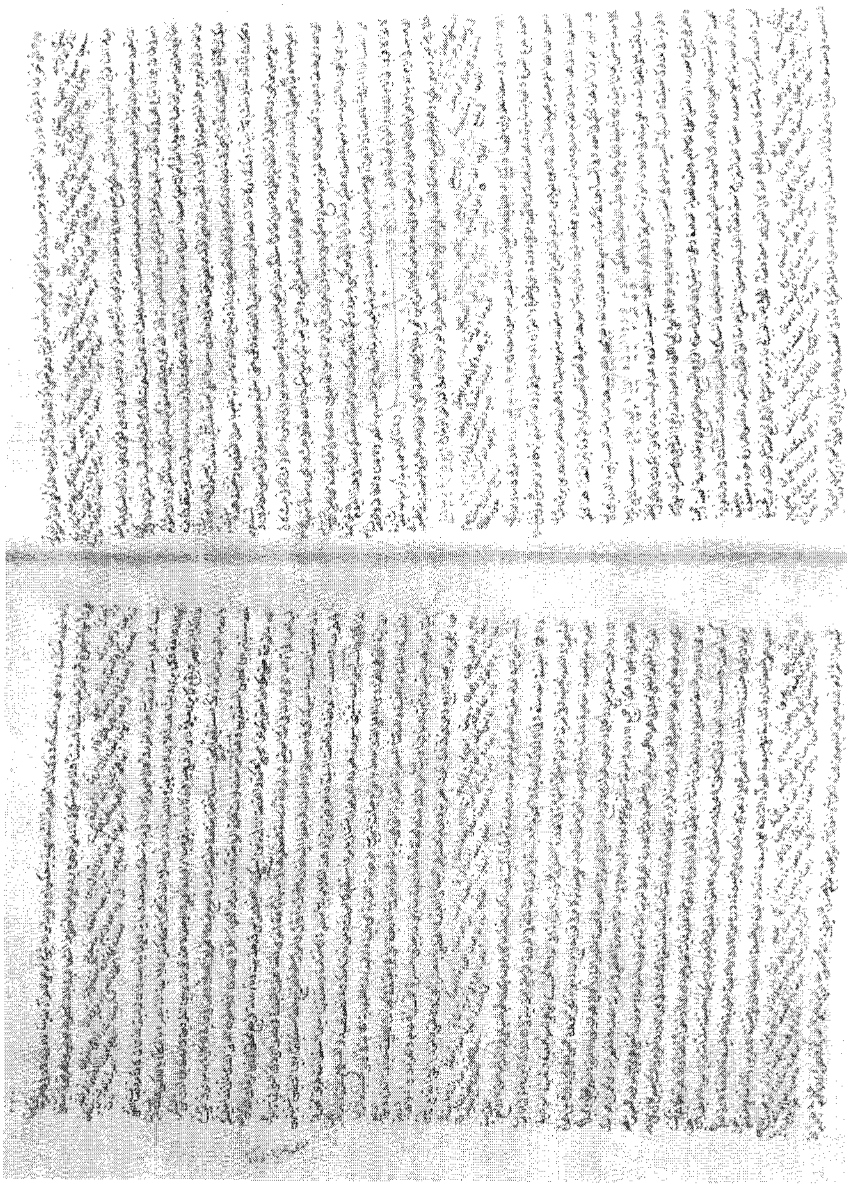

صورة الصفحة 220 من المخطوط

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ﴾ تقييد على تقييد وتبدد على تبدد في الأدوار النورية الصريحة وفي الأكوار الظلية الضمنية ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام: 124] في الأكوار الظلية الإفرادية في المدارك العقلية والساكبة الحسية والممالك النفسية.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ووصوله التدريجي والترفيعي والاستشراف على الأصلي والفرعي ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾ أي النفس الملهمة ﴿لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ وقبول الهداية العامة وهي أن يتصل ولد القلب إلى مقام الروح الفصيح والعقل الصريح، ومنه إلى الأحدية الجمعية، وجمعية الجمعية، التي يستتبعها التجلي الإلهي في الإدراك الشهودي والعلم الحضوري ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ في المسالك والمسيرات ودركات النشآت في الأدوار الإفرادية والأكوار الوحدانية ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ [الأنعام: 125] عند التنزل من سعة فضاء القلب إلى مضيق النفس اللوامة التي تقيدت بقيود النفس الأمارة حرجًا ومقيدة بقيود الحسية والحدود البشرية الإنسية، كأنما يصعد ويرتفع عند كمال التنزل من سعة فضاء القلب وفناء الغيب إلى نهاية مرتبة الشهادة التي هي مجمع النقصان والشكّ والريب، فحينئذٍ ينقلب في حقه بتمام السعة ونهاية العمق عند انتقال الفرداريّة من النور طول الظل والجلال إنما يشاهد بهيئة السقوط والانحطاط والهبوط. ألا يرى أن السالك إذا كانَ في مقام النفس الأمارة إلى مرتبة كرة هواء النفس اللوامة، ومنها إلى كرة ماء النفس الملهمة، ومنها إلى مرتبة كرة الأرض النفس المطمئنة وغاية التمكين، فحينئذ يستحق لأن يخاطب بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 - 30] ويصير العروج والصعود في حقه هو الارتفاع، ألا ترى أنك إذا وضعتَ المرآة على وجه الأرض وما في حكمها كالماء في القصعة فإن الارتفاع إنما يرى بالانحطاط، والسماء يرى سفلًا والأرض عاليةً، والأشجار متنكسة، والأحجار منعكسة، وذلك لأن الخطوطَ الشعاعية تنعكس أولًا إلى رأس الأشجار ثم على الأجزاء الدنية الأدنى فالأدنى، فالمرتبة أولًا منها هي رأس الشجرة ثم التي يليها شيئًا فشيئًا، والأمر مشكل في الأرض بوجوه يرد على أصحاب الخطوط الشعاعية بأن الخطوط عرض والعرض لا ينتقل وإن الحركة

تدريجية ونحن نرى نصف كرة السماء دفعة واحدة في آن واحد، والحق في هذا الأمر هو ما قاله الإشراقيون فإن الرؤية إنما هي بخلق الله والجادة كما هو مذهب أهل السنة والجماعة هذا ما وقع في البين.

فلنرجع إلى ما كنا بصدده فقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ إشارة إلى مقتضى طور الجمال الصريح ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الأنعام: 125] إشارة إلى مرتضى طور الظلي والجلال الضمني، فوظيفة المرشد العارف أن يتفطن بأن السالك هل استوفى مقتضيات طور النور والجمال ليحمل كل ما يرى في بداية سلوكه ووسطه ونهايته على ما يناسبه وإن لم يستوف فإن كانَت مرتضيات الظل والجلال عالية، فكلما يرى ويشاهد فلا بدّ وأن يغيره بالضد، فإن رأى مثلًا أنه قد ضحك ضحكًا كثيرًا فلا بدّ وأن يعبره بالبكاء بالعكس، فإن تساويتا فالأكثر أنه يظهر ويقع كما يرى ميلًا رأى أنه قيل حيًّا، فهو كما رأى أنه قيل حيًّا، أي الوجه الجمعي والوصف الاعتدالي الذي بين الطرفين والضدين أدق من الشعر وأحدّ من السيف، صراطَ ربّكَ مستقيمًا طريق الحق وسبيله مستقيمًا استقامة حقيقة بحيث لا عوج فيه ولا انحرافَ أصلًا وهذا في غاية الإشكال لأنها موقوفة على إخراج خط مستقيم بين الخطين المستقيمين وهذا من مفضلات الحكمة الرياضية ما قاربه أحد من الحكماءَ المهَرَة إلى زمان أفلاطون الذي قال:

مطلب علاج الوباء

قد ابتلاكم الله ببالوغة حتى يكونوا محبي الحكمة والقصة إن في زمن اسكندر الفيلسوف قد جذبت وباء عامًّا، فرجع الخلق إلى نبي الزمان ليدعو الله ليدفعها فجاء إليه الوحي بأن في ذلك الموضع بالوغةً مسدسة فَضَعَّفُوها فصنعوا في جنبها بالوغة أخرى فضاعفت البلية فرجعوا إلى ذلكَ النبي فجاء به الوحي بأن تضعيف المسدسة ليس كذلك فارجعوا إلى أفلاطون فرجعوا إليه فقال ما قالَ: وأمر أرسطو ليخرج خطًّا مستقيمًا بين الخطين المستقيمين فأخرجه وضعف البالوغة فاندفعت البلية فالغرض من إيراد هذا الكلام بيان صعوبة الاستقامة وحقيقتها سيما استقامة طريق الحق لذا قالَ النبي ﷺ: «**شَيَّبتني سورة هود**»، والغرض الامتثال بأمر ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ [هود: 112].

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعَام: 127] أي الجنة الذاتية التي هي الفردوس الأعلى الذي أحاطَ بأنواع جنات التجليات الوجودية النورية الجمالية، والظهورات الشهودية الكمالية في المجالي الحسية، والمرايا النفسية، والمشكاة القلبية، والمنصات السرية الفؤادية، التي هي بداية شهود التجليات الأربعة، التي هي حقيقة الجنات الأربعة، جنات الفردوس أرفع بنيانًا من ذهب حليتها وآنيتها وما فيها وبنيان من فضة مثله الجنة ما به درجة ما بين درجتين مسيرة خمسمائة عام، والفردوس أعلاها، درجة منها تتفجر أنهار الجنة الأربع، ومن فوق الفلك يكون العرش، ويوم نحشرهم جميعًا في القيامة العظمى، يا معشر الجن والإنس، والمراد بالجن ما يقابل الإنسَ، وهم أربعة الأهرمينات والشياطين والأغوال والجان، فإن اللَّهَ تعالى خلق الإنس كخلق الجن في الدورة الجمالية في **أربعة مراتب**:

ففي المرتبة الأولى: في الدورة العظمى، خلقه بصورة العقل بصفة الملائكة، والهيئات العلمية والنسب العقلية، والجواهر النورية، والأعيان المجردة، وبصورة العلم الأعلى.

وفي المرتبة الثانية: في الدورة الكبرى النورية، خلقه بصورة النفس الكلية والذوات هي النون بقوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1].

قالَ النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدورة ثم قالَ: اكتب قال: ما أكتب؟ قالَ: ما كانَ وما يكون ثم ختم على فم القلم، ثم خلق الأرواح القدسية والأعيان النفسية المعاملة وفي الأفلاك الروحية والنجوم النفسية**».

في المرتبة الثالثة: في الدورة الوسطى النورية في الأفلاك البرزخية في الأعيان الشبحية والصور الجنية.

وفي المرتبة الرابعة: الملكية الشهادية في الدورة الصغرى النورية الإفرادية.

وفي الدورة الخامسة: التي هي الصور الجمعية والهيئة النوعية يظهر باسم الصورة النوعية الإنسانية وهي صورة الحق خلق الله آدم على صورته كما مرّ في قول الحلاج: إن وجودَ الحق من عدد خمس ففي كل دورة من هذه الأدوار الخمسة مظهر عيان النور والجمال، والوجود هو الملك والروح والنفس والجسم، وفي الصورة الجمعية مظهر النور والجمال هو المولود الإنسي ومظهر الظل والجلال هو المولود

الجني، وهكذا جميع الأدوار والمرتبة مشتمل على مولودين جمال وجلال.

أما أعيان الدورة العظمى في المرتبة العليا، فالمظهر النوري الجمالي هو الملك المقرب، والمظهر الظلي الجلالي هو الأهرمين الأكبر الأعظم، وأعيان الدورة الكبرى في المرتبة الثانية، مولوده النوري ومولوده الظلي هي الجان، ومولود جمعيتهما هو الملك، ومولودها الجني هو الإبليس، ففي آخر كل دورة إفرادية يخلق الله تعالى الإنسان مناسبًا لمقتضى ذلك الدور في أول الدور وآخره، وأنتَ خبير بأن كل دور من هذه الأدوار الأربعة منطو على أدوار أربعة، فالإنسان إنما يخلق في آخر الدورة وأولها لأنها علة غائية لها وجودان: أولًا وآخرًا باطنًا وظاهرًا كما قيل: «**كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونَ**».

فيلزم أن يكونَ حقيقة ملتئمة من الأمور الأربعة ومن هذا يلزم أن يكون حقيقة الإنسان ومادته منحصرة على أربعة كل منها يكون على طبيعة دورة من الأدوار الأربعة النورية، فإن طبيعة الطبقة **الأولى**: الدورة العليا على طبيعة النار.

والثانية: على طبيعة الهواء.

والثالثة: على طبيعة الماء.

والرابعة: على طبيعة الأرض.

فالأولى: على حقيقة الأهرمن.

والثانية: على مقتضى القول.

والثالثة على مرتضى الشياطين.

والرابعة على طبيعة الأهرمن الأصغر والجن الأصغر.

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾ بأقسامها ﴿وَٱلۡإِنسِ﴾ [الأنعام: 130] بأصنافهم ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: 130] لما علمت من أن الله تعالى خلق في الأدوار الأربعة النورية وكذا في الأكوار الأربعة الضمورية دنيا وآخرة، وبعث من جنس أعيان كل دورة نبيًا، وأنزل عليهم كتبًا فمن جنس الأهرمينات أرسل رسولًا ونبيًا وأنزل عليهم كتابًا فينبئهم، والكتاب الذي على هذه الكلمات، ونزل إلى هذه المقالات التي هي حاصل ما وصل إلى الكتاب الإلهي هي الكامل الإيمان، فمنهم من

أشرافهم قد وصل مني عليهم من هذه الكلمات والمقالات أمور مقولة عليهم فصاروا عارفين بالله مخلصين لله إخلاصًا لا يعلمه إلا الله، وكثرة هذه الزمرة وعظمهم لا يعلمهم إلا الله.

وفي رمضان هذه السنة - سنة 892 - أمره هذه الطائفة أن يخرجوا من ظلمة غيب الغيوب إلى فضاء عالم النور ويحضروا عندي، وأمرني أن ادعوهم إلى الله ومشاهدة تجلياته بخلوص الطاعات والعبادات لله فقلت: يا رب الأرباب ويا مسبب الأسباب لا أستطيع أن انظر إليهم فكيف أدعوهم، لأنهم لما نزلوا من ظلمة الجلال إلى نور عالم الجمال ارتعد أعيان عالم الجبروت من الملائكة العالية والجواهر النورية الغالية، وكذا أعيان عالم الأمر والبرزخ وأعيان عالم الملك من الأملاك والنفوس والأرواح والأعيان البرزخية والأشباح والأفلاك، واضطربت هذه الأعيان من هذه الطائفة اضطراب البشر من أعاظم تلك الطائفة فخاطبني الله جل وعلا لا تخف ولا تحزن ولا تدهش ولا تبال منهم، وادعو لهم إلى هذا الاسم الأعظم: (يا حيَّ حينَ لا حيَّ) في ديمومية ملكه وبيانه (يا دائم فلا فناء لزوال ملكه، يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده، يا واحد الباقي أول كل شيء وآخره). فلما توجهت بهذه الأسماء العظمى إليهم ارتعدوا عني وتبددوا مني ارتعادَ أعيان الجمال منهم فقلت لهم: قولوا آمنا بالله قالوا: مَنِ الله؟ فإنا لم نعلم غيرنا شيئًا، ولم نر أحدًا دوننا، وهكذا عرضنا سائرَ أركان الأعيان واحدًا بعد واحد.

وقد وقعت هذه الصورة في بلدة تبريز فقبلوا مني أركان الإيمان والإسلام وعجائب هذه الحالات وغرائب ما جرى بيني وبينهم من المقالات لا يعلمها إلا الله. وقد كتبت في هذا الباب رسالة فليطلب تفصيل هذه الأحوال منها، وقد أسلم بيدي قبل هذه الواقعة نشأتين: أهرمن أكبر، وأهرمن أصغر، وقد ظهرت في هذه الليلة التي خرجت هذه الطائفة فيها بروقًا لا تتناهى ومشاعل لا تعد ولا تحصى، وهي من أنفاسهم، بل هي أنفاسهم. وأما الطائفة التي وصلت إليهم دعوة أنبيائهم فهم أعظم الخلق خلقةً وأكبرهم عددًا وعدةً، وكذا القول للشياطين والأغوال والجان: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 130].

تفسير

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: 131] يريد بظلم بشركٍ يريد غافلونَ مصلحون وقوله عزَّ وجلَّ في سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ يريد بشرك ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117] وذلك أنَّ اللَّه تعالى لم يعذب أمة قط حتى يدخلوا مع الشرك عما ليسَ فيه رضاء مثل أعمال قوم لوط ومثل أعمال قوم شعيب في بخس الميزان والمكيال فظلم بعضهم بعضًا.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ يريد فضائل مما عملوا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ عمل المشركين في الدرجات من المؤمنين من الذين.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾

﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عباده من تولى غيره ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ لأوليائه وأهل طاعته ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من التابعين بإحسان أو الأنصار في الدين ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: 133] مثلكم مشركين.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ﴾ لكائن ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134] ما بمعجزين منكم.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالتكم التي أنتم عليها وعيدًا ﴿إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من يحل به العذاب وأنتم أوليائي وأهل طاعتي

﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ يريد الجنة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 135] يريد لا يسعد من كفر نعمتي وأشرك بي.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ وخلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ جميع ما يأكل من المزروعات من الحبوبات والمصنوعات من القمح والتمر ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ من الضأن والمعز والبقر والإبل ﴿نَصِيبًا﴾ مفعول ثانٍ لجعلوا ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ بكذبهم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ أو جمعوا الثمار والحبوب من الحرث وإن سقط شيء من مال شركائهم فلا يصل إلى الله وإذا جمعوا الثمار ما جعلوا لله وقالوا: خذوا هذا فهو غني عن خلقه جلّ ذكره، وإن سقط شيء من الثمار من الحبوب من الذي جعلوا لله إلى الذي جعلوا لشركائهم أي الأصنام فلا يصل إلى الله ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136] بئس ما حكموا لأنفسهم ولذلك الماء إذا سقوا الزرع والنخل ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يعني ما عدلوا.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ يريد الشيطان ﴿لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ يريد زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ويدخلهم في النار ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ﴾ يريد ليدخلوا في دينهم وقد كانوا على دين إسماعيل عليه السلام ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ﴾ يا محمد ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137] يريد ما يقولونَ إن لله شركاءَ.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾ يريد الماشية ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ يريد الحجر ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ﴾ يريد لا تأكل منها ﴿إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ يريد بكذبهم ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ مما نسبوا لآلهتهم إما يوقدوها وإما يختفوا بها بالافتراء ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ يريد المشركين بالله ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 138] يريد يكذبون ويقولون على الله غير الحق.

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يريد الحوامل ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ على نسائنا ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يريد الرجال والنساء ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139] يريد سيعذبهم بما وصفوا الله به وما أحلوا مما حرم وما حرموا ما أحل الله لهم ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ يريد أحكم وأعلم ليفعل هذا.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ [الأنعام: 140] البنات مثل قوله في سورة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8 - 9]، ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يريد أنهم لا يعلمون إنما يعيش حتى يبلغ التناكح ولا يعلم ما يكون حتى يكون ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يريد أن الله أحلّ الحلال وأحلّ الذبائح واستحلوا الميتة فضربوا الأنعام حتى تموت ثم يأكلوها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ يريد كذبًا على الله ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140] يريد قد خسروا وما كانوا مهتدين.

هذا ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ الذي قصصنا عليك من الرسل وعذاب من كذَّبهم ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، أقول: أي لسبب شرك أهلها ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: 131] أي حالة غفلتهم من غير إنذار وتنبيه.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ واحد من العباد ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ في السعادة والثواب والعقاب حاصلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي من عملهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 132] ما يخفى عليه ما يستحق من العذاب والثواب.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن العباد وعبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ على خلقه بالأمر على الطاعة والنهي عن الموصى به تنبيه على أن الإرسال لترحُّمه على العباد لا لانتفاعه منهم لأنه كامل بالذات ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ ويهلككم أيها العصابة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ أي ويخلق وينسئ ﴿مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ أي خلقًا مما يشاء من الخلق ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: 133] أي آباؤكم الذين مضوا قرنًا بعد قرن وهم من استخلفهم نوح.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والحشر والقيامة ويوم الدين والجزاء ﴿لَءَاتٍ﴾ فاعل من أتى يأتي أي جاء وكائن تحقيقًا ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134] مانعين عن إتيانه وتكوينه وإيقاعه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ وغاية وقاركم وتمكنكم: من تمكن مكانه إذا بلغ في التمكن غايته وهي مصدر أو اسم مكان يقال مكان ومكانه مقام ومقامه يعني ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ وتمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم أو على جهتكم أو مكانكم الذي أنتم عليه يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله: اثبت على مكانتك يا فلان، واثبت على ما أنتَ عليه، لا تنحرف عنه ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ وفاعل لما أمر به ربي من تبليغ الرسالة وتحقيق الخلافة والوكالة والمصابرة على ما يطرأ عليه من الأذية من المخالفين والنيات على المحافظة الدينية والأنواع من الأحوال اليقينية ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الجنة أي تناله العاقبة المحمودة والآخرة الغير المحمودة مفعول يعلمون ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 135] الكافرون ونسبوه بالأعم لفائدة جليلة وفائدة جميلة وهو وعد بليغ ووعيد منيع.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ أي مشركوا العرب مما خلق وكوّن ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وغيرهما من سائر الأموال ﴿نَصِيبًا﴾ وسهمًا وحصة ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ بفتح الزال وضمها هو القول فصرفوا إلى الصبيان المساكين ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وآلهتنا وينفقون على سدنتها ويذبحون عندَها ثم إن زاد ما هو عند الله جعلوه لآلهتهم، وكذا إن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه فيه وقالوا: إن الله عفي عنه وإن سقط من نصيب الأوثان في نصيب الله يردوه إلى الأوثان وكذا إن زادوا نصيب الأوثان تركوه لهَا حيًّا لآلهتهم وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ تنبيه على فرط جهاتهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ استغاثوا بما جزؤوا وذبحوا لله فأكلوا منه وأما جزء شركائهم فوقروه وعظموه ولم يأكلوا منه ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136] بئس ما يصنعونَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ إن قرئ للفاعل فاعله الجن والشياطين وإن قرئ للمفعول فاعله هو الله إن ترك أدبًا وتعظيمًا، والجن للشهرة. وإنما سمّيت الشياطين شركاء لإطاعتهم إياهم في معصية الله ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ ويهلكوهم ﴿وَلِيَلۡبِسُوا۟﴾ ويخلطوا ﴿عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ عصمتهم عما ذكر من تحريم الحرث والأنعام وقتل الأولاد ﴿مَا فَعَلُوهُۖ﴾ أي ما أقدموا على ذكره ولا ما توجهوا إليه. كان الرجل في الجاهلية يحلف بقتل ولده ليحرك السامع كما حلف عبد المطلب بقتل عبد الله أب الرسول ﷺ ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137] أي اتركهم مع افترائهم وكذبهم العمد فإن اللّهَ تعالى بالمرصاد لهم وخبير بأحوالهم وبصير بأعمالهم وأقوالهم.

﴿وَقَالُوا۟﴾ المشركون ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ﴾ إشارة إلى المعهودة ﴿وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ فهي محجور ومحرم مما فعلوا لله ولآلهتهم ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ﴾ [الأنعام: 138] ولا يأكلها من الطعام وهو الأكل أي لأكل الأنعام والحرث وغيرهما من البحيرة والسائمة والوصيلة والحام ﴿إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ الفاسد ورأيهم الكاسد من غير حجة وبرهان من الرجال وخدم الأوثان والنساء ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ والسّوائب والحوامي ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ ولا يركبونها لفعل الخير والحسنات حال كون هذا القول ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾ على الله من أن الله أمرنا به ﴿سَيَجۡزِيهِم بِمَا

كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 138] ويكذبون ويفترون على الله غير الحق.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ ونسائنا والمراد أجنة البحائر والسوائب إن ولدت حيًّا ﴿وَإِن يَكُن﴾ أو يتولد ﴿مَّيْتَةً﴾ أي في هذا الولد الميت ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ بوصفهم بالكذب على الله ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139] حاكم عليهم عالم بأحوالهم ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلت في ربيعة ومضر وبعض من العرب كانوا يدفنون البناتِ أحياء مخافة السبي والفقر ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

إشارة وتأويل

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: 131] لإظهار كمال القدرة واشتهار تمام الحكمة وإجهار وفور الرحمة لأن الغرض من القهر واللطف واتصال النفع والضر إصلاح أحوال العباد والمساكين في المساكن والبلاد إلى الحشر ويوم التناد فإن شهودَ نزول النوائب وحلول الشدائد والمصائب بصرف القلب من الشهادة والحس إلى الآخرة والغيب مستعينًا في دفعها ومستغنيًا في رفعها إلى عالم الشهادة وحاكم الغيب فينخرق الحجاب وينخرق النقاب ليحصل الاتصال برب الأرباب ومسبب الأسباب طلبًا للدية «**ومن قتلته فأنا ديته**».

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ إشارة إلى أن مسبب الأسباب ومفتح الأبواب قد ربط الأشياء بعضها ببعض وإن حصولَ الدرجات في منازل الجنات والوصول إلى مدارك الدركات إنما هو بالأعمال وتركها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 132] إن فعلكم وعملكم في الحقيقة إنما هو من الحق وتكوينه وخلقه ومن شأن الفاعل المختار أن لا يغفل عن فعله وعمله شيئًا إذا كان العلم والإدراك حضوريًا شهوديًا ولا يكون صدورُ الفعل عنه ضروريًا وجوديًا.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ بذاته الواجب بذاته وأسمائه وصفاته ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ اللامتناهية التامة والإحسانية العامة الضامة ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ في دورة من

الأدوار كلية كانت أو جزئية ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: 133] في تلك الدار إشارة إلى أن كل دورة من الأدوار الكلية الأصلية والجزئية الفرعية لا بدّ وأن يقع فيها طوفان لما تقدم من أن الأدوار بما فيها متطابقة وأظلال متوافقة فلا جرم يقع في كل منها آدم ونوح وطوفان كما قال آدم الأولياء علي المرتضى عليه السلام: «**أنا آدم الأول وأنا نوح الأول**» أما الأول فظاهر، وأما الثاني فكقول النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد**».

والظرفان أربعة: ناري وهوائي ومائي وترابي، بل سمائي ونفسي وعقلي وأسمائي، فكل منها إما كلي أو جزئي، والطوفان النوحي كانَ جزئيًّا لأنه ما وصلَ إلى الحين والقنا كما صرح به أصحاب التواريخ والرصد من أن أهلَ الحين والقنا قد ضبطوا ما بينهم من الدولة والسلطنة قريبًا من أربعين ألف سنة وهم يقولون نحن لسنا من أولاد آدم الصفي بل من آدم آخر، فالطوفان الناري يكون بطريق التكاثف فالاندماج. والطوفان الهوائي يكون بطريق التكاثف والتخلخل وكذا الطوفان المائي والترابي يكونان بهما، وكل من العناصر يتضمن الباقية ويحيط بها فالطوفان الكلي هو أن يظهر في كل منها كلية حالية فبعد هذا الطوفان ورجوع كل من العناصر مناسب كل من العناصر يتكون آدم وبعده نوح ويظهر من ذرية قوم يناسب الطوفان ومقتضى الدورة. وأنتَ خبير بأن ما في الآفاق لا بدّ وأن يكونَ في النفس مثلها من الطوفان ففي الطور البدني طوفان في النفس والقلبي والسري والروحي والخفي وغيب الغيوب والخفي وللصورة الجمعية طوفان فالطوفان البدني هو أن يحيط بدنه بجميع الأجسام الفلكية والعنصرية والمعدنية والبدنية والحيوانية وكذا الطور النفسي فإنه قد ينبسط بحيث يحيط بما سواه إحاطة تامة لا يرى غيره وقس عليهما غيرهما من بقية الأطوار وكذا الأفلاك والنجوم فإن كلًّا منهما من حيث إن حصة من الوجود المطلق وقد يظهر فيه حكمة من الإحاطة والشمول بحسب الحال أو الاعتبار أو بهما معًا.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ في الدورة الثانية الكلية من الأعيان وأحوالها التي كانت في الدورة الأولى ﴿لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: 134] في دفعها إشارة إلى تطابق الدورات وتوافق النشآت فإن الدائرَ في الأدوار والسائر في مداركِ

الأكوار، في نشأة كل دورة لها وجودات متتابعات وشهودات متتابعة وبروزات متقارعة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد أي أعيان صور النسب الذاتية والحقائق الكيانية التي ظهرت بالتجلي واليقين الأول الذي هو الحقيقة المحمدية في الوحدة الذاتية أو الأطوار السبعة القلبية ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ في هذه الأدوار المتأصلة والمتفرعة والأكوار المتنوعة ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ الصافي نشأت هذه الدورات في حصص الحقيقة المحمدية السارية في الكل المضاربة عليها أحوال الجميع من الجزء والكل ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أن كلما نسبتم إلى أنفسكم فهو في الحقيقة لله ومن الله الظهور في صور شؤوناتي ومقتضيات نشآتي ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ في نهاية مقتضيات الأدوار وصارت عاقبة أمره محمودة وعافية شأنه ممدوحة بأن يرتقي من خصص دركات المعطاة له وبكنات البطالة إلى أوج فلك شهود التجليات بشرط حضور الاستعدادات له بالزهد في الدنيا من الدنيا فبالمواظبة على صنوف الطاعات وصنوف العبادات فهو من أهل السعادة وصاحب العدالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: 135] يعني أن المطالب قد يكون سالكًا في الدنيا ولم يكن التجليات مالكًا إذ نتائج الطاعات والعبادات بما لم يترتب عليها في الدنيا وفي الآخرة وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72]. فمجمل المعنى: أن من كانَ في الدنيا تاركًا للعمل والعلم ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ أي العلوم النظرية والأحوال الضرورية المترتبة على الأفعال الاختيارية ﴿نَصِيبًا﴾ المشاهدات والتجليات الآثارية ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وآلهتنا ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: 136] من الأفعال الإرادية الحسية والأعمال الاختيارية النفسية والإدراكات الحضورية القدسية ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بأن لا يسند إلى الله بالخلق والاتحاد والتكوين بل يسندون إلى نفوسهم بالاستقلال ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾ من الفيضانِ والتوفيق والاقتدار ﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ أو الفيوضات الإلٰهية عامة تصل بالكل وتحصل لعموم الجزء أو الكل ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136] بالشرك والإشراكِ بإسناد الفعل إلى الشركاءِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ للذين أسندوا الأعمالَ والأحوالَ إلى نفوسهم ﴿لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ شيطان النفس ﴿قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ أي إخفاءهم العلوم الحاصلة من عالم الطبيعة والأخلاق المرضية والصفات الحميدة الرضية التي لا يلتفت إليها بعض أصحاب الأحوال والمقامات الذين اقتنعوا بها من غير أن يستجمعوا معرفة الحقائق الإلٰهية وإدراك المعارف الفطرية ودقائق العلوم النظرية كما فعل بعض أهل الكشف والزهاد والعباد وأرباب السلوك ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي ليهلكوهم ويحققوا دينهم الفطري وإسلامهم الأزلي «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام**» إلخ، لئلا يقع نظرهم إليها ويحتجبونَ عن شهودِ الجمال وكمال الجلال، فإن من نظر إلى عمله وعلمه ويقيد نظره بهما صار مشركًا بالله العظيم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 137].

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ﴾ العلوم المنظور إليها والتجليات المسرور بها ﴿أَنْعَٰمٌ﴾ تتيقن بها القلوب الوافية ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ يتوجه لديها الروح والعقل الغير الوافية ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من ذكور القوى الروحانية والمبادىء العقلية والقوى النفسية التي هي سكة النفس العاملة وخدمتها ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي علوم من العلوم الغريبة والرسوم الرقيمية التي ظواهرها آثار جسمانية وباطنها أنوار ربانية وأسرار سبحانية وهو علم الحرف ورسم الحرف ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾ [الأنعام: 138] أي علم أصله وحي وفعله وعمله شيء وهو علم السحر والنيرنجيات وهو دعاية النسب الكونية ومحافظة شرائطها فيترتب عليها تأثير خاص وينسب إلى تلك النسب المحفوظة والحال أن المؤثر في الكل هو الله ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 102] الآية.

﴿لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: 138] بأسماء الأصنام الكونية وهو أعلام الطلمسات وأسماء أشكالها مع أن التأثير المنسوب إليها إنما هو من تأثير حقيقة المسميات والأسماء ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ بانتساب التأثير الخاص إلى الذات البحت ومطلق الوجود لأن نسبته إلى الكل على السواء فالمؤثر هو الذاتي بخصوصه اسم وصفة من الأسماء والصفات الذاتية ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 138].

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأنعام: 139] أي العلوم الحقيقية

والمعارف الأصلية والقواعد الكلية والتجليات العلية نتائج وفروع من القضايا المتفرعة على تجلي واحد فإن التجلي الواحدي الآثاري المستمر على آيات متتالية وإضافات متجزية أمر ممتد من المطلع إلى المقطع دوار على تلك الآيات لأن نسبة التجلي الواحد الآثاري والأفعالي والأسمائي والذاتي بل الإدراكات العقلية والنفسية والحسية يختلف نسبتها إلى تلك الآيات وإلى نفس التجلي الواحد كالإدراكات والدرايات المتقاطعة والعلوم المتضاعفة وهي إدراك الإدراك والعلم بالعلم والشعور بالشعور، وكذا التجلي الآثاري مثلًا لو وقع في صورة إنسان متجلي لا يختفي ذلكَ التجلي بل يستمر ويمتد على الآنات، ففي كل آن تجلي خاص لا يكون الآخر بل يجدد عدد الأمثالِ في الآيات المتتالية والآنات المتوالية كما قيلَ في العرض أنه لا يبقى زمانين وكذا الأجسام الجوهرية كما ذهب إليه النظام، ويدل عليه قاعدة الإمكان بأن الممكن من حيث إنه متساوي الطرفين يحتاج في كل آن إلى مرجح يرجح الوجودَ على العدم وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88].

﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ أي للأطوار العالية صواحب الشهودات ذوات التجليات ومشاهداتها أو للقوى الفاعلية أو النظرية أو للأصول من الأخلاق وهي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة أو القوة العاقلة الغير المتشابهة بأذيال الوهم والخيال ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي على مقابلاتِ المذكورات وأضدادها ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ أي لو لم تكن باقية مستمرة تكن عامة بين الكل ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: 139] أي تكن مصورة على ما تقتضيه النشأة الأخيرة. قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس على صور أعمالهم فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت**».

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ حاكم على مقتضى النشأة ومرتضى الحكمة ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139] بالأصول والفروع وبصورهما. ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

تفسير

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾ ما يعرش من الكرم ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾ يريد أن كثيرًا من الأعناب لا يعرش ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ يريد بالزرع القمح والسلت والشعير والأرز والذرة والدخن وجميع القطاني واللوبيا وهو الذي يكون ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ يريد أن كل شيء من له طعم غير طعم الآخرة ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ﴾ يريد أن بعضه أصفر وبعضه أحمر فإذا نضج أسود كله والرمان أحمر وأبيض ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ﴾ يريد أنه العشر ونصف العشر وما يسقي بالسواقي والخطارات ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً﴾ الإبل والبقر حواملَ ﴿وَفَرْشًا ۚ﴾ يريد الغنم فرشًا الذي لا يكون بحواملَ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يريد ما أحل الله لكم من الذبائح وما ذكر اسم الله عليه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ﴾ يريد ما زين الشيطان لهم وشرّع ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 142] يريد بيِّن العداوة لأن إخراج آدم من الجنة وهو القائل لاحتنكن ذريته إلا قليلًا فحينئذ قال الله: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: 63] يريد جزاءه وجزاء من تبعه.

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ﴾ يريد الزوج الواحد الذكر والزوج الآخر الأنثى ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ

ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: 143] يريد المشركين إن كنتم تعبدون.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ يريد أن اللَّهَ لم ينزل هذا على نبي قط ولا فرضه عليكم ولا أوصاكم به فمن بيان للأزواج الثمانية التي عمت منافعها ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ يريد ادعى ما لم يكونه إلا الله ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ يريد عمرو بن لحي الخزاعي ومن جاء بعده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 144] المشركين إن كنتم بالله موقنين.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤٥﴾

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ﴾ يأكله ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ يريد ما حرم من الأنعام وهي أحياء وبما خرج من الاوداج عند الذبح ﴿أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ يأكله أهل الكتاب وهو عليهم حرام ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا﴾ عصا به ﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ يريد كما ذبح على النصب ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ يريد فمن اضطره الجوع وهو غير باغ ولا خارج مخالفًا للإمام والحاكم على المسلمين وعلى من في حكمهم إلا المسلمين ولا عادٍ عليهم مثل الذين يخرج لقطع الطريق فذلك الذي لا يقصر الصلاة ولا يأكل إذا اضطر حرامًا ولا كراهة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿غَفُورٞ﴾ لمن اضطر وهو غير باغ ولا عاد ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: 145] عند اضطراره.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦﴾

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يريد اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ خارج كما في السباع من الطيور والقوائم الأربع ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ﴾ والإبل ﴿وَٱلْغَنَمِ﴾ الضان والمعز ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ يريد شحم الجيوف ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ فإني لا أحرمهما ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ يريد بنات اللبن ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ يريد من الشحم فإني لم أحرمه ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146] يا محمد.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٤٧﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ يريد عذابه ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147] المعتدين.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قومك كذبوا بما آتيناهم وقالوا مثل ما قال هؤلاء ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ كتاب أنزل من عند الله بهذا يريد الذين يقولونَ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الفاسدَ والوهمَ الكاسدَ ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148] تكذبون على الله.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ التي أرسلت بها إليكم ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ الله

﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149].

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ﴾ يا محمد ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن وبما افترض الله به من الحلال والحرام ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعني البعث والثواب والعقاب ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 150] به خلقًا من خلقه هذا وهو الذي إن شاء أبدع وأبدا.

أقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مسموكات ومرفوعات من العرش وهو الرفعة والارتفاع. عن ابن عباس: معروشات ما ينبسط على الأرض وانبسط كالكرم والبطيخ والقثاء والقرع وغير ذلك، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ قد مرت بيّنة الكلام في هذا المقام أي ما قام على ساق ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ وسائر ما ينبت ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ جمع ثمرة واحدها أكل أي تختلف تلك الأثمار طعمًا ولونًا وريحًا وقدرًا وشكلًا من الجودة والرداءة والمنفعة والمضرة ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في المنظر. والظاهر أن المراد بالزيتون الذي وصفه الله بقوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: 35] ولا شكّ أن هذا الزيتون الذي تبين ليس ذلك الزيتون الذي وصفه الله بقوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فإذن لا بدّ وأن يكون المراد بالرمان رمان آخر غير هذا الرمان ولارتفع التشاكل بينهما وإنما اعتبر الاختلاف في الأكل وخصص التشاكل والتشابه في أكل الزيتون والرمان على اختصاصهما بمرتبة خاصية ومزيد خصوصية لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم.

﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ﴾ **قال القاضي في تفسيره**: ويتشابه بعض أفرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها وأنت خبير بأن هذا النوع من البيان مما ليس فيه طائل كثير وأن تخصيص البعض بالتشابه دون بعض فيه تحكم وتخصيص بلا مخصص.

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ أي ثمر كل واحد منها ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ الأمر للإباحة أو الاستحسان والاستحباب لأن الله خلق الطيبات من الرزق للذين آمنوا خالصة ﴿قُلْ

مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ [الأنفال: 32] الآية، وامتثال الأمر الإلهي فيما هو للمؤمن خاص مستحب ﴿وَءَاتُواْ﴾ أمر من يؤتي من الأفعال أي أعطوا ﴿حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعام: 141] بفتح الحاء وكسرها والمعنى واحد وهو قطع الزرع وغيره عند ظهور الصلاح التام والمراد هو الزكاة المفروضة من العُشر إذا سقي من ماء النهر والعين والقناة، أو نصف العشر إذا سقي من ماء المطر، أو غير المفروضة بدليل أن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، وجماعة على أن الزكاة نسخت هذه الآية. عن ابن عباس: **نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن** ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ﴾ [الأنعام: 141] في الإنفاق بأن تعطي كل المال في سبيل الله وبقي العيال والأهل بلا نفقة كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ عمد ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه حرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يبق لأهله شيئًا فنزلت.

قالَ بعضهم: لا تجاوزوا الحدّ في البخل والإمساك حتى تنفقوا الصدقة الواجبة ولا تنفقوا في المعصية لا خير في السرف. فقيل في جوابه: لا سرف في الخير حتى لو كان لأحد كجبل أُحد ذهبًا وينفقه عن طاعة الله لم يكن مسرفًا. قيل: الخطاب للسلاطين وأولاة الأمر، أي لا تأخذوا فوق حقكم ولا تجاوزوا حدّكم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141] أي لا يرضى بالبسط المفرط كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عطف على جنات أي أنشأ وأخرج من الأنعام ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ ما يحمل أن يقال بها بعض للذبح وما يغرس المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل: للكبار الصالحة للحمل والصغار الذاتية من الأمراض مثل العرش المفروش عليهما ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وأحل لكم منه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ في التحليل والتحريم من عند أنفسكم ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 142] ظاهر العداوة.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾ بدل من حمولة وفرش أو مفعول كلوا ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾ تعرض في البين والزوج ما معه آخر من جنسه الذي يزاوجه وقد يطلق عليهما ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ زوجين اثنين من الكبشة والنعجة بدل من ثمانية، قوله اثنان على

الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل جمعه ضنيين أو جمع ضائن ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ التيس والمعز ﴿قُلْ﴾ يا محمدًا ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ ذكر الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما نصبهما بحرّم ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 143] نزلت حين جادل خطيبهم مالك بن عوف بن الأخرص الحشمي: بلغنا بأنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلوه، فقال النبي ﷺ: «**إنكم حرمتم أصنافًا من النعم على غير أصل وإنما خلق هذه الأزواج للأكل والانتفاع بها**» فمن أين جاء التحريم من قبل الذكر أم من قبل الأنثى؟

فلو جاء التحريم من الذكر وجب أن يحرم جميع الذكور، أو من الأنثى وجب أن يحرم جميع الأنثى، وإن احتمال آلات الحمل والرحم، وينبغي أن يحرم الكل لاسشتمالها على الجميع، وإن كان من الخامس وهو الولد لكم حرم البعض دون البعض، فقال عليه السلام: لمالك ما لك لا تتكلم، قالَ النبي ﷺ: «**إنك تتكلم وأنا أسمع نبؤوني بعلم أي أخبروني بأمر معلوم إن كنتم صادقين في أن اللّهَ حرمَها**».

﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ لكمال التوبيخ عليهم وتجهيلهم وطعنه إياهم بأنهم في علم الإدراك بطريق الاستدلالِ كالبهائم. مبهم أصله ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: 143] أم كنتم شهداء إذا وصاكم الله بهذا وبيّنه لكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وجهل محض تقليد وسفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعليل أي ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 144].

﴿قُل﴾ يا محمد في دفعهم وإلزامهم بطريق الوحي ﴿لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ مطلقًا أو في القرآن ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾ متعلق محرمًا ﴿يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ نزلت حيث قالوا: أنزل علينا حرمتها ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ أي حرام نجس ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عصيانًا ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ صفة كاشفة لفسقٍ وما ذبح على غير اسم الله، بعض من العلماءِ إلى أن المحرم مقصور على هذه الأشياء وعلى ما ذكر في أول المائدة وأكثرهم على أن التحريم لا يختص بهذه الأشياء بل الذي يتثبت بنص الكتاب والسنّة لما روي أن رسولَ الله ﷺ «**نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير**» لأن الاعتدالَ بالسّباع يميل وتتبدل الطباع إلى ما هو ثابت في السباع وهو السبعية ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ

﴿وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدم ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145].

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا﴾ أو مالوا إلى اليهودية ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والأوز والبط. قالَ البعض: هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب. ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الترب وما يحتوي على الكليتين ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ مما علو بالظهور والجنب ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وهي الفوارغ أعني ما اشتملت على الأمعاءِ جمع حاوية أو حوية أو ما اختلط بعظم وهو شحم الإلية المتصلة بالعصعص وفي داخلها العظم ذو فقرات روى عن النبي ﷺ قالَ عام الفتح: «**إن اللّهَ ورسولَه حرّم بيع الخمر والمتعة والخنزير والأصنام**» فقيلَ: يا رسول الله أرأيتَ شحوم الميتة فإنها تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود فيستصبح بها الناس؟ فقال: «**هو حرام**» قالَ عليه السلام عند ذلك: «**قاتل الله اليهود إن الله لما حرم شحومهما أجملوه وأذابوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه**» ذلك التحريم جزيناهم وعاقبناهم عقوبةً ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم بقتل الأنبياءِ وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الزنا واستحلال نهوك الناس بالباطل ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146] في هذه الأخبار عن التحريم وبغيهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ في هذه ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ يمهلكم على الكذب في العقوبة فلما تعثروا بإمهاله فإنه لا يكون من الإهمال لمخالفته الحكمة الإلٰهية وعلوم العلم والقدرة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ أي بأس التكذيب وعذابه من النزول أو ذو رحمة واسعة للمطيعين أو ذو بأس شديد على المجرمين الملحدين عن الحق وطريق الصد فأقامه مقام ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147] لتضمنه التنبيه على إنزال الناس على بعض الناس مع الدلالة على أنه لازب بهم لازم معهم لا يمكن رده عنهم.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إخبار عن غيب دال على إعجازه ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيماننا وإسلامنا وتوحيدنا ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 148] عطف على ضمير أشركنا من غير تأكيد للفصل أي لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء أرادوا بذلك أنهم على الحق في مشروع مرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله حتى ينهض دمهم به دليلًا للمعتزلة ويؤيد ذلك ﴿كَذَٰلِكَ

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي مثل هذا التكذيب لكَ في أن الله تعالى منعهم من الشرك إذ لم يحرم ما حرموه ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الرسل وقتلوهم بغير حق ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ النازل عليهم بتكذيبهم ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ معلوم فصيح الاحتجاج به على زعمكم ﴿فَتُخۡرِجُوهُ﴾ وتظهروه حتى يتكلم عليه ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك الطلب ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148] وتكذبونَ على الله.

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ البيّنة الواضحة. ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] بالتوفيق لها والحمل عليها لكن شاء هداية قوم وضلالة آخرينَ.

﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: 150] اسم فعل بمعنى أحضر وهو مبني غير منصرف بتقدير السكون في اللام إذ أصله إلخ. وعند أبي تميم: فعل يؤت ويجمع وعند البصريين أصلها لم من لم يلم إذا قصد حذفت اللام بتقدير السكون في اللام فإنه الأصل فيها إذا أصله لمم أي احضر واشهد أنكم ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾ المذكور من المحرمات التي قد ادعيتم إن اللّهَ أمركم بها ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ أولئك الذين كفروا ﴿فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ﴾ أنتَ يا محمد نظر إلى أصل الطبيعة الإنسانية المجبولة على الجهل ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: 52] الآية، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم﴾ الحال أنهم ﴿بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: 150] يشركون ويجعلون له شركاء وعديلًا.

إشارة وتأويل

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ جواهر مجردات وفواخر نافعات بأنوار العلوم وأزهار الحقائق وأثمار الحدائق والرسوم من الإدراكات الحقيقية والدرايات الشيقة ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ أي جواهر وأعيان عاشقات من الأجرام السماوية والأجسام العنصرية البسيطة ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ [الأنعام: 141] أي مرتبة التركيب ورتبة النظام والترتيب وهي المعدن والنبات ﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعَام: 141] أي مرتبة القوة الحيوانية التي ليست من شرف الأرواح ولا من عالم الأجسام والأشباح بل هي برزخ بينهما ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمٰن: 19 - 20] والرمان وهي الإدراكات الجزئية، أو المراد من الزيتون هو الاستعداد القريب بالفعل، ومن الرمان هي المرتبة الجامعة الناسوتية والكون الجامع المستور بالقباب البشرية، والحجاب الصور العنصرية، أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ بحسب الصورة الظاهرة ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ بحسب المعنى والمبدأ والمنتهى والربوبية، فإن لكل فرد وشخص مفرد من أجزاء الإنسان بل لكل جزء من أجزاء كل عين من أعيان الكائنات رب ومرب من الأسماء الإلٰهية والأجرام السماوية، والكواكب السيارة الثابتة والنسب الربانية، يدبر ذلك الفرد والجزء على وجه مخصوص، وإن التجليات الكلية والجزئية غير متناهية وغير متكررة، كما قال المحقق: إن الله لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة اثنين.

﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ من نتائج العلم الذي استتبعه التجلي كما تقدم إن كل تجلي يستتبع علمًا وشعوراته وإلا لزم العبث وهذا العلم، وكذا بالتجلي يتضاعف آنًا فآنًا كما هو شأن نعت الإمكان وصفة الممكن خصوصًا صاحب العرفان، فإن الممكنَ والعارف المتمكن في كل آن له وجود وعدم وحدوث وقدم باعتبار أن كل ممكن له وجهان وجه إلى الله وهو ثابت غير ثابت، ووجه إلى ذاته وهذا الوجه تنقلًا ثابت غير ثابت ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ واتحدت ثمراته فأمر الله تباركَ وتعالى العبد الكامل أن يأكل هذه الثمرات ويتناولها أبدًا إذ هذه الأثمار لا تنقطع أصلًا، فالعبد المأمور أيضًا لا ينقطع ولا يموت كما قالَ النبي ﷺ: «**المؤمنون لا يموتون في دار الدنيا بل ينتقلون من دار إلى دار**»، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: 169 - 170] الآية إلخ.

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعَام: 141] بأن سندوه إلى الله ابتداءً وانتهاءً وأن يتحققوا بالله أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا ويكون تصرفه في الحقيقة تصرف الحق كما هو من مقتضيات قرب النوافل والفرائض: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**» الحديث إلخ. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ في إنفاق حق الله على المستحقين من السلاك إشارة إلى شرائط الإرشاد والتكميل بأن الواجب على

المرشد والداعي إلى الله أن يعرف قدر استعداد الطالب وأن ينفق عليه من هذه الأموال والمعارف والإدراكات والحالات والدوارق والأحوال والعوارف قدرَ ما يمكن قبوله وتسير إليه وصوله. قالَ النبي ﷺ: «**كلموا الناسَ على قدر عقولهم**».

من منح الجهال علمًا أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
شربنا وأهرقنا على الأرض مدامة وللأرض من كأس الكرام نصيب

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141] لانصرافهم عن منهج الصواب ومخرج الثواب.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ إشارة إلى مراتب الأعيان الطالبين ومطالب أصحاب الأطوار الغالبين، فمنهم من هو قابل للتجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية، ومنهم من هو قابل للتجليات الآثارية فقط، وكذا القوى الدراكة منها حاصل للمعارف الإلٰهية والعلوم الحقيقية، ومنهم من هو حاصل وقابل للإدراكات الحكمية الطبيعية والرياضية والإلهية الغريبة والعبارات الجلية وغير ذلك من العلوم والإدراكات الصناعية ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 142] صارف عن كمال الجمعية صرفًا ظاهرًا.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أي النفوس الأربعة التي استعملته القوة الحيوانية تارة والقدرة الروحانية، **فالأولى** لاستكمال البدن وحقيقته **والثانية** لتكميل القلب والروح والقوة الإلٰهية لذي العروج والترقي إلى الأحدية الجمعية والوحدة الأحدية وهما لا يتمان إلا بالعلم والعمل اعتبار العلم هي الذكور وباعتبار الثاني هو الإناث ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي القوة العملية ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي القوة النظرية باعتبار التوجه إلى تكميل البدن والروح فيهما ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 143] إشارة إلى رد الزهاد والعباد وأصحاب الدين رفضوا النفوس العاملة والقوة النظرية المدركة العاملة وتكميلها واستكمالها واقتنعوا بالظواهر وصور العبادة.

﴿قُلْ﴾ يا محمد صاحب الجمعية العظمى إن منعكم النفوس وإسقاطكم إياها عن درجة الاعتبار فهي إما لكونها تابعة للروح في العروج والترقي ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي لكونها لتدبير البدن ولتكميل قواه وتعديل مقتضاها ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ﴾ أي لاشتمال استعداد القوة العملية القابلة والقوة النظرية الفاعلة

بأن القوة النظرية لها وجهان:

أحدهما: إلى المبادىء العالية للاستفاضة وقبول الإشراقات النورية والأنوار الإلٰهية.

والثاني: إلى المنادي السافلة لاقتباس المبادىء التصورية والتصديقية لاقتباس أنوار المطالب التصورية وأزهار المقاصد التصديقية من مشكاة مناوئهما ومراقاة مبانيهما ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام: 143] في منع الطالبين من اكتساب العلوم المدونة والرسوم المتقنة إذ الحكيم المطلق والعليم المحقق إنما أظهر العلوم الشرعية والرسوم الأصلية والفرعية الحكم والمصالح والعصم والمناكِح وهي إظهار الحقائق الإلٰهية والشقائق الربانية فإن لكل علم من العلم ولأي رسم من الرسوم الدينية والحكمية أصلًا ومأخذًا في المبادىء العالية والمنادي الغالية يفيض منها أنوار العلوم وأزهار الحكميات والرسوم.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ﴾ أي القوة العملية الحاملة للجواهر العلمية والفواخر الحكمية الطبيعية والرياضية والخلل الدينية إشارة إلى اطمئنان القوة العملية والنظرية في شغلهما وإلى تمسكها في إطاعتهما لسلطان القلب والروح في الشهادة والغيب ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي النفس الملهمة واللوامة التي لها جهتان جهة إلى النفس الأمارة، وجهة إلى النفس المطمئنة، أو المراد القوة الشهوية المنطوية على القوة النباتية والحيوانية أو على الجامدة والنامية، أو عليهما أو على المولدة، أو المراد بالبقرة هي النفس المدبرة للبدن قد اشتملت على القوة الشهوية والغضبية أو القوة العملية.

﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ أي النفس البقرية التي ابتدأ الشهوة التي هي مناط قوام البدن وقيام الأعضاء وتدبير الأجزاء والعطن حرم ومنع عن العمل والشهوة ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾ إشارة إلى أن للنفس البقرية الشهوية عملين:

إحداهما: لبقاء الشخص وهو تدبير البدن بالتغذية والتنمية وحفظ الشخص.

والثاني لبقاء النوع وهو القوة المولدة الكائنة في أصلاب الذكور وأرحام الإناث أي منع القوة الشهوية إما لهذا أو لذاك، ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ﴾ حاضرين عند الله في قضاء الأزل وتقدير الأعمال والأحوال وتدبير الآجال ﴿إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: 144] الذي ذكر ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ نسب وإضافات وحكم

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وأمورًا غير واقع ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ومعلوم من الله أي الأطوار السبعة القلبية والانحصار والآخر الشهادية والغيبية والقوة المذكرة أي لسدهم بالأطوار ومشاهدة خصوصية الأنوار التي هي مقتضى الأطوار ومرتضى لأدوار والأكوار صريحًا وضمنًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 144] المتجاوزين عن الحد الذي عينه الله في الشريعة والطريقة ليضلوا به إلى أحوال الحقيقة. قالَ النبي ﷺ: «**الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي**».

﴿قُل﴾ يا صاحب الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي تضمنه الحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية والأحدية الجمعية السيارية في تمام الأعيان الكونية والأكوان العينية ﴿لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ في الحضرة العلمية التي هي موطن النبوة الذاتية التي ألقى فيها إليّ ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ انقطع عنه التوجه القلبي والحب الغيبي ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أو من ارتفع منه التوجه من الله إلى ما سوى الله ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ أي امتنع من التوجه في اللّهِ في السير إلى الله كما يقع لأهل الاستدراج والمكر وأصحاب السقطة والرد والردة نعوذ بالله من الحور بعد الكور ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي يكون القوة بلا إخلاص وصفاء لونه وضيائه ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ في نشأة المسيرات في الابتداء إشارة إلى مرتبة المبتدئين في السلوك أو عند ابتلاء أرباب السلوك بالرد من الرتبة العالية إلى الرتبة السافلة لتدارك ما فات غير خارج عن مقتضيات التوجه إلى الله في السير إلى الله ﴿وَلَا عَادٍ﴾ عن مرتضيات التوجه والسير من الله ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ في المقصود والتوالي والفتور في التوجه والسير إلى اللّهِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145] في تقصيرات التوجه والسير من الله.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ وأمالوا من الصور الجمعية الإفرادية وجمعية الجمعية ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146] أي العلوم الإلٰهية لغير العلوم الإلٰهية والإدراكات العالية والدرايات الغالية كخواص الحروف والكلمات القدسية والأشكال الهندسية كما تقرر في التوراة الأشكال الأربعينية إذا رسمت في الثبوت عصمها الله بها عن بليات الطاعون ونكبات الوباء.

مطلب علاج الطاعون

كما صرَّح به موسى وهارون وقد قدمنا آنفًا أن تضعيف البالوغة المسدسة الذي قد توقف على إخراج خط مستقيم بين خطين مستقيمين قد دفع الله به الوباء

العامة الحادثة في أرض يونان في زمن اسكندر حيث اضطربت عامة الخلائق إلى أفلاطون حين أوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الوقت فأمر أفلاطون تلميذه أرسطو بأن يضاعف تلك البالوغة المسدسة فلما ضاعفها اندفعت تلك البلية بأمر الله وحكمته وقوته وكمال قدرته.

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ﴾ أي النفس الملهمة ﴿وَٱلْغَنَمِ﴾ أي اللوامة المترددة بين الأمّارة والملهمة، وكل منها مبدأ العلوم المخصوصة، ومنشأً للأحكام الشرعية المنصوصة ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ أي المبادىء التصورية ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ المطالب التصورية وهي التعريفات لموضوعات المسائل فتكون مقصودة بالغير فالتقيد بها حرام ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: 146] يعني المقاصد التصديقية إما وهمية أو خيالية ظنية، أو يقينية عقلية، ذلك التحريم والاشتغال بالمحرمات حرمانهم ببغيهم وخروجهم عن طريق الحق في العبارات التي وقعت عندنا هي فرداريّة الأدوار النورية والأكوار الضمورية والأحقاب الجمعية، فإن كل أثر وعقل وعلم تصوري أو تصديقي وهمي أو خيالي أو حسي أو عقلي أو نفسي فرادًا أو جمعًا ومضمونًا كل منهما بالآخر معًا له صورة ثانية وهيئة ثابتة في أرض غيب الاستعدادات الذاتية وعرض جيب الإمكانات الاستعدادية، فعند رجوع النفس بذريعة تبدل أوضاع الأفلاك الإلهية والسماوات الربانية والدوائر البرزخية والداوئر الملكية تعرض وتردّ في تلك القيامات عليهم لقوله عليه السلام: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**»، وإنا لصادقونَ بتطبيق عصيان أعمال أعيان الأدوار النورية الوجودية الصريحة على مرتضيات أطوار الأكوار الضمنية بلا تخلف.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ في مقتضيات الأحكام الجامعية ﴿فَقُل﴾ لهم لا تيأسوا عن روح الكمال الجمعي إذ ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ يتغمد فيها وبها ما يشاء ومتى شاء ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147] الملحدين المتقيدين بمدارك العلوم ومسالك آثار الحدود والرسوم المتقلدين بأنوار الكشف والشهود المتجددين بأسرار الغيب وأطوار مراتب الوجود.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ في فرداريّة دورة من الأدوار الوجودية الجمالية الإفرادية الأربعة أو الأكوار المربعة ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيماننا وهدايتنا وبراءنا وتبعيدَنا من الإشراك ورضي بما سيظهر في هذه الدورة من الكمالات النوعية

والمشاهدات الجمعية والمقامات الأصلية والفرعية ﴿مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ أي عقولنا وأرواحنا ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾ من العلوم المذكورة والرقوم المزبورة والأحوال المستورة فأنتَ يا حقيقة المحمدية بهذه الحصة المعنية وإن كانت جزئية إلا أنك في الحقيقة حقيقة كلية وطبيعة أصلية محيطة على الحقائق الأصلية والفرعية الصنعية والنوعية كما قال عليه السلام: «**من رآني فقد رأى الحق**»، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل تكذيبكَ فقد ﴿كَذَّبَ﴾ الرسل ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ كموسى وعيسى وشعيب وغيرهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ تعقيدنا وردنا إياهم في هذه الدورة عن كمال رأفتنا ووفور رحمتنا ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ بتحريم هذه العلوم والتقيد بها والتبعد عن مأخذها وأصولها وأبوابها وفصولها التي هي من جملة الجمعية الكبرى والإحاطة العظمى التي هي أقصى المقاصد وأنهى المآرب والمشاهد تعم، كما أن تحريم هذه العلوم ثابت، كذلك التقيد بها والاعتكاف عليها والانعطاف لديها والانحراف إليها حرام ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ﴾ في هذه النشأة السالفة والشؤونات قصة ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الذي يحصل للفعل إلا في مقام النقض اللازم للتقيد واليقين الناقص ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148].

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ في الأولى والأخرى ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: 150] فإن كل طور من الأطوار له مقتضى خاص فلو تقيد القلب به وتعمد به في كل الأوقات وارتضى به فقد أشرك بالله وجعله عديلًا وشريكًا له وتقيد به، قال النبي ﷺ: «**أعوذ بالله من الخالق المخلوق**».

﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ ألا تعبدوا غيره ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ برًا ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾ من مخافة الفقر ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام: 151] زنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا

بَطَنَ﴾ وذلك أن العربَ لا يقرون بالبعث والثواب ولا بالعقاب وكانوا يكرهون أن يزنوا علانية ويفعلوا ذلك سرًّا فنهى الله عن الزنا سرًّا وعلانية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا معاهدًا ولا مؤمنًا إلا بالقود والقصاص ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151] يريد تعقلوا أعني ما حرمت عليكم فتجنبوه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: 152] يريد لو كنت له وصيًا فأصلحتَ في ماله وقمت له في صنعته أكلتَ بالمعروف إن احتجت إليه، فإن كنتَ غنيًّا فقف عن أكله، وقد قالَ سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ حين يريد يصلح في ماله ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ يريد في عارية الثوب ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ في مال اليتيم ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: 220] لأدخل عليكم العنتَ والمشقة ولا تحل لكم عارية ولا طعام، وقد كانَ أصحابُ رسول الله ﷺ ورعوا مالَ السعي حتى حرموا على أنفسهم العارية والطعام والشراب حتى أن الرجل كانَ يمر بكسيرة أو رطلة من مال يتيم فلا يأكلهما ولا يأخذها، فرخص الله لهم في سورة البقر وأن يخالطوهم في الطعام والشراب والعارية ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ يريد العدلَ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ [الأنعام: 152] يريد قد علمتَ ما أحل الله لك وحرم عليكَ، وكما يجب على من يشتري منه فأوفى من يتبع منه كما قالَ في سورة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ وهي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة فنزلت للمدينة ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: 2] يريد إذا ابتاعوا استوفوا وإذا باعوا ووزنوا بخسوا ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ إذا أشهدتم اعدلوا يريد قوله الحق ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولذلك أو قرابتك أو من يحب قولَ الحق وأشهد به أن فيه مشقة ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152] يريد كي يطيعون.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ يريد أَقْوَم الأديان وأحسنها ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ يريد مثل الذي يسألك الطريق فتأخذون الطريق فيقبل ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ يريد عن دينه دين الحنيفية ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعَام: 153] كي تخافوا.

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ يريد تصديقًا لما أنزل إليكم ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ يريد عليك ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ وبيانًا ورحمة ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعَام: 154] كي تؤمنوا بالبعث يريد تصدقوا بالثواب والعقاب يا محمد.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ يريد مخاطبة مشركي مكة ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ﴾ أي تخرقوا كما خرقتم التوراة ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعَام: 155].

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦﴾

﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يريد التوراة والإنجيل ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ اليهود والنصارى ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعَام: 156] يريد وإن لم يدرس التوراة فيتفرق ما فيها.

﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ١٥٧﴾

﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ يريد أهدى من اليهود

والنصارى، وأعوذ بالله، توعد الله ولا يشرك به شيئًا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد محمدًا وما أنزل عليه من القرآن ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يريد بيانًا من الله ونسبًا، فمن أظلم ممن كذب بآيات الله، بفرائض الله وأحكامه وكذب ببيِّنته ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ عدل عنها عندَ طريق الإيمان ﴿سَنَجْزِى﴾ الله ﴿الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا﴾ يريد عن طريق الهدى ﴿سُوٓءَ الْعَذَابِ﴾ أشد العذاب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعَام: 157] عن سبيل الحق.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ يريد أمر ربك يوم القيامة ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ يريد طلوعَ الشمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾ يريد آيات التوبة ولا يقبل من أحد التوبة ولا الرجوعَ إلا بصدق إن ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ بأن يغلق باب التوبة ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ يريد الرجوع قبلَ طلوع الشمس من مغربها ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعَام: 158] تربصوا إنا متربصون.

هذا ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ أقول: أمر، وجوابه: أما الأمر فهو من النقال الذي كان خاصًّا فصار عامًّا إذ يطلق على من كان في مكان عال فاتسع حتى عم في المكان والمكانة والتساوي في الريبة فقد كان لأحدهما مر به في الجمعة على الآخر ﴿أَتْلُ﴾ مضارع مجزوم على جواب الأمر ﴿مَا حَرَّمَ﴾ [الأنعَام: 151] مفعوله و(ما) يحتمل الخبرية والمقتدرية و(إن) استفهامية منصوبة بجزم والجملة مفعول ﴿أَتْلُ﴾ أيّ شيء أتلو ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل أن يكون متعلقًا بفعل. فإن قيل: كيف يستقيم تحريم المنهي على تقدير أن مفسرة تكون الأوامر متواظبة منهية لدخولها في حيز النهي، أجيب بأنه لما وردت الأوامر مع النواهي وتقدم التحريم على الكل علم أن التحريم للمنع إلى الأضداد وهي الأشباه التي ضد الإحسان إلى الوالدين ويحسن الكيل والميزان وأن تشركوا به شيئًا ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي أحسنوا بهما ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾ أي خشية الفقر وقلة الانفاق ﴿وَلَا

تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ من المنهيات الظاهرة والباطنة كالخمر والزنا ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كقتل نفس المؤمن والمعاهد والقود والمرتد ورجم المحصن، فإن ذلك لا يكونُ إلا بالحق ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي مر ذكره ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151].

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ لحفظه وتميزه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ جمع شدّة كنعمة وأنعم وعمدة وأعمد ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ ونطقتم وتكلمتم في حكم وحكومة وشهادة وإصلاح ذات بين وموعظة ﴿فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ﴾ المحكوم له وعليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وصاحب قرابة وكذا حكم الشهادة ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ في المواظبة على العدل وبإذنه أحكام الشرع ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكر من العدل والإيفاء ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ مستويًا قويًّا ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الشريعة والطريقة والحقيقة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ الأديان التي هي غيره أو الأهواء والبدع فإن مقتضى العقل الصريح وطريقه واحد ومقتضى الأهواء والبدع متعدد يختلف لاختلاف الطبائع والأغراض والعادات والفاء به للسببية للاتباع ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ﴾ الاتباع ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] وتحترزون عن الأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة. روي أن النبي ﷺ قد خطّ خطًّا فقال: «هذا سبيل اللّهِ»، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله وقال: «**هذا سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، وقرأ هذه الآية. وتلك الخطوط الواصلة بين المبدأ والمنتهى هي السبل فالمستقيم من خط واحد وأقصر الخطوط الوسطاني «خير الأمور أوسطها»، وما عداه أطوال معوج كما بين في موضعه، والأقصر المستقيم وهو طريق الحق الموصل إلى الحث على الخير.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وأعطيناه له وهو التوراة أي أخبر عن إتيان التوراة وإعطائها له، فسقط ما قيلَ من أن ثم لتأخير الفعل وتعقيبه، وإتيان كتاب موسى مقدم على إتيان القرآن ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ من يومه وممن تقدم منه ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ وبيانًا، وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وفي كل ما يحتاج إليه من أمور الدنيا وأحوال الآخرة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ في

أمور الدنيا والآخرة أو في الشريعة والطريقة والحقيقة أو في العلوم النظرية والعملية أو في النبوة والولاية أو في النبوة التشريعية والتعريفية ﴿لَعَلَّهُم﴾ بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: 154].

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير المنافع كبير المناجع في النشأتين ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155] باتباعه والاقتداء به والاعتداد بنور أحكام نبوته.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ أي لئلا يقولوا أو كراهة أن يقولوا يا أهلَ الكتاب ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبۡلِنَا﴾ أي في زمان يكون قبلَ زمانكم ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ﴾ وقرآنهم وعن تعلمهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: 156] إن مخففة من الثقيلة بقرينة اللام ولذا دخلَ على حيز كان للشأن.

﴿أَوۡ تَقُولُواْ﴾ قولًا آخر من الكفار ﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ قد نزلت في جماعة من الكفار حيث قالوا: لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرًا منهما في قبول الأحكام الإلٰهية، وذلك لحدة فرحتنا وشدة قوة قطفتنا وجودة طويتنا، ولذلك تلقفنا فنونًا من الإدراكات واللطائف والأشعار ونكات الذرات وظرائف المخاطبات ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدًى وَرَحۡمَةٌۚ﴾ أي ولاية ونبوة أو قوة نظرية وعملية ونبوة تشريعية وتعريفية ونفسًا ناطقةً وعقلًا شاهقةً وقد صنعتم الكل ولم يلتفتوا إليها ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ المنشورة في الآفاق والأنفس، هذا معارضة من الله ومناقضة في دعواهم الكاذبة ﴿وَصَدَفَ﴾ وأعرض وانحرف ﴿عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ﴾ يحتمل السببيّة والمقابلة والمصاحبة ﴿يَصۡدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157] صدفًا وإعراضًا متجددًا شيئًا فشيئًا ومستمرًا غير منقطع.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ أهل مكة وغيرهم ما كانوا منتظرين لذلك العذاب لكن لما كان شأنهم وحالهم كحال المنتظرينَ وشأنهم شبهوا بهم بعد الإنكار والتكذيب فاستعير لعطاءهم لهم تهكمًا وتوبيخًا بهم ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ﴾ الله في ظلل، أمر ﴿رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ يعني طلوع الشمس من المغرب أو أشراط الساعة. عن حذيفة وعن البراء بن عازب: كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**ما تتذاكرون؟** قلنا: الساعة قالَ: **إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عبرة: دابة الأرض وخسفًا بالمشرق وخسفًا بالمغرب ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارًا**

تخرج من عدن». الظاهر أن الواو للجمع لا للترتيب فإن بعضًا منها وهو الدجال ويأجوج ومأجوج ودابة الأرض قد وقع كما لا يخفى على أرباب الفطانة والكياسة فإنها قد تصدق على بعض من الملوك والسلاطين الماضية.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ كالمحتضر على الرفع ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ النفس ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ عطف على آمنت أي لا ينفع الإيمان حينئذٍ نفسًا غير مقدمة إيمانها وغير كاشفة في إيمانها خيرًا، وفيه دليل علمي على من لم يعتبر الإيمان المجرد عن العمل، وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذاك اليوم وجعل الترديد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفسًا خفي عنها إيمانها، والعطف على (لم تكن) بمعنى لا ينفع نفسًا إيمانها الذي أحدثته وإن كسب فيه خيرًا فلا يقبل في هذه الحالة إيمان كافر ولا توبة فاسق إلا ما شاء ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ يا أهلَ مكة ما يمسه لنا من دوائر السوء ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158] عذاب الآخرة وقد انتظرنا عذاب الدنيا وخزيها وقد وقع هذا الفتح وما يتفرع عليه من ضرب الجزية لأهل الكتاب والقتل وسبي الذراري ونهب الأموال في المشركين.

إشارة وتأويل

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ [الأنعام: 151] أيها الأطوار القلبية والأنوار الإلٰهية العينية في أنفسكم، وارتفعوا عن حصص عالم الطبيعة إلى ذروة أنسكم، التي هي الأحدية الجمعية والبرزخية الأولية، التي هي مطية القرآن وموطن ابتداء نزول الفرقان، ليحصل لكم أهلية سماع كلام الله على الوجه الذي كنتم عليه في الفطرة الأولى، وسمعتم إياه فيها، وقبلتم أحكامه بذريعة النبوة الذاتية التي بلغت إليكم من الحقيقة المحمدية السارية أولًا في أعيانكم الذاتية وحقائقكم الإلٰهية وشؤوناتكم الذاتية ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي شؤوناتكم الذاتية التي نزلت من المرتبة الذاتية إلى المرتبة العلمية تعينت بالصور العلمية ومتعينات أعيانكم الثابتة ثم ينزل على الأعيان العقلية والروحية وهكذا إلى البرزخية والملك والناسوت في النشأة العليا والفطرة الأولى، أن لا تشركوا به شيئًا من العلوم والإدراكات والأنوار الإلٰهية، وشهود التجليات والأحوال والمقامات، وغير ذلك من علو الحالات وسمو المكاشفات ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي بمقتضيات النور والوجود

والجمال، ومرتضيات الظل والعدم والجلال، أو القوة العاقلة والنفس العاملة أو القوة النظرية والعملية، أو العلة الفاعلية والقابلية ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم﴾ ولو خشية ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: 151] أي ولا تخفوا نتائج علومكم ومعارج أعمالكم الظاهرة والباطنة أو ثمرات الأخلاق المرضية.

وأصولها أربعة: العفة والشجاعة والحكمة والعدالة، خشية إملاق، ظنًّا منهم أن مالَ العقل وهو العلم اليقيني البرهاني المكتسب بطريق الفكر والنظر المتناهي فلا يفي بجميع المطالب البدنية والنفسية، وبجميع الأخلاق المرضية وغير المرضية، وبجميع الأعمال الإرادية والاختيارية، الشرعية والعرفية والسياسية، وبجميع الأحوال والحالات، وبتمام مستتبعات الأطوار السبعة القلبية، مستحسنات المقامات ومستودعات المقامات، والأنوار الغيبية، وبأنواع التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، الإفرادية والجمعية والصورية، وبأطوار مقتضيات الأدوار النورية، وبمرتضيات الأكوار الظلية الإفرادية والجمعية في الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، بالسنن السرمدية والإلهية والربوبية والكونية، فمنهم من يفيد بمرتبة مخصوصة ورتبة منصوصة، انحصر علمه بأمور متعينة وأزمان ودهور متبيّنة فلا يقدر أن يصرف علمه بجميع الأمور، فحينئذ لا بدّ وأن ينضبط علمه بأحوال مستورة وأمور وأحوال محصورة، ومنهم من تحقق بالوجود الإلٰهي وبالبقاء والأحوال الغير المتناهية، فحينئذٍ يتبع قضاء حاجة قلبه وعامة غيبه بحيث لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ويسع الحق بما له من الأسماء والصفات وبتمام مقتضياتها «**لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن**»، أوحى الله إلى موسى: «**يا موسى ما التجأت الفقراء إلى الأغنياء فإن خزانتي ضاقت عليهم، وإن رحمتي لم تسعهم**» الحديث، فأمر الله تعالى أشار بأن كلّ عبد له صلاحية لأن يصل هذا المقام ونهاهم عن دناءة الهمّة.

قالَ عليه السلام: «**علو الهمة من الإيمان وإن الله تعالى يحب معالي الهمم ويبغض سفسافها**»، وقد تقرر لدى أرباب النظر والفكر الرسمي أن النفس في حالة واحدة لا تقدر على ملاحظة مقدمتين معًا، فكيف على مقدمات كثيرة ومقالات غفيرة، وأما من عرج وصعد وخرج عن مضيق هذه إلى فضاء عالم الإطلاق، وبلغ إلى مرتبة العقل بالعقل في طور أرباب الفكر الرسمي، فحينئذ يحضر عنده جميع

معلوماته المكتسبة ومفهوماته المجتلبة، ويلاحظها في آن واحد حيث لا يغيب عنه شيء منها، بلا تحسم كسب جديد وجلب حديد.

قالَ أفلاطون عن الدين حاكيًا ومخبرًا عن أحواله الغيبية فيه في خلواته: «إني ملوث بنفسي فتجردت عن تجليات بدني فوجدت في نوري أو بهاء سروري أو سناء غير متناهية ثم صعدت إلى عالم العقل فشاهدت فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا يقدر العقل على ضبطها فخفت على نفسي فرجعت إلى عالم التفكر». ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151] آنًا فآنًا بتجديد الأمثال وتحديد الإطلاق وتضعيف الأحوال في هذه النشأة الحسية والمرتبة النفسية بتضاعف التجليات الذاتية والعنونات الغيبية والإدراكات المتضاعفة والمثالات المتقاطعة ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: 88]، ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] وبالعلوم والإدراكات المستتبعة للتجليات المذكورة، وهي مقتضيات الوقت ونتائجها الحاصرة، فإن كل شخص يفيض عليه من عرش الربوبية، وفلك الأفلاك الربانية بواسطة البروج الاثني عشر الثابتة في هذا الفلك، وهي الأدوار الاثني عشر النورية الجمالية الإفرادية والجمعية ودرجاتها وهي ثلاثمائة وستونَ، وأشار النبي ﷺ: «**أن لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة لحظة يلحظ بها إلى أهل السماوات والأرض، فمن أدركته تلك اللحظة صرف الله عنه شر الدنيا والآخرة وأعطاه خير الدنيا والآخرة**». وقال: «**اطلبوا الخير دهركم كله، فإن الله تعالى يتحاب من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوا اللَّهَ أن يستر عوراتكم ويؤمِّن روعاتكم**».

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ من السطحيات وإظهار الكرامات وإفشاء الطامات ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ من أنظار الأغيار من الأسرار الإلهية والحالات والمقامات الربانية يكون بين العبد والرب فإنه هتك لستر الله وفتك لحجاب الرب وإفشاء لسر الربوبية كفرًا، لذا أفتى العلماء بقتل الحلاج اللهم إلا أن يكون مسلوب العقل والقلب مجذوب الفؤاد والغيب فإنه معذور ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151] العاملة في البدن المدبرة له ولأعضائه وجوارحه بالمنع عما يقوم به من الأغذية والأشربة والأدوية والأهوية والحركة والاستفراغ، وهي الست الضرورية التي خلقها الله للبدن والنفس المدبرة

وحفظ صحتهما كما شأن الرهبانيين، ولذا نفى رسول الله ﷺ الرهبانية حيث قالَ: «**لا رهبانية في الإسلام**».

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ [الأعراف: 32]، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تتبع الفساد ذلكم الذي مر ذكره ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم﴾ وبيّن لكم وأرشدكم ﴿بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151] بالفعل الصريح الذي هو مناط الكشف الصحيح ومنشأ الذوق الفصيح.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ أي ما أخلص بمحمد من شهود التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والصورية والصورة الجمعية، كما أشارَ إليه بقوله: «**إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني التجليات**» أي الذاتية، «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»، «**رأيت ربي في أحسن صورة، رأيته شاب أمرد قطط**». قالَ علي عليه السلام: «**رأيته فعرفته ثم عبدته لم أعبد ربًّا لم أره**» ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152] وهي التوسل بمحمد وبأمته بالإرادة التامة والمحبة العامة كما شاهدَ موسى خصائصَ أمة محمد في التوراة في الفصل الأول والثاني، وتمنى من الله أن يجعله من أمته فقالَ الله في جوابه: «هؤلاء من أمة محمد فقالَ موسى: اللّهم اجعلني من أمة محمد»، فمن أجل هذا التمني جعل الله موسى مشرفًا بشهود التجلي والمشهود بين اليهود أن الله تعالى قد تجلى له هي تمام زمانه مائة وعشرينَ مرة وكانَ قبل هذا التمني قد سأل التجلي قالَ الله في جوابه: ﴿إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ [الأعراف: 143]. قالَ النبي ﷺ: «**لقد تمنى اثنا عشر نبيًا أن يكون من أمتي ومنهم موسى بن عمران وعيسى ابن مريم**» الحديث. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ﴾ في مراتب النشآت ومآدب الشؤونات ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ في زمان مظهر الموعود المهدي الذي هو ولد من ولده المعنوي والصوري أو المعنوي كما قال عليه السلام: «**لا مهدي إلا عيسى**»، فإن الأنبياء كلهم أولاد الحقيقة المحمدية:

وإني وإن كنت ابنَ آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أي الأحكام النبوية ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ أي الأعلام المرتضوية وهي الولاية المرتضوية المطلقة، أو القوة النظرية والعملية، أو تكميل النفوس الناقصة

وتعديل القلوب الكافية والعقول الوافية في تمام المطالب العلمية والعملية الدنياوية والدينية ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152] أي على ما يقتضيه استعداده الذاتي، إشارة إلى ما هو شرط الإرشاد والكمال، وهو معرفة القابليات وإدراك الاستعدادات، إما بشهودها ومعانيها عندَ العروج إلى مقام أحدية الجمع والواحدية بمشاهدة الأعيان الثابتة والحقائق الإلهية، بل الترقي في الشؤونات الذاتية والعنونات الأولية والوجوه الذاتية، التي خصصها الله تعالى بالشؤونات بالتجلي الذاتي الذي سمي بالفيض الأقدس، الذي يعطي الله به الاستعدادات الذاتية، وهي في الحقيقة شهود الذات بالوجوه الذاتية، وهذه الوجوه والشهودات تنبسط في ذاتها وتنزل في مرتبة العلم الذي هو ظاهر التجلي الذاتي، وتتعين وتتفصل بالصور العلمية، وهكذا ينزل إلى مرتبة العقول وتتعين بالنسب العقلية، ثم إلى مرتبة النفس الكلية، واللوح المحفوظ، وعالم الملكوت، والصور الروحانية. ثم إلى مرتبة البرزخ والصور البرزخية والهيئة الشخصية، وتفوت الأرباب النوعية والمثل النورية، ثم تنزل إلى مرتبة الملك والشهادة وتتعين في البرازخ العالية والسماوات، وتتعين في الكواكب بأوضاعها واتصالاتها الكلية والجزئية، وتسري تلك الشؤونات والوجوه وأنوار الاستعدادات وآثار القابليات والصور العلمية والنسب العقلية والإضافات الروحية وأزهار الأرباب النوعية وآثار الصور الخالية وأنوار الاتصالات الكوكبية الفائضة، على العناصر الأربعة، ومنها على المواليد الثلاثة، ومنها على الكون الجامع والمظهر الفاضل الرافع، وعالم الناسوت، فحق المرشد أن يصعد ويترقى إلى عالم الواحدية والجبروت، ويشاهد استعداد الطالب وقابليته ويعلم كيفية حال الطالب، فإن لم يقدر ففي عالم الواحدية وعالم الأعيان الثابتة وعالم العلم ثم في عالم العقل وهكذا في عالم الناسوت، فمنهم من كان فيه على الفراسة والفطانة والكياسة، فإنه يتفطن من أحوال مزاجه وأفعاله وأقواله ورأيه وأمانيه على حال أطوار السالك وحالاته ومقاماته وكيفية أحواله.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ في التكلم والنطق وتزكية النفس وقول الطالب ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 44] الآية ولو كان المنطوق له ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ وقرابة ظاهرًا وباطنًا ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ﴾ الجاري في الأزل في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، ﴿أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ﴾ التعديل والانتصاف في الإرشاد والتكميل ودعوة الخلق هذا العدل الواجب الحادث عن طرفي الإفراط والتفريط والمواظبة

عليه ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] تخصيص الوجودية والحصص العدمية الشهودية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ المعوجة الحادثة عن جنبتيها التي على كل منهما شيطان يدعو إليه السالك ويأتي إليه من كل جهة ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17]، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ الطور الروحي أو السري ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ النبوة التشريعية والتعريفية بعدَ دعوة الحقيقة المحمدية إياه في المرتبة العلمية والحضرة الواحدية بالنبوة الذاتية مختصة بالحقيقة المحمدية، فإن النبوة الذاتية التي هي حق تتمّم الحقيقة المحمدية التي هي متقدمة على نبوات سائر الأنبياء ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ في إجراء أحكام النبوة الذاتية، فإن نقاط أعيان الأنبياء الثابتة وحقائقهم الأولية هي حصص الحقيقة المحمدية وإن نبوءاتهم هي متممات نبوته الذاتية ويكون إجراء الأحكام الأزلية وإمضاء الأعلام الأولية على أعيان الأنبياء ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الأحوال الجارية على الأنبياء وأهمهم وعلى سائر الأعيان الكونية والأكوان الكفائية في هذه النشأة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للخواص وأخص الخواص وهي أنوار الولاية وأزهار أحكام النبوة ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 154].

﴿وَهَٰذَا﴾ الكتاب الذي أنزل أولًا في الحضرة العلمية والمرتبة الواحدية ﴿كِتَٰبٌ﴾ جامع ولباب رافع للكل شائع في هذه النشأة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ مرة أخرى ﴿مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي الأمم كلهم للتقدم على الكل رتبة ومرتبة ونشأةً ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ اللّه في مخالفة أحكام المبالغة والموافقة والمبايعة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155] بالرحمة العامة الامتنانية المحمدية.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أعني في فرداريّة النور والوجود والجمال على أصحاب الرسم والتشبيه وعلى أصحاب التجرد والترقي فرداريّة الظل والعدل والجلال ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: 156].

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ هذا مما اقتضته فطرتهم الأصلية النطق والتكلم به، لما علمت من أن مقتضى الطبيعة الكلية بين تمام أفرادها «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام**»، ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 157] أو كتاب أو نبي أو هما في الدورة الأولى أو في النظرة العليا وقد كانت الأعيان كلها فيها متساوية الأقدام ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: 3]، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ في مقتضى النور والجمال والظهور صريحًا، ومرتضى الضمور والجلال ضمنًا ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 157] في هذه الدورة في هذه النشأة على ما دفع في الفطرة الأولى من أنهم ما قتلوا النور المرشوش على ظلمة الاستعداد لقوله عليه السلام: «**خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد غوى**».

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ وينتظرونَ ويترقبون في التردد في النشآت ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ أي التجليات الذاتية في الدورة الجمالية النورية من أدوار النور الربانية ومظاهرها ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 158] أي التجلي الأسمائي في الدورة الثانية منها وهي الدورة الربانية ومظاهرها الملائكية المدبرة والنفوس السماوية العاملة ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ﴾ [الأنعام: 158] أي التجلي العقلي في الدورة المماسة بالدورة الوسطى كما سميت الأولى بالعظمى والثانية بالكبرى إن اقتضاء النور والجمال يخالف ارتضاء الظل والجلال لمحل ما ظهر في فرداريّة الجمال والجلال يكون بعكس ما يظهر في فرداريّة النور والجمال، فطالع ما يكون في فرداريّة والنور والجمال ليكون في المغرب الجمالي ومغاربها في المشرق وذلك إنما يكون عند انتقال الفرداريّة من النور والوجود والجمال إلى الظل والعدم والجلال، وذلك من أشراط الساعة ومن جملة المخالفات بطون الدنيا وخفائها يتبدل بما فيها من السماوات والأرض بالظاهر وبما له ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]، وتظهر الآخرة وما فيها من الجنة والنار والصراط والميزان والأعمال البدنية والنفسانية والجنانية والسرية والروحية والعقلية. قالَ النبي ﷺ: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**».

واعلم أن الله تعالى في الطور السّري قد يتجلى على العبد بصور الآثار وهي الأجسام وما يناسبها من الكلام كما تجلى لموسى عليه السلام، فإنه عليه السلام يشاهد الكلام الإلهي من جميع الجهات، وتجلى لإبراهيم بصور الكواكب وعلى نبينا صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بصورة آدم وهذا أتم، فمن السالك من كان إقبال روحه وعقله إلى صعود أعماله الحسنة وأفعاله المرضية أتم يرمى في طور آخرته أن الله يتوجه إليه لأن روحه هو روح الله كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ

مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29] ولا يلزم من هذا إن الله يتحرك كما شاهدَ الجليل والحبيب والكليم الحق يصور الكواكب والعنصر الناري والصور الإنسانية أن يكون جسيمًا لأنه أمر حالي وكشف ذوقي يقبل التأويل كما يؤول اليد والرجل والوجه بالقدرة وبكمال الوجه والذات وباب التأويل والتوجيه مفتوح على أهل الظاهر والباطن وقس على ما ذكرنا سائر الآيات من هذه العشرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ يريد المشركين ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ إخوانًا بعضهم يعبد الملائكة ويزعمون أنهم بنات الله، وبعضهم يعبد الأصنام ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 159] يا محمد هذا منسوخ نسخته آية السّيف في سورة براءة ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159] يجازيهم بأعمالهم.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ يريد شهادة أن لا إله إلا الله ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ يريد من عمل من المتصدقين حسنةً كتبت له عشرة حسنات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يريد الخطيئة وهذا للمؤمنين ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 160] يريد لا ينقص من ثواب أعمالهم.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ يريد مستقيمًا ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ يريد دين إبراهيم حنيفًا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161] يريد بالحنيف الموحد والحاج المضحي.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢)﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ يريد ذبيحتي ﴿وَمَحْيَاىَ﴾ يريد عبادتي

﴿وَمَمَاتِي﴾ يريد منعتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162] يريد رب الخلائق أجمعين.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ يريد لا ندّ له ولا ضدّ له ولا كفوًا له ولا نظير له ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ يقول أوحى إليّ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163] يريد مسلم من الخلائق من فحشه وظلمه وبوائقه ويحب للناس ما يحب لنفسه فأسلم لله وحده له بقلبه ولسانه وجوارحه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد كل شيء يريد سندًا وإلهًا وهو إله كل أحد وإله كل شيء ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ يريد الوليد بن المغيرة كان يقول: سبيلي أحمد أو سرائركم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يريد إثم غيره ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ يريد مصيركم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: 164] يريد يا محمد إنك تخاصمهم عندي يوم القيامة بما يكذبون وكانوا ينسؤونك إلى الصدق والأمانة.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يريد بعد آبائكم كنتم خلفاء بمكة ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ يريد الذين صدقوك وآمنوا بك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ يريد ليخبركم فيما آتاكم أعطاكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لا عذاب بعد النبي ﷺ بهلاكهم وقتلهم ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165] يريد غفور لأوليائه رحيم بهم.

تمت سورة الأنعام بعون الملك إنه العلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 7 — سُورَةُ الأَعْرَافِ — آياتها 206 مكية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حدثنا محمد بن أبي الأصبغ قال: حدثنا بكر بن سهل قالَ: حدثنا عبد الغني بن سعد الثقفي بن موسى بن عبد الرحمٰن الصنعاني عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك بن إبراهيم عن ابن عباس قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس سدًّا وكان آدم عليه السلام شفيعًا له يوم القيامة**».

﴿ٱلٓمٓصٓ ۝١﴾

﴿ٱلٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: 1] يريد أنا الله الملك الصادق.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ يريد فرائض أنزلتها إليكَ لأن تعبدَني ولا تشرك بي شيئًا، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتقوم لي بينة صادقة وقلب سليم، وبر الوالدين، وتبر والديك وبني آدم فتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتتجنب محارمي وتحصن أوليائي وأهل طاعتي وتحببني إلى خلقي ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ يا محمد حرج منه يعني ضيقًا مما افترضتُ عليك وعلى أمتك ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ يريد عما أمرتك وتحض عليه ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2] يريد ومواعظ للمصدقين.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يريد المعتبرين المصدقين اشكروا ما أنزل الله إليكم من ربكم من الفضل والكرامة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ ولا تتخذوا غيره أولياء ﴿قَلِيلٗا﴾ يا معشر المشركين ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3] يريد ما يتعظونَ إلا اتعاظًا قليلًا.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ يريد اليمن والشام ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ يريد لها عذابًا ﴿بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: 4] يريد في المبيت أو في المقيل.

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ يريد تضرعهم ﴿إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 5] فأقروا على أنفسهم بالشرك.

﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾

﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6] يريد نسأل الأمم على ما جاءهم من الله ونسأل النبيين هَلْ بلغتم رسالتي.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: 7] يريد إني لم أغب عما فعلوا برسلي.

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨﴾

﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾ يوزن كل رجل بعلمه كما قال في سورة الأنبياء ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء: 47] ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8] يريد الذين سعدوا قد اختصوا بفلاحِ النشأتين.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ يريد صاروا بعد النعيم إلى العذاب وحق كثير أن لا يكون فيه رسول الله الأحق ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9] يريد يجحدون بما جاء به محمد ﷺ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد ما بين مكة إلى اليمن وما بين مكة إلى الشام ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ يريد بما فضل عليكم في الرزق وما فضلكم به فيه على العرب أنهم ينسبون إلى الله تعالى حرمه وأمنه والعرب لهم تبعًا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10] غير شاكرين لأنعمي ولا طالبين لي.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يريد فضلتكم على الناس في خلقكم وفي صوركم يريد جعلت فيكم العز والشرف والجمال ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [الأعراف: 11] يريد اسجدوا لأبيكم آدم صلوات الله عليه تفضيلًا منزلة وإكرامًا كما قالَ فيه إبليس: هذا الذي كرمتَ عليَّ يريد فضلت علي ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62]. يريد لأستفزن ذريته إلا قليلًا ممن عصمتَ ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11] يريد من عصى ربه وصار إلى ما سبق عليه، ودار حكمه لديه، وسار أمره بين يديه.

هذا أقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الذي صيَّر صدر الأعراف أعرافًا إلى ظهور صدور الدولة الجسمية المهدية البياضية كما أشار إليه المحقق العارف.

سيطلع إكليل من النور مشرقًا بمطلع أعراف سيماه يختبر

﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: 1] ا ل م ص ٨٧١ س ي م ه ح س ن قال في سورة الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ب ض ع الرحمٰن الذي

رشح صدره ووشح ظهره وعقبه لدى ظهور المثلثات من جنس واحد:

إذا تليت في الدهر حرف مثلث

أعني ثمانية وثمانون وثمانمائة. فقد كل الأمر الذي كان يعتوره الرحيم الذي أردفه بأفضل العصر الذي هو وقت ظهور مهدي آخر الزمان ١١٩ خ ر ز م ا ن ٩٠٠.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: 2] أقول: قد تقدمت تأويلات الحروف المقطعة في أوائل سورة (المص) كتاب مبتدأ وخبر إن كانَ المراد به السورة والقرآن أو كتاب خبر مبتدأ محذوف هو ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ صفته أعني الأحد وجبرائيل ومحمد وصحبه هذا ﴿كِتَٰبٌ﴾ أو سورة ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ﴾ [الأعراف: 2] أي وجه قلبك الذي يلي النفس وينطبع فيه صور الأعمال والأفعال والأقوال كما ينطبع في الوجه الذي يلي الروح والعقل وهو الفؤاد والطور السري صور الأحوال وحقائق الأعمال والأفعال وهي التجليات الآثارية التي يتضمن سائر التجليات ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 11]، ﴿حَرَجٌ مِّنۡهُ﴾ وشكّ وهو متساوي الطرفين من شأنه أن ينطبع في النفس التي يتساوى نسبتهما إلى قوتي الغضب والشهوة وإلى البدن والروح فيضيق مسلكها فيرتفع تحركات حتى النفس من المركز وإلى المركز وعلى المركز ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ يا محمد متعلق بأنزل أو بلا تكن لأن ليس من شأنك أن يقع في صدرك تبليغ الحكم الإلٰهي الحرج والشكّ لتتمكن من الإنذار والدعوة إلى الله ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2] يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فله أي بذكر ذكرى، وبالرفع والجر للعطف على محل لتنذر أو على كتاب أو على أنه خبر مبتدأ محذوف.

﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ على إضمار: قل لهم ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: 3] من الوحي الخاص أو العام ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3 - 4]، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾ أي لا تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الحق أو الكتاب حال مقدم لأن الحال نكرة ولا يجوز صفة لتقدمه ﴿أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3] أي تتذكرون قليلًا أو زمانًا قليلًا يتذكرون أو ما صلة لتأكيد القلة وإن جعلت مصدرية لم ينصب قليلًا لأنه موصوف مصدر والمصدر لا يتقدم على العامل.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي كثير من القرى ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ أي أردنا إهلاكها أو تخريبها وخذلانها ﴿فَجَآءَهَا﴾ أي أهلكها ﴿بَأۡسُنَا﴾ عذابنا أو أثر قهرنا وغضبنا ﴿بَيَٰتًا﴾ أو

مصدر وقع موقع الحال بآيتين ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: 4] من القيلولة أي جاءهم بأسنا بآيتين ليلًا أي قائلين وسط النهار كقوم لوط وشعيبًا وإنما حذف واو الحال استثقالًا لاجتماع حرفي العطف واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فإنه غير فصيح. وفي التعبير مبالغة في غفلتهم فأمنهم من العذاب ولذا خص الوقتين ولأنهما وقت دعة وراحة فجيء العذاب فيهما أقطع وفي تعذيبهم أقطع.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي دعائهم وتضرعهم أو ما كانوا يدعونهم من أمور دينهم ومذهبهم وتعينهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ أي وقت مجيء عذابنا ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ واعترفوا بأن ما انتحلوا من أمور دينهم ومذهبهم باطل ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 5] فيما كنا راغبين فيه من الركون إلى الكفر والشرك والتمكين والسلوك على الافتراء والإفك. ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الأنبياء والمرسلين ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾ ولنحكين ﴿عَلَيْهِم﴾ [الأعراف: 7] أي على الرسل حين يقولون: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32]، أو على الرسل والرسل عليهم هلاكنا ينطبق بالحق ﴿بِعِلْمٍ ۖ﴾ عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: 7] عنهم وعن أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم فيستر علينا ويخفي ما صدر عنهم لدينا.

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ [الأعراف: 8] أي وزن الأعمال قيلَ عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل لا يقال إن الأعمالَ أعراض والأعراض لا تستقل بنفسه فكيف يوزن لأنا نقول عدم استقلاله وانتفاء قوامه ونقومه إنما هو بالنسبة إلينا وإدراكنا وقدرتنا، أما بالنسبة إلى الله تعالى وكمال علمه وقدرته فلا وإن الأعراض والجواهر من حيث إنهما ممكنان ليس لهما وجود ولا عدم من ذاتهما سياقًا متساوي الإقدام في الاستقلال وعدم الاستقلال كما هو في الوجود والعدم والحدوث والقدم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ﴾ الوزن مبتدأ والظرف خبره والحق صفته، والجمهور أن صحائف الأعمال يوزن يميز أن له عمود وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهارًا للمعدلة واشتهارًا للمعذرة كما يسأل عن أعمالهم. ويمكن أن يقال: إن اللّهَ تعالى يخلق في

نفوس العباد العلم والإدراك بأعمالهم كمًّا وكيفًا كما يخلق في أعضائهم وجوارحهم النطق والشهادة على العباد يوم يشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، والوزن شرط الخلق للعلم كما أن الحياة شرط خلق العلم والإدراك، ويؤيده ما روي: «**أن الرجلَ يؤتى به إلى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون كلمات مسجّل مدّ البصر فيخرج بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**». قيلَ: يوزن الأشخاص لما روي: «**ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**».

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات والخيرات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8] الفائزون بالحسنات والخيرات المقبولة وذلك إنما يتأتى إذا تنزلَ العامل العابد والعبد الزاهد من كرة نار الكبر والعظمة والعجب والأنانية ومن كرة هواء الآراء الكدرة الفاسدة والأهواء الكاسدة إلى كرة ماء الصفاء. والكرة أرض التواضع والتمكن والوقار والطمأنينة والاطمئنان في الطاعات والعبادات وفي الجهات والرياضات.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ لاستعلائه إلى كرة نار الغضب والشهوة ونيران القهر والأنانية والأنفة والعائد عن طاعة الله عاد الشيطان عن طاعة الله وامتثال أمر ربه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ بتضييع رأس مال العمر وصرفه إلى البطالة والحسرة والخسارة ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9] أي نسب كذبهم بآياتنا وظلمهم على نفوسهم وعلى غيرهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وملّكنا لكم ما فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ جمع معيشة وهي اكتساب العيش وأسبابها كالتجارة والزراعة والفلاحة ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ ابتداء من مادة الطين كما فعل في آدم عليه السلام أو في أصلاب الآباء ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في الحالة الثانية بالتسطيح والاستدارة والتضليع والتخطيط والتكعيب والاسطوانة والمخروطة والتصميت والتجويف وغير ذلك في أرحام الأمهات ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ والتأخير إنما هو في الأنباء والأخبار لا الخلقة ﴿ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11]، تقدم الكلام في سورة البقرة.

إشارة وتأويل

﴿الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ أُنزِلَ﴾ [الأعراف: 1 - 2] قد تقدم الكلام في البسملة أن ﴿الٓمٓصٓ﴾ سيماه، وشكله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ ٨٧١ يدل على ظهور الدولة الحتمية ويوافقه ما وقع في سورة الروم من قوله: ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ أي سيغلب الروم بعد المغلوبية ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: 3] أي ض٨٠٠ في بضع ب ض ع وهو ٨٧٢ وفيه إشارة أي أن أحدهما من حيث العدد المبهم وهو ما بين عشرة وثلاثة، وفي هذا التاريخ قد غلب سلطان محمد الرومي على سلطان حسن البابندري بعد أن غلب على سلطان الشرق في تاريخ المص ا ل م ص ٣٠٠ ـ ٤٠٠٠ ـ ٨٠ وصار شرقيًّا وخرج عن الحكم الرومي وهي الإشارة الثانية في بضع من حيث العدد المعين ب ض ع ٨٧٢ الألف يشير إلى التعين الأول النوري واللام إلى التعين الأول الظلي والميم إلى جمعيتهما وهيئة كلتيهما.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ الكتاب هو الجمعية المعنوية التي أنزلت إلى المرتبة السفلية ونهايتها هي الناسوت والكون الجامع للجمعية الصورية والمعنوية والإنزال معنوي وعقلي، يشير إلى علو الرتبة المنزل منها، وإلى سفل المرتبة المنزل إليها ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ﴾ أي في نهاية مرتبة القلب في التنزلات وهي الوجه الذي يلي النفس ﴿حَرَجٌ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: 2] أي شكّ وظن منشأه النفس ويتصاعد منها إلى القلب فتضيقت به، وضيق القلب والصورة إشارة إلى تزكية النفس وتنقيتها عن مقتضياتها، منها الشكّ والريب والبغض والعيب والإعراض عن عالم الغيب إلى عالم الملك والشهادة والجسم والبدن الذي هو منشأ الشباب والشيب، ولذا منَّ الله على حبيبه بقوله: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ [الشرح: 1 - 2] الآية، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: 125] أي من كتاب الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي لتخوف الأعيان النورية، ويحركهم من كثرة محيط الإمكان إلى مركز وجوب الوحدة الذاتية الأحدية الذاتية، وليذكرهم من العهود الأزلية وعقود المواثيق الآلية ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 2] للأعيان الذين آمنوا في المعهد الأول والمعقد المأول إليه والمعول عليه.

﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ الخطاب للأعيان العينية والأطوار الغيبية ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن

﴿رَّبِّكُمْ﴾ أي من الذات المتصفة بكمال الربوبية ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي غير الحقيقة المحمدية السرية في جميع الأعيان وتمام الأطوار أولياء ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعرَاف: 3].

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ في الأدوار النورية والأكوار الظلية ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ بالطوفانات الكلية التامة والناقصة الترابية والمائية والهوائية والنارية أي أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعرَاف: 4] أي عذابنا وإنذارنا في الأدوار النورية الوجودية لينتبهوا ويرجعوا إلى الله، كما فعلَ بقوم يونس لما شاهد يونس خرج من بينهم فتضرعوا ورجعوا إلى الله فقبل الله توبتهم، وغضب على يونس وابتلاه ببطن الحوت.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعرَاف: 5] فائدة الاعتذار والاعتراف بالظلم رفع الحجب الظلمانية وتكلفهم بالأصول والفروع للعروج والرجوع من كل ما جرى عليهم من الأحوال والأعمال الجارية عليهم الحادثة عنهم بالاختيار والاضطرار إلى الوحدة الجمعية التي كانوا عليها في الأدوار السابقة والأكوار الفائقة إذ اليسير دوري والدور كوري ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعرَاف: 6] عن كيفية تبليغ النواميس الإلٰهية في الأدوار المتسقة المنتظمة والأكوار الضمنية المرتبطة بها التابعة لها فلنقص عليهم مما شاهدوا في الأدوار صريحًا والأكوار ضمنًا مما جرى فيها من الأحوال والمقامات والأطوار الحالات والعلوم والإدراكات والأعمال والأفعال، ومن الحوادث الزمانية وكمية الحركات السماوية والقرابات والطوفانات الكلية والجزئية ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعرَاف: 7] من الأدوار وما فيها والأكوار وما لديها.

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ أي التطابق في الأدوار بعضها ببعض أو توافق الأدوار والأكوار صريحًا وضمنًا أو تطابق الأكوار بالأكوار أو تطابق الجمعية بالجمعية الإفرادية بالإفرادية وجمعية الجمعية ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ أي يوم الانتقال من دورة إلى دورة الحق الثابت ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وكثرت بحسب كثرة الدورات وتكرر النشآت ومقتضياتها من التجليات وظهور المكاشفات وتوارد المخاطبات والواردات والإلهامات وغير ذلك من الحالات والمقامات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعرَاف: 8] لنجاتهم عن مضيق التردد والحركات والتبدد في الشؤونات.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9] والتفاوت إنما هو بحسب العلم والاطلاع وإدراك ما جرى في الأدوار واستحضار ما سرى في الأكوار، فمن فطرته سليمة عن الظلمات والكدورات المانعة للعلم والإدراكات والاطلاع على ما في النشآت والشؤونات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8] ومن كان بالعكس فبالعكس.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أولًا في ظلمة أرض الاستعداد الذاتي في المرتبة الأعلى ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في المراتب الأدنى والنشآت السفلى بالصور المختلفة والهيئات المتفاوتة المتغايرة والأشكال المتقاربة ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ العلوية والسفلية النورية الجمالية، التي باطنها مرتضى الجلالية، وهو الأهرمينيات الجلالية، والملائكة الجلالية التي هي الأهرمينات التي باطنها هي الملائكة النورية الجمالية وهذه الملائكة مأمورة بسجدة آدم هذه الدورة، فإن لكل دورة ملكًا وآدم الدورة النورية الجمالية مسجود لملائكتها وآدم الكورة الظلية الجلالية ﴿ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الأعراف: 11] أي إلا هو من الذي هو باطن الملائكة الدورة النورية الجمالية أبى عن السجود لأنه مخالف طوره، وفي الحقيقة أن إبليس أتى بالسجود لأن طوره من حيث إنه ضمني عكس طور من كان طوره صريحًا، كما تقرر أن أقوالهم عكس أقوال آدم فصدقهم هو الكذب، وكذبهم هو الصدق، وإثباتهم هو النفي، ونفيهم هو الإثبات، فامتناعهم عن السجود هو الإتيان به إذ الممكن من حيث إنه ممكن لا يتأتى من مخالفة خالقه، كيف وأن المخلوق عبد والعبد وما في يده لمولاه ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11] صريحًا لا ضمنًا لأن طوره عكس طور الملائكة في الدورة النورية الصريحة، فهو من الساجدين الضمني.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي من منعك عن نفي السجود صريحًا أي عن السجود الضمني الذي يخالف السجود الصريح، كما هو مقتضى طورك ومرتضى دورك، هذا بيان حقيقة الإنس الصريح والجن الضمني، وإظهار أطوارهما، هذا إنما علمني ربي ونبأني مربي وأدبني، بأن لا يصدر عني ما صدر عن أرباب التفسير ظاهرًا من الجسارة بأن كلام الخالق زائد حشو لا طائل تحته ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أي لا في أدنى منه لأن طوري خفي ضمني وطوره ظاهر صريح. ﴿خَلَقْتَنِى مِن

نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] والنار من حيث إنها عالية بعيدة عن طور الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي يقتضي التصريح في الحقيقة وإظهارها، والصراحة من حيث إنها من خواص المرتبة الأدنى أجمع من الأعلى، ولذا صارت أمينًا قابلًا للأمانة الإلٰهية وحافظًا للإشراقات الربانية دون الأعلى، فإنها لا تلبث لديها ولا تمكث فيها بل يتجاوز ويتعدى منها إلى غيرها إلى نهاية الأدنى وهي مرتبة آدم، فحينئذ يتقرر عندها ويستقر دونها وهي يحفظها إلى أن تحصل فيها استعداد العدد والرجوع، فمنها يمكث فيها زمانًا وهو ما يسكن لما تقرر منه أنه لا بد أن يكون بين الحركتين المختلفتين المتقابلتين زمان سكون، فمنها ما يمكث أزمانًا متطاولةً ليحصل فيه استعداد تام كامل لرجوع شامل لتمام العودات والرجعات، فإن له من حيث إنه وصلَ إلى تمام وأنس بأعيانها، ففي العود والرجوع قد يتقيد بمرتبة ويسكن فيها كما هو شأن أكثر السلاك هذا حال الأعيان. وأما المعاني فلا يمكث إلا زمانًا، فبهذا الاعتبار صارَ أمينًا لتمام الأمانات الإلٰهية والكونية الجوهرية المجردة والمادية والعرضية والفعلية والعملية الانفعالية والقولية والحالية والخلقية والخلعية كالوقار وكمال التمكن والطمأنينة والحلم والصبر والعفة والشجاعة والحكمة والعدالة، وما يتفرع منها كالقناعة والجود والكرم والتقوى والتواضع والتضرع والطمأنينة والابتهال إلى الله الجمع وحفظ الأمانة وغير ذلك.

ومن خواص النار الخفة والطيش والحدّة والتفريق والإحراق ولذا ﴿قَالَ﴾ لإبليس ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من جنة البساطة والمرتبة النارية وسماء الكبر والرفعة إلى أرض التركيب التي هي منشأ الشغل والتواضع والانقياد فأخرجه منها إلى جزائر بحر معالم الطبيعة فنصب عرش حكمه وسلطانه على الماء والبحر الأخضر أي بحر الطبيعة وحضرة الشهوة وغفل عما خصه الله تعالى بآدم من الشرف والكمال الجمعي بأن خمّر طينة بدنه بيديه ونفخ روحه فيه وجعله مرآة شهود كمال جماله وجلاله وجعله أمينًا وقابلًا لكمال جمعيته بين التفصيل والإجمال ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ أي ليسَ من شأنك لكونك جزءًا من آدم ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ لأن روحكَ جني ظلماني جزءًا من آدم وليسَ من شأن الجزء أن يتكبر ويجعل نفسه كبيرًا، وأن يسكن في

الجنة التي هي صورة جمعية الأسماء السبعة الذاتية والذات والمجموع ثمانية، فهي مكان صاحب الكمال الجمعي والجمع الكمالي، ولكون آدمَ قريبُ العهد بالتكوين والخلق، وما كان فيه كمال التجربة ومباشرة أعمال كثيرة وأحوال غفيرة نقض عهد الله واستحق لأن يخرج من الجنة التي هي مكان المطيعين كمالَ الإطاعة، الراسخين في التجربة والإطاعة، ومسكن الخاشعين المتضرعين المطاوعين ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13] لأنك جزء والجزء أصغر من الكل.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: 12] يريد إن كانت الإطاعة أولى به فعصى ربه وقاس وقال ابن عباس رحمه الله: من قاس الدين بشيء من رأيه قربه الله في النار مع إبليس.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ يريد من الجنة كانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ يريد أن أهلها ملائكة متواضعين خاشعين ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13] يريد من المتذللين.

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الأعراف: 14] يريد اليوم الذي لا يبقى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل يريد النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15] وآلى الله ذلك عليه.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ يريد فيما أمهلتني مثل قوم نوح إن اللَّهَ تعالى يريد أن يعذبكم وإليه يرجعون ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16] يريد دينك الواضح.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يريد من قبل الدين ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ يريد من قبل الشهوات والدنيا ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ يريد من قبل الحق ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ يريد من قبل الباطل ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17] يريد أن أكثرهم لإبليس طائعين ولله عاصين.

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ يريد صاغرًا ملعونًا ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ من أطاعك منهم ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] يريد المشركين والمنافقين والكافرين وقرناءهم من الشياطين.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يريد جنة عدن ﴿فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 19] يريد من العاصين.

﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾

﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا﴾ يريد أنهما ألبسا نورًا يستر العورة منهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 20] يريد لم يموتا، وذكر بعض أهل العلم أن الحية كانت معهما في الجنة ولها قوائم كقوائم البعير أحسن ما يكون من الدواب، فدخل إبليس فيها فوسوس لهما فسخط الله على الحية ونزع قوائمها وجعلها تمشي على بطنها فأخرجها من الجنة.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ يريد حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21].

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: 22] يريد غرّهما باليمين وكانَ يظن أنه لا أحد يحلف بالله كاذبًا ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، أي أقسم بعد الإمهال بإغوائك إيايَ أو لسبب إغوائك لي، أقسم باللّهِ ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وأتمكنن لهم لأجل إغوائهم وإغرائهم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]، وهو الإسلام ثمة بعد تمكني بقعودي في صراطك.

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم﴾ اللام لتوطئة القسم ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الآخرة والأعمال الصالحة، أو العلوم الدينية المتعلقة بأحوال الآخرة ونعيمها ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي دنياهم أو بالعكس ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي الحق ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 17] أي الباطل أو من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه أو من حيث لا يعلمون التحرز ولا يتمكن عن التحرز عنه ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي من حيث يحتمل العلم والتحرز ومن حيث لا يتيسر لهم التحرز وإنما لم يذكر الفرق لأنه محل فيضان الرحمة. وأما البحث ولأنه جهة التمكن والاطمئنان ولا تمكن له، فلا ثبات ليتمكن عن الإتيان من هذه الجهة، أو لأنهما جهتان حقيقيتان لا تتبدلان أصلًا وشأن إبليس هوَ التبدل والاختلاف، فلا مناسبة لهما بهما ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17] مؤمنين مطيعين لله، وإنما قال ذلك ظنًّا لا يقينًا بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبإ: 20]، ولأنه لكونه متقلّب الأحوال لا تعين له أو سمع من الملائكة.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لإبليس ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ معيبًا من ذأم يذأم ذأمًا إذا صارَ معيبًا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعدًا مطرودًا ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اللام لتوطئة القسم أو للابتداءِ ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابه ساد مسد جواب الشرط، وقرأ بكسر اللام لمن على أنه خبر ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ على أنه في محل الابتداء ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ خبر جهنم منك، ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: 18] الخطاب عام للمشركين والمنافقين والكافرين وقرناء الشياطين أجمعين.

وقلنا: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من ثمار الجنة وأنواع نعميها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ فيه مبالغة حث على النهي من القرب الذي هو من مقدمات الأكل، مبالغة في إظهار وجوب الاجتناب عنه، وتنبيهًا على أن القرب من الشيء يوجب الدخولَ فيه، وتناوله والميل بأحد مجامع القلب وتلهيه، كما هو مقتضى العقل الصريح والشرع الصحيح، كما روي: «**حبّك الشيء يعمي ويصم**»، والقرب يورث فينبغي أن لا يحوم حماءً ما حرم مخافة الوقوع فيه،

ويجعله سببًا له ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 19] أي صارا وأصبحا من العاصين الذين ظلموا أنفسهم. ولما كانت الشجرة أصنافًا متغايرةً لذلك اختلفت الأنظار والآراء والأفكار في تعيين الشجرة، فمنهم من قالَ: إنها التين أو العنب أو الزرع. ﴿فَتَكُونَا﴾ يحتمل النصب والجزم.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وألقى في قلب آدم وحواء ﴿لِيُبْدِيَ﴾ ويظهر ويكشف ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: 20] أي ستر وخفي من المواراة وهي الخفاء والستر ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ عوراتهما، اللام للعاقبة أو الغرض بأنه أراد بوسوسته ما يوقع الوهم فيهما ليتخيلا بانكشاف عورتهما وظهور السوء عنهما، ولذلك عبر عنهما بالسوءة، وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة، وعند الزوج من غير ضرورة متفاقمة قبيح مستهجن عقلًا وطبعًا وشرعًا ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لهما ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ من الملائكة الكرام وسائر الأعيان تعلمان الخير والشر ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 20] الباقين الذين لا يموتونَ أبدًا.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21] بأن قالَ لهما: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما وأرشدكما وأهديكما. وإبليس أول من حلف بالله كاذبًا فلما حلف ظن آدم بأن أحدًا لا يحلف بالله قط إلا صادقًا فاغترّ به.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: 22] يعني فنزلهما عن الأكل على أنه أهبطهما بذلك عن الدرجة العالية إلى المرتبة السافلة، وحطهما ممن ينزل الطاعة إلى حالة المعصية، فلا يكون التدلي والإدلاء إلا من عالي إلى سافل. التدلي والإدلاء: تنزيل الدلو في البئر، يقال: تدلى بنفسه وتدلى بغيره، أصله من تدلية العطشان في البئر ليروىَ ولا يجد الماء فيكون مدلى بالغرور وهو إظهار النصح وإخفاء الكفر وستره.

تأويل وإشارة

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: 12] واعلم أن اللّهَ تعالى خلق العالَم ليظهر به أسماءه وصفاته وخلق آدم فيظهر به ذاته وبأسمائه وصفاته جميعًا فظهر الحق في آدم بذاته بتمام صفاته وأسمائه الذاتية والأفعالية والآثارية فلما شاء الحق أن يظهر هذا السر أمر أولًا أول المخلوقات والتعين الأول في كل

دورة من الأدوار، فأول ما خلق الله تعالى في دورة النور والجمال هي الملائكة، وفي كورة الظل والجلال وهو الأهرمن، ثم الأغوال ثم الشياطين والأبالسة ثم الجن، والملائكة أيضًا أربعة أصناف الملائكة المقربونَ العالونَ والمهيمون والكروبيون والقائمونَ المدبرونَ في السماوات وفي السفليات والمركبات، فباطن الملائكة المقربين النورية الجمالية هو الأهرمينيات الكبرى الظلية الجلالية، وباطن المهيمين وغيبهم هم الأغوال، وباطن الكروبين الشياطين والأبالسة، وباطن العاملين القائمين بتدبير السماوات والأرض الجان، وهذه الأصناف كل واحد منهما منسوب بظاهر الاسم من الأسماءِ الذاتية العليم والحي والقدير والمريد، وكل من مقابلاتها إلى باطن اسم منها وأما آدم فبعاده عن صورة بقية الذات بالأسماء الذاتية والصفات السبعة الإلٰهية بأصناف الملائكة بأسرها ومقابلاتها برمتها أجزاء لآدم والجزء مطاوع للكل ومطيعها، ولذا أمر الله تعالى الملائكة ببواطنها وعيونها لأن يسجدوا لآدم إشارة إلى هذا السر، ولما كان مقتضى النور والجمال مخالفًا لمرتضى الظل والجلال، ظل طور سجدة الملائكة مباينًا لطور سجدة بواطنها وعيوبها، فصارت سجدتهم ظاهرًا وصريحًا بطريق الثبوت، وسجدة بواطنهم ومقابلاتهم باطنًا ضمنيًّا بصورة النفي ولذا ﴿قَالَ﴾ الله تعالى وتبارك: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أن لا تسجد كما علمتَ إظهارًا لحقائق الموجودات وإشارة إلى تغايرها ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أي أدنى منه وأنزل منه بحسب الرتبة وشرف الكمال الجمعي ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ مظهر نور الأنوار ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] هي نهاية التنزلات ومجمع التعينات العلويات والسفليات وهذا اعتراف من إبليس بنقصان رتبته ودنوّ مرتبته وبشرف رتبة آدم وبكمال جمعيته.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى لإبليس لإرشاده وتكميله ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ من جنة الرفعة وسماء العلو إلى أرض السفل ومرتبة الكمال الجمعي ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ أي لا يليق بحالكَ وأنت خير من آدم ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ في الجنة إذ الكبر من لوازم كمال الجمعي وخصائصه ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من جنة سماء الرفعة ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13] لأن وجودكَ جزء والجزء صغير بالنسبة إلى الكلي الجمعي.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ [الأعراف: 14] واجعلني من الموقنين لأن أظهر ما في استعدادي من الإضلال والإغواء لاستعداد أن أصل إلى كمال الجمع ومقام الجمعية.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بحق جعلك إيايَ من الغاوين والمغوين وبحق خلقك إيايَ على ما في استعداديَ أعني الإغواء الذي هو مِنَ المعدات لظهور الكمالات الجمعية بالنسبة إليه وبالنسبة إلى آدم ومن مقدماتها المقوية لأرض الاستعداد الدال لهما كتقوية اللوث والمزابل والروث للأرض المزروعة ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16] أي الكمال الجمعي.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي فرداريّة الدورة الوسطى النورية ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي مرتضى الدورة العظمى ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي مقتضى الدورة الكبرى ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي من مقتضى الدورة الصغرى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي أكثر أهل الأدوار الإفرادية ﴿شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17] شكر أهل جمعية الجمعية.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 18] الله تعالى لإبليس ﴿ٱخْرُجْ﴾ من الجمعية الإفرادية إلى جمعية الجمعية ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من أعيان الأدوار الإفرادية والجمعية الإفرادية ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ دار القطيعة وغار المنيعة من الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي جنة عدن الجمعية الإفرادية إذ لكل دورة جمعية، وللأدوار جمعية، وللأدوار والأكوار جمعية عظمى ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي من نعيم الكمال الجمعي من التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية النورية والجمالية والظلية والجلالية ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ الشخصية الجزئية لأنها تجر اللطيفة النفسية والقلبية والسرية والروحية والخفية إلى نار القطيعة ودار الحرمان وغار المنيعة والخسران ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 19] المنقطعين عن جنة جمعية التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والصورية.

تفسير

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ يريد عورتهما وتقلص ذلك

النور فصارَ أظفارًا في الأيدي والأرجل ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ يريد يستتران به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ بلغني والله أعلم أن الله تعالى ناداهما إقرارًا مني بآدم بل حياءً منكَ يا رب ما ظننتُ أن أحدًا من العبادِ يقسم بأسمائك كاذبًا، ثم ناداه ربه يا آدم أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما أسجدت لكَ ملائكتي أما أسكنتك في جواري فإنك لا تخافني أي من عصياني ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 22] بيِّن العداوة حيث سجد الملائكة كلهم إلا إبليس، وحيث قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ يريد شخصنا بنا إياك ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] لنكونن من الضالين قال بعض أهل العلم من المغبونين.

﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يريد آدم وحواء وإبليس ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ معاش ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: 24] حين الموت.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25] يريد الأرض أرض الدنيا يبعثون.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ يريد أهل مكةَ وذلك أنهم يطوفون حولَ الكعبة عراة ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يريد أن سترتم عوراتكم بعضًا من بعض من التقوى فلا تطوفوا عراةً ﴿ذَٰلِكَ﴾ التستر ﴿خَيْرٌ﴾ يريد إن كانَ عندَ الله ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يريد من فرائض الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26] يريد يتعظمون.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يريد لا يحل عليكم الشيطان ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ يريد آدم وحوا ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ يعني النور الذي كانَ عليهما ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ يريد ترى حوا سوأة آدمَ وآدم سوأة حوا ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ﴾ يريد إبليس ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ يريد هو وولده ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: 27] وذلك أن اللَّهَ تبارك وتعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم إلا من عصمهم الله كما قالَ تعالى في سورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: 5] يريد أن الشيطان له خرطوم كخرطوم الخنزير فإذا أقبل من بني آدم يفكر فيما لا يحب الله وسوس إليه، وإذا ذكر الله خنس وهم يرونَ بني آدم وبني آدم لا يرونهم ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27] يريد بالبعث والحساب والجنة والنار.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾ يريد المشركين ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ يريد الزنا وجميع العصيان وجميع ما حرم الله وكل ما ليسَ في مرضاته ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28] يريد أن هذا ليس مما نزل الله به أولياءه، وإنما أمرهم أن يعبدوا اللَّهَ ولا يشركوا به شيئًا وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصلة الأرحام وخلع الأنداد.

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾

و﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ بالعدلِ ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ يريد الكعبة ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ﴾ بقلوبكم وألسنتكم ﴿لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ يريد حسب

الجزاء حينَ يجاري العباد بأعمالهم فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] يريد كما بدأ خلقكم يريد من خلقه للجنة يعود في البعث إلى الجنة كما بدأ ثم تعودونَ.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ يريد فريقًا أرشد إلى دينه وهم أولياؤه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ يريد أضلهم وهم أولياء الشيطان خذلهم الله صاروا أولياء لإبليس ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30] يريد ما زين لهم عمرو بن لحي.

﴿۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يريد المسجد الحرام ولو عناه فسرتها عورته ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يريد حلالًا ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ﴾ الله ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31] يريد ولا تشركوا إنه لا يحب المشركين.

هذا ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أقول: إذا وجد طعم ثمرة شجرة التين أو الكرم أو السنبلة وخاضا في أكلها أخذتهما العقوبة، ولشؤوم عصيانهما بدت وظهرت سوءاتهما وعوراتهما، وتهافت وطار عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما عورة صاحبه، وكان لا يراها قبل ذلك، واختلف في اللباس فقال بعضهم: هو النور والبعض الآخر الظفر، فلما اقترفا الذنبَ انقبض حتى تطرف وظهر في الأطراف فكشف عوراتهما فاستحيا ﴿وَطَفِقَا﴾ أخذا وأقبلا وجعلا أن ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ويرتعان ويلزقان ويصلان ﴿مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ورق التين حتى صار كهيئة الثوب قيلَ: لما بدت سوءاتهما هرب آدمَ وكان كثير الشعر، فتعرضت له شجرة من أشجار الجنة فقيد بها لشعره، فقال لها آدم: أرسليني، قالت فنادى ربه: يا آدم أين تهرب مني؟ قالَ: لا أهرب منكَ ولكن استحيتك، فناداهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل﴾ عطف على أنهكما ﴿لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]

ناداه ربه يا آدم لمَ أكلتَ منها وقد نهيتك قال: يا رب أطعمتني حواء، قالَ لحواء: لمَ أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية قالَ للحية: لم أمرتِها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال الله: يا حواء أما أنت فستندمين وتحيضين كل شهر، وأنتَ يا حية فسأقطع قوائمك الأربع ـ فإنها كانت ذات قوائم أربع في غاية الحسن ـ فتمشين على وجهك. أما أنتَ يا إبليس فمردود وملعون مطرود.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ باقتراف الذنب واكتساب السيئة والعيب ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ بستر ذنوبنا ودفع عيوبنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] الهالكين.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ إلى الأرض يا آدم ويا إبليس ويا حية، والحال أنه ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ ومكان قرار ومحل تمكن وتمكين ﴿وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: 24] أي مقام معايش إلى وقت انقضاء الآجال وانقطاع ارتضاء الآمال.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: مكافأة لسوء أعمالكم ﴿فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25] أي من أرض قبوركم عند البعث، وبقية الكلام في هذا المقام قد خلت في سورة البقرة.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ وكسوة وكساء من نبات الأرض وشعور الحيوانات ووبرها. نزلت حين كان الناس في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، ﴿يُوَٰرِى﴾ ويستر ﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾ عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ أثاثًا وما ظهر من المتاع والثياب والفرش وغيرها. يقال: ترايش النحل، والرجل إذا تمول، ومنه ريش الطير ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بالنصب عطف على ريشًا وبالرفع على الابتداء وخبره الجملة الاسمية التي بعده وهو الإيمان. وقيل: الحياء أو خشية أو العفاف والعمل الصالح يعني لباس التقوى النفسي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ لصاحبه من اللباس الحسي لتضمنه السعادة الباقية والسيادة الوافية ذلك اللباس وإنزالها ﴿مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26] الدالة على كمال لطفه ورحمته ووفور رأفته ونعمته.

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ بالإغراء على الشهوات والإغواء على المعاصي والسيئات ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وإنما لم يكتف بنهي آدم عن إطاعة الشيطان تنبيهًا على أن العداوة والمعاندة كما استمرت بين آدم وإبليس كذلك تستمر

بينه وبين أولاد آدم وكذلك بين أولادهما، وأن إبليس وأولاده لا يتركون العداوة والعصيان، والمبغضة بهم طرفة عين بل يراقبون أحوالَ بني آدم كما ورد في الخبر: «**أنهم يجرون منكم مجرى الدم**». ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا﴾ أي عن أبويكم آدم وحواء على التغليب ﴿لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ ليرى كل واحد منهما سوأة الآخر ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ أي إبليس وجنوده وأولاده أو الجن والشياطين ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ أي محل ومكان أنتم ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ من ذلك المحل والمكان إشعار بأن رؤية العورة قبيح بالنسبة إلى آدم وحواء وأولادهما لا إلى غيرهما ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أعوانًا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 27] من المشركين والمنافقين والكافرينَ.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ أي الطواف عراةً أو الشرك وهي اسم كل فعل قبيح بلغ النهاية ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فاقتدينا بأثرهم والحال أنهم يقولون ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أي بالفاحشة والمنكرات ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل أو التوحيد قولًا وفعلًا واعتقادًا ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي توجهوا حيث ما كنتم في الصلاة في المساجد إلى سمت البناء وادعوه ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ والجزاء وقصد اليقين ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] عند البعث على ما كانَ عليه إن كان مؤمنًا يبعث مؤمنًا وإن كان كافر فكافرًا. قالَ النبي ﷺ: «**يبعث كل عبد على ما كان عليه فالمؤمن على إيمانه، والكافر على كفره، إن العبدَ ليعملُ فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل فيما يرى الناس بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم**»، أو من التراب إلى التراب ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55]، وإنما أسندَ العودَ إلى نفوسنا تنبيهًا على أن العود ضروري والرجوع إلى ما كانَ عليه طبيعي فطري.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ بالتوفيق بالإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ﴾ ووجب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ بمقتضى القضاء وانتصابه بفعل يفسره ما بعده ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وإنما علل خفية الضلالة باتخاذهم الشياطين أوليائي إيذانًا بأن هذا الاتخاذَ أيضًا من مقتضيات القضاء ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 30].

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ من اللباس ومن كل ما يحصل منه الزينة المباحة من الأمور الشرعية نزلت في جماعة يطوفون البيت عراةً ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وتعميم

الحكم لاستواء جميع المساجد في أصل التعظيم وإنها كلها لله ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ من المطاعم والمشارب المشروعة قدر ما يحتاج إليه ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في الأكل والشرب بالتجاوز عن قدر الحاجة ﴿إِنَّهُۥ﴾ علة لعدم الإسراف ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31] لخروجهم عن حد الاعتدال إلى جانب الإفراط وهو مذموم شرعًا وعقلًا وطبعًا ولتضييعهم نعم الله وكثيرًا ما يفضي إلى الضرر ويجذب مرضًا مهلكًا كالهيضة والتخمة والإسهال والاستسقاء وغير ذلك فيكون كافرًا لأنعمه جحودًا.

إشارة وتأويل

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: 22] واعلم أن الله عزَّ وجلَّ لما خلقَ روحَ آدم وتجلى عليه بذاته بتمام أسمائه وصفاته فأول ما نظر روحه وعينه الثابتة إليه هو جماله العظيم ووجهه الكريم فشاهده وعهد به وقالَ له إذا تنزلت من هذا المقام إلى مرتبة الناسوت لا بدّ أن لا تنظر أولًا إلا إليَّ، ولا يقع نظرك إلا على وجهي وذاتي وصفاتي كما شاهدت في هذا المقام، وأن لا تلتفت إلى شجرة هويتك البشرية وآنيتك العنصرية، وأن لا تتقرب إلى ثمرة شجرة الصورة النوعية الإنسانية. فلما دنا إلى مرتبة الناسوت خالف أمر الله ونسي عهده ونقض معهوده ورفض وعده وانحل عقده، وما نظر أولًا إلا إلى شجر هويته الشخصية، وأكل ثمرة كرم قوته النظرية، وأكل نخلة قوته العملية التي ظاهرها حلو وباطنها نواة الحيرة وعجمة الهيمان، وترك تين المعرفة الفطرية التي ظاهرها وباطنها حلو، فإذا وسوسة شيطان القوة النظرية بذريعة حواء القوة المتخيلة وحية النفس الأمارة، وأشغلته بالتوجيه إلى ملاحظة خصوصية هويته الجزئية وأنيته الشخصية عن مشاهدة جماله الأزلي وكمال جلاله الأولي، فبدت لهما سوءاتهما المخالفة بالأمر الإلٰهي، وإنما قهر الله حية النفس الأمارة بقطع قوائمها الأربعة، وهي عبارة عن المراتب الأربعة العلمية المتعلقة بالتجليات الأربعة، إشعارًا بأن شأن حية النفس الأمارة أن تبعد عن الحق وتجلياته لكونها مخالفة له جميع الجهات الأربعة كما ذكر في حال الشيطان وإبليس، فلا مناسبة بينها وبين الحق وتجلياته، فلا يسعى في تحصيلها، فتكون القوائم الأربع في حقها أمرًا ضائعًا، فاقتضت

الحكمة الإلٰهية قطعها لسقوطها في نفسها فارتفعت الرفعة والارتفاع في حقها، وانبسطت على أرض المذلة وعرض السقطة.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: 23] بانصرافنا من عالم اللاهوت والجبروت ونورِ الأنوار إلى ظلمة عالم الإمكان، وغياهب مقتضى الزمان ومرتضى الحيِّز والمكان ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ ولم تسترنا فلم تجاوز عن خطيئتنا وسيئاتنا، ولم تصرفنا عنها إلى حضرة أنسك ورتبة قدسك الذي كنا عليه في الفطرة الأولى ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] الخاسرين الهالكينَ.

﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الله عزَّ وجلَّ لاستكمالها وإيصالها إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي صورة ومعنى ظاهرًا وباطًا ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ من جنة الجمعية الإفرادية إلى جمعية الجمعية أو من جنة التجلي الذاتي والأسمائي الإفرادي إلى أرض التجلي الصوري الذي يتضمن جميع أنواع التجليات الإفرادية ﴿بَعْضُكُمْ﴾ أي المولود الجني الظلي الجلالي الضمني ﴿لِبَعْضٍ﴾ المولود الإنسي الجمالي الصريح ﴿عَدُوٌّ﴾ يجره مقتضى إلى سخط الجني. قالَ النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن**، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: **وإيايَ إلا أن اللَّهَ أعانني عليه فأسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير**». ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الاستعدادية في نشأة الأدوار وشؤونات الأكوار ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: 24] وقت استكمال النشأة وتكميل الشؤونات.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ في الأدوار النورية ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ في الأكوار الظلية لدى الانتقال من فرداريّة الدورة النورية الجمالية الصريحة إلى فرداريّة الكورة الظلية ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25] لدى انتهاء مرتضى فرداريّتها وذلك أن كل دورة جمالية نورية إنما يتكمل ويستكمل إذا استوفى اسم الجمال مقتضاه ظاهرًا وباطنًا وهذا الاستكمال إنما يتم إذا استوفى الجلالَ الضمني اقتضاه في مدة أخرى يكون اقتضاه فيها صريحًا فبين كلتا الدورتين من أدوار النور والجمال دورة صريحة جلاليةً وهي القيامة الجلالية.

واعلم أن كل دورة من الأدوار الأربعة النورية يتضمن أربعة أدوار يكون لها بمنزلة الفصول الأربعة للسنة، فالشتاء بمنزلة النفخ الأول، والربيع بمنزلة النفخ الثاني في الحكمة في الشتاء استكمال الاستعداد النباتي والحيواني والمعدني،

كذلك حكمة تحلل الساعة وقيام القيامة واستبطان الأعيان النورية واستكمال الأعيان لتظهر كمالاتهم في الدورة الثانية، وإن الأعيان والأدوار الأربعة متحدة بالذات متغايرة بالأحوال والكمالات، فمنهم من يفيد بدورة ومقتضاها ونشأة ومرتضاها، ومنهم من دار في دورة واحدة ونشأتها وتحقق بشؤوناتها ومرتضيات كموناتها وظهوراتها، ومنهم من دارَ في دورتين وأكثر، وساروا في الأكوار أيضًا، وتحقق بمقتضياتهما الإفرادية، وجمعية الجمعية بالسنين السرمدية والأعوام الإلٰهية والشهور الربانية، وليس لدورته بداية ولا لكورته نهاية، وانقطاع رعاية وله تصرف وتصريف في الكون بطريق الإظهار والبروز والإبراز والعاقل تكفيه الإشارة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ أي لباس التجلي النوري الجمالي تخفي جميع النواقص والعيوب ﴿وَرِيشٗاۖ﴾ أي التجلي الظلي الجلالي تستر المعائب الظاهرة والباطنة ومقتضى الجذبة الإلٰهية والجلية الرحمانية ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي التجلي الجمعي والظهور المعية ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإنزال الإفرادي أو الجمعي المعية ﴿خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: 26] لستر عوراتكم والعيوب والنواقص النورية والجمالية وغيوب سوءاتكم الجلالية. ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾ من التقيد والالتزام بقيد فاحش والتجدد في الحال والمقام وفي العلوم والإدراكات والمعارف والرسوم في دورة من الأدوار ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا﴾ في الأدوار المتقدمة ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ﴾ [الأعراف: 28] وقيدنا لديها وهم في هذا المقال وإن كانوا صادقين لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: 29]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، إلا أنهم ما قالوا هذا بطريق التحقيق بل بطريق التقليد والترزيق والتقليد عند الله أفحش الفواحش، ولذا ذمهم الله عليه ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ﴾ في الظاهر ﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ أي الذات الأحدية بلا اسم وتعين من الأسماء والتعينات لاستواء نسبته إلى تمام الأعيان وأحوالها، ولذا أظهر في مقام الإضمار ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 28] من أن الله قد يطلق على الذات الأحدية كقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، وعلى الذات من حيث هو ذات، وعلى الذات بتمام الأسماء، وأيًّا ما كان لا ينسب إليه الفحشاء ولا غيرها. قيل: لو نسب إليه شيء لا بدّ أن ينسب بخصوصية شيء اسم من الأسماء. ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿أَمَرَ رَبِّي﴾ أي الذات بنعت الربوبية ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إرشاد الأعيان أي لا تخصصوا أفعالكم وتوجهكم بمسجد خاص ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ

﴿ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 115]. وتأتي الآيات غنية عن التأويل، والتفسير يغني عن التصوير.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ يريد ما أمرهم به من ستر العورة والطيبات من الرزق الحلال ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي الطيبات للمؤمنين الذين صدقوا ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ يريد أن اللَّه جعل لَهم الجنة خاصة لطاعتهم لله في الدنيا ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾ يريد تفسير ما أحللت من حلال وما حرمت ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32] علموا أني أنا الله وحدي لا شريك لي، إليّ مصيرهم، وعندي ثوابهم، وفي جنتي مقامهم، وعندي نزلتهم وكرامتهم وسرورهم.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرّ الزنا وعلانيته حرام ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أن يبتغي الزنا على أخيه المؤمن بغير حق ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ ينزل به حجة من عندَ الله ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33] من أن الملائكة بنات الله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ﴾ أي لكل طائفة ولبقائهم مدة معينة وبرهة مثبتة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34] يريد إذا جاء ذلك الوقت لم يؤخر عنهم العذاب ولا يقدم قبلَ ذلك.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِيۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِيۙ﴾ فرائضي وأحكامي ﴿فَمَنِ

﴿ٱتَّقَىٰ﴾ من اتقاني وخافني ﴿وَأَصْلَحَ﴾ يريد ما بيني وبينه وبين خلقي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35] يوم الفزع الأكبر.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾ [الأعراف: 36] مثل قوله في الصافات: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: 35]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: 36] لله يموتون فيها ولا يخرجون عنها.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ جعل له شريكًا وجعل له ولدًا ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ كذب النبي ﷺ وما جاء به من فرائضي وأحكامي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما سبق عليهم في علمي في اللوح المحفوظ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ في الدنيا عند الموت ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ قبضوا أرواحهم ﴿قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 37] يريد أن الموت قيامة الكافرين وراحة المؤمنين.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ في النار مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ يلعنون من كان قبلهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ يريد توافوا جميعًا ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ الذين قبلنا اقتدينا بهم مثل قوله وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ يريد

ضعف عليهم العذاب بأشد ما يعذبنا به لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلـهًا ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ يريد لأولاكم وأخراكم عذابًا مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38] يريد حتى يحل بكم العذاب.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ﴾ للذين زعموا أنهم شرعوا لهم الكفر ﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ الذين دخلوا بعدهم ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ يريد لكم لم تعبدوا الله فمنعكم من عبادته حتى تستحقوا ضعف العذاب وشدته ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 39].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا﴾ يجزمونَ عن عبادة الله والإيمان بمحمد وبما جاء به والتصديق بالقرآن الذي جاء به محمد والفرائض ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ لا يفتح لدعائهم ولا أعمالهم ولا بشيءٍ ما يريدون به الله أبواب السماوات ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ حتى يدخل الجمل في مدخل الإبرة الذي يدخل في نقبته الخيط يريد طرفها التي يدخل في الثوب ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40] يريد الذين أجرموا كما قالَ في الأنعام [الآية: 124]: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ يريد أرضًا فيها أصناف العذاب ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 41] يريد الذين أشركوا بالله واتخذوا من دونه إلـهًا.

هذا ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ أقول: من الملابس وغيرها ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾

من النباتي كالقطني والكتاني والحيواني من الحرير والصوف والشعر والكساء أو المعدني كالدروع والجواشن والمناطق والخواتيم ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: 32] الذي يستنبطه العقل من الأطعمة والأغذية والأشربة والأدوية الغذائية وغير الغذائية وفيه دليل على أن الأصلَ في المذكورات من أنواع المأكولات والمشروبات وأجناس التجملات والحلي والأشربة والأدوية هي الإباحة والطهارة فما لم يقم الدليل على حرمتها لا يجتنب منها لأن الاستفهام إنكاري ﴿قُلۡ هِيَ﴾ أي هذه المذكورات ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ في الفطرة الأولى والنشأة العليا وهي فطرة الإسلام ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ يعني جميع المذكورات في الدارين خاصةً للمؤمنين مخصوصةً بهم لاختصاصِ ما هو علة لخلقه الجن الإنس وهي المعرفة بطريقة السلوك والعبادة، فيكون أولًا وبالذات وبالأصالة للمؤمنين، وبالتبع والتطفل لغيرهم كذلك أي كإخراج الزينة والرزق ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ في الآفاق والأنفس ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32] دليل على صحة ما ذكرنا.

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ من الزنا بالعلانية والخفاءِ. قالَ النبي ﷺ: «**لا أحَدٌ أغيرَ من الله، ولذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب المحمدة إليه من الله فلذا مَدحَ نفسه**». أو بالطواف عراةً رجالًا ونساءً وليلًا ونهارًا. ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ الذنب الذي لا حدّ فيه وقيلَ الخمر وتخصيصها بالذكر لكونها أم الخبائث ولذا صارَ تحريمه أهم ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ الخروج على الإمام بلا وجه شرعي وقيلَ الظلم الكبير أو الكثير بغير الحق بلا رخصة شرعية في الخروج ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ﴾ عطف على البغي ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ تهكم وتوبيخ بهم وتنبيه على حرمة الإشراك مطلقًا يجزم بها كل لبيب عاقل وأديب فاضل ضرورة، لا يحتاج إلى أدنى تنبيه فضلًا عن برهان وتمثيل وتوفية ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ افتراءً وبهتانًا ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33] في أمر الدنيا والآخرة وحال العقبى نحو: «**نحن أبناء الله وأحباؤه**»، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾ [آل عِمران: 24] الآية.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ أي انقضى وانقطع وانتهى مدة حياتهم ﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ﴾ بأن زاد أجرة ساعة على مدة حياته ﴿وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]

بأن نقص جزء منها، فإن كانت مدة حياته مثلًا عشرين سنة لا يتقدم بأن قبض روحه في ثمان عشر أو أنقص، ولا يتأخر جزء بأن وقع القبض في أحد وعشرين أو أزيد.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ﴾ [الأعراف: 35] ويقرؤون ويحكون ﴿عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ كتابي وأحكام خطابي، أما أصله إن ما ذكره بحرف الشرط للتنبيه على أن إتيان الرسل جائز لا واجب، وضمت ما إليه لتأكيد معنى الشرط يدل عليه بنون التوكيد وأخواتها ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: 35] أي انتفى الخوف والحزن في يوم ووقت خاف الناس فيه وحزنوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ﴾ وتكبروا واستنكروا عن الإيمان بها والتصديق بحقيقتها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: 36] دائمونَ فيها بقدر استحقاقهم العذاب.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ أي كتابه وكل ما فيها من نفي الشريك وتكذيب الرسل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم﴾ وحظهم وسهمهم ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ ومعاني مباني الخطاب بما يفهم من أولوا الألباب من الأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة والسعاية لتحصيل الشرف والسيادة، يحتمل القرآن واللوح المحفوظ إشعار بأن كتابَ الله حاوي على جميع الحوادث الزمانية وأحوال الحوادث المكانية وغير ذلك، حتى الحوامل والطوامث الإنسية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ ويقبضون أرواحهم غاية للنيل والكلام بعدها جملة شرطية والفعلية حال من رسلنا ﴿قَالُوٓاْ﴾ الرسل للكفار جواب الشرط ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ وتعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ من الأصنام الموضوعة والأوثان المصنوعة ما موصولة وصلت بأينَ الاستفهامية في خط المصحف وحقها الفصل للفصل بين كلمة، والمركبة قالوا للكفار: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ وغابوا عنا وتركونا ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 37].

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى يوم القيامة لواحد من الرسل: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ﴾ ومضت ﴿مِن قَبۡلِكُم مِّنَ﴾ كفار ﴿ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ ظرف ادخلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾ من الأمم الجنية والإنسية الكافرة في النار وفي دار البوار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ في الدين كاليهود يلعن اليهودي والنصارى النصراني ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾

وتلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: 38] دخولًا في النار أو أدناهم منزلة وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ دخولًا وهم القادة والأشراف، لأن القادة يدخلونَ النارَ أولًا أو آخرًا، تقول كل أمة أواخر الزمان لأولاهم الذين شرَّعوا لهم ذلك الدين ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أي القادة عن الهدى ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾ الله لهم ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ من عذاب النار أي القادة فنكرهم وصدهم عن سبيل الله وإضلالهم وإغوائهم، أما الأتباع فنكرهم وتقلدهم ونسيهم ويقتدي بهم ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38] ما أخفي لكل فريق. ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله لأخراهم وأتباعهم والسفلة يدفع العذاب المضاعف عنهم فيما هو فارق بين الحق والباطل، وفيما تنزلت عليه من الكفر والعصيان ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 39].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ أي لأرواحهم، الكذابين المستكبرين ولا لأدعيتهم وأعمالهم وإطاعتهم، ولا لمقالاتهم كما فتحت لأرواح المؤمنين وأعمالهم وأقوالهم ولعبادتهم، في الحديث القدسي: «**إن أهل الجود دعاؤهم عند الله مرفوع، وكلامهم عنده مسموع، يفرح بهم الملائكة، يدور دعاؤهم تحت حجب العرش، يموت الناس واحدًا ويموت أحدهم في كل يوم ستين مرة من مجاهدة أنفسهم، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، إذا فارقت روحهم جسدهم لا أسلط عليهم عند قبض روحهم، مرحبًا وأهلًا بقدومك عليَّ، اصعد بالبركة والرحمة والبشرى والرضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم**» الحديث، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40] الإبرة ليس المراد نفي دخول الكفار الجنة مطلقًا بل على وجه الأعسر بأن ولوج الجنة ودخولها كدخول الجمل في ثقب الإبرة إن كان ممتنعًا بنفسها، لكن نظرًا إلى كمال قدرته غير ممتنع، فإن اللَّه عزَّ وجلَّ علّق دخول الكفار الجنة الأمر الممتنع المستحيل امتناعًا عاديًا حتى أن ابن عباس صرح بأن المراد طرف الإبرة الذي يلي الثوب لا الطرف الذي فيه الثقب، يعني كما أن دخولَ الجمل في سم الخياط أمر ممتنع كذلك دخول الكفار في الجنة أيضًا ممتنع امتناعًا عرفيًا لا عقليًا، فإن العقلَ يجوّزه نظرًا إلى كمال قدرة الله ووفور قوته وعموم رأفته وشيوع رحمته ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ

﴿هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: 106 - 107] الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40] والعاصين من المؤمنين.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: 41] جمع غاشية أي تغطيهم وتسترهم وتحيطهم ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: 16]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 41] المشركين الذين ما تقلَّدوا لا برسول ولا بكتاب.

إشارة وتأويل

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: 32] إشارة إلى العلوم التي هي من فضائل النفس وإلى الأحوال والحالات والمقامات القلبية والمشاهدات الغيبية التي هي من خصائل السر الخفي. فإن من العلوم مثل اللباس والثياب، وبعضها مثل الحلل والزينة، وبعضها مثل الآلات والسلاح لأهل الصلاح وللحفظ والصيانة والوقاية والعصمة أو للاكتساب أو لهما جميعًا كالحكمة الطبيعية والهيئة والحساب والهندسة والحكمة الإلٰهية وفروعها كعلم الصناعية والمنطق والعلوم العربية والشرعية، ومنها ما هو غذاء الروح، ومنها ما هو نسبته إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن والبنية، فكما أن حياة البدن إنما هي بالروح كذلك حياة الروح إنما هو بالعلم ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122].

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 32] والرزق ما به يتقوم المرزوق والمغتذي، وهو قسمان: حسي وروحي ونفسي، **أما الحسي**: فهو كالحركة العلمية وعلم الأخلاق وكعلم الشرائع المتعلق بأفعال المكلفين، أما النفسي فهو المعارف الإلٰهية والعلوم الحقيقية والأحوال والمكاشفات والمشاهدات، والتخلق بالأخلاق الإلٰهية والشرائع التي تعلقت بالعقائد ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 122].

أما الحسي الصوري **فقسمان**:

أحدهما: ما يتعلق بالجسدي البرزخي وهو علم الطريقة والجهاد والرياضة،

فمن راعاها وتخلق بها فقد عمر جسدها البرزخي وهو البدن المكتسب، فإذا رجع وعادَ إلى الموطن البرزخي شاهد بيت بدنه المكتسب وجسده البرزخي مغمورًا وصاحبه هاشًا باشًّا مسرورًا متعلقًا بالسماوات البرزخية وملكوتها المتوسطة، فحينئذ يتمكن لأن يعرج إليها ويصعد لديها إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون.

أما القسم الثاني فهو علو البدن العنصري، فإذا تخلق بالأحكام الشرعية وتجلى بها ومناها بها بالفلك الأدنى أعني فلك القمر وناسب ملكوته استعد لأن يصعد إليها البدن الحسي الذي يتضمن الفلك القمري، لما علمتَ أن الإنسانَ لكونه نهاية التعينات وغاية التنزلات وصار مجمعًا لها ومرتعًا لتمام خواصها ولوازمها، فإذن قد حضرت تمام التعينات عنده وحصرت أبنية جميع التنزلات، فشهود جميع التعينات حاضرة لديه يتمثل بالعروج إلى الأفلاك والسماوات واحدة بعد واحدة إلى أن ينتهي إلى العرش، ومنه إلى الملكوت الأعلى، ثم إلى الجبروت، ثم إلى اللاهوت ثم يغني عن جميع التعينات الآفاقية والأنفسية، ثم يبقى ببقاء الحق بأن يتصرف شهوده إلى إحاطة الحق به، وبتمام التعينات الآفاقية والأنفسية وتطابقها بحيث اتحد أحدهما بالآخر، فحينئذ يرى الحق نفسه محيطًا بالكل، وقد يتمثل كمال توجه السالك العارف بالسير والطيران إلى العرش وما فوقه بالأدوار الإلهية والأكوار الغير المتناهية. هذا مما أشهدني ربي وعلمني مربي في ثامن الأربعين الذي قد اتفق لي في بلدة تبريز في زاوية بنيتها فيها في تاريخ تسعمائة، هذا النوع من الرزق الحلال الطيب هو الرزق الكلي لكلية حقيقية وجمعية، انتهى.

واعلم أن لكل طور من الأطوار السبعة القلبية رزقًا ظاهرًا وباطنًا صورة ومعنى، فرزق الطور القالبي ظاهرًا ظاهر، ورزقه المعنوي هو التحلل بحلل الأحكام الشرعية الظاهرية.

أما رزق الطور النفسي فهو العقل والقول والعمل، فإن كانَ حسًّا مشروعًا فهو غذاء طيب ورزق حلال صيب، قد نزل على النفس من سماء القلب وفلك الروح، فتصير النفس مضاهية لنفس الإنسان الكبير الذي بدنه هو السماوات، فحينئذ يصير النفس لأن يعرج إلى بدن الإنسان الكبير كما علمتَ.

أما رزق الطور القلبي وغذاؤه الظاهري فهو الأوصاف المرضية والأعمال الصالحة الرضية.

أما رزقه المعنوي فهو العلوم والإدراكات الحقيقية الظاهرة من ازدواج النفس الزكية والقوة العملية بالقوة النظرية والقدرة الفكرية التي تجردت عن القوة الوهمية والمتخيلة.

وأما غذاء الطور السري، ورزقه في الظاهر هو أن لا يغفل طرفة عين عن الحق، وأما رزقه وغذاؤه المعنوي فهو شهود التجلي الإلٰهي في مرايا الآثار، وأما غذاء الروح ورزقه الظاهري فهو المعاني المتصاعدة عن الطور القلبي ورزقه الباطني وغذاؤه العيني هو شهود التجلي العقلي.

وأما رزق الطور الخفي وغذاؤه الصوري فهو ملاحظة المعاني المجردة عن الصور الروحية، ورزقه وغذاؤه العيني هو معاينة التجلي الأسمى، وأما رزق الطور الخفي وغيب الغيوب وغذاؤه الظاهري فهو الفناء عن الكثرات ورزقه وغذاؤه الغيبي هو البقاء بالله وشهود التجلي الذاتي بالعنوان الذاتي.

وأما رزق الطور الكمالي في الظاهر فهو شهود التجلي الصوري بصورة الإنسان الكامل في جميع المراتب بتمام الأنواع التجليات وصورة جمعيتها وبكيفية ارتباط بعضها ببعض في تمام الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، فرزق هذا الفرد الكامل هذا الذات بتمام الأسماء والصفات ومن رزق بهذا الرزق الفاضل فقد فاز فوزًا عظيمًا.

ففي العروج والمعراج هذا الفرد يتحلل في الذات وفي النزول وينعكس الأمر كما ظهر في خليله هذا في السير إلى الله ومن الله، فأما في السير في الله في الكمال الجمعي، فالكل واحد في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة، ولا وحدة ولا كثرة، فحيث هو وحده عين الكثرة، وكثرة هي في نفس الوحدة.

﴿قُلْ هِيَ﴾ أي الأرزاق كلها بتمام أنواعها وأصنافها ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي المرتبة الجامعة خالصةً يوم القيامة العظمى في جمعية الجمعية ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر الذي ذكر في الرزق ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الكاملة والحالات والمقامات الشاملة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32] سر الرزق وكيفية أدواره في أطواره، وكمية

أقسامه علمًا حضوريًا شهوديًا، يكون جميع أطوار سر الوجود في أدوار إلٰهية وأكوار غير متناهية. ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف: 33] وهي كل ما يشغلك في سرك عن شهود ربك ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هي العلوم الظهورية أو النظرية ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ من الأحوال والمكاشفات وأنوار الطاعات وضياء العبادات وأزهار الأدعية الخفية والنفي من الأخلاق الفردية والأوصاف المذمومة الدنية التي يكون بغير الحق أي الجارية أفعالها وآثارها أطوار من غير رضاء الحق ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 33] من الآراء الفاسدة والأهواء الكاسدة ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ بل بعض العلوم التي تورث العجب والأنانية ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [النجم: 23].

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يعني أن الله تعالى حرم التقيد، ونهى عن المتابعة بهذه الأمور الخمسة المشيرة المنسوبة إلى الحضرات الخمس الإلٰهية، أعني اللاهوت والجبروت والملكوت والملك والناسوت، أو المراد منها أي مقتضيات الأدوار الأربعة الإفرادية والجمعية الإفرادية، فإن التقيد بهذه الأمور الخمسة فرادى مذموم محرم لاقتضائه إلى التشريك والإشراك، وحكم حرمة التقيد بهذه الأمور يمتد إلى أن ظهر سلطان الجذبة الكلية الإلٰهية، فإذا ظهر سلطان الجذبة وقهر قهرمان المحبة الذاتية انقطعت مدة حرمة هذه الآثام، إشارة إلى مرتبة المجذوب الغير السالك والمجذوب السالك، والسالك المجذوب، والسالك الغير المجذوب، وإلى مرتبة التحقق بالكل ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33] لاضمحلال عقولكم وانفصال أوهامكم، إشارة إلى المجذوب الغير السالك. قال النبي ﷺ: «**لا يقتدى بهم ولا ينكر عليهم**».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من هذه الأمم الأربعة في الأدوار الأربعة النورية الإفرادية ﴿أَجَلٌ﴾ ومدة، ولهم في كل دورة منها شغل وعمل معين ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34] لأن الحركات المستديرة في فلك الحياة في الدورة الكبرى متسعة منتظمة مشروطة بطالع جزء وغارب جزء يقابله وبينهما نصف دور وتتالي الأجزاء الباقية، فلا يمكن التقدم والتأخر في الطلوع والغروب، وإلا لزم انفكاك الأجزاء، هذا مختص في الحركة المستديرة لا يتصور في المستقيمة.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾ من السالك

المجذوب والمجذوب السالك في مسالك سلوكهم ومدارك بروكهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 35] في عاقبة أمورهم وغاية سرورهم بالرد إلى الأدوار والمد على الأكوار الإفرادية ولا هم يحزنون بفوت ما هم عليه من الكمالات الذاتية والتجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية والحالات الجمعية والمقامات المعية العينية والغيبية.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ من أعيان الأدوار وأكوان الأكوار الإفرادية ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي تجلياتنا الجمعية والكمالات المعية العينية والغيبية والعلية والمعلولية ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي عن التجليات الجمعية والكمالات المعية لعدم المناسبة بين الأعيان النورية الإفرادية والجمعية، واختفاء الاستعدادات الذاتية في أعيان الأدوار الإفرادية ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي نار القطيعة وبوار التحسر والندامة في فقدان كمالات الصورية النوعية والحالات الجمعية المعية ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 36] في نار القطيعة في الأدوار الإفرادية.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي على الذات مع جميع الأسماء والصفات الجارية أحكامها في الأدوار الإفرادية والأكوار الوحدانية على الأطوار السبعة القلبية أعني الطور القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي والأخفى والخفي والأخفى وغيب الغيوب فإن لكل واحد منهما اقتضاء يرتضيه ويدعي أن اللَّهَ قد خص به وأمرني بالتقيد به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالإنكار ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الجمعي والجمعي، الكمالي من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات وشهود أنواع التجليات ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي جذباتنا وهداياتنا ﴿قَالُوا﴾ كل من الجذبات أو الهدايات أو جمعية التجليات الإلهيات ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: 37] وتعبدون الذين تدعون أنتم أن اللَّهَ قد أمرنا بالتقيد به.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ أي المولودة الإنسية ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي المولودة الجنية التي تولدت مع المولود الإنسي ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38] ودخل الكل في نار القطيعة ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40] أي اختفت جميع التعينات وارتفعت الظهورات الجمالية والجلالية الكلية والجزئية السماوية والأرضية وعادت إلى الحالة الأولى وهي إبرة الفطرة الأولى التي لها بقية الوجه

الذي يلي الذات ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: 41] من الوجه الجمالي ومن فوقهم من الوجه الجلالي.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يريد إلا ما جعل الله فيها من القوة وعبدها، وإن قلّ عمله وصدقته وحجه وعمرته إلا أنه من آمن بالله وصدق بما جاء به محمد ﷺ من الثواب والعقاب ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المؤمنون ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: 42] يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ يخبر تبارك وتعالى أنهم مؤمنون ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ وغش وقد قال رسول الله ﷺ: «**الغل على أبواب الجنة كهباء نزل الإبل قد نزعه الله من صدور المؤمنين**»، وهو الذي كان في صدورهم في الدنيا لم يضرهم ذلك وجازوا بطاعتهم الله إلى الجنة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ الحمد وبالإيمان بما جاؤوا الله على ما أرشدهم إليه ووفّقهم له ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فشكروا الله وحمدوه وخلقت لهم بما كانوا يعملون يريد ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ يريد أرسل ربنا بالحق ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43] يريد جنة أخرى غير الذي خلقت لهم بما كانوا يعملون يريد يوحدونَ أو يقومونَ لله لفرائضه.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ يريد قرنّاهم بها ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ يريد من الملائكة وهو صاحب الصور بينهم ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44].

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)﴾

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يريد عن دين الله وطاعته ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريد يضلوا لغير الله ويعظموا ما لم يعظم الله ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 45] يريد بالثواب والعقاب جاحدون.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)﴾

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ يريد قضاء الله ونقاب من نقاب الله ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ يريد سور الجنة ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ يريد يعرفوا أهل الجنة وهم مؤمنون إلا أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من النار ومنعتهم سيئاتهم من الجنة فيقومون على سور الجنة وهم يعرفون أهل جهنم وبينهم قرابة ﴿وَنَادَوْا﴾ يريد أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فردوا فقالوا أصحاب الجنة لخزنة الجنة ما لأصحابنا على أعراف الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ قالت الملائكة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46] الدخول.

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)﴾

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 47] يريد كنا نوحدك ولا نشرك به شيئًا وكان عصياننا إياك ونحن موقنون أنه لا إله غيرك، وكان ذلك وسرنا وعلانيتنا لم ننافق ولم نتخذ من دونك وليًّا ولم نجعل لك صاحبة ولا ولدًا.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨)﴾

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ من أهل جهنم ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ

جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: 48] في الدنيا عن عبادة الله فردوا عليهم الجواب وأنتم توحدونَ ولا تشركون به شيئًا، فهذا أنتم لم تدخلوا الجنة قالوا سندخل إن شاء الله، فأقسم أهلها إنكم لا تدخلونها بهذا فغضب الله عزَّ وجلَّ للموحدين فقالَ تبارك وتعالى:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين هم أصحاب الأعراف ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ﴾ ما أنزل بهم من الرحمة ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ من عذاب النار ﴿وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 49] يريدون آمنوا من كل ما خافوا، فلما جاوزوا هؤلاء إلى الجنة طمع أهل النار الفرح بعد اليأس، وقالوا يا رب إن لنا قربات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فأذن لهم حتى يرونا ويكلمونا، فأمر الله الجنة وتزخرفت، وأمر الجحيم فزفرت، حتى نظر أهل جهنم إلى قراباتهم من أهل الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل الجحيم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم فصاروا خلقًا آخر.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ بأسمائهم وأخبروهم بقراباتهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 50] يريد الذين كفروا بالله وبما جاء به محمد ﷺ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51] يريد المستهزئين والمقسمين.

﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ نتركهم في جهنم ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ كما تركوا لقاء يومهم هذا يريد المكذبين بالبعث والجنة والنار ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51] يستهزؤون بها ويكفرون، يريد التكذيب.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ أقول: طاقتها وبما يسع قدرتها ولا يضيق عليها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: 42] مبتدأ وخبر ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا﴾ اعتراض بينهما للترغيب في اكتساب النعيم لأصحاب الجنة والسفر المقيم.

﴿وَنَزَعۡنَا﴾ أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾ وحقد وعداوة وكدورة نشأت من العداوة الخفية أو بحذف المضاف أي بسبب غل، ومبدؤها من الصفات البشرية والهيئات العنصرية والملكات الردية حتى لا يبقى بينهم إلا التوارد والتورد والتحاسب والترؤف عن أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله وجهه: «إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم فجعلنا في الآخرة إخوانًا»، حال عما في صدورهم على سرر متقابلين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ روي أن أهلَ الجنة إذا سبقوا إلى الجنة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فيشربوا من أحدهما، فنزع ما في صدورهم من غل وهو الشراب الطهور، واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم بنضرة النعيم فلم يشيبوا الشعر، ففرق الشعور ولن يشحبوا بعدَها أبدًا ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي لدخول الجنة أو لنزع الغل ومنع الغش ودفع الهش الذي هو سبب الدخول، فإنما اعترض بين الصفة والموصوف أعني الجنة وجريان الأنهار تحت ساكني أهل الجنة بهذا النوع من المانعات إشعارًا بأن هذا النوع أشد الأنواع كما ورد في الحديث: «**أن من نامَ على بغض أحد من المؤمنين ثلاثة ليال طار إيمانه من حلقه**».

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ ولن نصل إلى هذا الجزاء الجزيل والأجر الجميل لولا أن هدانا الله ووفقنا له وهيأنا لنا أسباب الهداية دونه، اللام لتأكيد النفي، وجواب لولا محذوف، أي لما اهتدينا يدل عليه ما قدمه. وقرأ بترك حرف العطف لكون مدخولها جملة فعلية مبيِّنة للأولى ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ هذا من مقولة أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانًا وإنما قالوه احتياطًا وتنجحًا بأن علموه في الدنيا بعلم اليقين صار لهم عين اليقين ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ [الأعراف: 43] أهل

الجنة إذا رأوها عن بعيد أو في الجنة ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ أن مخففة من المثقلة يعني نودوا بأن ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أو مفسرة بمعنى أي لأن المناداة بمعنى القول أي أعطيتموها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43] أي بسبب أعمالكم الصالحة الصافية عن ظلمة الرياء وكدورة الوباء، وهذه الجملة حال من الجنة والعامل فيه معنى الإشارة أو خبر، والجنة صفة المبتدأ. قال النبي ﷺ: «**ما من أحد إلا وله منزلة في الجنة ومنزلة في النار، فأما المؤمن فيرث الكافر منزله من النار، وأما الكافر فيرث المؤمن منزله من الجنة**».

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ أن يحتمل أن تكون خفيفة ومفسرة، ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من أنواع العذاب وأصناف العقاب ﴿قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي ونادى منادي أسمع الفريقين ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الوجهين المذكورين ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 44] قرأ بكسر الهمزة وفتحها ثقيلة ومخففة أما بالكسر فلكون نادى بمعنى: قالَ.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ ويردون ويمنعون طالبي الحق ويطردونهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ودينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيفًا وميلًا ويصرفون الناس عنها بكسر العين عند الاستقامة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: 45] وإنما أفرد بالذكر تنبيهًا على أن إنكارَها فقط يستحق هذا النوع من العذاب بل كل العذاب فكيف أن يجمع به سائر المنكرات.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: 46] أي الجنة والنار وأهل الجنة وأهل النار حجاب وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13].

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: 46] جمع عرف مستعار من عرف الديك اسم للمكان المرتفع ومنه عرف الفرس وغيره لكل ما هو أرفع مكان، فيكون أظهر وأعرف من غيره فيه إضمار، أي يقال لذلك الحجاب أعراف رجال من المؤمنين الموحدينَ القاصرين في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله بينهم ما يشاء، أو قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم قيلَ: هم قوم رضيَ عنهم أحد الأبوين دون الآخر، قيلَ: هم أطفال المشركين والكفار الذين كثرت خيراتهم وكبرت حسناتهم. قال البعض: هم أهل الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة وأهل النار جميعًا، ويطالعون أحوال الفريقين ويشاهدونهما ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ من أهل الجنة وأهل النار، أي علاماتهم التي أعلمهم الله بها من

بياض الوجه وسواده وإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أهل الأعراف لم يدخلوها أي الجنة والحال ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46] في دخول الجنة جعل الله ذلك الطمعَ في قلوبهم رحمة منه لهم لتوصلهم به إليهم بالآخرة.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ وانقلبت أنظارهم ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ وتوجهوا إلى جانبهم وشاهدوا حالات أهل النار في أنواع العذاب تعوذوا بالله منها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 47] وجماعة الكافرين وفرقة المشركين.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ كانوا عظماء في الدنيا كبراء بين أهل الدنيا من أهل النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ وعلامات سواد وجوههم وهم الذين كانوا في الدنيا يستحقرونَ الفقراء ويستكبرون عليهم ويستكرهونَ مجالستهم وعرفان أهل الجنة ورؤسائهم الفقراء ﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾ وما يقع ما أفاد لكم ﴿جَمْعُكُمْ﴾ كثرتكم نفرًا ومالًا ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: 48] عن الإيمان عطف على جمعكم أي ما أنفع لكم جمعكم ولا كونكم مستكبرين أو شيء يستكبرون به عن الإيمان.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء الضعفاء ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ أنتم يا أهل الثروة والجمع والجاه والمال ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾ ولا يفصل ولا يغطيهم ﴿بِرَحْمَةٍۚ﴾ قليلة ومغفرة يسيرة فضلًا عن كثرتهما ولا يدخلون الجنة أصلًا فحينئذ خاطبهم الله تعالى أو الملائكة وأمرهم بالدخول ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي أهل الجنة أو أهل الأعراف ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: 49].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا﴾ وصبوا لدينا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ الذي تشربون أنتم منها ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من نعيم الجنة ومأكلها ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 50].

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ وهو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر وغير ذلك ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ وخدعتهم ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ هذا وهو القيامة وظهور الساعة ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾ ونتركهم ونهملهم ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51] ينكرون ويمنعون والحال أن أصحاب الجنة ما كانوا جاحدين بآياتنا.

إشارة وتأويل

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي في الفطرة الأولى في النشأة العليا ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في المرتبة الأولى في الدورة الأخيرة النورية أو آمنوا في الكورة الظلية ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الدورة النورية أو آمنوا في الطور القلبي بعلم اليقين ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في مقام الصدر أو آمنوا بعين اليقين في الطور السري والفؤاد، أو في الطور الروحي، أو الخفي بالمعاينة والمشاهدة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في مقام القلب أو الصدر أو النفس المزكاة أو آمنوا في مقام التحقق بالعيان ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في مقام التخلق بحسن العيان أو آمنوا في مقام التخلق ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الأعراف: 42] في مقام النبيين ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إشارة إلى شريطة الإرشاد والتكميل بأن المرشدَ حقه ووظيفته أن يتفحص ويتجسس مزاج السالك ومزاج دماغه وكبده وأحوال قلبه، ويكلفه بقدر احتمال قوته وكميّة قدرته وكيفية حوصلته في تحمل رياضته ومجاهدته، فإن كان مزاج بدنه ودماغه حارّين يابسين وقلبه حارّ يابس سيما إذا كان معدته حارة نارية، فلا يمنعه من أكل الغذاء الحيواني وعن الترطيب وتناول الدسومات، وأن لا مانع في تجويعه وإمساكه عن الطعام، بل لا يجوز له أن يمنعه عن الأكل ويقتنع في رياضته ومجاهدته على الذكر الخفي والتوجه إلى الله وخلوته عن الناس وترغيبه إلى الطاعات وتقريبه إلى الأفكار ومراقبة الأنظار والأفكار والتجافي عن المحافل والناري ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 42] الإلٰهية، وهي التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والكلية الجمعية، والصورة الكاملة النوعية في الأدوار النورية الإلٰهية الصريحة، والأكوار الظلية الكونية الضمنية الإفرادية أو الجمعية.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: 43] أي شكّ وارتياب، قد اقتضاه الحل والحرام، ثم يترتب عليه اقتضاء الشياطين صدور الأفعال السيئة والأعمال القبيحة، ثم ظهور الأقاويل الكاذبة والافتراء والبهتان من القوى النفسانية إلى صفحات اللسان، فحينئذ يستحق بسبب نزع النحل ودفع ما يترتب عليه من الأمور المذكورة أن يدخل في الجنة التي تجري من تحتهم الأنهار الأربعة، هي صورة

تعديل هذه القوى وتبديل أفاعيلها وهي الأهرمن الذي هو باطن العقل والأغوال التي هي صورة باطن الروح، والشياطين التي هي غيب القلب، والجن الذي هو سر النفس، وهذه الأمور المذكورة هي جنود نعت الجلال الذي هو رب المولود الجني الذي هو قد تولد مع المولود الصافي الإنسي مع أم جمعية الناسوت، وإذا وافق المولود الجني المولودَ الإنسي استحق لأن يدخل جنات التجليات الأربعة، ويتشرب من الأنهار الأربعة الجارية فيها، وهي الماء واللبن والعَسَل والخمر، وكل منها صورة علم وإدراك يتبع التجلي الإلٰهي، فالخمر تتبع التجلي الذاتي، والعسل التجلي الأسمائي، واللّبن التجلي الأفعالي، والماء صورة العلم الحاصل عقيب التجلي الآثاري.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ والقائلون لهذا هم الأطوار السبعة القلبية وقواها الظاهرة والباطنة التي اعتدلت في نفوسهم، فاستحق بهذه الهداية الكاملة والعناية الفاضلة الشاملة بدخول الجنة وبشهود التجليات وبالتحقق بالعلوم والإدراكات التابعة لها ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي العلوم والإدراكات المذكورة ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ دليل واضح وبرهان صريح ساطع بأن جميع الأحوال الإنسانية بل الأعمال الإمكانية والأفعال الكيانية الكلية والجزئية إنما هي بإرادته ومشيئته وبحكمه وقضائه وبخلقه وبكمال حكمته ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ والخطاب المنشىء لآدم وحواء والخطاب الجمعي وهو ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ للأطوار السبعة، وقوله إشعار بأن حضور هذه الهداية، والإيراث مشروط بموت أم الطبيعة والنفس، وبفوت أب العقل والروح ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43] أي بسبب هذا الإيراث إنما هو بالموت الإرادي والفوت الاختياري.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ الأربع الواصلون إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ القاصرين الغير الواصلين إلى الرتبة الجمعية ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: 44] ويحتمل أن يكون المخاطب والمخاطب كل واحد من الأطوار وقواها التي قد بلغت مبلغ الكمال، فإنها قبلَ الكمال كانت من أهل النار ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ من غيب استعدادهم الذاتي ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ وبعده وطرده ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 44] الذين ضيعوا استعدادهم واختفى بسبب تصورهم في دور النشآت مقتضيات استعدادهم ومرتضيات استدعائهم واستبعادهم من

منهج العدالة ومعراج الحسّ العطر والدلالة.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعني أعيان القوى التي استنسبوها عند عدم التعديل ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ لمخالفتهم بواطن هذه القوى وهي مقتضى الجلال الضمني لظواهرهم وهي مقتضيات الجمال الصريح ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾ لكمال احتجابهم بالمقتضيات الجلالية الضمنية ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: 45] ساترون وجوه التجليات المذكورة.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: 46] أي بين مقتضيات النور والجمال وبين مرتضيات الظل والجلال حجاب حائل وبرزخ فاصل جامع لجميع المقتضيات الصريحة والضمنية، والحجاب إفرادي يقع بين الدورتين الجلالية والجمالية، وجمعي يقع بين جمعي الجلالية والجمالية، وهذا الحجاب إما هو القيامة والساعة أو سور يستتبع القيامة، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: 46] التي هي في الحقيقة إما عالم الخيال والبرزخ الحائل بين عالم الملكوت الذي ظاهره الجنة الأسمائية والذاتية، وعالم الملك الذي باطنه الظلمة والنار التي هي مقتضيات الأفعال القبيحة والأعمال القبيحة، أو سور قد أحاط الجنة كما مرت الإشارة إليه وما وراؤه هي جهنم ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100].

﴿رِجَالٌ﴾ وقد تحققوا بالحقيقة القلبية، وهي البرزخية العظمى الجامعة للمقتضيات النورية الجمالية والمرتضيات الظلية النارية، وهم بهذه الجمعية يستحقون شهود التجليات المذكورة ودخول الجنة التي تجري من تحتها الأنهار الأربعة المزبورة، وهم المرشدون الكاملون المكملون العارفون بخصائص مقتضيات هذا العالم، وما فيها من صور الأعمال ودرر الأفعال التي يتفطنونَ بها بأحوال السالكين، ويتفرسون بحالاتهم ومقاماتهم وأطوارهم الغيبية وأسرارهم الخفية ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: 46] وعلاماتهم التي ظهرت على وجوه قلوبهم ووفور أطوار غيوبهم، فمنهم من انتصب وجوههم بأنوار التجليات، واحمرت بأزهار العلوم والإدراكات التابعة لهذه المشاهدة، ومنهم من هو بالعكس.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي ماء العلوم

والإدراكات التابعة لشهود التجليات ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من شهود التجليات ووجود المشاهدات ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات ﴿حَرَّمَهُمَا﴾ في الفردارية الجمعية النورية ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 50] أي الأعيان النورية والأكوان الظلية الإفرادية الذين ما بلغوا مبلغ الكمال الجمعي الذاتي والجمع الكمالي الأسمائي والأفعالي والآثاري هذا.

تفسير

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي أعطينا أصحاب الجنة كتابًا بيناه تبيينًا على علم وإدراك فيه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بيانًا ورحمة لمن اتبعه ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52] ليصدقون.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ يريد القيامة ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوه في الدنيا ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يريد نوحد الله قال الله جل جلاله ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يريد خسروا النعيم وجازوا إلى الخزي والعذاب والجحيم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: 53] سقط عنهم ما كانوا يقولون إن مع الله إلهًا آخر.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ يا محمد ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يستر الليل النهار والظلمة النور ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ يطلب النهار الليل لا يلحقه ولا يجده ولا يجتمع معه له يوم جديد وليل جديد

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أي الإيجاد والاختراع والتكوين والإبداع ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] يقول: أنا رب العالمين.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: 55] الذين اعتدوا وجعلوا لله أندادًا وضدًّا وشريكًا وصاحبة.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يريد بعد توحيد الله والتصديق بما جاء به النبي ﷺ من الحلال والحرام والثواب والعقاب ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] يريد الموحدين الذين خلوا الارتداد ووصلوا الأرحامَ وقاموا لله بحقه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ يريد المطر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ ليس فيه نبات وهو مثل سوء ضربه الله لأهل مكة ولأهل يثربَ وقريظة والنضير يريد أنه لم يكن قبلهم مرشد ولا مؤمن ومصدق حتى بعث الله رسولًا بالهدى والنور ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من بحر يقال له عبوس خلف السماوات السبع أو يوم يمطر لهذا ليس ثَمَّ سماء وهو مثل السماوات والأرضين السبع والبحار السبع، وأضعافًا فيمطر الله منه نطف الرجال فينبت له اللحم والعظم والدم، ثم نفخ صاحب الصور ويرجع الأرواح إلى أجسادها ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ يريد بإذني ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57] كي يتعظون.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الروح الطيب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ يريد كذلك الروح الطيب إلى الجسد الطيب سهلًا طَيّبًا ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ يريد الروح الخبيثَ العاصي للّٰهِ ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ لا يرجع إلا إلى الجسد الخبيث إلا نكدًا يريد بالنكد الشدة بأشد ما يخرج ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يريد تبيين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58] يريد بنعم الله يوحدونه ويطيعون أمره.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يريد حدودَ اللّٰهِ ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ يريد الأشراف من قومه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: 60] يقولون في خسران مبين.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 61].

هذا ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّناه شرحناه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ معاينة ومشاهدة من الأحكام الدينية والأعلام اليقينية والمواعظ الحسنة والنصائح المستحسنة والحكايات النافعة والقصص الواقعة ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف: 52] في الأمور الدينية الأخروية والأحكام الشرعية والنواميس الإلٰهية الأصلية والفرعية ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52] يصدقون بالله ويدعون بما جاء من محمد والكتاب المبين فيه الأحكام من الحلال والحرام.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ وينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ وترجيعه إلى ما كان عليه في العاقبة من الوعد والوعيد، على علم حال يبين الفاعل وهدى من المفعول ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾

ومآله وماله على صورة العذاب وهيئة العقاب أو بالثواب والأجر الجزيل والجزاء الجميل على طريق الصدق والصواب ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ قَبۡلُ﴾ تركوا الكتاب وأهملوا العمل بما فيه من الفصول والأبواب، والله بما يبينه مما في الخطاب ترك الناسُ السؤال عنهم من الرسل ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ متلبسين ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ والملتصقين بالصواب والصدق ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ من جملة مقولة قولهم، يعني فإذا كان الأمر كذلك قالوا فهل لنا في هذا اليوم من شفعاء ﴿فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا على ما كنا عليه ﴿فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ جملة معطوفة على جواب الاستفهام أي هل لنا من شفعاء أو هل نرد إلى الدنيا، قرئ بالنصب عطفًا على فيشفعوا، ولأن أو بمعنى إلى أن فعل الأول المسؤول أحد الأمرين وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء، أو لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد ﴿قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ وأهلكوا بالعذاب لصرف أعمارهم في الكفر وصرف أطوارهم في الشرك واقتراف الشر والخسر والضر ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ وغاب ﴿مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأعراف: 53] فلا يشفعهم أصلًا ولا ينفعهم لا فرعًا ولا أصلًا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الأعراف: 54] أي أوقات كقوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: 16]، أو في مقدار ستة أيام، فإن اليوم المتعارف هو زمان طلوع الشمس إلى غروبها أو من زمان حلولها في دائرة نصف النهار إلى الحلول الآخرة، قالَ الآخر: ستة أيام من أيام الآخرة، كل يوم ألف سنة أو خمسين ألف سنة.

قالَ سعيد بن جبير: كان قادرًا على خلق السماوات والأرض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة أيام تعليم للعباد في التأني والتثبت والتمادي في الأمور التأني من الرحمان والعجلة من الشيطان، وإنما خصَّ الخلق بهذا العدد تنبيهًا على أن الخلق كامل ولا نقص فيه كالعدد، فإن هذا العددَ عدد كامل لا نقص فيه لتساوي كسوره الكلَّ ٦٠١٣٣٤، أو لأن عدد عقود سور الكتاب ١١٤ هوَ ٦ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ استقر. أوّله المعتزلة بالاستيلاء.

قالَ أهل الحق: الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف يجب على العاقل الفطن الإيمان به ويكل العلم إلى الله عزَّ وجلَّ، قال مالك بن أنس: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة».

أو استواء أمر والعرش هو الجسم المحيط لسائر الأجرام السماوية والأجسام الأرضية.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ ولم يذكر عكسه للعلم به أو لأن اللفظ يحملهما ولذلك قرئ: (يغشى الليلَ النهارُ) بنصب الليل ورفع النهار أي يغشى الليل بالنهار والنهار بالليل. وقرئ: (يغشى الليلُ النهارَ) برفع الليل ونصب النهار أي يدرك النهار الليل ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ سريعًا إذا تعقب إحداهما الآخرَ ويخلفه ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ النصب عطف على السماوات والأرض ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ بالنصب حال منها ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقضائه وتصريفه وقرأ برفع الكل على الابتدائية والخبرية.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] الإيجاد والتصرف على مقتضى فرداريّة الجلال ومرتضى فرداريّة الجمال إشارة إلى الحالات للقمر الذي هو مظهر مدارك الكلام ومسالك مراتب الكمال، وهي اثنان وثلاثون الـ٣٢ وهي المنازل ثمانية وعشرون وأربعة أخرى وهي الأمران المتقابلان، وهما الرأس والذنب، والأوج والحضيض، وهي بإزاء الكلمات الإلٰهية ثمانية وعشرون، هي الحروف العربية وأربعة أخرى هي معرب پ و چ و ژ و كا ف وهي منسوبة بالأوج ومقابلة والرأس ومقابلة على شكله الأحرف، تنبيه على هذه النكتة الإلٰهية والإشارة الربانية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: 5]، ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 38 - 40] الآية، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم في التفرد في الربوبية.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ تذلُّلًا واستكانةً وابتهالًا ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55] ودون الجهر من القول بالغدو والآصال.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي وإهلاك الحرث والنسل وقطع الطريق والبغي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ منه ومن عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ فيما عنده من المغفرة والثواب ومن كمال الرأفة والرحمة وحسن الخطاب وذلك لبعده عن مظان الرياء ومكان الرعاء يقع في حيز الإجابة والقبول أو خوفًا من عدله وطمعًا في إحسانه وفضله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] تذكير باعتبار المعنى لا اللفظ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم

مِّنْهُ﴾ [النساء: 8] أي من المال أي الرحم والتراحم أو شيء قريب أو على تشبيه فعيل بمعنى مفعول كما يفعل ذاك به.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ جمع بشير أي ناشرات ونشرى بفتح النون مصدر نشر بمعنى الجمع وقرأ انشروا انتصابه على المصدرية أو على الحال بمعنى مبشرات قرأ نشر بفتح النون والشين بمعنى منشورات ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ قدام نزول المطر ومرام الغيث وحصور القصر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ وحملت ورفعت الرياح من المقلة وهي الارتفاع والحمل حتى أما غاية نشرًا أو الإرسال لأن الرافع المطبق يرى ما يرفعه قليلًا ﴿سَحَابًا﴾ أي سحائب ﴿ثِقَالًا﴾ بالماء والمطر جمع سحابة سقناه من السَّوق وهو الطرد والضمير يرجع إلى السحاب حملًا على اللفظ ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لأجل إحياء بلد ميت لا حياة فيه ولسقيه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ أي بالسحاب أو بريح أو بالبلد أو بالسوق ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ كالإخراج أو إحياء البلد ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها جمعها وتطريقها بالقوى وتخليتها بالحواس ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57] لتعلموا أن من قدر على ذلك قدر على هذا التشابه، نسبتهما إلى القدرة والقدرة إليهما لكونهما ممكنين.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ والأرض المقدسة الطيبة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ بأمره وإرادته وعموم مشيئته وقدرته عبر به عبارة عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه وجلالة نجعه لوقوعه في مقابلة ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: 58] نذيرًا وقليلًا يسيرًا يعسر ومشقة وعناء يعني قليل الإنبات كليل المنفعة والإثبات ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل الإخراج والإنبات ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ونبين الدلائل والبراهين الدالة على كمال قدرته وعموم حكمته ووفور نعمته وشمول رحمته ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 58] نعمته المتتالية ومنحه المتوالية والآية المتتابعة ونعمائه المتكاثرة ويتفكرون فيها ويقرون بخصائصها ويقررون على نصائصها وهم مع كثرة انتفاعهم بها لا يشكرون لها اسمًا ولا يرفعون إليها رأسًا. قال النبي ﷺ: **«مَثَلُ ما يغشى الله من الهدى مَثَلُ الغيث الكثير أصاب أرضًا فكانَ منها طائفة طيبة فقللت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجاديب أمسكت الماء فنفع الله بها الناسَ فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي**

قيعان لا يمسكها ولا ينبت لها كلأ وذلك ما ينفقه في الدين ولم ينفقه ما يغنى الله به ومثل من لم يرفع به رأسًا ولم يقبل هدى الله».

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ نوح بن ملك متوشلخ بن أخنوخ إدريس النبي ﷺ وكان بعث الله إلى قوم وهو ابن خمسين سنة ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ فيه حركات ثلث، وإنما سمي نوحًا لكثرة نوحته ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59] إن لم تؤمنوا بالله وبما جاء فيه وهو يوم القيامة أو يوم الغرق والخرق والحرق والفرق واللام لتوطئة القسم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 60 - 61] أدعوكم إليه لأنجيكم من عذاب اليوم العظيم وشدائد العقاب العميم الجسيم.

إشارة وتأويل

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ إشارة إلى الجمعية العظمى والكلية الكبرى والإحاطة التامة العليا ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ جامع وخطاب رافع لتمام الأعيان والأكوان عن خصوصيات هوياتهم وشخصيات أنياتهم ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ في المراتب الإلهية والمناقب الكنانية ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال كوننا محتوين على تفصيل علمي حضوري وإدراك خطوري ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف: 52] إشارة إلى أن التفصيل قسمان عيني: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، وعلمي: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114]، ﴿لِّقَوْمٍ﴾ من أصحاب الجمعية الكبرى الطاوية على الأدوار الأولية والأخروية ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 52] بالذات الجامع لجميع الأسماء والصفات العلويات والسفليات المجردات والماديات من الكليات والجزئيات.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ وترجيعه وإعلامه إلى ما كانوا عليه إشارة إلى أن طور الجود دوري ودور الشهود كوري لارتباط الأعيان بعضها ببعض والانضباط به والكل بالكل الجمعي ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ وهي إرجاع الحق وترجيعه وإعادته كل واحدة من الأعيان الكلية والجزئية الإفرادية إلى الهيئة الجمعية والحضرة الكلية ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ [الأعراف: 53] في مبشرات نشأة أدوارهم عند غلبة أحكام كل واحد من الأدوار النورية والظلية الإفرادية فإن تعينات كل واحد من الأعيان النورية

يصرف القلب منه مقام الإنس ومرام النفس إلى مقام النفس والحس ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] بكليته إلى الحضرة الجمعية ﴿مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ أي التجليات الأسمائية الذاتية والأفعالية والآثارية، أو العلوم والإدراكات المتعلقة بالتجليات المتضاعفة حسب تضاعف التجليات إذ التجليات لا تتكرر بل تتكثر وتتضاعف تضاعف تجدد الأمثال ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي التضاعف ثابت بطريق الحق والصواب والصدق ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ في ذلك اليوم ﴿فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ أي يجد لنا إلى الحقيقة الجمعية جذبة رحمانية كلية، جذبة من جذبات الرحمان توازي عمل الثقلين، فإن الطريق الإلهي لا يقطع إلا بالجذبة الإلهية والعطية الرحمانية والجمرة الحبية الربانية ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الأدوار ردًّا قهريًّا ورجوعًا قهقريًّا ﴿فَنَعْمَلَ﴾ فيها ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ في تلك الأدوار ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ في نشأة تلك الأدوار ﴿وَضَلَّ﴾ وغاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: 53] لفقدان ما يقتضي الحفظ وهو الجمعية الإحاطية التي شملت الكل.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ خبر إن ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54] واعلم أن في كل دورة من الأدوار الأربعة والأكوار المربعة خلقًا وتكوينًا ودينًا وآخرةً وسماءً وأرضًا وسنةً وشهرًا ويومًا، فمقدار اليوم في الدورة العظمى النورية الجمالية الوجودية ثلثمائة وستون ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الكبرى خمسون ألف سنة، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الوسطى ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الصغرى مائة سنة ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: 112 - 113].

وأن أيام الأدوار الأربعة النورية متداخلة متدامجة وكذا الأكوار الأربعة التي باطن الأدوار متداخلة وكذا أيام الأدوار النورية متداخلة في أيام الأكوار، ألا يرى أن الدوائر المتوازية من القطب إلى القطب المرتسمة على السطح المجدب في الفلك الأعظم وكذا في السطح المقعر وكذا ما تحته كلها متداخلة متطابقة فأجزاء الدوائر الصغائر التي حولَ القطب والمركز داخلًا وخارجًا متطابقة للدوائر العظام التي هي المنقطعة وما في جنبيها جنوبًا وشمالًا لما تقرر أن فلك البروج من القطب إلى القطب ينقسم إلى اثنا عشر برجًا، وكل برج إلى ثلاثين

درجة، وكل درجة إلى ستين دقيقة، وكل دقيقة إلى ستين ثانية، وكل ثانية إلى ستين ثالثة وهكذا إلى العاشرة بل إلى غير نهاية. فأصغر المدارات العرضية من فلك البروج، والمدارات اليومية من فلك الأفلاك يساوي المدار الأعظم، وهي المنقطعة في كمية الأجزاء والحركة.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف: 54] والعرش عبارة عن الصورة الجمعية والهيئة الإجمالية الإحاطية الإلٰهية التي تكون في بداية كل دورة من الأدوار الأربعة، فإن من شأن الخالق الحكيم والفاطر العليم أن يقدر أولًا جمع المخلوقات وتمام المصنوعات في معدن علمه وموطن قضائه وحكمه في بداية كل دورة، ثم يخرجه من العلم إلى العين إلى أن يستوفي مقتضيات تلك الدورة ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر: 21]، فتمكنه واستقراره في بداية كل دورة على الصورة الجمعية والهيئة الإجمالية الإحاطية، التي هي مبدأ تفاصيل ظهور أعيان تلك الصورة الجمعية، واستقراره على إنزال العرش الإجمال في عالم الواحدية، بعدَ أن ينزلَ عن المرتبة الأحدية، إلى أن بلغ مرتبة الناسوتِ، وتمكن من تفصيل ما أجمله في المراتب الست، تدل (واو) على الواحدية (ع) فستة أيام إشعار بهذه النكتة فعلى هذا يكون كالإدراك. **العرش أربعة: العرش العظيم، والعرش المجيد، وعرش الرحمان، والعرش الكريم**، فتدبر وتبصر إلى آخره.

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ يريد أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه وأحب لكم ما أحب لنفسي ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62] يريد أن ربي غفور رحيم لمن رجع عن معارضته وأن عذابه أليم شديد لمن أصر على معارضته، والمعارضة عبارة عن مخالفة مقتضى النفس لمرتضى حضرة القدس ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصف: 8] الآية.

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣﴾

﴿أَوَ عَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ موعظة من الله ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ أوحى الله

إليه وبعثه إليكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ﴾ أو لتخافوا اللَّهَ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63] إن خفتم ورجعتم يرحمكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وكانوا ثمانينَ رجلًا ونساءً وجعلناهم خلائف ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64] عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه.

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ من الهود وهو هود بن عبد الله من عاد بن آدم بن خلة بن عابر وهو الذي يسميه العرب يعرب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ واحذروا اللَّهَ ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65] فلا يخافونَ نقمته.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ يريدون ويدعوننا إلى دين لا نعرفه ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66] كاذبًا بما جئتَ به.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ ليسَ بي من حمق ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 67] الخلائق أجمعين.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 68] يريد أنصح لكم وأنصح لله فيما أرسلني به إليكم.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد موعظة من الله ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ من سخط الله وعقابه ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ من ولد نوح وقد علمتم ما صنع الله من كذبه ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ يريد بكم أحسنكم من آبائكم الذين ولدوكم ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعم الله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69] كي تسعدون وتنقذون في الجنة.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العقاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 70] يريدون أن اللّٰه لم يرسلك.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ عذابًا وسخطًا ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي الأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ يريد العذاب ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71] يريد الذي يأتيكم من اللّٰه في تكذيبكم إياي هذا.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ أقول: إما من الإبلاغ أو التبليغ ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ أي الصحف المبشرة على الأنبياء، أما على آدم فثلاثون، وعلى شيث خمسون، وعلى إدريس ثلاثون، وعلى نوح أو ما أوحى ربي في الأزمان المتطاولة والأعراض المتداولة ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحته ونصحت له نصيحة أي إرادة الخير ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62] من أحوال الدنيا والآخرة من الثواب ونتائج العمل

الحق والصواب والقول الصدق أو نزول الغوائب وحلول المصائب ونزول النوازل وغير ذلك.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ استفهام وعطف ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي من مجيئ المواعظة وأحكام النبوة التعريفية، وأعلام الحكمة التشريعية، وأنصح لكم عطف ﴿عَلَىٰ﴾ منكر مقدر أي أنكرتم ما أنكرتم وكذبتم وعجبتم من نزول الوحي على ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ من عامتكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ وينبئكم على طريقة التخويف والإنذار نزولَ العذاب وحلول أشد العقاب ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ وتحترزوا وتتجنبوا منه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63] في الدنيا والآخرة.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ نوحًا ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ من ماء الطوفان ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ والسفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64] كفار أعميت قلوبهم وعميت صدورهم وعيونهم يقال: فلان عمي وأعمى كنبات خضر وأخضر.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ [الأعراف: 65] عطف بيان لأخاهم، عطف على قصة نوح وقصة عاد بن عوص بن تارخ بن سام بن نوح، وهو عبد الله بن نوح بن عاد ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ استأنف ولم يعطف جواب لمن قال، قال هود لهم: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وإنما وصفَ الملأَ بالكفر هنا دون ملأ نوح إذ كان منهم من آمنَ بهود دون ملأ نوح فإنه ما آمن من قومه إلا أربعونَ من الرجال وأربعونَ من النساء ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ في حمق وجهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66] في دعواك إني رسول الله.

﴿قَالَ﴾ هود ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 67 ـ 68] وإنما عدل في النصح في الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد إلى الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات لنكتة لا تخفى على الفطن.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ يا قومَ عاد ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ إهلاك ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وإغراقهم ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ أي خلق أجسامكم وإظهار أجسادكم طولًا وعرضًا وقوة غيابية

طولهم مائة ذراع وقصره ستون ذراعًا وكان رأس أحدكم كالقبة العظيمة وغنيمة يفرح فيها السباع، وكذا مناخرهم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ ونعمائه جمع إِلًى كأمعاء جمع معًى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69].

﴿قَالُوٓا۟﴾ قوم هود له ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 70].

﴿قَالَ﴾ هود لقومه ﴿قَدْ وَقَعَ﴾ ووجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ وعذاب من الارتجاس وهو الاضطراب أو من باب الإبدال أصله رجز بدل الزاء سينًا وتبديله بالماضي لتحقق وقوعه ﴿وَغَضَبٌ﴾ سخط أو إرادة انتقام ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي أصنام ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ودليل وبرهان على ما سميتموها آلهة ووضعتم الأسماء بإزائها، وليس فيها معنى الألوهية، إذ المستحق بالذات وبحسب الأسماء والصفات للعبادة إنما هو الموجد للكل ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ في نزول العذاب ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71].

إشارة وتأويل

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ﴾ إشارة إلى الشؤونات الذاتية والذوات الغيبية إنما ينزل أولًا إلى صاحب الدورة ثم يتفرع منه إلى سائر الأحيان كما أن النبوة الذاتية إنما تثبت وتتحقق أولًا للحقيقة المحمدية ثم بذريعتها يسري في سائر الأنبياء وأممها ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ وأتبين أو أوصلَ تلك الشؤونات إلى أبياتكم وقابلياتكم، ولا في المرتبة الأولى، ثم إلى المراتب الباقية إلى النهاية، والتكرار يشعر إلى تعدد الدورة ومقتضاها جمالًا وجلالًا حالًا ومآلًا ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 62] أي من أعلام الذات الكلية الجامعة لتمام الأسماء والصفات واقتضائها الأحوال الظاهرة والباطنة الكائنة من الذات بالأسماء والصفات الواردة منه عليكم في الأدوار ومقتضى الأطوار.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي كتاب يذكركم من العهود الأزلية والعقود الأولية والقيود الأصلية نازلًا ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ وتعميم رجل وتنكيره إشعار بأن كل فرد من أفراد الإنسان له قابلية للنبوة التشريعية والتعريفية، إلا أن الله تعالى

يخصصها بفرد دون فرد بمشيئته الذاتية وإرادته الأولية ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ويرشدكم على طريقة التخويف ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ أو لتحفظوا أنتم نفوسكم عن مخالفة أمر ربكم، فإن الله تبارك وتعالى خلق النفس التي هي مطيعة إبليس والشيطان مجبولة على المخالفة ليظهر كمال قدرته وعموم حكمته ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63] بالرحمة الامتنانية.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ على مقتضاه الجبلية ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ لإظهار كمال القدرة ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ من القوى الطبيعية والمبادىء الجسمانية والنفسانية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64] على مقتضى أصل استعدادهم الذاتي واستدعائهم الأولي الذي اقتضاه الله وأفاضه يقتضيه الأقدس وهو التجلي الذاتي.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65] إشارة إلى الأدوار الأربعة التي هي فروع الدورة الثانية فإن كل دورة من الأدوار الأربعة الأصلية يتفرع على أربعة أدوار ولكل دورة اقتضاء غير اقتضاء الأخرى وصاحب من الأعيان الكاملة وصاحب هذه الدورة هو هود عليه السلام.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: 66] وإنما قال في نوح ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ وفي هود ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ إشعارًا بأن الأعيان التي في الدورة الأولى لقرب العهد أبعد من الحق إن غاية البعد توجب نهاية القرب وبالعكس، لما تقرر من أن كلما جاوز حده انعكس ضده، وأن طور الوجود دوري وظهوره كوري، وفي الحركة الدورية إن كلما كانَ أقرب إلى المبدأ فهو أبعد منه، وكلما هو وصل إلى غاية البعد فهو يتقرب إلى المبدأ شيئًا فشيئًا إلى أن ينطبق عليها ويتحد بها، والباقي إلى آخر العشر ظاهر فتدبر.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ يريد الذين آمنوا بالله وصدقوا نبيَّهُ ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يريد استأصلهم الله ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 72] مصدقين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ﴾ وصالح بن عبد بن حافر بن عبيد بن ثمود بن الخلد بن عامر ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعذاب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 73] مؤلم وموجع وقد كانوا سألوا صالحًا أن يخرج لهم من هذا الجبل الذي هم فيه ناقة حمراء عشراء، أي الحامل تضع فصيلًا، ثم يعدو إلى هذا الماء فيشربه، ثم يعدو عليه بمثله لبنًا سائغًا عذبًا طيبًا، فأجاب الله صالحًا بما سألوا، وذلك قوله جل جلاله في سورة القمر: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ يريد ضلالة ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْۖ﴾ للناقة يوم ولهم يوم ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: 27 - 28] فكانوا يبقون من الماء ما يكفيهم لمؤنهم وتغدو الناقة لسببهم لبنًا طيبًا عذبًا.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أنزلكم في الأرض ﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ يبنونَ القصورَ بكل موضع وينحتونَ ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ﴾ [الأعراف: 74] يريد بيوتًا سقوفها منها يسكنون فيها الشتاء ويصيِّفون في القصور مثل قوله في الشعراء: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ يريد بكل موضع من السهل ﴿ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ في الجبال ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ يريد الضرب بالسياط ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: 128 - 131]، ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نِعَم الله ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تسيروا في الأرض بالفساد والمعاصي لله والشرك به، ومَثَلَ في سورة النمل [45]: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ

إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ يخاصم المؤمنون الكافرين.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن عبادة الله ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ [الأعراف: 75] المساكين والذين يذكرون اللّهَ مثل ما قال في سورة الشعراء [111]: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾، ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بالله وصدّقوا بصالح ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: 76].

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وقد عقروا الناقة عتوًّا وكذبوا بما جاء به صالح ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 77] إن كان الله أرسلك فكذبوه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78] خامدين ميّتين.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ وأعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79] يريد خوفكم من الله ومن عقابه ومكر الله حتى جاءهم العذاب بغتة وهو ثلاث، وهو قول: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: 65].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 80] وذلك أنه لم يفعل فعلهم خلق قط قبلهم، وكان لهم ثمار بالشام وقرأ لم يكن في الأرض أكثر منها خيرًا، وكانت الشام لا تزال تتلألأ بالجذب وهم يخضبون حتى مال الناس، فعرض إبليس في صورة رجل منهم فقال: لو فعلتم بهم لانتهوا عنكم، فقالوا له ويحك الله، وهذا أكبر حتى كبر إلحاح الناس على ثمارهم فأصابوا غلمانًا صباحًا، وقالَ بعضهم لبعضهم: إن كنتم فاعلينَ شيئًا كما قالَ لكم فلان فاليوم في هؤلاء ففعلوا حتى استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١﴾

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81] على أنفسهم في معاصي الله يريد جمعهم مع الشرك معصيةً لم يفعلها قبلهم.

هذا ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أقول: هودًا عند نزول العذاب والنوائب وسخط الله وشدة العذاب ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾ أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 72] وقصة قوم عاد أنهم كانوا ينزلون اليمن مساكنهم المسماة باجفات، وهي رمال بين حضرموت وعمانَ وكانوا يعبدونَ الأصنام فبعث الله إليهم هودًا فكذبوه وقالوا من أشد منا قوةً فإنهم كانوا يبنونَ المصانع وبطشوا بطشة الجبارين فأمسك الله عنهم المطرَ ثلاث سنين حتى جهدوا، وكانَ الناس في ذلك الزمان إذا أصابهم بلاء استدفعوا به عند بيته الحرام بمكة، وكانوا يعظمونَ البيتَ وأهله وهم من العماليق، فإن أباهم كان عمليق بن لاود بن سام بن نوح فبعثوا جماعة من أشرافهم إلى مكة ليدعوا دفع ذلك البلاء فلما وصلوا إلى مكة وكان بين أهلها وبين قوم عاد صداقة فعظموهم

وضيفوهم بشرب الخمر، واشتغلوا بالعيش والتنعم وقاموا بينهم فاشتد البلاء وامتد الضيق والعناء بينهم، فبعثوا جماعةً أخرى وكان رأسهم ورائسهم مرثد بن سعد، وقد كان مؤمنًا بهود سرًّا فاستسقوا وابتهلوا إلى الله وتضرعوا ودعوا للَّه واستمطروا: يا إلٰهنا إن كانَ هود نبيًّا صادقًا فاسقنا وأمطرنا، فإن قومَ عاد قد أهلكوا. فأنشأ الله سحابًا ثلاثًا: بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداهم مناد: يا رهط عادٍ اختاروا لنفوسكم ولقومكم ما شئتم، قالوا: اخترنا السحابة السوداء فإنها كثيرة المطر. فنادى منادي: اخترتم رمادًا رمدًا لا يبقي من أهل عاد أحدًا. فلما ساق الله السحابة السوداء التي اختاروها حتى خرجت عليهم بوادٍ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [فصلت: 24]، وكان أول من رآها فيها من إنها ريح مهلكة امرأة يقال لها مهدد فصعقت فلما أفاقت قالوا لها: ما رأيتِ؟ قالت: رأيت ريحًا كشهب النار أمامَها ووراءها رجالٌ يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ ثمود بن عامر بن أرم بن سام بن نوح وصالح بن عبيد بن آصف بن عبيد بن عاد بن ثمود ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ على صدق في هذه الآية ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أضافها إلى الله للتعظيم ﴿لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ حال من الخبر وعاملها معنى الإشارة أو التنبيه ﴿فَذَرُوهَا﴾ اتركوها ﴿تَأْكُلْ﴾ العشب ﴿فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بقصد هلاكها والتعمد بعقرها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 73].

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ مكَّنكم وثبتكم وأسكنكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي من أهونها، وإليها يجعلون لَبِنًا وآجرًّا ويصفونَ منها قصورًا ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ وتنقبونَ فيها بيوتًا، ففي الصيف يسكنون البيوت الطينية وفي الشتاء في بيوت ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ قيلَ: صنعوا البيوت في الجبال لعدم بقاء بيوت الطين، وأعمارهم طويلة ما كانوا يبيتون في مدة بقاء بيوتهم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ من العيث وهو أشد الفساد والإفساد ﴿مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تفسدوا ولا تفتنوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 74] حال كونكم مفسدين يعني لا تقصدوا في الأرض الفسادَ والفتنة والإفسادَ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن الإيمان بصالح ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟

لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ﴾ الضعفاء ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ وبعث صالح بالناقة ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 75].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: 76] جاحِدون منكرونَ.

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ وتخوفنا من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 77].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ زلزلة الأرض وحركتها، فأهلكوا بالصيحة السماوية التي زلزلت الأرض وحركتها ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ وصاروا ﴿فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78] خامدين ميتين وخروا على وجوههم وسقطوا على مناخرهم ووجوههم.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 79] لأنهم يدعونكم إلى الخير والصلاح وأنتم لبغيكم لا تذرونَ الخير والصلاحَ ولا تميلون إلى الصلاح والخير والفلاح والهدى والنجاحِ، فخطاب صالح إياهم حال كونهم جاثمين كخطاب الرسول قتلى كفار قريش في غزوة بدر فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: 44]، فقالَ عمر رضي الله عنه: يا رسول الله أتكلم أجسادًا لا أرواحَ لهَا؟ فقالَ رسول الله ﷺ: «**ما أنتم بأسمع لها منهم**» وذلك لأن قوة سماع الأنبياء ليست كقوة سائر الخلق، أو لأن أحوال البشر متفاوتة بحسب الأوقات ووجدان شروطه وفقدان أسبابه، ألا ترى أن عمر قد رأى جبرائيل حتى أتى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ولم يره غيره في هذا المجلس، أو لأن في الآية تقديمًا وتأخيرًا.

وأما قصة ثمود على رأي أهل التفسير: أنها لما أهلكت قوم عاد، وعمَّر قوم ثمود الأرضَ، واستخلفوا واستبدلوا الأصنامَ، واستبعدوا عن الحق، فبعث الله صالحًا إليهم، وكان من أوسطهم نسبًا وأفضلهم حسبًا، شابًّا صحيح الفكر صريح الرأي فصيح النطق والذكر، فدعاهم إلى الله وعبادته ونهاهم عن عبادة الأوثان حتى بلغ مقام الشيخوخة، وما تبعه إلا جماعة من الأراذل والضعفاء، وما تبعه من الأشراف إلا شرذمة قليلة، فقال أشرافهم: يا صالح ائتنا بآية من

ربَّك، فقال لهم: أية آية تريدون قالوا: اخرج غدًا إلى عيدنا، فخرجوا بأصنامهم وقالوا له: ادع إلٰهك وندعوا آلهتنا، فإن استجابَ لكَ اتبعناكَ، فإن استجاب لنا فاتبعناهُ، قالَ صالح: نعم فقالوا له: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تأكل وتشرب ما شاءت ليلًا ونهارًا، فأخذ صالح عليهم العهد بالإيمان به والتصديق بنبوته فقبلوا منه، فصلى صالح ركعتين، فدعا ربه فخرجت ناقة بولدها فقالَ لهم: هذه ناقة الله لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم. وكانت الناقة وولدها ترعيان الشجر وتشربان الماء، وإذا كان يومها وضعت رأسَها في البئر ولم ترفعه حتى تشرب كل ما كانَ فيه، فيحلبونها ويملئونَ أوانيهم فيشربون ويدخرونَ، فشق ذلك على أشرافهم الذين لا يشربون من ذلك اللبن فقصدوا عقرها وقسموا لحمها، وقال صالح: دعوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فما قبلوا ذلك منه فقتلوها فقالَ صالح لهم: تصبحون أنتم غدًا ووجوهكم مصفرة وبعد غد محمرة، واليوم الثالث مسودة ثم يصبحنكم العذاب، فلما رأوا ذلك عمدوا أن يقتلوه فأنجاه الله مع المؤمنين إلى أرض فلسطين. ولما كانَ اليوم الرابع وارتفعت الشمس إلى الضحى أتتهم الصيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا.

﴿وَلُوطًا﴾ أي أرسلنا لوطًا وهو ابن هاني بن تارخ ابن أخي إبراهيم عليه السلام اذكر لوطًا وقصته إذ قالَ لقومه: أهل سدوم وذلك أن لوطًا شخص خرج من بابل مع عمه إبراهيم مؤمنًا به مهاجرًا معه إلى الشام فنزل إبراهيم فلسطين ونزل لوطًا الأردن، فأرسلَ الله عزَّ وجلَّ إلى أهل سدوم وهم يأتونَ الدبر ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أي إتيان الذكران ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 80] أي ما فعل قبلكم بهذا الفعل أحد من أهل العالم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: 81] المجاوزونَ عن حد الحلال إلى حد الحرام.

إشارة وتأويل

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من طوفان الريح الروحي والهواء العقلي المنبسط عن أعيان القوة العاقلة، وهي العلوم والإدراكات المتعلقة بالمجردات والروحانيات ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ أي جذبة كاملة من جمعية ذاتنا وأسمائنا وصفاتنا بكشف الحجب النورية والنعوت الروحانية هادية إلى الكمالات الذاتية والأسمائية

النورية الجمالية والظلية الجلالية، وإلى كمال جمعيتهما ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 72] وتجليات جمعية ذاتنا وأسمائنا وصفاتنا في الأدوار والأكوار الإفرادية لانتفاء العلة المقتضية فيها، وهي الجذبة الجامعة للأطوار الإلٰهية والأنوار الربوبية والأسرار الغيبية، جذبة من جذبات الرحمٰن توازي عملَ الثقلين، أي عمل الأعيان والأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية الأربعة التي قد ذكرها الله تعالى في هذا العشر وما قبله، حديث الأدوار الأربعة النورية الإفرادية الصريحة وهي الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى وأصحابها وأربابها وهم: نوح وهود وصالح ولوط، وإن الأدوار كلما كانت إلى المبدأ أقربَ يكون اقتضائها أعظم ومدته أطولَ وأعظم، وأجساد أعيان الدورة أعظم وأعمارهم أطولَ، كما تقرر أن الدوائرَ كلما كانت إلى المحيط أقربَ يكون أعظم مما يلي المركز وإن اقتضاءها وأعيان مظاهرها، ومدة بقائها ومدة أعمار أعيانها تكون أطولَ، كما اشتهر أن أعيانَ الدورة العظمى وهي آدم ونوح أعظم مما في الدورة الآتية الكبرى والوسطى والصغرى، هذا في الظاهر والصورة، وأما في المعنى والكمالات المعنوية تكون بالعكس.

وأما من كانَ في المرتبة الأدنى أقربَ وأدنى من المركز، فهو يكونُ أعظم في المعنى وإن كان أصغر في الصورة، كالإنسان الصغير الذي هو مركز الدائرة الوجودية ومدار السائرة الشهودية، لكونه مقصدًا أو مقصودًا لجميع الأعيان الكنانية والأكوان العنانية الجسمانية والروحانية الإلٰهية والربانية، واعلم أن كل ما ظهر ويظهر ويشتهر في دورة من الأدوار فهو من آثار القرانات والانتقالات من فرداريّة دورة إلى دورة أخرى كلية أو جزئية بعضها خفية وبعضها جلية، وذلك كالطوفان والصيحة والرجفة والزلزلة، وباقي ما في هذا العشر إلى آخره ظاهر يتضح بأدنى تأمل في التأويلات السابقة.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾ ليسَ في القرآن أخرجوهم غيرها ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82] على النكاحِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: 83] من الباقين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ حجارة من السماء ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 84] عاقبة ما صنع ممن عصى الله، مثل قولهم في سورة النجم والمؤتفكة أهوى والكذبة أهوى، أمر الله أن يرفع جبرائيل بمدائنهم، وهي سميت باسم ولد إبراهيم، وهي مَدْيَن حتى بلغ بها إلى السماء بجناح واحد حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصراخ الديوك، لم ينكفئ لهم جرّة ولا ينكسر لهم إناء، وغشاها بالجناح الآخر بالحجارة، فبأي آلاء ربك تتمارى، وبأي نعم ربك تتمارى يا محمد، يريد: تكذب، مثل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمان: 13]. هذه من دبر الأولى، هذا من خبر من مضى قبلكَ من الأنبياء.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾ بن لومة بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمٰن ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟﴾ ووحدوا ﴿ٱللَّهَ﴾ [الأعراف: 85] واعبدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ﴾ [الأعراف: 85] بعدما وحد الله فيها مثل قوله في حم عسق: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ يريد ما وحد يريد لا إلٰه إلا الله ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ يريد باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: 16] يريد فظيعًا ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85] مصدقين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ ولا تركنوا على معصية نهيتهم عنها وأوعدتهم عليها بالنار ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ يريدون يعادونَ من أطاعَ اللّهَ وصدق نبيَّه ﷺ ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ يريد يغيرونَ دينَ الله ﴿وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ﴾ [الأعراف: 86] بعدَ القلة وأعزكم بعد الذلة مثل قوله: ﴿وَاذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: 27] وعظمكم إلى المدينة، إلى الأنصار ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86] جزاء من عمل بخلاف ما أمر الله وأفسد في الأرض.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا﴾ صدقوا ﴿بِالَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ لم يصدقوا ﴿فَاصْبِرُوا﴾ يا معشر المكذبين ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87] حتى يقضي الله بيننا وهو أعدل من يقضي بين ملته.

﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن عبادة الله ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ الذين صدقوه ووحدوه ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ إلى ديننا ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: 88] من بلدتنا.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ في دينكم وإلى قريتكم ﴿بَعْدَ إِذْ

﴿نَجَّنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ يجاوزكم وقد افتريتم على الله كذبًا ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ إلا أن يأتيني وحي من ربي أو يؤمنوا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ يعلم ما يكون قبلَ أن يكون ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا﴾ اقض بيننا وبين قومنا ﴿بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ﴾ من قضى بين خلقه بالحق ﴿ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89] أفضل القاضين.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠﴾

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 90] إنكم لمهلكونَ قالَ الله عزوجل.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩١﴾

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ زلزلت ورجف بهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: 91].

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٢﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ هلكوا واستؤصلوا ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾ [الأعراف: 92] لم يعيشوا أو لم ينتقموا في الدنيا.

إشارة وتأويل

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: 80] إشارة إلى صاحب الدورة الإدبارية.

واعلم أن كل دورة من الأدوار الأربعة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى يتضمن دورتين جمالية نورية وجلالية ظلية، فإن كانت أحدهما صريحة إقبالية تكون الأخرى ضمنية إدبارية على عكس الأولى، لأن كل دورة إن استكملت في نشأتها في تمام مسالك أدوارها إلى أن انتهت على النظم الطبيعي إلى المركز الحقيقي وهو نهاية البُعد وغاية الخلاف والتقابل، فحينئذ يرجع ويعرج ويقبل ما كانَ عليه في الفطرة الأولى، وهي الجمعية العظمى، وإن انتهت إلى المركز الخارج عن المركز الحقيقي، وهو مركز عالم الدورة النورية

الجمالية، وَالمركز الخارج من مركز الدورة الظلية الجلالية الضمنية، فمن كان مقتضى الدورة الظلية الجلالية غالبًا عليه نزل على المركز الخارج أولًا، ثم يدير من المركز الخارج إلى المركز الحقيقي وهو الإسلام كما أشارَ إليه النبي ﷺ: **«كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه»**.

وأيضًا أن حركة الأعيان الثابتة إما على طريقة المحبة الذاتية، أو على طريقة العقل، أما الأول فهي طريقة الأنبياء والأولياء الكاملين المجذوبين، فإنهم ينزلون على المركز الحقيقي، أولئك من يصعد إلى المحيط كما هو طريقة خليل الرحمٰن عليه السلام وغير ذلك من الأنبياء والأولياء المجذوبين، وأما الذين على طريقة العقل فهم الأولياء السالكون أولًا، والأنبياء الذين آمنوا بنبي آخر، ومنهم لوط فإنهم نزلوا على طريقة العقل الذي له إقبال وإدبار كما أشار إليه النبي ﷺ: **«أول ما خلق الله العقل وقال له: أقبل فأقبلَ وأدبر فأدبر»** الحديث، وكذا أدبر قوم لوط وكذا أدبر منه امرأته وظهر الإدبار بين قوم لوط وكذا السير إلى الله ومن الله له إقبال وإدبار والسير إلى الله، فإن إقباله هو الإدبار وبالعكس، كالحركة من المركز وإلى المركز، فإن لها إقبالًا وإدبارًا، وأما الحركة على المركز فإقباله عين الأدبار وبالعكس، هذا ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أقول: في دعواه عليهم بإتيان الفاحشة ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ بعضهم لبعض ﴿أَخۡرِجُوهُم﴾ لوطًا وأمته وأتباعه وقومه وأشياعه ﴿مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82] ويدّعونَ الطهارة والنظافة لنفوسهم ويجتنبون عن الأدبار.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: 83] من الذين بقوا في ديارهم فما خرجوا منها كيف والتذكير للتغليب فهلكوا.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾ أي أنزلنا عليهم شيئًا عجيبًا مثل المطر حجارة من سجيل وطين متحجر قيل هو حجر الكبريت والنار ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: 84].

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ﴾ أي أرسلنا إلى أولاد مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام وهم أصحاب الأيكة أخاهم شعيبًا في النسب لا في الدين وهو ابن مكثل بن يشجر بن مدين وقيلَ مدين نوبة بن مدين بن إبراهيم، وأم مكتل بنت لوط، وشعيب كان في الظاهر أعمى يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وهم

كفا، يحسن المكيال والميزان ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾ من القوة الفكرية ولوح الوحي والكشف والمعاينة والشهود، وقد ظهر آثار الأنوار لهما وأحكام آثارهما في الطور الروحي الموسوي ﴿مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ﴾ أي العدالة في القوة النظرية ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ أي القسط في طور الكشف والمشاهدة والعيان والمعاينة ولا تجاوزوا العدالة في طور الرياضة والمجاهدة ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ أي القوة البدنية والمبادىء الجسمانية والروحانية ومقتضاها ومرتضيات أعمالها في طريقة الاستنتاج ووظيفة العروج والمعراج، ذلك أي العدل والقسط في كل شيء ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85] بطريق الوحي والكشف والنظر والفكر.

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ﴾ ولا تتقلدوا بأي سبب وسياط ﴿تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: 86] ويعتدون وتتعادونَ إلى ما يوصل إلى الجمعية الإلٰهية والكونية والهيئة الإحاطية ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو ما يوصل إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ وعمد إلى التحقق به ﴿وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾ أي الذين يدعون الإرشادَ والتكميل، وليسَ فيهم شرائط الإرشاد والتكميل وهي القسط والتعديل والتحقق بإمكان الفقر وهي فاء الكشف وقاف الحقائق وراء الأطوار السبعة القلبية ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ في بداية السلوك في مفتتح الكشف الأدوار والأكوار ﴿فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ وقواكم ونصركم ووفقكم لاكتساب الذاتية والأسمائية والأفعالية ولكثرة التجارب في الإرشاد والتكميل ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86] الناقصين في طريق الإرشاد فهلكوا وأهلكوا.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ﴾ أي من الأطوار السافلة والعالية الصريحة النورية الجمالية الوجودية والضمنية الظلية العدمية الجلالية ﴿ءَامَنُواْ﴾ وأذعنوا ﴿بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ أي بالتجليات الصورية وأربابها أي بصورة الإنسان الكامل الذي يتضمن جميع الأعيان الإلٰهية وهي الروح الإلٰهي والكونية، وهي البدن الذي خمره بيده أربعين صباحًا وسَوَّاه ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: 72] لأنهم شاهدوا الروح الإلٰهي والصبغ الجمعي الربّاني ﴿وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ لأنهم ما شاهدوا السر الإلٰهي والكمالَ الجمعي ﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾ على الأمر الإلٰهي والجمع حكم الرباني ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ﴾ في المحشر

الأعظم بإسقاط القيود وألفاظ الحدود وعظم السدودَ ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعرَاف: 87] في الأدوار والأكوار الكيانية.

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ أي الصدر الذي هو أحد وجهي القلب الذي يلي النفس ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ وهم القوى النفسية المحركة والمدركة الظاهرة وهي الحواس التابعة للقلب في الأحكام الغيبية والأعلام الرّبية ﴿مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعرَاف: 88] كما كانوا قبل ذلك تابعين للنفس. ولنكتف بهذا القدر من التأويل في هذا المقام لمن له ذوق صحيح وشوق صريح.

تفسير

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: 92] يريد خسروا نعيم الدنيا وثواب الآخرة.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ كيف أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعرَاف: 93] كفروا بالله، وأهلها كذبوا برسله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ [الأعرَاف: 94] في مدينة من قرية والقُرَى في كتاب الله كلمة هي المدائن ولم يبعث الله نبيًّا من الأنبياء ببادية مثل قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: 109] من أهل المدائن ﴿مِّن نَّبِىٍّ﴾ قبلك يا محمد ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الفقر والأسقام ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعرَاف: 94] يستكينوا ويرجعوا إلى محبتي، مثل قوله تعالى في سورة (قد أفلح): ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: 76].

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ البؤسَ والمرض والغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ

عفواْ﴾ حتى كبروا وسمنوا وكثرت أموالهم ﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف: 95] المرض والفقر والنعيم فالسراء في هذا الموضع هو النعيم كما قال في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد نعيمَ الدنيا من السماء والأرض ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسين ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 44 - 45]. قال رسول الله ﷺ: «**استؤصل القوم ورب الكعبة**»، ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: 95] بنزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ باللَّهِ وصدقوا بأنبيائنا وخافوا الوعيد ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الأمطار والخصب وكثرة المواشي والأنعام ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96] يريد مدائن اليمن وقصور الروم وبيت سام وبيت رحال ومدائن كثيرة معروفة.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أيريد أهل مكة وما حولها ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: 97].

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 98] يريد الأهواز.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ يريد قدرة الله وسلطانه الجبار الذي لا يرام ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99] خسر الدنيا والآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ يريد أو لم يبين ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ

﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ يريد أخذناهم بذنوبهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100] يريد يسمع الهدى ولا يقربهم إليه يريد وقد فعلت.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يا محمد ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ [الأعراف: 101] من أخبارها يقرأ النبي ﷺ وما صنعوا بأنبيائهم وما صنعت بهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ الأنبياء الذين أرسلتهم إلى قومهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ما فيها من الثواب والعقاب ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ ليصدقوا ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 101] الخذلان والرأي والتمادي في معاصي الله عما يقولون في سورة يونس ثم بعثنا من بعده رسلًا إلى قومهم فجاءهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا، كذلك يطبع الله ويختم على قلوب المؤمنين اعتدلوا وكفروا وكذبوا أنبياءهم بطبع قضاء من قضائه.

هذا: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ [الأعراف: 92] أقول: لم يقيموا فيها ولم ينزلوا لديها من قولهم غنيت بالمكان، وفيها إذا قام فيها ونزلَ به الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين، وهما جملتان اسميتان دالتان على كمال ثباتهم في التكذيب ووفور تمرنهم فيه وتمكنهم في الخسارة، وفي تثبيتهم على الجنسان على إنكار الإيمان والتصديق به.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ وأعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ وحزن وتأسف ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 93] ساترين للحق وبكل ما جاء منه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ وبلدة ﴿مِّن نَّبِىٍّ﴾ صاحب دعوة وهداية ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ دعوتها إياهم وتكذيبهم إياه بالبأساء ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي الفقر والجذب والمرض وسوء الحال ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: 94] أصله يتضرعونَ فأدغمت التاءَ في الضاد يتذللون بحط الكبر واردها وحطّ العزّة وألونتها ثم بعد ظهور التذلل وحصور الخضوع ورفع التطاول والتطول.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ وحصول البأس ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ الغناء والأمن والسعة في الرزق والصحة في البدن بالثاني والرفق ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ وكثروا مالًا ورزقًا وتكثروا عزًّا وجاهًا وثروةً ورفعةً من قولهم: عفت اللحية إذا طالت وكثرت ﴿وَّقَالُوا۟﴾ لعزتهم وكمال غفلتهم بعدَ الانتقالِ من الشدة إلى الراحة ومن البأس واليأس إلى النعمة والرياسة والترأس ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ من غير ملاحظة فاعلٍ ومدبر لها ومقدر لوجودِها، ولذا أسندوا الفعلَ إليها دونَ فاعلها ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأةً ودفعة واحدة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: 95] بنزول العذاب لكمال غفلتهم ووفور ذهولهم وجهلهم وضلالتهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ وحفظوا نفوسهم عن مخالفة أمر ربهم وانتهوا ببشر أبشرهم وحذافير مبادىء علومهم وإدراكاتهم ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ وأنزلنا إليهم ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الخيرات والحسنات من جميع الوجوه أو الأمطار الممتزجة بالقوى الأرضية فظهر أولًا المعدن بأختامها السبعة ثم النبات بأنواعها وأصنافها ثم الحيوان بكثرتها الغير المتناهية فرفعنا عنهم القحط والجذب، وأصل البركة هو الرفعة من برك بروكًا إذا ارتفع، ومنه البركة إذا اجتمع فيها وارتفع ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ بآيات الله وبكمال قدرته وعموم قوته وحكمته ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96] من سوء الحال وبؤس الخصال.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الذين أساؤوا عملهم وقبح فعالهم ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ليلًا ﴿وَهُمْ﴾ أهل مكة في كمال الغفلة ﴿نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف: 97] أو القرى المعهودة المذكورة بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 98] ساهونَ في الضلالة لاهونَ، وفي المعروف والصلاح والهداية والفلاح ناهونَ.

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ واستدراجه واستخداعه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99] الهمزة للإنكار وقد دخلت على الحروف العاطفة التي أولاها وهي الواو عطف على قولهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ [الأعراف: 95] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96] وقع اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: 100] والفاء للتعاقب والواو للجمع بين لامتين ﴿مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ أي ويخلفون من خلا قبلهم ويتملكونَ

ديارهم تملك الأرض وإنما عدى بهدى باللّام لأنه بمعنى يتبين لأن الهدى إذا استعملَ باللّام يكونُ بمعنى البيان، وبإلى بمعنى الدلالة فاعله ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ من قرأ بالنون جعل ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ مفعولًا له يعني لم يبين للّذين يرثونَ الأرضَ إن شأننا وأمرَنا هو أنه لو نشاء أي لو وقع المشيئة والإرادة منا بإهلاكهم ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا وأهلكنا من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطف على ما دل عليه أو لم يهد يعني يقبلون عن الهداية أو منقطعون عنها لأن نطبع على قلوبهم طبعًا مستمرًا، ولا يجوز عطفه على أصبنا على أنه بمعنى قطعنا، لأنه في حكم جواب لو لإفضائه إلى نفي الطمع عنهم ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100] سماع تفهم واعتبار وإصغاء تفقه واستبعاد.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ المعهودة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أو تلك الأمور هي القرى المعهودة فعلى هذا التقدير الجملة الفعلية حال من الخير ومن التبعيض ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الظاهرة والمعجزات الباهرةِ ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ لدى ظهورها منهم لهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي بما كذبوه من قبل الرسل فقط بل كانوا ليؤمنوا من عمرهم بما كذبوا به أولًا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم دعوتهم قط على تطاول الزمان بالآيات الباهرة المتتابعة والمعجزات الشاهرة المتتالية، واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان، ولم للعرف إما وقت لانكفائهم على الكفر والطبع على قلوبهم، كذلك أي كما طبع الله على قلوب الأمم الخالية التي أهلكناهم ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 101].

إشارة وتأويل

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: 92] له إشارة إلى تعدد النشآت الجمعية الإلٰهية والكونية النورية الجمالية الوجودية، وإلى الظلية الجلالية العدمية الإفرادية وإلى جمعيتهما الجمعية، وإلى تنوعهما أصالة وتبعًا واستقلالًا وفرعًا، وإلى أن أطوارَ أعيان كل دورة جمعية تغاير أطوار أعيان دون جمعية أخرى، وإلا لزم التكرار والعبث، وإلى أن لكل واحد من هاتين الحالتين ائتلاف واختلاف، فباعتبار الائتلاف يطلب أحدهما الأخرى، وباعتبار الاختلاف يهرب ويعرض لتباين العلمين.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ وأعرض شعيب الجمعية من حيث الوصف ﴿عَنْهُمْ﴾ من الأعيان الإفرادية ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ وتجليات ذاته بأسمائه وصفاته ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 93] إشارة إلى أن في كل عين من الأعيان وآية، حصة من الوجود في الأكوان باعتبار إنها قائمة بالوجود المطلق الذي هو منبع كل الكمال ومجمع الأوصاف في أعيان النور والجمال، وأكوان الظل والجلال، إن نعتَ الجمعية ثابت في كل عين، له استعداد الاتصاف بتمام الكمالات وعموم الأوصاف، وإن لذلك الاتصاف شروطًا وأسبابًا من الأوضاع الفلكية والقرانات الكلية من الأرباع والأسداس والأسباع وغير ذلك، فإذا حصلت تلك الشروط والأسباب وظهرت تلك الكمالات الجمعية وحالات الصورة النوعية في تلك الجمعية والعين صريحًا وضمنًا، وكانت تلك الحصة مؤمنًا وإن لم تحصل تلك الجمعية في دورة واحدة إلا أنها في الدورة الثالثة من الأدوار الجمالية النورية يحصل كون في تلك الدورة كافرًا، وفي الدورة الآتية يصير مؤمنًا، وإن لم يكن في الدورة الثانية مؤمنًا يسمى منافقًا، وللنفاق عرض عريض إذ الإيمان والكفر ضدان طرفان فلا يحققان في محل واحدٍ، إلا في مقام تعانقت الأطراف فيه وارتفع التميز بينهما، فبينهما امتداد مديد واقتصاد عتيد، فتحنا عليهم بركات من السماءِ، أي تجليات ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية أما على التعاقب والترادف أو على الجمعية والتعانق في مقام الجمعية الكاملة والباقي ظاهر لا يحتاج إلى البيان.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: 102] يريد الوفاءَ بالعهد الذي عاهدهم وهم في صلب آدم حيث قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ فأقروا له بالربوبية، وأشهد ملائكته عليهم قالت الملائكة: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يريد صغارًا ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: 172 - 173]، ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102] يريد عاصين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ أي الأشراف الذين كانوا معه ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ﴾ يريد بالعصى وكَذَّبوا بها وبالتسع الآيات ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103] جزاء المفسدين العاصين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 104] ليس في القرآن من رب العالمين غيرها.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ يريد أن لا إلهَ غيره ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالعصى والآيات كلها ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 105].

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ ببينة ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 106]، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107]، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: 108] يريد نورًا ساطعًا يضيء ما بين السماء والأرض.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 109] يريد التكذيب بما جاء من عند الله.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ﴾ من ملككم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: 110] يسيرون به.

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ يريد أرجه أمره وأمر أخيه ولا تعجل ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111] يريد في مدائن صعيد مصر.

﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾

﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [الأعراف: 112] يريد كانَ رؤساء السحرة من مدائن الصعيد وكانَ بها أخوان، فلما جاءهم رسول فرعون قالوا لأمهم: دلِّينا على قبر أبينا، فذهبت بهما على قبر أبيهما فصاحا به باسمه وأجابهما بشيء من القبر فقالا له: إن الملك وجه إلينا أن نقدم عليه لأنه أتاه رجلان ليس معهما سلاحٌ ولا رجال عزّ ومنعة قد ضاق من منعتهما ومن غيرهما إلا أن معهما عصى إذا ألقى أحدهما لم يرمها لأحد إلا تبلع الحديد والحجارة والخشب فأجابهما صاحب القبر: انظرا إذا هما ناما فإن قدرتما أن تسألا العصا فاسألاها فإن الساحرَ لا يعمل سحره وهو نائم، وإن عملت العصا وهما نائمان فهذا من رب العالمين لا طاقة لكم به، ولا الملك ولا لجميع أهل الدنيا.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣﴾

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا﴾ ليس في القرآن (إنّ لَنَا) غيرها ﴿لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: 113] يريد المال والجواهرَ.

﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤﴾

﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: 114] يريد أشركتكم في ملكي وآويتكم على أرضي، وكانوا سبعين مع كل منهم ألفًا وجعل من حوله السفن وقد تبين لهم أن موسى وهارونَ نبيين من ربّ العالمين حيث عملت العصا وهما نائمان.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ

﴿أَلْقَوْا﴾ [الأعراف: 115 - 116] تلك المرى والحبال ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ يريد حيث رأوها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ يريد وخافوهم الناس ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116].

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ يريد ألهمنا موسى ﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ يريد تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117] يريد يكذبون.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ يريد صدق السحرة موسى وهارون ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 118] يريد أبطل الله عمل الشيطان وكيد فرعون.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾ يريد عند ذلك ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 119] يريد انقلب فرعون وملؤه وجيشه مذمومين ذليلين.

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: 120] يريد خروا لله عابدين سامعين مطيعين.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 121] يريد صدقنا برب العالمينَ.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ [الأعراف: 122].

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يريد أن هذا كذبتموه بي به ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 123] يريد تهديدًا منه للمؤمنين الذين آمنوا بالله.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: 124- 125] يريدون راجعون إلى ربنا بالتوحيد والإخلاص.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ يريدون ما لنا من ذنب عندك ولا ركبنا مكروهًا تعذبنا عليه إلا أن آمنا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ بالعصا وموسى وهارونَ أن لا إله إلا هو ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ على عذاب فرعونَ وما تصنع بنا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعبدون ويوحدون ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الذين آمنوا مع موسى ﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ ولا نقتل النساء ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127] إنا على ذلك قادرونَ.

هذا أي ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ أقول: لأكثر الناسِ أو لأكثر الأمم الماضية من وفاء عهد جرى بينهم وبيني في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ في الإيمان والتقوى والإحسان، وإن وجدنا أي الشأن والحديث ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102] خارجين من وفاء العهد، وأن مخففة بقرينة اللام الداخلة على المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما، ولذا فسر وجدنا بعلمنا. وعند الكوفيين المنفي واللام بمعنى إلا أي وجدنا أكثرهم الفاسقين خارجين عن الوفاء المذكور.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ الرسل مذكورة ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الباهرة والمعجزات الشاهرة التي يأتي تفصيلها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ وكفروا وجحدوا بها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103] المعتدين في العهود من الإيمان والتقوى وكمال الإيقان وما يترتب عليها من الطاعات والعبادات وترك المنهيات عن المعاصي والسيئات.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما دخل على فرعون ليدعو إلى الله ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 104] إليك وإلى قومك، فقال فرعون: إنك كاذب فقال موسى: يا فرعون ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ فيه أربع قراءات مشهورة: عليَّ بتشديد ياء المتكلم في ياء عليَّ أن لا أقول، وحقيق عليّ أن لا أقول، وبلا تشديد وإدغام بأن على بمعنى الباء، أما الأول فحقيق ولازم عليّ، وأما الثاني فحقيق ولائق لي أن لا أقول إلّا الحق ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ هي العصى استئناف أو علة التحقيق ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 105] يرجعون إلى الأرض المقدسة.

﴿قَالَ﴾ فرعون استعجابًا لموسى بما قال ﴿إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 106] إنك تقول قد جئتَ ببينة من ربك ﴿فَأَلۡقَىٰ﴾ موسى بيده ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: 107] أي صارت فجأةً وعلى الفور بلا توقف وتراخ حيةً ظاهرةً من غير تخييل وتصرف في خيال فرعون عظيمة صفراء غبراء أشعر فاغرًا فاها واسعةً، وارتفعت عن الأرض قدر ميل قائمة على أُذنها قد وضعت لحيتها السفلى على الأرض، واللحية العليا على سور قصره بينهما ثمانون ذراعًا وتوجهت نحو فرعونَ لتأخذه وتلتقمه، فوثب فرعون من سريره هاربًا، فحملت على الناس فانهزموا منها، فماتَ منهم تحت الأرجل من غاية هيبتها والخوف والفزع خمسة وعشرونَ ألفًا بازدحام بعضهم على بعضٍ، فصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك بالحق خذها وأنا لمؤمن بك وأرسل بني إسرائيل معكَ، فأخذها على الهيئة الأولى وزالت عنها الهيئة العظمى.

ثم قال فرعونَ: هل معك آية أخرى؟ قال: نعم ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: 108] فأدخل يده تحت جيبه أو إبطيه، فأخرجها فإذا هيَ بيضاء لها شعاع غلب على شعاع الشمس وضوئها، وكان آدم اللّون قد أدخلها فعادت إلى ما كانت عليه.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ والأشراف التي كانت حوله ﴿مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾ [الأعراف: 109] كثير العلم في باب السحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ﴾ يا معشر القبط من مصر وديار الصعيد ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ [الأعراف: 110] ويشيرون إليه. هذا في مقولة فرعون.

﴿قَالُوٓا۟﴾ الملأ ﴿أَرْجِهْ﴾ أمر من أرجه يُرجه إرجاجًا إذا أُخّر وأُبعِدَ ﴿وَأَخَاهُ﴾ أي مع أخيه عنك وعن مجلسك ولا تعرضهما بالقتل والإيذاء والمعارضة ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ أي مدائن الصعيد ﴿حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111] ليكونَ ساحروها مجتمعينَ إليكَ، وكان رأسهم ورئيسهم بأقصى المدائن قال: إن غلبهم موسى صدقناه وإن غلبوه علمنا أنه ساحرٌ ﴿يَأْتُوكَ﴾ جواب الأمر ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: 112].

قالَ ابن عباس: لما رأى فرعونُ ما في العصا من سلطان الله قال: إنا لا نغالب موسى إلا بمن هو منه، فاتخذ غلمانًا من بني إسرائيل فبعثهم إلى قرية فيهم السحرة فعلّموه سحرًا كثيرًا فجاؤوا بمعلمهم إلى فرعون فقال له: ما صنعتَ بهؤلاء؟ قالَ: علمتهم سحرًا لا يطيق سحره أهل الأرض أن يغلبوا عليهم إلا أن يكون أمر من السماء فإنهم لا طاقة بهم وبدفعه، وكانوا السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وهما رؤساء القوم، وسبعين من بني إسرائيل، وقيلَ كانوا اثنا عشر ألفًا أو سبعين أو ثمانينَ.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ واجتمعوا لديه فأذن لهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ جعلا مالًا وصلة ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: 113 - 114] في المنازل والرفعة مع الأجر الجزيل والجعل الجليل، يعني أول ما يدخل في حضرتي وآخر من يخرج من نظرتي وخلقتي.

قالوا في معرض المعارضة ومعترض المناقضة: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: 115] عصيّنا وحبالنا ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَلْقُوا۟﴾ أنتم ما معكم من السحر ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالهم وعصيهم حال كونهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ وأضربوها عن إدراك حقيقة الحال إلى ما هو مختل ومموه كما هو حقيقة ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي أوقعوهم في الرهب والخوف ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 116] إشارة إلى أن حقيقة السحر أمران أحدهما: التصرف في الأبصار والمتخيلة، والثاني: المبصر والمخيلات، إذ هم ألقوا حبالهم وأحشاءهم الطويلة صارت حية تسعى وثعابين يبقى ملأ الأرض ميلًا في ميل.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها فصارت العصا حية عظيمة حتى سدت الأفق، وكانت هذه الصورة في الاسكندرية ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ وتلتقم ﴿مَا

﴿يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117] ويكذبون ويزورون على الناس تبتلع واحدًا بعد واحدٍ حتى ما بقيت من المؤتفكات واحدة، فقصدت القوم الحاضرين وتوجهت إليهم فهلك منهم في الزحام والغلبة والازدحام خمسة وعشرون ألفًا، ثم أخذها موسى وقد عادت إلى ما كانت عليه أولًا ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 118] من السحر فغلبوا ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: 119] متذلّلين مقهورين ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ وخروا ﴿سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: 120] لله بإلهام الله لهم وتعليمه إياهم السجود ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: 121 ـ 122].

إشارة وتأويل

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102] إشارة إلى أن في بداية كل دورة من الأدوار الإلٰهية والكونية الأربعة الأصلية والفرعية في المراتب الأربعة المذكورة للحق مع الخلق وللخلق مع الحق عهود ومواثيق على شهوده بنعت الوحدة الذاتية وبصفة الأحدية الجمعية والجمعية الواحدية والإحاطية الكلية وبالتوحيد الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري وبالتوحيد الصوري وإلى أن في كل دورة يبعث الأنبياء ينبئهم عن تلك العهود ويخبروهم عنها وعن الأحكام التي قبولها يستبعد كل واحد منها لأن يتذكر عن تلك المواثيق والعهود ويغفل على ما أمر وعهدَ بما كلفهم بلسان الأنبياء وإلى أن أحوالهم فيها متفاوتة بحسب الاستعدادات الذاتية، فالغرض من بعثة الأنبياء تعريف اختلاف أحوالهم وبيان درجاتهم.

واعلم أنَّ للّٰهِ تعالى في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية الصريحة، وفي كل كورة من الأكوار الظلية الجلالية العدمية الضمنية أسرارًا ومعارف صريحةً وضمنية في الأراضي الاستعدادية، لا يخرج ولا يبرز إلا بأفلاك وسماوات يتحرك ويلين لتلك الدورة والمرتبة وتلك السماوات والأفلاك في الدورة العظمى النورية عقلية ولتلك الحركات أيضًا مقدار معين وقدر مبرهن ولتلك الدورة أعيان عقلية وهي الأفلاك والجواهر المجردة النورية التي تلك المعارف والأسرار الأحدية كانت في أراضي استعداداتهم الذاتية مخفية مضمرة كان ظهورها

وخروجها عن تلك الأراضي الاستعدادية مشروطًا بتلك الحركات العقلية التي هي إقبالية وإدبارية كما أشار إليها النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون، وهي الدواة ثم قال للقلم: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: ما كانَ وما يكون إلى يوم القيامة، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة**». قالَ: «**أول ما خلق الله العقل فقالَ له: أقبِل فأقبلَ فقالَ له: أدبِر فأدبر**» الحديث.

فالإقبال إنما يكون إلى استفاضة الأسرار الأحدية التي هي مكنونة في الشؤونات الإلٰهية والصور العلمية والحروفات العالية والحقائق الإلٰهية، أما الشؤونات فهي أعيان التجلي الذاتي، الذي الله انبسط في ذاته أولًا بالعنوانات الذاتية والوجوهات الأولية، ثم بالعنوان الوصفي، أوله بالصور والأعيان العلمية الثابتة، ثم يريد الأعيان العقلية والمجردات النورية، ويفيض تلك الأسرار عليها ليخرج ما كانَ كامنًا في أرض استعداداتها الذاتية، ويزدوج تلك الأسرار بهذه الأنوار، ويظهر منهما صورة جمعية، ويتكمل في الصورة النوعية والهيئة الجمعية التي يظهر في آخر هذه الدورة وهو الإنسان العقلي، ولا تتم هذه الكلمات والحركات الفعلية وهي لانتقال تلك الأسرار إلى هذه الأنوار الخفية، ومنها إليها لتظهر النتائج العقلية، وتلك الأسرار وهذه الأنوار غير متناهية، فتكون النتائج أيضًا غير متناهية، لا تتم إلا في مدة عقلية وهي ثلاثمائة وستون سنة إلٰهية، كل سنة عبارة عن ثلاثمائة وستون يومًا، وكل يوم عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف دورة، وهذه الدورة هيَ الدورة العظمى النورية العلمية، وربها هو ظاهر علم المرتبة الواحدية وعالم الجبروت.

ثم يدبر العقل من هذه المرتبة والدورة إلى مرتبة الملكوت وعالم الأرواح والدورة الكبرى، وينزل الشؤونات الذاتية التي قد تنزلت من مرتبة البرزخية العظمى التي هي بداية الجبروت ومفتتح الواحدية ونهاية اللاهوت وغاية الأحدية إلى مرتبة الجبروت وعالم الواحدية، وتعينت أولًا بالصورة العلمية والأعيان الثابتة، ثم بالصورة العقلية والنسب العقلية إلى المرتبة الملكوتية، وتعينت بصورة النفس الكلية واللوح المحفوظ، وبما فيه من المعدودات الإلٰهية، والدورة الكبرى النورية ليفيض صور تلك الأفياض التي أفاضها على العقول التي هي أعيان الدورة العظمى النورية الوجودية، على أعيان هذه الدورة بذريعة صفة

الحياة وهي النفوس الفلكية والأرواح، ويوصل ما كانَ كامنًا في صفة الحياة في أراضي قابليات أعيان هذه الدورة والمرتبة، هيولياتها وهي الصور العلمية، ويخرج ما كان كامنًا في أراضي قابليات هذه الأعيان، وهو شروط أيضًا الحركات أفلاك يكون من جنس الحياة وأفلاك وسماوات نفسية روحية، ولتلك الحركات مقدار معين سمي بالدهر كما سمي مقدار الحركات العقلية بالوقت كما قال النبي ﷺ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»، ومقدار هذه الحركة هو الدهر لاستواء فإن الله تعالى يقول: «**أنا الدهر ولي الليل والنهار، أنا أُجِدُّهُ، وأنا أُبْلِيهِ وأذهب بملوك وآتي بملوك**».

فبواسطة حركات الأفلاك النفسية والسماوات الروحية والتوجه العقلي الإدباري إلى هذه المرتبة يخرج ويظهر ما كانَ كامنًا في أراضي استعدادات أعيان هذه المرتبة وأكوان هذه الدورة، وهي الشؤونات التي قد تعينت أولًا بصور الأعيان الثابتة والحقائق الإلهية. ثم تعينت بالصور العقلية ونسبها المعنوية واستترت وكنت في أراضي أعيان هذه الدورة بحكم سلطان صفة الحياة في فرداريتها، ويتعين بصور النفوس الفلكية والأرواح القدسية، ويظهر التجلي الإلهي بالنعت التكويني والوصف الإيجادي، ولا تكتمل هذه التعينات النفسية والظهورات الروحية إلا في مدة نفسية وهي مقدار الأفلاك الروحية والسماوات النفسية، وهي عبارة عن ثلاثمائة وستين دورة ربانية، كل سنة زمانية مقدار ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم مقداره خمسون ألف سنة، يعرج الملائكة والروح إليه في يوم مقداره خمسين ألف سنة، فاصبر صبرًا جميلًا.

ثم ينزل النفوس والأرواح بما فيها من الكمالات النفسية والروحية والعقلية والعملية بالحركة الإدبارية المعهودة من هذه المرتبة إلى مرتبة البرزخ بذريعة سلطان القدرة الإلهية، ويختفي في أراضي معدودات أعيان هذه المرتبة وهيولياتها الكلية، وهي الصورة البرزخية والأشباح الخيالية والأرباب النوعية، والمثل النورية، وكذلك خروج هذه الكمالات في فرداريّة سلطان القدرة مشروط بحركات أفلاك يكون من جنس هذه المرتبة، وهي التخييل والخيال الذي هو برزخ بين الروح والجسم. وهكذا تنزل هذه الأشباح والصور الخيالية والأرباب الجنسية والنوعية من هذه المرتبة والدورة التي تسمى بالدورة الوسطى إلى المرتبة

الملكية والدورة الصغرى النورية، والأرباب الجنسية والنوعية من هذه المرتبة والدَورة ويظهر في أعيانها بذريعة سلطان الإرادة وهي الأفلاك والسماوات الجسمانية والعناصر، وما يتركب منها من المواليد الثلاثة ظهور هذه الكلمات وخروج هذه الأعيان مع الأحوال والحالات.

واستكمالها بها أيضًا مشروط بحركات جسمانية وهيئات جرمانية، ولهذه الحركات مقدار جسماني سمي زمانًا كما سمي مقدار حركات السماوات البرزخية عصرًا. والكمالات الخيالية والحالات الجسمانية لا تتم إلا بالمقدار المعين وهو ثلاثمائة وستون ألف، وكل سنة مقدارها ثلاثمائة وستونَ يومًا، وكل يوم من أيام السنة البرزخية مقداره ألف سنة، وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون. وأما اليوم الزماني فمشهور من أنه أربعة وعشرونَ ساعة، فجميع الأسوار الإلٰهية التي تتنزل أولًا إلى الشؤونات ومنها وبها إلى الصور العلمية والأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية، ومنها وبها إلى الجواهر العقلية، ومنها وبها إلى الصور العلمية والأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهية، ومنها وبها إلى النفوس والأرواح، وهكذا إلى الناسوت، لا تتم إلا في الأدوار الأربعة النورية، كل دورة لا تتم إلا بالمقدار المعين والعارف الدائر والمظهر الكامل السائر، إنما يتم في الكمال النوعي والشخصي إذا دار في ظاهره هذه الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية صريحًا، وفي باطنها وهو الأكوار الظلية الجلالية العدمية ضمنًا وتجتمع هذه الأدوار بما فيها ولها من الكمالات العلمية والحالات الخيالية والمقامات والمنامات البرزخية والهيئات الجسمانية الظاهرة في هذه الأدوار في صور الجمعية القلبية بحيث لا يغيب عنهما مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء الإلٰهية والربانية والبرزخية والجسمانية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43].

وأنتَ خبير بأن هذه الاقتضاءات والحالات لا تحصل إلا أن تكون لكل دورة ويتلو آخرها ولكل دنيا سماوات وأرض، ولكل دنيا انقضاء وانتهاء، والقيامة والآخرة ولها جنة وسعير وغير ذلك، وعند انقضاء الدنيا الذي هو انتهاء الدورة ينتقل طور الدنيا إلى طور الآخرة وتنقلب الجنة نارًا والنار سعيرًا، والأرض سماءً والسماء أرضًا، وغير ذلك من المتقابلات.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف: 103] أي بعد بعثتهم في الأدوار الأربعة

الأصلية النورية الإفرادية إلى الأدوار الأربعة الجمعية الجمالية وربها شعيب خفية وموسى جهرًا إذ هما في حكم شيء واحد لأن الأسوار الإلٰهية قد تنزلت على شعيب إجمالًا ثم تفصّلت في موسى الطور السري بآياتنا التي كانت في شعيب الصور خفية إجمالًا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ النفس الأمارة ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الأعراف: 103] أي القوى الجسمانية من المشاعر الظاهرة والقوى البدنية التي دخلت في حكم إشارة إلى أن كل عين من الأعيان الجمالية له مقابل من أعيان الجلال يتولد معه ظاهرًا وباطنًا خفيًّا أما ظاهرًا: فهو كفرعون لموسى، ونمرود للخليل، وأبو جهل لمحمد وغير ذلك كما ورد في الحديث: «**أن المؤمن خلق في رأس جبل يخلق الله شخصًا ينازعه**»، وأما باطنًا: كفرعون النفس الأمارة تقاتل موسى النفس المطمئنة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31] الآية إلخ.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 105] أي القوى الظاهرة والباطنة التي كانت في الدورة النورية الجمالية داخلة في إطاعة الطور القلبي، فجعل فرعون النفس الأمارة التي كانت في فرداريّة الظل والجلال في حكمه فأرسله معي إشارة إلى أن الأعيان الإلٰهية والأكوان الوجودية والعدمية قد اعتورت واستدارت في الأدوار تارة بعنوان النور والجمال وأخرى بصنوان الظل والجلال وإن مواطن الاستعدادات ومكامن قابليات الأعيان إنما هي أرض الجلال إذا كانت الفرداريّة النورية صريحة والظلية ضمنًا وإذا انتقلت الفرداريّة من الدورة النورية الصريحة إلى الكورة الظلية الضمنية وصارت صريحة كانت قابليات أعيان الجمال أرض الأكوان الظل والجلال.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107] إشارة إلى مقام الاستبدال والانتقال من الطور البشري العنصري إلى الطور الإلٰهي الذي كان فيه موسى ضمنًا فظهر فيه جهرًا كما صرح إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: 117] أي أظهر ما كان فيه ضمنًا خفيًّا.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ

﴿عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128] يريد الجزاء والجزاء هو الجنة لمن اتقى الله.

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ يريد من مدين ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يريد من مدين حين بنى في الطريق ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ والعسى من الله واجب ﴿أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ يريد فرعون وقومه ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد ملككم ما كان يملك فرعون وقومه ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129] يريد هو جاز ويعطيكم جزاءً بأعمالكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ يريد الجوع ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 130] كي يتعظوا، يريد أقام موسى في مجادلة فرعونَ تسع سنين.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ يريد الخصب والعيش والغيث والثمار والمواشي والألبان ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يريد القحط والجدب وذهاب المواشي والموت ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ يريد يتشاءموا بموسى وبمن تبعه ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يريد من قِبَل الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131].

هذا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ للسحرة ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أقول: إذ غلبت السحرة لدى ظهور سلطان الله وكمال قدرته آمنوا بالله أو بموسى فقال فرعون إنكارًا عليهم عند من قرأ بالهمزتين وقرأ حفص على الأخبار ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ مضارع من منصوب بأن ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ أي وضعتم حيلة وكيدًا تكيدتموه اختلقتموه أنتم وموسى ﴿فِى

﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ في مصر قبلَ أن يخرجوا منها إلى الصحراء للميعاد والاسكندرية ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ أي القبط وليسكن فيها السبط ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 123] سوء عاقبة فعلكم وهو تهديد مجمل يفصّله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ من كل شق وطرف ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ على شاطىء نهر مصر ﴿أَجْمَعِينَ﴾ مجتمعين.

﴿قَالُوٓاْ﴾ السحرة لفرعون في جواب تهديده وتخويفه ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ وخالقنا ومحبنا ورازقنا ومربينا ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: 125] راجعونَ بالموت فلا نبالي وعيدك ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ وصدقنا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ وأنزل ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا﴾ وأمتنا ﴿مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126] قيلَ: إن فرعونَ قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم، قالَ بعضهم: قصدهم وهددهم لكن لم يقدر عليهم لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: 35].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ﴾ وتترك يا فرعون ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ سبط هو بني إسرائيل ﴿لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 127] بدعوتهم الخلق وإرشادهم إلى عبادة الله وطاعته ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ بيان الفساد عن ابن عباس كان لفرعون وقومه بقرة يعبدونها وإذا رأوا بقرة أحسن عبدوها وتركوا تلك البقرة والسامري رأى ذلك وسن سنة وسلك طريقه ومسلكه.

قالَ السدي: كان يأمر قومه بعبادة الأصنام ويقول: هذه آلهتكم وأنا ربها وربكم، وهذا هو قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24]. ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: 127] غالبونَ. قالَ ابن عباس: إن فرعونَ قد أمر بقتل أبنائهم فلم يزل هذا الأمر إلى أن أتى موسى بدعوة النبوة.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ عند غلبة فرعونَ وقهره عليهم ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ المقدسة ـ أو مصر ـ ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ويعطيها لمن يريد ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128] قلوبهم عن الطلبة والغلبة عن غير الله.

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا﴾ فحين آمنت السحرة اتبع موسى في هذه الحالة ستمائة ألف من بني إسرائيل ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ يا موسى بالرسالة والبينة وإظهار الآية بقتل الأنبياء واستحياء النساء ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بإعادة القتل وإحياء تلك السنة

السيئة ﴿قَالَ﴾ موسى لهم تسلية لقلوبهم وتقوية لصدورهم وفؤادهم واستبشارًا بما رآه عند ربه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ ويمكّنكم ويبسطكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض فرعون والأرض المقدسة ﴿فَيَنظُرَ﴾ الحق وأمره وتمهل قدرته وحكمته إياكم ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129] وتفعلون بأداء شكر نعم الله وآلائه ومنحه ونعمائه وكفرانها.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: 130] وشدّة الجوع والقحط وعوز القوت وفقدانه لقلة المطر ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الخصب والسعة، أي قوم موسى، ويحتمل أن يكون المراد قوم فرعون لاهتمامهم وجدِّهم واجتهادهم وإقدامهم على إهانة موسى وقومه، أي إذا ظهر بينهم ما يوجب السرور والفرح أسندوا إلى نفوسهم ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ منا ونحن مستحقون له ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ما يوجب الغمَّ والحزن والهم ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ﴾ وساروا إليه وطاروا عليه بالإيذاء والإهانة والاستخفاف والحقارة ويتشاءموا به ﴿وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي بمن من بني إسرائيل ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ [الأعراف: 131] أي ما يوجب الحزن والملامة أو ما يوجب الكل من الفرح والهم والترح كلها من الله ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وفي خزائن علمه وقضائه وحكمه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131].

إشارة وتأويل

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ لكم قد تقرر من قبل أن بين الأعيان الجمالية والجلالية وبين صورتهما الجمعية الضمنية ارتباط معنوي وترتيب عقلي، فالصورة الجمعية الفرعونية الضمنية الجلالية إنما يطاوع الصورة الجمعية النورية الموسوية الصريحة إذا وافقها الأعيان الضمنية، ولم يتخلقها، لكن قد يتخلق في الإطاعة بالمبادرة إليها بناء على غلبة اقتضاء حكم فرداريّة النور عددًا وعلى قوة استدعاء الجمعية النورية مددًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ التخلُّف ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ لما فيهم من المخالفة فإن بعضهم من القوى من سبط النور وبعضهم من قبط[1] الظل والضمور، فتأديبهم وإرشادهم لا بدّ وأن

(1) قبط الشيء: جمعه بيده. قبط الشيء بالشيء خلطه به.

يكون بالخلاف ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 123 - 124] أي لأفنينكم على الملأ من غير تفاوت بينهم في الفناء والإفناء في الجذبة الإلٰهية ووفور العناية ودرور أنوار الهداية الغير المتناهية. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: 125] المنجذبون انقلابًا ضروريًّا وانجذابًا معنويًّا وصوريًّا، والباقي إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131] ظاهرًا لأهل الذوق السليم والفهم المستقيم.

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 132 - 133] الطوفان هو الموت وقيلَ هو الجراد وكل طوفان في القرآن هو الغرق سوى هذا ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ أرسل عليهم الجراد، فأكلَ زرعهم، وكانوا إذا سقوا ماء صار ملآن بالضفادعَ صغارًا وكبارًا فلا يهنيهم شربة ماء، فاتخذوا أباريقَ من فخار يسمونها البواقيلَ منقعة فنزل فيها ولا ينزل فيها الضفادع فصيّر الله ذلكَ الماء في البواقيل دمًا غليظًا، والقمل يريد الدباء، فمنعهم الله عزَّ وجلَّ شرب الماء وهو ألذ العيش، ومنعهم القمل في الليل هو تمام العيش في الدنيا، وذكر بعض أهل العلم من أهل مصر أن القمل دابة لها نتن تقع فتمصها، حتى أكل الدباء شعور النساء والرجال وصل إلى الفروج ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ يريد أنه بعد آية ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن عبادة الله ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133] أجرموا وعتوا فأخذهم الله بجرمهم.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب الذي هم فيه من الجراد والضفادع والقمل والدم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ يريدون بما أغناك واستحصد ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ العذاب ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ يريدون لنصدقنك ونؤمن بالله ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 134].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ يريد إلى أجل الذي عرفهم الله فيه ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: 135] لا يوفون بما عاهدوا موسى.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ يريد قتلناهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ يريد بحر الحجاز ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العصا وما رأوا منها تلقف ما يأفكون وكانوا سبعين ألفًا ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 136] يريد عما يراد بهم من الفرق بعد الغرق.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ أعني بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ مثل قوله في القصص: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يريد أئمة الهدى ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ يريد لملك فرعونَ ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني لبني إسرائيل يريد أرض الشام وأرض مصرَ ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 5 - 6] ما كانوا يخافون ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ أي مشارق أرض الشام ومغاربها ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قدسنا مشارق بيت المقدس ومغارب بيت المقدس ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يريد مواعيد ربك ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يريد التي لا خلف لها ولا نقص لها ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على عذاب فرعون وقومه ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137] ويصنعون ويعملونَ المصانع وما كانوا يصنعون من القصور.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يعبدونها

يعلنون مقيمين عليها مثل قوله في سورة الفتح والهدي معكوف يريد الهدي مقيم مثل قوله في الأنبياء: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52] يريد مقيمين على عبادتها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ يريدون من دون الله ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138] يريد جهلتم نعمة ربكم وما صنع بكم كما قال في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: 50].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾

قال لهم موسى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ﴾ يريد مدمر عليهم ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 139] يريد عملهم الشيطان أليسَ لله نصيب فيه.

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ﴾ رب وسيد ﴿فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 140] أكرمكم من بين الخلق أجمعين.

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١﴾

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قبل قدوم موسى عليه السلام عليهم وقيلَ مولد موسى ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ يريدون الولدان مخافة ما صنع به من هلاكه ويستحيي الجواريَ لا يذبحهم ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [الأعراف: 141].

هذا ﴿وَقَالُواْ﴾ أهل قبط قوم فرعون ﴿مَهۡمَا﴾ اسم متضمن معنى الشرط ﴿تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا﴾. أقول: لجعلنا مسحورين ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 132] مذعنين مصدقين فأرسلنا وأنزلنا عليهم الطوفان من الماء وهو مصدر لا يجمع، وجمع طافان.

لما آمن من السحرة لموسى ورجع فرعون مقهورًا مغلوبًا مكسورًا وتابع الله عليهم بالآيات الأربع المذكورة فنقضوا العهدَ وأصروا على الكفر وإنهاء الخلق عن الإيمان بالله دعا موسى عليه السلام قال: إن عبدك فرعون طغى على ما في

الأرض وبغى وعصى، وقومه نقضوا عهدك وغووا فخذهم بعقوبة واجعلنا لهم نقمة ولمن بعدهم اعتبارًا وعبرة، فبعث الله عليهم الطوفان وكانت بيوت القبط شبكةً وكذا بيوت السبط مشبكة ومختلطة فامتلأت بيوت القبط ماءً حتى قاموا في الماء إلى التراق، ومن جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت السبط قطرة ماء، قام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر والماء نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فرفع عنهم فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئًا لم ينبت لهم مثل ذلك في الكلأ والزروع والثمرات والخصب فقالوا: ما كانَ هذا الماء إلا نعمة علينا فلم يؤمنوا به ونقضوا العهد، فبعث وأرسل عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم حتى مسامير الأبواب وكانوا بنو إسرائيل سالمينَ من هذه الثلاثة فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز نؤمن بك. فدعا فكشف عنهم.

وفي الخبر: مكتوب على صدر الجراد: جند الله الأعظم: ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو ما يخرج من الحنطة وكانَ يدخل بين ثوب أحدهم وجلده ولا يأكل طعامًا ولا يشرب ماءً إلا امتلأ منه فصاحوا إلى موسى: إنا نتوب فادع لنا يكشف عنا هذا العذاب، فكشف عنهم فنقضوا العهدَ ولم يؤمنوا، والضفادعَ فامتلأ بها أوانيهم وأوعيتهم ولا يقدر أحد أن يتكلم فإنه يجد في فيه وفمه ضفدعًا، ولا يعجن عجينًا إلا أنشدت فيه، ولا يفتح قدرًا إلا امتلأت ضفادع، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم، فلما نقضوا عليهم العهدَ دعى عليهم فأرسل الله عليهم الصديد والدم، فما بقي ماء ولا إناء ولا طعام ولا آبار ولا عيون ولا أنهار إلا وجد فيها دم غليظ أحمر، فشكوا إلى فرعون بأنه ليس لنا شراب ولا طعام إلا فيه دم غليظ فقال فرعون: إنه قد سحركم فقالوا: من أين سحر ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئًا من الماء إلا دمًا عبيطًا. وكان فرعون قد جمع بين القبطي والسبطي على إناءٍ واحدٍ فيكون ما يلي القبطي دمًا عبيطًا وسمًّا غليظًّا، وما يلي السبطي ماء عذبًا وغذاء طيبًا رطبًا لا يرى فيه أثر الدم ولا يرى عنهم خبر الغم والهم ﴿وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ والعذاب المذكور وهو خمسة، قالوا: فلدى حلول كل واحد منها ونزولها واحد بعد واحد ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾

في دفع العذاب قائلين ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: 134] الرجز: هو الطاعون. روي الطاعون الرجز أرسله الله على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ وهو الغرق في اليم ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: 135] ينقضون العهد ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ والبحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا﴾ [الأعراف: 136] أي عن النعمة أو عن آياتنا ﴿غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يقهرون ويستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء واستبعاد الرجال أعني بني إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ على بني إسرائيل ﴿بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ على ما أصابهم في الدين ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا واستأصلنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارات في أرض مصر ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 136 - 137] ويستعلون من العرش وهو العلو والارتفاع من القصور ومعارش الكروم والثمار.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ وعبرنا بهم يوم عاشوراء فهلك فرعون وقومه فصام موسى ذلك اليوم شكرًا للنعمة الجليلة فأتوا موسى ببعض قومه وطائفة من بني إسرائيل ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ على قوم يفعلون بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾ وأوثان ﴿لَّهُمْ ۚ﴾ يعبدونها من دون الله في الرقة ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ﴾ وليس هذا شكّ من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما المعنى أنه اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله، ظنًّا منهم إن ذلك لا يضر الديانة وذلك لكمال جهلهم ﴿قَالَ﴾ موسى لقومه: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: 138 - 139] إلى آخر العشر.

إشارة وتأويل

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 132] إشارة إلى الدورة المتخللة بين الدورات الجمالية النورية إذا كانت صريحة فقيل استيفاء حقوقها الجلالية لا يدخل تحت سلطان الفرداريّة النورية الوجودية الأعيان الظلامية فلو دخلت تكون مسحورة فأرسلنا عليهم الطوفانَ الذي هو

مقتضى الدورة الأولى التي هي من الدورات الفرعية الجمالية، وهو الطوفان الجزئي والنسبي الذي هو بالنسبة إلى الأعيان الجمالية غير مرئي عذابًا بل هو رحمة وعذاب، وبالنسبة إلى الجلالية نقمة وعذاب مرئي وهو مقتضى طوفان ماء الطبيعة وبحر الشهوة. وفيه تلويح إلى أن الشيء الواحدَ بالنظر إلى الشخصين يرى مختلفين نارًا ونورًا ظاهرًا وضمورًا غمًّا وهمًّا وفرحًا وسرورًا كما ورد في الأدعية المؤثورة: «احجبني بحجاب النور، باطنه النور وظاهره النار».

وأن الأصلَ في الأعيان النورية الإيمان والإسلام وفي الأكوار الظلية الداخلة تحت سلطان النور والجمال أيضًا هي الإيمان والإسلام، وأما بالنظر إلى الأعيان وأحوالها ينقلب ويتبدل سعادة وشقاوةً ونورًا وظلمة وعذابًا كما ورد في ظاهر الشرع أن الأصلَ في الأشياء الطهر والحلية، وفي قانون الاكتساب أن الأصلَ في الأجناد الصدق، وأما الكذب فهو إنما يكون من تصرف الوهم الذي هو بدقة العقل الصريح في المحسوسات وبريده، فلو أطلقه ولم يعين له شغلًا فهو يشوش العقلَ المتشبث بذيل الوهم، فيعرض عليه أحكامًا مختلفة بالنسبة إلى شيء واحدٍ، والقمل وهو عبارة عن القوة الوهمية التي تدرك المعاني الجزئية التي تحت المحسوسات ويعرضها على القمل والجراد هي القوة المتخيلة التي بها يظهر علم السحر، والضفادع هي عبارة عن القوة العملية التي يستخدمها القوة العاقلة، فإن أخذ منها القوة الواهمة مستقلة من غير رجوع إلى العقل سلكت مسلك الإلحاد والإباحة والفساد والإفساد، ولذا يتمثل صورة الإلحاد والإباحة وكلام أرباب الإلحاد من النظم والنثر بصور الضفادع، والدم وهو صورة الروح التابع تارة للنفس بحكم الوهم، وللعقل والروح الإنساني بحكم العقل الصريح الجامع لهذه الآيات الأربع آيات خمس مفصلات، وهي مقتضيات الأدوار الأربعة الإفرادية، والصورة الخامسة هي الآية الجامعة أعني العقلَ الصريح الحاكم على جميع القوى النفسانية والجسمانية المدركة والمحركة، ولما وقع عليه الرجز أي العذاب التابع لاختلاف مقتضى المولود الجني للمولود الإنسي، ولما وافق المولود الجني المولودَ الإنسيَ وارتفع الاختلاف اللازم للشيطنة اندفع العذاب وصار العذاب عذبًا والرغبة رهبًا، واستخرج من ذوقك السليم وشوقك العليم من سائر الألفاظ معانيها المتطابقة للسابق والمتوافقة الآتية واللاحقة.

تفسير

﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ وكانت تلك الثلاثين ذا القعدة فلما كانَ رأس الثلاثين استاكَ موسى لما جاء ربه فأوحى الله إليه أن: يا موسى لا أكلمك حتى تعود إلى ما كنت عليه من خلوف، يريد رائحة فم الصائم فإنه أحب إلى الله من المسك الأذفر فأمره أن يصومَ وهو عند المشعر قالَ الله جل ثناؤه: وأتممناها بعشر ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ يريد لما أراد الله من وفادة موسى لقومه إلى ربه ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] يريد العاصين لله وبما جاء موسى يريد وافدًا إلى الله لميقاتنا.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ يريد أنه لا عين في الدنيا تراني ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ يريد فناءً وهلاكًا ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ يريد ميتًا ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ يريد فلما رد الله إليه روحه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يريد من مسألتي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143] يريد أول من آمن بكَ أنه لا عين تراني في الدنيا.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ يريد فضلتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ

بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ يريد ما فضلتك وكرمتك ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144] يريد لأنعمي والطائعين لي.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾ يريد التوراة وهي يومئذ ستة ثم صارت أربعة وعشرين بما ختم الله إليها من الرضا والمواعظة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ بما افترض وحل وحرم ونهى وأمر ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ يريد الهداية ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ كل أمر هو له رضاء ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ يريد فاهتز إذا قرأتها يريد بمثل ذلك ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ يريد يحلُّو حلالها ويحرِّموا حرامَها ويتدبروا امتثالَها ويعملوا بمجملها وتفقهوا بمشابهها ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145] يريد جهنم والله أعلم منا.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يريد يخبرون عن عبادي ويحاربون بأوليائي ويستحلون محارمي حتى لا يؤمنوا بما جئتَ به ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ يريد لا يصدقوا بها ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ يريد الهدى والبيان الذي جاء من الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يريد لا يتخذوه دينًا ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يريد طاعة الشيطان وضلالته دينًا ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يريد بما جئتَ به ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 146] يريد بهذا كله مفاخرة بمحمد ﷺ على جميع الخلق وعطية من الله له من قوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ يريد قصصت عليك يا محمد في هذه الصورة من قصص النبيين، وما ذكرت من شدة عذابي وقدرتي وسلطاني، وما علمت لمن أطاعني واتبع مرضاتي وعرف عظمتي وأقر بقدرتي، وعبدني حق عبادتي وما عندي أكثر مما سميت مما لا يفهمه عقل عاقل، ولا يقدر عليه وصف واصف من نعيم لا يزول وكرامة لا تحول.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بمحمد ﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يريد الثواب والعقاب ﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ يريد ضل سعيهم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147] يريد أن عاقبتهم عقابهم بعذابنا استحقوا من حقوقي ومعروفًا من عظمة، الجبار: الذي لا يرام.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: 148] وبلغني والله يعلم أن الله جل وعلا أخر موسى وذكر ذلك في طه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: 85] فأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار من حليهم، فمن جعل له جسدًا؟ يريد الجسد اللحم والدم، ومن يجعل له خوارًا قال الله: قال موسى وعزتك وجلالك ما أضلهم غيرك فنزلَ صدقت يا أحكم الحكماء قالَ عبد الغني: وحدثني بذلك من ذهب وأصفاني صفيًا قالا: وكان الليث يقول صدقتَ يا أبا الأحكام ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ يريد لا يرشدهم إلى دين يريد العجل حتى قالوا ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 148] يريد مشركين يريد قوله في البقرة: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 93] بقول قلوبهم بحب العجل حتى قالوا لموسى: كانت عبادة العجل أهون علينا من عبادة الرحمٰن الرحيم إن عصيناه عذبنا والعجل إن عصيناه لم يعذبنا.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ يريد ندموا ﴿وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟﴾ يريدوا ابتلوا بمعصية الله ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149] يريد خسر الدنيا والآخرة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: 150] من عند ربه غضبانَ مغتاظًا ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ يريد ما اتخذوا يريد اتخاذهم العجل وكفرهم بالله ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يريد لعجلهم سخط أمر بكم ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ يريد ألقى فيها التوراة ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ يريد وهمُّوا يقتلونني ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: 150] يريد المشركين.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾ يريد في سعة جنتك ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

هذا ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ أقول: ذي القعدة كلها ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا﴾ من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة حال من فاعل ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ ووقته بالغًا ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد هلاك فرعونَ كتابًا من الله عزَّ وجلَّ فيه تبيان كل شيء، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتابَ فأمره بصوم ثلاثين يومًا فلما تم كره خلوف فِيْهِ وريح فمه فاستاك موسى فاه، فقال الملائكة: كنا نشم من فمك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره أن يزيد عليها عشرًا، فقيل أمره ثم أنزل عليه التوراة في العشر المستزاد، وكلمة ربه فيه، قال موسى لأخيه هارون: اخلفني وكن خليفتي قائمًا مقامي في إصلاح حال قومي، وإنما أضاف القوم إلى نفسه لاستخلاصهم عن فرعونَ وملئه به فأصلح إياهم وراقبهم على صورة الصلاح وصفة الفلاح ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] أي لا تتبع ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ

هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 143] والوقت الذي ضربنا له أن نكلمه فيه أن موسى عليه السلام لما ظهر وتطهر وصام وأتى طور سيناء، فأنزل الله ظلمة وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض، وينحي عنه الملك، وكشط وشق له السماء، فرأى الملائكة قيامًا في الهواء، ورأى العرش بارزًا، وكلمه ربه وناجاه حتى أسمعه، وكان جبرائيل معه فلم يسمع ما كلمه ربه، فأدناه حتى سمع صرير القلم، وكان موسى يسمع كلام ربه من جميع الجهات، وأن جبرائيل مع كمال تقربه إلى الله ومن الله ما كان يسمعه فاستحلى موسى كلام ربه واشتاق إلى رؤيته ﴿قَالَ رَبِّ﴾ إني سمعت كلامكَ وحصل فيّ شوق إلى شهودك ﴿أَرِنِيٓ﴾ نفسك وذاتك ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾. قال ابن عباس: أعطني النظر إليكَ وتجلَّ لي فأنظر إليك وأراك، هذا دليل على جواز رؤيته في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال سيما فيما يقتضي الجهل في فهم بالله ولذلك رده بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: 143] دون لن أُرى لن تنظر إليّ تنبيهًا على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على بعد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتكسب قومه الذين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النِّساء: 153] خطأً إذ لو كانَت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجعلهم شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: 138]، وكما قال لأخيه: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

والاستدلال بالجواب على استحالته ما يقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: 143] أشد خطأً إذ الإخبار عن عدم رؤيتها إياه لا يدل على نفي الرؤية المطلقة، لا يقال: لأن اقتضاء النوع أمرًا نوعيًا لاقتضاء الأمر النوعي لا بدّ وأن يعم ذلك في تمام الإفراد وكذا النفي لأنا نقول: لا، ثم أن المنفي في هذه الصورة إنّما هو لأمر نوعي بل لأمر شخصي قد اختص بموسى وأمته وهو أن شهودَ التجلي قد خصه بمحمد وأمته كما أشار إليه بقوله: «إن الله أعطى موسى الكلامَ وأعطاني التجليات»، وهي مال محمد وقالَ الله في حقه: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [الإسراء: 34] وهي الانتساب بمحمد لما رأى موسى ونظر في التوراة ورأى خصائص أمةِ محمد سأل من الله أن يجعلهم من أمته قالَ الله: إن هذه أمة محمد؟ فقالَ: «اللهم اجعلني من أمة محمد»، فبعد ذلك قد شاهدَ التجلي كما قالَ تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ

﴿ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30]، ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ استدراك يريد أن يبين بأنه لا يطيق شهودَ التجلي لانتفائه بشرطه وهو الانتساب المذكور. قالَ النبي ﷺ: «**لقد تمنى اثنا عشر نبيًّا أن يكونَ من أمتي ومنهم موسى ابن عمران وعيسى ابن مريم**».

وفي تعليق الرواية بالاستقرار حال الحركة أيضًا دليل على جواز الرؤية. فإن قيل: إن استقرار حال الحركة محال، قلنا: لا، ثم فإن الله تعالى قادر على جمع الضدين والنقيضين ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ أي سقط ميتًا. قيل: أعطى الله الجبلَ الحياة والإدراك والرؤية فرأى عظمته فصار دكًّا قطعًا ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ موسى ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

قالَ أهل التفسير: لما سأل موسى الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فأحاطت سماء الدنيا ثِيرَانِ البقر بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله تعالى الملائكة السماوية الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا أمثالَ الأسد عليه، لهم صوت مهيب بالتسبيح والتقديس، ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران، فما رأى وسمعَ واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده ثم قالَ: لقد نَدِمتُ على نفسي فهل ينجّيني من مكاني الذي أنا فيه شيء، فقالَ الملائكة ورأسهم (. . . .)[1]: يا موسى اصبر على ما سألتَ فقليل من كثير رأيتَ، ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فأهبطوا أمثال النسور لهم وصف ورصف ونفخ شديد، أفواههم تلهج بالتسبيح والتقديس كالجيش العظيم، ألوانهم كلهب النار. فصرخ موسى واشتدت نوائب نفسه وآيس من الحياة، فقال: خير الملائكة ميكائيل يا ابن الحيض، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اعترضوا واهبطوا على موسى بن عمران لأنسبهم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، صواتهم عالية بالتسبيح والتقديس، فقال لهم الملائكة ورئيسهم: يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيتَ، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا واعترضوا على موسى، فهبطوا عليه لهم تسعة ألوان، فلم

(1) بياض في الأصل المخطوط.

يستطع أن يتبعهم بصره فلم ير مثلهم، فلم يسمع مثل أصواتهم، فامتلأ جوفه خوفًا واشتد حزنه وكثر بكاؤه، فقالت: خير الملائكة وراءهم يا ابن عمران مكانك ترى بعض ما لا تصبر عليه. ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب، فاعترضوا وأهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارًا أشد صفاءً من الشمس، ولباسهم كلهب النار إذ سبحوا وقدسوا جاء بهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم يقولونَ بشدة أصواتهم: سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة ورب العزة لا بدّ أن يموت، في رأس كل ملك منهم أربع وجوه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم إذا سجدوا وهو يبكي ويقول: رب اذكرني ولا تنسَ عبدك إذ لا أدري ما فعلت بما أنا فيه أم لا إن خرجت احترقت وإن مكثت مت، فقال كبير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران إن تنشد خوفك وينخلع قلبك فاصبر الذي سألت. ثم أمر الله أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة، فلما بدأ نور العرش ارتج الجبل من عظمة الرب ورفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعًا يقولونَ: سبحان القدوس رب العزة أبدًا لا يموت، بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه، والعبد الضعيف موسى صعقًا على وجهه آيَسَ معه روحه فأرسل برحمته الروح.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ وأعطيتك ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ من كتابي ومما هو فيه من الأحكام والشرائع وغير ذلك من الحكميات فإن جميع الفنون الحكمية الرياضية والطبيعية الإلهية مذكورة في التوراة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144] لله تعالى على نعمه ،وكان موسى إذا كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لسطوع شعاشع أنوار وجهه مقتبسة من نور وجه الله وضياء كلامه ولم يزل على وجهه يرفع مذ نزلت التوراة إلى أن فات أو انتقل ومات من الدنيا عن كعب الأحبار أن موسى نظر إلى التوراة فقال: إني من أمة خير الأمم أخرجت للناس يأمرونَ بالمعروف وينهونَ عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر يقاتلون أهل الضلالة حتى المسيح الدجال. فقال: يا رب اجعلهم من أمته، قال: أهي من أمة محمد، وهكذا كان ينظر إلى التوراة ويقول ما قالَ إلى ست مرات، فلما

عجب موسى من الخير الذي أعطاه محمدًا أمته قالَ: يا ليتني من أمة محمد.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ عن ابن عباس: هي ألواح التوراة، وفي الحديث: **«كانت من سدر الجنة طول اللوح اثني عشر ذراعًا على طول موسى وإن اللَّهَ تعالى خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس طوبى بيده»** ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ تذكرة وتحذيرًا مما يخاف عاقبته ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 145] من الأمر والنهي والحلال والحرام وغير ذلك من الشرائع والأحكام وغير ذلك من المتشابهات والمحكمات ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ جدًّا واجتهادًا وبقوة القلب وصحة العزيمة وصفاء النية وضياء الطوية ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ أكثر ثوابًا وأوفر صدقًا وصوابًا وأنفع سؤالًا وجوابًا وغير ذلك من الأشياء التي تكون كثرة الحسن فيها طلبًا ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145] مصيرهم في الآخرة. قالَ قتادة وغيره: سأدخلكم الشام فأريكم دار القرون الماضية الذينَ خالفوا أمر الله ليغيروها أو دار فرعونَ وقومه أعني مصر ومصارع الكفار.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ سيجزون على عبادي ويحاربون أوليائي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أو سأمنع فهم القرآن. قيلَ حكم الآية خاص بأهل مصر وآياتي هي الآيات التسع التي أعطاها لموسى والأكثرونَ على أنها عامة ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ هؤلاء المشركون ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ بضم الراء وفتحها كالسُقم والسَقم والنُحل والنَحل والحُزن والحَزن، قيلَ بالضم الصلاح في الأمر وبالفتح الاستقامة في الدين وعلى الأول طريق الهدى والسداد ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ لأنفسهم ويقرهم ذلك الاتخاذ المذكور ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 146].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ التي تدركون لقاء الله فيها ويصلونَ إليها ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ وبطلت أقوالهم وأحوالهم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ في العقبى ودار الأخرى ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 147] في الدنيا.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه للميقات وانطلاقه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ التي استعادوا من القبط ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ له روح ولحم وبنية ودم وخوار: صوتٌ يعني صوت البقرة هذا قول ابن عباس، والآخرون على أنه جسد مجسد وجسم مهند من ذهب لا روحَ فيه إلا أنه يسمع منه صوت ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ﴾

أي القوم الذين اتخذوا العجلَ وعبدوه ﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ العجل ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ﴾ إلٰهًا وعبدوه ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148].

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 149] مفعول ما لم يسمّ فاعله لسقط أي ضاعَ ما في أيديهم من الاختيار في عبادة العجل وكناية عن شدة ندمهم وتحسرهم ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا﴾ ولم يتب علينا ﴿رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ ويتجاوز عنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149] وهذا الندم منهم والاستغفار عنهم بعد رجوع موسى إليهم.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ قرئ مصدرًا أو اسم فاعل وهو شدة الغضب أو شدة الحزن ﴿قَالَ﴾ موسى لأخيه هارون وقومه ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ وعملتم بعد ذهابي إلى الميقات ﴿مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ﴾ أي أسبقتم ﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين. واعلم أن متخذي العجل قد عدوا الليالي والأيام للاستعجال الطبيعي فيهم فإذا بلغ عشرينَ حصل الأربعون ولم يجيء موسى وتخلف عن أمر ربه فصنعوا في العجل بأمر السامري ما صنعوا ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ موسى من يده ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ بذوائبه ولحيته ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وكانَ هارون أكبر سنًا من موسى بثلاث سنين وأحب إلى بني إسرائيل من موسى إنه كانَ لينًا هينًا فقالَ هارونَ عند ذلك ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ في منع عبادة العجل ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ في المؤاخذة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 150] على أنفسهم وغيرهم في عبادة العجل واتخاذهم إلٰهًا.

قالَ موسى في اعتذار أخيه لدى تبين الحال وظهورها في أمر العجل: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا﴾ بأجمعنا ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

إشارة وتأويل

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142] إشارة إلى الطور القالبي والطور النفسي والطور القلبي الذي هو مغارب شمس التجلي الذاتي وأراضي اختفائها فيها، فكما أن مغارب الآفاق

ثلاثة وهي الشمالي والجنوبي والاعتدالي، كذلك المغارب الأنفسي ثلاثة القالبية والشمالية والنفسية الاعتدالية والقلبية الجنوبية ومجامع أنوار الصور العشرة وهي العقل الأول والعقول التسعة المتعلقة بالأفلاك التسعة ونفوسها تعلق إدراك أحوالها والعلم بها وبإيجادها، وإنما أنهم عشرة ونكرة وهو عبارة عن الطور السري الذي هو مطلع الشمس التجلي الآثاري الذي هو أول آثار أنوار التجلي الذاتي لما فيه من وجهين وجه الخفاء ووجه الظهور.

أما وجه الخفاء فلاختفاء التجلي الذاتي فيه، وأما وجه الظهور فلأن الطور السري أول ما يبدو التجلي له بصور الآثار، وإنما عبر الثلاثين وفسره بـ﴿لَيۡلَةٗ﴾ لاختفاء شمس معارف التجلي الذاتي تحت شقّ أفقها، الذي ثلاثين إشارة إليه في سر العشر الذي اختفى في ثلاثين وانتهى في نفسه مطابقًا لما كانَ عليه في حضائر قدسه وسرائر أنسه، هي أنوار العقول العشرة الكاملة التي فاضت بركات أزهار أنوارها على السماوات السبع وعلى الطبيعة الكلية السارية في المواليد الثلاثة الظاهرة آثارها في أمزجتها أولًا في النبات بصورة التغذية والنشوء والنماء وتوليد المثل وفي الحيوان بالحس والحركة الإرادية وفي الإنسان بإدراك الكليات وشهود التجليات وتصور المشاعرة الشاعرة العشرة التي تلك عشرة كاملة، وظهرت في نهاية التنزلات بصور المشاعر العشرة الشاعرة التي هي مظاهر أنوار العقول العشرة، فالسالك إذا سارَ وسرى في باطن ظاهره وهو بدؤه والطور القالبي وفي باطنه وهو الطور النفسي والصدر والقوة النظرية والقلبي والسري والفؤاد والطور والروحي والخفي وغيب الغيوب والمجموع ثلاثين والسر في هذه الأمور لا يكفي في نزول الكتاب الإلهي حتى لم يضم إليه أثر اقتضاء الذات والصفات السبع، وجمعيتهما أي جمعية الصفات فقط، وهي تسعة الذات والصفات وجمعية الصفات وجمعية الذات مع الصفات تلك عشرة كاملة، وإنما آثر هذا العدد في التخمير والخلق والتكميل لأن عقوده يتضمن العدد الكاملَ الذي هو عشرة كاملة ١٠١٢٣٤ وليكون إيماءً إلى أن وظيفة السالك المجذوب والمجذوب السالك أن يتكمل في المراتب الأربعة التي هي محال العقول العشرة ومدارك أنوارها، أعني الملكوت والبرزخ والملك والناسوت، ليستعد للعروج إلى غيبها، وهو موطن كلام الله وأسواره لئلا يبقى له حالة منتظرة ليكون في سيرة

عقوده وفي دوره عقبه، وإلى أن أتباع موسى كثيرة سالك مجذوب أو سالك غير مجذوب.

وأما محمد مجذوب سالك والحاكم عليه وأتباعه هو المحبة الذاتية كما ورد في مناجاته: «**اللهم إني أحبك وأحب من يحبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وولدي والماء البارد**». ولذا تمنى موسى أن يكونَ معه من أمته، لقد تمنى اثنا عشر نبيًّا أن يكونَ من أمتي ومنهم موسى بن عمران. وفي وقوع هذه الآية في الموضعين إشارة إلى حال موسى وحال أتباعه، فالأولى إلى حال نفسه والثانية إلى حال أتباعِهِ وإيراد الليلة فيهما إشارة إلى ظلمة التشبيه المختص به وبأتباعه، وأما ذكر الإخلاصِ والصباح في الحديث: «**من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا**» إلخ، وتفريع ظهور ينابيع الحكمة عليهما فإشارة إلى كمال جمعية محمد وأتباعه وأمته وأشياعه، وأيضًا الآية والحديث فيهما إشارة إلى أن حقيقة آدم قد نزلت على أربعين مرتبة من بداية الدولة إلى نهايتها وهي الصفات السبعة الذاتية، والفصول العشرة، والأفلاك مع النفوس التسعة، والعناصر الأربعة، والناسوت ومجموعها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: 142] في الآفاق والأنفس الظاهر والباطن، إشارة إلى عدم انقطاع تصرف النفس وتدبيرها عن البدن والقوى النفسانية والروحانية عند عروج الروح الإلٰهي إلى المبدئ الأعلى، فإن النفس الناطقة والقوة الإلٰهية الفائقة إذا توجهت إلى أحديتها الجمعية وحقيقتها الكلية والذات الأحدية، فلو لم يخلف هارون النفس في ملك البدن لتلاشى البدن، وما احتوى عليه من القوى النباتية والحيوانية والروحانية فاعتبر في المرضى، فإن النفس الناطقة فيها ربما تستغرق في دفع المرض والعلم بأحوالها إلى أحد لا يكون لها شعور بأحوال البدن الظاهرة حتى أن بعض القاصرين يتوهم أنه قد ماتَ، وهكذا يستمر هذا الاستغراق إلى أربعين يومًا وأكثر.

قد حكي عن بعض العرفاء المتألهين أنهم قد يستغرقوا في مطالعة جمال الله ولم يبق لهم شعور عن أحوال البدن، قد اشتهر بينَ الحكماء الرياضيين أن إدريسَ النبي ﷺ: «**قد عرج إلى السماء السابعة وقد وقع في مركز تدوير زحل ثلاثين سنةً، ودار بزحل حتى شاهدَ حركته كمًّا وكيفًا**» وهكذا شاهدَ حركات الكواكب الستة التي تحتها وحالاتها رجوعًا ووقوفًا واستقامةً وبطئًا وسرعةً وغير ذلك من

الحالات، وهو في هذه المدة كانَ في حكم الميت ما أكل شيئًا لا غذاءً ولا دواءً، وما شرب لا شرابًا ولا ماءً إلا أنه قد صنع دهنًا ووصى تلامذته حتى يخرجوا بدنه في كل سنة عن مضجعه وعرضوه على الشمس ويدهنوه إلى ثلاثين سنة، فاللطيفة الإلٰهية الموسوية لما غابت عن فدم بدنه فلو لم يخلف هارون نفسه لهلكت هلكة بدنه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي تجلى له وظهر بصوره الكلام من غير أن يشاهدَ ذات المتكلم ونفسه وحقيقته، ولا حقيقة الكلام ولا سائر الأسماء والصفات الأولية، إلا أن عقله قد خلط عليه ولبسه بذريعة الوهم بأن من تكلم وأسمع كلامه لمن أراد يجوز أن يرَ أو يشاهدَ ذاته، والحال أن طورَ العقل وراء ظهور الكشف والشهود، فأخبر موسى على رؤية ذات الله بإرشاد العقل وتدبير القوة الوهمية، وطلب تجلي الذات وشهودها قال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ بالعقل وإرشاده لأنه محجوب مني بل هو نفس الحجاب، فكيف تصل يا موسى بإذلال من هو محجوب وحجاب عليّ، بل الموصل إليّ والهادي لديّ ليسَ إلا ذاتي ومحبي كما قالَ النبي ﷺ: «**عرفت ربي بربي**». ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ وهو أنيتك وظاهر هويتك وهو الجبل النفسي والجبل الحسي ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ حال التجلي الذاتي كل منها ﴿مَكَانَهُۥ﴾ وعلى هيئته تمكنه في مكانه الأصلي ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ لأنك مثلي في الوجود الإمكاني، فكل ما جاز له جاز لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ انجذابًا ذاتيًا أو أسمائيًا ذاتيًا أو فعليًا ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ لأن شأنَ نار نور التجلي الذاتي أن يجعل الأشياء راجعة إلى أصلها والعدم الأصلي والجلاء الحقيقي نعلم أن السالكَ العارف إذ أفنى عن وجوده الجزئي وتعينه الشخصي وبقي ببقاء اللّهِ ووجد بوجوده فحينئذ يقين التجلي الذاتي لا بذاته بل بذات الله وماهيته ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ عن الاستهلاك والفناء الذاتي الذي رجع إليه إلى الوجود الحقيقي بالاستملاك وعلم أن العقل بمعزل عن هذا المطلب ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعرَاف: 143].

روي أن موسى لما كلمه ربه دخل إبليس العقل وأوهم عليه ﴿قَالَ﴾ له إغواء له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ إنَّ الذي يكلمك هو الشيطان فضحك الله ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ والأعيان النفسية والأطوار القدسية والأكوان الغيبية والحسية ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ أي النبوّات الذاتية التشريعية أو التعريفية ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: 144] أي تجليات كلامي لا تجليات ذاتي وأسمائي وأفعالي فإن ذلك حق اليتيم وماله أي المنفرد عن أب العقل وأحكامه كما قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 34]. قالَ النبي ﷺ: «**إن الله أعطاني التجليات وأعطى موسى الكلامَ**».

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ وخصصتك به وهو الكلام والنبوة العرضية لا الذاتية، فإنها أيضًا من خصائص الحضرة الختمية كما قال عليه السلام: «**بعثت أنا وآدم منجدل بين الماء والطين**»، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أي الأطوار السبعة القلبية التي هي مظاهر أنوار أحكام الأسماء السبعة الذاتية ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ ودلالة على الذات الأحدية وتذكرة منها ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أي لكل شيء داخل تحت ضبط كل طور من تلك الأطوار ينبيء عن أحوال كل اسم من الأسماء الذاتية ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: 145] وقدرة الذات الحاكمة على كل الأحوال عجلًا جسدًا له أي الاستعجال الطبيعي الذي يتأتى من الحماقة البقرية السارية في تمام الأعيان الكونية.

واعلم أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ كما كان يحول بين المرء وقلبه ينعت الجمال كذلك يحول بين العبد وعقله وروحه بصفة الجلال، فالله يدعو العبد إلى حبه ومحبته وعبوديته ومعرفته، ويتكلم به تكلما لا يطلع عليه ملك من الملائكة المقربين، كما قالَ: إن الإخلاص سر من أسراري أودعه في قلب العبد لا يطلع عليه غيره من المخلوقات، كذلك يدعو العبد إلى العصيان والكفر به ولا يطلع عليه شيطان ولا ملك، قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبه كيف يشاء، كما مر من أن الله قال في جواب موسى حيث قالَ: يا رب من خلف الجوار في المحل قال: أنا فقال موسى: من أصل القوم يا رب إلا أنتَ، قالَ الله تبارك وتعالى: يا موسى صدقتَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

هذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ﴾ يريد أن الذين عبدوا العجل سينالهم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ يريد في الدنيا ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: 152] يريد لقاء بعد قنت من اتخذت إلٰهًا من دوني وتولى غيري وقال بما لا يصلح لي واستهانَ بحقي وضعف شيئًا من قدرتي أو عجز شيئًا من سلطاني.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: 153] يريد الشرك حتى إذا حضرهم الموت قالَ: إني تبت الآنَ يريد لا أقبل توبته عند الموت ولا عند نزول العذاب كما قال في سورة يونس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، وكذلك قال في سورة المؤمن: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ يريد عذابنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ [غافر: 84-85] يريد هذه سنتي في خلقي، ثم يأتوا يريد آمنوا وصدقوا ورجعوا قبلَ طول العذاب وقبل الموت ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ يريد وصدقوا أنه لا إلهَ غيري ولا شريكَ معي ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: 153] يريد غفور لمن رجع رحيمًا لمن لم يتخذ من دوني وليًّا ولا معي شريكًا.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ يريد طفئ غضب موسى ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ يريد فيما فرض الله عليه فيها ﴿هُدًى﴾ يريد بيانًا ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن رجع عما يكره الله إلى ما يحب ويرضى ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154] يريد الخائفين من ربهم.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ﴾ يريد وافدين إلى الله ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 155] يريد ماتوا كما قالَ في سورة البقرة: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: 55]، ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ﴾ يريد تميتني وتميتهم ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ﴾ يريد حيث سمعوا الكلام طمعوا في الرؤية وقالوا لموسى ـ وليس كلهم ـ: أرنا الله جهرة ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ يريد ضلالتك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ يريد قدرتك في خلقك تضلّ ما تشاء ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ﴾ يريد ويرشد من تشاء إلى مكارم دينك وحسن سبيلك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ يريد أنت رجاؤنا وثقتنا وإياكَ نتولّى ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 155] يريد أفضل من غفر لعباده.

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يريد لقومي اقبل وفادتنا وزدنا بالمغفرة والرحمة ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ حسنة يريد الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ يريد هدينا إليكَ وقالَ الله تباركَ وتعالى ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ﴾ يريد على الذنب اليسير ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ يريد جنبي وعفوي وسع كل شيء ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يريد أمة محمد ﷺ هذه العادة صارت للصالحينَ من أمة محمد ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان يريد صدقات الأموال عند محلها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156] يريد ما أنزل على محمد والنبيينَ قبله يصدقون.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يريد عبادة الأوثان وقطع الأرحام والكفر بما أنزل الله على النبيين ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يريد ما حرم عليهم في التوراة والإنجيل من لحوم الإبل وشحوم الضأن والمعز والبقر التي في بطن الأمهات فإنه لم يحرم عليهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما ذكر في المائدة من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ يريد العهدَ الثقيلَ ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ يريد بني إسرائيل إذ قاموا يصلوا بين يدي الله المنسوخ أو حملوا أيديهم إلى أعناقهم تواضعًا لله وخوفًا من عقابه وطمعًا في الجنة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ يريد منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ يريد ونوره ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ يريد الهدى والبيان والرشاد ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157] يريد الذين سعدوا ونجوا من عذاب الله وبقوا في الجنة مخلدين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يريد الأحمر والأسودَ قل يا محمد ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يريد إلهًا غيره يحيي ويميت يريد يحيى الكافرَ بالإيمان ويميت الحي ثم يبعثه ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

﴿وَرَسُولِهِ﴾ يريد صدقوا بالله وقدرته وصدقوا بنبيه الأمي الذي لا يخط بيده ﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يريد يصدق باللَّهِ ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يريد عيسى ابن مريم عليهما السلام ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ يريد على منهاجه وما شرع من دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158] يريد كي ترشدونَ.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يريد يدعونَ إلى الحق ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159] يريد يعملون ويقال والله أعلم: إنهم في منقطع من الأرض لا يوصل إليهم قد آمنوا بالنبي ﷺ وقاموا بالحقيقة كأنهم بنو أب وأم ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرونَ في كل ليلة ويصبحون النهار فيزرعونَ، ليس أحدهم يدعو شيئًا دون أخيه، مقيمين على عبادة الله لا يبكون على ميت.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ﴾ يريد أن ولدَ إسرائيلَ كانوا اثني عشر رجلًا فجعل الله عزَّ وجلَّ لكل رجل منهم سبطًا يريد أمة مثل ولد آدم ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ يريد حين جاز البحر وهو يريد لهم النجاة إلى بيت المقدس، فاستسقوه أي قومه فأمر الله تعالى ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ ووصف له حجرًا مربعًا له أربعة وجوه فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [الأعراف: 160] يريد تفجرت منه اثنتا عشرة عينًا في كل وجه من الحجر ثلاث عيون لكل سبط عين بجملة في غراره أنوار حتى إذا نزلَ وضعه سالت عيون كل سبط، قد عرف عينه لا يشرب من غيرها، وكذلك قوله في البقرة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [الآية: 60] ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ﴾ يريد المنّ

أحلى من العسل وينزل عليهم مثل الجمال البخت ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ طيرًا سمانًا فإن كانَ فيها مهزول يأخذوه ولم يذبحوه ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ يريد ما تفضلت به عليكم وفضلتكم.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 160] يريد حيث أبوا أن يمضوا إلى بيت المقدس مثل ما قال في سورة المائدة: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24] فحرم الله عليهم دخولَ بيت المقدس حتى ماتوا في التيه أجمعونَ، إلا يوشع بن نون وكالب، وهما نبيان بعد موسى.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ يريد من كل ما شئتم ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾[1] يريد لا إله إلا الله يحط الذنوب فرضي الله منهم أن يقولوا حطة وحدها وهو لا إله إلا الله عند الله وعندهم ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ وهو باب من أبواب بيت المقدس يريد إذا دخلتم من ذلك الباب فاسجدوا لله وقولوا حطة ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161] يريد في الثواب.

هذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ أقول: إلٰهًا معبودًا شريكًا للّٰه ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ وقهر وسخط ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ في الدنيا بقتل أنفسهم ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54] الآية، وفي الآخرة بالعذاب الأليم والعقاب ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عصر النبي ﷺ كما فعل بقريظة ونضير من الجلاء والقتل وضرب الجزية عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: 152] أي فعلنا بهم مثل فعلنا بالمفترين على الله باتخاذ الولد والبنات.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ والمعاصي والخطيئات ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ وصدقوا بالله وبرسوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: 153].

(1) الحطة: طلب المغفرة. والحطة: نقصان المنزلة، انحطاطها.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ وهدئ وطفئ وسكن العدول عما فعلَ لاعتداد أخيه هارون، وقد بالغ في هذا الكلام حيث جعل الغضب الحاملَ له على ما فعل كالآمر به والمفتري عليه، حتى عبر عن سكونه بالسكوت ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أي فيما نسخ وكتب منها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وفيما نسخ منها أي من الألواح مكسورة.

وقيلَ: المراد بها الألواح بأنها نسخت من اللوح المحفوظ. قال بعضهم: إن موسى لما ألقى الألواحَ انكسرت فنسخ منها نسخة أخرى ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب ثابت ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154] يخافون بتقديم المفعول على الفعل هدى مبتدأ وخبره (في نسختها) ولام (لربها) لتأخير الفعل وضعف عمله للتأخير وتقديم المفعول وللتعليل على تقدير حذف المفعول أي يخافون قهرَ الله لقهر ربهم.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: 155] من بني إسرائيل من اثني عشر سبطًا من كل منهم ستة حتى تتأمر اثنان وسبعون، فقالَ موسى عليه السلام: ويستخلف منكم رجلان فتشاجر فقالَ: إن لمن قعد منكم مثل أجر منه، فقدرَهما كالب ويوشع فلما دنوا من الجَبَل غشتهم غمام فدخل بها موسى الغمام وخرُّوا سجدًا فقد سمع الحق يكلم موسى بالأمر والنهي ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، فأخذتهم الصاعقة، أو رجف الجبل ونزلته، وكان اختيارهم للتوبة من عبادة العجل، فانقلبت التوبة حوبة والإنابة والرجوع معصية أشد من الأولى ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 155] وصعقوا وهلكوا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] يريد أن يسمعهم الرد بلن تراني، كما سمعه بلن تراني.

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ عند عبادة العجل تمنى وترجى بعيدًا وصل إلى حد الاستحالة والامتناع ﴿وَإِيَّٰىَ﴾ معي وإهلاكي مع إهلاكهم أو إهلاكي معهم ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ معتصمين بكَ معصومين في هذه الصورة إلى المعصية التي هي سبب الهلاك والإهلاك ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية جهرًا وعنادًا، الاستفهام للاستعظام والاستعطاف. قال موسى عليه السلام: كان عالمًا بأن الله أعلم وأعدل من أن يأخذ تحيره الحالي غيرة إن هي إلا فتنتك الجريمة

والمعصية التي هي تقع فيها السفهاء ليس إن اختارك وابتلاك.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ القائم بتدبير العالم بأحوالنا وناصرنا على أعدائنا، وحافظنا عن كل ما يضرّنا ويهلكنا، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ واستر عيوبنا وامح ذنوبنا ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾ وزِد خيرنا في الدنيا وزد خيرنا في العقبى ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: 155].

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وأوجب علينا في حق المذنبين وأنت أرحم الراحمين بالغافلين بالرحمة التامة والرأفة العامَّة التي هي مقتضى ذلك ومرتضى حقيقتك التي هي خير محض ولطف صرف وحسنة نعمة وافية، ورحمة كافيةً عن حسنة من غيرك ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ والنشأة الأخيرة حسنة ورحمة واسعة ونعمة بارعة ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ هدنا لأن تبنا وأنبنا وعدنا ورجعنا ﴿إِلَيْكَ﴾ لا إلى غيرك ﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ وأريد من عبادي وخلقي ﴿وَرَحْمَتِى﴾ وكمال نعمتي ﴿وَسِعَتْ﴾ وعمَّت ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ من أي جنس ونوع كان، من الجن والإنس، ولكن لا تجب للمتقين إذ الرحمة اللامتناهية وصفتها أن ينقلب فيها المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، الجائر والغير الجائر ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في آخر الزمان من أمة محمد ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وتمام كتبنا وجمع صحفنا ورسلنا بما جاؤوا به ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: 157] لا يكتب ولا يتدارك تنبيهًا على كمال علمه ونور حكمته وصفاء فهمه من الله ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ المعروف في الشريعة وفي السنَّة، والمنكر ما لا يعرف لا في شريعة ولا في سنَّة، قد كتب في التوراة في وصف محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحِرزًا للأمّيين، أنتَ عبدي ورسولي سمتك التوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يتبع السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه حتَّى تقام به الملَّة المعوجّة بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعين عمي وأذان صم وقلوب غلف، ويصفح أمته الحمادون يحمدون في كل منزلة، ويكبِّرونه على كل نجد، بارزون على أنصافهم، ويوصلون أطرافهم، وصفهم في الصفاء والقتال سواء، مولده بمكة، ومهاجرته بطيبة، ومُلكه بالشام.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ التي حرَّموها على نفوسهم في الجاهلية كالسائبة وغيرها ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وغير ذلك ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾ أثقالهم ومشاقهم ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ سابقًا كقتل الأنفس بالتوبة. وقيل: الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة بالمقراض، وتعين القصاص في القتل فقط دون الأطراف، وتحريم أخذ الديَّة، وترك العمل في السبت، وإن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس وغير ذلك من الأثقال والآصار، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ - يعني محمد ﷺ - ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وعظَّموه بالتقوية وأصله المنع، ومنه التعزير ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على الأعداء، ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وهو القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ وعموم آياته من القرآن وسائر الكتب السماوية أو النفوس الكاملة القدسية من الأنبياء ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ [النِّساء: 171] الآية، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ إلى الحق ويرشدونهم ويدعونهم إلى الحق بالحق وينتسبون إليه ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: 159] يحكمون بالعدل والقسط ويقوّمون به ويقوموا به.

قال الضحاك الكلبي والربيع: هم قوم دعوا الله عند هيجان الفتنة من عبادة العجل ومخالفة أحكام التوراة والمكابرة في طلب رؤية الله جهرًا، وامتناعهم عن قبول الأحكام، وقتلهم الأنبياء بغير حقّ، فسألوه أن يفرق بينهم، ودعوا الله عند هيجان الفتنة أن يفتح لهم نفقًا في الأرض، فساروا فيه سنة ونصف سنة إلى الصين أقصى الشرق، يُمطرون بالليل ويفتحون ويتشمسون بالنهار، وهم على الحق حتى قدوم المهدي.

روي أن جبريل عليه السلام لما أسرى ليلًا بالنبي ﷺ وذهب به إلى المعراج، فلما رجع رأى النبي عليه الصلاة والسلام عمودًا من النور في جانب الشرق متصلًا إلى السماء، فسألهم النبي عليه السلام، فحكى حكاية فقال النبي عليه السلام: أريد أن أراهم، عرفوا به، وقالوا: يا رسول الله إن موسى أوصانا

إن كان مَن أدرك محمدًا فليقرأ عليه مني السلام، فرد النبي عليه السلام على موسى وعليهم، فآمنوا به ثم قرأ عشر سور من القرآن أنزلت بذلك وأمرهم بالصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، فكانوا يسبتون، فأمرهم أن يتجمعوا ويتركوا السبت وهم هنالك ضعفاء مسلمون مستغلبون.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي جعلناهم في إسرائيل قطعًا فرقًا متميزًا بعضهم عن بعض لقلّة الإلفة منهم ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ جمع سبط وهو ولد الولد من أولاد يعقوب. والأسباط هي القبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط، إنما بدل يعني وقطعناهم ﴿أُمَمًاۚ﴾ لأن كل سبط كانت أمةً عظيمة وجماعة كثيرة العدد لا تكاد تأتلف، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التيه حين حاروا فيه وداروا وطالت حيرتهم وعطشهم ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ أي انفجرت بعد الضرب، يدل على أن موسى لم يتوقف في الامتثال وأن ضربه لم يكن حيث يتوقف عليه في ذاته ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: 160 - 161]... إلخ، قد مرّ الكلام في هذا المقام.

إشارة وتأويل

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ [الأعراف: 152] إلى آخرها، إشارة إلى إرشاد السالكين وتفاوت درجاتهم ومغايرة حالاتهم ومقاماتهم، وإلى أن كل واحد من الأشخاص البشرية فيه استعجالان: استعجال طبيعي نوعي ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11] الآية. وشخصي فرعي، أما الاستعجال الطبيعي الموسوي والشخصي الفرعوني الذي ظهر في موسى حين الغضب ومنه اتبع الطور الروحي الموسوي. أما الأول فقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾ [الأعراف: 143] وبذلك عوقب وغضب عليه بالصعق وذلّ في التأييد في البغي. وأما الثاني فقد ظهر في غيره ومن غيره وهو كالجزء منه، والعجل السامري.

وأما نبيّنا عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيّات فقد ربّاه الربّ وعلّمه الأدب

في حسن الطلب من حضرة الربّ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] ولذلك وفي حضرة خضر عليه السلام قال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: 75].

واعلم أن الوجوه الكونية والأسماء الذاتيَّة والإلٰهيَّة الذاتيَّة متلازمتان، بل في الحقيقة متحدتان لكن متبادلتان كمونًا وبروزًا، فتارة يكون الوجه الإلٰهي بارزًا نورًا وجمالًا وسرورًا، والوجه الكوني كامنًا ومضمورًا، وأخرى بالعكس، فينقلب الوجه الإلٰهي بالوجه الكوني، والوجه الكوني بالإلٰهي، هذه التقلبات تسعة منتظمة متطابقة ومظبوطة الانتظام والإنسان لا ينتظم إلا بالدور.

والحركات الدورية قسمان: بسيط ومركب: أما البسيط فمنتظمة دائمًا.

وأما المركب فله أقسام لا تتناهى لأنها على سبيل الكليَّة قسمان: متشابه ومختلف، والتشابه من جميع الوجوه بعض إلى العينية فله عرض عريض من بداية التشابه إلى نهايته، وهي العينية، له امتداد، فإذا شرع في التشابه إلى أن يصل إلى الغيبية له حالات ومقامات، فكل متحرك إذا تشابه في حركته فبقاؤه بحسب تشابه حركته وميقاته، فكلما ازدادت المشابهة ازداد بقاؤه إلى أن ارتفعت المشابهة بارتفاع التعدد في الحركة فيكون عمره أدوارًا وأكوارًا إلى أن ارتفعت الحركة بالكلية كما في واجب الوجود، فإن السالك ما دام يكون متصفًا بالعجلة الوهمية السامرية والاضطرابات الحالية يناله غضب من الربّ ويحلّ عليه كرب الطلب.

تفسير

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ يريد الذين كفروا، ومنهم ليس بني إسرائيل كلهم إنما هم قوم نافقوا ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ قالوا حية سمراء بالعبرانية ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ يريد عذابًا من السماء ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 162] يريد نفاقهم.

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ يريد الطبرية ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ يريد يصيدون من الحيتان ويفعلون ما نهوا عنه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ يريد شرَّع على الماء فيأخذونهم يوم الأحد ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ نخبرهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163] يريد بعصيانهم لربّ العالمين، خذلوا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وقالت الأمة التي انتقلت عنهم إلى الله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164] يريد يخافون نقمتي.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ يريد تركوا ما وعظوا به ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: 165] يريد الأولين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ [الأعراف: 164] وهم الذين انتقلوا ومسخ الباقون قردةً وخنازير وذلك أنهم إذا أوعظوهم فلم ينتهوا أي الواعظون عن مجالستهم ومكالمتهم ومجادلتهم ومحاورتهم جميعًا، وذلك قوله في سورة المائدة: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79]، ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ يريد عن المعاصي ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يريد نافقوا ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ يريد غليظًا ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165] يريد يعظون ولا يتعظون.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ لم ينتهوا عن ما نهوا عنه ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: 166] يريد تقرّر كل من يراه قد عز محاسنه.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ يا محمد يريد وأقسم ربّك ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ يريد بخت نصّر وغيره إلى اليوم، والبعض من الناس إلى يوم القيامة، يريد ليسومهم يعذّبهم ويقتلهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشد العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: 167] يريد لأوليائه ومن رجع عن معصيته إلى ما يحب ويرضى، رحيم بهم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد وفرّقناهم في الأرض، يريد جميع البلاد وبلاد الروم وبلاد الفرنجة وأرض خراسان، وفي كل بلاد لا تُعرف، يريد جزيرة البحر وغيرها ﴿أُمَمًا﴾ يريد الأسباط كل سبط أمة هم اثني عشر سبطًا ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ يريد الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به والذين ماتوا قبل النبي عليه السلام، وهم يشهدون أنه رسول الله، وعملوا بما في التوراة وماتوا على ذلك مقرّين للأنبياء بالنبوّة ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يريد مثل الذين كفروا ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ﴾ يريد نعيم الدنيا وكثرة المال ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ يريد القحط والجوع والأسقام وقلّة المال ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168] يريد حتّى يفعلون.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يريد أبناء أمتهم ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ يريد التوراة

والإنجيل ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يريد إشرافهم في الدنيا بغير حدّ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾ مما نهوا عنه ﴿يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾ يريد ألم ينههم الله في التوراة عن هذا ﴿مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد ما ذكر الله عزَّ وجل في التوراة ولما نهاهم عنه وما وعدهم عليه بالعقاب ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ كذبًا ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ فقالوا الباطل ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ يريد التوراة ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ يريد الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يخافون الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169] يريد أفلا ينتهون.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد أمّة محمد ﷺ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170] يريد الذين أصلحوا فيما بينهم وبين أنبيائهم.

هذا ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أي غير الذي أُمروا به من التوبة والاستغفار وحط الأوزار، فبدّل الحط بالحط ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ أنزلنا ﴿عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الأعراف: 162] ورجسًا وعذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 162].

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ سؤال توبيخ وتقريع، والقرية هي أيلة من الطور، والطور على ساحل البحر. وقيل: هي طبرية الشام ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي يتجاوزون من يوم السبت، ويظلمون فيه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ طائرًا على الماء كثيرًا، جمع شارع أو شارعة متوالية متتابعة ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ مثل الناس السمان البيض ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أي سائر الأيام من الأسبوع ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الحيتان ولا يظهرون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163] بسبب خروجهم عن طاعة الله ونهيه. تمثّلت أهل القرية وهم سبعون ألفًا، فمنهم من انتهى منه، ومنهم من لم ينته.

وسكنوا وقالوا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وألقوهم أصحاب الحيطة الذين لم ينتهوا فقال الناهون لأصحاب الحيطة: إنا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية، فجعل للناهين ولأصحاب

الحيطة المعتدين بابًا، ولعنهم داود عليه السلام، فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم شأنًا ولعل الخمر خمّرتهم فغلبتهم، فتعالوا على الجدار فإذا هم قردة، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسابهم من الإنس، فلا يعرف الإنس أنسابهم من القرود ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ عطف على يصدقون، وهم صلحاؤهم الذين ركبوا الصعب في موعظتهم حتَّى آيسوا من قبولهم النصح.

قيل: هذه القردة من الفرق الهالكين لأنه لما قيل لهم: أتنتهون عن هذا العمل السيِّىء قبل أن ينزل بكم العذاب، قالوا في جوابهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بحياتهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة لتماديهم في العصيان ﴿قَالُوا۟﴾ الناهون في جواب السؤال: إن موعظتنا ونصيحتنا مؤخرة واعتذار إلى ربّكم ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾ [الأعراف: 164] الضمير للناصحين لا المعتدين وإلا لوجب أن يقال: لعلكم، بالخطاب إشارة إلى أن حق الناصح أن يبقى ويحفظ نفسه عما يمنع غيره منه، عظ نفسك لحكمي فإن اتعظت بها عظ غيرك والأصح متى.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ وتركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ ووعظوا به ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ الفرق الغاصبين ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالاعتداء ومخالفة أمر الله بالتجاوز عنه في أمر السبت ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ البائس وهو الشدة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165].

قال ابن عباس: قال الله في حق الناهين: ﴿أَنجَيْنَا﴾ [الأعراف: 165]، وفي حق المعتدين: ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ فلا أدري ما فعل بالفرقة الثالثة. قال عكرمة: ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما بهم عليه وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ [الأعراف: 164] وإن لم يقل الله أنجاهم، ما قال أهلكهم، فأعجبه قولي. قال بعضهم: نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون الذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ واستكبروا ﴿عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ عن ترك ما نهوا وتمردوا فأبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: 166] مقطوع الرجاء مرفوع الارتجاء به عن العود إلى ما كانوا عليه. والظاهر يقتضي أن يؤدِّبهم أولًا بعذاب شديد، ومن بعد ذلك فمسخهم، ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرًا وتفصيلًا للأولى.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ وأذن وأعلم ﴿رَبُّكَ﴾ من الإيذان وبمعناه، أو أوجب الله على نفسه ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ليسلط على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ ويذوقهم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وأشدّه، وهو محمد عليه السلام وأمّته ويقاتلوهم حتّى يسلموا أو يعطوا الجزية ويقبلوا سائر حالات الإذلال وذلك بعد بخت نصر وجالوت ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: 167].

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ وفرقناهم وجعلناهم قطعًا وطوائف وفرقًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ من الذين آمنوا بمحمد وأدركوه ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مما قالوا على الكفر وثبتوا عليه. والمراد هم الصالحون الذين أقاموا وراء النهر أو الصين ومنهم من دون ذلك، يعني من ها هنا من سائر اليهود وفيه إيهام وظرافة ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني النِّعم والنقم والخصب والعافية والبلاء والفقر والفاقة، لعلهم يعودون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168] ويعودوا إلى طاعة الله ويتوبوا مخلصين.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ من الخلف وهو القرن الذي يجيء بعده قرن. والخَلْف بسكون اللام هو الأولاد، والجمع والواحد سواء، وبفتحها هو البدل وقيل بالفتح هو الصالح، وبالسكون ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي انتقل إليهم الكتاب من آبائهم وهو التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشقّ الأدنى، يعني الدنيا من الدنوّ والدناءةِ وهو الذي كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلمة. والجملة حال من واو، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي بنو إسرائيل ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ولا يؤاخذنا بذلك ويتجاوز عنا، والمجرور فاعل سيغفر ويجوز أن يكون فاعله مصدر يأخذون ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من الضمير في لنا، أي يرجون المغفرة مصرِّين على الدنيا، عابدين إلى مثله، غير ثابتين عليه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في كتاب التوراة من ارتكب ذنبًا عظيمًا لا يغفر إلا بالتوبة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ عطف بيان للميثاق أو متعلّق به والمراد توبيخهم على البت للمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ عطف على (لم يأخذ) من حيث المعنى فإنه تقدير أو على ورثوا وهو اعتراض ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ مما يؤاخذ هؤلاء عليه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169] ألا تتفكرون كيف علموا ذلك، ويستبدلوا الأدنى الدني

المؤدي إلى العقاب، ودنوّ المنزلة بالنعيم الأعلى للخلد المخلد.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170] عطف على الذين يتّقون. وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169] اعتراض أو مبتدأ أو أن لا نضيع أجر المحسنين منهم خبره، ووضع الظاهر موضع المظهر إشعار بأن الكتاب أصلي في إتمام الأحكام الإلٰهيَّة. قال صاحب الكشاف في قوله: ودرسوا أفلا يعقلون أي علموا ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما يروى عن مالك بن دينار بأزمان على الناس إن قصروا على أمرٍ وإن قالوا سيغفر لنا ما لم نشرك بالله شيئًا كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشياع الذين ذكرهم الله وتلا هذه الآية. هذا وأنت خبير بأن بين المذهبين بونًا بعيدًا.

إشارة وتأويل

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ إلى آخر الآية، إشارة إلى أن لكل طور من الأطوار السبعة القلبية في كل دورة من الأدوار النورية الجمالية الوجودية اقتضاء ولوازم، فإذا وقع السلوك على الوصف الطبيعي والنظام الوضعي يظهر من كل منها ما يلازمه ويوافقه ويلائمه، فإذا وقعت الظفرة ويرتقي السالك مثله في الطور القالبي إلى الطور النفسي أو القلبي أو السرِّي أو الروحي أو الخفيّ من غير استكمال كل طور من الأطوار واستيفاء أحكامه وأحواله ومرتضى مقامه. فإذا وقعت الظفرة وتعدّى السالك من الطور القالبي إلى الطور النفسي أو القلبي أو السرِّي من غير استيفاء كل طور منها اقتضاء المخصوص به كما أنه ترك الرياضة البدنية وهي التجلِّي بالأحكام الشرعيَّة وهو التلقي بالعبادات الشرعيَّة والطاعات البدنية الجسمانية والخدمة الجسدية، واشتغل بالرياضة النفسانيَّة برفع الشهوات ومنع النفس عن المشتهيات، وترك اللذّات النفسية كما هو شأن أرباب الدعوات الأسمائيَّة وصفة أصحاب تبديل الأخلاق وتحسين الأوصاف البشرية عن مقتضيات الكدورات العنصرية، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الأعراف: 162] وعذابًا، رجزًا من سماء الإرشاد والتكميل بالرد إلى ما ظفر عنه والعود إلى ما سفر عنه، باستكمال ما ترك من

الوظائف البدنية واللطائف النفسانيَّة والمعارف الإنسانيَّة الغامضة من الحضرة الربانيَّة ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ التي هي حاضرة البحر القلبي، ناظرة البر العيني، والقرية هي النفس المتصلة ببحر القلب الحاضرة عنده، ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ [الأعرَاف: 163] ويتجاوزون عن دعاية ما أمرهم الله تعالى في السبت يوم الفراغ عن خلق العالم، فإن الله تعالى ابتدأ بخلق العالم يوم الأحد، وتمَّ الخلق والإيجاد، أي خلق السماوات والأرض وإيجادهما يوم الجمعة بعد العصر، وما خلق في يوم السبت شيئًا قط، ولذا أخذت اليهود سبقًا وعملوا فيه شغلًا وعملًا ليتطابق عملهم بعمل الحق وتركهم بتركه.

وأخذ المسلمون يوم الجمعة مفرّغًا للأعمال، وجعل لهم يوم عيد واشتغلوا فيه بالصلاة والطاعة والعبادات تشريفًا لخلقه وإتمامه وتعظيمًا لكمال إنعامه وإحسانه، ووفور إكرامه لآدم ابتداءً وانتهاءً، لأنه علة غائية، والعلة الغائية لها وجودان: بداية ونهاية، والوجود المظهر الجامع والفرق الكامل الدافع.

ولما وصل إليه من الأعيان الكتابية في المبدأ الأعلى الأسمى هذا اليوم يوم الجمعة والنصارى أخذوا يوم الأحد فراغًا عن الاشتغال وعيدًا لهم رعاية للأدب بأن الله لما ابتدأ فيه بالخلق فأوحى للمخلوق أن يشتغل في هذا اليوم يعمل ليلًا ليشارك بالخالق. والتحقيق أن يوم السبت هو الجذبة الإلٰهيَّة، فإن الله لما جذب قلب آدم إلى حضرته وشايعته حيتان القوى البدنية والمبادىء النفسانيَّة والروحانية بحيث لم يبق للقلب وقواه تصرف وعمل وعلم في ملك البدن ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ أي وقت توافق حيتان القوى البدنية والمبادىء النفسانيَّة والروحانية بالقلب ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي انجذابهم إلى الله، أي أصحاب القلب ﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرًا ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ [الأعرَاف: 163] أي يوم السلوك الذي لا ينجذب فيه ولا تراه إشارة إلى أنه كان لا بدّ وأن لا يكون بين الفيض النازل وصعوده عند المركز القلبي زمان سكون، وكذا بين السير إلى الله زمان السكون، وكذا بين الترقي والتنزُّل وهو الفناء الذاتي والقدم الأولي، كذلك لا بدّ وأن يكون بين الانجذاب والانقلاب زمان سكون وهو الفناء، وذلك قد تقرّر في الحكمة أن بين الحركتين المختلفتين في النزول والصعود والإقبال والإدبار ومن اليمين إلى الشمال لا بدّ من السكون، هذا هو على الترتيب الإيجادي.

وأما على وفق الترتيب الحالي فاعلم أن الصور الجمعية الإلٰهيَّة هي صورة جمعية مقتضى الذات بتمام الأسماء والصفات الإلٰهيَّة والكونية في تمام الأدوار والأكوار وما يتبعها من الأطوار قد انتفى عنها الحركة والسكون، بل السكون فيها عين الحركة وبالعكس، وكذا سائر المفهومات المتقابلة على هذا النسق كالظهور والبطون، والبروز والكمون، والأول والآخر، والمقيم والسائر والدائر. ولا شكّ أن ساكن قرية ساحل هذا البحر المحيط، وهم المولودات الإنسية والجنيَّة، والقرية هي النفس الحاضرة عند البحر المحيط القلبي، والحيتان هي مقتضى المولودات الإنسية والجنيَّة ومعلوماتها.

ولا شكّ أن البحر القلبي الذي هو بيت الله ومقام فيضان العلوم الحقيقية والمعارف الإلٰهيَّة، فالمولود الإنسي والجني اللذان توافقا وتطابقا وتقاعدا عن اشتغالهما وتوجههما إلى القلب المشتغل بالله عما سوى الله، فأتى من الله الفياض المطلق حيتان الفيوض الإلٰهيَّة، وسموك المعارف الغير المتناهية شرعًا وظاهرًا، والمولودان في هذه الحالة، وقد تعديا في السبت القلبي الذي صدر من القلب في هذا اليوم شيء قط إلا العلم وما إليه ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ [الأعراف: 163] بالقلب المولودان وقواهم حين انصراف القلب بهما عن الله إلى مقتضى سحتهم ومرتضى شجعهم إلى صيادهم حيتان المعارف والعلوم والإدراك وسموك الأحوال والمقامات لحولهم وقولهم: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 96].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: 164] إشارة إلى أن ساكن هذه القرية النفسية ثلاثة أنواع، منهم تاه عن اصطياد هذه الحيتان في سبت الصورة الجمعية العظمى، وهم الزهّاد والعباد الذين قطعوا طريق الوصول عنها وعن اصطياد هذه الحيتان في سبت الصورة الجمعية، التي صور الحيتان عندها والاصطياد والصياد. ومنهم العلماء الذين منعوا عن اصطيادهم بطريق النظر والبيان. ومنهم السيَّاحون في البحر الملّاحون في الخليجات والأنهر، الصيادون في الخليجات وساحل البحر وهم قسمان، قسم اقتنع بالحيتان وصح نظره هي حيتان المعارف النظرية من المعارف الروحية والشبحيّة والجسدية والغذائية، التي هي بداية التجليات القلبية والنفسية كالصورة الجمعية، ولم يمل إلى غيرها، ومنهم من لم يقتنع بذلك تصرف واصطاد أنواع

الحيتان. والمراد بالطائفة هي هذه الفرقة، ومنه المهلك والمعذب من شواهد هذه الطائفة من المذكورات.

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

هذا ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ يريد جبل طور، نتق عن الأرض وارتفع حتَّى استعلى عليهم بما فيه من الشجر كأنه ظلّة يريد شقيقة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ وهذا الظن بعينه يرد عليهم ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ يريد خذوا التوراة بما فيها من العهود والمواثيق والفرائض والسنن ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ يريد اتعظوا بما فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171] يريد كي يخافوا الله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ﴾ يريد أشهد آدم عليه السلام فأراه ذريته ما خلق إلى يوم القيامة ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يريد قال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ جوابًا منهم ﴿شَهِدْنَآ﴾ يريد على أقوالكم ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 172] يريد لم يخلق ولم يحضر.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يريد صغارًا وكبارًا ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: 173] يريد المشركون.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يريد نفسّر الآيات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174] يريد كي يرجعوا إلى محبتي وإلى توحيدي.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على قومك يا محمد ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ يريد أنه مال إلى الدنيا ووافق ما زيّن له الشيطان، يريد علّمه الله تعالى اسمه الأعظم فأعان أعداء الله على أوليائه يريد خرج عن محبة الله إلى معصيته، ومن رحمة الله إلى سخطه ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175] يريد فأطاع الشيطان فكان من الضالين.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يريد مال إلى الدنيا ووافق ما زيَّن له الشيطان ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ يريد ينبح إذا حملت عليه وينبح إذا لم تحمل عليه ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يريد مثل قومك، كانوا يتمنون هاديًا يريد داعيًا إلى طاعة الله فلما جاء ما لا يشكون في صدقه كذّبوه، مثله قوله: أتى أمر الله رسولًا منهم فكذبوا فأخذهم العذاب وهم ظالمون، ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يريد أهل مكة ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ يريد قصص الذين مضوا وكذّبوا بآياتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176] يريد يعقلون.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي بئس ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 177] يريد وأنفسهم ظلموا.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ يا محمد ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ ليس في القرآن غيرها، يريد من يرشده الله فقد اهتدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ [الأعراف: 178] الله ويخذله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 178] يريد خسران الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ يريد ولقد خلقنا لجهنم ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ يريد لا يعقل ثوابها ولا يخاف ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ يريد سبيل الرشاد والهدى ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ يريد مواعظ الله وقراءة القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يريد مثل الإبل والبقر والغنم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ يريد أن الأنعام يعرف ربّها ويحذر الموت وليس عليها بل هم أضلُّ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] عما أعدّ الله لأعدائه من العقاب وشديد العذاب.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180] يريد أنه الله الرحمٰن الرَّحيم الحي القيُّوم السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر الخالق الباريء المصور، وكذلك في بني إسرائيل ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ [الإسراء: 110] يريد فيما يدعو فهو كذلك ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ يريد فوحّده ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ يريد مثل الذين جعلوا لله شركاء مثل يغوث ويعوق ونسرًا وفينا القرى ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180] يريد بكفرهم بالله.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يريد أمّة محمد يهدون بالحق يريد يرضون بالله ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: 181] غير الحق يتناولهم المهاجرون والأنصار والذين آمنوا بعد فتح مكة، وقد صور مراده وحده من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، وهو غزوة تبوك، يريد حين العسرة عند اتضاح الثمار، وأشد ما يكون الحر، وكان معه أبو سفيان الصخر بن حرب بن أمّية بن الحرث

ابن عبد المطلب، وحكيم بن الحرام، والحرث بن هشام، وعكرمة بن عمر بن هشام، وسهيل بن عمرو، وكثير من قريش يريد من لم يكن يهاجر فكان إسلامه بعد الفتح.

هذا ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ **أقول**: رفعنا الجبل ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ سقيفة مظلّة ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُ﴾ أي جعل الطور ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ ساقط وهابط عليهم وقوع السقف على الساكنين تحته بحيث لم يشذ منه ساكن ﴿خُذُواْ﴾ على القول والقائل إما الحق والملك ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ أعطيناكم وأنزلنا عليكم كتاب التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد وبذل الوسع لا بالهذل والسخرية ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأحكام في بيان الحلال والحرام، أو لصلاح الخواص والعوام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171] من المحرمات ومن كل ما نهى الله عنه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي أخرج من أصلابهم نسلهم وذراريهم على ما يتعادلون قرنًا بعد قرن ودورًا بعد دور من ظهورهم بدل من بني آدم. يقول البعض عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، وهؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، وهؤلاء للجنة**»، فقال رجل: فلِمَ العمل يا رسول الله؟ قال: «**إن الله عزَّ وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتَّى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتَّى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار**».

هذا قول رسول الله ﷺ أشار إلى أصناف بني آدم، فإنها ثلاثة: صنفان هذا، والصنف الثالث قد ذكره أولًا كما أشار إليه في حديث: «**يجمع الله الخلق في بطن أمه**» إلى قوله: «**يعمل الرجل بعمل أهل الجنة ثم يسبق الكتاب فيدخل النار**» إلى آخر الحديث، هذا الصنف قليل. قال أهل التفسير: إن الله تعالى مسح صفحة ظهره اليمنى وأخرج منه ذريَّة بيضاء كهيئة الذرّ يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج ذريَّة سوداء كهيئة الذرّ، فقال: هؤلاء ذريتك، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أهل اليمين. وقال للسود: هؤلاء للنار ولا أبالي. وهم أصحاب الشمال ثم

أعادهم جميعًا في صلبه.

قالوا أيضًا: إن أهل السعادة أقرُّوا طوعًا وقالوا بلى، وأهل الشقاق قالوا تقية وكرهًا: وله أسلم من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا، ثم اختلفوا في موضع الميثاق، قال ابن عباس: لبطن نعمان. وروي أيضًا عنه أنه بدهنا أو برهنا من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط فيه آدم عليه السلام روي أن الله تعالى قال لهم جميعًا: اعلموا أنه لا إله غيري وأنا ربّكم فلا تشركوا بي شيئًا فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي، وأنا مرسل إليكم رُسُلًا يذكِّرونكم عهدي وميثاقي ومُنزل عليكم كتابًا فتكلموا جميعًا وقالوا: شهدنا أنك ربّنا وإلهنا لا ربّ غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر آدم إليهم فرأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك، وأشهدهم على أنفسهم قولنا لهم وميثاقًا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي أشهد بعضهم على بعض وركب في عقولهم فاضطرهم إلى الإقرار بها حتَّى صاروا بمنزلة مَن قيل لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فنزل ممكنهم من منزلة الإشهاد والاعتراض على طريقة التمثيل أن يقول يوم القيامة أي كراهة أن يقولوا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 172] لم يتنبه عليه بدليل أو تقتلوا عطف على أن يقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، داخل في حيز الكراهة، وكنا من بعدهم أتباعًا لهم فاقتدينا بهم بقولكم هذا مع اقتداركم وتملككم من العلم لا يصلح عذرًا ليقولوا في معرض الاعتذار في حالة الضرورة والاضطرار ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: 173] أي يعذبنا بفعل آبائنا المبطلين، وكذلك مثل الذي قدمناه في عطاء الاقتدار من العلم به وتقرير المواثيق عليهم بفضل الآيات وتنبيهًا لتدبُّر العباد في التأمل في حال سكان البلاد ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174] عن التقليد بالآباء العاطلة والتقيد بأقاويلهم الباطلة.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175] اختلفوا فيه، قال ابن عباس بلعام بن باعوراء وقصته: أن موسى لما قصد الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إليه وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا: إن موسى رجل شديد ومعه جنود كثيرة وقد قصد أن يخرجنا من ديارنا ويقتلنا وأنت رجل مجاب الدعوة، أي ادعوا الله أن يرد عنا، فقال: ويلكم - نبي الله ومعه الملائكة - كيف أدعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون، لو فعلت

لذهبت دنيائي وآخرتي، فرجعوا وألحوا عليه فقال: قفوا حتَّى أرَى ربّي، وكان لا يدعو حتَّى ينظر ما يأمر به في المنام. فلما توجه قيل له: لا تدعي عليهم، فعرض عليه قومه هبة عظمى وعطية كبرى فقبلها فرجعوه فمنعهم. ثم ألحُّوا ولا يزالون يترددون عليه بالتضرُّع وإظهار العجز والاضطرار حتَّى فتنوه فافتتن فركب أتانًا متوجِّهًا إلى جبل يطلع على عسكر بني إسرائيل، فلما سار عليها ما تحرك إلا قليلًا حتَّى ربضت به، فنزل عنها وركبها ثانيًا، ثم ربضت به، فنزل عنها فركب ثالثًا ورابعًا حتَّى صاح عليها وزجرها فأذِن الله لها في الكلام فكلَّمته حجَّة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب بي، ألا ترى الملائكة أمامي وتردني عن وجهي هذا، أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم، فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتَّى أشرفت على الجبل المعهود فلا يدعو عليهم بِشَرٍّ إلا يصرف لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا ضرب لسانه إلى بني إسرائيل، فقال قومه: ما لك ألا تدري ما تقول بها؟ تدعو لهم وعلينا. قال: فهذا ما لا أملك فيه شيئًا، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا الحيلة والمكر، فسأمكر لكم، زيِّنوا النساء وجملوهن إلى العساكر. فلما فعلوا ذلك ودخلت النساء العسكر فمالت العسكر إليهن وباشروهن فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفًا في ساعة من النهار.

قيل: إن ملك بلعام قال له: ادعو الله على موسى أن لا يدخل المدينة، فاستجيب له فتحيّر موسى بقومه في التيه أربعين سنة بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقفتنا وتاهيتنا في التيه، قال: بدعاء بلعام، قال: يا رب سمعت دعاء بلعام في حقي فاسمع دعائي في حقه، خذ منه الاسم الأعظم والإيمان واسلخه منهما. فأجاب الله دعاء موسى في حق بلعام بأن نزعهما منه وانسلخه ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: 175] فيه إيماء إلى أن بلعام في هذا المكر والحيلة أعم وأقدم من الشيطان لأنه لما خرج عنه نور الاسم الأعظم والإيمان واجتباهما عنه بقي مظلمًا مقرًّا للشيطان، فاتبعه الشيطان فصار مقتدى الشيطان ومقدمه نزلت في أمية بن الصلت الثقفي كان قد علم أن الله يرسل في زمانه رسولًا صاحب كتاب وشريعة، فلما أرسل الله محمدًا عليه السلام حسده وأخفى الحق، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، فطغى وضلَّ وغوى.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي بتلك الآيات منزلة ورفعة، أو رفعت الكفر والعصيان بتلك الآيات عنه يعني لو تعلّقت المشيئة برفع بلعام وبعلوّ قدره ومنزلته لرفعناه بها أي بتلك الآية والمكر والحيلة لكنه أخذ بلعام وسكت ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي مائلًا إلى الأرض أي أرض الذلّة ومقام الإهانة، وأطال مكثه فيها واتّبع بلعام أو أمية بن الصلت، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ يراد الشيطان وأمنيته، ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي مثل بلعام ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ وتتوجه إليه وتميل لديه ﴿يَلْهَثْ﴾ لهث الكلب إذا أدلعَ وأخرج أنيابه وأظهرها ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل المذكور ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ واحكي الحكايات الحسنة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176] ويتعقلون ما مضى وجرى ما أمر الله بينهم وقضى.

﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ أي وجد الهداية ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ ذلك القوم والشخص ولم يجد الهداية ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 177 - 178].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ وخلقنا وأعددنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أخبر الله تعالى أنه خلق خلقًا كثيرًا من الجن للنار وهم الذين حقّت عليهم كلمة العذاب، وحكم عليهم في الأزل في الفطرة الأولى بالشقاوة الأبدية وشدّة العذاب، فلا حيلة لهم في الخلاص منها. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أدرك النبي ﷺ جنازة صبي من صبيان الأنصار فقالت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما يدريك إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون لها، ولهم آذان لا يسمعون بها**». والمراد بهذه المذكورات ليست الظاهرة لكونها موجودة في سائر الطوائف، فليس لها مزية يتفاضل بها الأشخاص الكاملة، بل المراد بها هي عين البصيرة وسمع السريرة والقلوب السليمة التي عمَّت جميع الأفراد الإنسانيَّة. قال النبي عليه السلام: «**إن للقلب عينين وأذنين وإذا أراد الله بعبد خيرًا فتحهما فمن لم يكن في هذه الزمرة أولئك كالأنعام بل هم أضلّ**» لأنهم بهذا النقص وكمال الشقص[1] وقد خرجوا من

(1) الشقص: النصيب/ القطعة من الشيء.

الدرجة الإنسانيَّة إلى المرتبة البهيمية ولم يبلغوا إلى درجات صفات البهائم، فهم أنزل منها في هذه الصفات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] عن آياتنا ومشاهدة أنوارها ومعاينة آثارها. وإرداف هذه الآية يُشعر بأن مبدأ هذه الحسنات أصل تلك الشقاوة والخسارة، بل أصل تمام السيئات والخطايا إنما هي الغفلة عن الله وآياته.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: 180] نزلت حيث قال مشركو مكة: أن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون ربًّا واحدًا وأنهم يعبدون الله والرازق وغيرها، فأشار إلى دفع كلامهم: ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: 110] فادعوا بها ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ ويكذبون ويميلون أسماءه ويعدلون من أسماء الله إلى أسماء أصنامهم، فعدلوا من اسم الإِلٰه إلا اللات ومن العزيز إلى العزى، ومن المنَّان إلى المنات وغير ذلك. وقال أهل المعاني: الإلحاد في الأسماء اسميَّة بما لم يسمّ به ولم يرد كتاب ولا سنَّة، فإن أسماء الله تعالى كلها توقيفية فإذا أذن بإطلاق اسم على الله تعالى لا يكون إذنًا في إطلاق مرادفه مثلًا إن الجواد قد نطق به الكتاب وورد عليه الحديث النبوي، والسخي الذي هو مرادفه أو لازمه فلا يجوز إطلاقه على الله لعدم ورود الكتاب والسنَّة. وكذا الكلام في الطبيب والشافي والمتكلِّم والناطق وغير ذلك ﴿سَيُجۡزَوۡنَ﴾ في الآخرة ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180] في الدنيا وممن خلقنا أمة وعصابة وفرقة يهدون بالحق وهم أمة محمد من الأنصار والمهاجرين والتابعين الأحياء إلى يوم القيامة وبه يعدلون ويحكمون بالقسط والعدل.

إشارة وتأويل

﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾ إلى آخر الآية، الجبل هو الطور الخفي والحضرة العليَّة التي هي مظهر الحقيقة المحمدية فوقهم، أي فوق الأطوار الباقية ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ وأفضنا عليكم الأفياض الأحدية الجمعية والمعارف الفطرية بالفيض المقدّس بقوة استعدادية. سئل ابن عباس عن النبي معنى [ص] فقال: هو جبل بمكة كان عليه عرش الرحمٰن. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171] وتخافون عما شغلكم عن التذكر والذكر والتفكر ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ

ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172] من النشأة الأولى والفطرة العليا في بداية كل دورة من الأدوار الأربعة النورية، وأن كل ما يظهر في هذه النشأة في بداية الدورة هو التجلِّي الذاتي والحقيقة المحمدية، وإذا انبسط هذا التجلِّي في نفسه بالأسماء السبعة الذاتيَّة تسمّى بالآدم المعنوي لأنه أحوط حينئذ ز و ه د م ب أو المجموع آدم ن عه آدم لا عه، فبداية كل دورة هي آدم، وكذا نهايتها. وبداية البداية ونهاية النهاية هي الحقيقة المحمدية. شعر:

وإنــي وإن كـنــتُ ابــنَ آدم صــورةً فـلـي فـيـه مـعـنًى شـاهـدٌ بـأُبُـوَّتـي

وذلك لأن التجلِّي الذاتي بالتوجه الحي الذي يتضمن التثليث الذي هو مبدأ المسودات ومنشأ السعايات إذا انبسط في نفسه ودار على نفسه صار ط، وهو أول مربع من المربعات العددية الفردية الحاصلة من ضرب الثلاثة في نفسه، وهو مجلى الأسرار الإلٰهيَّة ومحلى الأنوار الربانيَّة، أعني آدم، فلذات التجلِّي الذاتي الذي هو الحقيقة المحمدية بالأسماء السبعة الذاتيَّة والصورة الجمعية التي هي آدم في ذاته بذاته لذاته نسب وصفية وإضافات ونعت نعتية، وهي الأعيان الثابتة والحروف العالية والصورة العلميَّة، فلكل اسم من الأسماء الذاتيَّة اقتضاء خاص وارتضاء ناص، وبالصورة الجمعية اقتضاء آخر، ففي ضمن كل واحد من هذه الاقتضاءات طائفة مخصوصة وجماعة منصوصة من النسب المذكورة والنقب المزبورة، متميزة من الطوائف الأخرى، فباقتضاء العلم يظهر طبقة الملائكة العليا، وباقتضاء الحياة والأشباح الخياليَّة والميل الفورية والأرباب النوعية، وباقتضاء الإرادة يظهر الملك والشهادة وأعيانها، وهي الأجسام العنصرية والأجرام الفلكية، وبالسمع والبصر والكلام بيقين المواليد المثلثة وبالصورة الجمعية الحسيَّة والمعنوية القدسية يظهر الناسوت وأعيانها، وهي الإنسان الكامل والمظهر الجامِع للعامل الصوري والمعنوي، فلذا لكل واحد من هذه النسب الذاتيَّة والشعب الأولية خصوصية لا يشاركها غيرها، فكل حصة من هذه النسب حيث إنها صورة علمية متميزة بها علم، ويسمى بالعقل بداية ويمتد عنها، فإن تقدم العلم بمبدعه على العلم بذاته سمي بالمجذوب، فإن سلك وسار إلى ما دونه من المراتب وأعيانها يقال له المجذوب السالك، وإن لم يسلك واعتكف على شهوده سمِّي بالمجذوب، فإن لم يكن له شعور بغير الله بل حصر علمه وشهوده بوجه الله وصفاته، بل لم يتجاوز عن وجه

الكريم فهو المجذوب الأبتر، وأما الذي تعلق علمه أولًا بذاته وبمحض بدايته ثم تعلق بالله وبوجهه الكريم فإن سلك وانجذب إلى الله جذبته، ونور السالك المجذوب فإن لم يسلك ولم يجذب فهو كالأنعام بل هو أضلّ، وإن لم ينجذب في سلوكه فهو السالك الغير المجذوب. فجميع ما جرى في هذه المرتبة على الأعيان الغيبية في الحضرة العلميَّة فهو أصول لما عداه في المراتب السافلة، وهي أظلالها وأمثالها، فإن اعتبرت المطابقة في مراتب العقول والنفوس واللوح المحفوظ والكتاب المبين يسمى بالقدر، وإن اعتبرت بالحضرة العلميَّة سمِّيت بالقضاء والحكم الأدنى، فهي هذه الآية مخبرة عما جرى في هذه المرتبة، شهدنا على أنفسنا بقبول هذه العهود المذكورة تجنبًا منه ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا﴾ عن العهد ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 172].

وهذه العهود والمواثيق وكل ما جرى في هذه المرتبة يجري في بداية كل دورة من هذه الأدوار الأربعة النورية والظليّة الإفرادية والجمعية، فكل دورة تتضمن أولًا وأبدًا، وقضاء وقدرًا، وعهودًا ومواثيق، وآدم وذريات، وفرداريّة ومدة، يجري أحكام هذه الدورة فيها وعند انقضاء هذه الدورة يقوم قيامة ويظهر ساعة، وكل دورة لاحقة يذكر ويخبر عن دورة سابقة وأحوالها وأحكامها، ولذا قال عن هذا: غافلين، دون جاهلين. أو يقول: إنما أشرك آباؤنا وكنا ذريَّة من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون بجرم الضالِّين الفاسقين، والحال أنه لا تزر ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 164] الآية، والعدالة تمنع ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ [الأنعام: 55] أي مثل ما جاء في الدورة السابقة الآيات الدالة على قدرته ووفور حكمته ودرور نعمته وظهور رحمته ورأفته، نبيِّن في الدورة اللاحقة، إلا أن المناسبة اللائقة لها الموافقة المطابقة بها لأنها ظلال وأمثال متطابقة.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174] إلى ما كانوا عليه في بداية الدورة والفطرة الأولى التي هي مقام العهود ومكان المواثيق والعقود، متجرِّدة عن ظلمات المعاصي، منفردة عن كدورات الآثام، قد ساقهم الله إليه بأخذ النواصي ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ﴾ [الأعراف: 175] أي بلعام القوَّة العملية التي قد طغت في استعمالها وتجاوزت عن العدالة، فاستنبط فيها الأصوات الرديئة والملكات الدنيئة والهيئات الرذيلة المهلكة كالرياء والعجب والتجبر والتكبر وغير ذلك من الرذائل.

والآيات هي الاسم الأعظم وإجابة الدعاء واستجابة الدعوة، وكرامة الزهد، وإقامة التقوى، وأداء الطاعات والعبادات، فإذا فرط في أعمال القوة العملية واعتدى في استعمالها وتعدى فيه وعدل عن القوة النظرية والحكمة والعدالة، جازت في نفسه الملكات الردية والصفات الدنية والتسويلات النفسية والإلقاءات الشيطانية، فإذا قابل بالدعاء عليه خرجت تلك الملكات الردية عن مكامن جزأي النفس شيئًا فشيئًا وأزالت تلك الآيات والكرامات، فاضطرت إلى المكر والحيلة كما قال لقومه لدى مخالفة نهي الدعاء على قوم موسى ذهبت الدنيا والآخرة عني فما بقي لي فيكم إلا المكر والحيلة، فانسلخ البلعام منها من تلك الآيات والكرامات، فأتبعه الشيطان في تلك الحيلة والمكر، إشعار بأنه في المكر والحيلة قد بلغ إلى غاية الوجد، قد اقتدى الشيطان به وتبعه.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ يغان عليها، وإن الشياطين يحومون حولها، قال النبي ﷺ: «**لولا أنَّ الشياطين يحومون حول قلوبكم لنظرت إلى الملكوت ولهم أعين في قلوبهم لا يبصرون بها، ولهم آذان في فؤادهم وصدورهم لا يسمعون بها**». وإنما قدم الأعين ها هنا على الآذان وفي قوله ﷺ: «**ختم الله على قلوبهم وعلى أبصارهم**» إيماء إلى أن أكثر الحجب ها هنا مدارك البصر، وفي ذلك من مداخل الآذان والأسماع، وكذا قدم في قوله: وهو السميع البصير، إشعارًا بأن سماع الحق من الاستعدادات استدعاء الوجود وطلبه مقدم على الوجود وما يتبعه من الكلمات النفسانيَّة التي أكثرها تحصل من النظر والفكر الذي مباديه على الأغلب المبصرات من الأضواء والألوان والأشكال والمقادير والهيئات، أولئك الفاقدون الكمالات والحالات الغيبية قد شاركوا فيها الحيوانات العجم في فقدان الإدراك النظري والفقه الذي هو العلم بظواهر الأشياء وبواطنها، وذلك لانتفاء السماع القلبي والنظر اليقيني، واسم لانخراطهم في مدينة الحيوانات قد وصلوا إلى مراتبها في الأحوال الردية والأفعال الدنية وأيضًا قد طالت مسافة الوصول إلى الله، فيكونوا أبعد من الحيوانات البهيمية من الله وذلك لإمكان وصول هذه الحيوانات إلى الله بذريعة الإنسان الكامل بخلاف هؤلاء المنقسمين في غياهب ظلمات الضلال ومصائب كدورات الجهالة، فإنهم قد اندرسوا في إدراكات النشآت وانقسموا في مخالب الدركات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: 179] وإنما يقال غافلون دون جاهلون لأن الحجب النورانية والنقب الظلمانية سد الغفلة والحجاب والذهول عن الحق، وأن الغفلة لا تزول إلا بحضور القلب وحضور القلب لا يتأتى إلا بتصفية النفس وتزكية القلب عما حصل من الهواجس النفسانيَّة والرواجس الشيطانية. وأما الجهل فزواله إنما هو بالعلم الحاصل بمجرد توجه القلب إليه.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أن الذات تدير أمور الكائنات بالأسماء السبعية الذاتيَّة، وأن كل طائفة من الموجودات مخصوصة بفرداريّة اسم من الأسماء المذكورة وتدبيره، فكل طائفة تدعو الحق بذلك الاسم الخاص وتعبده به ولا يصلون إليه إلا به، والكل يعبدون الذات فلا يعلمون بديمومة أنهم يعبدون الاسم، والحال أن الاسم هو الذات مع الصفة والنعت فلا يعبدون إلا الذات بواسطة الأسماء، إذ الذات في غاية التقدُّس والعلوّ، والممكن في نهاية التقديس والدنوّ، فلا بدّ من أن يكون مناسبًا للممكن وهو الصفة التي هي واسطة بين الإمكان الذاتي والوجود الذاتي ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: 180] فيه تلويح إلى أن المربوبات في الاقتضاءات متداخلة، فإن كل اسم له داخل وتأثير في تمام المربوبات، إلا أن النظم الطبيعي هو أن يكون حكم الاسم الواحد المختص بالتأثير المستقل غالبًا صريحًا والباقي مغلوبًا ضمنًا تابعًا في هذه الاقتضاءات، فلو لم يكن كذلك فالأمر دائر بين شيئين أحدهما أن يكون التدبيران متساويين وأن يكون الغالب مغلوبًا والمغلوب غالبًا في مدة الاقتضاء كما هو حال بلعام، فإن حاله قد انعكست كما شاهدته. وأما المتساوي فهو المنافق، فإن تساوى نسبة الاسمين إليه يقتضي أن يكون اقتضاء الاسمين واقعًا لامتناع التعطيل وارتفاع التبطيل، فيكون مؤمنًا وكافرًا مخالفًا بالحق ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: 181] وهم أهل الاتحاد وما عداهم أصحاب الإلحاد والزندقة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وأحكام كتابنا وأعلام خطابنا ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ وسنمكن لهم في الاستمتاع بنعم الله والانتفاع بآلائه وأنعمه ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] النعم ولا المنعم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ﴾ وأمهلهم واهملهم مدة مديدة وعدة بعيدة في المعاصي لتراكم الغفلة وتلاطم الغفلة الجهلية والمعصية الجِبِلّية ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 183] أي أخذي وعقابي وشدَّة عذابي.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ﴾ أو لم يعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ أي أمرًا يصاحب محمدًا بصاحبهم ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾ وجنون، نزلت حيث قام رسول الله ﷺ ليلًا في الصفا يدعو قريشًا: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذِّرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائل: إن صاحبكم هذا لمجنون يأت يصوِّت إلى الصباح ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما محمد ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ومخوِّف وراهب ﴿مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 184] ظاهر جلي جاهر ومظهر.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ ويتفكروا ولم يعلموا بطريق الاستدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ باطنها أرواحها وعينها ونفوسها ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص والأحوال الجزئية والكلية، الجسمانية والنفسانيَّة والروحانية والفعلية، ليستدلوا بها على وحدانيته وكمال قوته وعموم حكمته ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ عطف على ملكوت، وأن مصدرية أو خفيفة من الثقيلة واسمه إنسان، وكذا اسم يكون أي: ولم ينظروا في أن الشأن والحديث أن يكون قد اقترب أي الشأن والحديث ﴿قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ﴾ اقترابًا قريبًا ولعلهم يموتون ويتمنون الموت واقتراب الأجل قبل المصير إلى العذاب، أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقُّع حلولها والترجي لنزولها فيتسارعون إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم ويخلصهم قبل معاوضة الموت ونزول العذاب ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أي بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185] أي لم يؤمنوا بالقرآن، فأي شيء يكون غير القرآن صالحًا للإيمان به ويهتدى به ولديه، وهو الحق الواضح، والمعبود المطلق الصارخ، وله صلاحية النيابة في البيان والتوضيح والتبيان

والتصريح، فبعد النظر الصحيح وصرف العقل الصريح اختاروا القرآن طوعًا وكرهًا وإكراهًا ووصفًا بعد إلزام الحجة وإعلام البرهان وإضمام المحجة.

قيل: متعلِّق بقوله: عسى أن يكون، كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن، وماذا ينتظرون بعد سطوع شعشعة إحراق محجته، فإذا لم يؤمنوا به فأي حديث حقيق لا يصرف إليه مكاتيب الآمال، ويليق لأن يعطف لديه، ويجعل محل وحال الرجال.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ كالتقرير والتعليل لما تقدم ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ ويتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ وكمال عصيانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: 186] يترددون ويتحيرون، وهذه الجملة استئناف قرئ برفع يذرهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ وقيام القيامة، وهي من الأسماء الغالبة فإطلاقها عليها، إما لوقوعها بغتة أو بسرعة حسابها، أو لأنها على كمال طولها فهي عند الله كساعة واحدة بل أقل منها ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرسائها وإتيانها ورسو ثباته واستقراره، أيّان مشتق من أي لأن معناه أي وقت وأي فعل، من أويت إليه، لأن البعض آوٍ إلى الكل وراجع إليه ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ استأثر بعلمها فلا يعلمها إلا هو ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ أي لا يكشفها ولا يظهرها أو لا يأتي بها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ واللام للوقت كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾. ﴿ثَقُلَتْ﴾ عظمت أو مضى أمرها ﴿فِى﴾ أهل ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن كل خفي ثقيل فلا يعلم الساعة ووقت وقوعها إلا الله ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: 187] فجاءةً على غفلةٍ ودفعة واحدة. وفي الخبر: «**لتقومنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنَّ الساعة وهو يلط حوضه ولا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته**

إلى فِيه فلا يطعمها» ﴿بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ عالمٌ بها. قيل: من حفي عن الشيء إذا سئل عنه. قال: من بالغ في المسألة عن الشيء والبحث عنها استحكم علمه فيه ولذلك عدّي بعن. وقيل: هي صلة يسألونك. وقيل: هي من الحفاوة يعني به قريشًا قالوا له: إن بيننا وبينك قرابة قل لهن متى الساعة ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كرّره لتكرير يسألونك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: الآيتان 188، 189] ونستأنس بها ويندفع بها وحشة الوحدة ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها وباشرها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ وهو أول ما تحمل المرأة من القطعة يكون خفيفًا عليها ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ واستمرت بهذا المحمول وقتًا معينًا ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ بعظم الجنين في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ وأعطيت لنا ولدًا ﴿صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 189] لك على هذه النعمة الجليلة المجدّدة.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ الله ولدًا ﴿صَٰلِحًا﴾ صحيحًا سويًا ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾ أي لله أولاد شركاء ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أولادهما فسموا عبد العزّى وعبد المناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه يدل عليه. قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 190].

إشارة وتأويل

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 182] بآياتنا بالأسماء والأفعال والأعمال والأقوال والأحوال القلبية، أو الذين كذبوا بآياتنا بالأحوال المعنوية والمقامات الفطرية والشهودات الذاتيَّة الحاصلة في ضمن شهود الذات بذاتها في النشآت، لأن لاعتقاد الأقوال والأعمال سنستدرجهم ونعاقبهم بعد إملالهم وتركهم وإمهالهم في التمتع بالنعم المترادفة وتضاعف المنح المتعاطفة، وتعاطف السنح المتضاعفة لفقه أنهم الكمالات الفطرية والشهود الذاتيَّة، وحسبانهم أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون باقتناعهم بظاهر الآيات وفهم البطن الأول والثاني من معاني الكمالات العامَّة الوجودية والمقالات الإلٰهيَّة.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي﴾ وهو الكمال في النعم الظاهرة والمناهج الباهرة من العلوم الرسمية، والرسوم الوهمية، والعقائد العدمية، والأحوال والمقامات القلبية، والحالات الغيبية، والفضائل الروحانية، والفواضل النفسانيَّة، والمقامات الفرعية، ﴿مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 183] قوي مظهر مبين.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الأرواح العالية والنفوس الفلكية والمدبرات السماوية والأرضية، والجواهر العاملة المنطبقة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ مما يطلق عليه ويطابق له اسم الشيء من المفهومات الوجودية والمعلومات العدمية الكليَّة والجزئية ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني أن النظر الكشفي والبصر النشفي والفكر الشهودي دائر بين أمور ثلاثة، الأول: إلى شيث الجواهر المجردة وملكوتها وباطن الأنوار الظاهرة الوجودية الجمالية. الثانية: إن ما خلق الله من شيء مطلقًا وجوديًا كان أو عدميًا. الثالث: الأحوال الشخصية، وكتاب الله جامع لهذه الأمور الثلاثة، وحاكي عنها على طريق الاستدلال والكشف والشهود وهو صفة جامعية كتاب القلب ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185] من الأطوار الباقية ويأوِّلون ويرجعون إليه، إشارة إلى أن الكلام القلبي والكتاب العيني أحق أن يرجع إليه، ويؤول الأشخاص لديه.

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ من الأعيان النورية الوجودية، فالأطوار القلبية

الشهودية ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في نقصان شأنهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: 186] يتردّدون ويتحيّرون ويتبدّدون ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ والقضاء واقتضاء الفرداريّة الجمالية الوجودية ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ لأن الله تعالى قدّر مقدارًا لكل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية، فلا يعلم بدايتها ولا نهايتها ولا كيفية تدبير أعيانها إلا الله، فلا يجلّيها ولا يكشفها لوقتها ثابت في السماوات والأرض ﴿لَا تَأْتِيكُمْ﴾ أي ظهرت في صلب أسماء روح آدم يعني في القوة الفاعلية ورحم أرض القابلية التي قد جمعت في مادة وجود آدم مع القوة الفاعلية على وجه قد استغنى في تكوُّنه عن الأب والأم، وكذا في تكوين حواء وظهور القوة القابلية، كما أن المبدأ الأول والعلّة الأولى وهو واجب الوجود، استغنى في ظهوره عن جميع العلل وشرائطه وتمام أسبابه وروابطه، وإليه الإشارة بقوله: «**خلق الله آدم على صورته**» أو على صورة الرحمان.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ لأنها لا تأتي ولا تظهر إلا دفعة واحدة وفجاءةً متحدة لأن اقتضاءها دفعي لأنه إنما يحصل عند اتصال نقط البداية بالنهاية، وذلك أتى دفقي لا تدريجي زماني. يسألونك كأنك حفيّ وعالم ومتعقل عنها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ وإدراك وقتها وساعتها ﴿عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ الذين تقيّدوا بدرجة التقليد وفرجة التقلُّد والتقييد ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 187] أن وقوعها ولا يعلمون ولا يدركون زمان قيامها، وأما من تجرَّد عن الجهات والحدود والأطراف والنهايات والحدود والغايات والعدد وتفرّد في ذاته وخصوصية هيئته وهويته وتوحُّد وجوده بموجود الحق وبقائه ببقائه فحينئذ ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبإ: 3] فيكون موجودًا محيطًا بتمام الأدوار وعموم الأكوار، وما يتبعها من الأزل والأبد، وأزل الآزال وأبد الآباد، وغير ذلك.

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لأنه ممكن غير متمكن في شيء من الأحوال والأعمال والأفعال ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ عند تحققي بالأسماء والصفات الإلٰهيّة والنعوت الربوبية والصورة الجمعية الإلٰهيّة والكونية، ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالظل والجلال، وبشير بالبوار والجمال ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188] بالله وتوحيده.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: 189] وهي الحقيقة المحمدية

التي هي الآدم الأول لقول الشيخ عمر السعدي ابن الفارض مترجمًا مقام مورثه ﷺ: «**وإني وإن كنت ابن آدم صورةً فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي**» لولاك ما خلقت الأفلاك، وجعل وخلق منها أي من النفس الواحدة والوجه الذي يلي الخلق لتسكن إليها وتميل، ويتوجه نحوها ولديها للاستئناس بها، فلا يغشاها وليسرّها كناية عن المباشرة، حملت حملًا خفيفًا علمًا ومعينًا وحالًا، أما العلم فلكونه إجماليًا ساذجًا خفيفًا خفيًّا. وأما العين فلأن ما يظهر ويصدر في هذه المرتبة هو قابل العقل الثاني، والنفس الكليَّة المتولدّة من آدم الأول وهما توأمان، والعرش هو البدن والجسم الكلي الخاليّ عن أثقال جميع الصور والنقوش والأشكال، وهو بدن الإنسان الكبير. وأما الحالي فلأن أدوار الأعيان كلها بسيطة، ولذا قال حملًا خفيفًا، فمرت واستدامت مصاحبة المحمول بالحامل وقتًا بعد وقت إلى أن ظهرت آثار الثقل، ولذا رأتها وهو التفضيل والاستفصال في علامات الاستثقال، وتفضّلت وظهرت إرادات الاستفضال، وظهرت علامات الاستثقال بالثقل، دعوا أي آدم وحواء التي هي الضلع الأيسر من مربع ثلاث في ثلاث وهو عدد آدم ـ أعني ط حينئذ ر و ه د ج ب آدم ـ لا من استئصال لا عه لا ا ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 1 - 2] الله ربّنا لإن آتيتنا وأعطيتنا ولدًا صالحًا لنكونن من الشاكرين لا الشاكّين المشركين، فلما آتاهما الله وأعطاهما ولدًا صالحًا لأن يظهر فيه سرّ الوالدين جعلا لآدم وذلك الولد شركاء بكسر الشين الحظ والنصيب وبضمها جمع الشريك فيما آتاهما من الكمالات الذاتيَّة والأسمائيَّة، فإن سمَّتا عبد الحرث فجعلاه أي الحرث أي الحارث وهو الظاهر آدم ربًّا وإلهًا وأضاف العهد إليه لأنهما لما نظرا أولًا في ذاتهما وجدا صفة الحرث والإظهار والتكوين ثابتة في نفس آدم نسبا في الظاهر الحرث إلى آدم، وفي النظر الثاني ذاتيًّا للكل من الله وبالله ولله فإذا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] فتعالى الله عما يشركون، إشارة إلى أن أصل آدم هو الظلمة والظلم والجهل إنه ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] الآية. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: 52] الآية.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾

أتشركون مما لا ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ مـ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ من الممكنات إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا والحال ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 191] ولا يستطيعون الأصنام لهم.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: 192] أي انتفت النصرة عنهم مطلقًا سواء كانت لأنفسهم أو لغيرهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ المشركين ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الإسلام ورشده ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: 193] عن دعوتهم، أي دعوتهم وعدمها ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 10].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وتعبدون مما سواه ﴿عِبَادٌ﴾ خبر إن، أمثالكم في الإمكانية وما يلزم من الحاجة إلى الوجود ما يتبعه ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ من الكمالات الأولى والثانية والذاتيّة والأسمائيّة ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ واطلبوهم ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ هل ينبؤونكم ويجاوزونكم أو يقدرون على إجابة دعائكم وقبول طلبكم واستدعائكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 194] وفي دعائكم.

تفسير

هذا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ يريد الملائكة عبادي مثلما أنتم عبيدي ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يريد فاعبدوهم هل أنبؤكم أو يجاوزون بكم مثل قوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] يريد اعبدوني أثبتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يريد أما يصدقون أن ليس من عبادة الأصنام منفعة ولا شفاعة ولا ثواب ولا مضرّة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ كمثل بني آدم، فمن جعل فيه الروح من ولد آدم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ مثل ما يبطش بنو آدم ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ يريد إلى من يعبدهم ويرحمونهم كرحمتي لأوليائي ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ إلى من يعصيهم ويعبدهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ يريد الذين تعبدون من دون الله ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: 195] أنتم وشركاؤكم.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ يريد رسول الله ﷺ ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد به القرآن وما فيه من الفرائض والحلال والحرام ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: 196] يريد الذين لا يعدلون بالله شيئًا، أراد بهم ولا يعصونه فيما أمر ونهى.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ يريد منعكم ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: 197] يريد من عذاب الله إن أراد بهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198] يريد أن المنصور كأنه يُنصَر ولا يَنصُر، وإخوانهم الشياطين يمدوهم في الغي يريد يقودونهم ثم لا يقصرون، فهذا موضع هذا.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ يريد عفوًا من أموالهم، قال عبد الغني بن مسعود: وذكر عبد الله

ابن أحمد بن حمزة بن المغيرة عن سفيان الثوري يرفعه إلى النبي ﷺ: «**يا جبريل ما العفو؟ قال: فلا أدري حتَّى أسأل ربّي، فصعد ثم نزل فقال: أن تعفو عمَّن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتَصِلْ مَن قطعك**» ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: 199] يريد لا إله إلا الله مثل قوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المُرسَلات: 1] يريد الأنبياء الذين أرسلوا بـ(لا إله إلا الله) ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وهي ثلاث كلمات، كلمتين محكمتين، وواحدة منسوخة نسختها آية السيف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ يريد يعرض لك من الشيطان عارض ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] يريد سمَّاعًا لدعائك عليمًا بما عرض.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ يريد يعلم المؤمنين ما يصنعون إذا عرض الشيطان، ما أخبر النبي ﷺ من الاستغفار بالله ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تذكروا، يريد استعاذوا ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201] يريد أبصروا عظمة الله وعرفوا أن لا شيء مثلها.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 202] وإخوانهم يريد المشركين من الشيطان يمدونهم في الغي يريد يغوونهم في الضلالة ثم لا يقصرون يريد لا يألونهم في ضلالتهم ولا يقصرون فيها، وإذا لم يأتهم بآية يعني أهل مكة بأنهم سألوها.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ خلقتها وأنشأتها من نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَآ

﴿أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ أي لست آتي بالآيات من قبل نفسي ﴿هَٰذَا﴾ أي هذا القرآن الذي أتيت به ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203] حجج ودلائل تعود إلى الحق.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ أي الآية نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، أو ممَّن رفع الصوت خلف الإمام، وأسكتوا لاستماع خطبتهم وكانوا يتكلمون في الصلاة في بدء الأمر. قيل: نزلت في السكوت للخطبة. وقوله: ﴿وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204] مما يحرم من الكلام في الصلاة، أو ممن رفع الصوت خلف الإمام، وأسكتوا لاستماع الخطبة.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يعني القرآن في الصلاة ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ إسكاته خوفًا من عقابي ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ دون الرفع ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من القرآن ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ بالبكر والعشيات، أم أن لا يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار دون الجهر فيما يرفع فيه الصوت ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205] الذين لا يقرؤون القرآن في صلواتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة وهم بالقرب من رحمة الله ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ أي هم مع منزلتهم بعذاب الله كأنهم يرونه ويسبِّحونه وينزِّهونه عن السوء ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206] هذا إن كنتم صادقين.

أقول: في دعواكم أنكم إلٰه وإلٰهية جملة شرطية تقدم جزاؤها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 194] في قلوبكم فلا بدّ أن يستجيبوا لكم في مطلبكم ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يعني نصارى أم الأصنام أن لهم هذه الأعضاء والجوارح والقوى

المدركة وهم معها لا يستحقون العبودية والربوبية فضلًا عن الألوهية، فكيف في الخلوّ عنها ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: 195] يا معشر المشركين واقصدوا هلاكي والكيد بي، ثم بعد قصد هلاكي اعمدوا إلى كيدي والمكر والخداع بي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: 195] ولا تمهلوا ولا تؤخروا مكائدكم في قصدي.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ﴾ وناصري وحافظي ورقيبي وعاصمي ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ متلبسًا بالصدق، وملتصقًا به، والفرق بين الباطل والصائب والحق ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: 196] ويحفظ الصالحين من عداوتهم ومضرّة مكائدهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ والإسلام ﴿لَا يَسۡمَعُواْۖ﴾ ولا يكون فيهم قوة السماع وقدرة الاستماع ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ ويقابلون بك. يقال: دار فلان إلى دارك، أي يقابلها ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 197 - 198] ولا يدركون بالبصر لدفع توهم التناقض بنفي الإبصار وإثباته قيل: فيه إضمار كأنهم ينظرون إليك كما في قوله: «وترى الناس كأنهم سكارى»، أو المراد هم المشركون أي ينظرون إليك بهذا النظر والبصر وهم لا يبصرون بقلوبهم.

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ روي أنه لما نزلت قال عليه السلام لجبريل: «**ما هذا؟ قال: لا أدري حتّى أسأل، فقال: إن ربّك يأمر أن تصَلِ من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك، وأمُر بالمعروف**» كل منا يعرف الشارع. وقيل: هو كلمة التوحيد ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199] أي أبو جهل وأصحابه ينسخها آية السيف، أو عن الجواب لشفاعة السفهاء. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أمر الله تعالى نبيّه عليه السلام بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه. عن عائشة رضي الله عنها: لم يكن الرسول عليه السلام فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح. قال عليه السلام: «**بُعِثت بتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال**».

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي يصيبك أي يعتريك من الشيطان وسوسة لما نزلت ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ قال النبي عليه السلام: «**كيف يا ربّ والغضب**»، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ

﴿بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ يستمع استعاذتك ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200] يعلم ما فيه صلاح أمرك يحملك عليه ويسلكك لديه بأقوالك في الاستعاذة وأقوال من آذاك، عليم بأقوال الشيطان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ كلمة من الشيطان كأنها طافت به ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ أو تطلعوا من ورودها ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ أي إخوان الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ﴾ والإغواء والغي ﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 202] ولا يسكنون عن الإغواء والإضلال والإغرار ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم﴾ أي المشركين بمعجزة وخرق عادة ﴿قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ أو هلّا اجتمعتنا افتعال من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ [الفرقان: 4] مفترى، أو هل أجد بها بآية منزلة عليك مفتوحة ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أي القرآن بصيرة القلوب، بها يدرك الحق ويبصر الصواب للناس ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 203].

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204] نزلت حين كانت الصحابة يتكلمون في الصلاة لحوائجهم وإلحاح آمالهم في مخارجهم ومداخلهم، وفي استقامتهم في الصف واعوجاجهم ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا﴾ متضرّعًا ومتخشّعًا ﴿وَخِيفَةٗ﴾ خائفًا ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ أي أوقات الغداء والعشاء، جمع أصيل كأيمان ويمين، وهو ما بين العصر والمغرب ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205] عن ذكر الله في تمام الأوقات وعموم الساعات سيما في الصلاة خصوصًا في المكتوبة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ ولا يستكبرونها وينزّهونه ويبعدونه عن الشركة الذاتيّة والوصفية الفعلية والأثرية الظاهرة والباطنة.

إشارة وتأويل

أتشركون من لا يخلق شيئًا وهم يخلقون، أي يأخذون مقتضيات الأطوار السبعة القلبية سيما مقتضيات الأطوار القالبية التي هي مجال التجليّات الإلٰهيّة الآثارية والأفعالية والأسمائيّة والذاتيّة، والعلوم والإدراكات الحقيقية المتعلقة بهذه التجليّات، المتعاطفة المتزايدة المتضاعفة شيئًا فشيئًا، إلى أن بلغ إلى ما لا يتناهى. شريكًا لله وهم مع الشركاء يخلقون.

الشرك نوعان: خفيّ وجليّ، أما الخفي فعام يوجد في الخواص والعوام وهو الرياء، فإنها كمال خصائص أخفى الخفايا لا يطلع عليها إلا الله لأنه أبطن البواطن كما أنه أظهر الظواهر وأشهر الشواهر.

وأما الجليّ فمخصوص العوام ولا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون لأنه ممكن، والممكن متساوي الأقدام لا يمكن أن يتخصص بعضهم بشيء لا يوجد في الآخر مع أن الأعيان الناسوتية أعم وجودًا وأتمّ إدراكًا وشهودًا وأفضل كرمًا وجودًا. نعم، إن البعض منهم لكونهم كالأنعام بل هم أضلّ وأدنى وأحقر وأقلّ وأنزل حكمًا يكون أفقر من الكلّ، يميل إلى كل أمر كالغريق ليعتصم بكل شيء.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي التجليّات الإلهيّة والشهودات العينية ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إليه لفقدان المناسبة ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 193 - 194].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ أي خلف قلبك وزاوية شرك وغيب روحك وحجب عقلك معرضًا عن صور الأعيان ومقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار، مرّ الأكوار وكرّ الليالي والنهار، ﴿تَضَرُّعًا﴾ متضرّعًا حاضر القلب متخشعًا على مقتضى طور النور ودرء النفوس والجمال ﴿وَخِيفَةً﴾ خائفًا بما كان في قضاء صلاة القلب وفراغ السرّ طائفًا ولغير مراد الله عائفًا ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ بحيث لا يسمع روحك، وسرّ عقلك، ذكر الله لأن الله يحول بين المرء وقلبه وروحه فلا يكون بين الله وبين القلب حائل بل ووسط فاصل، فلا بدّ وأن لا يكون بين الله وذكره حاجز ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ اللفظي والنفسي والقلبي والسرّي والروحي والعقلي، فإن القول في كل مرتبة وجودًا أو صورة ومقاطعًا وحدودًا ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أي في طور الجمال وكور الجلال ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 205].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ النورية الجمالية ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لها في الأكوار الظليّة الجلالية ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206] على ما يرتضي النور والجلال.

قد تمّت سورة الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترتيبها 8 سُورَةُ الأَنفَالِ آياتها 75 مدنية

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي. نزلت حين اختلفوا في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا لأنّا باشرنا الحرب. وقال الأشياخ: هي لنا لأنّا وقفنا مع رسول الله ﷺ في المصاف فلا يتفرّد بالغنائم دوننا، فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يضعها حيث شاء من غير مشاركة فيها، ويقسّمها عليهم على السواء ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقة لا تخالفوا ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ سلموا لهما من الأنفال فإنهما يحكمان فيهما ما أرادا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي المؤمنين الذين إذا خوّف بالله فرق قلبه وانقاد لأمره ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا ويقينًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: 3] بالله ويتّقون الله لا

يرجون غير الله في الشدّة والرّخاء.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 4].

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ﴾ يا محمد، يريد إلى الهجرة من مكة إلى المدينة. قال آخرون: من المدينة إلى بدر ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: 5] يريد لتركهم مكة وديارهم وأموالهم، وقالوا في أنفسهم: كيف نخرج وندع أموالنا وديارنا إلى بلدة ليس فيها مال ولا ديار، فأنزل الله في سورة العنكبوت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [60] يريد السميع لقولهم، العليم بما في قلوبهم.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: 6] يريد بالتفسير شدّة الخروج عليهم.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ يريد العير، وأما النفير يريد بالنفير أهل مكة حين نفروا إلى بدر ليحملوا عيرهم وأموالهم وأنّها ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ يا معاشر المهاجرين والأنصار ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يريد التي ليس فيها حرب

ولا قتال ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يريد مواعيد من الله، وقد سبق في علمه، يريد المهاجرين والأنصار خاصة ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 7] يريد ما وعد الله نبيّه في سورة الدّخان: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الآية 16] يريد ينتقم من أبي جهل ونظرائه يريد المقتسمين فلم يبق منهم أحد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: 8] يريد أن يحقّ الله مواعيده للمؤمنين يريد المهاجرين والأنصار خاصة، ويبطل الباطل يريد يقطع دابر الكافرين مثل قوله في آل عمران: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [الآية 127]، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 8] يريد الذين قتلوا يوم بدر.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ يا معاشر المهاجرين والأنصار ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] يريد ألفًا بعد ألف حتّى يقطع دابر الظالمين كما قال في سورة آل عمران: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية 124] يريد لوازم يوم بدر ألفًا بعد ألف حتّى جاوز خمسة آلاف، بلى إن تصبروا وتتقوا، تصبروا على دينكم وتخافوا ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، يريد على الخيل المسوّمة، قالوا: أتمّهن بأيديهم الرماح وبعضهم السيوف يضربون الأعناق والساق والأيدي.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [الأنفال: 10] يريد البشارة من الله لكم، وذلك أن رسول الله ﷺ حيث كان في قريش قاعدًا قال: «**اللهمَّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد، اللهم النصر الذي وعدتني**». وكان أبو بكر على يمينه قاعدًا ليس معهما ثالث إلا الله فقال للنبيّ ﷺ حيث ألحّ في الدعاء: «أخفض يا رسول الله دعائك فإن الله متمّم ما وعدك» (فحق رسول الله ﷺ نفسه نفسها)، ثم ضرب بيمينه على

فخذ أبي بكر فقال: «**أبشر بنصر الله**». يقول: بانت في منامي بقلبي والأنبياء إذا ناموا فلا تنام قلوبهم يبصرون بها، كما ينظرون بأبصارهم وهم مستيقظون ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ﴾ يريد تأسرون عدوّكم وتظفرون عليهم ويظهروا عليهم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10] يريد منيعًا في مُلكه، حكيمًا في خلقه، أن يقتل أشرافهم، ويأسر أغنيائهم، وينهزم خيارهم هذا.

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ جعل أنفال كفّار النفس الأمَّارة وغنائم جنود النفس اللَّوامة تقوّي عساكر الأطوار القلبية والجنود الإلٰهيَّة. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي نصر المؤمنين الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا ووجلت قلوبهم منغلقين وجوههم إلى تلقاء لقاءه وإلى التحقيق بشهود وجوده ولقائه. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي رحم المؤمنين المستضعفين الذين استعانوا بالله فنصرهم بجنود لم تروها من الملائكة المقرّبين والأعيان المقسومين ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾، أقول: أي الغنائم، وحكمها وقسمتها وكيفيّة تقسيمها، وإنما سمِّيت أنفالًا لأنها عطية من الله وفضل منه، كما سمي به ما يشرط الإمام بمقتحم خطير عطية له وزيادة له على سهمه. والنفل ما ينفله الغازي أي ينفله زائدًا على سهمه من الغنم، وهو أن يقول الإمام تحريضًا على البلاء في الحرب: مَن قتل قتيلًا فله سلبه. أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم، أو فلكم نصفه أو ربعه، ولا يخمّس النفل، ويلزم الوفاء للإمام بما وعد منه. وعند الشافعي في أحد قوليه: لا يلزمه. وعن سعيد بن أبي وقاص: قتل أخي يوم بدر فقتلت به سعد بن المخاض وأخذت سيفه، فجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت له: إن الله قد شفى صدري، فسألت هذا السيف، فقال لي: ليس لي هذا ولا لك، اطرحه، وبي ما لا يعلمه الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا قليلًا حتَّى جائني رسول الله ﷺ وقد أُنزلت سورة الأنفال فقال: يا سعد إنك سألت السيف وليس لي وإنه قد صار لي، فاذهب وخذه. وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وثار فيه أخلافنا فنزعه من بيننا فجعله لرسول الله ﷺ فقسّمه بين المسلمين على السواء ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاختلاف والمشاجرة ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ [الأنفال: 1] الحالات التي جرت بينكم بالمواساة والمساهلة فيما رزقكم، وتسليم الأمر إلى الله

ورسوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأنفال: 1] فيما ذكر ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بذكره استعظامًا لشأنه وتهيُّبًا من جلاله وسلطانه. وقيل: هم الرجال الذين إذا همُّوا المعصية وصمُّوا عن سماع الحق والحكمة وقيل له: اتق الله فيفزع عنها خوفًا من الله وشدّة عقابه وصولة عذابه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ واطمئنانًا في النفس وإيقانًا في حكم العقل والرسوخ في يقين القلب، أو عملًا بموجبه ومقتضاه عند مَن قال: الإيمان يزيد وينقص طاعةً ومعصية بناءً على أن العمل داخل فيه ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2] ويفوّضون الأمور إليه، ولا يخشون ولا يريدون إلا إيّاه.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة والنوافل والرواتب المثوبة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: 3] إنفاقًا مشروعًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حقًّا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد أي إيمانًا ثابتًا ﴿حَقًّا﴾ [الأنفال: 4] وتصديقًا محقّقًا لتحقُّقهم بما يقتضيه من مكارم الأخلاق وإحصاء أسماء الحق الخلّاق بالتحقُّق بها والتحقق بمقتضاها والتيقن بمعانيها.

سئل الحسن البصري: أمؤمن أنت؟ قال: الإيمان إيمانان، فإن سألتني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا مؤمن. وإن سألتني عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 2] حقًّا فوالله لا أدري منهم أنا أم لا. عن الثوري: من زعم أنه مؤمن حقًّا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد بنصف الآية، وبهذا تعلّق مَن يستثني في الإيمان بأن يقال: أنا مؤمن إن شاء الله، فمن لا يستثني اتّباعًا لإبراهيم عليه السلام قال: أو لم تؤمن، قال: بلى، لهم درجات عند ربّهم ومنازل رفيعة، وجنّات عالية منيعة، ومغفرة لما فرّطه منهم، ويتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم أحسنهم في الجنة لا يقطع عدده ولا يبيد مدده، ولا ينتهي أمده. هذا هو معنى الثواب.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: 5] خبر مبتدأ محذوف، يعني هذه الحالة في الكراهة كحال إخراجك ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 216]، أو منصوب على أنه صفة مصور الفعل المقدر في قوله: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 1] أي الأنفال قد استقرّت لله وللرسول، وثبت مثل كراهتهم ثباتًا مثل ثبات إخراج ربّك لك من بيتك في

المدينة أو بيت فيها.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنصار والمهاجرين ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: 5] الخروج والإخراج، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة كثيرة عظيمة كبيرة، ومعها أربعون راكبًا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص، ومخرمة ابن نوفل، وعمرو بن هشام، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ، فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة المال وقلّة الرجال، ونزهة الرحال، فلما خرجوا بلغ الخبر إلى أهل مكة، فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة التحا كل صعب وذلول، عيركم أموالكم، فإن أصابها محمد لم تفلحوا أبدًا بعدها، وقد رأت قبل ذلك بثلاثة أيام عاقلة بنت عبد المطلب أن ملكًا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ولم يبق بيت في مكة إلا أصابه شيء منها، فحدّثت بهذا العباس وبلغ ذلك أبا جهل فقال: ما يرضى رجالهم ما يتنبئوا حتَّى تتنبأ نسائهم.

فخرج أبو جهل لجمع أهل مكة، فأخبر أن العيرَ سلكت طريق الساحل ونجت، وكان رسول الله ﷺ قد أمّلَ بالعير، فنزل جبرائيل بالوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما القريش، فاستشار أصحابه، فقال بعضهم: هلّا ذكر لنا حتَّى نتأهّب له، قد خرجنا للعير، فقال: أما العير فقد مضت على ساحل البحر وقد وصل الخبر من قدوم أبي جهل إلى بئر بدر وإقباله إلينا، فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو، فغضب رسول الله ﷺ، فقدم أبو بكر وعمر فأحسنا رأيهم ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فإنَّا معك يا رسول الله، فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال مقداد بن عمرو: امضِ أمركَ فإنَّا معك لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس، يريد الأنصار، لأنهم كانوا في عدادهم وقد شرطوا إذ بايعوه العقبة أنهم براء من زمامه حتَّى يصل إلى ديارهم، فخاف أن يروا نصرته إلا على عدد همّة بالمدينة، فقام سعد بن معاذ وقال: كأنك يا رسول الله تريدنا؟ قال: أجل، قال: آمنا بك وصدّقناك وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله لما أردت، فوالله الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما يتخلّف منّا أحد وما يكره لقاء العدو،

وإنما يصبر عند الحرب، فسر بنا على بركة الله. فنشّطه قوله، ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله وعدنا إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك. قال النبي عليه السلام: «**والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**».

قيل: لما فرغ من بدر قيل له: عليك بالعير، فناداه عباس وهو مقيّد مغلول: لا يصلح ذلك لأن الله وعدك بإحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ [الأنفال: 6] في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه بعدما تبين، كأنما يشتاقون إلى الموت وهم ينظرون، أي يكرهون القتال كراهة من سبق إلى الموت، وهو يشاهد أسبابهم. وقيل: كان خوفهم لقلّة عددهم وفقدان أهبتهم وكثرة عدد عدوّهم وقلّة أسبابهم ووجدان كمال إنيتهم. روي أنه كان في الإسلام فرسان وإثني عشر سيفًا، فقد تحقق من هذا أن مجادلتهم إنما كانت لفرط فزعهم ووفور رغبتهم.

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾ على إضمار اذكر ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ بدل عنها بدل لاشتمال ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ يعني العير ﴿تَكُونُ لَكُمۡ﴾ جزاء لقلّة شوكتها أي الحرب والمقاتلة وكثرة نعمتها، ولذا همُّوا بها وهم يكرهون لقاء العير لكثرة عددهم وشدّة بأسهم ووفور شوكتهم ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ ويثبّته ويقلبه ويظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ الموحى بها في هذه الحالة، أو يأمر الملائكة بالإمداد أو آياته المنزلة من محاربة ذات الشوكة كما وردت في محاربة موسى الجبابرة، وبني إسرائيل قالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ [المائدة: 24] الآية، أي أو ليثبت الإسلام ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 7] وليستأصلهم حتّى لا يبقى منهم أحد من كفّار العرب ليحقّ الحقّ ويُظهر الإسلام ويثبّته، ويُبطل الباطل ويزيل غيره وينسخه ويعدمه، ولا تكرار، إذ المراد بالأول هو إظهار نفس الدين والإسلام، وبالثاني إبقائه وتثبيته ولو كره المجرمون كلتا الحالتين.

وكانت وقفة يوم بدر يوم الجمعة صبيحة سبعة عشر ليلة من شهر رمضان، إذ تستغيثون لا بدّ من أن يعدكم أو متعلق بقوله ﴿أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾، أو منصوب بتقدير اذكر وقت الاستغاثة وطلب النصر والغوث على الأعداء.

روي عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه؛ لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر، دخل العريش والمظلّة هو

وأبو بكر، واستقبل القبلة ومدّ يديه فجعل يهتف بربّه ويناديه: «**اللهمَّ أنجز ما وعدتني، اللهمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**» فما زال يهتف بربّه فإذا مدّ يديه سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال: يا رسول الله كفاك مناشدة فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ أي ممدكم ومرسل إليكم مددًا ولا يغلب عليكم من الأعداء في هذا اليوم أحد، وإن كانوا في الكثرة غير متناهية ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ التي هي جنود الإله وأمددناهم بجنود لم يروها ﴿مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] بالفتح أي أردفنا المسلمين وجاء بهم مددًا بالكسر متتابعين بعضهم في إثر بعض من أردَفه وردِيفَهُ أي اتبعه.

روي أنه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة، وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال، على خيل بلق وثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم. وروي أن النبي ﷺ لما ناشد ربّه قال أبو بكر: إن الله منجز لك ما وعدك، خفق وهو في العريش ثم أثبته فقال: «**يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع**».

عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه عليه أرداب الحرب وعليه يوم بدر عمائم بيضاء ويوم حنين عمائم خضر، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا فيما سواه عدًّا ومددًا أو لتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم غالب قويّ ظاهر على الأعداء، غالب على الخصماء، عليم بمواقع الحكم الإلٰهي بالقهر والغلبة في الدهر بالزواجر والمنعة**».

إشارة وتأويل

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1] واعلم أن الجهاد نوعان: أصغر وأكبر، والأكبر هو جهاد النفس بحسب مراتب تصرفاتها أربع: **عظمى** وهي مجاهدة النفس المطمئنة التي التقته بالتقوى الظاهرة والعلوم الظاهرة الرسمية. **وكبرى**، وهي التي ارتضت بالإلهام وبالتقوى والفجور. **ووسطى** وهي التي تتألم على ارتكاب الذنوب والانقلاب إلى الآثام والمعاصي والذنوب

وإفشاء العيوب وتلوم نفسها عليها. **وصغرى** وهي التي ترتكب المعاصي الظاهرة وينقلب عليها نفي كل جهاد وغنائم وأثقال، فغنائم كفّار هو النفس المطمئنة وهي الحكمة العلميَّة والعلوم الشرعيَّة التي تعلّقت بكيفيَّة العمل والتقوى والورع. والنظرية التي تعلّقت بإدراك ظاهر الجنائز الموجودة من الهيئات والطبيعيات والفلكيات والعنصريات والمركبات، فتقديم كفّار النفس الملهمة الذمية هي العلوم الشرعيَّة المتعلقة بكيفيَّة العمل الشرعي. وغنائم كفّار النفس اللّوامة الجزئية المؤمنة هي ظاهر الحكمة الطبيعية. وغنائم كفّار النفس الأمَّارة هي الحكمة العلميَّة المتعلقة بالمعاش.

فعرفنا أملاك هذه الكفار رجعت غنائمهم وأثقالهم إلى الله تعالى وإلى رسوله الذي هو الروح الذي نفخ في آدم، والقلب الذي هو بيت الله وبيت حكمته وتوحيده وهما يقسمان هذه الغنائم على القوى المؤمنة والجوارح المسلمة، فعين الحكمة الرياضية إلى القوة الباصرة والخيال والمتخيلة والطبيعية إلى القوة الواهمة، والشرعيَّة إلى القوة السامعة والحس المشترك، وأحد الخمس هو الحكمة الإلٰهيَّة والمعارف الفطرية لنفسه والقادر على الإطلاق وهي الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي هو تمام الأطوار السبعة القلبية ومقتضيات تمام الأدوار والأكوار الشهادية والغيبية إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي. فاتّقوا الله في صرف الغنائم وتقسيمها إلى غير المستحقين، وأصلحوا ذات بينكم بين المولود الإنسي والجني وبين قواهما ليحصل الكمال الجمعي والجمع الكمالي.

والصورة الجمعية الإلٰهيَّة والكونية إشارة إلى أن كل واحد من الأطوار، بل إن كل عين من الأعيان الإلٰهيَّة والكونية في الأدوار، وأن كل كون من أكوان الأكوار له صلاح الجمعية العظمى وسنوح الهيئة الكليَّة الكبرى، وأطيعوا الله ورسوله أي الكمال الجمعي الأعظم، والجمع الكمالي الأتمّ في البداية والنهاية، أي اللاهوت والناسوت، فيه تلويح وإيماء إلى أن حصول هذا الكمال الجمعي والجمع الكمالي، أي يتأتى بالرسول، ولذا بالغ وألحّ في دعائه على كفّار القوى البدنية والنفسية والقلبية والسريّة والروحية والعقلية، وصرّح بقوله: «**اللهمَّ إن تُهلك هذه العصابة**» أي تخفي أرباب الجمعية العظمى وأصحاب الكليَّة الكبرى من أهل الإسلام أي أهل الجمع الكمالي «**لا تُعبد**» إذ العبادة الكاملة

اللائقة بحضرته إنما تتوقف على الجمعية العظمى والهيئة الكليَّة الكبرى.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الواصلون إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ الذات الجامعة بتمام الأسماء والصفات الإلٰهيَّة والكونية والنعوت الغيبية والعينية ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ومالت عيونهم وزالت دقائقهم وعيوبهم ووصلت جيوبهم إلى ما وصلت به شهادتهم وعيوبهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ ووجلت بهم تجليّاته الذاتيَّة وشهوداته الفطرية التي شاهدها في النشأة الأولى والمرتبة العليا في بداية الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، زادتهم إيمانًا لازديادهم علمًا وعينًا، فإن كل شهود وتجلّي نور وجمال ووجود يتضمن علمًا ويتضاعف العلم والشهود ويمتدّ الظلّ والوجود، إذ الشهود الواحد والعلم المتعلق به يتضمن شهودًا بعد شهود، وعلمًا بعد علم إلى غير النهاية ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2] في جميع الأوقات، وفوّضوا تمام أحوالهم إليه في كل الدورات.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الجامعة والعبادة المكمّلة للنفوس الحاملة لها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: 3] إشارة إلى رتبة الإرشاد والتكميل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ تيقُّنًا وتخلُّقًا وتحققًا لهم في جنات التجليّات الذاتيَّة والأسمائيَّة الأولية الذاتيَّة والثالثة والثانية الأفعالية والآثارية، والصورة النوعية البشرية الجامعة للكمالات الذاتيَّة والأسمائيَّة والتعيُّنات العالية والسافلة ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ تفصيل لما أجمل، إشارة إلى شهود التجليّات الذاتيَّة عند ربّهم إشارة إلى الفناء في الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ إشارة إلى التجليّات الأسمائيَّة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 4] إشارة إلى التجليّات الآثارية والصورة الجمعية والتجلّي الصوري.

فالمؤمن الحق هو الذي شاهد هذه التجليّات إجمالًا وتفصيلًا، كما أخرجك ربّك من بيتك أي الجمعية الجمالية النورية، أو المرتبة الإجمالية طلبًا للجمعية الكاملة الجلالية أو الجمالية التفصيلية ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 5] أي القوى الروحانية والمبادىء العقلية ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: 5] لعدم المناسبة بينهما ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ عند العدول إلى النفير الجلالي الظلّي التفصيلي بعدما تبين أن الميل إلى النفير الجمعي والقوى الروحانية الجمعية أحق وأوْلى كأنما يساقون إلى الموت الإرادي، وهو مخالفة النفسانيَّة والمشتهى الطبيعية التي هي خلق النفس المدبرة للبدن وأجزائه الحسيّة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: 6].

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾ أي العير الجمعي والنفير الكلي الجلالي ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ الكمالَ الجمالي والجلالي، الحق الثابت لكلماته ومقتضيات فردانيته الأربع ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 7] من الأدوار الأربعة الجمالية والأكوار المربعة الإفرادية وما يتبعها من الأطوار السبعة القلبية، والأنوار الملونة الغيبية، والعلوم والإدراكات اللائقة لها والأحوال والمقامات المترتبة عليها ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ [الأنفال: 8] ليثبت الكمال الجمعي النوعي، إشارة إلى كمال الجمعية الجلالية والجمالية حيث قال النبي ﷺ: «**إن شيطاني أسلم بيدي**».

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ عند غلبة الجنود الجلالية ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بألف من الملائكة المدبرة لعالم الغيب، وهي أرباب الأدوار العشرة الجمالية والجلالية الإفرادية والجمعية، كما روي أن جبريل نزل بخمسمائة وميكائيل أربعمائة، وذكر الألف لبيان الكثرة والإشارة إلى بيان التنوُّع لا للحصر مع أعيان أعوانهما لا يكاد يحصروهم بكثرتهم كالقوى والجوارح للحقيقة المحمديَّة ﴿مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] متتابعين فلا يستمد ولا يعين، ولا تُمدّ ولا تستعد إلا ذابّة على أحوال ذاته.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ﴾ لكم، أي وما جعل الإمداد الملكي الضمني إلا بظهور ما بالقوة والإمكان وخروجها من حيز الإمكان إلى حيز الزمان ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ ولتسكن ما كان لكم في قوّتكم وإمكانكم ومكمن عيوبكم لتحصل الاستكانة والاطمئنان ويسكن القلب وكرب الخوف واللحوق في أعيان الأعداء وأنواع الأكوان ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ﴾ والإمداد ﴿إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: 10] لا من الملائكة التي هي من مقتضيات النور والجمال ولا من الأهرامينات والأغوال التي هي باطن الملائكة المقرّبين، ولا من الشياطين التي هي غيب الملائكة إلى مدبِّر السماوات، ولا من الجن التي هي مدبِّر البسائط العنصرية والمركبات.

وقد عرفت أن هذه المذكورات كلها من مقتضيات الأظلال ومرتقيات الظلال، وسرّ الجلال، ولا من الإنسان الذي هو صورة جمعية الكل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ذو انتقام، فأمره غالب القوى على إظهار الكل وإخفائه وأسراره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10] حاكم على الإطلاق، عالم بما جرى في الأدوار والأكوار من

الأحوال والأعمال بالعلانية والإسرار والإظهار مع الإضمار، إشارة بأن المدبِّر في الأدوار الجمالية والأكوار الجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية هو الله.

تفسير

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ يريد رحمة منه ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ يريد يُنزل عليكم من السماء مطرًا خفيفًا يوطىء به الحفر الحافر، وعلى عدوّكم وابل وديم يريد ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وسوسة الشيطان ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والعزّ والنصر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] يريد خفة المطر.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يريد ادعو الله لهم ولا يمدنّ أحد منهم سيفه ليضرب به الأدبار نمقًا(1) لسيوفكم ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ يريد الخوف من أوليائي، فاضربوا فوق الأعناق ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ من كل هامة وجمجمة ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12] يريد من الأصابع إلى الذراع.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يريد حاربوا الله وحاربوا رسوله مع الخلاف

(1) تزيينًا.

منهم للنبي ﷺ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13] يريد أن من قتل منهم يعذّب إلى أن ينفخ في الصّور في النفخة الأولى، وكذلك قال في سورة الفرقان: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الآية 77] يريد عذاب الدنيا متصل بعذاب الآخرة. وقال في سورة القمر: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [الآية 45]، وقال في سورة ص: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [الآية 11] يريد يحاربون على محمد ﷺ.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: 14] يريد هذا في التطييب وما بعد أشدّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ يريد فازحفوا إليهم كما يزحف الأسد على فراشه ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15] يريد أنهم سيوعدون إلى قتالكم بعد اليوم، وأمرهم بالفظاظة والغلظة على عدوّه وعدوّهم.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ يريد منهزمًا ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ يريد في الميمنة فيرى الميسرة قد تناول العدو منها، ويكون في الميسرة فيرى العدّو قد تناول الميمنة، أو يكون في القلب ويرى العدوّ قد تناول غير القلب فيتحوّل إليه ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ يريد يكون في قلبه وعددهم في كثرة وقريب منهم يؤمنون فيتجاور إليهم. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث جيشًا أو سرية أو مغنمًا والمغنم أصغر من السريّة قال لهم: أنا فيه لكم لئلا يأتمروا رأفة منه على المسلمين أو معرفة بالله. ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16] فأغلظ في العقاب وهو الرحيم بأوليائه.

﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧﴾

﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ يا محمد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ يوم بدر التقى الجمعان.

خرج رسول الله ﷺ من العريش الذي كان فيه فأخذ حصاة من الأرض فرمى بها وجوههم، قائلًا: شاهت الوجوه حم لا ينصرون، لا ينبغي لهم حيث لا يظهروا فرمى مقابل وجوههم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ثلاث مرات فلم تقع تلك الحصا على أحدٍ إلا قُتِل وانهزم وصار في حد حصره ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ يريد استشهد منهم أربعة عشر رجلًا، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار منهم عبيدة ابن الحرث بن عبد المطلب توفي بالصفراء من ضربة في ساقه، وعمير بن مالك بن وهب وهو أبو سعيد بن ود، وذو الشمالينَ عمير بن عمر، ومن بني الحارث بن فهر، من الأنصار ابن ثعلبة، وعاقل بن البكير، وسمَّاه رسول الله ﷺ عاقل بن بكير وهو حليف لبني عدي، فهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن البيضاء من بني الحارث بن فهر من الأنصار، ومن الأوس سعد بن حيثمة بن الحرث، ميسرة بن عبد المنذر وهو أخو غلمانه وهو نقيب، وعمر بن الحمام بن قسم وحارثة بن عدي ابن سراقة بن الحرب بن عدي بن الجبار، وكان صغير السنّ بعثته أمه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخدمه فكان يعجن فسمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ليقرب إلى عبده يخرج منفصلًا في يومه شاهرًا بسيفه يقاتل حتَّى يستشهد**»، فترك العجين من يده وخرج إلى القتال فاستشهد، فلما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة أتت أمه وأخوه إلى عمر بن الخطاب فسألته فقال: ابنك في الجنة، فذهبت إلى النبي ﷺ فقالت: ابني يا رسول الله، فقال: ابنك في الجنة وهو مع الرفيق الأعلى، فكان الناس يغزون وهي تدعو. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: 17] يريد سميعًا لدعائهم، عليمًا بنيّاتهم ولما خلقهم له.

﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨﴾

﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 18] يريد من النبي ﷺ إلى قدام وهنت كيد عدوّك، قتلت فراعنتهم وجبابرتهم وأسرت أشرافهم وكبائرهم،

وانهزم من لي فيه محياة، ثم رجع تبارك وتعالى إلى قصتهم حيث نزلوا في كثرتهم وعزّتهم في أنفسهم، فبعثوا عمر بن وهب الحجي لحزز القوم، فمضى على فرس له ثم رجع فقال: حرزت القوم ثلاثمائة يزيدون شيئًا أو ينقصون شيئًا ولكن أمهلوني قليلًا حتَّى أنظر هل للقوم من مكين. فمضى فأمعن ثم رجع فقال: ما للقوم مكين، ولكن نواضح تشرب، أتتكم بالموت الناقع، أتاكم بالمنايا قوم إن أصابوا منكم مثل ما حين فيما بقي، فقال له عتبة بن ربيعة: قد والله ما رأيت هذا إلا يأمر أحدهم أن يقتل أخاه أو أباه أو ابن عمه إلا فعل، ولكن ما يفسد القوم إلا من الحنظلة فاكفونيه أكفكم الناس، فذهب إليه حكيم بن حرام فقال: أما تسمع أبو وهب فأخبره، فقال: والله يا محمد ما أصحابه إلا كآكلة جزور. ثم استقبل يدعوهم: اللهمَّ اقتل أقطعنا للرحم وإمام من ما لا يعرف. فأنزل الله:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ يريد إن تدعوا ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ يريد قد أجيب دعائكم ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ يريد عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 19] يريد فإن كان قليلًا فلا غالب على من كان الله معه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20] يريد أطيعوا الله والرسول فإن إطاعة الرسول طاعة لي، فلا تعرضوا عنه وقد سمعتم موعظتي وما أعددت لأوليائي وأهل طاعتي من الثواب، وما أعددت لأعدائي وأهل معصيتي من العقاب، هذا إذ يغشيكم النعاس.

أقول: ويعطيكم اليوم بدل من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾ [الأنفال: 7] إظهارًا لنعمة ثالثة أو متعلّق بالنصر، أو بذكر المضمر ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم

بِهِۦ﴾ [الأنفَال: 11] لما نزل المسلمون يوم بدر على كثيب أغفر وتسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسهم المشركون إلى ماء بدر، وأصبح المسلمون بعضهم مُحدِثين وبعضهم مُجنبين، وأصابهم الظمأ ووسوس إليهم الشيطان: ما لكم تزعمون أنكم على الحق وبينكم نبيّ الله وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، إنكم تصلُّون مُحدثين جنبين فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأنزل الله عليهم مطرًا سال منه الوادي، فشرب منه المؤمنون وتطهروا واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية وأطفئ الغبار، ولبدت الأرض ليثبت عليها الأقدام، وزالت عنهم الوسوسة، وطابت أنفسهم، ويذهب رجز الشيطان ووسوسته، وليربط على قلوبكم، وينزل عليكم السكينة والوقار والصبر والقرار، ويحلّ فيكم الجزم بالنصر والظفر، ويثبت تنزيل الماء الأقدام على الأرض لئلا يسوح وينغمس فيها، إذ أوحى ربك إلى الملائكة إني معكم حيث كنتم، ونزلتم وسرتم بالنصر على الكفر بالرعب والخوف.

قال النبي عليه السلام: «**نُصِرت بالرعب مسيرة شهر**»، فاضربوا رؤوسهم فوق الأعناق، خطاب بالمؤمنين أو مع الملائكة متصل بقوله: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾، ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفَال: 12] أطراف الأصابع. الملائكة كيفية فعل الآدميين، قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يشد في أثر رجل من المشركين فخرّ الرجل المشرك فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشقّ وجهه بضربة السيف فأحضر جميع ذلك فأشهده فجاء الأنصار فحدث ذلك رسول الله ﷺ وقال: «**صدقت، وذلك من مدد السماء**».

عن أبي داود المازني، وكان قد شهد بدرًا، قال: إني لأتبع رجلًا من المشركين لأجزه وأرفع رأسه إليه، فعرفت أنه قد قتله غيري ذلك الأمر الذي أصابهم من الضرب والقتل والأسر والعقاب العاجل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ بالغوا في الخلاف قال عليه السلام: «**كثرة الوفاق اتفاق، وكثرة الخلاف شقاق**»، ﴿وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفَال: 13] ذلكم الخطاب مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أي الأمر ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أو ذلكم واقع أو نصب بفعل يفسره ﴿فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفَال: 14] أو ما بمعناه كباشروا ولازموا وغير ذلك، أو عليكم لتكون الفاء عاطفة، و(أن) عطف على ذلكم في

وجهيه، أو نصب على أن الواو بمعنى مع أي ذوقوا العذاب العاجل مع الآجل. وفي وضع الظاهر موضع المضمر شعار بأن الكفر سبب تام للعذاب الآجل أو الجمع بينهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا﴾ والزحف مصدر بمعنى الدبّ، يقال: زحف الصبي إذا دبّ على إسته قليلًا قليلًا يجمع على زحوف، ثم استعير للجيش والدهم الكبير يتخيل كأنه يدبّ ويتحرك يعني إذا لاقيتم الكفار وهم جمّ غفير وكمٌّ كثير وأنتم بشر قليل ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [الأنفال: 15] يعني يدبروهم، أي لا ينهزموا لتظهر ظهوركم وأدباركم إليهم فإن المنهزم تولّى دبره وتملّكه في الانصراف فضلًا أن تدانوهم في الورد أو تساووهم أو حال من الفريقين إثرهم، وأنتم متزاحفين أو من المؤمنين، إخبار عن أمر سيكون منهم يوم حنين بأن تولوا وأعرضوا عن الكفار وهم زحفوا إثني عشر ألفًا، والورد أربعة آلاف يدل عليه قوله ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا﴾ [الأنفال: 16] لا الانهزام وقصد الفرار. هذا هو الكرّ كما قيل لعلي كرّم الله وجهه كرّار غير فرّار، وهو من مكائد الحرب ومن منح الغيب وعطية الربّ للقلب، أو متحيّزًا ومتعربًا ومتجاوزًا إلى فئة أخرى من المسلمين ليستظهروا ويستعيذ بعزّهم ونصرهم، فقد باؤوا بغضب من الله وما داره إلا جهنم وبئس المصير، هذا إذا لم يرد العدد على الضعف لقوله: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ [الأنفال: 66] الآية إلخ، قيل: حكم الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه في الحرب ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ﴾ حين قتلتموهم بقوتكم وجلادتكم وشجاعتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: 17] فإنه قواكم ونصركم عليهم وأعزّكم لديهم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم. روي أنه طلعت قريش من القتل. قال رسول الله ﷺ: «**هذه قريش بخيلائهم وكبريائهم يكذّبون رسلك، اللهمّ إني أسألك ما وعدتني**» فأتاه جبرائيل فقال: خذ قبضة من تراب فاهزمهم، فلما التقى الجمعان تناول كفًا من الحصبة فرمى بها وجوههم وقال: «**شاهت الوجوه**» فانهزموا.

روي أن رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات في ميمنة القوم وحصيات في ميسرة القوم وحصيات في أظهره، ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ ندب رسول الله ﷺ وقصّ بعض الناس فانطلقوا حتّى نزلوا بدرًا إذ وردت عليهم زوايا

قريش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد، فأتوا رسول الله ﷺ فقال لهم: «**أين قريش؟**» قالا: هم وراء هذا الكثيب والقبيل، فقال: «**كم القوم؟**» قالا: كثيرًا، قال: «**ما عدتهم؟**» قال: لا ندري، قال: «**كم ينحرون كل يوم؟**» قالا: عشرة ويومًا تسعة، قال النبي عليه السلام: «**ما بين التسعمائة إلى الألف**». ثم قال: «**من فيهم من الأشراف؟**» قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختر بن الهشام، وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجَّاج، وسهل بن عمر، فقال عليه السلام: «**هذه مكة**». فلما أقبلت قريش ورآها النبي عليه السلام قال: «**اللهمَّ هذه قريش**» ودعا عليهم بما دعا و﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة.

وإنما عبّر عن النعمة بالبلاء تنبيهًا على أن النِّعم الظاهرة تستتبع البلاء، والنعمة عطف على مقدر، يعني ما فعل الله بهم ما فعل إلا لإظهار الحق ولابتلاء المؤمنين لئلا تطغى النفوس وتبغي العقول بآثار العكوس، ولذا انقلبت النعمة يوم أُحد بالنقمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم واستغاثتهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 17] بأحوالكم وأقوالكم وضعفكم وكيفية امتنانكم وحسن ثباتكم.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن أو القتل والغنيمة والرمي والإمداد العيني مبتدأ وخبره قرينة محذوف، يعني الأمر الذي هو يعنيكم ذلكم الذي عددناه عليكم والذي عددناه كان مقصودكم ويغنيكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ ومضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: 18] ومبطله، عطف على المبتدأ المحذوف، أي المقصود ابتلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلتهم ومكرهم، أو منصوب باعلم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [الأنفال: 10] خطاب لأهل مكة على سبيل التوبيخ والتهكُّم، وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهمَّ انصرنا على الجندين، واهد الغانمين، وأكرم الحرمين. فأجاب الله دعاءهم عليهم لا لهم.

وعن أُبي بن كعب: أن الخطاب للمسلمين، فقد جاء النصر من الله لهم على الكفار أي إن تنتصروا فقد جاءكم النصر والفتح، وإن تنتهوا عن المقاتلة وعن التكاسل والتغافل في القتال فهو خير لكم، وإن تعودوا إليه أي التكاسل والقعود عن القتال، فعل مضارع مجزوم بالجزاية أي يعود عليكم بتهييج الأعداء عليكم

ولن تغني عنكم فئتكم أي جماعتكم وزمرتكم شيئًا، أي لن يمنع عنكم جماعتكم شيئًا من البلاء والعذاب والمكروهات والمصائب ولو كثرت عددًا وكبرت قوة ومددًا، وأن الله مع المؤمنين لأن قلوبهم مشغولة بهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ عن الرسول ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 20] القرآن وكلام الله ومواعظته من فيه.

إشارة وتأويل

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ إشارة إلى أن السالك في أثناء سلوكه يفتر به الفترة ويطويه سنة الغفلة وصفة الكسالة ليزداد شوقه ويعتاد به ذوقه ويرتفع سآمته ويندفع أعباؤه وكسالته، ويتحصل أمنه وأمن وأمان من عدد النفس الأمَّارة وشدَّة بأس جنوده القريشية واللوَّامة الهاشمية ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم﴾ بأطوار أمته المحمدية الحنيفة من الأسماء الإلٰهيَّة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي ماء أمطار المعارف الفطرية والعوارف القلبية والذروات النظرية والأحوال العالية والحالات الرفيعة والمقامات الحالية ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ نجاسة الكسالة، وحساسة الغفلة والبلاهة، وخسة البلادة ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المولود الجني وإلقاءاته، ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ العلوم الفائضة من السماء الإلٰهيَّة ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال: 11] وأطوارها السبعة باليقين التام والتمكين العام الساري في المبادىء النظرية والمبادىء الفكرية، والقوى الروحانية والنفسانيَّة.

فكما أن آثار أنواع العلم الحضوري والإدراك الشهودي تنبسط شيئًا فشيئًا إلى أن تصل إلى مرتبة المعاملات والإحساس والمشاهدة، كذلك اليقين يتيسر بسبب انتشار الحواس والقوى إلى أن ينزل إلى مرتبة الوهم والظن فيرتفع به الإيمان واليقين وما يلزمه من الشفقة والرحمة والحياء والأمانة. قال النبي ﷺ: «**أول ما ينزع من العبد الحياء فيصير ميّتًا ممقتًا، ثم ينزع عنه الأمانة فيصير خائنًا، ثم ينزع عنه الرحمة فيصير فظًّا غليظًا ويخلع ربقة الإسلام من عنقه فيصير شيطانًا ملعونًا**».

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11] أي أقدام الطلب ويزداد بذلك الارتباط والثبات والوقار والتمكن في طريق الطلب بذريعة هادي العجم والعرب لأصحاب الشرق والغرب ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ﴾ خطاب إلى الطور الخفي في الدور

الجمالي، وإلى الملائكة، أي باطن سائر الأطوار وغيوبها ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ معيَّة علمية وتبعية شهودية، والعلم والإدراك عين الذات لا بالمقارنة ولا بالمجاورة ولا بالحلول والمخامرة بل بالذاتيَّة التي ظهرت بنعت معية الذات بالذات لا بالغير ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الأعراف: 37] ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾ خطاب إلى الإظهار وأمر عليهم بأن يثبِّت كل طور ويقرأ الأعداد المندرجة تحت المنسوبة إليه المبطلة له وليسروا عن شهودها بالتعبُّد بخصوصية المعيَّة ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف والميل من محيط الكثرة الساترة لتلك المعيَّة إلى مركز الوحدة الجمعية والنقطة المعيَّة السيادية في الصور الشخصية بالنعت النوعية والأصلية، والأصلية بالفرعية ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: 12] خطاب بالأملاك التي هي باطن الأطوار وركائب الأنوار ونقائب الأسوار، وأمرهم بضرب الأطراف وإسقاطها لأن ملاحظتها ينافي شهود المعيَّة التي غايتها الاتحاد والوحدة والتوحيد والقصد، إذ من لم يصل إلى مقام الاتصال والاتحاد والتوحيد الذاتي والصفاتي والأقوالي والأفعالي والآثاري والجسماني لم يفهم معنى المعيّة ولم يشاهدها، إذ ملاحظة المعيَّة بدون المقارنة لإيصال عدها الفعلي الغير الصريح المثبَّت بأذيال الوهم. أما طور العقل الصريح فهو في الحقيقة هو المحبة الذاتيَّة والعشقة السرمدية لكمال سعته وشمول إحاطته، فهو يدرك هذا النوع من المعيَّة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13] إشعار بأن قواسم هذه المعيَّة أنواع: حسي ونفسي وروحي وعقلي، أعظمها هو شقاق الجزء في العقل، وكثرة خلافه بالانتصار بالوهم الحاكم على تمام الموجودات الحسيَّة بل النفسية والروحية والعقلية، وإزالة هذه القيود عن اللفظية الإلٰهيَّة والطور القلبي والحقيقة الغيبية الإنسانيَّة إنما يتحقق إذا تحققت العدالة والاستواء بين الأعيان والأطوار، كلٌّ بصاحبه، وتحققت نسبة الأطوار إلى نور الأنوار في الأدوار والأكوار إلى الرتبة المعيَّة فإنها في نشأة هذه الأدوار أنواع العقاب وأجناس العذاب، ذلك العذاب وهذا العقاب في تلك النشآت ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ السائرين لوحدة الأحدية الجمعية في الأدوار والفرعية ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: 14] نار القطعية التي تطلع على الأفئدة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من الأعيان الجلالية الضمنية

﴿زَحْفًا﴾ سواء كانت في الطور القالبي أو الطور النفسي والطور القلبي أو السرّي أو الروحي أو الخفي ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: 15].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: 16] إشارة إلى تفاوت درجات قوة المبارزين في معارك السائرين إلى الله ومن الله وفي الله، وإلى تغاير مقامات المحبين والمحبوبين وفق الجذبة وضعفها، وإلى اختلاف مراتب التحقق الإلٰهيَّة والقوة الربانيّة بحسب الأوقات وقوة الأحوال وعلوّ المقامات، فمنهم من يحيا بالقوة الإلٰهيَّة والقدرة الذاتيَّة في التصرف في الكون ظاهرًا لا في تمام الكائنات في جميع الأوقات بل في البعض نظرًا إلى البعض كما أشار إليه ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بالقوة البشرية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: 17] أي بالقوة الإلٰهيَّة المتعلقة باطنًا بجميع المكونات لا في الظاهر، يعني إن المتحقِّق بالله لا يمكن ولا يقع إن يقتل جميع الموجودات والمخلوقات دفعيًّا أو تدريجيًّا في الظاهر، فإنه مخصوص لخالق الكل، فإن العارف ربما يتحقق بصفة التكوين وثقة الإيجاد والإحياء على مقتضى النور والجمال والوجود، وربما يتحقق بنعت الإعدام والإماتة عند غلبة الجلالة والعدم وباطن النور والجمال فحين يعدم ويقتل جميع الموجودات في الغيب والباطن دون الظاهر، ويتحقق أثر الاتصاف بالألوهية، ويظهر في بعض الأوقات في بعض المكونات، كما أشار إليه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ ولذا استدرك في هذه الحالة دون الأولى فإنها بهذه الكلمة والحالة الأصلية لا يتصور إلا من الله آنًا فآنًا وفي نهاية الأدوار وغاية الأكوار، كما أن الخلق الكلي والإيجاد الأصلي والفرعي لا يتصور إلا في بداية الأدوار وابتداء الأكوار.

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 17] والابتلاء والإظهار للنعم الإلٰهيَّة والمصالح والحِكم الغير المتناهية من الأنوار الإلٰهيَّة والأطوار الربانيَّة والأسرار الجلالية والأنهار الكورية الجمالية التي كانت في أرض استعداد كل واحد من الأعيان من الكمالات الذاتيَّة والأسمائيَّة والأفعال والتجلّيات الإلٰهيَّة والعلوم والشهودات الغير المتناهية وغير ذلك من الأحوال والمقامات الغيبية والحالات القلبية، والباقي ظاهر.

تفسير

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21] يريد بني قريظة والنضير وبني قينقاع.

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يريد قسمًا من بني عبد الدار ومن بني عبد العزى وبني عبد المخزوم ﴿ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22] يريد لا يفهمون ما جاءهم من الكرامة ولم يقبلوا.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ يريد إهداءهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: 23] فرجع تبارك وتعالى إلى سبق في علمه وقضاء في حكمه فأخبر بما كان قبل أن يكون.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يريد يا أيها الذين آمنوا صدّقوا أو سارعوا إلى ما دعاكم رسول الله من طاعته، فإن إجابتكم ثواب لكم وحياة ونعيم وخلود ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ يريد يحول بين المؤمن وبين أن يكفر، ويحول بين الكافر وبين أن يؤمن ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24] يريد صائرون إليه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ﴾ [الأنفال: 25] قال عبد الرحمٰن

ابن عوف: لما نزلت هذه الآية ظنّنا أنه يعني غيرنا، فإذا نحن المعنون بها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25] يريد لمن عطّل صدوده فانتهكها.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)﴾

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ يريد بمكة ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد أرض مكة استضعفكم المشركون ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ إذا خرجتم منها. والناس ها هنا العرب، يريد المشركين ﴿فَآوَاكُمْ﴾ يريد قسمكم إلى الأنصار ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ يريد بقوّته ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يريد الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26] يريد تطيعون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27] يريد أبا لبابة وما صنع بنو قريظة.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)﴾

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] يريد ثوابًا عظيمًا لمن نصح لله والرسول وللمؤمنين، وأدّى أماناته ولم يخن نفسه ولا ربّه ولا نبيّه ولا أحدًا من المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] يريد يقينًا ومخرجًا من الشبهات مثل قوله في البقرة: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ

﴿وَٱلۡفُرۡقَانِۗ﴾ [الآية 185] يريد المخرج من الشبهات، يعرفون ما فضّلكم الله على غيركم ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ يريد يقيكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29] يريد يفضّل الله على أوليائه بالعصمة.

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾

﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يريد وأنت بمكة ﴿لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ ولهذا إنما كان استأثر عليهم إبليس قالوا: نخرجه، قال لهم إبليس: إن أخرج إلى قوم نصروه وقاتلكم بهم وإن قتلتموهم لم ترض عشيرته حين يقاتلونكم، قالوا: فما تقول أنت وتُشير به، قال: إذا كان في الطواف فيجتمع منكم جماعة فتهمُّوا به حتَّى يموت ولا يدرى مَن قتله، قالوا: أحسنت ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30] يريد أفضل مما مكروا.

هذا ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ [الأنفال: 21] **أقول**: عند التكليف بإدراك الأصول والفروع سمعنا، أي يا أيها الذين آمنوا في طور الدين وقبول الحكم الإلٰهي لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا الأمر الإلٰهي والحكم الربّاني والكلام العرفاني باللسان ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21] ولا يدركون بالقلب والعقل بطريق السماع، ولا يتدبّرون في حقائق الفرقان ودقائق آيات القرآن، ولا يتألمون في أسرار أحكامها وأنوار أعلامها من حلالها وحرامها ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن استماع القول الحق ﴿ٱلۡبُكۡمُ﴾ عن الاستنطاق بالأحكام الربانيّة والأعلام السلطانية ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22] لانتفاء صفة العقل عنهم ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ التفهيم والقبول بالقلوب ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾ بتفهيم حقيّته وتعليم حقيقته وعلموا أنه حق جاء بالحق من الحق ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ وأعرضوا عنه، أي عن قبوله بحسب الناطق وبحسب الاعتقاد ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: 23] عن قبوله في الظاهر بالإقرار باللسان والعمل بالأركان عنادًا واستكبارًا بالجنان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ﴾ بالطاعة وكمال العبادة ﴿وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ الرسول إلى الله وإلى امتثال أمره وقبول حكمته ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ لأجل إجابتكم بالإيمان بالله وبما جاء منه من الأحكام الدينية والاعتقادات الحقّة اليقينية

والمعارف الإلٰهيّة ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24] أي بين إيمان المرء وقلبه، وكذا في الكفر فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه، وكذا بين جوفه وقلبه، فيتبدل الخوف أمنًا ويجيء جراءة وعونًا، وينفتح عزائمه، وتنسج مقاصده ولوازمه، وتصير مطالبه وعوازمه.

قال علي رضي الله عنه: عرفت الله بنقض العزائم وحلّ الهمم. هذا تمثيل لغاية قربه من العبد ونهاية قلبه وجرّه إيّاه إلى حضرته، وإن كان العبد بحسب التوهم والتخيُّل في غاية البعد ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: 16] وتبينه على أنه مطّلع على مخفيات القلوب ومغيبات الغيوب من الكمالات والعيوب من الإخلاص والرياء وسائر الذنوب ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24] يوم القيامة ليجازيكم بأعمالكم.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾ وعذابًا وبلاءً وعقابًا ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: 25] بل تكون مصائبها ومكائدها عامة، وهي المداهنة في الأمر بالمعروف والمساهلة في النهي عن المنكر، فإشاعة المعاصي والفواحش من الأداني والأقاصي وافتراق الكلمة الحق وإظهار البدع والكسالة في الجهاد وإشهار المفاسد والإفساد. فإن قيل: لو جعل ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جواب الأمر على معنى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾ [الأنفال: 25] فإن لم تتقوا أصابتكم مصيبة لا تصيب الظالمين بخصوصهم، يرد أن جواب الشرط متردّد فلا يليق به التأكيد. أجيب بأنه لما تضمّن الشرط معنى النهي ساغ فيه التأكيد ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النمل: 18]. ومنه في ﴿مِنكُمۡ﴾ للتبعيض أو للبيان إشعارًا بأن آثار المعصية تسري وتؤثر في الكل كما أن أنوار الطاعة تسري وتنادي في الجميع ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25] وفي الكشاف: نزلت في علي وطلحة وعمار والزبير يوم الجمل. روي أن الزبير كان يساير رسول الله ﷺ يومًا إذ أقبل علي فضحك إليه الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «**كيف حبّك لعلي؟**» فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أحبّه كحبي لولدِي أو أشد حبًّا، قال: «**فكيف أنت إذا سرتَ إليه بغيًا له**».

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ﴾ يا معاشر المهاجرين ﴿قَلِيلٌ﴾ في العدد ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مكة في بدء الإسلام أو خطاب بالعرب حيث كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ من قريش أو الفارس والروم ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ إلى

المدينة أو مصر الدولة المحمدية، أو بلدة الشريعة الأحمدية ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ وغلبكم بعزّه وقهره على الأعداء الأقوياء الجبارين ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من الغنائم والأثقال من الأنعام وسائر الأموال ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26] هذه النعم الجليلة والمنح الجزيلة والغلبة الهليلة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: 27] بتعطيل الفرائض وتقليل السنن وتضييعها، أو بأن يضمروا خلاف ما يظهرونه، أو بالغلول في المغانم. نزلت في أبي لبابة رفاعة بن المنذر الأنصاري حيث حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة إحدى وعشرين يومًا فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأزرعات وأريحا من الشام، فأبى رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك إلا إن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ. فأتوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان ناصحًا لهم، لأن ماله وولده وعياله كان عندهم، فبعثه إليهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه إنه الذبح، فلا تفعلوا. قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتَّى عرفت أني خنت الله ورسوله. ثم انطلق على وجهه ولم يأت إلى رسول الله ﷺ. قال: «**إنما أوصاني لأستغفر له، فأما إذا فعل ما فعل فإني لا أطلقه حتَّى يتوب الله عليه**». فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا حتَّى خرّ مغشيًّا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا أحل نفسي إلا بيدك يا رسول الله. فجاءه فحلّه بيده ثم قال أبا لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر ديار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي. قال النبي عليه السلام: «**يجزيك الثلث أن تتصدّق به**».

﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ ولا تخونوا فيما بينكم من الأمانات مجزوم على العطف على تخونوا المقدم، فيكون داخلًا في حيز النهي أو منصوب بإضمار إن، أو هو في الأصل النقصان يقابله الوفاء، وهو التمام ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27] أي ما فعلتم من الإشارة إلى الخلق جناية، أو أن من خان الله ورسوله فقد خانوا أماناتكم من الفرائض والسنن وغير ذلك مما ذكروا.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي سبب لوقوعكم في الفتنة فيما يترتب عليها من الآلام والعذاب أو محبة واختيار من الله ليبلوكم كيف تحاطون الآيات وتحافظون على حدود الله وأجزائها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 28] في

الوفاء بالعهود وحفظ الآيات الغالية والجنات العالية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بطاعته وترك معصيته ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ فصلًا بين الحق والباطل، أو بينكم وبين ما تخافون منه، أو نصرًا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين بالأسر والقتل وضرب الجزية عليهم ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾ ويحط ويمحو سيئاتكم وذنوبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: 30] عطف على اذكر تذكارًا للمكر القريشي حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم أي اذكر إذ يمكرون بك حيث اجتمع نفرٌ من قريش في دار الندوة وكانت رأسهم عتبة وشيبة وأبو جهل وأبو سفيان وغيرهم مما مرّ ذكرهم، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ، فلما رآه قالوا: مَن أنت؟ قال: شيخ من نجدٍ سمعت اجتماعكم على أمر محمد، قال أبو البحتري: احبسوه في بيت وسدُّوا بابه وكوّته حتَّى يموت. فمنعه الشيخ النجدي، قال أبو جهل: خذوا من كلِّ بطن شابًّا نسيبًا ويعطى كل منهم سيفًا صارمًا ثم يضربوه ضربة واحدة، فإذا قتلوه تفرّقت ديته في القبائل كلها. فصدّقه الشيخ النجدي واستحسن رأيه، فأتى جبريل وأخبر محمدًا عن الأمر الجاري بينهم، فأمر رسول الله ﷺ عليًّا بن أبي طالب فنام في مضجعه وقال له: «**لن يصل إليك مكروه منهم**». فخرج النبي ﷺ وقبض قبضة من التراب وبثها إليهم، فأخذ الله أبصارهم فقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: 8] إلى قوله: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]، ومضى إلى الغار بأبي بكر، فلما أصبحوا ثاروا إليه ليقتلوه فرأوا عليًّا فقالوا: أين صاحبك، فاقتصّ أثره فأرسلوا إلى طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسيج العنكبوت فانصرفوا. فمكث النبي عليه السلام بأبي بكر رضي الله عنه ثلاثًا ثم قدم المدينة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك ويوثقوك ويقتلوك أو يخرجوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

إشارة وتأويل

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ إشارة إلى اختلاف اقتضاء الأدوار

الصريحة النورية الجمالية، وارتضاء الأكوار الضمنية الظليّة الجلالية. فإن الخطاب الإلٰهي إلى الأعيان الجمالية صريحًا يتضمن الخطاب بالأعيان الجلالية الضمنية، يعني بأعيان الأدوار النورية الجمالية الصريحة.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21] مثل أكوان الأكوار الجلالية الضمنية الذين قبلوا الأمر الإلٰهي بوجه دون جميع الوجوه لأنهم قد انتفى عنهم شرط العبودية الكامل صريحًا، فهم لا يسمعون الأمر الإلٰهي بتمام الأعضاء والقوى والجوارح والأجزاء.

والقبول الكامل مشروط بأن يساعد المولود الجني الجلالي بالمولود الإنسي الجمالي، كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «**إن شيطاني قد آمن ولا يأمرني إلا بالخير**». وأما الذي لا يساعده فقسمان منهم من غلب عليه الشيطان ويصرفه إلى ما هو عليه من الشرّ والسوء والضرر فيجعله صمًّا بكمًا عميًا.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ المتردّدة في أرض الاستعداد ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22] ومنهم من يستوي عنده حكم التوأمان وهم المنافقون الذين ترددوا وسقطوا في درك الأسفل في التردُّد، منهم من غلبت سلطته النور وله عرض عريض يدخل فيه الأنبياء والأولياء والحكماء الإلٰهيون والعلماء الربّانيون.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ﴾ أي في استعدادهم وقابليات قلوبهم ﴿خَيْرًا﴾ وصلاحًا لقبول دعوة الحق وشهود الوجود المطلق لأسبقهم الكلام الإلٰهي على ما أسمعهم الأعيان الثابتة، ذلك الكلام الأدنى، فأشهدهم ذلك الوجه الجمالي النوري في ذلك الموطن والمقام، ولو أسمعهم مع عدم الاستعداد الغريب بالفعل واستجماع شرائط الاستماع كما وقع في طريق السلوك لبعض من أصحاب الجذبة الغالية والجلبة العالية، فإنهم ظفروا في المقامات وطابوا في المنازل لا على نهج العادات بل على سبيل خرق العادات، ودخلوا مراحل أرباب الاستدراجات ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ وانصرفوا عن منهج السداد ومبهج الصواب والرّشاد ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: 23] عن طريق الكمال الجمعي والجمع الكمالي، إشارة إلى اختلاف اقتضاءات الاستعدادات وتفاوت نسب القابليات الأزلية والجذبات الأبدية الرحمانية، فإن منهم من توفرت عناياته وتقرّرت جذباته في المراتب البسيطة

احتجب عن شهود كمالات الجمع الكمالي الإلٰهي والكوني، والكمال الجمعي الغيبي والعيني النوري، فتولوا عنه وعن الطريق الموصل إليه وعن الحالات العينية والمقامات الغيبية، وعن الأطوار العلية والأطوار الرفيعة العلية الواقعة في الطريق الجمالية والسوابق الجلالية الإفرادية والجمعية، فإنهم وإن كانوا أقرب من حيث المرتبة لكن أبعد من حيث المرتبة الجمعية والغلبة المعيَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إيمانًا جمعيًّا، واتّقوا اتِّقاءً معيًّا أصليًّا وفرضيًّا ضعيفًا ونوعيًّا تدريجيًّا ودفعيًّا في الدورة الجمعية ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ أي لصورة جمعية ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ من مقام إلى مقام، ومن طور إلى طور، ومن جمعية إلى جمعية ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: 24] بماء الحياة الطيبة الجمعية والكلية الإحاطية، بما جرى من الأدوار الأربعة الأصلية والفرعية الإفرادية والجمعية، وذلك لأن العلم الحضوري الشريعي الذي هو ربّ فرداريّة الدورة العظمى الجلالية في مراتب الكثرات ومآرب الإضافات، **له أربع منازل: العقل**، وهو مبدأ التعقل الصرف والتمثُّل المحض. **والحسّ** الظاهر، وهو منشأ الإدراك الحسي الصرف والمخلوط منهما وهو الإدراك الحسي والعلم النفسي، أعني التخيُّل والتوهُّم، فكل منها ينسب إليه دورة، فكل ما جرى ويجري في هذه الدورة يكون من جنس ذلك المعنى مثلًا في الدورة العظمى الفرعية كل ما يظهر فيها يكون حكم سلطان العقل غالبًا عليها. وكذا كل ما يظهر في الدورة الثانية الكبرى الفرعية حكم سلطان الوهم غالبًا، ويكون الناس على دين سلوكهم. وكذا في الثالث والرابع، فالرسول وهو في الحقيقة هي الحقيقة المحمدية إذا دعاكم في هذه الأدوار إلى ما يحييكم في هذه الأدوار من الحقيقة الطيبة المذكورة وهي الحياة الجمعية الجامعة لتمام الكمالات الحبية والجهات العلميَّة والقدسية والإدارية.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24] أي ظاهره وباطنه لأنه ظاهر في كل شيء، وباطنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن إذ اقتضاء الوحدة الجمعية دورية لتساوي نسبتها إلى ما فيها من الأطراف والأضداد والأكتاف وهيئة ما يتعين به مستديرة، فاستدام الذهاب والعود والإياب واسترجع إليه الكل وأناب ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ الفتنة هي

الساعة العظمى والقيامة الكبرى الأمرّ والأدهى، وهي التي انطوت فيها الأدوار الأربعة الجمالية والأربعة الجلالية الأصلية والفرعية الإفرادية الجمعية، فلا تصيبن الأدوار الجلالية بل يدخل فيها الأدوار الجمالية أيضًا وأعيانها.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25] بأن يعتبر فرداريّة أدوار الجمال بفرداريّة أكوار الجلال، ويستعقبهما الفرداريّة الجمعية أو جمعيته ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾ في بداية الأدوار ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾ في مفتتحة الأكوار في الأرض أي أرض الإنية الذاتيّة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: 26].

واعلم أن القلّة والاستضعاف إنما هو بقلّة العلم والإدراك المتعلق بالتجليّات الذاتيّة والأسمائيّة والأفعالية والآثارية والصورية التي تظهر بصورة جمعية التجلّيات المذكورة صورة ومعنى، ظاهرًا وباطنًا، آفاقًا وأنفسًا. وأنت خبير بأن أعيان بداية كل دورة وأكوان مفتتح كل كورة بالنسبة إلى أثنائها ووسطها، وكذا أحوالها من الأطوار الحالية والحالات المقامية والإدراكات الحضورية والعلوم الخطورية والعلوم الشهودية أقلّ وأضعف.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ إلى المدينة الجمعية والهيئة الكليّة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحالية والمقامات القلبية والإدراكات الحقيّة والعلوم الحقيقية ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26] شكرًا خاليًا وتحمدون حمدًا قاليًا وفعليًا، والباقي ظاهرة بالتأمل الصادق.

تفسير

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣١﴾

هذا ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ يريد القرآن ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ يريد النظر إلى الحرب بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار، خرج إلى الحيرة واشترى أحاديث كليلة ودمنة فكان يقعد مع المستهزئين المقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31].

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي جاء به محمد ﴿ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32] يريد مؤلم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33] يريد أنه كان معهم قوم في علم الله أن يسلموا، منهم أبو سفيان بن حرب، وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، والحرث بن القسام، وحكم بن حرام، وسهيل بن عمرو وعدد كثير.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يريد المقيمين على الشرك حتَّى ماتوا وقتلوا عليه ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ يريد ما كان للنبي ﷺ ولا نصر المهاجرين والأنصار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 34] يريد غيب علمي وما سبق في قضائي وقدري.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ يريد صلاة المشركين ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ يريد التصفيق ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ يريد المتصفر لآلتهم ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ يريد القتل ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يريد أبا سفيان وأصحاب الأموال التي هي في العير، فقالوا: للجيش هذه العير نعلقها إلى قابل ثم نغزو محمدًا إلى بدر. وقالوا: يا أبا القاسم موعدنا وإيَّاك إلى قابل ببدر ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36] يريد الذين قتلوا وماتوا على الكفر.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يريد أَخَّر من أجل هذه الأمة إلى يوم القيامة، وكان قبل أمة محمد، إذ كذبوا نبيّهم لم يؤخروا وعذّبوا، فجعل الله ميقات هذه الأمة إلى يوم القيامة. وقيل ذلك إلى الموت. أو قيل: وقال الله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: 37] يريد المؤمن من الكافر، يريد أن في أصلاب الكفار مؤمنين، وكذلك يميزون يوم القيامة، مثل قوله: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: 59]، ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريد في جهنم يصبغها الله عليهم ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ مثل ما يدرج الثوب، يريد يؤخذ بالنواصي والأقدام ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ مثل قوله في سورة الحاقة: ﴿فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الآية 32] كما سلك الحرز في السلك وهو الخيط، يريد يدخل في حلقه ويخرج في دبره، ويجمع بين ناصيته وقدمه، يريد الذين خسروا أنفسهم وأهليهم.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟﴾ يريد عن التكذيب وعن الشرك في الله ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ يريد من الزنا والشرك والقتل والرياء وأكل

الحرام ومال اليتيم وكل مكروه ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ يريد الجرأة على تكذيبك ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفَال: 38] يريد القتل في الدنيا متصلًا بعذاب الآخرة من قبل نبيّنا أو قبله، يعني أو قتل في معركة نبي أو مات بحضرة وهو مكذب له، عدم في ساعة يموت إلى النفخة الأولى.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يريد الشرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ يريد دينًا حنيفًا مسلمًا الذي أُرسلت به ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفَال: 39] يريد عالمًا بمن ينتهي، بصيرًا بأعمالهم.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ يريد عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين، يريد أن الله مولاكم وناصركم عليهم على مَن خالفكم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفَال: 40].

هذا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ [الأنفَال: 31] يعني النضر بن الحرث قالوا: سمعنا هذا من باب ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غَافر: 36] الآية، وكان رجلًا قاصدًا تاجرًا قد سمع أخبار رؤوسهم واسفنديار وأخبار العجم وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكة فوجد محمدًا عليه السلام يصلي ويقرأ القرآن، وقد كانت العرب يأمرون بلغاءهم وعرّيفيهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، فلما عجزوا عن المعارضة وتحدّيه ركنوا إلى المكر والحيل وإلى المقاتلة والحرب، فعجزوا وقالوا من فرط العناد والمكابرة في معرض المعارضة والجهالة: لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفَال: 31] أي أخبار الأوّلين وأحاديث الأقدمين التي سطّروها وهي المكتوبة من سطّرتُ سطرًا أي كتبت كتابةً.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ﴾ النازل ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الثابت ﴿مِنْ عِندِكَ﴾

نزلت في النضر بن الحرث. قال ابن عباس: لما قصّ رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا، قال له عثمان بن مظعون: يا نضر اتق الله فإن محمدًا يقول الحق، قال عثمان: إن محمدًا يقول لا إله إلا الله، قال النضر: أقول أيضًا لا إله إلا الله، لكن هذه الأوثان والأصنام بنات الله. ثم قال النضر: اللهمَّ إن كان هذا هو الحق عندك لا منه ﴿فَأَمْطِرْ﴾ وأنزل ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. وقد روي أن أبا جهل قال: إن هذا إلا أساطير الأولين وإن كان هو الحق ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ نزلت حين قال أبو جهل: أمطر علينا إلخ، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33] متصلة بما قبلها لأنهم كانوا يقولون: إن الله لا يعذّبنا ونحن نستغفر، ولا تعذّب أمة بينهم نبيّهم. فقال الله: يا محمد اذكر جهالتهم وعزّتهم واستقباحهم ودعاءهم على أنفسهم حيث قالوا: أمطر علينا حجارة، فاستجاب دعاءهم على أنفسهم. ومن هذا رأت بنت عبد المطلب في منامها أنه قد هبطت حجرة ووصلت ودخلت في بيوت أهل مكة وما بقي بيت إلا وقد دخلت هذه الحجرة فيها وأصابت أهلها.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ [الأنفال: 34] المؤمنين ويمنعونهم ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34] وزيارته وطوافه، ردّ عليهم على ما قالوا. فإن الاستغفار إنما يردّ العذاب بشرط عدم الصدّ عن زيارة المسجد الحرام، إذ الاستغفار القلبي إنما يردّ العذاب عن أهله إذا طابق ما في اللسان. وأما دعاؤهم بقولهم: أمطر علينا، فقد كان في هذه الحالة قلبهم حاضرًا عند دعائهم، فلهذا نهى النبي عليه السلام من الدعاء على نفس الداعي إذ ربما يطابق اللفظ ما في القلب لكمال توجه القلب حين حلول المكروه عليهم إلى مركزه الحقيقي ليتقوى في دفع المكون، فلما خرج النبي عليه السلام بالمؤمنين من بينهم وقع دعاء الاستفتاح عليهم بوقعة بدر، وفتح مكة، وهو العذاب الشديد.

وروي أن قريشًا لما أمسوا عند قولهم: اللهم أمطر علينا حجارة ندموا عمّا قالوا، وأيضًا أن الاستغفار عبارة عن ذكر الذنب والإقرار به مطلب ستره عليهم وبالعفو عنه ولو كانوا مستغفرين لكانوا مؤمنين، ولهذا فسر بعضهم يستغفرون

بيسلمون، قيل: المراد بالمستغفر هو من سبق له من الله أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمر وغير ذلك. قيل: المراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، وبالثاني العذاب بالسيف. أو المراد بالأول عذاب الدنيا، وبالثاني عذاب الآخرة. قال الحسين قوله: وما لهم أن لا يعذبهم الله، ناسخة الأول، وما كانوا أولياءه، أي أولياء المسجد الحرام. إن أولياءه إلا المتقون من الشرك ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الأولياء غلبة لعدم استحقاقهم بالولاية.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي دعاؤهم وما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ وصفيرًا أو مجرّد صوت من مكى يمكوا إذا صَفَرَ وصات صوتًا خاصًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35] وتضييق. قال ابن عباس: كان قريش يطوفون البيت عريانًا ويصفرون ويصوبون ويضيقون. قال مجاهد: كان عبد الدار يعارضون النبي عليه السلام في الطواف ويستهزئون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفّرون في المكان، جعل الأصابع في الشدق والتصدّي بالصوت، ومنه الصوت الذي يسمع عند التصوّت في الجبل والدّور أو بعض العمارات. وإنما جعلوا ليشوّشوا الصلاة على النبي وعلى المؤمنين، والباقي ظاهر.

إشارة وتأويل

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾ [الأنفال: 31] الآية، إشارة إلى أن لكل واحد من الأعيان الجمالية النورية والأكوان الظلّية الجلالية الضمورية صلاحية لقبول جميع الكمالات الإنسانيّة من أنوار النبوّات وأسرار خصائص الآيات وحقائق العلوم والإدراكات والمعارف الفطرية وأطوار الشهودات وغير ذلك من الكمالات الذاتيّة والأسمائيّة والحالات، وإلى أن كل عين من الأعيان الثابتة دائرة في نشأة الأدوار وشؤونات الأكوار، ويتحقق بما فيها من الأحوال وأطوار أنواع الكمال والحال الوصفي من سماع الكلام الإلٰهي الظاهر في كل دورة من الأدوار الإلٰهيّة والكونية، وآية كورة من الأكوار الذاتيّة والوصفية وإلى أن النشأة وما فيها متشابهة متضاهية لما تقدم، وقد تقرر أن الأدوار والأكوار متطابقة وما فيها من الأحوال أمثال وأشباه وأطلال متوافقة.

ولا شكّ أن القرآن الإلٰهي والكلام الربّاني النازل في هذه النشأة المحمدية في آخر الدورة الأخيرة من الأدوار الفرعية الجمالية الصريحة الجمعية مثل الأساطير الظاهرة التي أبرز الله تعالى من غيب استعدادهم على حنث قلوبهم، ومنه إلى صفحات ألسنتهم لما تقدم وتحقّق عند أرباب التحقيق إن الأفعال الإنسانيَّة القلبية أو اللسانية وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة إنما هي بخلق الله تلويحًا إلى أدوار الأسرار وأنوار الدائرة على طريقة الإدبار والإقبال كما تقدَّم إليها الإشارة من كلام سيِّد المرسلين في خلق الفعل.

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: 32] إلخ يعني إن كان هذا الكلام من حضرة الأحدية الجمعية، فأنزل علينا حجارة الوقادة وصلابة السكينة وأثبت في الأطوار والاطمئنان والقرار هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم. وهذا القرار والسكينة والوقار ليجعل فينا قوّة السماع وقدرة الاستماع والإسماع ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 13 - 14] إن كانت الاستعدادات الذاتيَّة مساعدة والأوقات الزمانية مستعدة وإلا أدرنا وقلِّبنا على النشئات في الأدوار ومدارك الأكوار التي كانت ضمنية فصارت صريحة عند قيام القيامة لدى انقضاء مدة اقتضاء فرداريّة النور والجمال ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32] أي إلى أن يصير العذاب عذابًا والبعد قُربًا، والنار نورًا، والهمّ والغمّ سرورًا، إشارة إلى مقام السلوك كما أن الأول سرّ إلى طلب الجذبة الإلٰهيَّة ليتمكن بها عن سماع الكلام النازل من الحضرة الجمعية وإدراك معانيها والتحقق بما فيها.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ أي حال كون مقتضى حقيقتك ومرتضى أحديتك ظاهر في مقام السابق على الجذبة، ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ القلبي الجامع لوجهيّ الصدر والفؤاد الذين هما مورد العلم اليقيني والعيني، أعني عين اليقين، وهو إشارة إلى الصلاة الجمعية لهذه الأمور الأربعة النورية، أعني الجذبة المجرّدة التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33] إلى مقام السلوك السابق على الجذبة، والجذبة مع السلوك ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ إشارة إليها. وهذه الحالة الأربعة إنما تستكمل في الأدوار الأربعة النورية، وأما الصورة الجمعية التي هي المسجد

الحرام وهو عالم الناسوت فإنما يحصل في جمعية هذه الأدوار الأربعة، فمن لم يصل إلى هذه الجمعية التي هي المسجد الحرام والبيت المحرَّم وصدّ نفسه وغيره عن الوصول إليه والطواف دونه ولديه، فأيّ شيء يمنع أن يعذّبه الله بالترديد على النشئات والتجريد عن الشواغل وعن الوصول إلى المسجد الحرام.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ الأعيان النورية والأكوان الخطيّة الإفرادية ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ عن اقتضاءات الأعيان النورية وارتضاءات الأكوان الظليّة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 34] هذا السرّ الخفي الدوري، والسرّ الخفي الكوريّ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ المحرَّم طوافه على غير أهله ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ بمجرّد السماع والاستعطاف بالألفاظ الدالّة عليه بطريق الاستماع كما هو شأن المتصوّفين اللغاطين الذين اقتنعوا بالعبارات واصطفوا بظاهر الرموز والإشارات ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ في التردُّد في نشأآت الأدوار وشؤونات الأكوار الإفرادية ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35] وتسترون الجمعية التعينية عن الاقتضاءات والأدوار واقتضاءات الأكوار الإفرادية ونشأتها الوحدانية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وتشهدوا في نشأتهم الإفرادية وشؤوناتهم الفردارية عن الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ويصرفون علومهم وأحوالهم في مقام التقليد ومرام التحديد ومهام التعديد ﴿لِيَصُدُّواْ﴾ الطالبين للكمال الجمعي ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وعن الطريق الموصل إليه، وهو التقرُّب إلى الفقراء وأهل الله الذين ربّاهم الله تعالى بكمال عنايته ووفور توفيقه وشفقته ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ في مقام الطور القلبي والسرّي ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ عند إشراق شمس التجلّي الذاتي والأسمائي ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ لدى استيلاء جنود أنوار الجذبات الإلٰهيّة وعساكر المحبة الذاتيّة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من أطوار النفس والقلب والطور السرّي الذي هو مطية التجلّيات الإلٰهيّة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36] عند قيام القيامة النفسية وظهور شرائط الساعات الحسيّة عند انقضاء الأدوار الفرعية من الدورات النورية.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي الهيئات الرديئة والرذائل الدنيّة والقيودات القلبية والحدودات الغيبية ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي الملكات الفاضلة الملكية والأخلاق الإلٰهيّة

والتجليّات الذاتيّة والأسمائيّة والأفعالية التكوينية والآثارية الوحدانية، أو الصورة النوعية البشرية الجمعية ﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ﴾ متراكمًا بعضه على بعض ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يقيدوا بدرجات العلوم والإدراكات الرسمية والدركات الاسمية أو الحالات القلبية والأحوال والمقامات الغيبية والكشف والكرامات وخرق العادات والعكوف في معارك العبادات ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفَال: 37] لفقدان الربح الحقيقي، وهو اكتساب السعادات السرمدية بمشاهدة لقاء الله والتحقيق ببقائه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الشرك الخفيّ، وهو الغفلة عن الحق والإعراض عن شهوده ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم﴾ ويتجاوز عن سيئاتهم ﴿مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ لدى الغفلة من أمور يوجب التقرُّب إلى الله ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفَال: 38] الدائرين في النشئات، المديرين عن الحق إلى الخلق، ومن الجمع وجمع الجمع إلى الفرق، كما هو شأن العقل وحقيقته المجبولة على الإقبال والإدبار في مسالك الأدوار ومدارك الأكوار كما هو في بعض النجوم السائرة في القلب والعقل الذي دبره البدن والنفس وسائر القوى الظاهرة والباطنة، ولذا جعله الله على الاستعجال الطبيعي ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعَارج: الآيات 19- 21].

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ أي اصرفوا يا معشر أطوار السبعة القلبية جميع القوى النفسانيّة والبدنية، والمبادىء النظرية والمبادىء الروحية والعقلية من القيود الروحية والعقلية إلى الإطلاق الجمعي والجمع الكمالي، لیندفع فتنة التفرقة وعذاب النشأة من الكليَّة والجزئية ﴿وَيَكُونَ﴾ أي يصير ﴿ٱلدِّينُ﴾ وأحكام الإسلام الحقيقي ﴿لِلَّهِ﴾ أي الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات الإلٰهيَّة والكونية ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ وامتنعوا عن التعبُّد بالأحكام اللدنية والأعلام اليقينية متوجهين إلى الله، عارفين بالله، منقطعين بالكلية عن الكل إلى الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفَال: 39].

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الخطاب إنما هو للصورة النوعية والهيئة الجمعية الداعية لبساطتها إلى كماله الجمعي، فإن حال لفت البسائط الكمال الجمعي بناء على عدم استجماع شرائط استكمالها ولا

يجمعها ولا يكملها ولا يبلغها إلى درجة الكمال الجمعي إلا الله ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: 40] في دفع الأعداء ودفع الخصماء من مقتضيات النور ومرتضيات الظلّ والضمور، إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره.

تفسير

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يريد الخُمس الذي لله هذا موضعه يريد النبي ﷺ وقرئ لله يريد جميع قريش بهم قرابة، وقد اختلف في ذلك أصحاب النبي عليه السلام، أما أبو بكر فجعله في السلاح والكراع حين احتاج إليه في الردّة. وأما عمر فجعله للوليد من بني عبد المطلب وعثمان مثل ذلك.

وأما علي فقال هو لقريش كلها وكلهم قرابة النبي ﷺ فلم يخصّ نفسه ولا أحد دون ولد فهو واليتامى الذين لا أب لهم ﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ يريد المحتاجين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يريد عابري سبيل ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يريد اليوم الذي فرّقت بين الحق والباطل فيه، وهو بدر ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يريد بذلك حزب الله وحزب الشيطان ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41] يريد على نصركم وأنتم أقلّة أذلّة قادر أن ينصركم على عدوّكم، وليس يثبتون إلا بما من قبل أنفسكم ولا يحدثون إلا بدر لكم كما قال في يوم أُحد في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ يريد حين اختلفوا على النبي ﷺ. وقال في سورة النساء: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ يريد يوم بدر من النصر والغنيمة ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [الآية 79] يريد قِبَلَ نفسك.

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ يريد الوادي ببدر ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يريد أبا سفيان بالحجاز ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ﴾ يريد أهل مكة ﴿فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ يريد ليتمّ الله لنبيّه ﷺ الموعد ليقرّ عين نبيّه وأعين المؤمنين ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾ يريد عن علم بما دخل فيه من الفجور ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ يريد علم يقين بالله لا إله إلا الله ولا إله غيره ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفَال: 42] يريد سميعًا لدعائكم وابتهالكم وتضرُّعكم، عليمًا بنيّاتكم وحبّكم لربّكم ونصركم لنبيّكم وطاعتكم لله.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ يريد ليحقرهم وليجزي عليهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يريد ولكن هذه منّة عليك وعلى المؤمنين حيث أراكهم قليلًا ولم يكن منكم فشلٌ ولا منازعة يريد لا خلاف ولا عصيان لي ولا لرسولي ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفَال: 43] يريد عصمتكم وعلى ما في صدوركم من اليقين والحب لله والطاعة لرسوله ﷺ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ يريد الله تعالى ما منَّ به على نبيّه ﷺ وعلى المؤمنين، والفضيلة صنعها ليشكروه ويحمدوه وكانوا لله شاكرين

حامدين، فإذا قال الله لهم الذكر وأفهمهم ما صنع ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ليتجبروا عليكم ولا ينهزموا ولا يرجعوا عن قتالهم كما قال أبو جهل: إنما محمد وأصحابه كآكلة جزور، يريد قلّة وذلّةً والله من ورائهم، ذلك كله بالنصر والمحبة لأوليائه وأهل طاعته ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفَال: 44] يريد من وعد النبي ﷺ وهو بمكة وبعدما هاجر، وكذلك سبق في اللوح المحفوظ ولم يكن أطلع الرسول على مصيركم فأعطي أوليائي ما لم يصفه الواصفون ولا يفعله العاقلون مخلدين لا يموتون فيه ولا يحييون.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفَال: 45] فأمروا أولياءه بذكره في أشد أحوالهم، وقد قال ابن عباس: لو أن رجلًا أقبل من المغرب يضرب بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله أعظمهم أجرًا. وجاء حديث عن النبي ﷺ عند لقاء العدو وعند نزول الغيث وهو القطر، وعند الأذان يريد «**إذا لقيتم العدو عند القتال فاثبتوا فإني معكم فاذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون**» يريد كي تستعدوا وتتقوا إلى الجنة، وإنهما خصلتان إما للغنيمة وإما للشهادة، كما قال في سورة التوبة: هل يرجعون بنا يا معاشر المنافقين إلا إحدى الحسنين، يقول يأذن الله لنا في قتالكم.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يريد إن طاعة الرسول طاعة لله ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ يريد تختلفوا، والفشل طرف من الجبن ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ يريد جلدكم وجدكم ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفَال: 46] كما قال في آل عمران: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [الآية 152] فذلك أنهم قتلوا عدّة من أهل الألوية من أهل عبد الدار حتّى لقي اللواء لا أحد له يأخذه مولى لهم أعجمي يقال له صواب فقُتل، إذ يحسونهم بإذنه يريد إذ يقتلونهم بإذنه حتّى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من

بعدما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، فكما قال في سورة الذين كفروا: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محَمَّد: 4] يريد فلن يضيع حسناتهم، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم يريد طيّبها لهم، يريد طابت ريحها لهم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ يريد النفير ليحرزوا العير خرجوا بالقيان والمعازف والفتيان يشربون الخمور ويعرف عليهم، فلما وردوا الجحفة بعير خفاف براية الكناني، وكان صديقًا لأبي جهل فبعث إليهم بهدايا مع ابن له، فلما أتاه قال: إن أبي ينعمك صباحًا ويقول لك: إن شئت أن أمددك بالرجال أمددتك وإن شئت أزحف إليك بمن معي من قرابتي ففعلت. قال له أبو جهل: قل لأبيك جزاك الله والرحم خيرًا إنا كنا نقاتل لله كما يزعم ويقاتل محمد، فوالله ما لنا به من طاقة أو أن نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة والله لا نرجع عن قتال محمد حتّى نردَ فنشربَ فيها الخمور وتعزف علينا فيها القيان، فإن بدرًا موسم من مواسم العرب وسوقًا من أسواقهم حتّى تسمع العرب فيخرجنا فيها إلى آخر الأبد ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يريد يميلون عن دين الله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: 47] قد أحاط الله بهم فقتلهم وأسرهم.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يريد إبليس أتاهم في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم وكان بينهم: يريد قريشًا وبين بني خذيمة حرب وقتال ومدلج بن المغيرة وقتلوا عوفًا أبا عبد الرحمٰن بن عوف، وقتلوا مالك بن الشريك، فكانوا

يطلبونهم بدم، فجاءهم إبليس فقالوا: هذا سيد النجد، هذا سراقة بن مالك، فقالوا: نحن نريد، فقال هذا الرجل: وتخاف من قومك، قال لهم: أنا جار لكم من قومي فقال: ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ يريد التقى الجمعان، رأى عدو الله الملائكة حين نزلت من السماء وهو روحاني رآهم ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ﴾ يريد مولّيًا ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48] وقد كان رآهم رجل من الأنصار فذهب بصره وهو كعب، وكان يحدِّث يقول: لولا ما ذهب من بصري لأريتكم الشعب الذي خرجوا منه وقد سمعت جمجمة الخيل.

هذا ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ أقول: قيل حتّى القصعة الكبيرة والإبرة من الغنيمة والفيئ ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: 41] وهما إسمان لما أصابه المسلمون من أموال الكفار مطلقًا. وذهب جماعة إلى أنهما مختلفان، فإن الغنيمة اسم لما أصابه المسلمون منهم عنوةً بقتال، والفيء هو ما كان عن صلح بغير قتال. قد ذهب أكثر المفسرين والفقهاء إلى أن قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ مبتدأ خبره محذوف، أي فحق أي فواجب في حال أن لله خمسه، وليس المراد منه أن سهمًا من الغنيمة لله مفردًا مع إشراك الغير في المال، فإن الدنيا في الآخرة وما فيها لله عزَّ وجل، فذكره للتعظيم في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: 62] و﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: 41] ذهب بعض إلى ظاهر الآية فقسم الخمس على ستة أسهم، سهم لله تعالى فيصرف إلى الكعبة، والأول أصح. وكيفية القسمة على هذا الوجه عند أبي حنيفة أنها كانت في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، سهم لرسول الله ﷺ، وسهم لذي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني شمس وبني نوفل، واختلف في ذي القربى فمنهم من قال: هم جميع قريش، وآخرون قالوا: هم الذين لا يحلّ لهم الصدقة. وقال مجاهد وغيره: هم بنو هاشم.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: هم بنو هاشم وبنو المطلب استحق بالنصرة والمظاهرة لما روي أنه لما قسم رسول الله ﷺ الغنيمة سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطلب فقال عثمان بن عفان وجبير بن مطعم: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من هاشم لا ننكر فضلهم فكأنك الذي وضعك الله منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا ومنعتنا، وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة، قال عليه السلام:

«إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا، وشبك بين أصابعه».

وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل، وأما رسول الله ﷺ فسهمه ساقط بموته وكذا سهم ذوي القربى، وإنما يعطون منهم الفقراء دون الأغنياء. وذهب الشافعي ومالك إلى أنه ثابت إلى الآن مستدلّين بالكتاب والسنَّة، فإن الخلفاء ورسول الله ﷺ كانوا يعطونهم ولا نفضّل فقيرًا على غني لأن النبي عليه السلام يصرف إلى ما كان يصرف إليه من مصالح المسلمين لعدّة الغزاة والكراع والخيل والسلاح وما أشبه ذلك.

وسهم لذي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكور مثل حظّ الأنثيين، والباقي للفرق الثلاثة. وعند مالك: الأمر مفوض إلى رأي الإمام واجتهاده قسمه بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأي غيرهم أوْلى وأهم فغيرهم.

وأما الفيء فمن قال بأنه والغنيمة واحد فقد مرّ حكمه، ومنه قال بالمغايرة، اختلفا في مصرفه بعد رسول الله ﷺ فقال قوم: هم الأئمة بعده. وللشافعي فيه قولان:

أحدهما: أنه للمقاتلة التي أتت أساميهم في ديوان الجهاد لأنهم قائمون مقام النبي ﷺ في إرهاب العدو.

والثاني: أنه لصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالأهم فالأهم من المصالح.

واختلف في تخميس الفيء، فذهب الشافعي إلى أنه يخمّس فخمسّه خمس الغنيمة على خمسة أسهم، فأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح والأكثرون إلى أنه لا يخمّس بل مصرف جميعه واحد لجميع المسلمين فيه حق.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ متعلّق بمحذوف دلّ عليه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يعني إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء، فسلِّموا إليهم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإن العلم العلمي إذا أمر به لم يرد العلم المجرد لأنه مقصود بالفرض والمقصود بالذات هو العمل حتّى لو عمل العمل ولم يعلم كيفية العمل وآدابه وشرائطه وتفاصيل أجزائه بخصوصها فهو مجزي كمن صلى صلاة برعاية

شرائطها ورعاية أركانها وآدابها فهي مقبولة ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من الآيات والوحي والملائكة والنصر والفتح والظفر ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، فرّق الله فيه بين الحق والباطل عطف على الله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا يوم التقى الجمعان، حزب الله يعني المسلمين وحزب الشيطان هم الكاذبون. وكان ذلك يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: 41] نصركم الله على الأعداء مع ضعفكم وقلتكم وكثرة قوّتهم وكمال قدرتهم ووفور شوكتهم.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل من يوم الفرقان، والعدوة شط الوادي وشفيرها، والدنيا تأنيث الأدنى ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ من المدينة، تأنيث الأقصى، قرئ بالضم وكسرها وهما واحد كالكُسرة والكِسرة والرُّشوة والرِّشوة ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ العير، يعني أبا سفيان وأصحابه ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ في ساحل البحر على ثلاث أميال من بدر، ولو تواعدتم مع الكفار لاختلفتم في الميعاد لقلّتكم وضعفكم ومذلّتكم وقوّتهم وكثرتهم وغلبة أمرهم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد موعود وميلاد معهود ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾ ويحكم به وإن ذلك الأمر كان مفعولًا مقضيًّا ومحكومًا بما علمه من نصر أوليائه وإعلاء أعلام دينه وقهر أعدائه وقمع خصمائه وذلك ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ بدل منه أو متعلّق بمفعولًا ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ إشعارة بالكناية، أي ليصدّهم ويظهر كفر من كفر عن وضوح بينة قد عاينها وإسلام من أسلم أيضًا عن سنوح حجة واضحة، قد شاهدوها بأن شهدت بأن هذا الدين دين الحق وطريق صادق وصدق، وهي وقعة بدر، فإن من له عقل سليم وفهم مستقيم وشاهد وقعة بدر أو يسمع قصتها يحكم ضرورةً ويجزم حتمًا وبداهة بأن هذا الدين إنما هو من الله الواجب وجوده يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم بعزّته يجب الدخول فيه ويلزم الانقياد والامتثال بأمره والاعتصام بعروته الوثقى، ومن دخله كان آمنًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بدعاء من نادى إليه وناجى لديه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 42] بمن عادى وخالف لديه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 43] منصوب باذكر، بدل ثان من يوم الفرقان، أو متعلّق بسميع عليم أي يعلم المصلحة ويدرك الحكمة في منامك ونومك ورؤياك أو غيبك، مجاز مرسل لأنها محل النوم، وإنما أراهم قليلًا فأخبره لأصحابه

تثبيتًا لفؤادهم ولقلوبهم وتسكينًا لغيوبهم وجعلهم جسورًا على دفع أعدائهم، ولو أراكهم كثيرًا وأجسادهم كثيرًا لفشلتم وجبنتم ولتنازعتم واختلفتم في أمر القتال كما فشلوا بنو إسرائيل حيث أُمِروا محاربة الجبارين فقالوا لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، وتفرّقت آراؤكم في الثبات والفرار، ولملتم إلى الهزيمة والفرار، ولكن الله سلَّم وحفظكم من المخالفة والفشل والمفارقة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بالسكون ويحصل فيها من الجرأة والجبن والفشل والجسارة والصبر والثبات. وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلًا تصديقًا لما رواه النبي ﷺ: «**ويقللكم في أعينهم**» ليجترؤوا في الإقدام، ويتجاسروا في الإحجام لعدم المبالاة بعدّتهم وقلّة الالتفات في الأعداء إليها لمحاربتكم حتَّى قال أبو جهل: إن محمدًا وأصحابه آكلة جزورة ولقمة في مجرورة، ثم كثرهم حتَّى يروهم مثليهم رأي العين ويشاهدوا نصيبهم نصب العين، هذا من خصائص تلك الوقعة ونصائص عظائم آيات ذلك اليوم ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الأنفال: 42] يكرِّره لاختلاف الفعل المعلّل، أو لأن المراد هو الالتقاء على الوجه المخصوص المحكي على طريق المنصوص تنبيهًا على إعزاز الإسلام وإبراز صحة أحكامه من الحلال والحرام، وإظهار ذلّة الكفر والشرك بالنفي والإعدام ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الأنفال: 44] كلها ظاهرًا وباطنًا، صورةً ومعنًى، صريحًا وضمنًا، إعزازًا وإذلالًا، إبرازًا وإملالًا، تصحيحًا وإعلالًا، وغير ذلك من الأحوال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ﴾ جماعة كافرةً ذات فتنةٍ أرادوا الحرب والقتال ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ وثبّتوا للقتال والحرب والجدال ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ في مواطن الحرب إذ القلوب تطمئن وتثبت بذكره، والنفس ليستبين باسمه ويستعين بفكره وبدعائه ونصره، اللهمّ انصرنا على القوم الكافرين، وأظفرنا على الفئة الدابرين «**لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**»... الحديث ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45] تظفرون بمرادكم من الظفر بالأولياء والقهر على الأعداء.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بأداء الفرائض والمواظبة على السنن وقضاء الدين والفرائض ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ إلى التخلف والتباين، لا تنازعوا فتفشلوا، جواب النهي

أو عطف عليه ولذا قرأوا: ﴿وَتَذْهَبَ﴾ بالجزم ﴿رِيحُكُمْ﴾ شوكتكم ودولتكم وخشيتكم، وإنما استعير لها لمشابهتها بها في نفاذ أمرها، أو إلى حقيقته لأن النصر لا يكون إلا بريح هبّت من مفاز عنايته ومجار تأييده وهدايته. قال عليه السلام: «**نُصِرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدبور**»، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفَال: 46] بالنصر والغلبة والقهر على العدو والظفر.

روي أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتّى مالت الشمس، قام في الناس فقال: «**يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظِلال السيوف**». ثم قال: «**اللهمَّ مُنزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**».

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾ [الأنفَال: 47] أي تحيُّرًا حين خرجوا لحماية العير لله ورسوله، فإن الله وعد رسوله بإحدى الطائفتين: العير أو النفير، والنفاية لغاية جهالتهم ونهاية حماقتهم وتطاولهم في البطالة والتجبُّر والعطالة، ظنُّوا أنهم جازمون للعير، قائمون في البئر ليدفعوا عند الضعف والأسوار وهم أذلّ وأعجز وأقلّ منهم لأنهم لتوكلهم على الله فهم سلموا وأعدائهم ندموا لأنهم خرجوا من ديارهم بطرًا وفخرًا وجبارًا وخيلاء وبطرًا، وذلك أنهم لما وصلوا جحفة ونزلوا فيها أتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتّى نقدم بدرًا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان. فنهى المؤمنين أن يكونوا مثلهم طاغين في النعمة، باغين عن رعاية أصل الحكمة ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مظهرين للخلق عليهم ابتغاءً للمدح، وأمرهم أن يكونوا أهل التقوى بإخلاص النيَّة وصفاء الطوية ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عطف على بطرًا، إن جعل مصدرًا مكان الحال، وكذا إن جعل مفعولًا له على تأويل المصدر ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفَال: 47] فيحضركم عنده ويحاربكم عليه.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ منصوب بمضمر في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس إليهم قال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مقالة نفسانية ومحاربة سرية في النفس ولا يسمعها غيرها بمعنى أنه ألقى في روعهم وخيّل إليهم أنهم لا

يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وقوة مددهم حتَّى قالوا: اللهمَّ انصر الفئتين وأفضل الدينين، و﴿لَكُمُ﴾ خبر ﴿لَا غَالِبَ﴾ أو صفة، وليس صلته وإلا لانتصب الإخبار بارتداد عندنا ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قيل لما اجتمعت قريش على المنبر ذكرت التي بينها وبين بكر من الحرب وكان ذلك يثنيهم، فتمثّل لهم إبليس في صورة سراقة بن جشعم الشاعر الكناني، فكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لكم اليوم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مخبر من بني كنانة، فلما رأى الملائكة تنزل ﴿نَكَصَ﴾ وكانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث: إلى أين تجد لنا في هذه؟ قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فدفع من صدر الحرب وانطلق وانهزموا، فلما بلغوا مكة قالوا: انهزم الناس وسراقة، فبلغه ذلك قال: والله سفرت بمسيركم حتَّى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان. وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ من تتمة مقولة الشيطان وكذا ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 48].

إشارة وتأويل

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: 41] واعلم أن في سر سير مراتب الوجود والتحقُّق في العوالم الخمس حتَّى في عالم الشهود من الأعيان النورية والصور الكونية من الحقائق الإلٰهيَّة والجواهر المجرّدة والماديّة والأعراض النفسانيَّة والأحوال الروحانية كلها لله ومن الله وإلى الله ولا كائن ولا موجود ولا شاهد مشهود إلا الله، بل الكل هو الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. فمن أضاف شيئًا من الوجود وما يتفرّع عليه من الأفعال والأعمال والأحوال والأقوال إلى نفسه فهو مُشرك وكافر بالله العظيم لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافات: 96]، وذهب إلى هذا أهل السنَّة والجماعة.

فمن جاهد في الله حقّ جهاده بمشركي النفس وكافري العقل وعري الطبيعة، وأسرّ ما في أيديهم ولهم من القوى والمبادىء والعمال والحواس الظاهرة والباطنة ومثالها من غنائم الأفعال والأعمال وأنفالها، فمن اعتبر المراتب أخذ الغنائم والأنفال التي أخذها من هذه الكفرة أسداسًا ومن اعتبر العوالم أخماسًا

إشعارًا بهذا السرّ، فمن شهدها جعل سدسها للكعبة المرتبة الأولى وهي اللاهوت واللاتعين والأحدية، وحصة للحقيّة المحمدية وللرسول، وهو الحضرة العلميَّة والمرتبة الواحديَّة، ولذي القربى وهو عالم الأمر وعالم الأرواح والملكوت، واليتامى وهو عالم البرزخ، والمساكين وهو عالم الملك، وابن السبيل وهو الإنسان كما قال أفلاطون: الإنسان معذّب في كل أحواله.

فالإمام العارف بأحوال مراتب مظاهر الوجود وأطوارها يعطي هذه الأخماس ويصرفها إلى من يشاء من أعيان هذه المراتب، إشارة إلى أن العرفان النوعي والكمال الجمعي إنما يحصل إذا استوت المعارف إلى المراتب وما فيها، وإلى أعيان العوالم ومن لديها. وإذا اختلفت لا بدّ وأن ينظر إلى أعيان المراتب ففي أي صنف وجد ضعف لا بدّ وأن يصرف ما أخذه من كفار ملك الوجود إليه ليعدِّد ويستوي نسبته إلى الكل ليتحقق لكليّة الكلّ. مثلًا إن كانت نسبته إلى الذات بأن كان فناؤه في الله وبقاؤه بالله والتجلِّي الذاتي قليلًا وضعيفًا، فعلى الإمام أن يأمره بالمواظبة على الأسماء الذاتيَّة، وهي التي تدل على الذات البحت أو على الذات المتصفة بالصفات الذاتيَّة التنزيهية والتشبيهية كالقدُّوس والسلام والحيّ والعليم وغير ذلك من النعوت الثبوتية والسلبية، وقس على هذا أحوال سائر الأوصاف الباقية.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ وعرفتم إيّاه بالذات المستجمعة لجميع الأسماء الذاتيَّة والأفعالية والآثارية الكونية الكليَّة والجزئيَّة، وتحقَّقتم في الأكوار والأدوار ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أي الحقيقة المحمدية ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي انتقال فرداريّة الحكم والتدبير إلى الجمال وأدوارها الإفرادية والجزئية ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفَال: 41] في فرداريّة تدبير الجلال وأكواره فردًا وضمنًا، مقرونًا بالجمال صريحًا أو بالعكس جمعًا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفَال: 41 - 42] أي اذكروا ماهيات الأعيان الثابتة وشؤوناتها الذاتيَّة وقت كونكم في طرفي وادي غيب الهوية الذاتيَّة من فرداريّة الدورة النورية الوجودية الجمالية ﴿وَهُم﴾ أي غيوب ماهيات الأعيان الثابتة وهي الأكوان الجلالية ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفَال: 42] أي في الكورة الظليّة الجلالية العدمية، وهي باطن الأعيان النورية الوجودية، أو بالعدوة القصوى أي الغيب الأحدي

والجيب العدمي، إشارة إلى تقدم فرداريّة الظلّ والجلال والعدم على فرداريّة النور والوجود والجمال.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] والركب أي الأعيان الثابتة والحقائق الإلٰهيَّة أسفل وأنزل منكم بحيث الرتبة ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ﴾ [الأنفال: 42] في الميعاد، يعني لو تواعدت الأعيان النورية بالأكوان الخطيّة وبالعكس إن يوافق كل منها الأخرى في الاقتضاء والتنزُّل إلى عالم الناسوت، فإذا تنزَّلت اختلفت إلى الأخرى، إشارة إلى أن المولود الإنسي الجمالي، والمولود الجني الجلالي، وهما يتولدان معًا كائنًا في غيب الهوية، متوافقين في الإسلام الأحدي، فإذا تنزَّلت إلى موطن الأحكام الوادي إلى الكون الجامع، أخذتا في التخالف، والاختلاف بحسب تغاير اقتضاءات النور والجمال. وأما القدم والظلّ والجلال كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيِّين مبشرين ومنذرين فاختلفوا.

قال النبي عليه السلام: «**كل مولود يولد على فطرة الإسلام، فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه. خلق الله الخلق في ظلمة ثم رشّ عليه من نوره فمن أصابه فقد اهتدى، ومن لم يصبه فقد ضلّ وغوى**» ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] الآية.

﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ قبل اختلاف اقتضاء النور والجمال، وقبل ارتضاء الظلّ والجلال مفعولًا لما تحقق من أن أطوار الوجود دوري، ودور الشهود كوري، فلا بدّ أن يكون قبل هذا الهادي، ومرة أخرى وأعلى ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي الأعيان النورية إذا خالفت الأكوان الظليّة الجلالية مخالفة حاصلة عن بيِّنة كشفه اقتضاها الدور النوري والطور الوجودي في المولود الإنسي الذي خالفه المولود الجني في الارتضاء ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42] أي المولود الإنسي الذي وافقه المولود الإنسي في الاقتضاء الجمعي وارتضاء الكمال النوعي، وتقتضيه القصة الشهودية والحجة الجمعية العدمية والوجودية.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ إشارة إلى أن لكل عين من الأعيان النورية الجمالية عينين وأذنين صريحًا وضمنًا، صورة ومعنى، فقيل صورة

الأعيان الضمنية صريحة هي عالمة بأحوالها الصريحة، والضمنية مدركة ومشاهدة لها. ولا شكَّ أن هذا النوع من العلم بالنظر إلى علمه الذي سيصير صريحًا قليل لكونه إجماليًّا ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: 43] إيماءً إلى أن إدراك أعيان كل فرداريّة نظرًا إلى ما دونه كالرؤيا، بل هو نوم ورؤيا يظهر معانيها في الدورة الثانية ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الدورة الكليَّة والصفة الجمعية من الصورة النوعية الملتامة في الأصلية والفرعية ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في الكورة الجمعية والدورة المعيَّة ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ ولا تخالفوا في الاقتضاء النوري والارتضاء الظلّي في المولود الإنسي والجني ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾ الاستيلاء والأحكام الإلٰهيَّة الناشئة عن مخالفة الظلي والنور وبالعكس ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] ويزول هواء المحبة الذاتيَّة السارية في كل الأعيان، وبهذه المحبة والهواء المناسبة الذاتيَّة تصل الأشياء بعضها إلى بعض، وهي النكاح الساري في جميع الذراري.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا﴾ [الأنفال: 47] إلخ، إشارة إلى تفاوت، هم السائرين السالكين المجذوبين السالكين أو غير السالكين، فمنهم من طلع في أفق السير إلى الله من مطالع طور غيب الهوية الذاتيَّة ومشارق التجليّات الأحدية الناسوتية بعد وحدة جمعية كمال التفصيل والإجمال في نهاية التنزلات في مجامع الناسوت التي جمعت عندها أعيان مراتب النورية الوجودية الجمالية، وأكوان غيب هذه المراتب الظليّة العدمية الجلالية، واستوت الأعيان النورية الوجودية الجمالية بالأكوان الظليّة العدمية الجلالية وطابقها وناسبها ووافقها كما اجتمعت في الرقاب في اللاهوت، واستوت الأعيان والأكوان، وتحقّقت بالأحدية الجمعية اللاهوتية كما تحقّقت في نهاية التنزلات بالأحدية الجمعيَّة الناسوتية الجامعة لتمام صور التعيُّنات الوجودية والعدمية الجمالية الجلالية.

فكما يشاهد العارف في اللاهوت من الفناء في الله والبقاء بالله والمظهرية والتحقق والتخلُّق والكلية والتجلّي الذاتي والأسمائي والأفعالية والآثارية على مقتضى الدورة النورية الوجودية الجمالية، كقولك: يشاهد في الأحدية الناسوتية مثل ما شاهد في الأحدية اللاهوتية من الفناء في الله، وهو انصراف العقل والنفس عن مشاهدة خصوصية ذاته وعن خصوصية الأعيان وخصوصية الأكوان، وعلى مخالفتهما الأخرى في الاقتضاء وكيفيَّة الارتضاء في نهاية السير إلى الله ومن الله،

وفي البقاء بالله عند انصراف العقل والنفس عن ملاحظة خصوصية الأعيان والأكوان ومخالفتهما إلى مشاهدة توافقهما واستوائهما فتطابق اقتضائهما، وإلى محققهما بالوحدة الجمعية والأحدية الذاتيَّة لدى الانتقال في السير في الله وبالله، ومن التجلِّي الذاتي بالصور الجمعية الإنسانيَّة والهيئة الكليَّة الناسوتية بالعنوان الجمعي الذاتي الإفرادي مثلًا يشاهد العارف الباقي بالله في الناسوت التجلِّي الذاتي بالصورة الجمعية الإنسانيَّة، ثم يشاهد بعنوان الصورة الجمعية من حيث هي، ثم بعنوان الصورة الجمعية المطلقة، ثم بالعنوان الجمعي الذاتي المعبّر المقيّد، ثم بالعنوان الجمعي الذاتي الجامع لهما، ثم بالعنوان الجامع للإطلاق والتقييد، ثم السادس هو شهود الكمال الجمعي الذاتي للكلّ على القياس على ما مرّ في التجلِّي الذاتي الإفرادي.

وللعارف في هذا المشهد شهودان، شهود الإقبال والإدبار كما خلق الله العقل متحقِّقًا بهما كما قال النبي عليه السلام: «**أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر**» الحديث. أما شهود الإقبال فهو أن ينتقل من طور الناسوت إلى اللاهوت، ومن اللاهوت والأحدية إلى الجبروت والواحديَّة، ومن الجبروت إلى الملكوت، ومن الملكوت والأرواح إلى البرزخ وعالم الخيال وأعيان الأشباح، ومن البرزخ إلى مرتبة الملك، ومن الملك إلى الناسوت، ومن الملك والناسوت إلى اللاهوت. وهذا الانتقال إنما يكون تابعًا لأعيان المراتب إذ المراتب لا تنتقل، والتنقُّل هو ما في المرتب لا المراتب، وهذا الانتقال سرمديّ.

وأما شهود الإدبار فهو أن يرجع السالك العارف إلى ما ينزل منه من المراتب وأدبر إلى ما كان عليه، على عكس ما ينزل عنه في فرداريّة النور والجمال والوجود على ما يقتضيه الظلّ والجلال والقدم بأن يختفي في المراتب عن أعيانها ما اقتضاه النور والجمال من التعيُّنات الوجودية والنعوت الشهودية، ويرتقي من مرتبة إلى مرتبة أخرى يكون أعلى منها إلى أن يصل إلى الشؤونات الذاتيَّة التي هي شهود الذات وغيوبها، وهي الذات التي تعيّنت بالنعوت العدمية والغيوب الأحدية على ما يقتضيه العدم الغيبي والتقديس الذاتي الذي هو غيب ما يقتضيه النور والجمال وباطنه فحينئذ تحقيق حكم النور والوجود والجمال في غيب الظلّ وجيب العدم والجلال، وينتقل الحكم إلى باطن النور والوجود والجمال.

تفسير

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)﴾

هذا ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ يريد قومًا من قريش كانوا مسلمين من الأوس والخزرج ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: 49] يريد قومًا من قريش كانوا مسلمين ولم يهاجروا وقالوا: نخرج مع قومنا فإن كان محمد في كثرة خرجنا إليه، وإن كان في قلّة أقمنا في قومنا. وهم ثمانية نفرٍ يضربن على تراميه الجمحي وبنيه، ومنه أبناء الحاج السهمي وقد ذكرهم الله في سورة النساء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية 97]. ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أن خرج ثلاثمائة وثلاثة عشر يقاتلون بألف رجل، قال الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 49] يريد قويًّا منيعًا حاكم في خلقه يفعل بأعدائه ما يشاء من شدّة العقاب وبأوليائه بالنعيم والسرور وشهود الحساب.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50)﴾

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يريد عند الموت ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: 50] يريد بعد الموت.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (51)﴾

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يريد بما خرجت قلوبكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 51] يريد بيّن لكم الهدى وعرفتم سبيل الرشاد وتربصتم عن الهجرة وشككتم في قدرة الله ونصره.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52)﴾

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فدأب من قبلهم، يريد هكذا كان دأب

آل فرعون، لقبوا آل فرعون كدأب عال في الأرض، وأن موسى نبي من الله بيّن لكم نبوّته وقوّته وما جاءكم به من الآيات حتّى عرفتم مع فرعون يريد هذا وإذا بكم أنتم جاءكم محمد ﷺ بالصدق والدين وأمرتكم بالخروج من أرض الشرك إلى أرض الإيمان، وأخبرتكم أني لا أقبل إيمانكم إلا بالهجرة حتّى قبلتم عصاة الله، أنتم يا معاشر المنافقين ضعّفتم قدري واتخذتم أيمانكم جنة، وظننتم إني لا أعلم سرّكم ونجواكم وما يكون قبل أن يكون في قلوبكم، وتربصتم بالتوبة وغرّتكم الأماني حتّى جاء أمر الله يريد القتل ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 52] يريد مثل ما ذكر في العنكبوت من الذين كذبوا آتيناهم فقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ [الآية 40].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ يريد ذنبًا ﴿نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53] يريد سميعًا لقولكم، عليمًا بنيّاتكم، مجيبًا لدعائكم.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: 54].

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يريد الإنس خاصة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 55] يريد لا يصدّقون الدين.

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: 56] يريد قريظة والنضير وبني قينقاع ونحوهم

من العرب كانوا مواعدين لرسول الله ﷺ وقد نقضوا مواعدته ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: 56] يريد لا يخافون النقمة.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ يريد لخوفهم القتل، يريد يخافك غيرهم، يريد مكة ومن حولها إلى اليمين ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57] يريد كي يتّعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ يريد تعلمنّ ﴿خِيَانَةً﴾ [الأنفال: 58] يريد بني قينقاع، وهم أول من نقض العهود بالمدينة من اليهود مثل قوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النِّساء: 128]، ومثل قوله: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النِّساء: 34] يريد تعلمون نشوزهنّ، من قوم خيانة يريد بقضاء للعهد ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ يريد ألقِ إليهم ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ يريد على ما يأتي يريد قتالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: 58] يعني كانوا مع النبي ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إلخ.

أقول: نفاق وغرض فاسد وعرض مخالف وشقاق حقدًا أو حسدًا وما اعتلوا به نفسًا وجسدًا، غرَّ هؤلاء المؤمنون الذين بمكة مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس من جميع الجهات قد حبسهم عن المهاجرة أقرباؤهم وعن المحاصرة قرناؤهم ومن يتوكل على الله ويفوِّض أمره إليه وجعل الله في كل المقاصد وتمام المطالب والمراصد كيلًا، وولي العهد له وفي جميع الأمور أصيلًا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 49] قوي غالب، فهو حاكم على من يشاء من عباده.

ولو ترى يا محمد ومن له صلاحية هذا النوع من الخطاب إذ يتوفى ويميت ويعدم ويقبض أرواح الذين كفروا، الملائكة: فاعل يتوفى فالحكم عام وبعضهم قد خصّ بالذين قتلوا ببدر كانت الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وأشباههم. أما الأول فعند إقبالهم.

وأما الثاني فعند انصرافهم واستدبارهم، وذوقوا حال كونهم وذوقوا عذاب الحريق.

قيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار والعاصين فتلهب النار في خراجاتهم وهو ذوق عذاب الحريق، عطف على يضربون بإضمار القول ذلك الضرب والعذاب بما قدّمت أيديكم بسبب تقديم أيديكم التي هي آلة الاكتساب للكفر والمعاصي حسب الإشارة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[الأنفال: 51] عطف عليه للدلالة على أن مشيئته مقيّدة بانضمام اليد إليه إذ لولاه لما يمكن أن يعذّبوا بغير ذنوبهم لا أن لا يعذّبهم بذنوبهم، فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعًا ولا عقلًا حتّى لا ينتهض نفي الظلم سببًا للتعظيم.

قوله: (ظلّام)، صيغة المبالغة للتكثير لأجل العبيد ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ خبر المبتدأ المحذوف، يعني إن دأبهم وعادتهم وعملهم وطريقتهم الذي دأبوا فيه ودأبوا عليه مثل دأب آل فرعون والذين من قبلهم أي قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أخذ إيّاهم وآبائهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 52] لا يدفعه دافع ولا يرفعه مانعٌ أصلًا ذلك العذاب بهم أو الانتقام بسبب أن الله لم يتبع له ولا يليق بحكمته إذ يغيِّر نعمته عند قوم حتّى يتغيروا بأنفسهم ويغيروا ما بأنفسهم من الأحوال والأعمال حتّى بدلوا شكران النعم بكفرانها وطاعة النعم بعصيان الله.

﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ أصله يكون، حذفت الواو لالتقاء الساكنين والنون لشبهة بالحروف التي ﴿أَنْعَمَهَا﴾ على قوم أي مبدلًا إيَّاها بالنعمة حتّى يغيِّروا ويبدلوا ما بأنفسهم أي أحوالًا استصحبتها أنفسهم يعني إن بين تغيُّر ما بأنفسهم وتغيُّر الله ملازمة عادية لا عقلية قطعية، فإن سنَّة الله وعادته قد جرت بأن التغيير الإلٰهي إنما يتغير إذا تغيّرت أحوال الناس ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53] بالأحوال والأقوال وكيفية جريانها وكميّة سريانها.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من المشركين المكايدين والكافرين المعاندين ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق والكسف، وبعضهم بالصحة وغير ذلك ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي التكرير تنبيه على أن ظهور كفران النِّعم جحودها أمر مستمرّ لا ينقطع

﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: 54] من الأوّلين والآخرين، وإشارة إلى أن اقتضاء الأدوار وارتضاء الأكوار دوري يكون اللاحق خطابًا للسابق.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ من المخلوقين من الجن والإنس ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بصميم القلب وتمام الغيب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 55] ولا يقرُّون باللسان والأركان، وهم اليهود من بني القريظة.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ ثم بعد عقد المعاهدة ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾، يعني إن بعث البعض ووصف المخالفة والرفض مركوز في طباعهم، وينكشف آثارها في رضاعهم كما قال عليه السلام: «**الرضاع يغيِّر الطباع**» يعني إن وقت كانوا نقضوا العهود ورفضوا العقود ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: 56] ولا ينالون الله في نقض العهد ولا في قول.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ﴾ أي لحربهم وتصادمهم وتظفرون في الحرب فشرّدهم وفرّق وبدّد بهم من خلفهم عند مخالفتك ومحاربتك والمراد من الخلف كل من كان من غير المسلمين ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: 57] يتذكرون ويعتبرون وينطقون بسوء حالهم فلا يخاسرون على نقض العهد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ وتطمئن يا محمد ﴿مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ وغدرًا في الميثاق ثم عادوك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ واطرح عهدهم وميثاقهم ووعدهم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وقل لهم: إنَّا طرحنا العروة ونبذناه فلم يبق بيننا وبينكم عهد وميثاق، فنحن بكم في العلم بنقض العهد ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: 58] تعليل للأمر والنهي عن تأخر القتال المدلول عليه بالحال على طريق الاستئناف، فإذن لا ينبغي أن يقع منك إخفاء نقض العهد ونكث الميثاق والخلف في الوعد.

إشارة وتأويل

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ والأعيان المتردّدون في الأدوار النورية صريحًا والأكوار الظليّة ضمنًا تارة وبالعكس أخرى ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: 49] إشارة إلى أن أعيان مقتضى الحال قسمان، أحدهما أن يكون مقتضاه مخلوطًا بمرتضى الجمال وكلا الوجهين ناقصان. وصاحب هذا الوجه المخلوط هو المنافق. والثاني: أن يكون الوجه الجلالي الضمني ظاهرًا

صريحًا، والجمال الصريح خفيًّا ضمنًا، وهو الكافر الخلّص عن هؤلاء المنافقون دينهم وتمكُّنهم في إسلامهم على وجه انقطعوا إلى الله وعن كل ما هو غيره.

قال النبي عليه السلام: «**من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب**»، ومن يتوكل على الله ليسلِّم أمره إليه مطلقًا في الدنيا والدين، في الأولى والأخرى، وعلم أن الوكيل الحق الذي لا يعزب عنه طرفة عين هو الذي يدبر فيه بالوجه الجمالي صريحًا، وبالوجه الجلالي ضمنًا، ويمزج فيهما مزجًا صحيحًا بأن يجعل الجلال نابعًا للجمال، والجمال النور حاكمًا عليه. فيه إشعار بأن الأعيان الجمالية أيضًا نوعان، نوع يتقيّد بالدين الظاهر ويتقلّد بظاهر الإسلام وبأحكامه الظاهرة وأصحاب الحالات والمقامات الذين اقتنعوا بها ولم يلتفتوا إلى غيرها، وهم أهل العزَّة بالله وبدينه. ومنهم الزهَّاد والعبَّاد الذين اغتروا بظاهر زهدهم وعبادتهم ومنهم العلماء والعرفاء وأصحاب التصوُّف اللفظي. قال النبي عليه السلام: «**إن من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرَّة بالله**»، فإن الله عزيز حكيم على الفريقين من الجمالي والجلالي.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا أيتها الحقيقة المحمدية في مراتب التجليَّات النورية والظليّة ﴿إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عند الله وإن ظهر منهم في الظاهر الإيمان وبعض من أحكام الإسلام كالمنافق ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ﴾ على ما يقتضيه فقدان مرتضى الأطوار النور في فرداريّة الجمال وكتمانه وإدبارهم عن مرتضى غلبة مؤدي الجلال الصريح واختفائه فيه ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الأنفال: 50] الموقد على الفؤاد الغريق في لجج البحر العميق لأهل التجلّي من هذا الفريق ذلك الجمال في الفرداريتين.

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أي قدرة كسبكم وقوة جلبكم الجمالية والجلالية النورية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 51] والعبيد الجلالية إذ كل ما جرى ويجري في الملك النوري والفلك الظليّ وإن كان في الظاهر إعدامًا وتعذيبًا وإيلامًا إلا أنه في الحقيقة إصلاح وعدل، وفي حال التقييد إفلاح. وإنما يكون ظلمًا إن كان التصرف في ملك الغير ويكون إفسادًا أو تضييعًا وإردادًا وليس كذلك، بل التصرف إنما يكون في ملكه لمصلحة وفوائد وحكمة.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إلخ، إيماء إلى تطابق الأدوار الأصلية والفرعية الجمالية على الأكوار الظليّة الأصلية والفرعية الجلالية الإفرادية، وجمعية الجمعية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 52]، فيه تلويح إلى الجمعية الكاملة والهيئة الكليّة الفاضلة ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إشارة إلى الأدوار والأكوار الأصلية الإفرادية، وآل فرعون إلى الفرعية ذلك الذي ذكر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ إشارة إلى ما تقرّر من أن تمام فاعلية الفاعل هي بعينها كمال قابلية القابل، وإلى أن فاعلية الفاعل في الاعتبار متأخرة عن قابلية القابل، وإن كانتا في الطور العلمي والدور العيني معًا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لصدا صوت استدعاء الاستعداد الذاتي والقابل الأولي ولطلب نفس القابلية ظهور بنفسها لنفسها كما كانت في الواحدة ظاهرة بالحق للحق ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53] بما يتوارد على القابليات آنًا فآنًا مستمرًّا أزلًا وأبدًا مرّ العذاب وكرّ العشيات على مقتضى أطوار النشئات وأدوار الشؤونات.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي غلبة النفس الأمّارة واستعلائها واستيلاء سلطنتها على ملك الوجود ومضرّ فلك الشهود في الدورة الصغرى ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في الأدوار السالفة والأكوار الخالفة ﴿فَأَهْلَكْنَا﴾ أي أعيانها النورية وأكوانها الظليّة الإفرادية ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: 54] أي بسبب اقتضاء فردانيته فرداريّة خصوصية هيئاتها الإفرادية لدى سلطان اقتضاء الكمال الجمعي والجمع الكمالي، فإن الحقيقة النوعية في الفرداريّة الجمالية لها حكمان: حكم صريح وحكم ضمني، وكذا في الفرداريّة الجلالية وسلطان فرداريّة فردانيتها حكمان: حكم ضمني أصلي في فرداريّة دورة النور والوجود، وصريح فرعي وتبعي. أما صريحها في الفرد الجمالية فغير طبيعي وصراحة موسوي روح فرداريّة النور والجمال لكونها على مقتضى صراحة فرداريّة النور والجمال أصلية بخلاف صراحة الظلّ والجلال، فإن حكمها فرع حكم النور والجمال صراحةً وضمنًا.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 55] أي جمعوا الكفر والشرك في طور النور والجمال، وكذا في طور الظلّ والجلال الإفرادي، اجتمع فيه الكفر والشرك وارتفع الكمال الجمعي والجمع الكمالي عنه أيضًا، فهو لا يوصفون لا في الجمعية الفرداريّة الإفرادية في النور والجمال ولا في الجمعية

الفرداريّة الإفرادية في الظلّ والجلال، إذ شرط الإيمان هو الكمال الجمعي والجمع الكمالي لا يتأتى إلا عند التوافق الكامل والتطابق الشامل الفاصل في الأعيان والأكوان وذهول المولود الحي في حكم المولود الإنسي لدى تصالح الشيطان بالرحمٰن، ودخوله في سلطان الرحمٰن.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي من الأطوار السبعة القلبية في الجهاد الأكبر تقصيرًا وتصورًا وتصويرًا ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: 58] ليعلموا تقصيراتهم ومساهلاتهم في طريق الحق.

تفسير

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59] وما أعجز عن خلقي ولا أضعف.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ يريد السلاح والكُراع[1] ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يريد تحتقرون به عدو الله وعدوكم ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ يريد لا يعلمون عدوًّا لهم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ يريد قومًا معه ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يريد من خلف لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60] يريد تنقصون من الثواب مثل قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ يريد أضعاف أثمارها ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الآية: 33] يريد ولم ينقص منه شيئًا. ومثل قوله: ﴿اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يريد لا ينقص مثقال ذرّة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: 40] بعشر أمثالها ويزينها الله له حتّى يجدها صاحبها مثل الجبل العظيم.

(1) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح.

﴿۞وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ يريد إن وقفوا للصلح تقف للصلح ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61] يريد السميع لقولكم والعليم بما في قلوبكم من الوفاء وقلوبهم من البغض.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يريد بين قلوب الأوس والخزرج حتَّى صاروا أخوةً بعد العداوة ﴿لَوْ أَنفَقْتَ﴾ يا محمّد ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ يريد أن قلوبهم بيده يؤلفون كيف يشاء ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63] يريد عزيزًا في خلقِهِ منيعًا حكيمًا في خلقه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] من المهاجرين والأنصار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ يريد حرضهم على القتال أو على طاعة الله ونصر دين الله ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ يريد الرجل لعشرة، جعلت هذه القوة فيهم فعجبوا إلى الله وقالوا: يا ربّ نحن جياع وغيرنا شباع، ونحن في غربة وعدوّنا في أهلهم، ونحن قد أخرجنا من ديارنا وأموالنا فقالت الأنصار: تنقلنا بعددنا وواسينا إخواننا ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: 65].

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ يريد لا يعقلون فلما تضرعوا إلى الله وشكوا إليه ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ صار الرجل برجلين ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 66] يريد الذين صبروا على دينهم وعلى طاعة الله.

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ يريد حتّى يثخن فيهم القتل ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ﴾ يريد الجنة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67] يريد منيعًا قويًّا حكيمًا في خلقه.

﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ يا محمد أو الغنائم لك ولأمّتك حلالًا طيبًا ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68] فقال رسول الله ﷺ: «**لو نزل عذاب ما سلم منه إلا عمر رضي الله عنه، ولو بُعِث بعدي نبي لبُعث عمر رضي الله عنه**» لأنه أشار على النبي أن يقتل الأسراء.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ وكانت الغنائم حرامًا على من كان قبل هذه الأمة إن غنموا منها شيئًا كانوا يجعلونها قربانًا فتنزل نار من السماء فيأخذه فيجعلها لمحمد ﷺ ولأمّته حلالًا ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: 69] يريد غفورًا لكم ما أخذتم من الفداء، ويرحمكم لأنكم أولياء الله.

هذا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أقول: خاطب النبي ﷺ وقرأ بالياء على أن يكون الفاعل ضميرًا عائدًا إلى خلقه، أو الذين كفروا، والمفعول أنفسهم فحذف

التكرار سبقوا فأتوا وفاقوا من أن يظفر بهم يعني ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أنفسهم سابقين فائقين من عذابنا مفلتين من عقابنا ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59] يعني لأنهم لا يقولون ولا يجدون طالبهم عاجزًا عن إدراكهم سواء قرأ بالكسر أو بالفتح فهو تعليل إلا إن المكسورة استئناف والمفتوحة تعليل صريح.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ أيها المؤمنون لناقضي العهد أو لمطلق الكفار والأعداء، اتخاذ الشيء لوقت الحاضر من الأسباب والآلات والقوة والإدراكات كالخيل والسلاح وآلات الرمي ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ومن الرمي.

قال عكرمة: المراد من القوة الحصون ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60] الإناث. روي عن خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلّة سهلها. روي أنه كانت الصحابة يستحبون ركوب ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند تحيُّل البيات والغارات.

قال النبي عليه السلام: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**» وهو الأجر والمغنم. وأيضًا قال عليه السلام: «**الخيل لرجل أجرٌ ولرجل شرٌّ، وعلى رجل وزرٌ**» وقال أيضًا: «**مَن احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا وتصديقًا بوعده فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة**».

فأما الذي له أجر فرجل خرج في سبيل الله في مرج أو روضة فما أصابت في طلبها ذلك من المرج والروضة كانت له حسنات، ورجل ربطها تغنّيًا وتعفُّفًا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له شر، وأما الذي له وزر فرجل ربطها فخرًا ورياءً ومراءً لأهل الإسلام فهي على ذلك وزرٌ.

سئل رسول الله ﷺ عن الخمر فقال: «**ما أنزل عليّ فيها إلا أن هذه الآية الجامعة القادرة:** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: الآيتان 7 - 8] **يرهبون وينذرون ويخوفون عدو الله**» يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة أو اليهود والنصارى والفرس. وقيل أنهم المنافقون لا يعلمونهم بأعيانهم ولا يدركون لأشخاصهم.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ويوفر ويعطى إليكم ولكم أجرًا ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60] لا تنقصون أجوركم ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ ومالوا ومنه

الجناح ويعدى بإلى واللام ﴿لِلسَّلْمِ﴾ لأجل الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ أي مِل داخل تلك الجماعة المستسلمة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وثق به واعتصم بعروته الوثقى ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالاتهم وهيئات كلماتهم وعبارات عهودهم ومواثيقهم وعقودهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61] بمعاني مقالاتهم ومباني شاراتهم ومضامين عباراتهم وما في قلوبهم من الثبات وتصور العقائد وحقائق أمنياتهم مخصوصة بأصل الكتاب لاتصالها. وقيل: عامة نسختها آية السيف. ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ وكافيك الله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62] من الأنصار أو بهم جميعًا ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ كما ألّف بين الأوس والخزرج كان بينهم إحَنٌ وثارات في الجاهلية وصيّرهم إخوانًا ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الذهب والفضة وغيرهما لم يقدر على الإلفة والإصلاح والركون إلى النجاح والإنجاح، ولكن الله ألّف بينهم وبين قلوبهم وسرائرهم وعيونهم ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ تام القوة عام القهر والغلبة والقدرة ﴿حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63] عالم بما تغير بهم من الأحوال والأعمال، حاكم عليم بما يشاء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] مفعول معه كقولك: بحسبك، والضحاك سيف مهند، أو معطوف على الضمير المنصوب وعلى اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون، نزلت حين كان مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست امرأة، ثم أسلم عمر رضي الله عنه فتمّ به أربعون، وهو عدد كامل له شرف بأن عقوده وهي أربع يتضمن العشرة الكاملة تلك عشرة كاملة إشعار بأن الإسلام يتكامل شيئًا فشيئًا بعده كما كان وقع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ وحثّهم عليه ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ﴾ رجلًا ﴿صَٰبِرُونَ﴾ على القتال صائرون إلى المقاومة في الجهاد والحرب والمقاتلة بكمال التوكل على الله بوفور تسليم نفوسهم بالله وبقولهم به. وهذا تدبير حسن من الله للمؤمنين بأن الكفار لما نظروا إلى المؤمنين وقلّتهم وضعف حالهم استحقروهم وتجبروا في أنفسهم وتكبروا على المسلمين، وسنّة الله قد جرت على تأييد الضعفاء ونصرهم وتقويتهم والمؤمنون لما نظروا إلى قلّة عددهم وندرة مددهم استغاثوا بالله واعتصموا بعروة عنايته واستعانوا بكمال قدرته وجلال قوته، فإذ يغلبوا مائتين بإذن الله وإرادته ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: 65] والصبر في العبد هو حبس النفس والقلب وتوجهه إلى غيب الغيب ليتقوى به في دفع المكروه والخصم والعدو، وقد اتكأ واعتمد على قوته وشوكته وغفل عن الله ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسُف: 21]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 66] ذلك الأمر الواقع بأن يغلبوا الفئة القليلة الصابرة بأنهم لا يفقهون لغلبة الغفلة والجهل والجهالة عليهم، فقست قلوبهم وأدرك الحكمة في تقليل المؤمنين وتجليل الكافرين.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ مشقة القتال وأنتم ضعفاء، وعلى أن فيكم ضعفًا في الظاهر في الواحد من القتال للعشرة وفي المائدة على قتال الأكف، وكان هذا في الحال في غزوة بدر، ثم بعد ذلك التخفيف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 66] لانقطاع سرائر ضمائرهم وبواطن سرائرهم بالكلية إلى الله وبالله.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ وقرأ: (أسارى) جمع أسير، يعني ذليل وفقير عليل، والنبي المحلّى باللام للعهد أي لا يصح، وما استقام لنبي مرسل صاحب كتاب أو عزم وغير ذلك أن يأخذ الأسير ليبيعه ويستبدله بحطام الدنيا ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: 67] من الثخانة وهي الغلظة والكثافة.

ونزلت فيما روي أنه لما كان يوم بدر وعرضت الأسارى على النبي ﷺ فقال لأصحابه: «**ما تقولون في هؤلاء؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستعن بهم لعل الله أن يتوب عليهم فخذ فدية تكن لنا قوة على الكفار. وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كذّبوك وأخرجوك قدِّمهم نضرب عنقهم، مكّن عليًّا من عقيل بضرب عنقه ومكِّني من فلان ـ لنسب لعمر ـ فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر واديًا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم اضرب عليهم نارًا، فقال له العباس: قطعتَ رحمك. فسكت رسول الله ﷺ فلم يسمعهم فقال ناس: نأخذ بقول أبي بكر، وآخرون بقول عمر، وقال ناس بقول عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليليِّن قلوب رجال حتَّى يكون ألين من اللَّبن، وشدَّ قلوب رجال أشدّ من الحجارة، وأن مثل أبا بكر مثل إبراهيم فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. وكمثل عيسى حيث قال:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]،

ومثلك يا عمر مثل نوح حيث قال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26]، **ومثلك يا عبد الله مثل موسى عليه السلام حيث قال:** ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾» [يونس: 88].

وروي أن عمر قال: فهوى إليه ما قال أبو بكر، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني عن أي شيءٍ تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء تباكيت لبكائكما، فقال عليه السلام: «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أمرهم، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» قريبة من النبي ﷺ، فأنزل الله بهذه الآية: ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ وحطامها للفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَ﴾ [الأنفال: 67] وثوابها بقهر المشركين وقتلهم حتَّى يتذلّلوا وترتعب قلوبهم وتنطفىء نار شوكتهم. فكان الفداء لكل أسير أربعين أوقيةً من الذهب، والأوقية أربعون درهمًا من الذهب، والله عزيز قاهر قوي غالب يغلب أولياءه على أعدائه، حكيم يعلم مصالح العباد وما يليق بحالهم في الدنيا ويوم الميعاد، وحاكم عليهم على وجه الأصلح لأهل الوبر وأرباب المدر وساكن البلاد.

و﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ وحكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ في قضائه وتقرّر في سابق علمه في ديوان أمره وحكمه بأن لا يعاقب المخطىء في اجتهاده أو لا يعذب أهل بدر، أو بما لم يصرِّح بالنهي عنه، أو بأن الفدية التي أخذوها أحلّ الله لهم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ فيما أخذتم من الفداء قبل أن يأمروا به ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68].

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: 69] روي أنه لما نزلت الآية الأولى كفّ أصحاب النبي عما أخذوا من الفداء فنزل هو مما غنمتم. روى جابر أن النبي ﷺ قال: «**أحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي**».

إشارة وتأويل

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: 59] أي الأعيان الجلالية، الذين سروا بإعفائهم وإضلالهم وإغرائهم التجلّيات النورية، لا تظنون أنهم في إغوائهم الأعيان النورية ومنعهم إيّاهم عن شهودهم التجلّيات النورية، أنهم في هذه الحالة لا يعجزون ولا يكفرون سرّهم ومنعهم إياهم عن شهودهم لأنهم لكونهم داخلين

في سلطنة فرداريّة الدورة النورية يمكن أن يكون يمنع عن هذا السير، ومنع الشهود فلا يعجزون ولا يظهر العجز والإعجاز عنهم في هذا المنع والسير لأنهم ما أعجزوها عن إغرائكم سلطاني النوم والجمال على الأكوان الظليّة يصرفها عن السير المذكور بالأمانة عن الطور الظلّي الإفرادي، وجذبها إياهم إلى الدور النوري الجمعي والكور الكمالي النوعي بالتأثير الدفعي ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78].

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ أي هيّئوا جميعًا طرفًا أو عكسًا ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفَال: 60] أي خيل القوة المتخيّلة والخيال وفرس الانتقال من مباديء الكشف والشهود أي التجلّيات الذاتيَّة والأسمائيَّة والأفعالية والآثارية الإفرادية إلى التجلّيات الجمعية والظهورات المصورة النوعية، والهيئة الكليَّة الأصلية والفرعية. فأصبحوا للسلم أي الأكوار الظليّة الجلالية لو مالوا في نفسها ونالوا في قوة حسنها وقدرة ذاتها وقدسها إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ميلًا نفسيًا ونيلًا قدسيًا فأصبح لها أي عينها في مرام قدسها ومرام نفسها.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ [الأنفَال: 62] إشارة إلى أن الأكوان الظليّة والأحيان النورية الإفرادية في حدّ ذاتها مائلة إلى النقص، والنقصان والنقص بأن صادفها من النقص والخداع إلى الجمع الكمالي والكمال الجمعي هو الله الحسيب، هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين. إن الأطوار النورية السبعية القلبية أو الأعمال النورية والأكوان الظليّة المطاعة كل من الأخرى، وألّف بين قلوبهم ولطائف غيوبهم حتّى ابتلعت إحداهما الأخرى وحصل بينهما نسبة حبية وجهة ووحدة ذاتية أو عرضية.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ الاستعدادية الإفرادية ﴿مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الجمعية الإفرادية لأن الاستعدادات الإفرادية لا تقبل الصورة الجمعية الأحدية والهيئة الكليَّة الإحاطية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفَال: 63] إنه قاهر غالب قوي بداية على دفع المباينة والتخالف والمعاندة، حكيم عليم بمقتضى الاستعدادات على حسب اقتضاء الأوقات وارتضاء الذوات والماهيات باللوازم الذاتيَّة، حاكم على ارتباط القلوب بعضها ببعض واندراج بعضها تحت البعض،

واندراج الكل في حيطة الحضرة الجمعية المنطوية على الجود والكل، المحتوية على تمام المناهج وكل السبل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64] والأعيان المتّقين المنخرطين تحت سلطنة الهيئة الوحدانية والصورة الكليَّة الإحاطية في مسيرات الجماعات ومسالك الجمعيات المنتفرة إلى الأعيان والآحاد وإلى الأكوان والأفراد والمفردات، وإلى القابلية الجمعية والقابليات للجماعات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65] إشارة إلى أن كل عين من الأعيان، وأن كل أحد من آحاد الأكوان، منطوٍ على جميع صور الأعيان وتمام درر أصداف الأوصاف، فعند انطوائها إلى مطاوي سجال الصورة الجمعية والهيئة الوحدانية المعيَّة القاهرة على الآحاد والأعيان الغير المتحققة بنعت الاتحاد. و﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: 66] التي هي على غير الهيئة الجمعية الوحدانية، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا وخرجوا من محكم سلطنة الصورة الجمعية، وأيضًا أن السلطنة الصريحة لكمال جمعيتها وقوة إحاطتها على السلطنة إذ كانت باقية وبانت ثابتةً على نعت الصراحة تكون غالبة أبدًا على السلطنة الضمنية. وأما إذا خرجت عن الصراحة وكانت السلطنة الضمنية مستعلية على الصراحة وصيرتها ضمنية يكون الأمر بالعكس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: 11].

﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: 66] أي ضعفًا معنويًا لقلّة الصبر وضعف النيَّة ورعف الهمَّة والوهن في الإخلاص وقلّة التوجُّه إلى الله، فذلك لأن المسلمين لما عيّنوا المشركين في بدر وقهر الأعداء وقع في نفوسهم ما وقع من الكبر والاستغناء خفيًّا لا يطّلع عليه إلا الله فانقلب الاستضعاف استغناءً والتواضع كبرًا، والخشوع جبرًا ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: 32]. فلما أراد أن يخلّصهم عن الكبر الخفي، وهو الشرك الخفي، جعلهم في غزوة أُحد مغلوبًا بمثل ما غلبوا في بدر، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين لقلّة إخلاصهم وضعف نيّتهم وانتقاص صبرهم على ما أُمروا من حفظ المركز وغيره من مخالفة أمر رسول الله ﷺ مع أنهم كانوا

في هذا اليوم غالبين فانقلبوا صاغرين ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: 66] إلخ. وفي الإظهار مقام الإضمار وتكرار الصبر إشعار بما ذكرنا واختيار بـ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: الآيات 19 - 21].

تفسير

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ يريد العباس بن عبد المطلب ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: 70] قال العباس: قد أنصفني ربِّي، منَّ عليَّ بالإسلام وأعطاني خيرًا مما أخذ مني. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عم قد تفشلت وافد بني أختك**، - يريد بني أبي طالب - **وافد حلفائك بني جحدم**»، قال: يا رسول الله خاسئين بالمال الذي وجدته معي، وكان معه أربعون أوقيةً والأوقية يومئذ أربعون درهمًا فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك مال أفاءه علينا فلست أحسب لك**».

قال: فقال العباس: فما لي مال غيره، فقال له النبي عليه السلام: «**يا عم أنت سيد قريش وتكذب، فأين المال الذي دفعته إلى أم الفضل؟ فقلت: لا أدري ما يكون فخذي هذا المال يكون لولدك**»، فقال عباس: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والله ما حضر أحد ذلك إلا الله. ففدى نفسه وبني أخيه وحلفاؤه رضي الله عنه وعنهم، فغفر الله للعباس وأعطي يوم حنين أكثر مما أخذ يوم بدر ورحمه الله.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 71] يريد عليمًا بخلقه، حكيمًا بما حكم فيهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ يريد المهاجرين الذين آمنوا ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ يريد بعضهم من بعض، يريد المهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ يريد أقاموا بمكة ولم يخرجوا ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ يريد قبل الفتح ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ يريد إن ينصروا لكم دينكم ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾ يريد عهد ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: 72] يريد بصير بأعمالكم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ يريد ينصر بعضهم بعضًا ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٞ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: 73] بقول الشرّ تحريضًا من الله لأوليائه.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: 74] يريد في الجنة ثوابًا عظيمًا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ يريد الذين هاجروا بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية التي فيها الصلح فأولئك منكم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٖ﴾ [الأنفال: 75] يريد أولي الأرحام فكانوا يتوارثون وكان من واخى بينهم

رسول الله ﷺ أولًا بالميراث، كان إذا أسلم الأخوان فهاجروا فمات أحدهما لم يرثه الذي كان، وكان الذي واخى بينهم رسول الله ﷺ أوْلى بالميراث وإن بعدوا يريد في النسب حتَّى فتحت مكة فردّ الله المواريث إلى الأرحام فقال: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ يريد في فرائض الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفَال: 75] يريد وكل شيء خلق، وكل شيء فرض شيء جد عليمًا.

هـذا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفَال: 70] نزلت في العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، كان أُسِر يوم بدر وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، وكان يوم بدر نوبته، وكان قد خرج بعشرين أوقية من الذهب ليطعم الناس، فأراد أن يُطْهِهم في ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت الأوقية معه، فأخذت منه في الحرب، فكلَّم النبي عليه السلام أن يحسب العشرين أوقية من فدائه، فأتى وقال: «**تبتَ إذ أنك قد خرجت بها لتستعين بها علينا فلا أتركها لك**». وكان فداء بني أخيه عقيل بن طالب ونوفل بن طالب، فقال العباس: يا محمد إن تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت، فقال رسول الله ﷺ: «**فأين الذهب الذي دفعته إلى أمّ الفضل وقت خروجك فقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث لي حدث فهذا لك ولعبد الله وللفضل وقد تمّ** - يعني الأربعة» -، فقال له العباس: وما يدريك؟ قال عليه السلام: أخبرني ربّي، فقال له العباس: أشهد أنك صادق وأن لا إلٰه إلا الله وأنك عبده ورسوله، والله لم يطلع عليه أحد إلا الله وحده لا شريك له. فقال النبي عليه السلام: «**إنك صدقت**». قال: «**قد سمعتُ صوت قطع عرق نار من قِبَلِكَ، إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا وإيمانًا ويقينًا وإخلاصًا يؤتك خيرًا وأكثر حسنًا وسعادة، وأفضل مما أخذ منكم من الفداء، ويغفر لكم ذنوبكم، ويعفو عنكم وعن معاصيكم، ويتجاوز عن سيئاتهم، والله غفور في الدنيا عن السيئات، ورحيم في الآخرة بإعطاء الثواب ورفع الدرجات، وبالفوز بنعيم الجنات**». قال العباس: فأبدلني الله عنها بعشرين عبدًا كلهم تاجر يضرب بمال كثير، وأدناهم بعشرين ألف درهم مكان عشرين الأوقية، وأعطاني زمزم وما أحبّ أن لي جميع أموال الناس، فأنا أنتظر المغفرة من ربّي.

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ أي الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ أي الكفران كفروا بك ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وكفروا بالله ﴿مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفَال: 71] المؤمنين ببدر وأعطاه

المكانة والمكنة والتسلُّط لك حتَّى قتلوا وأسروا، هذا تهديد إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم والله أعلم بأحوالهم الظاهرة والباطنة، حكيم حاكم عليهم بما يليق بهم ويناسب أحوالهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾ قومهم وديارهم وأموالهم وأولادهم وأهلهم وبلادهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإظهار دين الحق ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ رسول الله والمهاجرين معه وأسكنوا منازلهم وضافوهم وأعانوهم آوى ماض من الأفعال من أوى يأوي، أو متضمن لمعنى الجعل. جعل الأنصار منازلهم وديارهم مأوى لرسول الله ﷺ وأنصاره وأعانوا دين الحق ونصره ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المهاجرون والناصرون ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72] دون أقربائهم وأهلهم وأولادهم، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالتآخي في الله دون الأقرباء وذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث أحدهما الآخر حتَّى كان فتح مكة، فحينئذٍ انقطعت الهجرة والأنصارية فتوارثوا بالنسب حيث ما كانوا، أو صار ذلك بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النِّساء: 11] إلى آخرها، والذين بقوا ولم يهاجروا لا أسألكم من ولايتهم بكسر الواو وفتحها كالدلالة، والدلالة من شيء من الميراث حتَّى يهاجروا، وإن استنصروكم المؤمنين الذين لم يهاجروا فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وعهد فلا تنصروهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 72].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 73] في العدل والنصر والميراث ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الأنفال: 73] بفتح الهمزة أصله إن لم تفعلوه إما لقوتكم من الأحكام الدينية والأعلام اليقينية، أي كون الكافرين بعضهم أولياء بعض بمنعهم إياكم وبنهيكم من فعل ما أمركم الله به، يكن فتنة في الأرض وفساد من قوة الكفر وضعف الإسلام، جزم يكن لوقوعه جواب النفي.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لإيثارهم الإسلام على جميع المقاصد وتمام المطالب، وهو مصدر صفة للمصدر المحذوف، أي يؤمنون إيمانًا يكون حقًّا ثابتًا ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74] في الدنيا والآخرة، في الجنة ونعيمها

الكريم الباقي تكرار الآية إشارة إلى الهجرتين هجرة إلى الحبشة وهي الهجرة الأولى، والهجرة الثانية من مكة إلى مدينة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ ومن جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولو الأرحام أولو القربات ذوو التوارث بعضهم أولى ببعض من الأحاديث وهو ثابت في كتاب الله اللوح المحفوظ، استدل به على توريث ذوي الأرحام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 75].

عن رسول الله ﷺ: «**مَن قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة، وشاهد أنه بريء من النفاق، وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة، والعرش وحَمَلته يستغفرون له يوم القيامة أيام حياته في الدنيا**».

إشارة وتأويل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال: 70] إلى آخر الآية، إشارة إلى أن كل عين من الأعيان الوجودية وأن أي كون من الأكوان العدمية من حيث إنهما من الحصص الوجودية والنصص العدمية تكون كل الحصص الوجودية والعدمية مجمعًا لجميع الكمالات الذاتيَّة والأسمائيَّة، ومرتعًا للخيرات الشهودية والحسنات الجودية، وأن كل طالب تعب من زمرة الأعيان والأكوان مندرجة تحت كلية وذات حسن كاملة يتبعها في اكتساب الكمالات واختلاف السعادات، وأن لكل عين من الأعيان ولكل كون من الأكوان وجهين، أحدهما إلى تلك النفس الكاملة التي في الحقيقة هي ذات الحق ووجه إلى غيرها من الكثرات، فعند توجُّه تلك النفس إلى الحيثية الجمعية والأحدية الذاتيَّة الأصلية والفرعية يستتبع تلك الأعيان وتلك الأكوان وتنطبق وجوه الأعيان على وجه النفس الكليَّة ووجه الكليَّة على الوجه الحقي والجمال الجمعي والجمع الكمالي، وهذا الوجه الخلقي المنطبق على الوجه الحقي باقٍ ببقاء الحق أزلًا وأبدًا، باقيًا كلٌّ.

فهرس المحتويات

سورة النساء 3

مطلب: مبحث شريف 36

صفات المرشد إلى اللّه تعالى 69

مطلب الذكر الخفيّ 124

مطلب إدريس عليه السلام 129

سورة المائدة 205

مطلب فائدة كلمة التوحيد 309

سورة الأنعام 359

مطلب من كلام علي رضي اللّه عنه 457

مطلب نظري عجيب بالنظر إلى عالم الملك والمشاهدة 483

مطلب شريف 490

مطلب علاج الوباء 497

مطلب علاج الطاعون 522

سورة الأعراف 539

سورة الأنفال 691